السادات
الحقيقة والاسطورة

موسى صبري

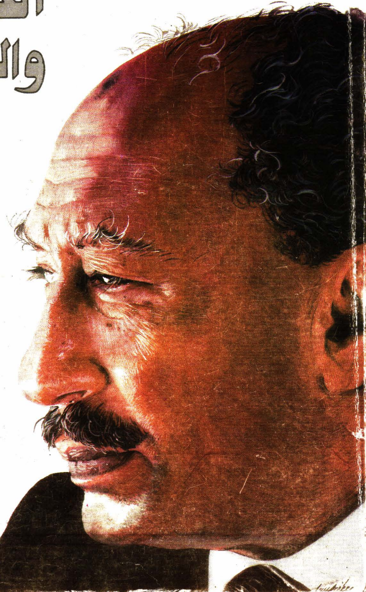

المكتب المصري الحديث

الطبعة الأولى ٦ اكتوبر ١٩٨٥

الطبعة الثانية ٢٠ اكتوبر ١٩٨٥

الناشر المكتب المصرى الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار الاسكندرية تليفون ٩٢٦٦٠٢٤

موسى صبرى

الســـــــادات

الحقيـقة .. والأسـطورة

المكتب المصرى الحديث

التاريخ

https://www.facebook.com/histoc

https://www.facebook.com/groups/histoc.ar

شهادة أمام الله

عرض لحياة السادات حتى أصبح رئيسا للدولة ــ ليس هتافا باسم السادات وليس تبريرات لكل قرار أصدره ــ زميل فى رحلة الحياة ــ مفاتيح علاقتى مع السادات ــ قطيعة استمرت ٢٤ ساعة ــ هجوم من السادات على شخصى فى التليفزيون ــ واقعتان فى علاقتى بالسادات ــ كنت أريد اعتقالك فى مستشفى بهمان ــ حكاية التصديق على حكم ببراءة ضابط بالقوات المسلحة ــ رفضت قرار السادات بتسلم ألف دولار مع قرار علاج زوجتى ــ سطور للتاريخ عن زعيم صنع التاريخ .

« شهادة .. أمام الله »

هذا الكتاب هو محاولة مخلصة لتقييم عادل لحكم محمد أنور السادات الذى استمر أحد عشر عاما من ١٩٧٠ إلى ١٩٨١ .. حفلت بأخطر حدثين فى تاريخ مصر والمنطقه العربية ..

حرب أكتوبر التى تحقق فيها نصر عسكرى .. على القوات الاسرائيلية ، تجلل بعبور قناة السويس ، واقتحام خط بارليف مما اعتبر معجزة بكل المقاييس العسكرية ..

ثم اتفاق كامب دافيد ومعاهدة السلام بين مصر واسرائيل التى مهد لها زيارة زعيم أكبر دولة عربية لاسرائيل .. مما اعتبر معجزة سياسية بكل المقاييس .

وقد اقتضى هذا التقييم أن أعرض لحياة أنور السادات منذ بدأ شبابه السياسى ضابطا بسلاح الإشارة بجيش مصر برتبة « اليوزباشى » مفصولا من الجيش بسبب أعمال معادية للاستعمار البريطانى ومعتقلا بقرار من الانجليز فى معتقل الزيتون بالقاهرة ، ثم معتقل « ماقوسة » .. فى المنيا فى أوائل الاربعينيات حتى أصبح رئيسا لدولة مصر ، وقائدا أعلى لقواتها المسلحة .. بعد ثلاثين عاما .. ثم حقق تحولات داخلية جذرية فى حكم مصر من حكم الفرد إلى بداية حكم ديمقراطى قائم على تعدد الأحزاب .. ومن اقتصاد « اشتراكية الفقر » إلى اقتصاد مشترك ألغيت فيه الاجراءات الاستثنائية وشعر فيه سوق العمل بالأمن والأمان .. كما حقق تحولات خارجية من حياة مغلقة فى المعترك الدولى يسيطر عليها مايشبه التبعية للاتحاد السوفيتى إلى علاقات دولية مفتوحة اتجهت إلى الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية .

لقد تولى أنور السادات حكم مصر وأرضها محتلة ، وقناتها مغلقة وجزء من شعبها يعيش حياة المهاجرين فى داخلها ومعتقلاتها مفتوحة لمن يهمس بكلمة لا ترضى الحاكم واقتصادها يترنح .. والاتحاد السوفيتى هو المسيطر على نظامها السياسى وهو المستولى على إنتاجها اقتضاء للديون .. وكانت زعامة عبد الناصر رغم المأساة ، تملأ الفراغ بسحر تأثيرها على الجماهير المصرية والعربية ..

وظهر أنور السادات أمام الشعب ، مجهول التاريخ ، مجهول الهوية .. لا يوحى بأى قدرات فى الحكم أو العمل السياسى .. ورضى الاتحاد السوفيتى باختياره اقتناعا

بأنه شخصية ضعيفة يسهل احتواؤها .. من قيادات التنظيم السياسى التى كانت على أوثق الروابط مع موسكو .. وانتهت حسابات أمريكا إلى أن القادم الجديد لن يحكم أكثر من أربعة أشهر ..

وفجأة تطورت الأمور .. وإذا بهذا الرجل الضعيف يصدر قرارا بطرد ١٥ ألف عسكرى سوفيتى .. وينفذ القرار دون إبطاء !.. ثم يقضى تماما على السيطرة السوفيتية .. وينتهى حكمه بسفارة سوفيتية فى مصر بلا سفير .. وإذا به يصبح قبلة الأنظار فى العالم الغربى شعبيا ورسميا ، زعيما فذا شجاعا .. لا يطل مثل وجهه على البشرية إلا مرة كل قرن كما عبر عن ذلك الدكتور « كرايسكى » مستشار النمسا ، عندما أعلن أن زعيمين عالميين ظهرا فى هذا القرن .. هما « تشرشل » و « السادات » .

ولاشك أن محمد أنور السادات أصبح ظاهرة عالمية . بهذا الكيان الفريد ..

وقد صدرت عنه فى حياته عشرات المؤلفات من أقلام كبيرة لها وزنها .. وسوف تصدر عنه مئات المؤلفات على مدى أجيال مقبلة .. وسوف يكون مادة خصبة لتحليل جوانب شخصيته ، وخفايا قراراته .. من القوى المؤيدة ، والمعادية .. ومن الأقلام الأمينة وذات الهوى .. ولذلك فإن المؤلف الواحد عن أنور السادات الذى يستغرق بضع مئات من الصفحات يستحيل أن يلم إلا بقدر محدود من جوانب شخصيته وأعماله ..

ومحاولتى من أجل تقييم شخصية السادات ، الانسان .. والحاكم .. وهى من قلم مؤيد .. لا تعنى أنها مجرد هتافات باسم السادات .. أو تبريرات لكل قرار أصدره السادات .. لقد جاهدت النفس والعقل ، أن أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. وسعيت بضمير القاضى أن يصدر الحكم فى سطورى عادلا منصفا .. وأن أسجل الأخطاء من وجهة نظرى دون تحيز له أو عليه .. نعم حاولت أن أكون موضوعيا بقدر فهمى وانطباعى .. وبقدر موقعى الصحفى قريبا منه .. وموقعى الشخصى « زميلا له فى رحلة الحياة » كما عبر هو بقلمه عندما أهدانى كتابه « البحث عن الذات » ..

ولذلك .. وحتى تكون كل الوقائع واضحة أمام القارىء .. دون شبهة خداع فإننى أقدم إلى القارىء ، وبكل أمانة مفاتيح علاقتى مع أنور السادات .

لم نكن أصدقاء بمعنى كلمة الصداقة .. فهو لم يزرنى فى بيتى .. وأنا لم أقصد بيته على مدى علاقة بدأت فى عام ١٩٤٣ وامتدت قرابة أربعين عاما إلا فى لقاءات عمل وبمواعيد مسبقة .. وهو لم يعدنى مريضا .. والكلفة بيننا لم ترفع إلا بقدر .. ولكننى كنت دائما قادرا على التحدث إليه بقلب مفتوح وبعقل لا يستريح حتى يقول رأيه الصريح .. وهذا

ما أتاحه لى موقعى الصحفى بعيدا عن قيود الالتزام الرسمى أمام رئيس دولة .. ومن طبيعة هذه الرابطة كان لا يتحرج أن يستقبلنى فى غرفة نومه « بالبيجاما » وهو متمدد على « شلته » فى شرفة منزله .. أو يطلب لى طعاما فى موعد الطعام .. أو يفضى إلى برأى فى شخص أو حدث ، ودون أى حرج ، وبكل الثقة فى لأن كلمته محفوظة بكل الصون وبكل الأمانة على ما فيها من أسرار .

ولكن الرجل ، كان يعتبرنى ، كرما فى خلقه ، واحدا من أفراد أسرته وكان يطمئن دائما على أحوال عيالى وأسرتى .. وكانت السيدة الفاضلة قرينته جيهان السادات تقوم بكل كرم السجايا النبيلة بما تفرضه الواجبات الاجتماعية مع أسرتى فى الضراء قبل السراء .. فى حياة زوجتى وبعد وفاتها .

وهكذا فمن واقع رابطة العمل مع أنور السادات وهى رابطة لها نسيجها الإنسانى والعاطفى فى المقام الأول .. كنت لا أتردد فى أن أتحدث إليه فى كل شىء .. مالا يرضيه قبل ما يرضيه .. وكنت أنقل له رأيى بلا قيود .. إلا ، مانفرضه آداب الحديث — فى الأشخاص المحيطين به ، عندما وجدت أن بعض هذه الأسماء تستثمر وجودها بقربه ، وتشوه من رصيد السادات أمام الجماهير وكان يغضب فى بعض الأحيان .. وكان يدلل على ضعف حجتى فى أحيان أخرى .. وكان يصمت عن التعليق فى مناسبات عندما يفضل الاستماع والاستيعاب دون أن يبدى رأيه .. وكان الصمت عن التعليق من مميزات شخصيته .

وقد اختلفت مع الراحل العظيم ، فى بعض ما نشرته وأثار ألمه .. وفى إحدى المرات ، قال لسكرتيره بصوت مرتفع غاضب ، عندما أبلغه أننى « على التليفون » : « انتهى ما بينى وبين فلان .. ومنذ الآن لا كلام ولا سلام ولا معرفة » .. وأبلغنى سكرتيره بنص كلماته التى سمعت طرفا منها والسماعة مفتوحة .. فما كان منى إلا أن جمعت أوراقى من مكتبى وكتبت استقالتى .. ولكنه ـ فى اليوم التالى ـ وقبل مرور أربع وعشرين ساعة طلبنى فى التليفون وانتهت الأزمة .

وكنت أفضل دائما ألا أتحدث إليه وهو غاضب .. لأننى كنت أعرف أن هذه الغضبات مؤقتة .. زئير أسد ينطلق من حمل وديع (وهذا تعبير الدكتور رفعت المحجوب) .. وكنت أنتظر يوما أو يومين لأتحدث إليه بعد ذلك فى موضوع غضبه .. ويجرى الحديث هادئا مشوبا بعاطفة مودة لم تنقطع أبدا ..

وحدث أن هاجمنى الرئيس السادات باسمى فى اجتماع عام ، أذيع تسجيله على شاشة التليفزيون .. وذهبت إلى مكتبى وفوجئت بزملائى يروون لى ما حدث بين

دهشتهم وذهولهم .. واتصل بى أكثر من وزير يسألنى .. ماذا جرى ؟ .. ثم اطلعت على كلماته .. ورأيت أنه ظلمنى بلا مبرر .. فاتصلت به على الفور — وكان فى الاسكندرية — وبكل بساطة سألته : لماذا هاجمتنى ياسيادة الرئيس ؟ .. وأجاب بسبب الهجوم ، وأوضحت له بكل هدوء أن السبب لا أساس له من الصحة .. اقتنع تماما .. وقال لى ببساطة وطيبة « معلهش .. أهى جات فيك » .. وضحكنا .. وكان مثار تساؤل زملائى فى « أخبار اليوم » .. كيف انتهى هذا التوتر العنيف فى نفس اليوم وكأن شيئا لم يكن .. بل تضاعف تساؤلهم عندما ظهر السادات على شاشة التليفزيون ـ بعد ثلاثة أيام ـ فى اجتماع عام مع أعضاء هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية واستشهد فى حديثه بحوار دار بينى وبين بيريز زعيم المعارضة فى اسرائيل .

وعشرات من مثل هذه الحوادث العابرة جرت فى رابطتى بأنور السادات على مدى أحد عشر عاما وهو فى قمة المسئولية .. ولم تنقطع الرابطة أبدا .. وقد وصلت إلى سمعى أكثر من قصة عن محاولات من بعض الأشخاص ، للدس بين الرجل الكبير وبينى ، أو للإساءة إلى ثقته بى .. ولكن هذه الثقة لم تهتز أبدا .

وأشهد للتاريخ وأمام الله .. أننى عشت سنوات حكمه مستريح الضمير لأننى لم أخف عنه ، ما يدور بخاطرى ، مهما كانت الظروف .. ولكن ذلك كان يتم دائما فى حدود علاقة العمل الصحفية .. فلم أكن شريك حكم .. ولم أحشر أنفى فيما لا يخصنى .. ولم أتجاوز أبدا حدود مسئوليتى الصحفية .

وقد حدثت فى هذا المجال واقعتان ..

* الواقعة الأولى ، عندما فوجئت بقرار صدر من الرئيس السادات باختيارى رئيسا للجنة الاعلام فى حزب مصر .. وأرسل هذا القرار إلى الصحف لنشره مع قرار آخر باختيار يوسف السباعى رئيسا للجنة الثقافية .

والحقيقة أننى لم أكن عضوا فى حزب مصر . ولم أتقدم بطلب عضوية ولذلك لم أتحرج من أن أشير فى مقال ظهر لى بعد ذلك وفى الصفحة الأولى من « الأخبار » .. أننى فوجئت بهذا الاختيار .. واننى لست عضوا فى حزب مصر .. واننى لم أباشر على الاطلاق أى مسئولية فى هذه اللجنة .

ولم يفاتحنى الراحل العظيم أبدا فيما نشرت ..

* والواقعة الثانية .. عندما أبلغنى مصطفى أمين أن ممدوح سالم بتكليف من أنور السادات عرض على محمد حسنين هيكل منصب وزير الاعلام بعد أن انتهت قطيعة بينهما .. لم تلبث أن عادت .

وأذكر أننى قلت لمصطفى أمين .. «هذا خطأ كبير وقع فيه السادات وسوف يرفض هيكل هذا العرض لأنه أذكى من أن يقبله .. وسوف يستثمر عرض المنصب عليه ورفضه له أبشع استثمار » .

وأبلغ مصطفى أمين هذا الرأى للرئيس السادات .. الذى طلبنى تليفونيا فى منزلى ليقول لى مازحا .. « رأيك يدل على أنك لا تفهم فى السياسة .. ولولا خوفى من انزعاج زوجتك ، وهى فى مقام ابنتى ، لأمرت باعتقالك فى مستشفى بهمان بالمعادى .. حتى تعود أعصابك إلى طبيعتها » ..

وقلت للرئيس : « لا أزال عند رأيى ياريس .. ولن أغيره حتى بعد دخولى مستشفى بهمان .. وسوف يرفض هيكل .. ويستثمر هذا . »

وحدث ما توقعته .. ولم يفاتحنى أنور السادات بعد ذلك ، فى هذا الموضوع أبدا .

والتزمت بحدود أخرى فى علاقتى بالرئيس السادات حتى فارق الحياة .

* **الحد الأول** : هو أننى لم أسمح لهذه العلاقة أن تتطور إلى أكثر من إطارها . فكثيرا ما عرض على عندما أكون على موعد معه .. أن أرتدى ملابس الرياضة وأمارس رياضة المشى معه .. واعتذرت عن عدم إمكانى ذلك ولسبب بسيط هو أننى لا أحب المشى .. وأكثر من مرة دعانى إلى مشاهدة فيلم سينمائى معه وأكون قد انتهيت من عملى معه وعلى وشك الانصراف .. وكنت أعتذر عن عدم تلبية الدعوة بأكثر من حجة .

والسبب الحقيقى وراء ذلك أننى كنت أرى أن زيادة الرابطة قد تفسدها ..

* **الحد الثانى** : هو أننى لم أطلب لقاء الرئيس أو الحديث إليه بالتليفون .. إلا إذا كان هناك مبرر قوى لذلك يستدعى أن أعرف وجهة نظره .. سواء فى أزمة خارجية .. أو خبر خطير نقلته وكالات الأنباء .. أو حدث داخلى هام .

ولذلك كانت تمر أسابيع عديدة .. دون أن أتحدث إليه .

وكان اقتناعى أن الرابطة مع رئيس الدولة ليست رابطة « رغى » فى أى أمر عادى من الأمور .. وإذا كان لى حق التحدث إليه فى أى وقت .. فلا يعنى ذلك أن أسىء استخدام هذا الحق .. أو أتحول بهذا الحق إلى خلق صداقة من نوع آخر غير صداقة العمل ..

* **الحد الثالث** : هو أننى تجنبت تماما أن أحشر نفسى فى « شبهة رسمية » بمعنى أنه كان من طبيعة السادات ، عندما تتحدث إليه فى أمر من الأمور ، ويقتضى هذا الأمر إصدار توجيه منه إلى أحد الوزراء أو إلى رئيس الوزراء .. كان الرجل يقول ببساطة .. « بعد أن ينتهى حديثنا اتصل بفلان ـ أى الوزير المسئول ـ وأبلغه بكذا وكذا » .. لقد

كنت حريصا أن أقول للرئيس على الفور .. سيكون أفضل لو اتصلت به سيادتك ، حتى ... لا يفهم وضعى خطأ .. وكان الرجل يقدر ويستجيب .

* الحد الرابع : هو أننى لم أطلب أبدا طلبا شخصيا من الرئيس . وربما كان الطلب الوحيد الذى ألححت عليه واعتبرته طلبا شخصيا هو الافراج عن مصطفى أمين بعد أن أمضى فى السجن قرابة تسع سنوات .

وقد حدثت لى واقعة شخصية .. فى عام ١٩٧١ كان لابد فيها أن أطلب تدخل الرئيس .. وكانت كل الظروف الإنسانية المحيطة بى تفرض على ذلك واجبا وقانونا . فلم يكن تدخله لتقرير استثناء أو لخروج على سيادة القانون .. بل لمجرد التعجيل بعرض مذكرة هامة عليه ، تأخر عرضها أربعة أشهر .. ويوجب القانون مجرد تصديقه الروتينى للافراج عن مظلوم حكم القضاء ببراءته ..

ولم أطلب من الرئيس التدخل .. وكان ذلك فى عام ١٩٧١ .. ولم يعلم السادات بهذه الواقعة إلا قبل وفاته بأيام ! وكان تعليقه أن هذا تزمت من جانبى لم يكن له أى مبرر .

وتفصيل الواقعة :

لقد كان زوج شقيقتى الصغرى عقيدا فى القوات المسلحة فى حرب ١٩٦٧ . وشاءت القيادة العسكرية بعد الهزيمة المنكرة أن تنسب تهما تافهة إلى عدد من الضباط صغار الرتب وكأنهم هم المسئولون عن الهزيمة . وفوجىء زوج شقيقتى وهو بملابسه الرسمية باستدعائه إلى محاكمة مع اثنين من الملازمين . وفوجئنا جميعا ـــ كأسرة ـــ بصدور الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لإهماله فى أداء واجبه العسكرى . ثم علمنا أن رأى المحكمة كان البراءة .. ولكن وزير الدفاع عندئذ ، عدل الحكم إلى الأشغال الشاقة

ومضى على زوج شقيقتى فى السجن أربعة أعوام وكنت أزوره خلالها .. إلى أن فوجئت ذات يوم بمحاميه يباغتنى فى مكتبى فى « أخبار اليوم » فى يونيو ١٩٧١ بأن الالتماس العسكرى الذى قدمه بعد الحكم على زوج شقيقتى قد مر بكل اجراءاته القانونية وأنه قضى فيه بالبراءة . وأن الفريق صادق وزير الدفاع صدق على حكم البراءة ، وأن الحكم الآن فى مكتب كبير الياوران برياسة الجمهورية لا ينتظر إلا ... تصديق رئيس الجمهورية .. وعادة يكون التصديق من رئيس الجمهورية شكليا على الأحكام . وقال لى المحامى .. « حرام أن تترك زوج شقيقتك فى السجن وهو برىء ويكفيه أنه أمضى أربعة أعوام سجينا مظلوما ، وأن له طفلة ولدت وهو فى السجن . الآن

لن يتطلب الأمر منك أكثر من رجاء تليفونى إلى رئيس الجمهورية بطلب ورقة هذا الحكم للتصديق عليه . واعتذرت للمحامى عن استحالة هذا السلوك منى .. فهذا يعنى وكأننى أطلب امتيازا من أنور السادات بعد موقفى فى ١٥ مايو .

وجن المحامى غيظا وأكد لى أن هذا ليس امتيازا لأن التصديق إجراء شكلى بعد تصديق وزير الدفاع .. والمشكلة أن التصديق سوف يتأخر لأن كبير الياوران الفريق الليثى مريض ويعالج فى لندن .. وهذا يمكن أن يقتضى شهورا . وقلت للمحامى .. مادام زوج شقيقتى قد عرف ببراءته فلن يضيره أن يبقى أربعة أشهر بعد أن بقى فى السجن ٤ سنوات ظلما .

وقال لى المحامى : أنت مجرم فى حق شقيقتك لأنـك لا تطلب أى استثنـاء . وفعلا .. مر شهران أو أكثر .. وتوفى كبير الياوران فى لندن .. وعين شخص جديد . عرض الأحكام كلها على الرئيس ووقع الرئيس السادات بـالتصديق عـلى البراءة بالنسبة لزوج شقيقتى .

وأعود فأقول أن السادات لم يعلم أنه زوج شقيقتى إلا بعد عشرة أعوام .. وفى حديث تليفونى معى قبل اغتياله بأيام !

وعندما مرضت زوجتى بالسرطان .. وأجـرى الدكتـور اسماعيـل السباعى جراحة خطيرة لهـا فى مستشفى العجوزة بـالدقى .. كـان عدد من أعضـاء الجمعية الأمريكية للسرطان فى القاهرة لحضور مؤتمر ترأسه السيدة جيهان السادات ، وعرضت عليهم السيدة الفاضلة حالة زوجتى ونصحوا بضرورة أن تسافر زوجتى إلى أمريكا على الفور لاستكمال علاجها لأن السرطان الذى أصيبت به هو أخطر أنواع السرطان .

وتفضل الرئيس السادات وطلب من رئيس الوزراء ممدوح سالم استصدار قرار بعلاج زوجتى فى الخارج على حساب الدولة . واستمر علاجها سبع سنوات وأجرت أكثر من جراحة بالغة الخطورة .. وأنقذت حياتها من موت محقق ثلاث مرات .. إلى أن شاءت إرادة الله أن تختفى من حياتنا بعد اغتيال السادات بستة أشهر .

وبعد أن صدر قرار علاج زوجتى فى أمريكا مع سفرى معها كمرافق وفقا لما تقضى به قواعد العلاج فى الخارج .. وكنت أستعد للسفر .. رأيت أن بدل السفر المقرر لا يمكن أن يواجه تكاليف الحياة اليومية فى أمريكا بعيدا عن العلاج ..

وكنت قد تسلمت من الناشر أحمد يحيى مبلغ أربعة آلاف جنيه نصيبى من توزيع كتابى « وثائق حرب أكتوبر » بعد أن أعيد طبعه .. فطلبت تحويل « ألف جنيه » إلى دولارات فى الخارج . وقال لى المسئول فى المصرف المختص أنه لكى يحول هذا المبلغ

بالسعر الرسمى لابد أن يدخل فى نطاق « كوتة » أى وزارة .. أو الاعتمادات المخصصة لرياسة الجمهورية . وأن الأمر لا يقتضى أكثر من إبلاغ له من أى وزير أو من سكرتير الرئيس .. أن يخصم هذا المبلغ من « الكوتة » المحددة .. وهنا يقبل منى المبلغ ويقوم بتحويله .

وطلبت من فوزى عبد الحافظ السكرتير الخاص للسادات الاتصال بموظف المصرف .. وعلم الرئيس السادات بذلك .. وإذا بفوزى عبد الحافظ يقدم لى مظروفا فى اليوم التالى وبه « ألف دولار » أو أكثر لست أدرى .. لأننى لم أفتحه . وقال لى فوزى عبد الحافظ هذا أمر الرئيس أن تتسلم هذا المبلغ .

ورفضت .. وألح فى اليوم التالى مؤكدا أن الرئيس غاضب من تصرفى .. وأصررت على الرفض .

وأخيرا قال السادات لفوزى عبد الحافظ : معلهش .. أنا عارف مخه .

واتصل سكرتير الرئيس بالمصرف لكى يقبلوا منى المبلغ لتحويله .

وحدث أن رأيت السيدة جيهان بعد ذلك فى اجتماع دعتنى إليه مع أعضاء جمعية السرطان الأمريكية .. لكى توصيهم بالعناية بزوجتى .. وقالت لى أن الرئيس متألم من سلوكى لأنه لا يدفع لى هذا المبلغ من جيبه .. ولكنه من اعتماد مخصص لمثل هذه الحالات .

وكررت لها شكرى وامتنانى واعتذارى .

وقد حدث مثل هذا الموقف مع الدكتور عبد العزيز حجازى بعد استقالة وزارته وصدور قرار بعلاج السيدة زوجته فى الخارج على نفقة الدولة . حدث أن أرسل الرئيس سكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ ومعه مبلغ إضافى من ميزانية الرياسة لتقديمه إلى الدكتور حجازى قبل سفره .. واعتذر عن عدم قبول المبلغ .

وقد تكلف علاج زوجتى مبالغ كبيرة .. وكنت وما أزال أصلى لله شكرا أن دبر لها علاجا على أحسن مستوى علمى ، لم أكن بقادر عليه . وخلال ذلك أيضا أجريت لى عملية جراحية خطيرة . وكنا فى المستشفى .. زوجتى فى حجرة .. وأنا فى حجرة مجاورة .

ولن أنسى للسادات هذا الفضل ما حييت .. ولن ينساه أولادى .

وكان هذا هو سلوك السادات فى حالات الأمراض المستعصية حتى مع خصومه فى الرأى . والأمثلة عديدة على ذلك .. أسرة خالد محيى الدين . وعدد من الكتاب الذين كانوا يهاجمونه فى حياته .. بل ويشهرون به . واستمر بعضهم يشهر به بعد موته !

وكنت دائما وطوال حكم السادات أعلن هذا الاعتراف بالفضل .. عدا متابعه السيدة جيهان السؤال عن زوجتي وهي في الخارج .. مما كان يشجعها ويرفع معنوياتها أمام تهديد الموت المستمر .. وكان مصطفى أمين يردد لي دائما : « ما فعله السادات معك .. فعله مع خصومه في الرأى ــ بل إن العلاج على حساب الدولة استفاد منه أشخاص عديدون ليست أمراضهم خطيرة .. » ولكني كنت أعقب على ذلك : « بأنه كان من حق السادات ألا يفعل » .

وبعد .. فقد أردت أن أسجل هذه الصورة الأمينة لعلاقتي بالرئيس السادات .. لكي أؤكد أنني لم أحصل على أي امتياز شخصي لي أو لقريب لي طوال عهده .. وظللت في شقتي ــ وحتى الآن ــ المكونة من غرفتين وصالة .. وقد كنت رئيسا لتحرير « الجيل » في مؤسسة أخبار اليوم منذ عام ١٩٥٤ ورئيسا لتحرير « الجمهورية » ثم « الأخبار » منذ عام ١٩٦٠ .. أي قبل أن يتولى السادات منصب رئيس الجمهورية بسنوات طويلة .. واعتذرت عن عدم قبول منصب رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم مرتين قبل أن أقبل توليه لأسباب عامة .

وهكذا . فإن سطور هذا الكتاب عن أنور السادات مجردة عن الهوى ..تعبر عن اقتناعي الكامل بالتأييد أو المخالفة في الرأى .

إنها .. بكل الموضوعية .. سطور للتاريخ .. عن زعيم صنع التاريخ .. راعيت أن تكون في حدود الشهادة الصادقة عما رأيت أو عايشت أو سمعت .. شهادة أمام الله .. بالصدق .. كل الصدق .. ولا شيء غير الصدق .

واسأل الله ..

وأسأل القارىء بعد الله ..

أن يغفر لي .. إن كنت قد قصرت .. أو ضعفت بعاطفتي عن اعتراف بحقيقة .

« موسى صبري »

الجزء الأول

الاغتيال

الفصل الأول لحظات المرارة .
الفصل الثانى ١٤ جهة قررت اغتيال السادات
الفصل الثالث الجريمة تمت فى ٣٥ ثانية
الفصل الرابع لماذا قتلوه ؟

الفصل الأول

لحظات المرارة ..

طيش الارهاب ـ مفاجأة التليفزيون ـ فى مكان العرض العسكرى ـ أمام منزل حسنى مبارك وحديث رئيس المخابرات ـ فى مستشفى المعادى ـ النائب كمال الشاذلى يهذى ـ صرخ رجل « الدوام لله وحده » أسرة السادات تغادر المستشفى ـ مندوب الأهرام يسأل : هل اجتاز الأزمة ؟ ـ أحداث أسيوط .

الفصل الأول ..

لحظات المرارة

أيام الأمجاد .. لا تنسى .
وأيام الأحزان .. لا تنسى أيضا .

ويوم ٦ أكتوبر .. سيظل فى تاريخنا ، أمجد الأيام ، عندما انتصر شرف المقاتل المصرى ، تحريرا للأرض ، ودفاعا عن العرض ، وإعلاء لكرامة إنسان مصر .. وإنسان كل أرض عربية .

ويوم ٦ أكتوبر .. سيظل أيضا فى تاريخنا ، من أتعس الأيام ، عندما خرج الإرهاب على إجماع الأمة ، ليفرض شريعة الغاب ، ويغتال قلب الرجل .. صاحب قرار أكتوبر .

ولم يكن طيش الإرهاب يريد رئيس الدولة فحسب .. بل كان يريد أن يقوض الكيان كله . الدولة بكل رجالها . وبكل أحزابها وأقلامها ، وبكل بناء فيها .

الساعة الواحدة والنصف تقريبا بعد ظهر ٦ أكتوبر ١٩٨١ . كنت فى مكتبى . أقفلت بابه ورفعت سماعة التليفون . كنت أكتب المقال السادس ، من سلسلة مقالات بعنوان « جذور الزعامة وعبث الصغار » . ولم أكن أستمع إلى راديو أو أشاهد تليفزيوناً ، وفجأة سمعت دقا عنيفا على بابى . ورأيت أحمد زين مدير تحرير «الأخبار» وزميلا من قسم الاستماع يبلغانى بالمفاجأة . « انقطع الإرسال ، وسمعت طلقات رصاص » .

وأسرعت أجرى على السلم من الدور العاشر . وقفزت إلى سيارتى .. ولحقنى جلال عيسى نائب رئيس التحرير .. جلس إلى جوارى بعد أن لاحظ هلعى . وجرت السيارة . جلسنا صامتين وجلين . الراديو لا يتكلم . استخدمت تليفون السيارة فى محاولات يائسة للاتصال برقم أى مسئول . كل الأرقام لا ترد . منزل الرئيس فى الجيزة لا يرد . استراحة القناطر لا ترد . مكتب النائب حسنى مبارك لا يرد . السيارة متجهة — وكلنا واجمون — إلى موقع العرض العسكرى فى مدينة نصر . أحاول أن أتلمس خبرا فى وجوه جميع المارة والشوارع مزدحمة . لا شىء جديد . الحمد لله . إذن لم يقع مكروه . لو حدث شىء لكان الخبر قد انتشر بين الجماهير . وفجأة أذاع الراديو أن

الرئيس السادات والنائب حسنى مبارك غادر منصة العرض . ولم يزد الخبر عن ذلك حرفاً واحداً . إنه يحتمل كل شيء . وأخيراً وصلنا إلى المدخل الرئيسى للعرض العسكرى . المدخل مغلق . الحراسة مكثفة . قال السائق أعرف مدخلا آخر من الخلف . أرجوك .. اسرع .. ووصلنا إلى المدخل الخلفى . أوقفتنا حراسة مشددة . عرفوا شخصى . طلبوا تفتيش السيارة . فتشوها . افعلوا ما تشاءون . أريد فقط أن أدخل إلى مكان العرض . تفضل . سمحوا بالمرور .. سألتهم .. ما الخبر ؟ .. هل سمعتم شيئا ؟ .. لا أحد يرد . العذر أن لا أحد منهم يعرف .

وصلت المنصة .

المشهد رهيب . لا أحد بها . المقاعد كلها مقلوبة . بقع دماء هنا وهناك . حاولت أن أقترب . منعتنى حراسة ضخمة أحاطت بالمنصة على شكل دائرة .

سألت بعض الحراس فى مرارة وحرارة .. ماذا جرى ؟ ..

- لا نعرف ..
- أرجو أن أطمئن فقط .. هل الرئيس بخير ؟ .. هل النائب بخير ؟.
- لقد كلفنا بالحراسة بعدما وقع .. لم نشهد شيئا ..
- وماذا وقع ؟
- لا نعرف تماما ..

وبدا لى أن الكل يعرف .. وأنا وزميلى جلال عيسى الوحيدان اللذان لا يعرفان .

- لم نحضر لرسم صورة صحفية .. نريد كلمة واحدة فقط .. نريد أن نطمئن ..

وأشاحت عنا الوجوه .. الكل حزين . والكل غاضب . والكل لا يحتمل سؤالاً .

وأدركت أن شراً مستطيراً قد وقع ..

وبكيت .

وانتحى بى ضابط من الحراس جانبا .. وربت على كتفى فى حنان أب ، وهو فى عمر ابنى :

- اطمئن .. كلنا نرجو خيرا ..
- ماذا حدث ؟ ..
- حدث إطلاق رصاص .
- كيف ؟
- لا أعرف ..
- هل نقل أحد إلى مستشفى ؟.

- غدنيا ..
- وأى مستشفى ؟.
- لا أعرف ..

وعدنا إلى السيارة . ونحن لا ندرى ماذا نفعل .. وإلى أى اتجاه نسير .

وقال لى السائق : لقد عرفنا ما جرى .. جندى سائق روى لنا .. أحدهم خرج من العرض العسكرى ورمى قنبلة .. القنبلة أصابت الرئيس وأصابت من رماها .

ألم يقل لك شيئاً آخر ؟..

- أبدا .. أقفل فمه بعد ذلك . وكان يتحدث إلى هامسا .

وفكرت أن نتجه إلى مستشفى الطيران بالعباسية . جال فى ذهنى أنه أقرب مستشفى عسكرى . ثم قال لى جلال عيسى : الأفضل أن نتجه إلى منزل النائب حسنى مبارك .

وأسرعنا إلى منزل حسنى مبارك .

دبابة على ناصية الشارع .. وسيارة مصفحة . وحراس كثيرون . توجهت إلى قائد هذا الحرس . ضابط كبير الرتبة ثابت الأعصاب :

- هل النائب بالداخل ؟
- لا ..
- هل أصيب ؟ ..
- لا أعرف ..
- هل أستطيع أن أدخل إلى المنزل لأرى أى فرد من الأسرة ؟

وأرسل رئيس الحرس ، من يسأل إذنا لى . وعاد من أرسله مكفهر الوجه مقطب الجبين جامد المشاعر .. ليقول آسفين .. أفراد الاسرة فى حالة لا تسمح بلقاء أحد .

واهتز جسدى ، وانتفضت دموعى ..

هناك مكروه .. مكروه خطير ..

وأين أذهب ؟ .. ومن أسأل ؟ ..

ثم جاءت سيارة . أعرف من بداخلها . إنه رئيس المخابرات العامة . عرفته وأنا أؤلف كتاب وثائق حرب أكتوبر . اندفعت إليه . نزل من السيارة . احتوانى فى هدوء وحنان .

- أرجوك .. طمئنى .. ماذا جرى ؟ ..

ولم يفقد الرجل هدوءه وحنانه :

- اطمئن .. إنه شاب مجنون أطلق رصاصة .

سألته وأنا أرتجف :

- من أصاب ؟ ..

- اطمئن إصابة الرئيس سطحية فى الكتف ، والنائب لم يصب .

وتوسلت إليه أن يقول الحقيقة ..

- قلت لك اطمئن . والنائب الآن فى المستشفى مع الرئيس وسوف يعود إلى بيته .

- اية مستشفى ؟ ..

- مستشفى المعادى .

ولم أصدقه . نبرات صوته الهادئة ، ولهجته الحنون تؤكدان لى أنه يرثى لحالى ، ويخشى على كيانى .

أمسكنى جلال عيسى وهو يضغط على يدى ، حتى لا أسقط .. ركبنا السيارة . غرقت فى دموعى .

- لا أصدق يا جلال . لو كان الامر بسيطا لأعلنوه رسميا ..

ورجوت السائق أن يسرع إلى أقصى المدى .

الدقيقة كأنها ساعات . بل أرى عقارب الساعة كأنها لا تتحرك . واختار السائق طريقا جانبيا . الراديو لا يتكلم . لا شيء يتكلم .

ووصلنا إلى المعادى .

الباب مغلق . حارس شاب يقول : ممنوع ..

وفقدت أعصابى . وصرخت . ابتعد عنى .. اغرب عن وجهى ..

واقتحمت الباب كالمجنون .. وجلال يهدىء من غضب الحارس الذى يريد أن ينفذ الأوامر .

تركت السيارة . جريت فى الساحة التى تفصل الباب الخارجى عن مدخل المستشفى . صعدت السلم قافزا . لا أحد فى صالة المدخل . ثلاث ممرضات جالسات إلى مكتب المدخل . وثلاثة أو أربعة أفراد من الحرس فى ملابس مدنية وفى أيديهم أجهزة إرسال واستقبال . ارتميت على مقعد . حارس ضخم البنيان سمعته يتحدث بصوت خفيض فى جهاز الإرسال : « الوزراء يتوجهون إلى مجلس الوزراء . النواب إلى مجلس الشعب » . كرر العبارة ، كأنه يبلغها إلى جهة تتولى التنفيذ .

تقدمت إليه .. سألته ..

- أين الرئيس ؟
- فى الطابق الثانى ..
- وأين النائب ؟
- النائب لم يصب . وقد انصرف إلى مجلس الوزراء .
- وإصابة الرئيس ؟ ..
- لا أعرف .

ورأيت الدكتور محمد عطية طبيب الرئيس الخاص ، يخرج من باب ، ويسرع خطاه إلى باب آخر . لم أستطع اللحاق به .. ولكنى رأيت قسمات وجهه مليئة بالهموم والأحزان . ارتميت مرة أخرى على مقعدى .

جاء النائب كمال الشاذلى . إنه يجرجر خطاه . ارتمى على المقعد إلى جوارنا يهذى . ركبته مصابة . سألته ماذا جرى ؟ .. هو أيضا يسألنى .. ماذا جرى ؟ .. وإذا به يهذى بكلمات لم أفهمها تبينت منها ترديده .. يارب احفظ حياة الرئيس . يارب .. يارب ..

ومر أمامنا طبيب شاب يرتدى البالطو الأبيض . استوقفته . سألته دموعى دون صوت .

كانت الاجابة القاسية : ربنا يستر .

خرج صوتى : الإصابة فين ؟ ..

- فى الصدر ..

قالها واختفى .

عدت للارتماء على مقعدى . قلت لجلال ولكمال الشاذلى : الإصابة فى الصدر . هذا معناه مفهوم .

- لعلهم أنقذوه ..
- أكاد أحس بالكارثة .
- لا تيأس من رحمة الله ..

وكان كمال يردد .. يارب احفظ حياة الرئيس . لم يتوقف لحظة .

وفجأة خرج أمامنا رجل من أحد الأبواب . صرخ بأعلى الصوت ..

- الدوام لله وحده .. الدوام لله وحده ..

كانت صرخته كأنها زلزال .

كل ما حولى اهتز بالوجيعة .

لم أنطق . دقات الساعة كأنها قرع طبول محيفة .
لم أفكر . لم أتنفس . لم أتحرك .. لم أفعل أى شىء .
صرعنى الذهول . الممرضات الثلاث فى بكاء متشنج .
وبعد لحظات رأيت المشهد الرهيب .

أسرة الرئيس تخرج من الباب . السيدة جيهان وكريماتها وأزواجهن . سائرون أمامى فى صمت القبور . حاولوا جميعا أن يتماسكوا انهارت الأم عندما اقتربت من المدخل . وانهارت الأسرة كلها .

تواريت . لم أجرؤ على رؤية أى وجه منهم .
ارتميت على المقعد ، حتى انتشلنى جلال عيسى .
– البقية فى حياتك .. لابد أن نذهب .

وعند الباب الخارجى رآنى حمدى فؤاد المحرر الدبلوماسى « للأهرام » . سألنى .. هل اجتاز الأزمة ؟ .. كيف الحال ؟ ..

أجبت فى غضب .. زفت .

وعدنا إلى دار الصحيفة لنرى صور الجريمة الرهيبة التى التقطها مكرم جاد الكريم .

وانتهى يوم من أسود أيام مصر .
بطل الحرب .. سقط فى يوم عرسه .
بطل السلام .. قتله أعداء السلام .

تمضى الأيام .. ساعة بعد ساعة . وتعرف مصر الحقائق كلها .. وتقع أحداث دامية فى أسيوط فى معركة رهيبة بين رجال الأمن وعدد من قيادات الإرهاب التى أرادت الاستيلاء على المدينة . ويقع عشرات القتلى والجرحى . وتعلن تخطيطات الإرهاب المدمر . ويعمل رجال الدولة ليل نهار ، لإنقاذ مصر من أقصاها إلى أقصاها .

١٤ جهة .. قررت اغتيال السادات

تنظيمات قبض على أفرادها فى مراحل مختلفه ـــ الصورة من وجهة نظر الأمن المصرى ـــ ضبط ٣٨ حالة ـــ متفجرات فى عيد العمال أول مايو ١٩٨١ ـــ مؤامرة لنسف وزارة الخارجية وبها بطرس غالى ـــ تنظيم إيرانى لحرق محطات البنزين ـــ عملية جون كيندى التى دبرتها المخابرات الليبية ـــ السادات يطلب عدم الإعلان عن مؤامرة القذافى ـــ النظام الأمنى فى الرحلات الخارجية منذ عهد جمال عبد الناصر ـــ ماذا جرى فى مؤتمر منروفيا بأفريقيا ؟ـــ ٣ مؤامرات لاغتيال السادات فى النمسا ـــ العراقى « سعدون » .. والسائق الميكانيكى لسيارة السادات ـــ نقل رئيس أمن مقر السادات ـــ حراسة الرئيس الأمريكى نيكسون تعترض على السيارة المكشوفة ـــ طائرة السادات تهبط فى أسوان بسبب الاشتباه فى قطعة حديد بحقيبة يدى ـــ السادات لايخشى على نفسه ولكنه يطلب من أسرته الحذر الشديد ـــ رحلة المنصورة ـــ السادات يرفض الطائرة ويصر على السير البطىء للقطار ـــ إخطار لاسلكى من القاهرة عن سيارة فولكس فاجن بها من يحاول قتل السادات فى المنصورة ـــ مفاجأة كبرى بعد العرض العسكرى ـــ جهات الأمن لم تكتشف التنظيم السرى المسلح إلا فى أواخر سبتمبر١٩٨١ ـــ نص مذكرة جهات الأمن بالداخلية إلى السادات فى ٣٠ سبتمبر ـــ حيثيات الحكم فى قضية الجهاد تعلق على دور الأمن ـــ تسجيل ٣ لقاءات بالصوت والصورة عن شراء أسلحة لقتل السادات فى ٢١ و٢٤ و٢٥ سبتمبر ـــ مذكرة للسادات بالمضبوطات فى منزل عبود الزمر ـــ مذكرة من الداخلية إلى السادات بعد الاعتقالات عن حسن التعامل مع تنظيم الإخوان المسلمين . السادات يوافق .

الفصل الثانى

١٤ جهة .. قررت اغتيال السادات

هل كان اغتيال السادات فى ٦ أكتوبر .. هو المحاولة الأولى لاغتياله ..

إن محاولات عديدة سابقة قد جرت .. وتم ضبطها قبل أن تتحول من مرحلة الشروع إلى مرحلة الفعل ؟ ..

قال لى المسئولون عن الأمن ، الذين تحدثت إليهم ، أنه كانت هناك أكثر من ١٤ جهة خارجية وداخلية ، تستهدف اغتيال السادات والقيام بأعمال تخريب ضخمة داخل مصر ومنها تنظيمات قبض على أفرادها فى مراحل مختلفه ، لم يعلن عنها . وكانت وطنية عدد من المصريين ، سببا فى الكشف عن مؤامرات خطيرة .

وتفصيل الصورة من وجهة نظر الأمن المصرى كانت كما يلى :

فى الداخل .. كانت أجهزة الأمن تفتح أعينها على التنظيمات السرية الشيوعية .. وتنظيمات التيار الدينى المتطرف .

وفى الخارج .. بعد مبادرة السلام .. نشطت جبهة الرفض (سوريا ــ العراق ــ ليبيا ــ اليمن الجنوبية) وبعض المنظمات الفلسطينية المتطرفة .. والأجنحة المتشددة فى فتح .. فى عمليات التخريب ومؤامرات الاغتيال . وتجمعت لدى أجهزة الأمن فى مصر معلومات عن اتصالات بين الاتجاهات المتطرفة ، وبين منظمات إرهابية دولية .. مثل مجموعات كارلوس . وتنظيم الألوية الحمراء .. وتنظيم الارهاب فى ألمانيا الغربية .. كما كانت هناك معلومات عن اتصالات بتنظيم الجيش الأحمر اليابانى .

وبعض المنظمات الفلسطينية المتطرفة ، كان يعمل متعاونا مع دول الرفض .. وبعضها كان يعمل لحسابه .

كما توافرت معلومات لدى جهات الأمن المصرية ، لم تصل الى دليل حاسم ، أن الاتحاد السوفيتى كان يشترك فى بعض المنظمات وتسليحها فى الخارج ، تحت ستار العمليات الفدائية ضد اسرائيل ، ولكنها فى الواقع كانت من أجل عمليات إرهابية ضد مصر .

وقامت جهات الأمن فى مصر بضبط ٣٨ حالة (محاولة اغتيال ــ تخريب ــ قلب

نظام الحكم) ، منها ٨ منظمات شيوعية ، و ١١ محاولة ليبية ، و ٩ محاولات من دول الرفض ، و٩ منظمات دينية متطرفة ، وحالة إيرانية . والتنظيمات الشيوعية التى اتهمت بالتخطيط لقلب نظام الحكم ، هى حزب العمل الشيوعى ، والحزب الشيوعى المصرى ، وتنظيم ٨ يناير (وهو تنظيم منشق على آخر) وتنظيم المؤتمر ، وتنظيم تروتسكى ، وثلاث منظمات أخرى[1] .

ومن أمثلة الحالات الأخرى ثلاث قضايا ، حكم فيها القضاء .

١ ــ حدث يوم الاحتفال بعيد العمال فى أول مايو ١٩٨١ ، أن ضبطت سلطات الأمن فى فجر ذلك اليوم ــ فى مطار القاهرة ــ فلسطينيا قادما من دمشق باسم « ناهض رجب السراج » ، ومعه راديو كاسيت بداخله خمس كيلو جرامات من الجليجانيت .. كان مخططا أن يفجرها فى مبنى الإذاعة والتليفزيون أثناء إلقاء السادات لخطابه . وقد أحيل إلى المحاكمة وحكم عليه بالسجن عشر سنوات أشغال شاقة .

٢ ــ تم القبض خلال عام ١٩٧٩ على لبنانى باسم « سليم جوزيف عبد الله » وهو برتبة ملازم فى منظمة اسمها « نسور الثورة » وقد قدم الى القاهرة لنسف مبنى وزارة الخارجية أثناء وجود الدكتور بطرس غالى به وقد حمل معه المتفجرات فى حقيبة يد . وحكم عليه بالاشغال الشاقه ١٥ سنة.

٣ ــ وفى آخر عام ١٩٧٩ ، قبض على إيرانى باسم « فلاح الدين كجى » كان مكلفا من منظمة ايرانية بحرق محطات البنزين ، و« تانكات » البنزين فى السيارات الكبيرة .. وكان من المدربين على عملية صنع المتفجرات وقد حكم عليه بالأشغال الشاقة ٧ سنوات .

ومن التنظيمات التى كان يتابعها الأمن المصرى ، تنظيم باسم « تجمع المصريين الوطنيين » وكان مركزه بيروت . ومعلومات الأمن أن عناصر هذا التنظيم شيوعية . وكانت تتدرب فى بيروت . وقد اختير من التنظيم مجموعة من ٥ أشخاص ، للقيام بنسف السفارة الأمريكية والسفارة الاسرائيلية فى القاهرة .

ولعل أخطر المحاولات الليبية لاغتيال السادات ، مؤامرة دبرتها المخابرات الليبية ، لكى تنفذ فى سبتمبر ١٩٨١ أى فى الشهر السابق لمقتل السادات .

ولا يمكن بطبيعة الحال ، أن يكون التدبير لاغتيال السادات قد تم بغير علم كامل من العقيد القذافى .

(١) حكم القضاء بالبراءة فى بعض القضايا التى قدمت إلى المحاكمة ولا يزالا الباقى منظوراً أمام القضاء .

لقد سميت عملية هذه المؤامرة باسم « عملية جون كنيدى » .. لأن البندقية ذات العدسة ، التى تقرر استخدامها ، هى من نفس نوع البندقية التى اغتيل بها الرئيس الأمريكى كيندى .. وأضيف الى ذلك ، استخدام الرصاص المسموم الذى يقتل لو أصاب أى جزء من الجسم ، فى غير مقتل .

وتفصيل القصة ، أن المخابرات الليبية جندت شابا مصريا من خريجى الجامعة ، كان يعمل فى ليبيا ، وهو من مدينة « قنا » فى صعيد مصر . ودرب على إطلاق الرصاص حتى وصل الى درجة الامتياز .

وكان على هذا الشاب ، أن يسافر الى روما ، للاتفاق مع المخابرات الليبية ، على تفصيلات التنفيذ . جرت لقاءات فى أحد فنادق روما . وتم ذلك ، بعد أن أخطر السفير الليبى فى روما أن كل شىء تم إعداده .

ووضعت الخطة كما يلى :

* يتم شحن البندقية الى الاسكندرية ، مخبأة داخل سيارة فيات ١٣٢ .
* يجرى تسلمها فى الاسكندرية .. ثم تستأجر شقة فى شارع سيمر منه الرئيس السادات فى أى تحرك له ، لا يستخدم فيه طائرة الهليوكوبتر .
* يطلق الرصاص القاتل على السادات أثناء مروره .

وكان هذا الشاب المصرى . الذى اختير لهذه المهمة ، على اتصال بأجهزة الأمن فى مصر بعد تجنيده من المخابرات الليبية . وقد كلف بالاستمرار فى التعامل معها الى نهاية الخطة . وكان يخطر أجهزة الأمن المصرية بكل خطوات التنفيذ .

وقبل موعد وصول الباخرة الى ميناء الاسكندرية ، صدر تكليف قانونى ، لمحام عام بنيابة أمن الدولة . بأن يقابل الباخرة بمجرد وصولها فى عرض البحر ، حيث تنتظر البواخر التصريح بالدخول الى الميناء .

وقد تم الاستيلاء على السيارة . وفكت جميع أجزائها ، واستخرجت منها الاسلحة التى كان مقررا استخدامها .

كانت البندقية مخبأة بالعرض داخل « التابلوه » الأمامى للسيارة .. وقد وضعت ممددة .

كما وجدت الطلقات السامة . وعدد من الطبنجات فى خزان سرى فى « بطن السيارة » ...

وقد امتحنت أجهزة الأمن المصرية الشاب المصرى ، فى ضرب النار .. وكان فعلا فى قمة الامتياز فى القدرة على إصابة الهدف .

تم ذلك فى الأسبوع الأول من سبتمبر ١٩٨١ . وأخطر النبوى اسمعيل نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، الرئيس السادات ، بإتمام عملية إحباط المؤامرة ، وكان السادات فى استراحة المعمورة بالاسكندرية . وتوجه الضابط المرافق لوزير الداخلية « أسامة مازن » الى لقاء الرئيس السادات . حيث عرض عليه البندقية المضبوطة ، والرصاص السام .

وأمضى السادات وقتا فى فحص وسيلة استخدام هذه البندقية ذات العدسة التى تقرب ، وتحدد نقطة الهدف .

وطلب السادات الاحتفاظ بالبندقية وذخيرتها ، لكى يعرضها فى متحف كان يريد انشاءه . ونادى على السيدة جيهان زوجته وعرض عليها البندقية والرصاص السام وقال لها : القذافى كان عايز يقتلنى بيها .

وطلب السادات عدم الإعلان عن هذه المؤامرة .. لأنه كان قد قرر الدخول فى مواجهة سياسية مع القذافى بعد ذلك ، وأراد أن تكون قصة هذه المؤامرة محور هجومه ، وكشفه لمؤامرات القذافى .

وكان يجرى التبليغ عن مؤامرات عديدة ، لاغتيال الرئيس ، فى معظم رحلاته الى الخارج . وبعض هذه التبليغات كان وهميا وبعضها كان جادا ويرتكز على أساس .

وكان المتبع فى رحلات السادات ، إلى الخارج • أن تسافر قبله بوقت كاف ، فرقة أمن متخصصة ، تبحث المكان الذى سوف يقيم فيه السادات ، وتجرب فى جميع الحجرات كل أجهزة اكتشاف المفرقعات أو أجهزة التصنت . كما تدبر مراقبة كل الطرق التى يمر بها السادات من موقع إقامته إلى المؤتمر أو المكان الذى يقصده ، كما هو معد فى البرنامج . وكان تغيير هذه البرامج فى اللحظات الأخيرة قبل الرحلة يسبب لأجهزة الأمن المصرية ارتباكا شديدا فى كل خططها .

وقد بدأ هذا النظام الأمنى ، فى عهد جمال عبد الناصر . وفى السنوات الأولى لحكم السادات ، كان مسئول الأمن فى رياسة الجمهورية ، هو نفس الشخص الذى تولى هذه المسئولية مع عبد الناصر .

ولعل من أخطر الزيارات التى كانت فيها حياة الرئيس السادات معرضة للخطر ، هى مؤتمر القمة الأفريقى فى منروفيا عاصمة ليبريا . عقد هذا المؤتمر بعد كامب دافيد ومعاهدة السلام . وكانت القوى العربية والفلسطينية نشطة فى محاولة اتخاذ قرار من المؤتمر ضد مصر . وكانت الجامعة العربية (الأخرى) قد تكونت ، وانتقلت إلى تونس ، وبذل الوفد التونسى جهدا كبيرا ، ولعله أراد أن يثبت أن تونس جديرة بإقامة الجامعة

فى أحد فنادقها . وألح المسئولون فى وزارة الخارجية على ضرورة أن يحضر الرئيس السادات بشخصه هذا المؤتمر ، لأن التكتل ضد مصر كان عنيفا . كما أن القذافى بذل من الأموال ملايين طائلة ، لكى يكسب بها عددا من الأصوات الأفريقية قريبة الصلة بالاتحاد السوفيتى ضد مصر . ولعب المغرب دورا مؤلما فى التحالف ضد مصر . وأعلن أن رئيس الجزائر الجديد « بن جديد » سيحضر المؤتمر . وكانت كل التقارير تؤكد أن احتمالات الاغتيال واردة ، وخاصة أن الأمن المحلى فى ليبريا لا يكفى لحراسة قرية صغيرة من لصوص هواة .

وقرر السادات أن يحضر بنفسه .

وأصرت السيدة جيهان قرينته على أن تصحبه فى هذه الرحلة مهما كانت المخاطر .

والرحلة فى حد ذاتها ليس فيها ما يغرى . فالعاصمة منروفيا صغيرة ومتخلفة ، والجو مهدد بالأمطار .. والمدينة دون مستوى أى « مركز » فى مصر . ولكن السيدة جيهان أصرت على السفر حتى تكون إلى جواره ، فى رحلة يتهدده فيها الأغتيال .

وكانت الفوضى ضاربة أطنابها فى ترتيب إقامة الوفود . وقد أنزلوا الوفد المصرى المرافق للرئيس ، وكذلك رجال الأمن المصريون فى باخرة يونانية قديمة ، كانت راسية على الشاطىء . وكنا جميعا فى قمة الحذر . ونزلت مع المرحوم على حمدى الجمال (رئيس تحرير الأهرام) فى كابينة صغيرة ، بها سريران ، من دورين ، ومساحتها لا تكفى لأن يمد أحدنا ذراعه . وكنا جميعا فى توتر من أن يحدث شىء مفاجىء للرئيس ..وخاصة بعد أن رأينا من بين أعضاء الوفد الفلسطينى ، رئيس تنظيم الصاعقة الخاضع للبعث السورى . الذى اغتيل بعد ذلك فى مدينة « كان » فى فرنسا .

وكانت مهمة رجال الأمن المصرى فى منتهى الصعوبة .

وتكفل بالدور الأساسى فى هذه المسئولية الخطيرة الحرس الجمهورى .. وكان من الاحتمالات المتوقعة أن يجرى الاعتداء داخل قاعة المؤتمر .

ولكن الترتيبات أعدت ، بحيث توزع رجال الحرس الجمهورى وغيرهم فى ملابسهم المدنية فى جميع أنحاء القاعة . وكان كل شخص مشتبه فيه يحيط به اثنان أو ثلاثة أو أكثر دون أن يدرى .

وفى هذا المؤتمر .. ارتفعت زعامة السادات إلى أعلى قمة فى أفريقيا ، لقد تحدث رؤساء عديدون . وأعدت القوى الأفريقية المتواطئة مع ليبيا والاتحاد السوفيتى ، كل ما يمكن أن يؤدى إلى قرار يوجه إهانة بالغة إلى مصر .. واتهامها بخيانة القضية الفلسطينية .

ثم جاء دور السادات فى أن يعتلى المنصة .

وانسحب رؤساء الوفود العربية ، باستثناء الرئيس جعفر نميرى .

ولم يكن متوقعا من رئيس الجزائر الجديد أن ينسحب فهذا أول مؤتمر دولى يحضره وقد عرف عنه الاعتدال والاتزان .. ولكنه انسحب أيضا .

وكان منظر انسحابهم مؤلما .

ولكن الآذان كلها ، والرقاب كلها . امتدت لكى تستمع إلى السادات . وران على القاعة صمت عميق رهيب .

وارتجل السادات خطابه . وتحدث عن دور مصر ، ففند كل الادعاءات متحديا بكل الحجج الواقعية المقنعة . وبلغ السادات فى ارتجاله أعلى مراتب الروعة بنبرات صوته العميقة .. وبانفعاله الصادق وبشجاعته فى مواجهة كل الخصوم . وما أن انتهى من خطابه حتى ضجت القاعة بتصفيق ملتهب استمر دقائق طويلة .. ووقف كل من فى القاعة تحية له .. وخابت المؤامرة السياسية ضد مصر ..

وصدرت قرارات المؤتمر ، بغير ما اشتهى خصوم السلام .

وتنفسنا جميعا الصعداء . عندما ارتفعت بنا الطائرة من أرض مطار منروفيا . وكنا فى قمة السعادة .. لنجاح مصر .. ولفشل أى مؤامرة كانت معدة لاغتياله فى هذا المسرح الدولى .

وبقى الوفد المصرى يتابع أعمال لجان الصياغة فى المؤتمر .. وأذكر أنه بعد أن انتهى السادات من خطابه .. قال الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية .. « الليلة فقط .. أستطيع أن أنام ملء جفونى » ...

وفى آخر رحلة للسادات إلى أمريكا ، كان من المقرر أن يتوقف عند العودة فى النمسا لبضعة أيام بناء على دعوة من الرئيس كرايسكى ، ولكن أمن النمسا ، اكتشف وجود مؤامرة لاغتيال السادات عند وصوله . وضبطت أسلحة . وضبط عدد من الفلسطينيين المتطرفين المشتبه فى أمرهم . ووافق السادات على إلغاء الرحلة فى اليوم الأخير ونحن فى واشنطون ، وخاصة أن توقفه فى النمسا لم يكن توقف عمل ، بقدر ما كان توقف استراحة ليومين ، بعد عناء الجهد الضخم الذى بذله .

وتفصيل ذلك ، أنه قبل سفر السادات بأسبوعين ، إلى واشنطن ، اتصل الدكتور كرايسكى مستشار النمسا ، بالدكتور على السمان مدير مكتب رئيس الوزراء للشئون الأوربية والذى تربطه به صداقة قديمة وقال له :

« لدينا معلومات عن محاولات عناصر عربية متطرفة لاغتيال السادات أثناء

زيارته للنمسا بعد واشنطن .. وإنني أفضل عدم استخدام القنوات الرسمية حتى لا يتضخم الموضوع وإنني أود أن أوفق بين واجبي في تنبيه السادات للخطر وبين رغبتي في ألا يعدل السادات عن زيارته للنمسا لأهمية التشاور بيننا بعد مباحثاته في أمريكا » .

واتصل الدكتور على السمان ، بالجهات المسئولة في القاهرة وأخطرها بهذا الحديث من كرايسكي .

ولكن المستشار كرايسكي ، اتصل بالدكتور السمان بعد سبعة أيام وقال له إن الموضوع أصبح أكثر تعقيدا .

وطلب كرايسكي من وزير الداخلية النمساوي أن يفيده بما لديه من معلومات واتضحت الحقائق التالية : تبين أن هناك خطة من جانب أنصار « أبو نضال » وهو قيادة فلسطينية بالغة التطرف لاغتيال السادات ، كما أن الشبهات تحوم حول عناصر تدفعها ليبيا للقيام بمحاولة مستقلة لنفس الغرض . كما قال وزير داخلية النمسا أن عصام السرطاوي ممثل عرفات في أوربا ، ساعد السلطات النمساوية في اكتشاف العناصر المتطرفة إيمانا منه ــ رغم خلافه في الرأي مع السادات .. أن التطرف الإرهابي الفلسطيني في أوربا ، يخدم في نهاية المطاف التطرف الإسرائيلي .

وغادر الدكتور على السمان فينا إلى باريس . والتقى فور وصوله العاصمة الفرنسية بعصام السرطاوي ، الذي أبلغه بأنه يعتقد أن هناك مخططا ثالثا تدفعه عناصر تعمل مع سوريا لاغتيال السادات عند وصوله إلى سالزبورج .

وبعث الدكتور على السمان بكل هذه المعلومات إلى رياسة الجمهورية في القاهرة .. وكان ذلك يوم وصول السادات إلى واشنطن .. وسجل رأيه الشخصي بأن هذه الظروف تقتضي إلغاء الزيارة ..

وبعد ذلك بيوم واحد فقط ، تم ضبط أحد هذه العناصر (المرتبطة بسوريا ،) في مطار فينا ، وهو يستقبل وفدا يحمل أسلحة في حقائبه وتم إبعاده من النمسا .

ثم عثرت السلطات النمساوية ، بعد أيام ، على شقة في مدينة سالزبورج بها ترسانة أسلحة ، لدى مجموعة « أبو نضال » التي كانت تخطط للاغتيال . ولم يكن غريبا ، أن يغتال السرطاوي بعد ذلك بأشهر ، في لشبونة ، انتقاما منه لموقفه من متطرفين الفلسطينيين في فينا .

وهذا ما رواه لي الدكتور على السمان ، الذي استقال أخيرا من منصبه .[1]

---

(١) علمت من مصدر فلسطيني : أن ياسر عرفات فوجيء ، بعد ذلك ، بأن « أبو إياد » كان له ضلع

وقد حدث أن صدر قرار فى ديسمبر ١٩٧٨ بنقل رئيس أمن مقر رئيس الجمهورية .. بعد أن نسب إليه من وزارة الداخلية ، أنه لم يكتشف وجود علاقة بين شخص عربى (عراقى) حضر إلى القاهرة ، وسائق ميكانيكى يعمل فى جراج سيارات الرياسة فى الجيزة . وقد حامت الشبهات أن هذا الشخص كان يتعقب تحركات الرئيس .

وقال لى مصدر مسئول فى وزارة الداخلية ــ حينئذ ــ على أعلى درجات المسئولية إن حقيقة القصة تكشفت بعد مراقبة شخص عراقى اسمه « سعدون » يعمل فى سفارة العراق فى مصر .. وكان مشتبها فى تحركاته داخل القاهرة ، مما دفع إلى الشك أنه مكلف بمهمة سرية . تبين أنه مر بسيارته على شخص يسكن فى عمارة الأوقاف بالدقى ، تمت مراقبة هذا الشخص وعرف أنه سائق وميكانيكى فى جراج سيارات المقر واسمه « أحمد عبد الحى » . استمرت المراقبة وأسفرت عن وجود صداقة بين سعدون والسائق . وذات يوم كان مقررا أن يسافر الرئيس السادات فى طائرة الهليوكوبتر إلى الإسماعيلية . وكان المفروض أن تكون السيارة فى انتظاره فى مطار الإسماعيلية حيث تقله إلى الاستراحة .

تأخر وصول السيارة إلى المطار عن موعدها ، تبين أن « سعدون » كان مع السائق فى القاهرة قبل تحركه متأخرا إلى الإسماعيلية . ولكنه لم يركب معه إلى الإسماعيلية ، وبقى فى القاهرة . أخطر النبوى إسماعيل الرئيس السادات بهذه المعلومات ، فأمر السادات على الفور بنقل رئيس أمن المقر .

وتم القبض على « سعدون » فى طريق صلاح سالم . كان يقود سيارته وعندما أحس بتعقب سيارات أجهزة الأمن له ، حاول الهروب .. وقاد سيارته فى شوارع عديدة حتى وصل إلى حى « المدبح » .. ثم قبض عليه .

وقال المصدر المسئول إن « سعدون » اعترف بعد القبض عليه بأنه كان مكلفا بمهمة اختراق مقر رئيس الجمهورية ، وأنه لذلك تعرف على الميكانيكى السائق ، ليعرف كل تحركات الرئيس .

وكان الاتجاه إلى ترحيله إلى العراق ، باعتباره شخصا غير مرغوب فيه لأنه

فى إرسال من كلفهم بالاشتراك فى عملية الاغتيال . وقد أرسلت النمسا كل من تم ضبطه إلى ياسر عرفات ، بناء على طلبه ، وأمر ياسر عرفات بالتحقيق معهم ، حتى تتبين تفاصيل الخطط المختلفة . وكان الرأى السائد فى قيادة فتح ، أنه كان لا يليق أبداً ارتكاب أى عمل متطرف على أرض النمسا .. احتراما لموقف الدكتور كرايسكى المؤيد للقضية الفلسطينية .

موظف بالسفارة . ولكن « سعدون » طلب عدم ترحيله ، بحجة أنه سيصفى جسديا لو وصل إلى العراق بعد أن تبين فشله واعترافه . وأجيب إلى طلبه فترة من الوقت وأعطى حق اللجوء .. ولكن تم ترحيله بعد ذلك .

هذه هى وجهة نظر وزارة الداخلية ، ولكن رئيس أمن المقر المنقول وهو الضابط طه زكى الذى سبق أن قدم شرائط التسجيلات إلى الرئيس السادات فى أحداث ١٥ مايو .. اعترض على قرار نقله وقدم تقريرا مفاده أن علاقة « سعدون » بالميكانيكى السائق سببها أن سعدون كان يصلح سيارته فى محل لوالد هذا الميكانيكى .. وأنه ركب سيارته معه لتجربتها بعد إصلاحها بناء على طلب والده ، وأن الصلة تكونت مع الأب لا مع الابن ، وأن التحقيقات التى أجرتها الداخلية مع الميكانيكى السائق لم تثبت تآمرا على وضع مفرقعات فى سيارة الرياسة .. وثبت فقط أن سعدون طلب صورة لجمال السادات .. وهذا لا يعنى مؤامرة لاغتيال الرئيس أو أحد أفراد أسرته . وكان يرى أن تحريات أمن الداخلية خاطئة وأنه كان مقصودا بالذات لنقله من جهاز أمن الرئيس .

ولكن الرئيس السادات اقتنع بما قدم إليه من وزارة الداخلية .

وفى الشهر الأخير ــ قبل الاغتيال ــ اتخذت احتياطات أمن فى استراحة القناطر ، خشية أن تنفذ مؤامرة بالتسلل إلى الاستراحة عن طريق النيل حيث كانت توجد عوامة صغيرة تتبع الاستراحة .

وهناك أحداث فردية عديدة ، حامت فيها الشكوك حول أشخاص عديدين قدموا إلى مصر من الخارج . واتخذت أجهزة الأمن بالنسبة لهم .. كل الإجراءات اللازمة ولم يعلن عنها .

وعندما قدم الرئيس الأمريكى نيكسون إلى القاهرة .. واجه رجال حراسة الرئيس الأمريكى حرجا شديدا ، فى لحظات لم يتمكنوا خلالها من التصرف . وقد حدث بعد أن انتهت إجراءات الاستقبال الرسمية فى المطار أن دعا الرئيس السادات ضيفه نيكسون أن يركب معه فى السيارة المكشوفة ! .. ولم يكن أمام نيكسون مهربا من القبول . ولم يكن أمام حرس نيكسون مهربا من الاذعان ، بعد أن أبدوا احتجاجهم على هذا التصرف لرجال الأمن المصرى الذين طمأنوهم تماما على حياة نيكسون .. وأكدوا لهم أن حياة الرئيس الأمريكى أمانة فى أعناقهم .

وكان الاستقبال الشعبى .. مروعا ..

ولا أعتقد أن شعب مصر قد خرج لاستقبال رئيس أجنبى بمثل هذه الكثافة وبمثل هذه الحماسة ، كما حدث بالنسبة لنيكسون . الاستقبال التاريخى المروع ، كان

إعلانا من الشعب المصرى ، بعد حرب أكتوبر ، أنهم يؤيدون السادات فى علاقة مصر الجديدة مع الغرب بعد التجارب المريرة التى قاسيناها مع الاتحاد السوفيتى .

ولم يقع حادث واحد . يعكر الأمن ، رغم مئات الألوف الذين تجمعوا فى الشرفات .. وفى منازل كان يمكن أن تكون آيلة للسقوط ..

ولكن التوتر الذى أصاب حرس الرئيس نيكسون .. لم تخف حدته حتى بعد أن مر كل شىء بسلام .

وقد وصف الرئيس نيكسون هذا الاستقبال بعبارة مرتجلة مشهورة قالها فى حفل العشاء الذى أقيم لتكريمه فى قصر القبة .. « من الممكن أن تجمع اعدادا من الناس لاستقبال ضيف .. ولكن من المستحيل أن يتجمع هذا الطوفان البشرى .. ومن المستحيل أن يكون هناك تنظيم لعواطف الملايين » .

وحاول نيكسون أن يستثمر هذا الاستقبال الخارق ، لمساندة وضعه الداخلى .. فى أمريكا بعد أن وصلت أزمة ووترجيت إلى حد الخطورة .. وكذلك حاول الرئيس السادات فى كل أحاديثه إلى الصحافة الأمريكية أن يساند موقف نيكسون .. ولكن كل ذلك لم يجد شيئا .

كان السادات حريصا على استمرار نيكسون بعد أن بدأ معه علاقات مفتوحة وبعد أن عبر نيكسون عن خطوط جريئة فى العلاقات الأمريكية المصرية من ناحية المعونات والمساندة السياسية .. وكان معروفا أن نيكسون يضمر كل الكراهية لليهود الأمريكيين لاعتقاده أنهم صوتوا ضده فى الانتخابات ، كما كان نيكسون سعيدا بالنصر المصرى فى حرب أكتوبر ، وقال فى أول لقاء له مع اسماعيل فهمى وزير الخارجية : إن الشعب الأمريكى يحب الأقوياء ..

وأعود إلى جريمة الاغتيال فأقول إن كل خبراء مقاومة الجريمة السياسية مجمعون على حقيقة واحدة .. وهى أنه من المستحيل اكتشاف تخطيط الاغتيال .. إذا كان من شخص واحد أو من عدد محدود فى اثنين أو ثلاثة تجمعهم الثقة الكاملة والحرص الكامل .

ولكن حماية رؤساء الدول وخاصة الأعلام منهم ، مهمة بالغة القسوة .. ولها علومها التى تدرس فى أجهزة متخصصة . وقد تدرب عدد كبير من رجال الأمن المصرى فى رياسة الجمهورية على هذه العلوم فى بعثات قصيرة أعدت لذلك .

ومع ذلك ، فإن نسبة الخطأ دائما موجودة ..

ولقد حدث فى آخر رحلة للرئيس السادات إلى السودان ، وكانت ليلة واحدة .. ما يؤكد أن الخطأ يمكن أن يحدث .

لقد اكتشفت وأنا فى طائرة العودة من الخرطوم ، عندما فتحت حقيبة يد صغيرة أمسك بها دائما ولا أتركها .. وجود قطعة من الحديد الصلب ، مثل عنق زجاجة صغيرة .. وكنت أبحث عن قلم فى حقيبتى التى لا يتجاوز طولها ٢٥ سنتيمترا وعرضها ١٥ سنتيمترا .

وذعرت من وجود هذا الشيء الغريب ..

واشتبهت على الفور فى أنه دس على فى الحقيبة وأنه قد يكون قنبلة قابلة للانفجار فى وقت محدد ..

ولجأت إلى حرس الرئيس ، معنا ، فى الطائرة .. وقلبها بين يديه أكثر من واحد منهم . وتضاربت الآراء . بعضهم أكد أنها مجرد قطعة حديد ولكن كيف وصلت إلى حقيبة يدى .. وبعضهم قال إن الاحتياط أهم ... ولا داعى لكثرة فحصها ..

ثم اكتشف أن خبير المفرقعات ليس موجودا على الطائرة !

وهذا خطأ .. ولكن حدث .

وأصاب ركاب الطائرة مشاعر متناقضة بين الدهشة والخوف والاطمئنان ووصل النبأ إلى صالون الرئيس .

وحاولت عبثا أن أتذكر مع رجال الحرس أين تركت حقيبتى وهى لا تنفصل عن يدى أبدا ..

وكان كل تعليق الرئيس السادات كما وصل إلى سمعى بعد ذلك : « ابقوا نبهوا على اخوانا الصحفيين ياخدوا بالهم شوية » .

وصدر القرار بأن تهبط الطائرة فى أسوان ، وأعطيت إشارة لاسلكية لجهة معينة فى أسوان .. بحيث ينتظر الطائرة خبير مفرقعات فى المطار .. وكان أمامنا عشرون دقيقة للوصول إلى أسوان ..

ويعلم الله ، كم مرت بى هذه الدقائق .. وأنا أفكر فى احتمال انفجار الطائرة بين لحظة وأخرى !

وهبطت الطائرة .. ونزل أحد الحرس وسلم قطعة الحديد إلى ضابط من القوات المسلحة كان فى الانتظار ..

وهنا فقط .. استطعت أن أشرب كوب ماء .

وفى المساء .. وبعد أن وصلت إلى منزلى ، اتصل بى ، رئيس أمن (مقر) منزل الرئيس وأخبرنى بأن نتيجة الكشف أثبتت أنها مجرد قطعة حديد مغناطيسية .. لا أكثر ولا أقل ..

وكنا قد اتفقنا على تكتم الخبر ..

ولكننى .. وبعد أسبوع .. قرأته مشوها فى إحدى صحف الكويت .. وقالوا إنها كانت قنبلة حقيقية .

وخلال ذلك ، لم يهرب من ذهنى السؤال ، كيف وصلت هذه « الحديدة » إلى حقيبة يدى .. وعرفت الإجابة . كنت قد طلبت من سكرتيرتى ، أن تصلح لى « سوستة » الحقيبة .. وأخذتها منى فارغه ولجأت إلى صانع حقائب تعرفه .. وغير « السوستة » فعلا .. ولكنه نسى فى الحقيبة قطعة الحديد المغناطيسية التى يجمع بها المسامير .. أما أنا فقد وضعت أوراقى فى الحقيبة دون أن أتنبه لوجودها .. إلا فى الطائرة !!

وإذا قفزنا بالسطور إلى الأيام التى سبقت اغتيال السادات فإننا نلاحظ أمرين :

الأمر الأول : هو أن السادات كان يتوقع باليقين أن رأسه مطلوبة .. ولكنه كان قدريا يؤمن بأن الأعمار بيد الله .. ومع ذلك فقد كان يطلع على الاجراءات الأمنية لحماية حياته .. كما كانت جهات الأمن تبلغه بما يصل إليها من معلومات .. وكان قد وصل إلى اقتناع بأن اغتياله أمر بالغ الصعوبة . ولكنه كان قلقا على حياة أسرته .. وكان دائما يحذر زوجته وأبناءه ، بضرورة الاحتياط .. « لأنهم إذا لم ينالونى .. فأنتم هدف سهل بالنسبة إليهم » .

الأمر الثانى : هو أن السادات كانت تطغى عليه طبيعة العناد والتحدى .. وكانت شجاعته الخارقة ، تنمى فيه هذه الطبيعة . بدليل أنه كان كثيرا لايستخدم السيارة الخاصة المعدة بحيث لا يخترقها رصاص اغتيال رغم اصرار المسئولين عن الأمن على ضرورة استخدامها .. كما أنه لم يكن يرتدى القميص الواقى من الرصاص .. رغم انه كان لديه ثلاثة أقمصة — فى غرفة نومه — أحدثها رقيق جدا وصلب جدا ومن السهل ارتداؤه ..

ولذلك ورغم أن كل الشواهد — بعد قرارات سبتمبر — قد أوحت أن رأس السادات هو الهدف .. فإن السادات قد رفض أن يغير شيئا من برامجه بعد قرارات التحفظ . قام بجميع الزيارات التى حددها . مثل افتتاح مدينة السلام . وتفقد المشروعات الزراعية فى الاسماعيلية . وذهابه فى سيارة صغيرة إلى المدرسة الألمانية بالعجوزة مع حفيده لتقديم أوراقه . وأصر السادات على حضور حفل العرض العسكرى .

كما أصر قبل العرض على زيارة المنصورة فى قطار مفتوح من الجانبين وسيارة مكشوفة فى ٢٨ سبتمبر .

ورفض اقتراحا بأن يكون سفره إلى المنصورة بالطائرة .

وقال لى النبوى اسماعيل أنه اتصل بالسادات ليلة سفره إلى المنصورة فى استراحة القناطر تليفونيا ، وأبلغه عن واقعة تسجيل عملية شراء سلاح بالصوت والصورة . وأن مشترى السلاح قال للبائع ــ عميل المباحث ــ أنه سوف يستخدم هذا السلاح لقتل السادات الذى لايحكم بالإسلام . واللى ركب النصارى واليهود علينا .. وأبلغه النبوى أنهم يتعقبون مشترى السلاح .. ولم يكن رجال الأمن يعرفون عنه أية معلومات .

(تبين بعد ذلك أن المشترى هو نبيل المغربى الساعد الأيمن لعبود الزمر . وفى ذلك الوقت لم تكن هناك عنه أية معلومات .. ولا عن عبود الزمر) .

وطلب منه السادات لقاءه فى الصباح عند محطة قليوب التى استقل منها السادات القطار المفتوح . وقد لاحظ النبوى اسماعيل أن السادات استخدم فى الوصول إلى محطة قليوب السيارة الخاصة المحصنة ضد الرصاص ، وهذا يعنى أن السادات اهتم بما أبلغ به .

وحضر السادات ومعه نائبه حسنى مبارك إلى محطة قليوب .. وطلب من النائب البقاء فى القاهرة لمتابعة هذا الحدث ... وكان السادات قد رفض ما عرض عليه من عدم ضرورة تهدئة سير القطار والاقلال من المحطات التى يقف فيها . ولاحظ أثناء وجوده بالقطار أن السرعة أكثر من المتفق عليه .. فأصدر أوامره إلى وزير النقل بضرورة تهدئة السرعة تماما ، وغضب من عدم تنفيذ أوامره .

وخلال الرحلة .. وقبل الوصول إلى المنصورة ، تلقى فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس رسالة لاسلكية من إحدى جهات الأمن تقول إن هناك معلومات بأن أحد أفراد الجماعات الدينية المتطرفة يستقل سيارة « فولكس فاجن » وأنه ينوى اغتيال السادات فى المنصورة . وقامت طائرات هليوكبتر بمراقبة الطريق بحثا عن هذه السيارة . كما ظهرت هذه الطائرات فى سماء المنصورة لنفس الغرض ولم يعثروا على شىء .

وبعد انتهاء الزيارة فى المنصورة ، وكان الترحيب الشعبى بالسادات فوق ما يتصور أى عقل .. دعا المهندس عثمان أحمد عثمان لركوب طائرة العودة معه من المنصورة . وحدثه عن شريط الصوت والصورة الذى سجلته جهات الأمن لشراء

سلاح لقتله . فطلب إليه عثمان أحمد عثمان أن يلغى مؤقتا برامج زيارات مقبلة له من باب الحرص وقال له « نهدى شويه ياريس » وكان رد السادات : « انت عبيط يا عثمان إن عمر الانسان محدد ومخطط .. وسأموت فى اللحظة التى يشاء لى ربى أن أموت فيها » .

وقال لى النبوى اسماعيل وزير الداخلية حينئذ انه كان يعيش على أعصابه فى تلك الايام ..

ان الصورة الكاملة أمامه مفزعة ..

لقد حدث فى ليلة العرض العسكرى أن توصل رجال الأمن إلى واقعة خطيرة . لقد قابل عبود الزمر أحد عملاء المباحث المندسين على التنظيم فى الساعة الثامنة مساء ، فى ميدان باب الحديد .. وسلمه حقيبة بها قنابل . وكان عبود الزمر فى حالة هياج . ووصفه عميل المباحث بأنه كان « سعران » .. وقال له : « لابد من عملية كبيرة .. احنا ميتين .. ميتين » .. وقد اتصل النبوى إسماعيل بالرئيس السادات وأبلغه هذه الواقعة .. وانتهز الفرصة ودار فى حديثه مع الرئيس حوار حول معنى عدم حضور الرئيس للعرض العسكرى . ولكن السادات رفض وهو يقول : « العيال أصبحت خطوطهم مقطوعة .. وأنا هددت الولد الزمر فى خطابى(*) .. » .

وكرر النبوى محاولته بأسلوب مهذب .. ولكن السادات رفض الفكرة وغير الموضوع وتحدث إليه بشأن الإفراج عن أحد أساتذة جامعة الاسكندرية بعد أن أبلغه رئيس الجامعة أنه ملتزم ، ولا داعى للتحفظ عليه . وطلب إليه أيضا إعادة فحص الحالات المماثلة « لأننا لا نريد أن نظلم أحدا » ..

وفى نفس الليلة اتصل النبوى إسماعيل بالرئيس السادات مرة أخرى وأبلغه ببعض الأخبار ، وانتهز الفرصة لكى يعيد على مسامعه فكرة عدم حضور العرض العسكرى ولكن السادات رفض تماما .

وكانت هناك مفاجأة كبرى ظهرت بعد العرض العسكرى !

لقد اتصل أحد قادة التنظيمات بعميل للمباحث العامة مدسوس على هذه التنظيمات . وقال له : « لا تخرج من منزلك اليوم .. استمع إلى الراديو أو التليفزيون .. وغدا الساعة ١١ صباحا ستصلك تعليماتى » ..

واستنتج عميل المباحث أن الأمر يخفى خطورة واضحة على حياة السادات .

(*) لقد كان الزمر هاربا .. وحذره السادات من غير ذكر اسمه فى خطابه يوم ٢٨ سبتمبر .

وحاول الاتصال بالضابط الذى يرأسه .. فلم يمكنه وعندما استطاع الاتصال بغيره .. كان السادات قد قتل :

والغريب أن جهات الأمن المختصة فى وزارة الداخلية ، لم تكتشف شيئا عن وجود تنظيم سرى مسلح لقلب نظام الحكم أو عن أى مؤامرة لاغتيال السادات إلا فى أواخر سبتمبر ١٩٨١[1] .

(١) سجلت حيثيات الحكم فى القضية التى عرفت باسم « قضية الجهاد » (القضية رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢ أمن دولة عليا . وقد صدر الحكم فى ٣٠ سبتمبر ١٩٨٤) ــ أن أجهزة الأمن فى الدولة لم تكن لديها معلومات عن تنظيم الجهاد . وقالت الحيثيات ما نصه :

من الأمور التى استقرت فى يقين المحكمة أن أجهزة الأمن فى الدولة وعلى كافة مستوياتها لم تكن لديها معلومات عن التنظيم وأهدافه وأفراده منذ إنشائه خلال عام ١٩٨٠ وحتى بدأ فى تنفيذ مخططه بمحاولة قلب نظام الحكم فى الدولة . ولم يكن لديها أدلة قبل المتهمين وأن الأحداث التى وقعت وأهمها اغتيال الرئيس الأسبق كانت مفاجأة لها رغم أن الأحداث التى وقعت كانت على درجة كبيرة من الخطورة وكان يمكن أن تؤدى إلى انهيار المجتمع بأكمله .

وانه بعد اغتيال السادات يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ قامت أجهزة الأمن بالقبض على بعض المتهمين فى المنصة أو فى المستشفى الجامعى بأسيوط يوم ٨ أكتوبر ١٩٨١ ثم أصدرت قرارا باعتقال جميع من له نشاط دينى إسلامى .

العجيب أن أجهزة الأمن لا تعلم أى شىء عن تنظيم يحاول قلب نظام الحكم ونشاطه ممتد فى جميع محافظات الجمهورية ويعقد الإجتماعات ويجند الأفراد ويشترى السلاح ويدرب الأعضاء كما تقول التحقيقات .

ورغم أن أعضاء التنظيم كثفوا من نشاطهم بعد قرارات التحفظ فى سبتمبر ١٩٨١ بعقد لقاءات فى محافظات الوجه القبلى والقاهرة والجيزة والتنقل بين هذه المحافظات وشراء مزيد من الأسلحة النارية وتوزيع مالديهم من مفرقعات وقنابل على أماكن آمنة فى نظرهم .. وهى كلها بوادر ، وكان يمكن منها أن يكشف أمر هذا التنظيم لو كانت أجهزة الأمن معنية بأمن هذا الشعب ولو كان هناك متابعة من هذه الأجهزة ومراقبة خاصة ، وأن عددا كبيرا من المتهمين الحاليين كانوا ضمن قوائم قرارات التحفظ وظلوا هاربين لم يقبض عليهم حتى وقوع الأحداث .

الأمر الذى تستخلص منه المحكمة بوضوح أن أجهزة الأمن فى الدولة لم يكن لها أى نشاط سابق على الأحداث رغم أن أهمية الضبطية الإدارية قد ازدادت فى الوقت الحاضر نظرا لازدياد الاهتمام بالدور الوقائى للردع العام .

والمحكمة ترى لزاما عليها أن توضح ما ثبت من أوراق الدعوى دليلا على أن أجهزة الأمن فى الدولة لم تكن لديها معلومات مسبقة عن هذا التنظيم وهذه الأدلة هى :

* بالإطلاع على قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٩٣ لسنة ١٩٨١ الصادر فى ٢ سبتمبر ١٩٨١ بالتحفظ على بعض المواطنين ، لم يتضمن القرار ما يدل على أن أجهزة الأمن كان لديها علم بأمر هذا التنظيم رغم أن القرار السالف شمل ثلاثة وثلاثين شخصا من المتهمين بتأسيس التنظيم والانضمام إليه موضوع هذه المحاكمة .

=

* أن الخطاب المرسل إلى نيابة أمن الدولة العليا من اللواء محمد عليوه زاهر مساعد وزير الداخلية المؤرخ فى ٣١ سبتمبر ١٩٨١ ، والذى تضمن ما أبلغ به صابر عبد النعيم حسن من أن نبيل المغربى حدثه عن رأيه فى النظام القائم وأنه صحبه إلى طريق الواحات وشاهده يدرب أشخاصا على استعمال السلاح النارى وأنه طلب منه شراء أسلحة نارية . لم يشر هذا الخطاب إلى أى معلومات عن التنظيم رغم أن نبيل المغربى أحد الأعضاء المؤسسين للتنظيم .
* أن الخطاب المرسل إلى نيابة أمن الدولة العليا من اللواء محمد عليوه زاهر مساعد وزير الداخلية والمؤرخ فى ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ والذى تضمن التحريات التى أجريت بعد تقديم بلاغ صابر عبد النعيم حسن أشار إلى أن نبيل المغربى يتردد بصفة منتظمة على الشقة رقم ٥ الكائنة بالعقار رقم ٩ ش عفيفى بالجيزة .

ولم يشر الخطاب إلى أى معلومة عن مستأجر هذه الشقة رغم أنه ثبت بعد ذلك أن مستأجرها هو عبود الزمر أحد الأعضاء المؤسسين للتنظيم . بل أن أجهزة الأمن لم تعتن بإجراء تحريات عن مستأجر هذه الشقة قبل أن ترسل خطابها السالف إلى النيابة العامة للإذن لها بضبط مستأجرها .. الأمر الذى ترتب عليه أن قوات الشرطة داهمت هذه الشقة فى غياب صاحبها يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ وعثرت بها على كمية من الأسلحة والذخائر وأن صاحبها وهو عبود الزمر علم بمداهمة الشرطة لشقته فهرب وظل مختفيا يدير حركة التنظيم إلى أن قبض عليه مؤخرا يوم ١٣ أكتوبر ١٩٨١ .

* ما قرره العقيد محمد فؤاد محمود فهمى من إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع أمام المدعى العام العسكرى يوم ٨ أكتوبر بأن المتهمين خالد الاسلامبولى وعطا طايل حميدة وعبد الحميد عبد السلام عبد العال ، وحسن عباس محمد ينتمون إلى جماعة طه السماوى المعتقل حاليا ويعتنقون فكرا دينيا متطرفا ويكفرون الحاكم . وأنه جار التحرى عن وجود أشخاص آخرين مشتركين معهم فى التدبير والتخطيط لهذه الجريمة ويقصد ــ اغتيال السادات .
* تبين من الإطلاع على قرارات النبوى إسماعيل نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية رقم ٢١٠٣ لسنة ١٩٨١ المؤرخة فى ٨ أكتوبر ١٩٨١ ، باعتقال عدد ٤٠٨أشخاص أنهم جميعا من الجماعات الإسلامية .
* أن اللواء محمود يوسف عبد مدير أمن أسيوط وقت الحادث ــ مدير أمن اسكندرية حاليا ــ قرر أمام المحكمة بجلسة ٢٢ فبراير ١٩٨٣ ، أن المفاجأة غير المتوقعة وعدم وجود تنبيه سابق أدت إلى نجاح المتهمين فى اقتحام مديرية أمن أسيوط رغم الإمكانيات لصد الهجوم .

كما قرر المقدم أحمد ممدوح كروانى مفتش مباحث أمن الدولة بأسيوط أمام المحكمة بجلسة ٥ مارس ١٩٨٣ أنه لم تصل إليه معلومات عن احتمال إثارة الشغب صباح يوم العيد ولم يصل إلى علمه معلومات أن الجماعات الإسلامية تسعى إلى الحصول على سلاح قبل الأحداث .

وتضيف حيثيات الحكم :

وتعد هذه أدلة قاطعة الدلالة على أن أجهزة الأمن لم يكن لديها علم قبل الأحداث بالتنظيم ونشاطه على الوجه السابق إيضاحه .

فلا يسع المحكمة إلا أن توصى بإجراء تحقيق شامل وعاجل لتحديد المسئولين عن هذا الموقف الذى نتج عنه ضرر جسيم بأمن المجتمع .

وقـد تقدمت وزارة الـداخلية بمذكرة بـذلك إلى الـرئيس أنـور الـسادات فى ٣٠سبتمبر .. أى قبل اغتيال السادات بسبعة أيام فقط .

وكان ذلك بمحض المصادفة عندما تقدم سائق سيارة أجرة يدعى صابر عبد العظيم حسن إلى اللواء السماحى مدير الأمن وأبلغه بأن هناك من يورطه فى عملية شراء أسلحة وتدريب عليها . واتصل السماحى باللواء حسن أبو باشا الذى كان مبعدا عن العمل فى ذلك الوقت وسأله التصرف .. فنصح بالاتصال بنيابة أمن الدولة وإبلاغها .. واتخاذ الاجراءات اللازمة مع مباحث أمن الدولة .

وقد أرفقت بالمذكرة التى قدمت إلى الرئيس السادات ثلاثة أفلام صوت وصورة فى ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ سبتمبر لثلاثة لقاءات بين هذا السائق ونبيل المغربى .. والفيلم الثانى يصور عملية تسليم مدفع .. وتم القبض على نبيل المغربى وحققت معه نيابة أمن الدولة وكل ما توصل إليه التحقيق أن هناك تنظيما سريا مسلحاً . وكان نبيل المغربى عند القبض عليه يعلم بمخطط اغتيال السادات ولكنه لم يفه بعبارة واحدة عن ذلك .

المؤلف :

حدث أن أذاع راديو ليبيا قبل مصرع السادات وبعد قرارات الاعتقال أن مظاهرات صاخبة قامت فى أسيوط . وتحدث أجهزة الأمن لإسقاط النظام واتصلت تليفونيا بوزير الداخلية لأسأل عن صحة النبأ فاتصل فى تليفون ثان بمدير أمن أسيوط ــ وأنا لا أزال على التليفون الأول ــ وأكد له أن كل شىء هادىء ولا يوجد ما يعكر صفو الأمن . وكان وزير الداخلية يعيد لى كلمات مدير الأمن » .

تصريحات لرئيس المحكمة :

وقد أدلى المستشار عبد الغفار محمد رئيس المحكمة التى أصدرت الأحكام فى قضية التنظيمات الدينية السرية بأحاديث صحفية .. ومنها حديثه إلى صحيفة « المجلة » السعودية التى تصدر فى لندن (بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٤) قال فيه :

* إن التطرف بين الشباب فى حاجة إلى مسئولين على مستوى المسئولية لرعاية الشباب . وأيضا فى حاجة إلى توجيه من علماء المسلمين ولو وجد مسئولون لتوجيه الشباب ، ولو ركز علماء الإسلام جهودهم نحو الشباب بأن يقولوا جميعا قولة حق ولا يخشون لومة لائم سواء لحاكم أو محكوم لصلح وضع الشباب . أما العوامل التى أدت إلى هذا التطرف فتتلخص فى موقف علماء المسلمين بتركهم الشباب دون توجيه أو رعاية حتى انخرطوا فى تنظيمات تهدف إلى قلب نظام الحكم .

وقال المستشار عبد الغفار محمد :

* هذا التنظيم له فكر معين . هذا الفكر حاولت المحكمة من خلال علماء المسلمين الذين استمعت إليهم أن تصل إلى حكم الشرع فيه ، فلم يتفق علماء المسلمين على قولة حق واحدة بل اختلفوا فى آرائهم مما دعا المحكمة إلى أن توصى بأن يجتمع علماء المسلمين ليقولوا قولة حق فيما أثاره المتهمون من فكر نقلوه من كتب السلف التى قرأوا فيها . وهم غير أهل للاجتهاد ماعدا الدكتور عمر عبد الرحمن . وللأسف فإن علماء المسلمين لم يقطعوا فى هذا الفكر ولم يتفقوا على رأى . والمحكمة تركت هذا الأمر لهم ليقولوا كلمتهم حتى يستقر الشباب والأمة الإسلامية على رأى . =

وأنشر فيما يلى نص المذكرة التى قدمت من جهات الأمن بوزارة الداخلية إلى الرئيس السادات فى ٣٠ سبتمبر ١٩٨١ .

= وردا على سؤال :

– هل يمكن القول أن هناك تنظيما اسمه « الجهاد » ؟

قال :

– طبعا هناك تنظيم يهدف إلى قلب نظام الحكم . بل هناك تنظيمـان حيث انتهت المحكمة إلى وجودهما . أحدهما برياسة محمد عبد السلام فرج ، والثانى برياسة محمد سالم الرجال . والتنظيمـان فكرهما مشترك وإن كانا يختلفان فى الوسيلة . فالفكر هو قلب نظام الحكم لتطبيق الشريعة الإسلامية بالقوة والتنظيم الأول يعتمد على طريقة الثورة الشعبية والثانى طريق الانقلاب العسكرى .

وقال :

– ان التنظيم كان فى منتهى الخطورة وكان سيؤدى إلى انهيار هذا المجتمع . وقد طالبت المحكمة فى أسباب حكمها بالتحقيق مع المسئولين عن الأمن الذين كانوا يتولون الأمور عامى ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، لإهمالهم فى عدم كشف أمر هذا التنظيم قبل أن يبدأ مخططه بقتل رئيس الجمهورية السابق . والله أعلم بحال البلاد إذا سيطر عليها هذا التنظيم .

وقد استغرق نظر قضية تنظيم الجهاد الفترة من ٥ ديسمبر ١٩٨٢ إلى ٣٠ سبتمبر ١٩٨٤ ، عقدت خلالها ١٨٦ جلسة ، وترافعت النيابة فى ٩ جلسات وترافع الدفاع فى ٩٦ جلسة . وبلغ عدد المتهمين ٣٠٢ وصدر الحكم ببراءة ١٩٠ منهم وإدانة ١١٠ وأقصى حكم كان الأشغال الشاقة المؤبدة وأقل حكم الحبس سنتان .

مذكرة

الموضوع : ضبط تنظيم دينى مسلح

ــ خلال شهر يونيو الماضى اتصل شخص ملتح ، يدعى الشيخ نبيل بالمواطن صابر عبد العظيم حسن (سائق سيارة أجرة) وطلب منه مساعدته فى جمع تبرعات لصالح الجمعية الخيرية للقيم الدينية بمنطقة عرب الجسر بعين شمس . وقد تمكن الأخير بالفعل من جمع بعض التبرعات ثم توطدت علاقتهما وتردد الشيخ نبيل على منزله عدة مرات وتدرج الحديث بينهما خلال هذه اللقاءات حول بعض الموضوعات الدينية . ثم استرسل الشيخ نبيل فى أحاديثه منتقدا مظاهر الانحراف فى المجتمع . وعندما استشعر أن المواطن صابر عبد العظيم يتقبل أحاديثه تطرق الى انتقاد النظام القائم لعدم تطبيقه الشريعة الإسلامية واستمر الشيخ نبيل فى أحاديثه مركزا على مهاجمة نظام الحكم القائم ومطالبا بضرورة تغييره بالقوة لإقامة الدولة الإسلامية ــ ثم أوضح له فى لقاءاته الأخيرة بأنه ينتمى إلى جماعة إسلامية تستعد للجهاد فى سبيل تحقيق الدولة الإسلامية .. وطلب منه مساعدته فى الحصول على أسلحة بأى مبالغ لتدريب أفراد الجماعة عليها فوعده بإمداده بالسلاح المطلوب وتوطدت الثقة بينهما فطلب منه الشيخ نبيل نقله وبعض افراد جماعته بالسيارة التى يعمل عليها إلى طريق الواحات ، للتدريب على استعمال السلاح .. وبالفعل تم تنفيذ ذلك حيث قام بنقل سبعة أفراد من أعضاء التنظيم الى المنطقة ما بين الكيلو ٩ ، ١٠ بطريق الواحات وكان فى حوزتهم مدفع رشاش وطبنجة وقاموا بالتدريب عليهما .

ــ أبدى المواطن صابر عبد العظيم حسن استعداده للتعاون ، وتم عرض الموضوع على السيد المحامى العام لنيابة أمن الدولة العليا الذى أذن بالمتابعة وتسجيل كافة لقاءات أفراد هذا التنظيم .. وفى هذا الاطار تم وضع خطة لكشف أبعاد هذا النشاط تمثلت فيما يلى :ــ

* مراقبة الشيخ/نبيل لحصر كافة اتصالاته وتحركاته وذلك بصفة دقيقة وحساسة حتى لا يؤدى كشفها إلى عدم الوصول الى الأبعاد الحقيقية لنشاط المذكور .. وقد أمكن من خلال ذلك تحقيق ما يلى :

** تحديد شخصية الشيخ نبيل حيث تبين أنه يدعى نبيل عبد المجيد المغربى موظف بالثقافة الجماهيرية خريج كلية الألسن ــ سبق تجنيده بالقوات المسلحة كضابط احتياط وكان يعمل بالمخابرات ، الحربية .

* تحديد الأماكن التى يتردد عليها المذكور والتى يتخذها أعضاء التنظيم كمقار للقاءاتهم وهى :

(أ) الشقة رقم ٥ الكائنة بالعقار رقم ٩ شارع عفيفى بالجيزة .

(ب) زاوية زين الدين الكائنة بشارع الشهيد عبد المنعم زين الدين بالهرم .

(جـ) مسجد الأنوار بمنطقة عرب الجسر بعين شمس .

* تحديد العناصر المنتمية لهذا التنظيم .

* إجراء التحريات السرية الدقيقة والحساسة عن العناصر التى تتردد على أماكن لقاءات أعضاء التنظيم للوقوف على حقيقة نشاطهم وتحديد الأدوات التى يستخدمها أعضاء التنظيم فى التدريبات الرياضية (الكاراتيه) والتدريبات العسكرية (اجتياز الموانع) .

* تحديد مكان تدريب الأعضاء على استخدام السلاح والذى يقع بالمنطقة ما بين الكيلو ٩ ، ١٠ طريق الواحات .. وأمكن العثور على فوارغ الطلقات التى استخدمها أعضاء التنظيم فى التدريب وكذلك لوحة التنشين .

* تسجيل اللقاءات التى تتم بين المواطن صابر عبد العظيم والمدعو نبيل عبد المجيد المغربى بالصوت والصورة .. وفى هذا الاطار تم تسجيل ما يلى :-

* تم تسجيل لقاء بين المواطن صابر عبد العظيم ونبيل المغربى (صوت وصورة) بمنزل الأول يوم ١٩٨١/٩/٢١ تضمن رغبة نبيل المغربى فى سرعة شراء أى كمية من الأسلحة والذخيرة وأبدى استعداده لدفع أى مبالغ نظير ذلك وقرر أنه على استعداد لاستلام السلاح فى أى مكان « لأن دمهم لا يضيع هدرا » . كما أضاف ، نبيل المغربى بأنه وأفراد جماعته سبق لهم التدريب على استعمال السلاح فى أماكن أخرى خلاف منطقة طريق الواحات .

* كما تم تسجيل لقاء آخر بينهما يوم ١٩٨١/٩/٢٤ (صوت وصورة) عرض فيه المواطن صابر عبد العظيم على المدعو/نبيل المغربى مدفع رشاش بور سعيد . وبعض الطلقات تم امداده بها بعد موافقة النيابة وقد قام نبيل المغربى بفحص السلاح بصورة تؤكد وجود خبرة لديه عن طريق استعمال السلاح وفكه وتركيبه وأبدى استعداده لشراء ثمانى قطع من الرشاش بور سعيد وكذا عدد ألف طلقة وذكر « أن أول طلقة من هذا المدفع ستوجه للسادات اللى خلى النصارى واليهود ركبونا » وطلب السماح له بتجربة السلاح ، إلا أن المواطن صابر عبد العظيم رفض ذلك .

* تم تسجيل لقاء ثالث يوم ١٩٨١/٩/٢٥ (صوت وصورة) ضم كلا من صابر عبد العظيم ونبيل المغربى الذى اصطحب معه آخر يدعى السيد محمود السيد حيث عرض الأول عليهما عدد ٢ مدفع رشاش بور سعيد تم امداده بها بعد موافقة النيابة قاما بفحصهما وسلم نبيل المغربى للمواطن صابر عبد العظيم مبلغ ٤٥٠ جنيها من ثمن السلاح بالإضافة إلى مبلغ عشرون جنيها لحساب الذخيرة التى سيحضرها له فيما بعد وطلبا منه إمدادهما بطلقتين لوضعهما فى المدفعين احتياطيا للظروف التى قد تواجههما أثناء انصرافهما بالسلاح وألحا فى ذلك ثلاث مرات خلال اللقاء إلا أنه أفهمهما بعدم حيازته لأى طلقات حاليا .

.. وقد شوهد خلال هذا اللقاء المدعو السيد محمود السيد ممسكا بمطواة قرن غزال مفتوحة بجيب جلبابه .

ـ وعقب انصراف المذكوران[1] من منزل المواطن صابر عبد العظيم تم ضبطهما وأثناء

---

(١) هذا خطأ لغوى والصحيح المذكورين ، ولكن المؤلف التزم بنص المذكرة وهى من وثائق الكتاب المنشور لها صور زنكوغرافية .

ذلك قاما بمقاومة القوة حيث تعدى المدعو السيد محمود السيد على أحد السادة الضباط واثنين من أفراد القوة المكلفة بضبطه بالمطواة وأحدث بهم إصابات وحاول الفرار مما دفع أفراد القوة إلى اطلاق الأعيرة النارية على قدميه فأصيب ورغم إصابته إلا أنه لم يمتثل مما دفع القوة إلى اطلاق الأعيرة النارية عليه فى غير مقتل فأصيب فى جانبه وتم ضبطه ونقله إلى المستشفى للعلاج .

ــ وطبقا للخطة الموضوعة فقد تم ضبط بعض أفراد التنظيم الذين أمكن حصرهم فى نفس التوقيت .

ــ كما تم تفتيش الشقة رقم ٥ الكائنة بالعقار رقم ٩ شارع عفيفى بالجيزة حيث عثر على كمية من الأسلحة والذخيرة وبعض الأوراق التى تضمنت حصرا لتحركات السيد الرئيس حتى يوم ٩ نوفمبر القادم وكذا صور لبعض كبار المسئولين (مرفق كشف تفصيلى بالمضبوطات) وقد لوحظ وجود ملابس رسمية وبطاقة اثبات شخصية باسم المقدم/عبود عبد اللطيف الزمر بإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع . وعلى الفور تم الاتصال بإدارة المخابرات الحربية للتأكد من حقيقة ذلك خشية أن تكون هذه البطاقة مزورة فأكدت صحتها وقد أحيطت علما بتفصيلات الموضوع كما تم إرسال صورة كاملة بتفصيلات المضبوطات التى عثر عليها بشقة الضابط المذكور .

كما لوحظ أن السيدة حرم المقدم المذكور ترتدى النقاب ومعروفة بتطرفها الدينى ــ وتبين أنه غادر منزله الساعة ٧ ص يوم ١٩٨١/٩/٢٥ ، ولم يعد لمنزله .

ــ تم إجراء معاينة لزاوية زين الدين بالهرم والتى يتخذها اعضاء التنظيم كمقر للقاءاتهم ولوحظ وجود بعض الملابس بها من بينها بدلة عسكرية لجندى ولذا فقد تم وضع كمين بالمنطقة لضبط عناصر التنظيم التى تتردد عليها وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى تم ضبط المدعو/ حسن عاطف حسن زيادة حال تردده على الزاوية حاملا حقيبة ، وبفضها تبين أن بداخلها مدفع رشاش بور سعيد وطبنجة ٩ مم وبعض الطلقات .

ــ تولت نيابة أمن الدولة العليا التحقيق مع المتهمين وتركزت أقوالهم فى الآتى :ــ

نبيل محمد عبد المجيد المغربى (موظف بالثقافة الجماهيرية) :

* بدأت اهتماماته الدينية عام ١٩٧٠ وقت أن كان طالبا بكلية الألسن حيث قام بإطلاق لحيته باعتبارها سنة .

* عقب تخرجه عام ١٩٧٣ م تم تجنيده بالقوات المسلحة وعمل كضابط احتياط بإدارة المخابرات الحربية وكان يؤم زملاءه المجندين فى الصلوات التى كانت تتم بمسجد الوحدة كما كان يلقى عليهم الدروس الدينية ثم سرح من الخدمة فى ١٩٧٧/١/١ .

* عقب تسريحه من الخدمة أطلق لحيته وعين بالثقافة الجماهيرية ببيت ثقافة الشرابية كما عمل بدار الاعتصام خلال عام ١٩٧٩ فى ترجمة البرقيات والكتب الأجنبية الواردة من الخارج .. (مجلة الاعتصام ضمن المجلات التى شملها قرار السيد الرئيس رقم ٤٩٤ لسنة ١٩٨١ بالتحفظ على أموالها ومقارها) .

* خلال شهر أغسطس ١٩٨٠ تم استدعاؤه للقوات المسلحة مرة أخرى وكان برتبة ملازم أول احتياط ورفض حلق لحيته وتم نقله إلى جهاز المخابرات الحربية تمهيدا لإنهاء استدعائه لموقفه هذا .

* أثناء هذه الفترة وقبل انتهاء استدعائه كان يتردد على مسجد المخابرات الحربية ويؤم المصلين بالمسجد وتعرف فى هذا الوقت على المقدم/عبود الزمر الذى أعطاه عنوانه وطلب منه عنوانه لمجرد التعارف والتزاور فيما بعد .

* فى أوائل عام ١٩٨١ قام بزيارة المقدم/عبود الزمر بمنزله وتناقشا فى بعض الأمور الدينية وضرورة توحيد الهدف بين الجماعات الإسلامية المختلفة وتكررت لقاءاته بالمقدم/عبود الزمر بمنزله بمعدل لقاء كل ثلاثة أيام تقريبا . وتركزت مناقشاتهما فى الآتى :

* ضرورة تجميع الجماعات الاسلامية الموجودة حول فكرة الجهاد المسلح ضد نظام الحكم القائم والحاكم حتى يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية .

* ضرورة تدريب العناصر الصالحة من هذه الجماعات على استخدام السلاح استعدادا لقتال الحكومة .

* أن يكون أساس اختيار هذه العناصر هو توافر صفات التدين والطاعة وكتمان الأسرار فى الفرد مع إيمانه بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية بالقوة .

وقد حضر بعض هذه اللقاءات شقيق زوجة المقدم/عبود ويدعى طارق الزمر (طالب بكلية زراعة القاهرة) والذى وافقهم على فكرة الجهاد المسلح وأبدى استعداده لمعاونتهم فى اختيار العناصر الصالحة وضمها لهم .

* اتفق ثلاثتهم على تشكيل تنظيم يضم هذا التجمع على أن يتولى المقدم عبود شئون التخطيط والتسليح ويتولى المدعو/طارق أمور الدعوة وانتقاء العناصر المقتنعة بأفكارهم وضمها لهم وأن يتولى هو (أى المدعو نبيل) تنفيذ ما يتم تكليفه به من جانب المقدم/عبود من مهام تتعلق بجمع المعلومات عن بعض الأماكن والمنشآت إلى جانب دوره الرئيسى فى تدريب أفراد التنظيم وإعدادهم عسكريا للتصدى للنظام القائم بالقوة لما له من دراية عسكرية سابقة ولكونه موظفا مدنيا مما يحول دون الشك فيه من قبل أجهزة الأمن .

* اعترف بتواضع ثقافته الدينية وعدم إلمامه ودرايته بأمور الدين الأمر الذى حال دون توليه إمارة هذه الجماعة ، وذكر أنه غير مقتنع أيضا بإمارة المقدم عبود للجماعة وذلك راجع لقلة علمه وعدم توافر مؤهلات الإمارة فيه .

* قرر أنه تمكن من استقطاب بعض الأفراد ومنهم السيد محمود السيد وحسن عاطف زيادة .. كما تمكن طارق الزمر من استقطاب ستة أشخاص لا يعرف أسماءهم وتمكن المدعو/ حسن عاطف من ضم آخرين للجماعة ومنهم المدعو محمد محمد حسين .

* ذكر أنه قام بدراسة الأماكن التى يمكن تدريب أفراد الجماعة بها على السلاح وتم اختيار طريق الواحات بين الكيلو ٩ ، ١٠ وتم التدريب على استخدام السلاح فى هذا المكان بالفعل كما اتفق مع المقدم عبود الزمر على أن تكون لقاءاتهم بأفراد الجماعة بإحدى الزوايا بمنطقة الهرم بدلا من منزل الأخير .

* اعترف بتسلمه رشاش بور سعيد وطبنجة تشيكى من المقدم/عبود الزمر وكذا مبالغ مالية للانفاق منها على أعضاء التنظيم حيث قام بتدريب أفراد الجماعة على هذا الأساس بمنطقة الواحات ثم سلم هذه الأسلحة للمدعو حسن عاطف لاخفائها (ضبطت بحوزة المذكور) .

■ **حسن عاطف زيادة (خريج كلية الآداب وبدون عمل) :**

* اعترف بانضمامه للتنظيم عن طريق المدعو نبيل المغربى لاتفاقهما فى الأفكار والمعتقدات .

* انه سعى لاستقطاب بعض العناصر المتدينة وضمها لهذا التنظيم بناء على توجيه من المدعو نبيل المغربى ومن هذه العناصر المدعو/محمد محمد حسين .

* ذكر أنه حضر التدريبات النظرية على استخدام الأسلحة بمنزل المدعو/نبيل المغربى وتعرف على بعض أعضاء التنظيم خلال هذه التدريبات .. كما حضر العديد من لقاءاتهم بمختلف المساجد والتى كان يحضرها طارق الزمر .

* قرر أن دوره فى هذا التنظيم كان مقصوراً على تدريب أفراده على الدفاع عن النفس (الكاراتيه) لخبرته فى هذا المجال .

* اعترف بحيازته للأسلحة التى ضبطت معه وإن ذلك كان بناء على تكليف من المدعو نبيل المغربى .

* قرر فى نهاية التحقيق معه أنه قد غرر به وأنه نادم على ما فعل ومتبرىء من المدعو نبيل المغربى وأتباعه .

■ **محمد محمد حسين أحمد (سائق) :**

* اعترف بانضمامه لهذا التنظيم عن طريق المدعو/حسن عاطف الذى تعرف عليه من خلال تردده على مسجد التوحيد بالوايلى والذى قام بدوره بتقديمه للمدعو/نبيل المغربى الذى ضمه لجماعته .

* قرر أنه حضر تدريبات الجماعة على اطلاق النيران بطريق الواحات وتعرف خلال هذه التدريبات على بعض أفراد التنظيم .

* ذكر أنه احتفظ بأسلحة نارية خاصة بالجماعة بمسكنه عدة مرات بناء على تكليف من المدعو حسن عاطف .. وأضاف أنه قام بتدريب الأخير على قيادة السيارات وذلك بالأرض الفضاء المجاورة للاستاد بمدينة نصر مستخدما السيارة التى يعمل سائقا عليها .

* اعترف بسابقة حيازته للحقيبة السوداء التى ضبطت بحوزة المدعو/حسن عاطف وبداخلها أسلحة وذلك قبل ضبطه بمسكنه بوقت قصير ، إلا أنه عندما أحس بالخطر تخلص منها بأن قام بتسليمها لأحد جيرانه ويدعى محمود قبل مهاجمة القوة المكلفة بضبطه لمسكنه .. (قررت النيابة فى نهاية التحقيق معه ضبط وتفتيش المدعو/محمود) .

فتحى السيد إبراهيم (ميكانيكى) :

* اعترف بعلاقته بالمدعو/نبيل المغربى وذلك من منطلق إعجابه به لثقافته الدينية وغيرته على الإسلام .

* قرر أنه حضر التدريبات النظرية على الأسلحة النارية التى كانت تتم بمنزل المدعو/ نبيل المغربى وكان يحضرها العديد من أفراد التنظيم إلا أنه أنكر معرفته بشخصية أى منهم وأضاف أن هذه التدريبات كانت تتم على مدفع رشاش ماركة بورسعيد وطبنجة ماركة حلوان .

* أنكر صلته أو معرفته بأى من أعضاء التنظيم سوى المدعو/نبيل المغربى .

■ شعبان عبد العال متولى (معاون مدرسة ليسيه الحرية بمصر الجديدة) :

* ذكر أنه يتولى رئاسة جمعية دينية بمنطقة عين شمس بالقرب من مسجد الأنوار المحمدية وأن المدعو/فتحى السيد ابراهيم هو مسئول عمليات الإنشاءات فى هذه الجمعية والتصرف فى أموالها .

* أنه تعرف على المدعو/نبيل المغربى عن طريق المدعو/فتحى السيد حيث كانا يترددان على مسجد الجمعية بصفة مستمرة وكان المدعو/نبيل يؤم المصلين فى بعض الأحيان .

* أضاف أنه منذ حوالى شهر حضر اليه فتحى السيد ونبيل المغربى وذكر له الأول بأن الثانى يرغب فى شراء سلاح للدفاع عن نفسه فقام بتوصيلهما إلى .. (صابر عبد المنعم) زوج كريمة شقيقه ليحضر لهما السلاح اللازم .. وقد أنكر انضمامه الى التنظيم .

* اعترف كل من مصطفى عبد اللطيف ، خالد إبراهيم محمد سويلم ، مصطفى محروس أحمد محمد ، أحمد غريب محمود بقيام المدعو/نبيل المغربى بتدريبهم على بعض الألعاب الرياضية والكاراتيه واجتياز الموانع بحجة إعدادهم للسفر إلى افغانستان للجهاد فى صفوف المسلمين ضد الغزو السوفيتى .

* انكر كل من حسن عبد الغنى حسين ، مرزوق عبد الله محمد مهنى ، حمدى على موسى ، عبد الباسط محمود احمد صلتهم بهذا التنظيم أو أى تنظيم دينى آخر أو سابقة معرفتهم بأى من المتهمين .

ــ قررت النيابة استمرار حبس جميع المتهمين احتياطيا على ذمة التحقيقات .

ــ ما زالت النيابة توالى التحقيق وسؤال باقى المتهمين (تم ضبط ١٨ حتى الآن) .

■ تعليق :

ــ على ضوء ما أسفرت عنه المتابعة فقد تم تقييم الموقف وبحث ما إذا كان من الصالح استمرار المتابعة لكشف أبعاد جديدة أم التعجيل بضبط هذه العناصر فقد رؤى التعجيل بضبط هذه العناصر للاعتبارات التالية :ــ

* لوحظ خلال كافة اللقاءات التى تم تسجيلها ؛ تلهف أعضاء التنظيم للحصول على السلاح بأى مبالغ .

* ما اتسمت به تصرفات هذه العناصر من ميل إلى العنف والتهور وقد وضح ذلك خلال أحاديثهم فى اللقاءات المسجلة .

* توقيت وتلهف هذه العناصر فى طلب السلاح قبيل زيارة السيد الرئيس لمحافظة الدقهلية وما سيتبعها من انعقاد للمؤتمر العام للحزب الوطنى .

وقد تأكد صحة القرار وتوقيته فيها أسفرت عنه عمليات التفتيش من ضبط أسلحة وذخائر وبعض المخطوطات التى تشير إلى حركية التنظيم .

ــ مرفق كشف بالمضبوطات التى عثر عليها لدى بعض أعضاء التنظيم .

ــ مرفق شريط فيديو كاسيت عن اللقاءات المشار إليها .

■ وكان هذا التقرير مكتوبا على الآلة الكاتبة ، وأضيف إليه بخط اليد ما يلى :

« الجهود مكثفة لضبط المقدم عبود الزمر وطارق الزمر وعمليات الاستجواب خارج تحقيق النيابة مستمرة للحصول من المضبوطين على كل ما لديهم من معلومات لا زالوا يخفونها عن أشخاص أعضاء فى التنظيم أو أبعاد أكثر . »

■ وارفق بهذه المذكره .. تقرير آخر عن المضبوطات فى منزل عبود الزمر . هذا نصه :

مذكرة

حول المضبوطات التى ضبطت بمنزل المقدم/عبود عبد اللطيف الزمر

أولاً : المضبوطات :

ــ كمية من الأسلحة والذخائر .. مرفق كشف بتفصيلاتها .

ــ ٢٤ كود مشفر يشير فحصه المبدئى إلى استخدامه فى الاتصالات السرية بين قيادات وعناصر التنظيم وترتكز مفرداته على مجموعة من الحروف والأرقام التى تعكس فى مجموعها عمق العمل السرى ومسارات العنف المسلح لديه .

ــ مسودة خطية من ورقة واحدة تشير فى مجموعها إلى أسلوب التنظيم فى حركته والإعداد لموقع سرى يتخذ كمقر للاتصالات على المستوى القيادى ويستخدم أيضا فى حفظ الوثائق السرية للتنظيم (يرجح أن يكون بأحد المدن الساحلية) .

ــ مذكرة خطية من ٦ ورقات بعنوان « ملخص كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخومينى » إعداد وتقديم الدكتور حسن حنفى .

ــ مجموعة من القصاصات الصحفية والأوراق الخطية التى تشير إلى التحركات المستقبلية للقيادة السياسية وبعض كبار الشخصيات .. من بينها المؤتمر الثانى للحزب الوطنى الديمقراطى) .

ــ ٢ أجندة تتضمن بعض أسماء ضباط القوات المسلحة ومواقعهم ــ من رتب مختلفة ، وكشف آخر يتضمن أسماء عشرين ضابطاً من رتبة النقيب والملازم .

ــ مجموعة بيانات ونشرات للجماعات الإسلامية .

ـ ١١ شريط كاسيت تحتوى على بعض خطب الشيخ عبد الحميد كشك وصلاح أبو إسماعيل ، لقاءات مع بعض المصابين فى أحداث الزاوية الحمراء ، بالإضافة إلى بعض السور القرآنية .

ـ مجموعة من مجلات الدعوة والاعتصام بالإضافة إلى بعض كتب لأقطاب الفكر الدينى المتطرف (أبو الأعلى المودودى ، حسن البنا ، سيد قطب .. أبو الحسن الندوى) .

** لم يستدل على وجود تعليقات شخصية مكتوبة على تلك المجلات .

ثانيا : انطباعات أولية حول الفحص المبدئى للمضبوطات :

ـ تعجل التنظيم فى جمع الأسلحة على النحو الذى كشفت عنه المتابعة القصيرة قد يعطى دلالة حول اتجاه التنظيم للقيام بعمليات عنف سريعة ، خاصة فى ظل رصد التنظيم للتحركات المستقبلية لبعض القيادات السياسية والتنفيذية .

ـ يعكس الكود الشفرى للتنظيم ـ عدة دلالات يشار إليها فى الآتى : ـ

* مدى حجم التنظيم وقياداته (٢٢ نسخة من الكود وهو لا يوزع عادة إلا على القيادات الوسطى) .. مع احتمالات أن يكون قد سبق توزيع أعداد منها .

* مضمون عبارات الكود وكلماته ورموزه تعكس اتجاهات العنف والتصفية الجسدية كأسلوب يرتكز عليه التنظيم فى تحقيق أهدافه .

* انتهاج التنظيم لمسارات العمل السرى العميق فى حركته التنظيمية .

ـ على الرغم من عدم ضبط وثائق تشير إلى فكر التنظيم على نحو تفصيلى ومحدد إلا أن مجموعة المضبوطات من مطبوعات وشرايط كاسيت وما تضمنته المسودة الخطية تؤكد فى مجموعها قيام التنظيم على فكر دينى متطرف ـ يرتكز فى حركته على أسلوب « الثورة الشعبية » إلى جانب عمليات العنف الدموى .

١٩٨١/٩/٣٠

حافظة

بالمضبوطات بمنزل مقدم قوات مسلحة عبود عبد اللطيف الزمر

المحتويات

أولاً : الأسلحة

عدد

١ مدفع رشاش اسرائيلى عيار ٩ مم وعدد ١ ماسورة وعدد ١٤ خزينة احداها معبأة .

١ بندقية آلية بالسونكى ٧,٦٢ وعدد ٣٣ خزينة خاصة بها .

١ طبنجة عيار ٧,٦٥ وعدد ٢ خزينة إحداهما معبأة .

٤ طبنجة محلية الصناعة .
١٢ علبة ذخيرة ٧,٦٢ × ٣٩
٥٤٥ طلقة داخل علبة كرتون وكيس نايلون من عيارات مختلفة .

ثانيا : المخطوطات :

٢٤ نسخة من كود شفرة مبين باحداها مفتاح الكود .
١ مسودة خطية تتضمن تكليفات تنظيمية خاصة بتنوير الجماهير وإعداد موقع سرى للتنظيم .
قصاصات صحف وصور لكبار المسئولين وجداول برصد تحركاتهم .
١ مذكرة خطية بملخص كتاب عن الثورة الإيرانية .
٢ مفكرة تحوى أسماء وعناوين وأرقام تليفونات لأشخاص وضباط بالقوات المسلحة .

ثالثا : شرائط الكاسيت :

١١ شريط كاسيت مسجل عليها خطب إثارية ولقاءات مع المصابين فى أحداث الزاوية الحمراء وأزجال مناهضة وبعضها مسجل عليه تلاوة قرآنيه وتفسير .

رابعا : البيانات والمنشورات :

١٠ بيان ومنشور صادر عن الجماعات الإسلامية فى مناسبات مختلفة تتضمن إثارة وتحريضا ضد النظام .

خامسا : الكتب والمجلات :

٢٣ كتاب لقيادات الفكر الدينى الإسلامى المتطرف .
١٣ نسخة من مجلة الدعوة الإخوانية أعداد مختلفة .
١٢ نسخة من مجلة الاعتصام .
١ نسخة من مجلة صوت الحق صادرة عن الجماعات الإسلامية .

كشف تفصيلى بالمضبوطات

أسلحة وذخائر :

عدد

٢ مدفع رشاش .
١ بندقية آلى تشيكى .
٢ طبنجه احداهما عيار ٧,٦٥ مم .
٥ طبنجه صناعه محلية عيار ٧,٦٢ مم .
١٨ خزينة مدفع رشاش بعضها معبأ بالطلقات .
٣ خزينة خاصة بندقية آلية معبأة بالطلقات .

١١ علبة ذخيرة بكل علبه عشرون طلقة عيار ٧,٦٢ مم .
٢ خزينة طبنجة معبأة عيار ٢٢ مم .
١٢٣ طلقة عيار ٢٢ مم .
٨٩٩ طلقة عيار ٧,٦٢ مم .
٥١ طلقة عيار ٩ مم .

مبالغ نقدية :

٢٥٤٥ جنيها مصريا .
١٧٠ دولاراً امريكيا .
٥٠ ريالا سعوديا .

أوراق وكتب :

* ستة ورقات محرر بها ملخص لكتاب بعنوان « الحكومة الإسلامية للامام الخوميني » .
* مذكرة بعنوان مهام وإجراءات الأمن اثناء الاحتلال .
* مذكرة بها تحركات السيد الرئيس اعتبارا من ١٩٨١/٩/١٤ حتى يوم ٩ نوفمبر ١٩٨١ .
* عدد ٢٤ جدولا شفريا .
* عدد ١١ نشرة صادرة عن الجماعات الإسلامية .
* كتاب بعنوان « حرب العصابات » لماوتسى تونج .
* قصاصات من الصحف لصور بعض كبار المسئولين .
* ورقة بخط اليد عن طريق استعمال الأسلحة .
* العديد من الكتب الإسلامية الخاصة بسيد قطب وحسن البنا وأبو الأعلى المودودى وسعيد حوى وغيرهم .
* كتب عن تدريبات الكاراتيه .

مذكرة أخرى

وكانت جهات الأمن قد قدمت إلى الرئيس السادات مذكرة أخرى بعد قرارات الاعتقال ، تنصح فيها بالاتجاه إلى أسلوب التهدئة مع جماعة الإخوان المسلمين ، وشباب الجماعات الدينية .. حتى لا تتفاقم الأمور وقد أشر الرئيس السادات على المذكرة بما يلى :

ـــ النائب العام
ـــ د. محيى الدين
ـــ وزير الداخلية

الكلام معقول ومطلوب من اللجنة العليا قيام كافة أجهزة الأعلام والأوقاف بما اتفق عليه » التوقيع :أنور السادات .

وهذا هو نص المذكرة :

مذكرة

فى لقاء أحد الضباط المختصين بالنشاط الدينى مع الإخوانى المفرج عنه أحمد محمود حيدر وهو من العناصر القيادية الإخوانية المعتدله قرر أنه من خلال لقاءاته الأخيرة مع بعض زملائه أعضاء جماعة الإخوان المنحلة تبين الآتى :-

أولاً : إن الغالبية العظمى من أعضاء جماعة الإخوان المنحلة فى حالة استياء تام نتيجة القبض على كل من عمر التلمسانى ، وصالح عشماوى وذلك نظراً لكبر سنهما وضعف صحتهما وعدم قدرتهما على تحمل أعباء التحقيق والسجن خاصة أنه معروف عن الثانى أنه يعيش برئة واحدة وكلية واحدة ــ بالاضافة إلى أنه من المعروف عن عمر التلمسانى أنه كان على علاقة طيبة بالسيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وأنـه كان يستعين به فى بعض المـواقف المتصاعدة وآخرها أحداث الزاوية الحمراء وغيرها من الحوادث المشابهة . وأن عمر التلمسانى لم يكن فى يوم من الأيام من دعاة الفتنة الطائفية بل على العكس من ذلك فإنه بطبعه يرفض تصعيد الأحداث واثارة النعرة الطائفية وأن جميع أحاديثه إلى الشباب كانت تدعو إلى التهدئه والصبر والاناة وعدم الاثارة . وأن أعضاء الجماعات الإسلامية كانـوا يعيبون عليـه ذلك ويتهمونه بالعمالة للسلطة ، وأنه حينما دعا للسيد الرئيس بطول العمر كان يعنى ذلك فعلاً بالنسبة لما لاقاه أعضاء جماعة الإخوان المنحلة فى عهد النقراشى وإبراهيم عبد الهادى ومراكز القوى من تعذيب وتشريد وأنه لا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى ماذا سيكون الحال بعد حكم السادات . وإن كان بعض الإخوان المعتدلين يعتقدون أن موضوع القبض على عمر التلمسانى وغيره من قيادات الإخوان إنما تم لخلق نوع من التوازن مع عملية القبض على بعض القيادات الدينية المسيحية وإن كان السيد الرئيس فى أحاديثه الأخيرة لم يتناول بالهجوم الجانب المسيحى بالقدر الذى تناول به قيادات جماعات الاخوان المنحلة ونسب إليهم أفعالاً وأفكاراً لا يقومون بها وأن عذرهم فى ذلك أن السيد الرئيس لا يخاطب الشعب المصرى فحسب بل يخاطب العالم أجمع ومن ثم فإنه كانت هناك ضرورة لإبراز حجم الأحداث بهذه الصورة حتى يكون هناك مبرر قوى فى اتخاذ مثل الأجراءات حيال المسيحيين .

ثانياً : أشادت الغالبيه العظمى من أعضاء جماعة الإخوان المنحلة بحديث السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية إلى المذيع/أحمد سمير والذى أذيع فى الأسبوع الماضى ووصفوه بأنه كان حديثاً مقنعاً صادراً من القلب .. وأن السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية شرح أبعاد الموضوع بكل أطرافه وأنه نجح فى أن يصل هذا الحديث إلى القلوب والإيمان بكل ما جاء به خاصة فى الفقرة التى شرح فيها كيف أن الدول الشيوعية التى كانت تدور فى فلك الاتحاد

السوفيتي كانت تدبر المؤامرات لتصعيد النعرة الطائفية وأن تعليق الغالبية العظمى من أعضاء الجماعات الدينية الإسلامية على هذا الحديث أنه كان مفرراً بهم وأنهم كانوا فى غفلة من الأحاديث التى تعمل على تهدئة الموقف فى الوقت الحالى بدلاً من انتهاج بعض الصحفيين ورجال الاعلام فى اتخاذ خط هجومي سواء بالكتابة أو بالنكت الكاريكاتورية أو الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية واعتقادا منهم أن فى ذلك إرضاء للقيادة السياسية مما يزيد من حدة التوتر والشحن الموجود لدى بعض الشباب المتدين مما قد يضطره إلى ارتكاب بعض الأفعال العدوانية السرية .

— ويعيب أعضاء جماعة الإخوان المنحلة على أجهزة الإعلام أن أحداً من الكتاب أو المفكرين أو العاملين فى حقل الإذاعة والتليفزيون لم يتناول ظاهرة وجود الجماعات الإسلامية والتيار الدينى وإيجاد الحلول السليمة لترشيدها وأن كل ما كتب عن هذا الموضوع حتى الآن إنما هو تناول لأحداث سبقت الإجراءات التى قامت بها القيادة السياسية وكأنما يقدمون للشعب المبررات التى دعت إلى ذلك فى الوقت الذى لا ينكر فيه أحد أنه رغم اتخاذ هذه الأجراءات إلا أن ظاهرة الجماعات الإسلامية ما زالت موجودة على السطح حتى الآن وإن كانت فى حالة خوف أو كمون . وذلك لغياب القيادات التى كانت تخطط لها وتقودها ولكن من الممكن فى حالة إعادة الشمل أو إعادة تقييم الموقف أن تظهر مرة أخرى ، فلابد للاستعداد لهذا الموقف من الآن وليس من الضرورى أن يكون هذا الاستعداد أمنياً فقط بل تستعد له كافة الأجهزة المعنية بالأمر سواء أجهزة الأزهر والأوقاف ، والشباب والتنظيمات الشعبية خاصة أن الشباب المتدين أصبح أكثر قابلية للتعقل والاتزان فى تفكيره بعد هذه الوقفه التى جاءت مؤيدة لأفكار أعضاء جماعة الاخوان فى هذا الشأن من واقع تجاربهم السابقة والتى لم يكن يؤمن بها الشباب المتدين بل وصل بهم فى نهاية الأمر إلى حد اتهامهم بالعمالة وممالأة السلطة وخوفهم على مصالحهم الشخصية وعدم التضحية بها فى سبيل الدعوة الإسلامية .

* يطالب المعتدلون من أعضاء جماعة الإخوان المنحلة بضرورة إقامة صلاة العيد فى الخلاء المتبع فى السنوات الماضيه وأنه فى حالة وجود أى قيود على توليهم هذا الأمر فإنه على وزارة الأوقاف أو الحزب الوطنى إقامتها بشكل مشابه لما كان يحدث فى الأعوام الماضية حتى لا يؤول ذلك على أنه منع لإقامة هذه السنة فى مصر لأن هذه العادة أصبحت محببة إلى نفوس المسلمين جميعاً .
* يخشى غالبية أعضاء جماعة الإخوان من حدوث بعض الاحتكاكات بين أعضاء الجماعات الإسلامية بالجامعة وبين الشباب زملائهم من أعضاء الحزب الوطنى الديمقراطى عند بدء الدراسة فى حالة حدوث بعض الاستفزازات من الأخير مثل التهكم على لحاهم أو صلواتهم ولذلك فإنهم يتمنون وجود حالة من التهدئه حتى لا تقع مثل هذه الاستفزازات التى قد تؤدى إلى إحداث نوع من الاضطراب داخل الجامعة .

الفصل الثالث

الجريمة تمت فى ٣٥ ثانية !

الطلقة قتلت السادات فى ١٥ على ٧٣٥ من الثانية ــ الجهات المسئولة عن تأمين حياة رئيس الدولة ــ إجراءات العروض العسكرية منذ عهد عبد الناصر ــ قائد المنطقة المركزية وقائد المخابرات الحربية كانا غائبين ــ كيف تنزع الإبر من الأسلحة ــ مؤتمر التأمين ليلة العروض ــ الخط الأبيض فى أرض العرض ــ مجموعة الإرهاب الدولى ــ شهادة فوزى عبد الحافظ ــ دور القناصة ــ الحرس الجمهورى موزع فى ١٥ مكانا ــ هل هناك شريك خامس ؟ ــ أوامر تأمين البلاد بعد الجريمة ــ شهادة الدكتور محمد عطية عن مصرع السادات ــ قصة خيالية اخترعها هيكل عن جيهان السادات ــ ماذا فعلت زوجة الرئيس عند إطلاق الرصاص ؟ ــ جمال السادات يقرر الحضور مع جراح القلب العالمى الدكتور مجدى يعقوب ــ إخراج الرصاصة من جسد السادات بحضور جيهان وجمال ــ دور أبو غزالة ــ حدث إهمال ــ مسئولية السادات .

الفصل الثالث

الجريمة تمت فى « ٣٥ » ثانية

الجريمة كلها وقعت فى ٣٥ ثانية !

مات السادات . مات كبير الياوران . مات سمير حلمى . مات الانبا صموئيل . مات ضيوف أجانب . أصيب فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس . أصيب وجدى أسعد رئيس أمن مكتب الرئيس . كلاهما باصابات بالغة الخطورة .

كل ذلك بدأ وانتهى بعد ٣٥ ثانية !

وبعدها اهتز العالم كله .

* * *

إن طلقة الرصاص التى أصابت الرئيس السادات فى مقتل ، سرعتها ٧٣٥ مترا فى الثانية الواحدة . وقد تم الضرب على بعد ١٥ مترا . أى أن الطلقة أصابت السادات فى مقتل فى ١٥ على ٧٣٥ من الثانية !...

وهكذا انتهت حياة زعيم .

وهكذا انتهى عهد هز العالم من أقصاه إلى أقصاه .. فى حياة الزعيم وبعد مصرعه .

* * *

وثارت أسئلة كثيرة ، بعد هذا الحادث المفجع المذهل . كيف يمكن أن تتم جريمة بهذا الإحكام ، وبهذه السهولة .. وأثناء عرض للقوات المسلحة تتخذ فيه كل احتياطات الأمن .. وكل ذلك خلال مواجهة خطيرة تصدى فيها السادات للإرهاب .. واكتشفت أدلة واضحة على أن رأسه مطلوبة .. واكتشف أيضا أن أحد ضباط المخابرات الحربية (الزمر) قد هرب واختفى ، وهذا أمر له خطره ، لأنه عارف بكل الإجراءات الأمنية التى تتخذ لحماية حياة القائد الأعلى .. ثم عرف بعد الجريمة ، أن مباحث أمن الدولة كانت قد أرسلت تقريرا إلى المخابرات الحربية ، وهكذا تردد فى وزارة الداخلية عن

اتجاهات الملازم الاسلامبولى القاتل مع عدد غيره .. كما أن شقيقه كان من بين المعتقلين فى إجراءات التحفظ التى أمر بها السادات ؟..

بقدر بساطة تنفيذ الجريمة .. بقدر خطورتها .

ولكن .. هل هناك جهة واحدة مسئولة عن تأمين حياة رئيس الدولة ؟..

هناك أربعة أنواع من الحراسة ..

١ ــ الحراسة الخاصة Body Guard .. وهؤلاء ضباط مدربون فى مصر وخارج مصر ، يرتدون الملابس المدنية ، ومع كل منهم مسدس من أحدث نوع .. وهم يحيطون بسيارته .. ويلازمونه حوله حتى يجلس فى أى مكان .. ثم يتناثرون وفقا لنظام متبع حول المكان فى دائرة قطرها ١٥ مترا .

٢ ــ حراسة .. من الحرس الجمهورى .. وهم بملابسهم العسكرية .. ويحيطون بمكان جلوس الرئيس أو وقوفه على دائرة أوسع .

٣ ــ حراسة من القوات المسلحة أو الشرطة المدنية ، طبقا لمكان وجود الرئيس . إذا كان فى موقع عسكرى تكون الحراسة من القوات المسلحة . وإذا كان فى موقع مدنى تكون الحراسة من الشرطة المدنية .

٤ ــ وهناك حراسة الطريق .. والعمارات المطلة على الطريق الذى يمر منه موكب الرئيس . وهذه تقوم بها وزارة الداخلية .. مباحث وأمن مركزى .

وهذا النظام ليس ابتكارا مصريا . إنه نظام دولى . فى أى مكان يتواجد به رئيس الدولة ، يكون تنظيم حراسته بهذا الأسلوب .

وعادة ما تكون هناك حساسيات مهنة ، بين هذه الأجهزة المختلفة .. إذا شعر أفراد جهاز منها ، أن جهازا آخر لا يثق فى كفاءته وقدراته .. وهذه الحساسية قائمة أيضا فى كل دول العالم .. وحتى فى غير شئون تأمين رئيس الدولة .. فالحساسيات فى كل الجيوش ، بين مختلف الفروع معروفة ..

ووثائق التحقيقات العسكرية والقضائية التى جرت بعد مصرع أنور السادات ، لاتزال من وثائق الدولة السرية ، ولم تذع حقائقها كاملة فيما يتعلق بتحديد المسئوليات .. وتناثرت بعض أخبارها فى الصحف .. ولكنها أخبار محدودة جدا ، ومبتورة ، ولا تعطى الصورة الكاملة ..

وقد آثرت أن أقوم بجهد شخصى فى سؤال عدد من المسئولين فى الحراسة الخاصة ، وفى الحرس الجمهورى ، وفى وزارة الداخلية .. وقد تناقضت بعض الآراء التى

سمعتها .. وسأحاول فى هذه السطور ، عرض خلاصة وافية للنتائج التى حصلت عليها ، والإجابة على أسئلتى .

إن القوات المشتركة فى العرض العسكرى ، هى قوات مجمعة من جميع المناطق والجيوش الميدانية ، ومتمركزة فيها يسمى عسكريا بالمنطقة المركزية ، ولها قائدها . ولابد أن تؤمن هذه القوات ، بجهاز المخابرات الحربية . والتأمين الأول لها ، هو نزع الذخائر من جميع أنواع الأسلحة نزعا كاملا . وهذا ما يجرى به العمل فى جميع دول العالم .. لا توجد عروض عسكرية بذخائر على الإطلاق . ولزيادة التأمين فى بعض الدول ، مثل الاتحاد السوفيتى فإن رئيس الدولة وكبار رجال الدولة ، لا يجلسون فى مقاعد على مستوى الأرض بل يجلسون فى الدور الثالث (ارتفاع ١٥ مترا) من منصة العرض .. كما أنهم يجلسون وراء زجاج لا يخترقه الرصاص .

ومنذ بدأت العروض العسكرية فى عهد جمال عبد الناصر ، فإن هناك عدة إجراءات تتخذ لضمان عدم استخدام الأسلحة النارية خلال العرض . وهذه إجراءات مسبقة على العرض . وهى تأمين قوات العرض . وسحب جميع ابر ضرب النار من جميع البنادق والمدافع والأسلحة الموجودة فى العرض . وسحب جميع الذخائر من قوات العرض . وآخر إجراء يسجل فى محضر مكتوب ، بأن تقوم المخابرات الحربية بالتفتيش النهائى على القوات ، قبل الدخول إلى ساحة العرض .. وذلك بتشكيل فرق تفتيش تؤدى هذه المهمة الأخيرة وتتأكد من خلو القوات من أية ذخائر .

وقد كشفت التحقيقات بعد الجريمة ، أن قائد المنطقة المركزية كان غائبا لأداء فريضة الحج وحل محله مساعده . وكذلك قائد المخابرات الحربية الذى سافر أيضا لفريضة الحج وقام مساعده بمسئولياته . وقد تصدق للأول ، بالسفر قبل العرض بعشرة أيام .

أما بالنسبة لسحب ونزع إبر ضرب النار ، فلم يهتم به قائد الكتيبة .. بل إن هذا القائد هو الذى كلف الملازم الاسلامبولى بنزع الإبر .. فنزعها وترك أربعة لاستخدامها فى الجريمة . كما أن اجراءات تأمين العرض نفسها ، لم تتم بالأسلوب المنضبط بدليل أن الاسلامبولى تمكن من إحضار أربعة أشخاص من خارج الوحدات ، وأدخلهم ومعهم ذخائرهم .

ثم اختلفت الآراء فيمن سألتهم .. هل تأمين نزع الإبر ، تقوم به المخابرات الحربية وحدها ، أو أن الحرس الجمهورى يشترك مع المخابرات فى ذلك .. وذلك بأن يمر ضابطان من المخابرات ومن الحرس الجمهورى .. ليتأكدا من نزع الإبر .. ثم توضع

الإبر فى صندوق خاص يقفل أمامها . وقيل أيضا فى ذلك ، إن المخابرات الحربية طلبت فقط من عقيد المنطقة المركزية القيام بهذه المسئولية ، وكانت كل إمكانياته ضابطين وعددا من الجنود . ولذلك فقد تركزت التحقيقات القضائية التى جرت بعد ذلك حول مسئولية هذا العقيد .. وقد مات خلال التحقيقات من شعوره بالإحباط النفسى . وتركزت المسئولية بعد ذلك ، فى قائد الكتيبة الذى لم يشرف بنفسه على نزع الأبر ، وترك ذلك للاسلامبولى ، وحكم عليه بالسجن .

وصرح لى أحد المصادر أن المؤتمر الموسع الذى عقد ليلة العرض وحضره مندوبون عن الحرس الجمهورى والمخابرات الحربية والشرطة المدنية .. ناقش تمام كل الإجراءات .. وكان للحرس الجمهورى مطلبان .. الأول هو التأكد من عدم وجود ابر ضرب نار وذخائر .. والثانى هو ركوب ضابط من الحرس الجمهورى أو من المخابرات الحربية فى الدبابة التى توجه التحية العسكرية إلى المنصة ، وذلك بإدارة عامودها نحو المنصة . وقد رفض مبدأ تدخل الحرس الجمهورى فى ذلك ، وأبدت المخابرات الحربية مسئوليتها الكاملة عن ذلك . وكان القرار الأخير أن كل شىء يجرى فى مجراه الطبيعى .. وأن على الحرس الجمهورى أن يتولى مسئولية حراسة المنصة .

وقال لى هذا المصدر إن التحقيق أثبت أن البندقية التى أطلقت منها الرصاصة الأولى القاتلة على الرئيس السادات ، كانت مثبتة فى السيارة .. لقد صنعت فى جدار السيارة حفرة ثبتت فيها البندقية ، حتى تكون مستقرة عند اطلاق الرصاص ..

وقال لى مصدر آخر إن السيارة وقفت عند خط أبيض مرسوم فى أرض العرض بين مجلس الرئيس فى المنصة حتى مقر الجندى المجهول .. وساعد هذا الخط على انضباط البندقية . ولو كانت السيارة قد فتشت التفتيش النهائى قبل الدخول إلى العرض لكان قد تم اكتشاف ذلك .

ولكن ما هى اجراءات التأمين التى كانت متخذة فى المنصة ؟..

الحرس الخاص وزع فى الأماكن المخصصة له ، فى حدود ١٥ مترا محيطة بالرئيس . وجلس فوزى عبد الحافظ ووجدى أسعد رئيس أمن مكتب الرئيس واللواء حسن علام كبير الياوران وراء الرئيس مباشرة . ولكن عندما لاحظ السادات وجود حارس يجلس على مقعد أمامه تحت المنصة ، طلب منه مغادرة المكان . وأطاع الحارس ، وقد تأكد أنه حتى لو استمر هذا الحارس فى مكانه ، فلم يكن فى قدرته بمسدسه منع الجريمة بعد أن أطلق الرصاص من السيارة بهذه السرعة كما بينا .

وكان الحرس الجمهورى محيطاً بالرئيس على دائرة أوسع . وكانت هنـاك أيضا مجموعة الإرهاب الدولى التى تكونت فى الحرس الجمهورى فى العام الأخير وهى مكونة من ١٥٠ فردا دربوا تدريبا مكثفا . وهذه المجموعة تحضر العرض العسكرى لأول مرة .. وقد حددت أماكنهم خلف المنصة . وقيل بعد الحادث أنه كان يجب أن يكونوا على جانبى المنصة . وأرجو أن أسجل أن الآراء تتضارب ــ فيما كان يجب أن يكون ــ بعد وقوع الجريمة .

وبعد أن تقدم حامل القنبلة .. ووقف الرئيس متصورا أنه تقدم لتحيته انطلقت الرصاصة الأولى التى قضت على حياة الرئيس منذ اللحظة الأولى لأنها قطعت الشريان الرئيسى المتصل بالدم . ووقع الرئيس وهو يردد مرتين « مش معقول .. مش معقول » .. وأصاب سيل من الرصاص كبير الياوران . وأصيب فوزى عبد الحافظ ووجدى أسعد وقد ارتميا على جسد الرئيس . ويرجح فوزى عبد الحافظ أن سيل الرصاص الذى قتل كبير الياوران كان مقصودا به الرئيس . ولكن التحقيقات انتهت إلى أن .. الرئيس لقى نحبه من الرصاصة الأولى . كما أصيب أبو غزالة وزير الدفاع الذى ارتمى أيضا على الرئيس . وهذه شهادة فوزى عبد الحافظ وقد أمسك ممدوح سالم بكتف النائب حسنى مبارك وصرخ وهو يضغط عليه أن ينبطح على الأرض . وهكذا أنقذت حياة حسنى مبارك .

وفى هذه اللحظات .. ولكن بعد أن كان الرئيس قد قتل ، تحرك الجميع ، الحرس الخاص والحرس الجمهورى وفرقة الإرهاب الدولى .. وقد استطاعوا إصـابة القتلة الأربعة .. وتمكنوا من القبض على ثلاثة .. وهرب الرابع ولكن أمكن القبض عليه بعد هربه . كما أن .. حارس السفير الأمريكى أطلق الرصاص أيضا على المعتدين .

وليس صحيحا ــ كما قال لى مصدر مسئول ــ أنه جـرت العادة فى السنـوات السابقة على وضع قناصة عـلى سقف المنصة . لأن هـذا السقف مائـل بـ ٦٠ درجة ويستحيل وقوف أى شخص عليه . كما قيل أنه من غير المعقول أن يجـرى عرض عسكرى لجيش اشترك فى حرب أكتوبر ، ويوضـع لهم قناصـة أعلى المنصـة وكأنهم يهددونهم بالسلاح . ولكن قيل أن هناك برجا على يمين المنصة ، كان يجب أن يكون به قناصة . ورد على ذلك بأن هذا البرج ليس للحراسة ولكنه لخدمة الإعلام .

وإذا كان رجال الحرس الخاص ، يحملون أحدث أنواع المسدسات ، فإنه لم يكن فى مكنتهم حماية الرئيس من هذا الاعتداء المباغت . ولكن كان فى مكنتهم ــ لو لم تصبه الرصاصة الأولى ــ أن يرتموا عليه بأجسادهم لحمايته . وهذا ما فعله فوزى عبد الحافظ ووجدى أسعد .. ولكن بعد أن كان الرئيس قد مات .

وقد كان الحرس الجمهورى فى يوم العرض موزعا فى خمسة عشر مكانا كان مقررا وفقا للبرنامج تواجد الرئيس بها . وزارة الدفاع حيث اجتمع بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة . مكان العرض . ضريح عبد الناصر . قصر القبة . ميت أبو الكوم حيث يزور ضريح أخيه الشهيد الطيار عاطف السادات . ثم مقر الرئيس فى الجيزة . ولكن فى ذلك اليوم . كان مقررا أن يطير السادات إلى سانت كاترين . وأرسلت قوات من الحرس الجمهورى .. إلى هناك .

وسألت مصدرا مسئولا عن مدى فائدة القميص الواقى من الرصاص لو كان قد ارتداه الرئيس السادات . وأجاب هذا المصدر أن الرصاصة القاتلة من هذه المسافة القصيرة كانت ستمزق القميص الواقى .

وقد راجت إشاعات بعد مقتل السادات ، بأن الرصاصة أصابته من الخلف . وعندما جرى تشريح الجثمان ثبت عدم صحة هذه الإشاعة .

كما ذكر لى أحد المسئولين ، وقد كان فى موقع رسمى يتيح له متابعة الإجراءات التى اتخذت بعد مصرع السادات .. أنه يعتقد ــ وهذا رأيه الشخصى ــ أن مؤامرة الاغتيال ، لم تكن مقصورة على الأربعة الذين قبض عليهم . وهو يرجح وجود مجموعة أخرى ، كانت عند قبر الجندى المجهول .. ولم تتمكن من ارتكاب الاغتيال . وقد شوهد فى أحد الأفلام الأجنبية التى سجلت بعض جوانب من حادث الاغتيال ، وجود شخص يرتدى قميصا وبنطلونا وكان يطلق الرصاص . وبمراجعة صورة هذا الشخص تبين أنه ليس من رجال الأمن وقد اختفى . وقد كان الموقف رهيبا حقا بعد وقوع الاغتيال مباشرة .

لم يكن أحد يعرف .. ماذا وراء هذا الاغتيال .. وكان المتصور وقوع انقلاب عسكرى ضخم . ولذلك جرى تأمين المنصة على الفور بعد الحادث . وانتشال القنابل التى لم تنفجر .. والبحث عن قنابل ربما كانت موجودة كما جرى على الفور الأمر من المشير أبو غزالة إلى كل الوحدات المشتركة فى العرض بالعودة إلى مواقعها . ومن مستشفى المعادى ، أصدر رئيس الحرس الجمهورى فى تليفونه اللاسلكى المعد بسيارته للاتصال بجميع المواقع .. أصدر أوامره بقفل طريق الإسماعيلية والسويس .. وارسال قوات لاحتلال مبنى التليفزيون والإذاعة بأسرع وقت وتم ذلك فى دقائق ، فقد تحركت هذه القوات من موقع لها فى عابدين . وقد أفادت هذه القوات ، بأنه تعذر مع وجودها على أحد المشاركين فى المؤامرة أن يذيع بيانا كان معدا باسم الجماعات التى دبرت ونفذت الاغتيال . وكان البيان يحمل دعوة للجماهير أن تتحرك . كما جرى فى الوقت

نفسه تأمين مجلس الوزراء ومجلس الشعب ، ومحافظة الجيزة .. وانتقلت قوة إلى محطة الإرسال الإذاعى فى المقطم وتحركت عشر سيارات لاسلكى ، تجوب كل شوارع العاصمة ، وتتصل اتصالا مباشرا بقيادة الحرس الجمهورى عند ملاحظة أى شىء شاذ .

كما ترك وزير الداخلية مكان العرض فور انفجار القنبلة الأولى ووصل إلى وزارة الداخلية فى عشر دقائق وأصدر الأوامر بتنفيذ خطة مسبقة كانت معدة لتأمين القاهرة وعرفت ان اسمها « الخطة ١٠٠ » التى تتحول بها جميع تشكيلات الأمن إلى تشكيلات قتالية .

وبعد القبض على الأربعة مرتكبى الحادث جرى علاجهم من الرصاصات التى نفذت إلى أجسادهم .. ثم سلموا إلى جهات التحقيق بعد أربعة أيام .

رصاصة من ؟؟

والحقيقة للتاريخ ، أنه حدث جدل فى توجيه المسئولية وتحديدها بعد مصرع السادات فى الأيام الأولى بين الحراسة الخاصة ، وحراسة الحرس الجمهورى ، وحراسة الموقع فى العرض العسكرى .

وجرت فى ذلك تحقيقات سرية . وكان أهم تحقيق فى رأيى قد جرى عن نوع « الرصاصة .. » التى استقرت فى جسد الرئيس بعد موته ، ولم يخرجها الأطباء إلا بعد أيام من الوفاة .

ولكن قبل تناول هذا الموضوع أرد على السؤال .. متى فقد الأطباء الأمل فى إنقاذ حياة السادات بعد الحادث ؟؟..

شاهد العيان الذى يذكر الحقيقة لوجه الله هو الأستاذ الدكتور محمد عطية أستاذ القلب والطبيب الخاص للرئيس أنور السادات .

وهذه هى روايته لى :

فى الصباح .. كالعادة .. توجهت إلى منزل الرئيس أنور السادات فى الجيزة .. أجريت عليه الكشف الطبى بما فى ذلك رسم القلب .. كان طبيعياً وكان مرحاً . كان سعيداً بأنه بعد العرض فى اليوم التالى .. عيد الأضحى سيؤدى صلاته فى وادى الراحة . وقال الرئيس ووجهه ممتلىء بالبشر .... « اليوم سأرى أولادى فى القوات المسلحة » ..

ثم توجهت إلى مكان العرض العسكرى .. وكان مكانى فى طرف الصف الرابع حيث كان يجلس الوزراء .. وكان بجوارى ضابط برتبة كبيرة وفجأة دوى الرصاص . وشدنى جارى من بنطلونى وطلب منى أن أنزل تحت الكرسى . تم ذلك فى لحظات . وجميع من حولى فعلوا هذا . وانتهى دوى القنابل والرصاص .. ووقفت . واتجه نظرى على الفور إلى مكان جلوس الرئيس وأنا أصيح « فين الريس .. فين الريس » .. وقفزت إلى الصف الأول .. كان جسد الرئيس ملقى على المقعد والدماء تنزف من رقبته وصدره بصورة فظيعة . اثنان من الحراسة الخاصة رفعا الجسد وأنا وراءهما . نقلا الجسد إلى خلف المنصة حيث توجد طائرة هليوكبتر ماركة « جازيل » .. الطائرة لا تتسع إلا لثلاثة غير قائدها . وضع ضابطا الحرس جسد أنور السادات على حجرهما . كشفت على القلب ووجدت لا نبض .. العينان لا انعكاسات لها ابداً .. النزيف مستمر أدركت أن حياة أنور السادات انتهت . كان قائد الطائرة مرتبكاً .. طلبت منه أن يتجه فوراً إلى مستشفى المعادى . طوال الطريق وأنا أحاول تدليك القلب .. واجراء أى إسعاف ولكن ذلك كان دون جدوى .. هبطت الطائرة فى الفناء الخلفى لمستشفى المعادى حيث يوجد مهبط للطائرة . كان فى إنتظارنا عربة إسعاف أعدها أطباء مستشفى المعادى الذين تلقوا إشارة تليفونية من المنصة . وكانوا قد استعدوا بغرفة العمليات ، لأنهم كانوا يشاهدون التليفزيون الذى توقف إرساله فجأة وتوقعوا شيئاً . حملنا الجثمان إلى غرفة عمليات القلب . كان لابد — علمياً — من إجراء كل المحاولات والإجراءات الطبية . فتح الصدر بمشرط ، وجرى تدليك للقلب ورسم مخ . تأكدنا من عدم وجود أى موجات تدل على استمرار الحياة . كان حول فقيد مصر جراح القلب الدكتور الشقيرى وجراح المخ الدكتور سيد الجندى ، وأطباء البنج والدكتور سيد كريم مدير المستشفى فى ذلك الوقت . تبين وجود رصاصة دخلت من شمال الصدر . اخترقت الرئة ومزقتها واستقرت فى العنق تحت الترقوة . قطعت الرصاصة حبل الوريد الذى يوصل الدم للمخ . وكانت فى القدم رصاصة أخرى . انتهينا من كل هذه الاجراءات ولم تكن السيدة جيهان قد دخلت غرفة العمليات .. كانت تنتظر خارج الحجرة يحدوها الأمل .

دخل خلال ذلك النائب حسنى مبارك .. وأبلغناه بالخبر الأليم .. بعد أن تأكدنا من كل شيء .. دخلت السيدة جيهان . لم تكن تعرف النتيجة المؤلمة .. كانت صدمة لا يمكن التعبير عنها ..

هذه هى شهادة الأستاذ الدكتور محمد عطيه طبيب الرئيس الخاص الذى صحب جسده فى طائرة الهليوكوبتر من موقع المنصة حتى مستشفى المعادى . ولم يكن بالطائرة إلا قائدها وضابطا الحرس وهما أحمد سرحان وتوفيق قورة . والاثنان أيضاً احياء وأديا هذه الشهادة .

ولكن المخبر الصحفى العبقرى محمد حسنين هيكل .. أراد أن يخترع قصة !

لم يكفه أن يشوه السادات بذكر والدته ووالده .. واخوته وأنه ابن جارية زنجية .. أراد أن يشوه صورة زوجته فاخترع من خياله المريض أنها صحبت الجسد فى طائرة الهليوكوبتر وأنها هبطت بالطائرة فى منتصف الطريق أمام منزل الرئيس بالجيزة وأنها تركت الرجل ينزف دمه لكى تجرى مكالمات تليفونية مع أمريكا استغرقت أربعين دقيقة !!

قال هيكل فى كتاب « خريف الغضب » فى صفحتى ٢٦٠ و٢٦١ .. (النسخة الإنجليزيه) ما يلى :

« .. وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه كل هذه الأحداث كانت السيدة جيهان السادات موجودة فى إحدى الشرفات الزجاجية الملحقة بالمنصة ثم اندفعت إلى المنصة الرئيسية وصرخت « أين الرئيس » .. « أين الرئيس » لقد كان بمقدورها حينئذ أن تركب معه الطائرة الهليوكوبتر التى أقلعت فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ..

وحسبما ورد فى تقرير المستشفى الرسمى فإن طائرة الرئيس وصلت المعادى فى الساعة الواحدة والثلث ظهراً أى بعد إقلاعها بأربعين دقيقة بينما لا تستغرق هذه الرحلة فى العادة إلا خمس دقائق .. فكيف يمكن تفسير التأخير ؟

ورغم عدم وجود إجابة واضحة على هذا السؤال إلا أن الطائرة قد شوهدت وهى تهبط قبل الواحدة ظهراً على مهبط الطائرات المرفق بمقر إقامة الرئيس بالجيزة .

ومن المعروف أن السيدة جيهان قد سارعت فى ذلك اليوم بالتوجه إلى المنزل وإجراء مكالمتين تليفونيتين مع الولايات المتحدة .

وكانت إحدى هاتين المكالمتين مع ابنها الأكبر جمال الذى كان يتواجد حينئذ بولاية فلوريدا الأمريكية . وقد علمت السيدة جيهان من هذه المكالمة أن جمال قد خرج مع بعض أصدقائه إلى جزيرة بعيدة عن ساحل فلوريدا ، وكذلك فقد طلبت من الشخص الذى كان يحادثها أن يصل إلى جمال فى الحال وبأى ثمن ويبلغه بضرورة الاتصال بوالدته لأمر عاجل جداً . ولعل المرء يتساءل عن المكالمة الثانية التى أجرتها السيدة جيهان .. هذا هو الشىء الذى لم يتم الكشف عنه ولكنه من المؤكد أن يكون شخصاً ما ذا أهمية بالغة وأن هدفها من المكالمة كان بمثابة محاولة للحصول من أكبر المصادر الرسمية الممكنة على بعض المؤشرات الخارجية لما كان يحدث فى مصر .

وقد عادت السيدة جيهان السادات عقب هاتين المكالمتين مرة أخرى إلى الطائرة الهليوكوبتر التى واصلت طريقها فوق النيل متجهة إلى مستشفى المعادى » .

هذا ما كتبه الصحفى المحترم لكى يقول للعالم الغربى — وكتابه موجه إلى الغرب — إن السيدة جيهان تركت زوجها المضروب بالرصاص فى بركة من دمائه

داخل الطائرة الهليوكوبتر .. وتوجهت إلى منزلها وأجرت محادثات تليفونية استغرقت أربعين دقيقة .. ثم عادت لكى تنقل زوجها إلى المستشفى .

لو كانت هذه الزوجة .. هى القاتلة لزوجها عن عمد وسبق إصرار لما فعلت هذا !

الزوج مضروب بالرصاص .

والزوج ينزف دماً ..

والزوجة تتركه أربعين دقيقة ــ فى وسط الطريق ــ بين الاستاد حيث ارتكبت الجريمة وبين مستشفى المعادى حيث كان يجب أن ينقل مباشرة .. تتركه هكذا لمجرد أنها تريد أن تتحدث بالتليفون ! ومع من تحدثت ؟..

مع ابنها جمال فى أمريكا ..

ألم يكن من الممكن أن تؤجل هذا الحديث حتى تصل بالجسد المضروب بالرصاص إلى المستشفى .. لإسعافه ..

ثم مع من ؟

مع شخصية مجهولة فى أمريكا !

وياللافتراء .. وهل توجد زوجة فى هذا الوجود تتحدث مكالمة غامضة فى أمريكا وزوجها المضروب بالرصاص راقد فى طائرة هليوكوبتر على باب المنزل .. ولمدة أربعين دقيقة !

ومن هذا الذى تتحدث معه أربعين دقيقة .. قبل إسعاف زوجها !! إن هذا ليس كذباً .. ولكنه انهيار أخلاقى .

إن الحقيقة التى لايزال شهودها أحياء يرزقون .. والتى يعرفها كل من اتصل بالحادث أن السيدة جيهان لم تركب الطائرة الهليوكوبتر التى نقلت أنور السادات . إن الضابط المكلف بحراستها أسرع بنقلها مع حفيدها فى سيارة .. غادرت بها المكان وتوجهت إلى قصر القبة .. فلم يكن معروفاً وقتئذ ماذا حدث ؟.. هل هو مجرد اعتداء على السادات أم هو انقلاب شامل .. ومن قصر القبة انتقلت فى طائرة هليوكوبتر .. إلى مستشفى المعادى ..

لقد كان المشهد مروعاً . رأته السيدة جيهان السادات ومعها حفيدها من الغرفه العلوية فى منصة العرض المخصصة لحرم الرئيس وزوجات كبار المسئولين . وكانت إلى جوارها السيدة سوزان حرم النائب حسنى مبارك وقبيل إطلاق الرصاص بلحظات .. اتجه الرئيس ببصره مبتسماً إلى هذه الغرفة العلوية .. وكأنه كان يحيى زوجته وحفيده . وقد حدث أن تعطلت دبابة أثناء العرض ثم استأنفت سيرها . ولما توقفت السيارة ..

قالت السيدة جيهان لمن حولها .. « ما هذا .. ولماذا تتعطل سيارة أيضاً .. » ثم فوجىء الجميع بالموقف الرهيب ، وبإطلاق الرصاص من كل الجهات .. وتحولت منصة العرض إلى فوضى وقتلى فى لحظات . وكانت السيدة جيهان السادات مصرة على البقاء لتتابع ما يجرى ، ولكن الخشية من أن يكون الأمر انقلاباً شاملاً . دفعت الضابط المخصص لحراستها ، أن يطلب إليها بأن تنصرف معه على الفور .. واعترضت .. وأمسك بذراعها .. واضطرها إلى الانصراف . واستطاع فى لحظات أن يدبر سيارة .. وانتقل بها على الفور إلى قصر القبة ، حتى يتدبروا الأمر . ثم انتقلت فى طائرة هليو كبتر إلى مستشفى المعادى .

كان المتصور لدى الجميع فى اللحظات الأولى للحادث أنه انقلاب شامل .. واشرف حسنى مبارك على عملية نقل الرئيس السادات إلى طائرة الهليوكوبتر .. ثم تقدم أحد ضباط الحراسة الذين فى ملابس مدنيه ، ودفع النائب حسنى مبارك من يده إلى سيارة .. وطلب من السيارة أن تنطلق على الفور إلى مستشفى المعادى وحرصاً على حياة حسنى مبارك وسط دوى إطلاق الرصاص . خلع هذا الضابط جاكتته ، وطلب من حسنى مبارك أن يخلع الجاكتة العسكرية وألبسه الجاكتة المدنية .. حتى لا يكون هدفاً للرصاص إذا عرفت شخصيته .. قال لى هذا الضابط عندما لقيته بعد ذلك فى مستشفى المعادى .. إن النيران كانت منطلقة ولا أحد يعرف ما يجرى .. وكانت مسئوليتى أن أحمى نائب رئيس الدولة . ووصل حسنى مبارك إلى مستشفى المعادى . بل كان أول من وصل للاطمئنان على حياة الرئيس ، ولكنه عرف الحقيقة المرة التى هزت كيانه وكانت أكبر صدمة فى حياته .

ثم توافد على المستشفى بعض الوزراء .. وعثمان أحمد عثمان وأنيس منصور .. وأصرت السيدة جيهان أن ترى الرئيس .. وأن تراه كريماته .. وعرفت أنها النهاية . وهنا قالت للوزراء :

ــ أرجوكم الآن أن تتركوا المستشفى .. وتذهبوا إلى مجلس الوزراء لإنقاذ مصر ..

وكان عز الدين هلال نائب رئيس الوزراء فى حالة عصبية بالغة فصرخ : ياللا .. الوزراء كلهم يتوجهوا على الفور إلى مجلس الوزراء ..

وفى الاجتماع السريع لمجلس الوزراء .. الذى حضره الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ، اتخذت قرارات نقل السلطة الدستورية .. وتقرر أن يتأخر إعلان وفاة الرئيس السادات قليلاً من الوقت حتى تنتهى هذه الاجراءات ، وحتى يتم

الاطمئنان على حالة الأمن .. وكانت قد صدرت كل الأوامر العاجلة التى تؤمن حالة البلاد ..

وكانت السيدة جيهان . ومعها كريماتها وأزواجهن قد غادروا المستشفى فى مشهد باك حزين .. ونقلتهم طائرة هليوكوبتر إلى منزل الرئيس بالجيزة .

ولم يكن المهندس جمال أنور السادات ابن الرئيس فى مصر . كان فى رحلة إجازة فى كاليفورنيا . واتصلت به والدته السيدة جيهان ــ فى المستشفى ــ تليفونياً ولم تشأ أن تبلغه بالخبر المؤلم مرة واحدة حتى يتحمل الصدمة . قالت له فى المكالمة الأولى أن الرئيس يعانى من رصاصة بجوار القلب وطلبت إليه العودة وتحمل جمال الخبر فى شجاعة . واتصل تليفونياً بالدكتور مجدى يعقوب جراح القلب العالمى فى لندن لكى ينتظره فى مطار لندن ويلحق معه فى الطائرة إلى القاهرة لإنقاذ حياة والده . وترك الدكتور مجدى يعقوب كل التزاماته ، وتحدد وقت وصول الطائرة إلى لندن . ثم عادت السيدة جيهان السادات واتصلت بجمال وقالت له إن والدك أنشأك دائماً على أن تكون رجلاً . البقيه فى حياتك يا جمال . ولكننى أطلب منك عدم إذاعة الخبر حتى تذيعه الدولة رسمياً . وأقفل جمال التليفون وأصابه انهيار عظيم .. وحضر إلى القاهرة فى اليوم التالى .

وهنا يروى المهندس عثمان أحمد عثمان ، واقعة غريبة .. كان يجلس مع الرئيس قبل الحادث بأيام . واتصل جمال تليفونياً بوالده يسأل عنه . وقال له الرئيس ــ أنا عاوزك ترجع بسرعة يا جمال ..

وتدخل عثمان : سيبه ياريس ياخد له كام يوم إجازه ..

ولكن الرئيس أصر .. يا جمال .. ارجع بسرعة .. أنا عاوزك .

وهذا ما يعبر عنه البعض .. بأنه علامات الموت ، التى تقدمها السماء لمن يقتربون من نهاية آجالهم .

ولكن السادات كان فى أسعد لحظات حياته . صباح يوم ٦ أكتوبر المشئوم .

كان يفرح بهذا اليوم ، كأنه طفل ينتظر يوم العيد ، ليرتدى الحلة العسكرية الجديدة ، وكان فى كل عام ، منذ نصر أكتوبر يرتدى حلة عسكرية جديدة ، لهذا اليوم بالذات . وكان يدقق فى اختيار قماشها وفى أناقتها على جسده .. بكل الفرحة . ورفض كالعادة ، أن يرتدى الصدر الحديدى الواقى من الرصاص وذلك على الرغم من أنه قد تلقى أخيراً أحدث نوع من هذه الصدور الحديدية . يمتاز بأنه رقيق جداً . وأكثر صلابة ولا يمكن أن يبدو من يرتديه تحت الحلة ، وكأنه يرتدى شيئاً . كان ينفر من هذا الصدر

الحديدى .. وبالذات فى يوم ٦ أكتوبر .. وكان يردد .. إيه الكلام الفارغ ده .. أنا وسط ولادى .. وكان ينفر أيضاً من أية حراسة تقترب منه عندما يزور أى موقع عسكرى . وقبل الحادث بوقت قصير كان يزور الغردقة . واجتمع بعدد من الطيارين الشباب فى موقع عسكرى وبمجرد أن لمح أن أحداً من الحراسة يقترب منه نهره بشده .

قلت إن الجو المكهرب بعد الاغتيال ، أدى إلى جدل فى المسئولية بين الحرس الخاص ، والحرس الجمهورى ، وحراسة الموقع فى العرض العسكرى .

واستدعى التحقيق ، أن تنتزع الرصاصة التى كانت لا تزال باقيه فى جسد أنور السادات . وهو فى غرفة الثلاجة بمستشفى المعادى .

اتصل الدكتور فؤاد محيى الدين ، تليفونياً بالسيدة جيهان السادات وأبلغها أن إجراءات التحقيق تقتضى انتزاع الرصاصه .. وهو يرجو إذنها فى هذا الإجراء . وقال لها إن طبيباً مختصاً سيقوم بذلك ، لإثباته رسمياً فى التحقيق .

كان الطلب مؤلماً فى ذلك اليوم .. والمأساة الدامية لا تزال فى قمتها فى قلوب الجميع . ولكن إخراج الرصاصة ، ومعرفة نوعها ، سوف يحدد .. هل هى من الرصاص الذى يستخدمه الحرس الخاص للرئيس أو الحرس الجمهورى أو المسئولون فى وزارة الدفاع .. وذلك يحدد إذا كانت هناك مؤامرة على حياة الرئيس من واحدة من هذه الجهات .

وقررت السيدة جيهان السادات أن تحضر بنفسها عملية انتزاع الرصاصة .

ووافق ابنها المهندس جمال على ذلك .. وقرر مصاحبتها .. وكان قد تحدد الموعد .

ورأت هى أن تفاجىء إدارة المستشفى بحضورها .. لأنه كان من حقها أن تطمئن إلى سلامة كل الاجراءات .. وأخطرت إدارة المستشفى تليفونياً عندما اقتربت سيارتها من المستشفى . وتوجهت إلى مكتب مدير مستشفى المعادى ومعها نجلها جمال . وقوبلت بكل التكريم ، وجلست على مقعد صامتة بينما تولى جمال الحديث مع مدير المستشفى .

اعتذر مدير المستشفى عن عدم تمكنه من السماح لها بالحضور لأن الموقف فى قمة القسوة الإنسانية .. ولكن جمال أصر على الحضور .. وكان قد اصطحب معه ضابطاً من الحرس الجمهورى هو موضع ثقته اسمه المقدم أحمد الفولى .

وهنا طلب جمال الاتصال بالرئيس حسنى مبارك .. وروى له ما جرى . وعاتبه الرئيس مبارك على ذلك وقال له : عندما تريد أى شىء يا جمال أنا هنا فى مقام والدك .. اطلبه منى مباشرة ولا تعرض نفسك لمناقشة مع أى مخلوق . واعتذر جمال بأنه لم يشأ أن يزعج الرئيس فى مثل هذا الطلب .

ودخلت السيدة جيهان إلى حجرة الثلاجه ومعها جمال وضابط الرياسة الذى تثق به الأسرة .

وكان المشهد جليلاً ..

كان جمال يرى جثمان والده لأول مره ..

وروى لى أنه رأى وجه والده مستريح القسمات ، كأنه يبتسم وأن كل ما فيه كأنه يشع النور والسلام .. وكأنه لم يفقد الروح .. كأنه نائم فى هدوء روحانى غريب ..

وهكذا كانت مشاعر السيدة جيهان ..

واستأذنها الطبيب ، بكل رقة ، فى استخراج الرصاصة ..

وأخرجت الرصاصة ..

وأمسك بها ضابط الرياسة .. وأعلن نوعها .. وكرر إعلان ذلك ، حتى يثبت فى المحضر الرسمى .. وعرف أنها ليست من الرصاص الذى يستخدمه الحرس الخاص للرئيس .. أوالحرس الجمهورى .. أو حرس وزارة الدفاع .

وبذلك تأكد ، أنه ليست هناك مؤامرة من الداخل .. وأن الرصاص .. هو رصاص القتلة الذين حصلوا عليه ..

وكانت مشاعر الفريق أبو غزالة فى قمة الألم .. فهو قد ارتمى على جسد الرئيس فى قمة واقعة الاغتيال ، وهو قد جرح .. وهو قد أسرع بعد الجريمة وتولى كل مسئوليات تأمين البلاد .. ولكنه سمع فى مجلس الشعب من النائبة نوال عامر كلاماً وبصوت مرتفع خلال تأبين الرئيس السادات فى مجلس الشعب : « اتقتل وهو بين ايديكم .. ماكنتوش قادرين تحموه . » .

ووقف أبو غزالة على منبر المجلس ، وقال إنه كان يتمنى أن يكون هو القتيل .

إن الجواب على الأسئلة العديدة ، حول مقتل السادات ، هو أنـه فعلاً حـدث إهمال . ولكنه إهمال من النوع الذى يصعب تجنبه . لقد قامت وزارة الدفاع بفرز أسماء جميع المشتبه فى ميولهم المتطرفة منذ شهر أغسطس وأبعدت من أشتبه فى أمره . ولم تكن هناك معلومات عن القاتل إلا أنه رجل متدين فقط . وبعد الحادث أعيد الفرز أكثر من مرة للتأكد تماما من خلو القوات المسلحة من متعاطفين مع التطرف أو من المشتبه فى اتصالهم بأى تنظيم سياسى .

والجواب على الأسئلة العديدة ، حول مقتل السادات ، يقول أيضاً إن الرئيس السادات ، مسئول بنسبة معينة عما جرى . لقد قلت أنه كان يمقت اقتراب أى حراسة

منه ، اذا كان بين « ابنائه » فى الجيش . وقد حدث عندما جلس إلى مقعده فى العرض العسكرى أن رأى أحد حرسه الخاص يجلس على مقعد على الأرض أمام مقعد الرئيس فى المنصة — كما ذكرت من قبل — فأمره على الفور بمغادرة المكان . ولم يستطع الحارس أن يتلكأ ولكنه اختار مكاناً آخر على درج السلم على يمين المنصة ، فنظر إليه الرئيس بما معناه أن ينصرف .. فتراجع درجتين من السلم ولما جاء من يتسلم بعده لأن الحراسة تتغير كل نصف ساعة أو ساعة .. وأراد أن يتقدم إلى المقعد الذى يسبق المنصة قال له زميله .. إياك أن تذهب لقد أمرنى الرئيس بالأنصراف .

— فحتى هذه الجزئية الصغيرة .. وهى جلوس حارس على مقعد أمامى رفضها الرئيس — ولو أنها لم تكن لتجدى ، لأن الحارس كان يحمل مسدساً ولم يكن يفلح فى أن يتصدى به لحملة مدافع .. ولكنه كان على الأقل ، سيكون نقطة اعتراض .

وأقصد من ذلك ، أن سلوك الرئيس نفسه .. شجع على التراخى .. كما أن رحلته الشعبية إلى المنصورة فى القطار المفتوح .. والسيارة المكشوفة ، ولمدة أربع ساعات بين ملايين أبناء الشعب الملتهب حماسة فى استقباله .. أعطت شعوراً عاماً بالأمان .

الفصل الرابع

لماذا قتلوه ؟!!

نصوص اعترافات القتلة والشركاء من محاضر التحقيق الرسمية ــ اعترافات كل من : عبد الحميد عبد السلام عبد العال (ضابط سابق بالدفاع الجوى ــ عطا طايل حميدة (مهندس) ــ حسين عباس محمد (رقيب متطوع فى قوة الدفاع الشعبى) ــ خالد أحمد شوقى الاسلامبولى (ملازم أول عامل بالقوات المسلحة) ــ محمد عبد السلام فرج (مهندس) .

قصة التنظيمات السرية فى القاهرة والإسكندرية وأسيوط والمنيا ــ روى القصة المهندس مقدم ممدوح محرم حسنى أبو جبل ــ اعترافات عبود الزمر (مقدم بالقوات المسلحة) عن خطة الثورة الشعبية لإقامة حكم إسلامى ــ من صاحب الفتوى ؟ــ تغيير خطة الاغتيال ــ صالح أحمد صالح (مهندس ميكانيكى) يشرح أسلوب الدعوة إلى الجهاد والثورة ــ اعترافات محمد عبد السلام فرج عن التخطيط الشامل للثورة الإسلامية ــ زعماء الصعيد ــ أقوال فؤاد الدواليبى (تاجر موبيليا) ــ أقوال كرم محمد زهدى سليمان (بكالوريوس تعاون زراعى) ــ حيثيات الحكم فى قضية تنظيم الجهاد ترد على السؤال ــ لماذا قتلوه ؟

الفصل الرابع

لماذا قتلوه ..

إننى أعتمد فى اعترافات الذين أدينوا بقتل أنور السادات ، أو المساعدة عليه ، على نص أقوالهم فى محاضر التحقيقات الرسمية ، التى قدموا بها إلى المحاكمة . وإننى أسجل منها الجوهر فقط فى الأسباب التى دفعتهم إلى ارتكاب الجريمة .

عبد الحميد عبد السلام عبد العال :

(٢٨ سنة . ضابط سابق بالدفاع الجوى . يشتغل بالأعمال الحرة ..)

قال إنه يرى ما يجرى فى المجتمع هو منكر ، لذلك فكر فى قتل الرئيس السادات ، ليكون عبرة لمن بعده . وذلك مصداقا لقوله تعالى « **ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون** » . فالدولة بها مفاسد وخمور وربا ، وتقلل من قيمة المسلمين وتسخر من علماء المسلمين المخلصين للدين وتسخر من الملتحين ومن الحجاب ، الذى فرضه الله تعالى على نساء المسلمين وتبدل شرائع الله بقوانين وضعية ، وتضيق على المسلمين فى منابر المساجد وتقبض على العلماء . ولم تقنن الشريعة الإسلامية كما وعدت . وتقول إن .. ثورة الخمينى ثورة إسلامية على الرغم من أن الخومينى يبعد كل البعد عن تطبيق الشريعة الإسلامية ، لأنه شيعى والشيعة يعملون على قتل السنية . وهذا التشبيه يشوه صورة الحكم الإسلامى الصحيح . وهذا ما جعلنى أعتقد أن نظام الدولة يعمل ضد الإسلام .

وكل ذلك ينطبق على فترة وجود التتار أيام جانكيز خان . حيث إنهم أعلنوا أنهم مسلمون ونطقوا الشهادتين ، وقالوا نتحاكم بكتاب الله ولكنهم طبقوا فيما بينهم قانونا يسمى إلياسق .. وبالرغم من أنهم كانوا يبنون المساجد والمدارس التعليمية الدينية ، إلا أنهم كانوا فى الوقت نفسه يحاربون المسلمين . وثار الشعب ولجأ إلى ابن تيمية شيخ الإسلام للفتوى فأفتى بقتل أئمة الكفر . والآية فى سورة التوبة تقول : « **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** » ..

وقال إنه عندما كان يعمل فى القوات المسلحة ، حفظ جانبا من القرآن وتبين له

أن الجيش يعمل فى حكومة كافرة .. واستشهد فى ذلك بحديث يقول فيه رسول الله ﷺ لمعاذ « أعانك الله على إمارة السفهاء » قال « وما إمارة السفهاء يارسول الله . قال : هم الأمراء من بعدى لا يهتدون بهديى ، ولا يستنون بسنتى . فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا منى ولست منهم ، ولا يردون على حوضى » .

ولذلك قدم استقالته ، وأطلق لحيته ، وقبلت استقالته .

س : هل تم التفتيش صباح يوم العرض على الذخائر وإبر ضرب النار ؟

جـ : لا

س : ألم يفتش قائد الكتيبة ؟

جـ : لا

س : ألم يفتش قائد اللواء ؟

جـ : لا

س : ألم يفتش أمين اللواء أو ضابط أمن الكتيبة ؟

جـ : لا

س : ألم تتم أية اجراءات صباح يوم العرض للتفتيش على الذخيرة وإبر ضرب النار ؟

جـ : لم يحدث سوى أن أحد ضباط الحرس الجمهورى راكبا دراجة بخارية عمل شثنى على بعض الأفراد من اللواء ٣٣٣ قبل آذان الظهر يوم العرض .

س : وعندما واجهت المنصة من المنتصف كيف تمكنت من إطلاق النار على السيد الرئيس ؟

جـ : رفعت البندقية الآلية فى اتجاه الرئيس والماسورة مائلة لأسفل ٢٠ درجة .

عطا طايل حميدة :

(٢٦ سنة متخرج فى كلية الهندسة جامعة الإسكندرية قسم ميكانيكا . من قوة مركز تدريب المهندسين ومقيم بعزبة رحيل (الدلنجات ــ بحيرة)

استشهد فى إجابته على أول سؤال بعدد من آيات القرآن الكريم ، ومنها : **« ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل .. الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ..»**

ثم قال : ولقد قمت بهذا العمل ، وهو قتال كل حكام لا يحكمون ولا يطبقون

ما أمر الله سبحانه وتعالى به حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى عن فرعون « فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين » .. هنا بين الله أن اللعنة لم تحل على فرعون وحده ، بل عليه وعلى قومه لأنهم لم يمنعوا فرعون من طغيانه . ولا نقبل على أنفسنا أن نكون كقوم فرعون ، فيصيبنا ما أصاب قوم فرعون .. لأن الله سبحانه وتعالى يقول « **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** » .

وقال : ولقد بينا لرئيس الجمهورية هذه الأحكام ، على لسان أئمة كثيرين ، ولم يرض بتنفيذ أحكام الله سبحانه وتعالى بحجج ما أنزل الله بها من سلطان . بل تعدى الأمر ذلك بفصل السياسة عن الدين ، وهذا ليس من الإسلام فى شيء . لأن كلمة سياسة أتت من ساسة . وساس أى كيف يرعى من حوله من أناس . وعندما تنفصل السياسة عن الدين ، ففى أى منهج ممكن يقودنا القائد . فإن ادعى الديمقراطية بأنيابها فهذه الكلمة ليست من الإسلام فى شيء . لأن الديمقراطية تعنى حكم الشعب نفسه بنفسه ، فيستطيع مجلس الشعب أن يقر أى قرار يوافق عليه الأغلبية دون الرجوع لكتاب الله أو لأوامره .. ودليل ذلك موافقة مجلس الشعب المصرى على إباحة الرقص والأفلام الهازلة أو الهابطة وبيع الخمور ، وعلى جميع فضائح الدعارة وما أشبه ذلك . فلفظ الديمقراطية هذا مرفوض لدى المسلمين . ولن يكون لنا منهجا إلا كتاب الله تعالى .

وقد عارض رئيس الجمهورية أمر الله سبحانه وتعالى بأن تبقى النساء فى بيتها ولا تخرج إلا للضرورة . واستهزأ من حكم النقاب للإسلام وهذه سخرية بحكم إلهى به نص شرعى فى القرآن . ولقد ازداد الأمر استفحالا حينما قام بأوامره بالقبض على كل من يدعو إلى الله ومعاداته لكل من يعمل فى سبيل الله ، وتركه للكافرين ، ولم يقم بسجنهم كما قام بسجن المسلمين . كل هذه الأدلة أدت إلى أنه لابد من استخدام القوة للقضاء على هؤلاء الحكام الذين أحاطوا أنفسهم بسياج من الحديد والنار ، لا يمكن الوصول إليه .

ويروى قصة لقائه بخالد الاسلامبولى ويقول : قابلت خالد فى شقة عبد الحميد عبد السلام وأخبرنى أنه يعمل خطة للقضاء على هذا الحاكم الذى لا يحكم بما أنزل الله وهو الرئيس أنور السادات ، ويريد اشتراكى فيها . فقست هذا الأمر شرعا على ما لدى من أحكام شرعية ثم وافقت .

س : هل كنت تنوى قتل رئيس الجمهورية ؟

جـ : نعم . وذلك للأسباب السالف ذكرها .

س : وهل كنت تنوى قتل غيره ؟
جـ : النبوى إسماعيل لتعذيبه المسلمين
س : وما الذى كنت ترجوه من قتل الرئيس ؟
جـ : احتمال قيام حاكم مسلم بعده .
س : وهل يكفى قتل الرئيس لإقامة نظام إسلامى على النحو الذى ترجوه أم أن ثمة أعمالاً أخرى مازالت لازمة لذلك ؟
جـ : قمت بذلك لننفذ أمر الله . والله وحده المتكفل بقيام الدولة الإسلامية .
س : هل تم أى تفتيش يوم العرض ؟
جـ : لم يتم .
س : ما مصدر ثقافتك الإسلامية ؟
جـ : كتب السلفيين . تفسير القرطبى وابن كثير وبالنسبة للأحاديث فتح البارى ، وبالنسبة للعلماء مثل ابن تيمية وابن القيم الجوزيه ..
س : من دلك على هذه الكتب ؟
جـ : كبار المشايخ . الشيخ كشك . والشيخ المحلاوى والآخرون الذين ينادون بالعودة إلى كتب السلف التى تخلو من البدع والنفاق وموالاة الحكام .
س : وكيف تستبيح الدماء ؟
جـ : الكافر الذى يشاقق الله ورسوله يستباح دمه .. الذى يسجن المسلمين الذين ليست لهم تهمة إلا قول لا إله إلا الله .
س : هل تنتمى إلى جماعة التكفير والهجرة ؟
جـ : لا أنتمى لها .. لأنها تكفر جميع الناس . ونحن المسلمون الذين يسيرون على هدى رسول الله ﷺ لا نكفر أحدا إلا إذا أتى بالكفر البواح وفيه نص شرعى من القرآن .
س : وما حكم هذا الكافر فى عقيدتك ؟
جـ : حلال دمه .
س : وهذا للكفر وحده .
جـ : للكفر ومحاربة الله ورسوله المتمثل فى رفض تنفيذ كتاب الله وسنة رسوله وتعذيب المسلمين وسجنهم دون أدنى تهمة سوى أنهم يقولون لا إله إلا الله .
س : ولكن الله سبحانه وتعالى ، قال فى محكم كتابه « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .. وجادلهم بالتى هى أحسن .. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ..» إلى آخر الآيات .

جـ : هذه الآيات منسوخة بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ..» وقوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » . وقد نزلت الآية التى استشهدتم بها حينما قتل عم الرسول ﷺ ومثل بجثته فى موقعة أحد . فغضب الرسول غضبا شديدا وأقسم أن يمثل بجثث الكافرين . فأنزل الله هذه الآية .

حسين عباس محمد :

(٢٨ سنة) رقيب متطوع من قوة الدفاع الشعبى منطقة شرق القاهرة التعليمية بالمعهد الدينى الثانوى بميدان الحجاز . هرب من ساحة المنصة بعد الجريمة ثم قبض عليه فى بيت شقيقه فى المطرية .

قال فى التحقيق الرسمى :

ــ حدثتنى نفسى وتمنيت أن أكون واحدا من الذين يمرون أمام منصة الظالم . ودعوت الله سبحانه وتعالى بهذا لأشفى غليلى من هذا الظالم .. ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يمكن لى هذا .. وقد قابلت خالد الاسلامبولى وقال لى هناك استشهاد فى سبيل الله ، ورحبت بذلك . وهو قال لى إننا سنتمكن من الظالم ، فذكرت له ما كنت تمنيته من قبل ودعوت الله به . وشرح لى تفاصيل الأمر .

س : وكيف تم تنفيذ الجريمة خطوة بخطوة ؟

جـ : كلمة جريمة لا أقبلها . فما تم بالنسبة لنا ليس جريمة . فهو عملية اغتيال الظالم ....

س : فى اتجاه من صوبت لدى شروعك فى صعود السلم ؟

جـ : على الذى أمامى وأنا طالع السلم .

س : والذى أمامك على السلم ظالم هوه كمان ؟

جـ : لا أعلم ولا هو مقصدى .

س : لماذا تضربه إذن ؟

جـ : أنا أضرب الذى يعترضنى لكى أصل إلى هدفى .

س : هل هدفك مقتل برىء ؟

جـ : هو يبعث على نيته .

س : ألا تسأل أمام الله سبحانه وتعالى عن إزهاق روحه ؟

جـ : لا أسأل عنه .

س : كيف ؟

جـ : لأن مقصدى هو قتل الظالم أنور السادات .

س : وهل هذا المقصد يبيح لك قتل غيره ؟
جـ : يجوز لى قتل من يعترضنى للوصول إليه .
س : وما سندك فى هذا شرعا ؟
جـ : هذا فهمى .
س : ما الذى عندك من الفقه فى الدين ؟
جـ : قليل ولا يذكر .
س : وكيف استحللت لنفسك قتل رئيس الجمهورية ، وظننت أنك تثاب من المولى عز وجل دون علم ولا فقه بالدين ولا بالأدلة الشرعية ؟
جـ : هذا الأمر لا يحتاج إلى علم كثير . ولكن ما أعلمه أن هذا الظالم كان لا يحكم فينا بكتاب الله أولا . ثم إنه كان يستهزىء ببعض آيات الله سبحانه وتعالى ، مثل انه قال عن الحجاب الشرعى أنه خيمة . وكان يحارب المسلمين فى كل مكان بجنوده ، وأقصد الأمن المركزى ، حتى إنهم دخلوا بعض المساجد وقبضوا على من فيها ، وضربوا فيها قنابل الدخان ، وحاربوا علماءنا وأصدر أوامره بالقبض عليهم لأنهم يقولون قولة الحق بحجة أنه يريد أن ينهى الفتنة الطائفية ، واعتقل رجاله الكثير من المسلمين ، حتى إنهم كانوا يقبضون على النساء من الشوارع . وهو قد خرج من دين الله بالكلية ، بكلمة قالها وهى لادين فى السياسة ولا سياسة فى الدين .
س : وكيف تيقنت أن الأسباب التى سردتها تبيح قتله ، رحمه الله عليه ، شرعا ، حالة كونك لا فقه لك ولا فكر ؟
جـ : المرتد التارك لدينه يقتل شرعا !
س : ما مصدرك ؟
جـ : سمعت العلماء يقولون أن المرتد حلال الدم .
س : من سمعته من العلماء يقول ذلك ؟
جـ : لا أذكر .
س : ما الذى دعاك كمسلم يعلم أنه سيقف موقف الحساب أمام مولانا سبحانه وتعالى يوم الحساب إلى العزم على قتل رئيس الدولة ؟
جـ : انتقاما لدينى . وشتم العلماء على الشاشة الصغيرة وقال إنهم كلاب إذ قال إن المحلاوى مرمى فى السجن زى الكلب وقال عن الشيخ حافظ سلامة بتاع السويس لا أتحدث عنه لأنه مجنون ، وشوه صورة الإنسان المسلم ذى اللحية ، وقال إنه مضلل ، وقال كلام كثير .

س : ماذا ؟

جـ : وقال عن هؤلاء العلماء الذين هم فى السجون هم الذين يضللون الشباب المغرر بهم ، بينما هو الذى يضلل عوام الناس ، ونحن لا نأخذ ديننا منه ، بل نأخذ من هذا العالم الذى زج به فى السجن وقال عنه كذا وكذا .

س : من العلماء الذين غضبت لسجنهم وبلغ غضبك درجة التزام قتل الرئيس ؟

جـ : الشيخ المحلاوى والشيخ حافظ سلامه والشيخ يوسف البدرى وعمر التلمسانى والشيخ عبد الحميد كشك والشيخ آدم صالح والشيخ عبد الله السماوى .

س : وكيف أدركت أن هؤلاء علماء ؟

جـ : سمعت لكل هؤلاء إلا الشيخ يوسف البدرى ، ولكن سمعت عنه الكثير .

س : المحلاوى مثلا .. كيف استمعت إليه وهو بالاسكندرية ؟

جـ : هو كان بييجى مصر وله شرائط فى السوق .

س : والشيخ حافظ سلامه هل استمعت إليه ؟

جـ : نعم فى مسجد النور بالعباسية .

س : والتلمسانى ؟

جـ : سمعت له فى مسجد النور وفى الأزهر .

س : أشيخك هو ؟

جـ : هو شيخ كل المسلمين ويدعو إلى الله على بصيرة ، ولكننى لست فى جماعة الإخوان المسلمين ولا أى جماعة .

س : من كان أمركم فيما عزمتم عليه من اغتيال رئيس الجمهورية ؟

جـ : أخونا خالد هو الذى يسر لنا الطريق .. وهو الذى خطط ودبر

خالد أحمد شوقى الاسلامبولى :

(٢٤ سنة) .. ملازم اول عامل .. بالقوات المسلحة

كان غير مكلف أصلا بالاشتراك فى العرض العسكرى . ولكن لغياب ضابط آخر ، كلفه قائد الكتيبة الرائد مكرم عبد العال بالاشتراك ، يوم ١٩٨١/٩/٢٣ أى قبل العرض بـ ١٣ يوماً وحضر أول بروفة . وكان قد اشترك فى العرض العسكرى فى العامين السابقين .

س : كيف نشأت فكرة استغلال ظروف تعيينك فى العرض لاغتيال الرئيس ؟

جـ : احنا بدأنا الكلام عن أحوال المسلمين (مع محمد عبد السلام) وأنا كنت نفسيتى متأثرة بما يحدث فى البلد واما قلت له انى مشترك فى العرض ، ولكن أقوم بأى

حاجة تخلصنا من هذا الحاكم الظالم ذهب بهذه الفكرة وابدى استعداده لأى مساعدة أحتاجها من الافراد أو الذخيره .

س : وما الذى دعاك إلى عرض هذه الفكرة على محمد عبد السلام بالذات ؟

جـ : هو فقيه .. عنده علم بالأمور الدينية .. ربنا فتح عليه ويعتبر عالم . وكنت استريح له .

س : وكيف عرفت انه عالم ؟

جـ : من جلساتى معه . والاستشارة فى الأمور الدينية وهو يخطب الجمعه ويلقى الدروس فى مسجد صغير أهلى بجوار منزله . واسم المسجد عمر بن عبد العزيز أو عمر ابن الخطاب .

س : هل كان يشير عليك بقراءة كتب معينه ؟

جـ : نعم .. كتب ابن تيمية وهى الفتاوى والجهاد للمسلمين .. وكتاب الجهاد فى سبيل الله لأبى الأعلى المودودى ونيل الأوطار للشوكانى .

س : وهل تحدث معك بشأن التتار وجانكيز خان ؟

جـ : نعم .. قال لى أن هؤلاء الناس ــ أى التتار ــ أظهروا إسلامهم وقاموا بحكم البلاد بقانون يسمى الياسق ، وآخذوا بعض الشريعة وتركوا البعض الآخر وكانوا ينطقون بالشهادتين ولكنهم افسدوا فى البلاد .

س : ولماذا التحدث عن التتار بالذات ؟

جـ : كمثال لما يجرى فى بلادنا من حيث الحكم بغير كتاب الله .

س : كم مرة تدارس معك محمد عبد السلام موضوع التتار ؟

جـ : مرة أو مرتين تقريبا من مدة ثلاثة شهور أو أربعة هذا العام .

س : وهل نصحك بقراءة كتاب بعينه بشأن ما فعل التتار ؟

جـ : نعم . اشار على بقراءة كتاب مجموعة الفتاوى لابن تيمية .

س : وماذا قال ابن تيميه فى شأن هؤلاء التتار ؟

جـ : قال انهم يقاتلون ولو نطقوا بالشهادتين

س : وماذا قرأت أيضا فى موضوع الجهاد ؟

جـ : قرأت بشأن محاربة ابى بكر الصديق لمانعى الزكاة رغم نطقهم بالشهادتين وكثرة قيامهم الليل حتى قيل ان ركبتيهم كانتا كركبة البعير .

س : وما الحكم الشرعى المستخلص مما تقدم ؟

جـ : وجوب محاربة الحاكم الذى لا يحكم بكتاب الله .

س : تقصد انه يكون حلال الدم شرعا .

جـ : نعم .. ولو نطق بالشهادتين . وقام يصلى مثل مسيلمة الكذاب الذى كان يصلى ويصوم ولكنه نبرج عن الاسلام بقوله انه رسول الله .. والقاعدة الشرعية أن كل من يتبرج من باب لابد ان يعود منه والمولى سبحانه وتعالى يقول : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » .. كما قال سبحانه « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

س : وما هو قانون الياسق الذى اشرت إليه ؟

جـ : هو قانون من وضع البشر ، أدخلوا فيه بعض شريعة الله من نواحى مختلفة .

س : وما وجه الاحتجاج بذلك القانون المسمى بالياسق ؟

جـ : ان قوانيننا الوضعية تشبه هذا القانون وكلها من وضع البشر ونحن نحاول تعطيل الشريعة وندعى أننا نقننها .

س : لماذا كنت تتوجه إلى مسجد عمر بن عبد العزيز الذى تحدثت عنه ؟

جـ : المساجد كثيرة ولكن مساجد الأخوة قليله وأنا لا أصلى إلا فى مساجد الأخوة .

س : ما الذى تقصده بمساجد الأخوة ؟

جـ : أقصد الاخوه الملتزمين بالاسلام قلباً وقالبا .

س : وكيف تعرفهم ؟

جـ : يطلقون اللحية ويلبسون قميصا وسيماهم فى وجوههم من أثر السجود .

س : ومتى اهتديت إلى معتقداتك الحالية ؟

جـ : منذ سنة ونصف تقريبا .

س : وقبل ذلك .

جـ : كنت شابا عاديا

س : وما هى الظروف التى غيرت فيها مسارك الفكرى ؟

جـ : بالاستماع إلى الأخوة فى مسجد نجع حمادى ، وربنا سبحانه وتعالى يسر لى الطريق .

س : انت متهم بأنك خططت ودبرت لاغتيال الرئيس وساهمت فى تنفيذ مخططك ؟ ..

جـ : أنا اعترفت بكل شىء . وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

س : ما الذى كنت تقصده ؟

جـ : ردع أى حاكم لا يلتزم بكتاب الله .

س : وما الذى كنت ترجوه من قتل الرئيس ؟

جـ : إن كل واحد يأتى بعده يرتدع ويأخذ عبرة .

س : ومن العلماء الذين توقرهم ؟

جـ : الأستاذ عمر التلمسانى والشيخ حافظ سلامة الذى يخطب فى مسجد بالعباسية وبتاع السويس الذى قيل عنه إنه مجنون . والشيخ كشك .
س : هل سبق استدعاؤك لإداره المخابرات الحربية ؟
جـ : نعم .
س : متى ولماذا ؟
جـ : من سنة تقريبا . وكان سبب استدعائى هو معرفة نشاطى الدينى .
س : وماذا قالوا لك ؟
ر : نبهوا على بالابتعاد عن مساجد معينة وعن أشخاص معينين والبعد عن التزمت .
س : من هم الأشخاص الذين نبهوا عليك بالابتعاد عنهم . ؟
جـ : عبد اقه السماوى وهو من التكفير والهجرة .
س : وما المساجد التى أمروك بالابتعاد عنها ؟
جـ : المساجد التى يتردد عليها عبد اقه السماوى مثل مسجد أنصار الإسلام فى مصر الجديدة .
س : من الذى قام بالتفتيش للتثبت من عـدم وجود ذخائر أو إبر ضرب نار فى الاسـلحة ؟
جـ : لم يقم أحد بالتفتيش على الذخيرة . ولكن كان هناك أمر بنزع إبر ضرب النار ولم يفتش احد للتثبت من تنفيذ ذلك . وكل ضابط كان مسئولاً عن كتيبته .
س : الم يفتش قائد الكتيبة للتثبت مما تقدم ؟
جـ : لا .. ولكنه أمر الضباط فقط بالتفتيش .
س : وقائد اللواء ؟
جـ : لم أره .
س : وأى مستوى قيادى أعلى
جـ : لم يحدث .
س : وأية أجهزة اخرى ؟
جـ : مفيش .
س : ما الأدلة الشرعية التى كنتم متفقين عليها بشأن استحلال دمه شرعا ؟
جـ: قتال أئمة الكفر
س : ألم تبحثوا الأمر فى مناسبات سابقة ؟
جـ : قبل ذلك كنا نتكلم فى موضوع تحكيم شرع اقه فى الأرض .

س : بأية وسيلة ؟

جـ : قتال ائمه الكفر .. والتقى محمد عبد السلام معى على هذا الأسلوب .

س : اوضح ..

جـ : كنا نتـــدارس أحكام التتار وذلك فى أبواب القتـــال .. وذلك من مدة ستة أو ســبعة شهور .

س : لماذا وجهك محمد عبد السلام لقراءه تاريخ التتار وفتوى ابن تيميـة فى موضوعهم بالذات . دون سائر السير والفتاوى .

جـ : كنا نتكلم فى القوانين التى تحكم البلاد وأننا نرى ما هو مشابه لهذا العصر وهو عصر التتار .

س : وما فتوى ابن تيميه فيهم ؟

جـ : وجوب قتالهم ..

س : ومن فى مصر مثل التتار ؟

جـ : الحكام ..

س : من أى وجه ..

جـ : الحكم بغير كتاب الله .

س : التتار كانت لهم مذابح وفظائع مثل حرق المدن وقتل النساء والأطفال الأبرياء وإلقاء المراجع الإسلامية فى نهر دجلة حتى اسودت منها مياه النهر من الحبر الذى دونت به هذه المراجع فهل فى زماننا من يفعل ذلك ؟

جـ : يكفى عدم الحكم بكتاب الله .

س : ولكن الرئيس رحمه الله هو الذى أدخل فى الدستور لأول مرة فى تاريخ البلاد أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وترك لمجلس الشعب واجب تنفيذ هذا النص الدستورى فكيف نشبهه هكذا بالتتار سواء أنت أو محمد عبد السلام أو غيركما ؟

جـ : هذا الكلام ليظهر انه حاكم مســـلم يريد أن يطبق الشريعة وليضحك بهـــا على الشعب .

موضوع الإبر :

س : ومتى ومن أى طريق بلغك الأمر الخاص بنزع إبر البنادق الآلية ؟

جـ : رائد مر بعربة جيب للتنبيه على المعسكر كله ليلة العرض والرائد يسرى قال لنا ننفذ .

س : وهل تأكد الرائد يسرى من التنفيذ ؟

جـ : سألنا فقط وهوه قال اجمعوا الإبر وأنا جمعنها عندى

س : ألم يقم بعدها بالتأكد من تمام التنفيذ ؟

جـ : لا

س : وماذا كان ترتيبك فى حالة قيام أحد بالتفتيش على الإبر والذخائر كما يقضى الواجب فى هذه الفترة الطويلة .

جـ : أنا مكنتش عامل ترتيبى لأنى طلعت ثلاث عـروض قبل كده ، ولم يحصل تفتيش .

محمد عبد السلام فرج :

(٢٧ سنة ــ مهندس كهربائى بادارة جامعة القاهرة) .

اعترف المتهمون السابقون بأن كل التخطيط لمقتل السادات تم فى منزله . وهو الذى تكفل بإحضار أشخاص آخرين مع خالد الاسلامبولى وكذلك الذخيره . وكان مختفيا بعد الحادث . ثم قبض عليه . وفى أولى جلسات التحقيق أنكر واستمر فى الانكار .

س : ألا تعرف خالد احمد شوقى الاسلامبولى ؟

جـ : لا . ولم اره الا فى الجرائد فى حادث مقتل السادات .

س : قرر خالد الاسلامبولى وعطا طايل وعبد الحميد عبد السلام أنك اشتركت معهم فى تدبير تآمر لاغتيال رئيس الجمهورية وأنك أعنتهم عليه .

جـ : لم يحدث .

س : هل هم كذابون فجار افتروا عليك بالكذب ؟

جـ : هذا فى علم الله

س : وهم قد اعترفوا بجـرمهم تفصـيلا وأشركوك فيه ، فهل قارفوا إثما ورموا به بريئا هو أنت .

جـ : الله أعلم .

س : وما حكم من يفعل ذلك شرعا ؟

جـ : هذا يختلف حسب الجريمة نفسها .

س : أوضح

جـ : المتناول يكون معذورا والمتعمد يكون قد ارتكب خطأ كبيرا

س : ألم تمدهم بأفراد لمشاركتهم فى تنفيذ الاغتيال ؟
جـ : لم يحدث
س : ألم تمدهم بذخائر لمشاركتهم فى تنفيذ الاغتيال ؟
جـ : لم يحدث
س : قرروا ذلك فى التحقيق أمامنا .. أمجرمون هم ؟
جـ : لم أقل انهم مجرمون والله اعلم بظروفهم .
س : أحق ما قالوه أم باطل ؟
جـ : ما قالوه بالنسبة لى لم يحدث قط
س : قال خالد فى التحقيق إنه يظن أنك فقيه فهل هذا صحيح ؟
جـ : أنا لا أستطيع أن ادعى أن هذا صحيح .
س : كيف يكون صلاح الدنيا فى معتقداتك ؟
جـ : بدعوة الناس وتغيير أفكارهم وبإخراج الشوائب منها فنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر بالحسنى .
س : وبحسب معتقداتك الدينية .. هل تستباح الدماء ؟
جـ : طبعا الدماء حرمة ولا تستباح .
س : نسألك عن الحكم الشرعى فى فعلة اغتيال رئيس الجمهورية بحسب اعتقادك الدينى الإسلامى ؟
جـ : أنا لا أقر هذه الفعلة .
س : على أى اساس ؟
جـ : على أساس أن للدماء حرمه .
س : هل يفهم من قولك أن الرئيس رحمه الله قتل مظلوما ؟
ر : الله اعلم
س : ولكنك قلت إن الدماء لها حرمة ، فما معتقدك الإسلامى بشأن قتله . أحق هو أم ظلم ؟
جـ : فى حدود علمى أن الاعتداء على الدماء حرام . أما بالنسبة لهذه الحادثة فحسابها عند الله .
س : هل يفهم من ذلك ان قتل الرئيس رحمه الله قد يكون بحق أم انه ظلم بين ؟
جـ : هذه الحادثة قد يكون فيها ظلم .. ولكن مرتكبيها قد يكونون متأولين .
س : ماذا تقصد بقولك متأولين ؟
جـ : يعنى انه يجوز انهم قرأوا أو استدلوا على أنه حلال الدم

س : وهل هو حلال الدم فى شرعتك ومنهاجك ؟

جـ : لا

س : فهل يحل لك شرعا أن تعين على سفك الدماء ؟

جـ : لا يحل لى ذلك وأنا لم أعن على سفك الدم .

س : ولكن القتلة قرروا أنك أعنتهم فما قولك ؟

جـ : لم يحدث أنى اعنتهم وأريد مواجهتهم .

س : ولماذا استباحوا قتل آخرين .. إذا كان مقصدهم هو قتل انور السادات فقط ..

يجيب على ذلك عبد الحميد عبد السلام بقوله :

ــ هذا جائز شرعا فى عقيدتى . ودليلى هو الآية « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام : استيقظ الرسول عليه الصلاة والسلام قلقا فسألته السيدة عائشة فقال .. « يغزو جيش الكعبة فيخسف الله بهم عن بكرة أبيهم . فقالت السيدة عائشة : أيخسف بهم وفيهم المؤمن والمجبور والمطاوع . قال نعم ولكن يبعثون على نياتهم رواه الحاوى للفتاوى لجلال الدين السيوطى باب العرف الوردى من أخبار المهدى .

ويجيب على ذلك عطا طايل حميدة بقوله .

ــ كان يرد فى توقعنا أن يقتل بعض الأفراد الجالسين جنبه ، ولكن كنا نعلم الحكم الشرعى فى موتهم ، إنهم يبعثون يوم القيامة على نياتهم وقد يبعثون شهداء . والحكم الشرعى هو لا تترس الكافرون ببعض المسلمين فيجوز قتل المسلمين حتى نصل إلى قتل الكافرين ويبعث المسلمين على نياتهم شهداء يوم القيامة .

عطا طايل حميدة :

قام خالد بالحديث معى عن وضع البلد والحاكم والأدلة الشرعية على كفره وعلى وجوب قتله من الكتاب والسنة ، فعلم أننى موافق على ذلك ، وهذه الأدلة لا يستطيع أحد ينكرها . فابلغنى خالد إنه لو حانت لى الفرصة لقتله فهل ستقدم على ذلك أم لا ، فأبلغته أننى بالطبع سأقدم فورا .

س : هل كان مقصدكم أن يكون الاغتيال مقدمة لسلسلة من الاحداث .. تنتهى إلى تغيير نظام الحكم ؟

جـ : نعم . أولا بأدلتنا الشرعية بوجوب قتل هذا الحاكم لأنه كان يعتبر رأس الكفر والفساد الدينى فقلنا بعد قتله ربما يأتى حاكم يحكم بما أنزل الله ويقيم شرع الله وإن لم يحكم فقد تكون له عظة فى هذا الحاكم الذى يشاق الله ورسوله .

س : ولكن الرئيس محمد أنور السادات رحمه الله هو الذى أدخل فى الدستور لأول مرة فى تاريخ البلاد أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وكان يصلى ويصوم ويقرأ القرآن فما الذى جعلكم تيأسون من تنفيذ ما عزم عليه عندما أدخل هذا النص فى الدستور ؟

جـ : لا يهمنا نص على ورق . ولكن الذى يهمنا هو التنفيذ . وكل ما نراه هو حق ما تبقى من الشريعة الإسلامية وهو قانون الأحوال الشخصية قام بإلغائه ووضع قانونا جديدا . وكان هناك النص الذى فى الدستور أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وعلمنا كل يوم بأن كتاب الله يعرض على مجلس الشعب ، ليوافق عليه أم لا . وللأسف لا يوافق عليه تحت اسم عرض تقنين الشريعة الإسلامية .

قصة التنظيمات السرية فى القاهرة والأسكندرية وأسيوط والمنيا

روى قصة هذه التنظيمات السرية المهندس مقدم/ممدوح محرم حسنى أبو جبل (٣٦ سنة) فرع أسلحة وذخيرة الجيش الثانى الميدانى .

قال فى التحقيقات :

بدأت الالتزام فى بداية السبعينيات بالعبادات . وبدأت أقرأ فى كتب التفاسير والفقه المختلفة . وفى بداية عام ١٩٧٧ .. بدأت أواظب على الخطب والدروس للدعاة الملتزمين الذين يميلون إلى الخوض فى السياسة وخلطها بالدين أمثال الشيخ عبد الحميد كشك والشيخ يوسف البدرى والشيخ عبد الرشيد صقر والشيخ المحلاوى من الأسكندرية . والشيخ آدم صالح من المطرية . وقابلت طه السماوى وشهرته عبد الله السماوى . ومن سماعى لهؤلاء اعتنقت فكرة الحاكمية وهى الحكم بما أنزل الله ووجوب قيام الدولة الإسلامية .

ثم التقيت بمحمد عبد السلام فرج فى أوائل أبريل هذا العام وتناقشنا فى رسالة الفريضة الغائبة وهى تأليف صالح سريه الذى حكم عليه بالإعدام فى قضية الكلية الفنية . ووارد فى هذه الرسالة بعض النصوص من الكتاب والسنة تحرض على الجهاد وفريضته ومعظم الرسالة بعد ذلك عبارة عن فتاوى مستخرجة من فتاوى ابن تيميه ومنتقاه بطريقة ترد على جميع

الاستفسارات فى هذا السبيل وموجهة بحيث تبيح إراقة الدماء والسلب والنهب لأموال الأبرياء .. كذلك فتوى تبيح قتل المسلم إذا تترس به الكفار . والكفار هنا المقصود بهم هم أى فرد فى المجتمع يوالى الحاكم الذى لا يحكم بما أنزل الله علاوة على الحاكم نفسه . ويدخل فى هذا افراد القوات المسلحة وأفراد الشرطة على اعتبار أنها أجهزة تحمى النظام الكافر ويستندون فى هذا إلى حديث ضعيف فيه ما معناه أنه سيكون عليكم أمراء لا يحكمون بالكتاب فمن أدركهم منكم فلا يكونن لهم عريفاً ولاشرطيا ولاجابيا ولاخازنا . وهذا الكتاب غايته شحن قارئه فى اتجاه محدد . وهو أولا تكفير النظام الحاكم من قمته إلى قاعدته ثم العمل بكل الوسائل على هدم هذا النظام لإقامة النظام الإسلامى حسب ادعائه بما فى ذلك الوسائل الدموية بصرف النظر عما يمكن أن يريق من دماء الأبرياء بالاستعانة بإمكانيات وأموال مسلوبة من نفس نظام الدولة وممتلكات الأفراد على أساس أنها فىء أو غنيمة بدون قتال . وتقضى الرسالة على هذا السؤال وتسد كل ذريعة أمام أى متقاعس عن الجهاد . من وجهة نظر هذه الرسالة .

ثم قال ..

إن محمد عبد السلام أبلغنى أن التنظيم به أفراد عسكريون علاوة على المدنيين . وأن تجنيد أولئك الأفراد يتم بعناية فائقة من بين المتطرفين أو الملتزمين بالإسلام فى القوات المسلحة وخارجها والذين يعتنقون مبدأ التكفير وإقامة الدعوة الإسلامية . وهذا التنظيم هو امتداد لسلسلة جماعات الجهاد التى كان مبدأ نشاطها الجماعة التى أسسها صالح سرية .

الهدف :

وقال إنه اجتمع بخالد وشركائه فى منزل محمد عبد السلام .. وكان الاتفاق على فتح النيران على المنصة مع التركيز على الرئيس أنور السادات والنائب حسنى مبارك وباقى القيادات الموجوده فى المقصورة . وكان عبود الزمر على صلة بالجماعات وكان اسمه الحركى « منصور » .

أسلوب العمل :

قال : هذه الجماعة .. جماعة محمد عبد السلام تتبع نظام يسمى النظام العنقودى . وهذا يعنى أنها تتكون من خلايا . كل خلية لا تزيد على ٧ أفراد على رأسهم فرد يتولى الاتصال برئيس التنظيم . وهى مشهورة باسم جماعة محمد عبد السلام ، وذلك لتمييزها عن الجماعات الأخرى مثل جماعة عبد الرؤوف بشبرا وجماعة عبد الله السماوى بعابدين وجماعة رفاعى سرور بالمطرية وجماعة محمد الدبيسى بكوبرى القبه وجماعة خالد الزعفرانى بالاسكندرية . كما يوجد بالاسكندرية جماعة اسمها جماعة الجهاد واعرف بها مساعدا أو رقيب أول بالقوات المسلحة البحرية يعمل بالورش البحرية .. يدعى سيد ابراهيم . ويوجد بالاسكندرية جندى مؤهلات عليا يدعى جبر من الأسلحة والذخيرة يمكن أن يدل على جماعات الاسكندرية .. ويوجد جندى مؤهلات يدعى أشرف أخبرنى بأن بالبحرية مقدم مستعد لتهريب الأخوة لخارج مصر لوجه الله فى حالة القبض عليهم .

وجرت محاولات فى الآونة الأخيرة لتوحيد هذه الجماعات كلها فى جماعة واحدة . مثلا ..

كانت جماعة عبد الرؤوف بشبرا تحاول أن تتحد مع جماعة عبد الله السماوى .. وكذلك جماعة محمد عبد السلام تحاول أن تنضم إلى هاتين الجماعتين بعد أحداث الزاوية الحمراء . وهى كلها جماعات تتفق فى الفكر والهدف على أساس أنها كلها جماعات جهاد تعتنق مذهب صالح سرية ولكن تختلف فى أسماء الأمراء فقط .. والمشكلة عندها الزعامة التى يسمونها الإمارة . وأفراد جماعة محمد عبد السلام من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخص فى القاهرة وأسيوط والمنيا . ويتركزون بالقاهرة فى بولاق الدكرور والقرى التى حولها . وله مجموعة استشارية منها عبود الزمر (منصور) وكانت تواجه الجماعة مشكلات مالية .. ولكن حلت هذه المشكلات بعد السطو على محل جواهرجى فى شبرا الخيمة .

ومن العسكريين المنضمين لجماعة محمد عبد السلام .. غير عبود الزمر وعطا طايل وخالد وحسين وصبرى .. ملازم أول طبيب اسمه طارق ونقيب أو رائد فى القوات الجوية اسمه عصام وهو يطير بطائرة ميج ٢١ .. وآخر فى الطيران لا أذكر اسمه وعدد من الفنيين بالقوات الجوية .

وخارج تنظيم محمد عبد السلام .. هناك شخص اسمه محمود دياب ، ينتمى إلى تنظيم أكبر وله امكانيات أكبر ويضم عناصر فى القوات المسلحة ومحمود دياب ببكالوريوس الزراعة بجامعة عين شمس .

الثورة الشعبية

عبود عبد اللطيف حسن الزمر :

(٣٥ سنة . مقدم بالقوات المسلحة) .

أوضح عبود الزمر ضابط المخابرات الحربية ، الخطة التى كان يدبرها للثورة الشعبية ، لإقامة حكم إسلامى .

وإننى أنشر هنا فقرات من إجاباته فى التحقيق معه فى قضية مقتل السادات ، شرح فيها اقتناعه وهدفه وتدبيره .

ــ تعرفت على محمد عبد السلام فى أغسطس عام ١٩٨٠ وكنت استغرقت حوالى العام فى فترة قراءات دينية لأحدد موقفى من الجماعات . وحدثنى محمد عبد السلام فى الفكر الجهادى ، أى فى شرعية الخروج على الحكام وجهاده بالقتال و أوصانى بقراءة تفسير بن كثير .. وأعطانى كتابا صغيرا بعنوان الفريضة الغائبة وهو يتناول الأدلة الشرعية على شرعية قتال الحاكم ومن يعاونه من أجل إقامة الدولة الاسلامية ويرد على الحجج التى تنادى بضرورة تكوين قاعدة عريضة أو التعلم أولا قبل بدء الجهاد .

وتعددت الاجتماعات ومعنا نبيل المغربى واقترحت ـ لأنى عسكرى ـ ضرورة عمل خطة بإحكام . أى السيطرة على الأهداف الحيوية .. مثل مبنى وزارة الدفاع ومبنى الإذاعة وقيادة

الأمن المركزى ووزارة الداخلية وقتل بعض الشخصيات الهامة بحيث يؤدى هذا القتل إلى إرباك القيادات وفقد السيطرة على الدولة .. مثل وزير الداخلية وقائد الأمن المركزى ووزير الدفاع ووزير الخارجية .. أو بشل حركتهم وإفقادهم السيطرة على أمور الدولة . فضلا عن قتل الشخصيات المؤثرة من الأحزاب الشيوعية حتى لا تركب الموجة وتستغل الحركة الإسلامية لصالحها مثل خالد محيى الدين علاوة على شل شبكة المواصلات فى القاهرة والجيزة ..

ثم قال :

ـ وفضلا عن خطة الإحكام هذه كنت أفكر ضمن الخطة الشاملة ، فى إخراج الشعب المسلم فى مظاهرة لتأييد الثورة الشعبية بعد إعلان البيانات الخاصة بتفجير الثورة الإسلامية فى الإذاعة . مع إجراء مواجهات محدودة مع عناصر الأمن المركزى وقد تتعرض للمظاهرات وذلك بغرض كسر حاجز الخوف أمام الجماهير لكى تنطلق .

وكذلك فقد اتزان القوات المسلحة بإعلان بيانات وهمية فى الإذاعة بوصول تأييد بعض قادة هذه الفرق .

وقد كنا بصدد وضع خطط تفصيليه لتنفيذ جميع هذه العمليات بعد جمع المعلومات وتدريب أفراد .. ثم بدأنا فى أخذ خطوات عملية لتنفيذ هذا المخطط . وتكوين مجلس شورى على مستوى مصر كلها مكون من محمد عبد السلام ونبيل المغربى وأنا .

وقد تولى محمد عبد السلام القيام بالدعوة فى المناطق المختلفة .

وتولى نبيل المغربى تدريب الأفراد فى موضوعات الطبوغرافيا والأمن والتدريب على الأسلحة أما أنا فكنت أتولى عملية التخطيط للثورة الشعبية وقتال الأهداف .

وكان تخطيطنا أن يتم تدريب الأفراد فى داخل المنازل على فك وتركيب الأسلحة وأن يتم التدريب على الرماية فى مرحلة تالية قبل العمل مباشرة وذلك فى المناطق الجبلية وفى وقت قصير حتى لا نتعرض للانكشاف .

وبالنسبة للتمويل قامت الجماعة بتنفيذ عملية غنيمة على محل ذهب يملكه نصرانى فى منطقة شبرا الخيمة وأخذت الجماعة حوالى نصف كيلو ذهب وبيع هذا الذهب بما يزيد على ٤ آلاف جنيه وتم ذلك فى آخر يوم فى شهر رمضان ـ وقد قمت أنا بوضع خطة مهاجمة هذا المحل . وقد تم شراء أسلحة بهذه الأموال (واورد تفصيلاتها فى التحقيق) .

وقال الزمر إنه وضع تسجيلا لتحركات رئيس الجمهورية ووزير الخارجية ورسوما تدل على مواقع منازل مثل منزل صوفى أبو طالب ومنزل خالد محيى الدين . كما اعدكروكى لمباحث أمن الدولة . وقد كنا نعد لمواجهة التحرك الصليبى فى حالة حدوثه وتحركه ضد الإسلام .

من صاحب الفتوى ؟

وقال طه الزمر أن الدكتور عمر عبد الرحمن (ضرير) واقامته فى الفيوم (رئيس قسم التفسير بجامعة أسيوط) قد نصبوه أميرا عاما فى مصر كلها . وهو الذى أفتى بأن مال النصارى

حرام بصفة عامة ولكنه يكون حلالا بالنسبة لمن يثبت أنه محارب للاسلام أو مظهر للعداء له أو معاون للكنيسة وكل تجار الذهب من النصارى يعاونون الكنيسة .

وقد استفتوا الدكتور عمر عبد الرحمن فى شرعية قتال الحاكم وقتال الأمن المركزى والشرطة وغنم أسلحتهم . كما أفتى بحل دم الرئيس أنور السادات .

تغيير خطة الاغتيال :

قال الزمر :

ــ كانت الخطة الأصلية أن يقتل أنور السادات فى استراحة القناطر الخيرية . وقد توجهت إلى القناطر لاستطلاع المكان ، ووجدت صعوبات ضخمة لوجود حراسات على الكبارى وأفراد مباحث فى المناطق المجاورة وتبينت أن الاتجاه إلى تخطيط تفصيلى أفضل .

ولما تقرر الاغتيال فى العرض العسكرى ووافقت بشرط ألا يذكر خالد وجماعته أى شىء عنا فى التحقيق ..

ووافقت على خطة مهاجمة الإذاعة . « جاءنى الملازم أول طبيب محمد طارق قبل مقتل الرئيس بليلة فى شقتى بالهرم وأبلغنى أن الاخوه قرروا استغلال الموقف بإخراج سلاح من وحدة الرقيب صابر بألماظه كتيبه مقر وزارة الدفاع باستخدام منوم يوضع للجنود فى جاتوه للحصول على ٢٧ بندقية آلية وذلك بغرض مهاجمة الإذاعة بعد الاغتيال مباشرة ولم تعجبنى الخطة فى بادىء الأمر ولكنى وافقت فى النهاية بعد أن علمت أنهم رتبوا الأمر » .

وقد التقى محمد عبد السلام ـ كما جاء فى أقوال محمد طارق ـ مع محمد البلتاجى بحضور محمد طارق . وتشاوروا فى عملية الدخول والخروج من الإذاعة وطلب منه محمد عبد السلام أن يكون متواجدا بالإذاعة لأن مهمة حتحصل فى العرض العسكرى وأنه يحتمل « أن يأتى ناس من المسلمين لإذاعة بيان يوم العرض العسكرى .» ثم اشترينا شريط كاسيت ـ بناء على طلب عبود ـ ليسجل محمد عبد السلام بيانا للإذاعة مع صيغة بيان مكتوبة بنفس ما هو مسجل على الشريط وعمل صيغة لمنشور يطبع .. ورحنا الموسكى واشترينا خمس رزم من الورق .. وسلم كل ذلك لعبود الزمر .

وبعد الاغتيال توجهنا إلى عبود الزمر وقال إنه سيبدأ حرب عصابات وأصر على ذلك لأن هذه هى فتوى « الشيخ » ثم جرت اتصالات مع أشخاص فى الاسكندرية وطنطا .

أسلوب الدعوة إلى الجهاد :

شرح صالح أحمد صالح جاهين (٢٧ سنه) مهندس ميكانيكا انتاج متخرج من جامعة قناة السويس الأسلوب الذى اتبعه محمد عبد السلام فى الدعوة إلى الجهاد والثورة .

فهو يروى لقاءه مع محمد عبد السلام .. وماذا قال له ولعدد من الذين حضروا اللقاء :

قال صالح أحمد صالح :

كان محمد عبد السلام يكرر دائما ان الله سبحانه وتعالى وصف الذين لم يجاهدوا بأنهم

منافقون وان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار وأخذ يردد ان من لم يستجب لنداء الجهاد فإنه من المنافقين وإن المنافقين أقل درجة من الكفار والمشركين لأنهم كما وصفهم الله فى الدرك الأسفل من النار ، وأن المسلم إذا لم يستجب لنداء الجهاد فيجب عليه أن يحلق لحيته وأن يخلع قميصه وأن يبحث له عن فتاة يغازلها وتغازله . وكان يقول : اقرأ عن المخلفين الذين تخلفوا فقط عن الجهاد وكان الرسول والمسلمون فى غزوة فما بالنا بمن يتخلف عن الجهاد والإسلام ضائع ودين الله فى الأرض يهان وحرمات الله تنتهك ما بالنا بمكانه عند الله .

ثم جلس يقول وينظر الى وجوهنا وقد جمدت من آثار كلامه فيقول .. مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . لقد كان شباب صحابة رسول الله يتسابقون إلى الجهاد . وعبد الله بن عمر بن الخطاب ذهب إلى الرسول وهو ابن إثنى عشر عاما وطلب منه أن يجيزه للجهاد فلم يرض رسول الله . وعندما عاد فى المرة الثانية وهو ابن أربعة عشر عاما أجازه للجهاد . وإن الصحابى تزوج ودخل بامرأته وجامعها واثناء جماعه لها سمع منادى الجهاد فخرج ولم يغتسل فقاتل فى سبيل الله فقتل . فرأى رسول الله الملائكة تغسله بين السماء والأرض ، ثم قال : لابد أن تقسموا هذا القسم .. أقسم بالله العظيم .. أقسم بالله العظيم .. أقسم بالله العظيم .. ألا أتحدث بهذا الأمر إلى أحد على الإطلاق حتى ولو كان من المتدربين معى .

ومرة أخرى قال لهم محمد عبد السلام :

ــ بفضل الله ربنا .. من الله على المسلمين بناس بقالهم عشر سنوات لإقامة حكم الله فى الأرض . وأطلب منكم أن تقسموا . كل ما فى الأمر حنعلمكم إزاى تدافعوا عن أنفسكم وان فيه ناس فى الجيش ومدنيين . والأمر معد له تمام . وأخذ يشرح الاغارات والكمائن .

ومرة ثالثة قال لهم مؤنبا : هل أنتم رجال الإسلام . هل أنتم الذين سينتشر الإسلام على أيديهم . إنكم رضيتم بحياة النساء . إنكم الآن نساء الإسلام لا رجال الإسلام . والنساء فى الإسلام هم الذين لا يجاهدون . وأنتم رفضتم الجهاد . كنا نظنكم رجالا .

ويتحدث صالح أحمد صالح عن تدبير عبود الزمر بعد وقوع حادث المنصة كما قال عبود له « ممكن أن نزيل حاجز الخوف عند الجماهير بضرب عربات الأمن الموجودة فى الميادين . ثم بعد ذلك نوزع منشورات تقول إن هذه حركة اسلامية .. ثم بعد ذلك يأتى العيد فتخرج مظاهرة من عابدين حيث تقام صلاة العيد (٧ أكتوبر) إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون وأيضا إلى قصر عابدين ومظاهرات أخرى ــ من مكان إلى آخر إلى مبنى الداخلية ... ومظاهرة أخرى من العباسية إلى مبنى وزارة الحربية » .

وكان عبود قد تلقى رسالة من محمد عبد السلام بأن يرتب الأمر بعد وقوع الاغتيال .

كما كانت هناك فكرة عرضها نبيل المغربى .. وهى إحداث فرقعات تشغل الرأى العام . ومثال ذلك إحضار عربة بوتاجاز قريبا من مكان اجتماع للحكام وتشعل حتى الأنابيب بطريقة تحدث فرقعة فى الجو فتحدث ذعرا يفهم منه أن هناك عملا كبيرا قد حدث .

وقال صالح أحمد صالح إنه اعتنق فكرة الجهاد ليس على أنه إراقة دماء .. ولكن الأمر كما

صور لى لن يتجاوز أن يكون المسلم مستعدا ، وأن يكون المسلم مهيأ للجهاد فى سبيل الله ضد أى عدو .. وكانوا يلوحون فى البداية أن ذلك ضد ما يفعله النصارى فى وادى النطرون ، ولم يصور لنا على أنه ضد المسلمين الناطقين بالشهادتين وإنما صور لنا على أساس مايفعله النصارى ضد المسلمين وكانوا يقولون أنه توجد ميليشيا مسلحة للنصارى .

التخطيط الشامل

إن اعترافات محمد عبد السلام فرج عطيه (مهندس) تعبر عن التخطيط الشامل للثورة الإسلامية . إنه العقل المدبر . وهو أمير جماعات القاهرة والجيزة التى انضمت إليها جماعات الصعيد . وهو صاحب كتاب الفريضة الغائبة . وهو الذى أمد خالد الاسلامبولى بالشركاء الثلاثة الذين نفذوا الاغتيال . وهو الذى أمر بتنفيذ الثورة الشعبية التى قدر لها أن تجرى بعد اغتيال السادات وقد نفذت تعليماته فى اسيوط .

وهذا كله من واقع اعترافاته .

وأوجز هذه الاعترافات من نصوص إجاباته . التى تعبر عن الدافع الى الثورة الإسلامية والى اغتيال السادات وكبار رجال الدولة كما كان مخططاً .

قال :

ــ أنا أعترف إنى المشارك الرئيسى فى عملية اغتيال رئيس الجمهورية وأن هذا كان وسيلة أبغى من خلالها تطبيق شرع الله عز وجل لإزالة الحكم الكافر .

ــ عرض على الأخ خالد أمر الاغتيال وأقررته وشجعته عليه وقمت بتكليف كل من عطا طايل وحسين عباس بالاشتراك فى الاغتيال ــ وقمت بتوفير الذخيرة اللازمة للعملية بما فى ذلك القنابل اليدوية . وقد عرض على الفكرة قبل الاغتيال بـ ٩ أيام .

ــ قابلت الأخ كرم زهدى وفؤاد الدواليبى وعاصم عبد الماجد واسامة حافظ وكلفتهم بعمل ثورة شعبية فى الصعيد تصاحب عملية الاغتيال وقالوا انهم سيكونون مستعدين للثورة الشعبية خلال اسبوع .

ــ كنا نقصد اغتيال رئيس الجمهورية ومن استطعنا اغتياله من معاونيه والسبب فى التعجل فى عملية المنصة أننا كنا نرى أنها تحقق هدفا كبيرا بالنسبة للرئيس ومعاونيه لأنها كانت توفر علينا جهدا كبيرا . وقد اتحدت جماعتى وجماعات الصعيد منذ اكثر من عام . والاتحاد معناه إننا متفقون على أسلوب الجهاد وقد اقنعتهم بذلك لأن فكرهم ومنهاجهم كان هو الدعوة داخل الجامعة وتغيير المنكرات داخل الجامعة بقوة اليد فقط . لقد غيرت منهاجهم ليكون شاملا للدولة

بأسرها ولا يكون مقصورا على استخدام اليد وإنما شاملا للأسلحة وغير ذلك من أدوات النقل . واستفتينا الدكتور عمر فى ذلك فأفتى بأن ذلك فرض على المسلم . وقد افتى بكفر الحاكم . والتصميم موجود سابقا على اغتيال السادات دون اتفاق على التوقيت . وكل افراد جماعتنا كانوا جاهزين مجهزين لتنفيذ الاغتيال .

ــ حكام اليوم أسوأ من التتار . التتار لم يكونوا يطبقون شريعة الاسلام كاملة ، وحكام اليوم لا يطبقون من الإسلام شيئا .

ــ وكفى أنور السادات حربا على الاسلام انه كان يمنع شرع الله وحكم الله من أن يقوم فى هذا البلد المسلم واضطهاده للمسلمين واستهزاؤه بأحكام الله ووصفه زى زوجات النبى ﷺ بأنه خيمة . واضحاكه للسذج ناقصى العقول الذين كانوا يستمعون إليه فى مجلس الشعب ، وغيره على فرائض الله . لقد وصف الزى الذى كانت زوجات النبى ﷺ يرتدينه بالخيمة ، ووصف التزام المرأة بيتها وحسب أمر الله تعالى « وقرن فى بيوتكم » بأنه تخلف . ووصف الشباب المسلم الملتزم بأوامر الله بأنه مهووس ومتطرف .

ــ أما عن النص الدستورى على تطبيق الشريعة الاسلامية فهو مردد منذ سنوات طويلة، ولم يطبق منه شيء ، وهذا يدل على أن العملية مجرد كلام فقط . « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

ــ كان مقصدى هو قتل الرئيس ، وكل من يشغل منصبا مؤيدا للحكم الكافر .

ــ صابر .. أخ فى التنظيم وهو رقيب فى الجيش بجهة بها مخزن سلاح بداخل الجيش وقابلته لأعرفه بالأخ صالح شاهين والأخ محمد طارق لاستخراج حوالى ٢٠ قطعة من السلاح لغرض عملية احتلال الاذاعة .

ــ كان بدء قيام الثورة الإسلامية هو السادس من اكتوبر باغتيال رئيس الجمهورية واحتلال الاذاعة . ومبنى العمليات بالقوات المسلحة . وقابلت الاستاذ محمد البلتاجى المذيع بالبرنامج العام لهذا الغرض .

ــ وكان تخطيطنا لتفجير الثورة الشعبية يقوم على أساس القيام باغتيال المسئولين المسيطرين بالدولة . والسيطرة على الاماكن الحساسة مثل الاذاعة وقيادة الأمن المركزى ووزارة الداخلية ووزارة الدفاع وفى نفس الوقت يتم قطع الاتصالات التليفونية واخراج مظاهرات عن طريق مكبرات الصوت فى الشوارع وفى نفس الوقت أيضا تقوم مدن الصعيد بعمل مظاهرات مؤيدة للثورة .

ــ لم يكن هناك تخطيط للوجه البحرى لأن المجموعات الجهادية بالاسكندرية تم حلها وتفرقوا من كثرة القبض عليهم .

ــ لم يكن فى تخطيطنا استخدام القوات المسلحة الا بعد قيام الثورة الشعبية الاسلامية ثم استخدام القوات المسلحة للسيطرة على الموقف . وهذا يختص به الاخ عبود الزمر . وكان استخدام أسلوب الانقلابات العسكرية لقلة الامكانيات العسكرية . وكنا نسعى لتجنيد العسكريين بغرض معاونتنا بخبراتهم العسكرية وإمدادنا بعدة من الجيش ساعة الحركة .

ــ وكلفت عبد المنعم المرزوقي بعمل رسم كروكي للمبنى الجديد لهيئة العمليات الذى يشترك فى تنفيذه بغرض معرفة غرفة العمليات للاستفادة من ذلك فى الحركة الإسلامية .

ــ مهاجمة المنصة كانت وسيلة الى الغاية وهى تفجير الثورة الاسلامية ولم تكن غاية فى حد ذاتها .

ــ كانت أكبر مجموعات فى الصعيد تشمل المنيا واسيوط وسوهاج وقنا وهناك جماعات إسلامية أخرى مختلفة عنا .

ــ توجد جماعة التبليغ والدعوة التى تتبع الشيخ ابراهيم عزت ، الذى هو إمام مسجد أنس بن مالك وفكرها قائم على تبليغ الدعوة للناس فى بيوتهم وفى القاهرة وفى الاماكن العامة . وهم يدعون إلى الصلاة والشعائر فقط ولا يتكلمون فى السياسات وليس هدفهم إصلاح الحكم نهائيا .

ــ وتوجد جماعة الاخوان المسلمين وطريقها هو دعوة الناس وتكوين قاعدة شعبية ولكنهم يتكلمون فى السياسة ويحاولون ان يتجنبوا المصادمات مع الدولة ولو أنهم يعلنون أن الاسلام لابد ان يقوم ويعود ولابد من إقامة الدولة الاسلامية بطريق كلدعوة طويلة الأمد .

ــ وتوجد جماعة التكفير والهجرة وحجمها ضئيل وقلة .

ــ منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ والحركة الإسلامية تعانى من عداء شديد من قبل هذه الثورة ـ ونحن المسلمين قد صبرنا كثيرا . وثورتنا ليست انتصارا لأنفسنا ولكنها تطبيق لأمر الله سبحانه وتعالى .

زعماء الصعيد

وقد أيد هذه الأقوال فى التحقيقات التى أجرتها النيابة العسكرية أمراء الجماعات فى اسيوط والمنيا وسوهاج وقنا .. وأضافوا إليها أمورا تتعلق بالفتنة الطائفية .. والصدامات بين المسيحيين والمسلمين فى الجماعات وغيرها .. وتوتر المشاعر بين المتعصبين من الجانبين . كما أضافت الاعترافات معنى كون المسيحى او اليهودى كافرا . ان الكفر هنا يعنى إنهم أهل الكتاب الذين كفروا بالكتاب وشوهوه .. فلم يعودوا مسيحيين او يهودا بل اصبحوا كافرين .

واجتزىء هنا بعض الفقرات من الاعترافات التى تقدم الصورة لالتهاب الموقف فى محافظات الصعيد :

من أقوال فؤاد الدواليبى (٢٨ سنة) تاجر موبليات بالمنيا :

ــ كانت الاتصالات مستمرة مع جماعات القاهرة والجيزة لكى نتبادل المعلومات والرأى حول ما تم إنجازه لاعداد الأفراد .. والسلاح .. وعرض المراحل التى تمت لتجهيز الانقلاب .

وكنا نلتقى كل أسبوع أو أسبوعين ، أو بحسب الاحوال . وشرح لنا عبود الزمر كيفية الانقلاب والاستيلاء على الاذاعة والتلفزيون . وخطة قتل رئيس الجمهورية ووزير الداخلية ووزير الحربية ومتطلبات هذه الخطة واحداث ثورة شعبية ، وكان يطلب منا تجهيز أنفسنا بالاعداد والسلاح وعلى هذا الأساس كان عملنا .

ــ سافرنا إلى القاهرة قبل اغتيال السادات واتفقنا على ترتيب أنفسنا فى قبلى للقيام بثورة بعد عملية الاغتيال مباشرة . ثم عرضنا الإمكانيات الموجودة فوجدنا أنها لا تسمح إلا بعملية محافظة واحدة . وقررنا عمل العملية فى أسيوط ومهاجمة مديرية الأمن والقسم الذى بجوارها . وكنت سائق العربة البيجو التى هاجمت مديرية الأمن .

من أقوال كرم محمد زهدى سليمان (٢٨ سنة) طالب بكالوريوس تعاون زراعى بجامعة أسيوط ومقيم فى المنيا :

ــ كانت الجامعات تنتهج نهجا مسالما فى نشر الدعوة ، باستثناء المنيا واسيوط حيث يسود التعصب المسيحى مما يدعو إلى إيقاع الحوادث الطائفية فى الجامعتين .

س : وما مرجع هذا التعصب فى رأيك ؟

جـ : فى رأيى أن المسيحيين يتركزون فى المنيا واسيوط ، وأن ، أعمالهم هناك تتسم بإظهار القوة والإستعلاء ، نظرا لكثرتهم ولوجود سلاح معهم مما دعا الشباب المسلم الى التنفيس ، ورد الفعل فى صورة حملات التبشير بالقوة والوقوف أمام مظاهر الاستعلاء الصليبى . ومما دعا أيضا إلى كثرة الحوادث الطائفية حيث إن النصارى دائما يقفون فى هذه المواقف بمظهر القوة المباشر فى السلاح وغيره .

س : بين المقصود من قولك بحملات التبشير ؟

جـ : حملات التبشير تبدو فى صورة نشر الكتيبات والبيانات النصرانية والمسجلات أيضا التى تهاجم العقيدة الإسلامية والتى تدعو الشباب إلى اللجوء للكنيسة . كما أن من مظاهر التبشير أيضا هو إظهار النواقيس والمظاهر الكنسية بصورة استفزازية فى غير مكانها كدق الأجراس فى مواعيد الأذان وتسيير التكتلات والجماعات المسيحية بصورة فيها إظهار للقوة وأيضا توزع الأناجيل أحيانا فى الأوتوبيسات العامة وفى الكامينوهات . حدث ذلك فى المنيا . كل هذه من مظاهر التبشير الصليبى .

س : وهل استجاب أحد من شباب المنيا لمظاهر التبشير هذه ؟

جـ : سمعنا أنه حدثت عملية فى الأسكندرية من سنتين ثلاثة وكنا نخشى على الشباب غير المتمسك بالدين الإسلامى والذى اعتاد على اللهو والكازينوهات من أن يتأثر بهذا الضغط التبشيرى وبالاغراء بالمال . وتظهر عمليات التنصير عندنا أيضا ، إن هذه الأعمال كانت تشعل نار الفتنة أكثر من النتائج الإيجابية .

س : ما هى الأسباب المباشرة التى أفضت إلى المواجهة الطائفية فى المنيا ؟

جـ : الأسباب المباشرة كانت عبارة عن استفزاز مسيحى لبعض شباب الجماعات الإسلامية بالضرب بأن وقعوا عليهم بالضرب بالأسلحة البيضاء فى حى نصرانى مما دعا الأخوة إلى

الرد والتجمع للثأر . وذهبوا الى بيت الجناة فوقف النصارى فوق أسطح المنازل وحملوا رشاشات وضربوا بالرصاص ثم حضر البوليس وحال دون وقوع الحادث وقبض على النصارى وعلى السلاح .

س : وما مصدر تمويل هؤلاء النصارى بهذا السلاح ؟

جـ : هم عندهم أموال كثيرة . واقتصاد شعب الكنيسة معلوم أنه على كفاءة عالية . وهم يشترون السلاح ويخزنونه على حد علمنا فى بيوتهم وفى كنائسهم انتظارا ليوم يخرجون فيه مثل لبنان ، حتى يعيدوا مصر كما ذكر الرئيس السابق الى بلد قبطية تكون عاصمتها أسيوط .

س : من المفهوم فى إجاباتك السابقة أن أسلوب الدعوة الإسلامية تحول من الدعوة السلمية الى الدعوة للجهاد ؟

جـ : تحول بالفعل فىالسنوات الأخيرة على أثر هذه الأحداث المتتالية إلى الدعوة الشاملة ، التى تشمل أيضا دعوة الشباب إلى الاستعداد لخوض الجهاد حتى وان كان ذلك على سبيل التحذير من الوقوع فى مخطط النصارى الواضح إعداده دون أن يكون الشباب المسلم مستعدا لذلك .

س : ومن من الدعاة فى مصر أول من نادى بهذا الفكر ؟

ر ـ : كل الدعاة الذين اعتدنا أن نسمع منهم قولة الحق ، كانوا يحذرون المسلمين فى الفترة الأخيرة من أعمال النصارى وساعد على ذلك إقرار رئيس الجمهورية بمخطط النصارى فى مصر .

س : وما مضمون فكر هذا الجهاد ؟

جـ : كان يتلخص فى دعوة المسلمين إلى الاستعداد ليوم يخرج عليهم النصارى بالسلاح ومضمون ذلك هو تحذير المسلمين من الاستمرار فى اللهو والعبث والتغافل عما يجرى حولهم .

س : على ماذا وافقتم فى الجلسة التى ناقشتم فيها موضوع الاغتيال مع مجموعات القاهرة والجيزة ؟

جـ : كانت موافقتنا على أن خالد سيفعل أمر القتل ومحمد عبد السلام سوف يحاول السيطرة على القاهرة كاملة ونحن نسيطر على أسيوط . وقد حددنا الأماكن الحيوية فى أسيوط وهى مديرية الأمن وأقسام الشرطة والطريق والسنترال .

س : وما الغرض من قيام الدولة الإسلامية ؟

جـ : هو تحكيم كتاب الله فى الأرض وما يتبعه من حدود شرعية وحكومة إسلامية وسلوك إسلامى ومظاهر إسلامية وإعلام إسلامى وعلم وثقافة شرعية ورفع راية الإسلام فى البلاد .

س : بماذا أفتاكم الدكتور عمر عبد الرحمن ؟

جـ : استفتيناه أيام حوادث الزاوية الحمراء فى حكم النصارى فى مصر بعد أن شهروا

السلاح وضربوا المسلمين بالرصاص . . وهم يصلون فى المسجد . فأجاب بأن النصرانى الذى يساعد الكنيسة بالمال بغرض إيذاء المسلمين والذى حمل سلاحا لمحاربة المسلمين ولا يساعد بالمال فى إيذاء المسلمين هو حلال الدم .

س : وهل قمتم بأى عمل بموجب هذه الفتوى ؟

جـ : نعم . اجتمع مجلس الشورى فى اسيوط وقرر الثأر من النصارى ، بعد أحداث الزاوية . واقترح على الشريف أن فى نجع حمادى محلات ذهب يملكها نصارى متعصبون أشد التعصب ، ويحملون السلاح لمحاربة المسلمين ومن أشد المساعدين للكنيسة بالمال الذى يشترى به السلاح للكنيسة . . يمكن مهاجمتهم وقتلهم والاستيلاء على غنيمة يشترى بها سلاح للتنظيم . ووافق المجلس على ذلك . وكلف على الشريف بأداء هذه المهمة على الفور وفعلا قام بأدائها وقتل ستة من النصارى وغنم حوالى خمسة ونصف كيلو ذهب وثلاثة آلاف جنيه تم صرفها على أغراض التنظيم . . سيارات وسلاح وذخيرة وبيانات وملصقات وغيرها .

س : هل كان مخطط أعمال أسيوط قدر لها يوم السادس من اكتوبر . . أم يكون توقيتها بعد اغتيال الرئيس السادات . ؟

جـ : كان مقررا لها حسب الإتفاق وقت الاغتيال . ولما لم يحضر لنا أسامة حافظ (رسول من القاهرة) فإننا لم نستعد لذلك . ولما حدث الاغتيال اجتمعنا وقررنا العمل صباح يوم العيد . . وكانت العملية ضرب مجموعات تحمل السلاح . . وحاولنا السيطرة على مديرية الأمن وأقسام الشرطة والسنترال .

س : وهل فى حكم الإسلام ما يجيز لنا السطو على من يشاركنا السكنى ويخضع لذات قوانين الدولة التى تجمعنا ؟

جـ : ليس ذلك . وإنما الإسلام يجيز محاربة واغتنام أموال الكفار الذين يحاربون أو يعدون لنا ولحربنا حتى وإن كانوا يسكنون بجوارنا . وذلك فى قول الله عز وجل « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » . وكان النبى ﷺ يسكن مع اليهود فى المدينة المنورة . وبعد أن وجد فيهم اتفاقاً مع قريش لحربه . . بادر بقتالهم . . وأخذ أموالهم وكانوا يسكنون معه فى المدينة ويخضعون للقوانين والعادات والتقاليد الموجودة . فالأمر اذن ليس أمر محاربة معلنة أو خفية ولكنها مقاومة .

س : هل تعدون المسيحيين كفارا ام أنهم من اهل الكتاب ؟

جـ : المسيحيون واليهود اسمهم فى الشرع الذين كفروا من أهل الكتاب . قال الله عز وجل « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم » وقال : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال : « قاتلوا الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » وهذا فى التفاسير اى النصارى واليهود المقصود بقول الله عز وجل « الذين كفروا من أهل الكتاب »

فهم أهل الكتاب ولكنهم كفروا بهذا الكتاب وبدلوه وحرفوه وجعلوا لله الصاحب والولد وكفروا وهذا لا تنفع معه وطنيته ولا قوميته . ولما نزل قول الله عز وجل « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . أمر رسول الله ﷺ بضرب الجزية على اليهود والنصارى فى سائر بلاد المسلمين وفى البلاد التى تخضع للإسلام . ولما دخل الإسلام هذه البلاد ضرب الجزية عليهم والأمثلة كثيرة فى التاريخ الإسلامى والأحكام موجودة فى كتب الفقه .

س : هل قبل عمر بن الخطاب فرض الجزية على مصر عندما فتحها عمرو بن العاص ؟

جـ : سيدنا عمر لم يوافق على بعض المظالم التى تمت هنا فى مصر لبعض المسيحيين مثل حادثة المرأة المسيحية التى أخذت منها ممتلكات كثيرة ، فرد إليها عمر ممتلكاتها . ومثل حادث ابن النصرانى الذى سبق ابن عمرو بن العاص . فقال اضرب ابن الأكرمين . ولكن حد الله عز وجل فى الجزية قام وطبق فى مصر وكان نصارى مصر مخيرين بين أحد ثلاثة أمور . إما الإسلام واما الجزية واما القتال . ولذلك فإن النصارى فى هذه الأيام يذكرون ذلك لشبابهم ويقولون إن المسلمين فى مصر كانوا أصلا نصارى ولما لم يقدروا على دفع الجزية دخلوا الإسلام .

وحيثيات الحكم فى قضية الجهاد

تجيب على السؤال ..

وقد أجابت حيثيات الحكم فى قضية تنظيم الجهاد .. على السؤال .. لماذا قتلوه .. وذلك عندما تعرضت الحيثيات للوقائع المتصلة بتكوين التنظيمات السرية وأهدافها ، جاء فى حيثيات الحكم :

فى أوائل عام ١٩٧٩ فكر المتهم محمد عبد السلام فرج — المهندس بإدارة جامعة القاهرة — فى إنشاء تنظيم حزبى غير مشروع ذى طابع عسكرى — وذلك بإنشاء جماعة إرهابية سرية ، الغرض منها الدعوة إلى مناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الدولة والمنصوص عليها فى دستور مصر .. والتحريض على مقاومة السلطات العامة وذلك بعد أن لاحظ هو أن تطبيق بعض المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الدولة أدى إلى انتشار الفساد والإفساد فى المجتمع والابتعاد عن تطبيق شرع الله برغم أن المادة الثانية فى الدستور تنص على أن الأسلام دين الدولة .. ومبادىء الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .. وبعد أن استقر فكر عبد السلام فرج على إنشاء هذه الجماعة السرية الارهابية

ووضع مستودع فكره فى كتيب أعطاه عنوان الفريضة الغائبة استخلصه من قراءاته لبعض كتب السلف وطبع منه ٥٠٠ نسخه .. ويخلص هذا الفكر فى أن طواغيث هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف وأن الرسول (ص) قد بشر بإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة وأن اقامة الدولة الاسلامية أمر من أوامر المولى وواجب على كل مسلم بذل قصارى جهده لتنفيذها .. وبالتالى فان إقامة الدولة الاسلامية فرض على المسلمين لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب أيضا وأنه إذا كانت الدولة الإسلامية لن تقوم إلا بالقتال وجب القتال على المسلمين .

وفى سبيل تنفيذ فكره وجه جهوده للشباب من بين العشرين إلى سن الثلاثين ليستعين بهم فى تأسيس وإدارة التنظيم لأنه كان يرى أن قلوبهم نظيفة قريبة من الفطرة بعكس الشيوخ الذين أصبحت قلوبهم منكوسه ، غير قابلة للحق .

تأسيس تنظيم المتهم محمد سالم الرجال :

وفى ذات الوقت كان المتهم محمد سالم الرجال (أردنى الجنسية وطالب علم بجامعة الازهر) يسعى بدوره لتأسيس تنظيم آخر يقوم على ذات الفكر الذى يدعو إليه محمد عبد السلام فرج ولكن عن طريق مختلف وهو الانقلاب العسكرى . وبدأ محمد الرجال فى وضع أسس هذا التنظيم ومقوماته ولائحته ومنهاجه للوصول إلى الحكم وتجميع معلومات عن بعض الشخصيات العاملة فى أجهزة الدولة .

ثم استعرضت المحكمة فى الحيثيات تشكيل التنظيم الخاص بعبد السلام فرج .. كما استعرضت نشاطه وطريقة إدارته .

تمويل التنظيم :

وكان تمويل التنظيم يعتمد ابتداء على التبرعات من المساجد وما يدره مشروع الاسواق الخيريه من ربح . ثم تطور الأمر إلى قتل بعض المسيحيين الذين يتاجرون فى الذهب ونهب وسرقة محتويات محلاتهم وقاموا بالفعل بالهجوم على ثلاثة محال لبيع الذهب واستولوا على ما بها بعد ان ارتكبوا حوادث قتل عديدة باستخدام الاسلحة التى اشتروها .

محاولة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة وقلب نظامها الجمهورى :

فى ٢ سبتمبر ١٩٨١ أصدر رئيس الجمهورية القرار رقم ٤٩٣ تضمن التحفظ على عدد ١٥٣٦ شخصا ممن توافرت قبلهم دلائل جديه على ارتكاب والمشاركة او استغلال الاحداث التى هددت الوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعى . وكلف المدعى الاشتراكى اجراء تحقيق سياسى مع كل من تم التحفظ عليهم وكان من بين من شملهم القرار كرم محمد زهدى وناجح ابراهيم وفؤاد حنفى وعلى الشريف وعصام درباله وعاصم عبد الماجد وأسامه ابراهيم ومحمد عبد الرحمن وآخرين من قيادات التنظيم .

بعد هذا القرار وتنفيذه اجتمع باقى اعضاء مجلس شورى التنظيم بالوجه القبلى وتم الاتفاق على التفرق لحين بحث الأمر .

وصدرت التعليمات إلى جميع أعضاء التنظيم بحلق اللحية والهروب من مساكنهم مع مداومة الاتصال فيما بينهم لتدبر الامر بعد القبض على نبيل المغربى وتفتيش منزل عبود الزمر والعثور

فيه على كميات كبيرة من الاسلحه والذخائر . في هذه الاثناء جرت محاولات لسرقة أسلحة إحدى الكتائب العسكرية ومحاولة أخرى لقذف سيارات جنود الأمن المركزى بالمفرقعات ثم محاولة السيطرة على مدينة أسيوط .

المنهاج الفكرى للمحكوم عليهم
فى قضية تنظيم الجهاد

استعرضت المحكمة فى الجزء الخامس من التحقيقات المنهاج الفكرى للمتهمين فى تنظيم الجهاد وساقت أولا فى معرض استعراضها كتيب الفريضه الغائبه وما حواه من فكر يدعو إلى القتال فى سبيل وضع الشريعة الاسلامية موضع التنفيذ ثم عرضت فكر كل من قيادات التنظيم على حده .

فقال عبود الزمر :

إنه توصل إلى أنه لأبد من الجهاد فى سبيل الله وقيام الدولة الاسلامية لتحرير البلاد من قبضة هؤلاء الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ولا يعرفون عن الاسلام سوى اسمه فقط .

وقال كرم محمد زهدى :

إن نظام الحكم القائم هو نظام جاهلى مخالف للشريعة وانه ينشد الاسلام كاملا دستورا ونظاما ومظهرا وحرية للفرد والجماعة بمعنى أن يكون رئيس الدولة أماما للمسلمين يحيط نفسه بأهل الحل والعقد وأن يكون شكل الحكومة عن طريق إيجاد علماء يختارهم أمام الدوله وشورته .

وقال ناجح ابراهيم عبد الله :

إن رئيس الجمهورية السابق كافر لأنه سخر من حجاب المرأة ووصفه بالخيمة .. وبذلك قد جحد حكما من أحكام الله كما أنه جحد أصلا من أصول الدين بمحاولته التفرقة بين الدين والسياسة . وأن المناداة بأن الطريق لإقامة الدولة الاسلامية هو الدعوة فقط أو الحصول على المناصب حتى يسقط النظام الكافر وحده .. هذا القول نظرى ولا يحقق قيام الدولة الإسلامية .

وقرر فؤاد محمود حنفى :

إن نظام الحكم الحالى هو نظام جاهلى وأن الدستور يحمل عبارات جوفاء ليس لها أى مدى من التطبيق .

وقرر على محمد الشريف :

ان فكره يقوم على تكفير رئيس الجمهورية السابق لأنه لا يحكم بما انزل الله وانه يتمنى ان يكون هناك حاكم مسلم ودولة اسلامية تحكم بشرع الله .

وقرر غالبية المتهمين بمضمون ما قرره هؤلاء المتهمون .

رأى الشيخ جاد الحق على جاد الحق

ثم استعرضت المحكمة رأى مفتى الجمهورية فى كتاب الفريضة الغائبة : والتقرير الذى أرسله بناء على طلب من النيابة العامة وفيه يقول :

* إذا ارتكب المسلم ذنبا من الذنوب بأن خالف نص كتاب الله او سنة رسول الله فإنه لا يخرج بذلك عن الإسلام مادام يعتقد صدق هذا النص ، ويؤمن بلزوم الامتثال له وانه فقط يكون عاصيا وآثما وان الكفر هو ان يجحد الانسان شيئا مما اوجب الله الايمان به بعد ابلاغه إليه وقيام الحجة عليه . انه لا يحل تكفير مسلم بذنب اقترفه .. وان من يكفر مسلما أو يصفه بالفسق يرتد عليه الوصف إن لم يكن صاحبه على ما وصف .
* ان الجهاد فى سبيل الله أمر جاء به القرآن وجرت به السنه وأن الجهاد نوعان .. فى الحرب وهو جهاد المشركين بشروط .. وجهاد فى السلم وهو جهاد النفس والشيطان .. فالجهاد ليس منحصرا لغة أو شرعا فى القتال بل إن مجاهدة الكفار تقع باليد وبالمال وباللسان والقلب .
* إن ما ورد بكتيب الفريضة الغائبة من قول بأن احكام الكفر تعلو البلاد .. وإن كان اكثرها مسلمين — هو قول يناقض الواقع فالصلاة تؤدى والمساجد تبنى ومفتوحه — والزكاه تؤدى والناس تحج إلى بيت الله فحكم الاسلام ماض فى الدولة إلا فى بعض أمور محدوده .. والتعامل بالربا وغير هذا مما شملته القوانين الوضعية وهذا لا يخرج الدولة عن أنها دوله مسلمة وشعبها مسلم لان الجميع حكام ومحكومين مؤمن بتحريم الربا والزنا والسفه ونعتقد صادقين ان حكم الله خير وهو الاحق بالاتباع .. والله سبحانه وتعالى يقول « اتقوا الله ما استطعتم » .
* إن الإسلام لا يبيح الخروج على الحاكم المسلم وقتله مادام مقيما على الاسلام يعمل به حتى ولو باقامة الصلاة .
* إن كتاب الفريضة الغائبة لا ينتسب إلى الإسلام وكل ما فيه أفكار سياسية .

الجزء الثانى

حدث قبل سبتمبر

الفصل الخامس : فى قلب الفتنة
الفصل السادس : المعارضة تشجع التطرف الدينى
الفصل السابع : قرارات سبتمبر
الفصل الثامن : كيف صدرت قرارات سبتمبر

الفصل الخامس ..

فى قلب الفتنة

السادات يطلب منى أن اكون حلقة اتصال بينه وبين البابا شنوده ـ اللقاء الاول مع البابا ـ ردود السادات على مطالب البابا ـ سياسة جديدة مختلفة عن سياسة البابا كيرلس ـ جيل جديد من المطارنة ـ حادث الخانكة وتسوية الأزمة ـ مشروع قانون الردة ـ انذار من السادات بعزل البابا ـ رسالة مكتوبة من البابا إلى السادات تعنى الترضية ـ نص الرسالة ـ اتصالات الانبا صموئيل تليفونيا برجال الدين المسيحى فى لوس انجلوس ـ برقية لهم من البابا ـ مذكرة الى سفارتنا فى واشنطن قبل لقاء كارتر باسماعيل فهمى ـ لجنة بمجلس الشعب ـ اجتماع السادات بالمجلس الاسلامى الاعلى ثم بالبابا والاساقفه ـ تأزم الموقف واجتماع آخر فى القناطر ـ خطاب الى المحافظين باسم السادات ، بأنه لن يسمح بالاعتداء على كنيسة ـ لقاء مصطفى خليل والبابا ـ انذار محافظ اسيوط بالفصل ـ قصة زواج تحدث أزمة ـ دور حنا نيروز المحامى ـ المتطرفون ، المسيحيون فى أمريكا يستفزون الكونجرس ـ القطيعة بين الرئيس والبابا ـ اجتماعات يوم السبت ـ الموقف يتدهور بعد قرار المجمع المقدس بعدم الاحتفال بالعيد ـ اقتراح لمصطفى خليل يغضب السادات ـ إعداد خطاب السادات عن الفتنة ـ اجتماع مع النواب الأقباط ـ السادات ضائق بشيخ الأزهر ـ أزمات مع صحيفة « الأخبار » ـ ضجة بسبب مقالات مستشار بمحكمة الاستئناف ـ مقتل الشيخ الذهبى ـ خطة جديدة يضعها السادات مع الدكتور زكريا البرى ـ تحقيق بمجلة تايم الأمريكية مع الأب متى المسكين ـ بيان المجمع المقدس بعد قرارات سبتمبر .

الفصل الخامس

« فى قلب الفتنة »

فجأة .. وجدت نفسى فى قلب الفتنة الطائفية .

قال لى الرئيس السادات : أريد منك أن تقابل البابا شنودة وأن تكون على اتصال مستمر به .. وأن تبلغنى بكل طلباته .. كما أننى سأبلغه برأيى عن طريقك ..

قلت : سيادة الرئيس أنا لا أعرف البابا شنودة .. ولم أقابله مرة فى حياتى ..

قال : يمكنك أن تعرفه .. وإننى أريد أن يكون اتصاله بى عن غير الطريق الرسمى .. كما أننى أشجع عقلاء الأقباط أن يكونوا حوله .. وبذلك نتجنب المشاكل التى يثيرها المتعصبون الذين يثيرون أزمات أو يخلقون أجواء عصبية لا داعى لها ..

وطلبت موعدا من قداسة البابا شنودة .. وأحسن استقبالى واستمرت جلستى الأولى معه حوالى أربع ساعات .. وقد شعرت بعد هذا اللقاء الأول أن البابا متأثر بأخبار وأفكار تضيق بها مشاعره . لقد تناقشنا وقتا طويلا ، فى موضوع صغير جدا ، وليس له أساس من الصحة . وكان من الممكن أن ينتهى النقاش فى خمس دقائق ، لأن الموضوع أبسط من أن يستغرق هذا الوقت .

قال لى البابا : هناك أوامر رسمية إلى الصحف بعدم ذكر اسمه مقدما بلقب « قداسة البابا » .. كما أن هذه الأوامر قد تطورت إلى عدم ذكر اسمه على الاطلاق فى أى خبر .

ودهشت من ذلك ، لأن هذا لم يحدث على الاطلاق . ولو حدث لكنت علمت به كرئيس لتحرير الأخبار .

ولم يصدقنى البابا .. وأكد لى أن ما يقوله صحيح .

وهنا سألته عن مصدره .. فاستدعى شابا ، استنتجت انه كان ينتظر هذا الاستدعاء .. أو أنه يتردد بصفة دائمه على مقر البابا فى دار البطريركيه .

ودخل الشاب .. وطلب اليه البابا أن يروى معلوماته .

فكرر ما سبق أن ذكره لى البابا .

وهنا سألت هذا الشباب : ومن أين لك بهذا الخبر ؟.

وقال لى أنه صحفى فى جريدة الجمهورية . وأنه سبق أن كتب اكثر من خبر عن قداسة البابا .. ولم ينشر خبر واحد .

وأفهمته أن هناك فرقا بين أن يكتب خبرا ، ولا ينشر . وهذا طبيعى فى كل الصحف ، وبين أن تكون هناك تعليمات بعدم النشر .. فهذا لم يحدث .

وأصر الشاب على موقفه .

وبدا أن البابا يصدقه ولا يصدقنى ..

فقلت للبابا : سأثبت لقداستك عمليا ، أن القصة كاذبة .. قل لى الآن أى خبر تريد أن تنشره .. وسوف تراه منشورا فى جميع الصحف غدا .. وسأقدمه إلى زملائى فى الصحف الأخرى ..

وأخيرا ظهر على البابا شنودة الاقتناع ..

ثم تناقشنا فى أمور أخرى .. كان أهمها من وجهة نظره وجود ظاهرة تعصب عامة ضد الاقباط فى الجامعات والوظائف الرسمية .. وهى ظاهرة تشجعها الحكومة — فى رأيه — أو على الأقل تأخذ منها موقفا سلبيا . وقال إنه يريد لم الشمل ولا يريد أن تتسع دائرة الخلافات .

وبعد الحوار الطويل ، أدركت أن المشكلات التى يريد أن يعالجها ، كما يرى متعددة ومتشعبة وليس من السهل الوصول إلى حلول وسط فيها .. وخاصة أن البابا لا يتزحزح عن رأى يبديه إذا كان مقتنعا به .

حدثنى عن أحقية الاقباط فى الوظائف العامة ، وفى مجالس شركات القطاع العام وفى وزارة الخارجية .. وفى المناصب القضائية ..

كما حدثنى عن ضرورة تعديل النص الدستورى الخاص بتعيين عشرة نواب فى مجلس الشعب .. وزيادة هذا العدد إلى عشرين وقد وضع هذا النص فى مشروع الدستور لكى يعين فيه نواب أقباط للتعويض عن عدم نجاح نواب أقباط فى الانتخابات بعدد كاف .

وتحدثت إلى الرئيس عن نتيجة المقابلة الأولى .. ولم يوافق على زيادة عدد المعينين فى مجلس الشعب وقال : إن الانتخابات ستتيح نجاح عدد من الاقباط .. وهو لا يريد أن يكون التعيين بأكثر من عشرة .. حتى لا يضيع الشكل الديمقراطى . أما عن النسبة

العددية للاقباط فى الوظائف العامة ، فقد قال لى الرئيس ، إن ذلك ينقلنا إلى وضع طائفى خطير كما هو حادث فى لبنان .. وأن الوضع فى مصر لا يحتمل ذلك .. وأن حياة المسلمين والاقباط فى مصر تتسم بالتسامح على مر العصور .. ولا داعى لتفجير هذه الفكرة التى تجلب الفرقة بين المسلم والمسيحى .

وقال لى الرئيس ان تعليماته واضحة للحكومة .. وهى أنه لا يحرم أى مصرى من ترقية يستحقها لأنه قبطى .. واذا وجد رؤساء متعصبون فى بعض القطاعات ، فهذا أسلوب أفراد وليس سياسة دولة .

وكان الرئيس يردد أنه تعلم فى سنوات دراسته الأولى فى مدرسة قبطية .. وأنه أخذ عن والده ، احترام رجال الدين المسيحى ، وتلقيبهم بلقب «ابونا» مثل ما يلقبهم به الأقباط تماما ..

وكان السادات فخورا بحقيقة تاريخية فى قرية ميت ابو الكوم وهى أن معظم ملاك الارض فيها من الاقباط . ومعظم الاجراء فى الارض .. من المسلمين .. ولم يحدث على مدى مئات السنين .. أى خلاف بين المالك القبطى ، والأجير المسلم .. وهذه هى روح الشعب المصرى ..

ولكن كان واضحا أن البابا شنوده ، منذ أن انتخب ، وصدر القرار الجمهورى بتعيينه ، قد قرر أن ينفذ سياسة جديدة غير سياسة سلفه البابا كيرلس الذى كـان معروفا بين المسلمين والاقباط بأنه رجل روحانى زاهد وكان رائجا ان صـلاته تحقق المعجزات فى الشفاء من الأمراض .. وأهم من ذلك كله أن علاقته بجمال عبد الناصر كانت طيبة .. وعن هذه العلاقة انتشرت ــ بين الأقباط ــ قصص كثيرة لا أساس لها من الصحة ، ومنها أن جمال عبد الناصر كان يلجأ إلى البابا كيرلس ، عندما تمرض زوجته أو أحد ابنائه .. لكى يحضر البابا إلى منزله ، ويصلى للمريض حتى يشفى .. وهذه قصص لا اساس لها من الصحة .. ولكن يبدو أن بعض الاقباط روجها كسبيل لاثبات أن بابا الاقباط هو الذى يصلى من أجل شفاء أبناء عبد الناصر .

ولم يكن البابا كيرلس على علاقة طيبة مع الانبا شنودة فى حياته ، ونفاه إلى أحد الأديره ..

وتختلف حياة البابا شنوده .. عن حياة البابا كيرلس .

كان كيرلس طوال حياته متعبدا بعيدا عن كل مظاهر الحياة المدنية .. ولكن شنودة بدأ حياته ، عضوا شابا فى حزب الكتلة الذى رأسه مكرم عبيد بعد انفصاله عن الوفد ، وكان يلقى قصائد الشعر فى الاجتماعات الحزبية العامة ، كما انخرط فى سلك الضباط

(الاحتياط) بالجيش .. وكان دائما على صلة بالحياة العامة . وكان يهوى الصحافة ويكتب مقالا أسبوعيا لصحيفة « الجمهورية » .. وهو قارىء متمرس ، من أكبر دارسى تاريخ الاسلام .. وتاريخ المسيحية . وله محاضرات عامة ناجحة .

ومن هنا .. فهو قد قرر أن ينفذ سياسة جديدة للمقر البابوى تعتمد على طبيعة شخصيته وعلى اهتمامه بالحياة العامة السياسية والثقافية .. وهو لكى ينفذ سياسته ، أبعد عددا من كبار الأساقفة عن العمل اليومى التنفيذى .. من بينهم الاسقف جريجوروس أسقف البحث العلمى ، وهو رجل مثقف ، يتمتع بسماحة روحية وله مريدون كثيرون من الاقباط .. وأعطاه البابا شنودة مكتبا فى مبنى البطريركية .

وكان متوقعا أن يبعد البابا شنودة (المرحوم) الانبا صموئيل ، وهو مختص بالاتصالات الدولية ، وله معرفة واسعة برجال الدين المسيحى فى جميع انحاء العالم .. وهو ممثل مصر فى مؤتمر الكنائس العالمى .. ولكن الانبا صمويل استطاع أن يحسن صلاته بالبابا شنودة .. وأبقاه البابا فى موقعه . وكان الانبا صموئيل — رحمه الله — يقوم دائما بمهمة تلطيف الجو خلال وقت الأزمات .. حتى انه اتهم من عدد من الاساقفه بأنه رجل الحكومة .. والحقيقة أن الانبا صموئيل الذى قتل يوم ٦ أكتوبر .. كان يتمتع بمرونة دبلوماسية فى التعامل ، ولا يقبل على تصرفات فيها شطط ، ويفضل دائما تهدئة الامور والمناقشه الموضوعيه التى توصله إلى أهدافه .

وانشأ البابا شنودة جيلا جديدا من المطارنة .. كلهم من الشباب المثقفين خريجى الجامعات .. اطباء ومهندسين ومحامين واساتذة جامعات .. وكانوا على أوثق الروابط به .. وهم من مؤيديه على طول الخط ..

كما أنه عندما انشىء المجلس الملى .. كان للبابا شنودة رأى مسموع من الحكومة فى اختيار اعضاء المجلس ..

كما أنه فى تعيينات مجلس الشعب ، كان رئيس الوزراء ، يطلب من البابا شنوده قائمة بالاشخاص الذين يرشحهم ، لكى تختار الحكومة من بينهم من يعين .

وقد ثارت أول أزمة حقيقيه .. أو أول اصطدام بسلطة الدولة فى الحادث المعروف بحادث الخانكة .

فى هذه المدينة الصغيرة ، يوجد منزل ، اتخذه المسيحيون وكأنه كنيسة للصلاة .. ولسبب ما ، وقع صدام .. وسارت مظاهرات قادها بعض المسلمين ، واتجهت إلى هذا المنزل الذى يستخدم كنيسة .. وبدأت اشعال الحريق فيه .. وأمكن رجال الامن تهدئة الموقف فى ساعة متأخرة من الليل .

وكان رد فعل البابا شنودة لهذا الحادث هو أنه أرسل فى الصباح التالى عددا كبيرا من المطارنة فى اتوبيس .. وكانت أوامره هى أن يقف الاوتوبيس خارج المدينه .. ثم يترجل المطارنة ، ويدخلوا إلى المدينه حتى يصلوا إلى «الكنيسه» ثم يباشرون الشعائر الدينيه ..

كان هذا التصرف بالغ الخطورة .. لانه كان يعنى أن تجرى الدمـاء فى شوارع المدينة ، اذا حدث أى صدام ، أمام هذا المظهر الاستفزازى . وأمكن لرجال الامن ، اقناع المطارنة بالعودة .. ولكن الموقف زاد التهابا ، وغضب الرئيس السادات وردد أن البابا شنودة ــ بهذا السلوك ــ لا يتصرف من منطلق حل المشكلات وتهدئتها بل إلقاء النار على الزيت .. مما يمكن ان يثير اوضاعا بالغة الخطورة لا سبيل إلى معالجتها .

واتصل بى الرئيس السادات تليفونيا ، وطلب منى أن أبلغ البابا شنودة بوجهة نظره . وتمت تسوية هذه الازمة .

ثم وقعت أزمة أخرى ..

نشرت بعض الصحف اخبارا عن مشروع قانون يعد لتطبيق الشريعة الاسلامية فى موضوع الردة .. ونشر فى النصوص ان المسلم الذى يـرتد عن اسـلامه يعـاقب بالاعدام . أى أن المسيحى إذا أشهر اسلامه .. ثم عدل .. فذلك غير مقبول وعقوبته الاعدام .

والحق أن النشر لم يكن دقيقا .. ولم يكن من مصدر رسمى يعبر فعلا عن اتجاه الحكومة إلى ذلك .

وأعلن البابا شنودة على الفور الصوم والصلاة فى جميع الكنـائس .. حتى تلغى الحكومة هذا المشروع ..

وزار ممدوح سالم رئيس الوزراء البابا شنودة وأكد له أن ما نشر لا يعبر عن رأى الحكومة ..

ثم جاءت الانباء من الخارج ان الاقباط المصريين فى امريكا سـوف يتجمعون للاحتجاج فى مظاهرات خلال لقاء كان قد اعلن عنه بين الرئيس الامريكى كارتر واسماعيل فهمى وزير الخارجيه .

واتصل بى الرئيس السادات وطلب منى أن اتدخل لدى البابا شنودة .. واعتذرت للرئيس السـادات عن عدم التدخل لأن وجهة نظر البابا انى لا أخلص النصيحة وانى فقط أدافع عن موقف السادات .

ولكن الرئيس السادات قال لى : ابلغه بأى طريق تشاء .. انه إذا لم يعدل عن مثل هذه التصرفات فانى سأصدر قرارا من سطرين بالغاء القرار الجمهورى بتعيينه .

وكان ذلك فى الاسبوع الأول من سبتمبر ١٩٧٧ .

وقلت للرئيس : سأبلغ ذلك إلى الانبا جريجوروس وهو رجل روحى عميق الفكر أمين فى إيصال الرسالة عامل على تهدئة الامور .

وذهبت إلى مكتب الانبا جريجوروس وأبلغته إنذار الرئيس وطلب منى أن أمليه نص كلمات الرئيس .. وكانت مكونه من اربعة بنود وامليته عليه .

ثم زارنى الانبا صمويل .. وتحدثت معه فى خطورة هذه التصرفات .. وأن رد فعل البابا السريع على ما ينشر فى الصحف لا يمكن أن يحل مشكلة .. ويؤدى إلى التعقيد لا إلى الحلول .

وسألنى .. ما الحل ؟

قلت : لا حل فى تفكيرى إلا أن يكتب البابا شنودة رسالة إلى الرئيس فيها معنى الترضية .. وبذلك يهدأ الموقف .

وتحدثنا طويلاً ، فى هذه الجلسة ، وفى غيرها من عشرات الجلسات ، انه من نعمة الله على مصر بمسلميها وأقباطها ، أن الرئيس السادات لا يعرف معنى التعصب على الاطلاق .. وليس هو فقط بل جميع أفراد أسرته .. ولذلك فليس من مصلحة الأقباط أن يقف البابا شنودة من الرئيس السادات موقف العناد والتحدى .. لأن السادات يرفض هذا الأسلوب تماماً .. ومعنى سلوك البابا شنودة ومطالبه السياسية .. هو أنه يتصور أن الرئيس السادات هو رئيس المسلمين وأنه — أى البابا — رئيس المسيحيين .. وهذا تصور غير معقول .. كما أن غالبية الأقباط غير المتعصبين .. يرفضونه تماماً .

ورفض البابا شنودة فى أول الأمر ، كتابة رسالة إلى الرئيس .. وكنت قد كتبت نموذجاً للرسالة — بناء على طلب الانبا صمويل .. وأعطيته له ، لكى يسلمه إلى البابا .. وفجأة طلبنى البابا .. واستقبلنى — لدهشتى — راضى النفس مستريح الأعصاب . وقال لى« اذا كان الحل لكى لا يغضب الرئيس هو ان أكتب رسالة فإننى سأكتبها بأسلوبى » .

وحمل لى الانبا صموئيل ، فى المساء رسالة بخط البابا اكثر وقعاً من رسالتى لأنها ترضى الرئيس تماماً » .

واتصلت بالرئيس .. وكان فى الإسماعيلية — وابلغته بما جرى .. وأردت أن اقرأ له الرسالة .. ولكنه اكتفى بفحواها .. واعتبر الموقف منتهياً . وكان سعيداً بذلك . ثم

أرسلت له نص الرسالة بعد ذلك فى مظروف مغلق .

وهذا هو نص الرسالة :

المجمع المقدس
للكنيسة القبطية الارثوذكسية

السيد الرئيس/أنور السادات ، حفظه الله .

تحيه طيبة مع صادق الدعاء ، وبعد ..

بمناسبة عيد الفطر ، أعاده الله عليكم وعلى كل إخوتنا المسلمين بالخير والبركة .

أكتب إليكم هذه الرسالة ، أحملها محبتى لكم ، وثقتى الكبيرة بكم ، وتقديرى لجهودكم الجبارة التى تبذلونها من أجل وطننا المحبوب وسلامه وسلامته ، ووحدته الوطنية .

كما أعبر لكم فى هذه الرسالة أيضاً عن أن اخلاص الأقباط لكم مبنى على حب وعقيدة . أما الحب فهو لشخصكم كانسان ، يقدر مشاعر الانسانية ويهتم بكيان كل إنسان وحريته وكرامته ، أما عن العقيدة فلأن الأقباط بحكم عقيدتهم الدينية يصلون من أجلكم كحاكم فى كل قداس ويصلون لأجل سلامة بلادنا .

هؤلاء الأقباط ياسيادة الرئيس ، الذين هم أعضاء فى أسرتكم الكبيره يضعون متاعبهم بين يديك ، وهم يثقون بمحبتكم وعدلكم وبحسن تصريفكم للأمور . إننا نرى أن سيادتكم ، هو دائماً صاحب القرار الذى يطمئن الجميع .

دمتم لمصر ، وللحرية وللقيم السامية ، والله نسأل أن يوفقكم ويقويكم ويرشدكم إلى ما فيه خير الجميع .

الرب معكم

وختاماً لكم خالص تقديرنا ، أعاد الله عليكم هذه الأيام بكل خير .

القاهرة فى : ١٠ من سبتمبر ١٩٧٧ .

البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة
المرقسية
ورئيس المجمع المقدس

وقال لى الأنباء صموئيل .. إن ترتيب لقاء بين الرئيس وقداسة البابا ، سوف يحل كل هذه المشكلات .

وتحدثت إلى الرئيس فى ذلك .. وكانت كلمته .. لا أقابله تحت ضغط .. عندما يصحح كل آثار هذه التصرفات .. فإننى مستعد للقائه على الرحب والسعة ..

وكان رجال الدين المسيحى المصريون مجتمعين فى ذلك الوقت فى مدينة لـوس انجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية على هيئة مؤتمر للمجمع للاحتجاج على ما نشر عن قانون الردة .

وايقافا لامتداد مثل هذه الاجتماعات .. حضر الانبا صموئيـل إلى مكتبى يوم الثلاثاء ١٣ سبتمبر ، واتصل تليفونيا ــ بتكليف من البابا ــ بقيادة المجتمعين فى لوس انجلوس وابلغهم أن كل المشاكل قد سويت وأن الاقباط فى مصر سعداء وطلب إليهم إرسال برقية شكر إلى الرئيس لاهتمامه بشئون الاقباط .

كما ارسل البابا شنوده إلى القساوسة فى امريكا وانجلترا واستراليا برقيه باسمه يوم الخميس ١٥ سبتمبر يخطرهم بأنه لا توجد قوانين جديدة وأنه يقدر قرارات الدولة . وطلب منهم ان يلتزموا الهدوء ولا داعى لأى انزعاج .

وهذا هو نص البرقية : ــ

Authorities assured us no new Laws to be issued. We appretiate this decision .

Inform all coptic in North America . Be calm . No need for anxiety . Blessings . Pop SHENOODA .

وأبلغت ذلك إلى الرئيس السادات .. الذى طلب منى أن اتصل باسماعيل فهمى وزير الخارجيه لوضعه فى الصورة قبل سفره . واتصل بى وزير الخارجية قبل أن أتصل به وطلب منى أن اكتب له مذكرة مختصرة ، لكى يرسلها إلى سفارتنا فى واشنطن .. حتى تكون الصورة واضحه . وكنت خلال ذلك على اتصـال مستمر بممـدوح سالم رئيس الوزراء وبدا لى أنه هو الذى اقترح ان يخطر اسماعيل فهمى بكل التفصيلات .

وهذا نص المذكرة التى ارسلتها إلى إسماعيل فهمى :

الموضوع : الاتصالات التى جرت بين رجال الكنيسة القبطية فى مصر والاساقفة المصريين فى أمريكا .

اقتراح بأن ترسل للدكتور أشرف غربال سفيرنا الحقائق التالية :

١ - اتصل الانبا صموئيل اسقف الخدمات بتكليف من البابا شنودة تليفونياً برجال الدين المسيحى أعضاء المجمع المجتمعين فى لوس انجلوس فجر يوم الثلاثاء ١٣ سبتمبر وتحدث إلى الأب غبريال وآخرين بالآتى :

** أنه مكلف من قداسة البابا بابلاغهم رسمياً ، أن كل المشاكل قد حلت . وان السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء قد زار البابا شنودة واجتمع به ساعة ونصف ساعة . وتأكد أنه لن تصدر اية قوانين . وأن المشكلات الأخرى كلها غير القوانين فى الطريق إلى الحل .

** قال لهم إن خبر زيارة ممدوح سالم نشر فى كل صحف مصر وأذيع بالراديو والتلفزيون فى كل النشرات .

** إن هناك الآن ابتهاجا بين جميع الاقباط فى مصر ، بهذه النتائج .

** ان السيد الرئيس أنور السادات سوف يستقبل قداسة البابا شنودة .

** طلب إليهم تهدئة الخواطر وإبلاغ جميع الاقباط بهذه النتائج المطمئنة للجميع .

** قداسة البابا الآن فى الدير وسيعود يوم الخميس ١٥ سبتمبر ويرسل إليهم برقية بذلك .

** قال لهم الأنبا صموئيل يجب التنبيه على الجميع بأن أى تحركات مضادة اثناء زيارة السيد إسماعيل فهمى وزير الخارجية ستكون ضارة جداً . وعلى أى قبطى يريد القيام بأى حركة ان يتصل بأسرته فى مصر تليفونياً ليعلم أن كل شىء قد انتهى ، وأن الجميع سعداء . وقال لهم الانبا صموئيل ان أى تحرك من هذا النوع سينعكس أثره بالضرر على الاقباط فى مصر .

** طلب إليهم الأنبا صموئيل ارسال برقية شكر إلى الرئيس السادات لاهتمامه بشئون الأقباط .

** طلبوا منه تأكيدا كتابيا فقال لهم ان قداسة البابا شنوده سيرسل إليهم برقية يوم الخميس بمجرد عودته من الدير .

** قال لهم ان وكالات الانباء العالمية سوف تذيع هذا وفعلاً اذاعت وكالة الاسوشيتدبرس برقية بأن الصلاة والصوم قد انتهى وأن البابا تلقى تأكيدات .. من السلطات بأن مشروعات القوانين التى نشرت سوف لا تصدر وان القيادات القبطية سعيدة بهذه النتائج .

** قال لهم ان الكنيسة احتفلت بعيد النيروز ، فى مهرجان وطنى كبير خطب فيه مسلمون ومسيحيون عن الوحدة الوطنية وأن الكل سعيد .

** نفى لهم الانبا صموئيل الاشاعات الكاذبة التى سمعوها فى أمريكا من أن أحد رجال الدين المسيحى قد قتل . وقال ان هذا كذب ، ولا أساس له من الصحة . وقال لهم ليس صحيحاً أن كنيسة فى الفيوم قد احترقت . لقد حصل اعتداء على منزل وسويت كل آثار الاعتداء .

كما ارسلت إلى إسماعيل فهمى نص برقية البابا ، واقترحت ردا على برقية الاساقفة المصريين فى امريكا إلى ممدوح سالم رئيس الوزراء ان يكلف الدكتور اشرف غربال سفيرنا بابلاغهم ان رئيس الوزراء تلقى برقيتهم الأولى وانه قام بزيارة البابا شنودة الذى وعد بابلاغهم نتائج مناقشة كل الأمور ، وان الجميع فى مصر حريصون تماما على الوحدة الوطنية وأنه يهم رئيس الوزراء ان يتلقى منهم مايشكون منه .. وذكرت لاسماعيل فهمى ان هذا الاقتراح قدم من الانبا صموئيل اثناء اجتماع رئيس الوزراء

بالبابا والهدف منه ان يشعر الاقباط هناك ان المسئولين هنا لايتجاهلونهم ويردون عليهم وقلت انه اقتراح عملى ومفيد .

وإذا عدت إلى حادث الخانكة .. فانى اسجل ان الرئيس السادات رأى حتى يكون الامر كله مطروحا على الشعب أن يجرى تحقيق فى ظروف الحادث ، وكل مايلابس هذه الظروف على مستوى الجمهورية فى مجلس الشعب . وهناك رأى طرح على الرئيس بألا يتدخل مجلس الشعب فى هذا الموضوع .. وأن يتصرف هو بالقرارات فى حدود حقه الدستورى كرئيس للدولة .. ولكن الرئيس فضل أن يطرح الصوره كلها أمام الشعب ، تجنبا للاشاعات ، وتحديدا للأمور فى اطارها الصحيح . وتألفت اللجنة البرلمانية برياسة الدكتور جمال العطيفى واعضاء من المسلمين والاقباط ، وأدت مهمتها بعد الاستماع إلى كل الاطراف ، وقدمت تقريرا ممتازا يتضمن أسلوب الحلول لجميع المشكلات ، وفى مقدمتها قرارات السماح ببناء الكنائس التى تصدر عن الحكومة اعتمادا على مرسوم همايونى وضع منذ مئات السنين .

ثم قام الرئيس السادات بزيارة للمجلس الاسلامى الاعلى برياسة شيخ الأزهر . واجتمع بهم وقتا طويلا ، وتحدث اليهم فى وجوب ترسيخ العلاقات الطيبة بين المسلمين والاقباط وايجاد نوع من التعاون بين القيادات الدينية واصدار مؤلفات مشتركة حول المعانى والقيم والمبادىء التى يشترك فى ارسائها الاسلام والمسيحية .. ثم اجتمع الرئيس بالبابا شنودة ومعه الأساقفة .. وتحدث اليهم فى هذه المعانى وصرح لهم بأنه اذا كانت طلبات البابا انشاء ثلاثين كنيسة فهو يوافق على انشاء خمسين كنيسة .. فليست هذه هى المشكلة . كما تحدث اليهم فى حل مشكلة الأوقاف المسيحية .

وبدأت فترة سكون .. وحدث تصور انه لن يثور شىء بعد هذا الاجتماع .. ولكن بمرور الوقت .. نشأت المشكلات من جديد .

فقد وقعت أحداث متفرقة ، فى بعض المدن الصغيرة والقرى وكان محورها اعتداءات متبادلة .. وفى بعض هذه الأحداث وقع مصابون .. وكانت سياسة الدولة ، بعد تحقيقات النيابة العامة ، هى ايجاد سبيل للمصالحة من كبار المسيحيين .. وكبار المسلمين فى القرية أو المدينة التى يقع فيها الحادث .. لأن تطبيق القانون فى هذه الحالات سيوجد مزيدا من الضغائن .. وكان الهدف هو القضاء على هذه الضغائن حتى لاتثور من جديد .

كما حدثت شكاوى من رجال الدين المسيحى ، من النبوى اسماعيل وزير الداخلية على أساس أنه يتباطأ فى تنفيذ تعليمات الرئيس ببناء ٥٠ كنيسة .. وعدم

تذليل العقبات الروتينية التى تثور من الموظفين المنفذين .. ثم بدأت تقع حوادث فى جامعة أسيوط وجامعة المنيا وجامعة الاسكندرية .. وكان يحدث التدخل دائما لتهدئة الاجواء .. وكانت الاتهامات متبادلة بين شباب ، الجماعات الاسلامية وشباب الاقباط .. وظهرت تحديات عنيفة من الجانبين وبدأت عبارة الاستشهاد فى سبيل المسيح تظهر على ألسنة شباب الاقباط .. وخلال ذلك بدأ نفوذ الجماعات الاسلامية يظهر فى الجامعات ، على ادارة الجامعة ، وعلى هيئات التدريس .. وتدخلت الجماعات الاسلامية ومنعت بالقوة حفلات الترفيه وغير ذلك .

وتكهربت الاجواء من جديد ..

واضطر الرئيس السادات ، إلى عقد اجتماعين جديدين .. للمجلس الاعلى للشئون الإسلامية وللأساقفة والمطارنة وأعضاء المجمع المقدس وكان ذلك فى استراحة القناطر الخيرية ، وطلب منى الرئيس السادات أن أحضر اجتماعه مع البابا شنودة والمطارنة حتى أكون شاهدا على كل مايجرى وحضر الاجتماعين ممدوح سالم رئيس الوزارء .

واستمر اجتماع الرئيس بشيخ الازهر المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود وعلماء المسلمين حوالى الساعة والنصف .. ثم استمر اجتماع الرئيس بالقيادات الدينية المسيحية أكثر من اربع ساعات . وفى هذا الاجتماع ، تحدث الرئيس السادات طويلا عن تاريخ الوحدة الوطنية فى مصر .. ثم طلب الى الحاضرين أن يتكلموا بكل صراحة . وأن يعرضوا كل مايعانون منه . وقال الرئيس فى هذا الاجتماع إنه لا يفرق بين مسيحى ومسلم فى أية وظيفة عامة . وضرب مثالا بى وقال إننى لم أطلب تعيينى رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم ولكنه اختارنى لأننى صالح لهذا المنصب .

كما ضرب مثلا بقيادات الجيش من المسيحيين التى حاربت بشجاعة فى أكتوبر . وقال ان اللواء فؤاد غالى قائد معركة القنطرة نال تقدير الدولة .. وهو من أقرب الناس إلى قلبه .. إلى آخر هذه الأمثلة وتحدث جميعهم وعرضوا حوادث عديدة متفرقة .. وكان الرئيس يصدر أوامر الحلول على الفور .. وصارحهم بأنه كان لايعلم شيئا عن هذه الحودات المتفرقة وكان يتصور أن الأحداث متركزة فى اسيوط والمنيا فقط .. وكان أشد الحاضرين عنفا هو مطران اسيوط الذى طلب الامان من الرئيس لكى يتحدث بصراحة .. وتكلم طويلا ضد محافظ اسيوط .. وروى وقائع عن منع المسيحيين من الاحتفال بعيد مريم العذراء فى كنيسة العذراء بالجبل .. وهو احتفال اعتاد المسلمون والمسيحيون على المشاركة فيه معا .

وشكر الرئيس السادات له صراحته . وقال لى الرئيس بعد ذلك انه يعرفه منذ أول أشهر الثوره ، وأنه الشخص الوحيد الذى خطب أمام جمال عبد الناصر فى أسيوط وهاجم الثورة .

وقال السادات فى هذا الاجتماع ، انه سيجعله دوريا مرة كل عام ، حتى تصفى كل المشكلات اولا بأول . وقال انه يسمح بانشاء مكان للصلاة فى كل قرية .. مثل « الزوايا » التى ينشئها المسلمون وقال انه غير مقتنع ابدا بأن يكون انشاء الكنائس طبقا للقرار الهمايونى ..

وكان الاجتماع فى قمة النجاح ..

وبعد انصرافهم ، وقفت مع الرئيس وممدوح سالم – فى ممر يفصل بين قاعة الاجتماع وبين الاستراحة – .. وقال الرئيس وهو غاضب لرئيس الوزراء : أرسل فورا الى جميع المحافظين باسمى بأنى لن أسمح أبدا بالاعتداء على كنيسة فى مصر .. وأننى سأفصل المحافظ الذى لايستطيع منع ذلك .

كما وجه الرئيس لوما الى ممدوح سالم لأنه لم يخطره .. الا باحداث اسيوط والمنيا .. وقال ممدوح سالم إنها حوادث بسيطة وتواجهها الحكومة ، ولاداعى لتدخل الرئيس فيها ..

ثم تولى الدكتور مصطفى خليل رياسة الوزارة ..

وبدأت الأحداث تتفاقم ..

ظهر نفوذ الجماعات المتطرفه فى الجامعات اكثر واكثر .. عنفت التحديات بين الشباب المسيحى .. والجماعات .. وخاصة فى جامعة الاسكندرية .. وكان الطالبات والطلبة المسيحيون يجتمعون فى الكنيسة .. مع نائب المطران ، وكان أسلوبه هو الرد العنيف وطلب من الطالبات تعليق صلبان خشبية كبيرة على صدورهم .. إلى آخر مثل هذه الأمور .. التى ألهبت المواقف .

كثرت الاعتداءات على ادارات الجامعات وخاصة فى أسيوط .

وزارنى الأنبا صمويل بعد ايام من تولى الدكتور مصطفى خليل رياسة الوزارة ..

وقال لى أنه يريد أن يدبر اجتماعا بين رئيس الوزراء الجديد والبابا يأخذ شكل زيارة من البابا للتهنئة .. ويكون فى حقيقته اجتماع عمل ..

وقلت للأنبا صموئيل انى ارحب بهذه الفكرة .. «وإذا كنتم تشكون من أن ممدوح سالم أو النبوى لم يكونا ينفذان تعليمات الرئيس .. فإن الدكتور مصطفى خليل يمتاز

بأنه كالخط المستقيم وإذا التزم بشيء نفذه ..» وهو يوافق أو يرفض بمنتهى الوضوح والصراحة دون اية مجاملة .

وتم الاجتماع فعلا فى مكتب رئيس الوزراء .. وكان الرجل مستعدا ، وأتى معه بالوزراء المختصين .. واتفق على دراسة المشكلات الطويلة المدى .. مثل مشكلة الاوقاف .. ومشكلة تغيير القرار الهمايونى لبناء الكنائس .. وبالنسبة للمشكلات الحالية والاحداث المفاجئة فقد طلب رئيس الوزراء من البابا أن يكون اتصاله به مباشرا وعلى الفور لمواجهة هذه الأحداث فى مولدها وقبل أن تتفاقم ..

وحدث فى جامعة اسيوط ، أن حاولت جماعة متطرفة أن تمنع الطلبة الاقباط من الاحتفال بأحد الاعياد .. وأعطى رئيس الوزراء تعليماته المباشرة إلى وزير الداخلية بالتصدى بالقوة واتاحة الفرصة للطلبة المسيحيين أن يحتفلوا بالعيد .. وانذر الدكتور مصطفى خليل محافظ اسيوط بالفصل إذا لم يعمل على تنفيذ هذه التعليمات . وبهذا صرح لى الدكتور مصطفى خليل .

ثم وقعت أحداث أخرى .. منها رواج قصة أن طالبا من الجماعات الاسلامية اغتصب ابنة اخت سكرتير البابا (وهو قس) وأجبرها على اشهار اسلامها وتزوجها .. وقد حقق الدكتور مصطفى خليل هذه الواقعة مرتين وطلب من وزير الداخلية استدعاء الفتاة ووالدتها واسرتها وعدد من النواب الاقباط .. وانتهى التحقيق إلى انها قصة حب عادية .. وأن الشاب ليس من الجماعات الإسلامية .. وأن الفتاة مصرة على الزواج منه وتحدت عائلتها أمام المجتمعين .

خلاصة القول أنه كانت هناك قوى من الجانبين تحاول تصعيد الاحداث وتضخيمها .. وزارنى خلال ذلك الأنبا صمويل .. وكذلك الأنبا اثناسيوس مطران بنى سويف وهو شخصية ممتازة .. وطلبوا منى ابلاغ الرئيس برغبة البابا فى مقابلته لحسم هذه الامور .. وقلت لهم ولكن لماذا لا يتصل البابا برئيس الوزراء وقد اتفقنا على ذلك .. لمواجهة أى حدث . ولم أجد اجابة شافية لسؤالى .. ولكنى فهمت أن البابا شنودة مصر على لقاء رئيس الجمهورية .. ممتنع عن الاتصال برئيس الوزراء ..

وخلال ذلك كان الرئيس السادات قد زار جامعة أسيوط وعقد اجتماعا اذيع على الهواء فى التليفزيون وعرض فيه كل التقارير التى تلقاها عن الوقائع المنسوبة للجماعات الإسلامية .. واستمع إلى آراء الاساتذة الذين أجمعوا على ضرورة وقف هذه الأحداث .. وتحدث احد الاساتذة وقال إن الدولة شجعت هذه الاتجاهات على أساس إنها تناوىء المد الشيوعى وهذا سبب تضاعف قوة الجماعات الاسلامية ..

المهم أن الرئيس السادات ، كان مقتنعا بمواجهة الموقف بأسلوب ديمقراطى ... وكان يهدف إلى أن تطرح كل الحقائق .. على الشعب ..

وبدأ حنا نيروز المحامى وعضو مجلس الشعب المعين والمستشار القانونى للبابا .. يترك رسائل إلى الرئيس فى مكتبه عن مطالب البابا .. وكان منها اجراء محاكمات قضائية فى كل الحوادث .. ثم المطالب السياسية الاخرى الخاصة بنسبة عدد المسيحيين فى الوظائف العامة .. وغيرها ..

وضاق الرئيس السادات بهذا الأسلوب وخاصة من حنا نيروز بالذات .. وكان الرئيس قد استدعاه وأبلغه بتعيينه عضوا بمجلس الشعب .. وطلب إليه أن يكون رسول توفيق وتهدئه مع البابا شنودة واعتمد الرئيس فى ذلك ، على أن حنا نيروز كان زميل دراسته فى المدرسة الثانوية ، وكانا يجلسان فى تخته واحدة . وروى الرئيس لى أن حنا نيروز كان من أسرة — مستورة — وهذا تعبير السادات . وكانوا يرسلون له كل يوم طعام الغداء فى «العامود» أما السادات فكان يعتمد على سندويتش الفول أو الطعمية لفقره .. ولكن حنا نيروز كان يصر على أن يشاركه زميله وصديقه أنور فى طعام «العامود» .

اعتمد الرئيس على هذه الخلفية .. وفوجىء بأن حنا نيروز منحاز انحيازاً كاملا لأسلوب البابا شنودة .. مما ضاعف من ألم الرئيس .

ثم حان موعد رحلة الرئيس إلى امريكا ..

خلال ذلك كان عدد من المتطرفين المسيحيين الذين هاجروا إلى امريكا وحصلوا على الجنسية الأمريكية قد بدأوا إصدار مجلة باللغة العربية يتحدثون فيها عن الاضطهاد الذى يلقاه المسيحيون .. وكانوا يتابعون أعضاء الكونجرس بالخطابات التى تتحدث عن وقائع اضطهاد مبالغ فيها إلى درجة مثيرة للأسف .. ومن ذلك فإنهم زعموا أن الأقباط لا يستطيعون الخروج من منازلهم وإلا تعرضوا للقتل أو الاختطاف أو اغتصاب النساء منهم !

وفوجئنا فى هذه الرحلة ، بأن منشورات من هذا القبيل توزع فى الشوراع المحيطة بمقر إقامة الرئيس السادات . كما تجمعت اكثر من مظاهرة أمام البيت الأبيض ترفع لافتات ضد الرئيس ! وظهرت اعلانات مستفزة فى صحيفتى النيويورك تايمز والواشنطن بوست ..

ولكن الرئيس السادات لم يفاجأ بذلك ...

كانت لديه معلومات قبل السفر ، أن هذه المظاهرة مدبرة من قبل ، بالاتفاق مع

البابا شنودة فى القاهرة ، وتلقى الرئيس تقارير عن الأشخاص الذين حضروا من امريكا لهذا الغرض .

وقد سمعت ذلك من السادات وقال لى حينئذ : كل ذلك موجود ومدون لى وبأسماء الأشخاص .

وكان البابا شنودة فى نفس الوقت قد ارسل الانبا صمويل إلى أمريكا لكى يعمل على تهدئة الموقف .. كما حمل رسالة إلى الأقباط يطلب منهم العدول عن هذا الأسلوب ..

ولكن الرئيس السادات لم يتقبل هذا الأسلوب . وكان مقتنعا تماما بأن البابا شنودة هو الذى دبر ، وهو فى الوقت نفسه يريد أن يأخذ شكل دور المهدىء .. بعد أن نفذ خطته ، لأن الانبا صمويل وصل متأخرا إلى أمريكا بعد أن جرى كل ذلك .

والحق أن البابا شنودة لم يقتنع بوجهة نظر عدد من الشخصيات القبطية العامة الذين أرادوا أن يوضحوا ، أن تحركات الجماعات الإسلامية المتطرفة موجهة ضد الدولة ورئيس الدولة .. ولذلك فإن من مسئوليته أن يترك الدولة تعالج مشكلتها .. أما أن يتدخل هو لكى يضيف عبئا جديدا فوق اكتاف الرئيس السادات فانه بذلك يعرض مصالح الأقباط للخطر .. ويخسر عاطفة الرئيس .. ويصعب من إمكانيات الرئيس لحل المشكلات .

ولكن البابا شنودة كان مصرا على أن تجرى المحاكمات .. وأن هذا هو الحل الوحيد ..

وجاء ما حدث فى أمريكا .. منهيا تماما للعلاقات بين الرئيس السادات والبابا .

ولذلك فقد رفض الرئيس السادات الاجتماع بالبابا بعد ذلك .

وفى حدود فهمى ، فإن المتعصبين من المسيحيين المصريين الذين هاجروا إلى أمريكا فى الستينيات تصوروا أن العلاقات الجديدة التى ارساها السادات مع امريكا .. ستتيح لرئيس أمريكا أن يتدخل فى موضوع الأقباط وفق ما يريدون .

وهذا تصور خاطىء ..

وكان ألم الرئيس مضاعفا من البابا شنودة لأنه عندما عرض البابا أنه سيزور الكنائس القبطية فى أمريكا .. سمح الرئيس بذلك بل طلب من سفيرنا فى واشنطن أن يصحب البابا فى اللقاءات الهامة .. كما طلب السفير موعدا للبابا شنودة للقاء الرئيس كارتر . وحضر السفير اللقاء . وقد قال الرئيس كارتر للبابا شنودة .. إن الرئيس

السادات معجب به ، وأنه حدثه عنه كثيرا وسأله كارتر عن عدد الأقباط فى مصر . وقال كارتر أنه سمع أنهم سبعة ملايين .. وربما كانت هذه الملاحظة من الرئيس كارتر هى التى صورت لبعض القيادات القبطية أن الرئيس الأمريكى مهتم بمشكلات الأقباط .. لأن وجهة نظر الكنيسة أن عدد الأقباط فعلا ٧ ملايين وليس ٣ ملايين أو أقل كما سجلت الاحصائيات .

على أية حال ، هذه مجرد استنتاجات راجت فى ذلك الحين .. ولكن خلاصة القول أن ما حدث فى أمريكا من قلة من الأقباط المتطرفين .. كان هو الإيذان لختام العلاقة بين الرئيس السادات ، والبابا شنودة .

واستمرت محاولات عدد من الشخصيات القبطية العامة لتهدئة الموقف . واقترحوا على قداسة البابا وقف اجتماعات يوم السبت الأسبوعية التى كان يعقدها للشباب المسيحى ، ويحضرها آلاف .. ويلقى فيها محاضرة لها طابع دينى . يدعو الشبابا الحاضر إلى التمسك بـ « قوة » الإيمان . وكانت جهات الأمن ترى أن هذه الاجتماعات تلهب المشاعر ، وتدفعهم إلى الاصطدام ، إذا وجد أى استفزاز مقصود أو غير مقصود وتدعو فى أثرها كل الشباب الحاضر إلى التصدى فى كل المجالات ، بـ «قوة» الإيمان .

ورفض البابا شنودة هذا الاقتراح ..

كما اقترح عليه نقل نائب مطران الاسكندرية وهو شاب من المقربين إلى البابا شنودة .. وكان أسلوبه هو تسخين الاحداث فى الاسكندرية لا تهدئتها ـ وخاصة فى الجامعة ـ كما ذكرت ولم ينفذ البابا هذا الاقتراح الا بعد عامين .. ونقل هذا القس إلى لندن .

وكذلك كان موقفه من كثير من اقتراحات التهدئة التى لا تصل إلى اقتناعه .

وأراد البابا شنودة أن يصل بالموقف إلى منتهاه كإعلان حالة يأس من الاصلاح .. فدعا المجمع المقدس إلى اجتماع مستمر .. وتقرر فى هذا الاجتماع اعلان عدم احتفال الكنائس بالشعائر الدينية للعيد .. وعدم استقبال ممثلى الدولة فى هذه الاحتفالات .. وطلب من جميع القساوسة فى جميع الكنائس تلاوة بيان بأن هذا القرار قد اتخذ احتجاجا على اضطهاد الاقباط فى مصر .

وكانت أجهزة الاذاعة والتليفزيون قد انتقلت إلى كنيسة الاقباط الكبرى بشارع رمسيس بالقاهرة . وفى اليوم السابق على عيد الأقباط .. للاستعداد لاذاعة « القداس » كما جرت العادة .. ورفض المشرفون بالكنيسة تركيب الأجهزة .. وطلبوا

من موظفى الإذاعة والتليفزيون الانصراف . واتصلت بى صفية المهندس رئيسة الاذاعة وابلغتنى بهذه الواقعة .. ولما علم السادات منها بذلك تضاعف غضبه إلى قمته . ووصلت الأزمة إلى ذروتها .. بل أصبح الموقف خطيرا . لأن النزول بالأزمة إلى الشارع بهذا الأسلوب يعنى تماما .. احتمال وقوع احداث داميه وخاصة فى الأحياء الشعبيه أو القرى الصغيرة .. وإذا تدخلت الدهماء فى هذه الأحداث فإنه لا توجد حكومة تستطيع أن توقف الدماء .. إذا بدأت حتى بحادث صغير ..

وقد سيطر البابا شنودة على اجتماع المجمع المقدس ولم تكن هناك فرصة أمام أحد من الحاضرين لكى يقول كلمة تهدئة ..

بل حدث عندما دعا مطران بنى سويف الانبا اثناسيوس إلى اجتماع فى الكنيسة حضره الرسميون والقيادات الاسلامية فى مدينة بنى سويف وتبادل الخطباء الكلمات عن الوحدة الوطنية والتحام الهلال بالصليب .. حدث أن غضب البابا شنودة من هذا التصرف .. وفى اجتماع المجمع المقدس توجه بسؤال إلى مطران بنى سويف : كيف تفعل هذا ؟

ووقف مطران بنى سويف وهو رجل هادىء خفيض الصوت .. وقال « أريد أن أوضح ياسيدنا .. »

وهنا قاطعه البابا شنودة وقال له فى صرامة : « .. لا أريد أى توضيح .. وإذا استمريت فى الكلام .. فإننى سأغادر هذا الاجتماع .. »

وهكذا وصلت الأزمة إلى منتهاها .. وكان البابا شنودة طوال الوقت — باستثناء اجتماعات المجمع القدسى — يبقى فى الدير للتعبد .

وفشلت كل الوساطات لكى يعدل عن موقفه ..

وعامل أعضاء مجلس الشعب من المسيحيين معاملة جافة وتراجع أمامه عدد منهم ..

وقد توجه الانبا صموئيل لزيارة الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء فى منزله لمحاولة إيجاد مخرج .. وقد عرض الدكتور مصطفى خليل أن يعود البابا شنودة من الدير ويقيم مراسم العيد فى الكنيسة مقابل أن يحضر رئيس الوزراء هذه المراسم باسم الحكومة .

ولكن الانبا صموئيل ، طلب أن يتوجه إلى الدير أحد الوزراء لدعوة البابا شنودة للحضور ..واقترح اسم منصور حسن .

وهنا تعثر الحل ..

ولما أبلغ الدكتور مصطفى خليل الرئيس السادات باقتراحه بعد أن فشل كان تعليق الرئيس أنه لو كان رئيس الوزراء قد نفذ هذا الاقتراح لأقاله من الوزارة ..

وهكذا توتر الموقف إلى قمته .

واستعد الرئيس السادات لتفجير الموقف فى خطاب كان سيلقيه فى اجتماع عام ..

وطلب منى الرئيس اعداد الخطاب .. وأملانى نقاطه بالنسبة لموقف البابا ولموقف نادى القضاه .. وكانت الدكتورة أمال عثمان وزيرة الشئون الاجتماعية قد اعدت بحثا قانونيا عن عدم تدخل رجال القضاء فى العمل السياسى .. واعطانى الرئيس هذا البحث ..

وطلب منى الرئيس أن يكون الحديث عن موقف البابا شنودة متوازنا .٦وكان الرئيس يزمع أن يرتجل خارج النص شيئا عن تاريخ الوحدة الوطنية فى مصر .. وقرأ عن ذلك كثيرا ، واعتمد على مؤلفات عبد الرحمن الرافعى فى تاريخ الوحدة الوطنية .. منذ مؤتمر الاقباط الذى عقد فى أسيوط عام ١٩١٠ .

وكان الرئيس يعتزم أن يعين ألبرت برسوم سلامة رئيسا لمجلس الشورى فوق وجود وزيرين من الاقباط فى الوزارة .. كدليل على تسامح الدولة أمام تعنت البابا شنودة .. وكان الرئيس فى غاية الألم من الانباء التى تلقاها عن وجود عدد من الشباب الاقباط فى لبنان .. والدعوة لفكرة التقسيم فى لبنان والتحدث عنها فى مصر بالنسبة للاقباط .

وبعد أن أعددت الخطاب .. طرأ جديد على الموقف .

لقد توجه البابا شنودة إلى اجتماع يوم السبت الذى كان يعقده بدار الكاتدرائية .. واتصل بى الانبا صموئيل وكذلك زميلنا فوميل لبيب مدير تحرير المصور .. وأبلغانى أن الاجتماع كان رائعا وان الشباب القبطى هتف بحياة أنور السادات فى الاجتماع .. وطلبا منى ابلاغ ذلك إلى الرئيس . وابلغته فعلا للرئيس قبل ذهابى اليه لمراجعة الخطاب وسعد به .. ثم اتضح لى بعد ذلك عدم صحة واقعة الهتاف بحياة السادات .

وكان الرئيس قد اجتمع فى ميت ابو الكوم بالنواب الأقباط .. ودعاهم إلى غداء « صيامى » مسيحى .. وتحدث عدد منهم وطلبوا اليه أن يحل الموقف بحكمته .. وروى لهم أسباب ألمه ، ومنها أنه قبل أن يتخذ البابا هذا القرار بعدم الصلاة فى العيد ، كان قد تلقى مذكرة من حنا نيروز عن أزمة فى دير للراهبات على شاطىء البحر قريبا من الاسكندرية بسبب بناء سور للدير ، وتعديات على أرض الدير وبمجرد أن عرض

الخطاب على الرئيس اتصل بنائبه حسنى مبارك وطلب إليه ان تحل مشكلة الدير وان تمكن الراهبات فيه من كل الأرض ومن اقامة السور خلال ٢٤ ساعة . وفعلا حلت هذه المشكلة وكانت قد تعثرت طويلا فى اجراءات روتينية وخلاف على الاختصاصات بين عدد من الوزارات وجهات الأمن .

وألح النواب على الرئيس أن يكون هو الأب للجميع وأن يحل الأزمة ..

وأخيرا قال الرئيس : من جانبى .. لا أزمة .

وكان ذلك يعنى أن عدول البابا شنودة عن قراره .. يعنى حل الأزمة تماما . وشكر له النواب هذا الشعور وقبلوه امتنانا وعرفانا ..

وعندما توجهت إلى ميت أبو الكوم لمراجعة الخطاب .. قال لى الرئيس :

لا .. لا داعى لتفجير الموقف .. وأنا رجل أعمل بالسياسة ومادامت الأزمة فى طريقها إلى الحل من جانب البابا شنودة .. فلا داعى للتصعيد .

وفعلا خففت كثيرا من كلمات الخطاب .. واختصرت ما كتبته إلى بضع سطور فى أقل من ورقة فولسكاب ..

وكان المفروض أن أسافر إلى أمريكا يوم إلقاء الرئيس لخطابه وعند وصولى إلى واشنطن فوجئت من زملائى الذين تكرموا باستقبالى فى المطار بأن خطاب الرئيس كان كله حول تصرفات البابا شنودة .. وكان فى قمة العنف .. حتى أنه قال ما يعنى اتهاما للبابا شنودة بالخيانة .

ودهشت من هذا التحول المفاجىء .. الذى جرى خلال ٤٨ ساعة .

وعلمت بعد عودتى أن الرئيس تلقى معلومات بأن البابا شنودة كان يدعو الأقباط إلى عدم الاشتراك فى الاستفتاء الذى كان مقررا وكان من نصوص الاستفتاء تعديل مادة الدستور بحيث تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .

وكان هذا النص مثار اعتراض البابا شنودة . وكان يرى أن يضاف اليه ما يؤكد استثناء غير المسلمين من تطبيق الشريعة الاسلامية . وقد أعد الوزير ألبرت برسوم سلامة مذكرة تفسيرية للنص اقرها مجلس الشعب تعبر عن المعنى الذى قصده البابا شنودة ونشرتها فى الأخبار ــ ولكن البابا أصر على رأيه وكانت حجته أنه تلقى وعدا بذلك .

ولذلك غير الرئيس موقفه .. وبعد أن كان متجها إلى التهدئة الكاملة .. صعد الموقف إلى قمته ، وعقد المقارنات بين البابا شنودة وسلفه البابا كيرلس الذى وصفه بقمة فى الوطنية والتسامح .

وعدل الرئيس عن ترشيح ألبرت برسوم سلامه لرياسه مجلس الشورى .. وأسند اليه منصبا وزاريا بعد ذلك .. وكان ينوى أن يستن تقليدا جديدا وهو وجود ٣ وزراء اقباط فى الوزارة ولكنه عدل عن ذلك حتى لا يتصور البابا شنودة أن الرئيس السادات اتخذ هذا القرار تحت ضغط .. وكانت هذه طبيعة السادات دائما .. تحدى كل الضغوط وبوضوح .

واستمر الموقف على ماهو عليه ..

.. إلى أن وقعت احداث الزاوية الحمراء[1] .. وتطور الموقف إلى قرار من الرئيس السادات بالمواجهة الشاملة للجماعات الاسلامية وعدد من رجال الكنيسه .

ولم يكن أنور السادات يعانى فقط من تصلب مواقف البابا شنودة .. بل كان يعانى أيضا من تصلب مواقف الشيخ عبد الحليم محمود .. شيخ الأزهر .

وعندما دعا السادات الاثنين إلى قصر عابدين .. فى جمع ثقافى كبير ، وتحدث الرئيس عن الوحدة الوطنية تألق البابا شنودة فى كلمته أمام الميكروفون .. واستشهد بوقائع التاريخ الاسلامى على عراقة الوحدة الوطنية .. وكان الشيخ عبد الحليم محمود مقلا جدا ، وتحدث عن الرحمة التى يدعو إليها الاسلام .

ولم يسترح السادات إلى كلمة الشيخ عبد الحليم محمود وكان يود لو أطال فى معنى الوحدة .. ومعنى التسامح الدينى .. وعلاقات المسلمين بالمسيحيين على مر العصور .

وإذا كان السادات ضائقا بالاثنين فقد كان الاثنان أيضا يضيقان ببعضهما . ورفض الشيخ عبد الحليم محمود إصدار مؤلفات مشتركة عن القيم الروحية المشتركة فى الاسلام والمسيحية .

---

(١) بدأت احداث الزاوية الحمراء يوم الاربعاء ١٣ يونيو ، بشجار بين عائلة مسلمة وعائلة مسيحية ، بسبب القاء مخلفات من المياه من الدور العلوى الذى تسكنه الاسرة المسيحية على السيدتين الى الزوجين .. ثم اتسع نطاق الشجار .. وانتشرت اشاعات كاذبة بان المسيحين احرقوا مسجدا وان المسلمين احرقوا كنيسة .. واستخدمت الاسلحة النارية والعصى والطوب ، ووقع عدد من الضحايا (١٠ قتلى منهم ٤ مسلمون و٥ مسيحيون وجثه لم يعرف صاحبها لانه بدون بطاقة) و٥٤ مصابا . وتمكنت الشرطة من اخماد الاحداث بعد ثلاثة ايام . وتم الاستيلاء على جميع الاسلحة لدى المواطنين حتى المرخص منها (٣٢ طبنجة و٥ بنادق) .. وهذا ما جاء ببيان وزير الداخلية امام مجلس الشعب يوم الاربعاء ٢٠ يونيو . وتولت النيابة التحقيق . وقد تعاونت القيادات الاسلامية والمسيحية لازالة آثار ما جرى .

وكانت خطب الجمعة فى المساجد عن الوحدة الوطنية . ونشرت الصحف مقالات تعبر عن وحدة المصير وتآخى المسلم والمسيحى .. وهذا ما عرفته مصر طوال تاريخها .

وكان الرئيس السادات لا ينوى أن يجدد مدة خدمة الشيخ عبد الحليم وأعلن ذلك فى جلسات خاصة ولكنه عدل عن موقفه وجدد مدة خدمته ولم يعرف السبب .

وكان الشيخ عبد الحليم يحمل حساسية خاصة من البابا شنودة وقد حدث أن هاجم زميلى عبد الوارث دسوقى المشرف على الصفحة الدينية فى « الأخبار » كتابا لابن الشيخ عبد الحليم وهو أستاذ فى الأزهر .. وكنت غائبا فى الخارج .. ولما عدت سمعت عن غضب شيخ الأزهر .. وعن تصوره أننى وراء هذه الحملة .. وأن البابا شنودة هو الذى دفعنى إلى ذلك الى وقت قطعت فيه العلاقات تماما بينى وبين البابا ، الذى فقد ثقته فى شخصى ، واعتبرنى — كما قلت — مدافعا فقط عن كل مايصدر من الرئيس السادات .

وطلبت من زميلى عبد الوارث وقف هذه الحملة ، لأنه يساء تأويلها فى ظروف التوتر الدينى القائم .. وكان عبد الوارث مصرا على استمرارها على أساس أنه لا كهنوت فى الاسلام .. وأن شيخ الأزهر شخص عادى يمكن نقده ..

وفى ذلك الوقت شن عبد الرحمن الشرقاوى حملة عنيفة ضد فضيلة الشيخ عبد الحليم على صفحات روز اليوسف .. واجتمع مجلس الصحافة برياسة الدكتور رفعت المحجوب .. وأصدر بيانا يسترضى فيه شيخ الأزهر .. وكتبت أنا هذا البيان ورفض الشرقاوى التوقيع عليه .. بل أعلن استقالته من المجلس . وتوجه مجلس الصحافة كوفد لزيارة شيخ الأزهر .. وامتنع الشرقاوى عن الانضمام إلى هذا الوفد .. وعنف الشيخ عبد الحليم فى مهاجمة الشيوعية الكافرة الملحدة .. وأذاع عدة أحاديث فى هذا الموضوع .

ولجأت إلى صديقى الدكتور مصطفى محمود .. لكى يصحح موقفى لدى الشيخ عبد الحليم فأنا لم أعرف التعصب فى حياتى ، ولم تقف ديانتى يوما حائلا بينى وبين أى منصب فى عملى .. وفعلا زرته زيارة خاصة استمرت ثلاث ساعات .. وأهدانى مؤلفاته .. وتأكد من صدق ما رويته له عما نشر فى الأخبار .وكان مصطفى محمود قد قال للشيخ عبد الحليم : « قل عن موسى صبرى ماشئت .. إلا أنه متعصب » .

ولكن حدث بعد ذلك .. وبعد أكثر من عام .. أن نشرت « الأخبار » موضوعا لم يرق للشيخ عبد الحليم محمود .. وكان عن بعض الأحاديث النبوية التى دلل المحرر على أنها غير صحيحة وتصور الشيخ عبد الحليم أننى وراء ذلك ! .. وأرسل خطابا إلى رئيس الوزراء فى هذا المعنى .. وهنا لم أهتم بالاتصال به مرة أخرى .. لأننى لا أقترب ممن لا يصدقنى ..

وهكذا كانت الأجواء متوترة بين رئيس الكنيسة القبطية وبين شيخ الأزهر .. وبينهما وبين الرئيس السادات .

ثم ثارت ضجة أخرى أوقعنى بها مستشار بالاستئناف العالى .. لقد زارنى بتوصية من توفيق الحكيم .. وقدم لى خمس مقالات وقرأتها بسرعة فهى من مستشار القضاء ومن رجل مسلم ، ولم أكن أعرف أن هذه المقالات ستثير ضدى زوبعة من شيوخ الأزهر لم أتبين أسبابها إلا عندما ثارت وبعنف . وكانت مقالات المستشار تحمل تفسيرا لآيات القرآن الكريم ، رفضه واستنكر اساتذه الأزهر .. وتلقينا منهم عشرات الردود العنيفة . ورأيت أن أكتفى برد مفصل للدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف فى مقالين حتى لا تتسع الأزمة . ولم تكن ظروف الحال تسمح بأن يكون موضوع دينى مادة للجدل على صفحات الصحف . والحقيقة أنى كنت فى قمة الألم ، لأنى لم أتنبه إلى محتوى مقالات القاضى . بل أعترف .. لعلى لم أتفهم ما يمكن أن تنتج من صدى عنيف .

وفى هذا الشأن تلقيت رسالة فى ١٩٨٠/١٢/٢٥ من الدكتور عبد المعطى محمد بيومى الأستاذ المساعد للعقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ورئيس تحرير مجلة « منبر الاسلام » التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. ورددت عليه . وهذا نص رسالته :

وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
منبر الإسلام

السيد الأستاذ/موسى صبرى
رئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير ـ الأخبار .

تحية طيبة وبعد :

لاحظنا أن صحيفة « الأخبار » قامت فى الفترة الأخيرة بنشر أفكار تشوه عقيدة الإسلام تحت عنوان « الإسلام والأديان » .

وفى نظرنا كان البدء بنشر مثل هذه المقالات عملا خطيرا ضد عقائد الاسلام وضد الوحدة الوطنية التى نحرص عليها وهذا العمل لم تسبق له صحيفة ، بل لم يحدث مثله فى تاريخ « الأخبار » ذاتها من قبل .

والأخطر من ذلك أنكم لم تفسحوا المجال للردود بنفس القدر الذى أفسحتموه لمن بدأتم لهم بالنشر ، مع أنكم تعلمون من البداية أن هذه الأفكار مخالفة للعقيدة الإسلامية التى نشأنا جميعا فى ظلالها ، خاصة وأن هذه الأفكار تمس أساسيات العقيدة التى يعرفها كل واحد منا فى هذا الوطن والتى لا يدخل الطعن فيها فى نطاق حرية الرأى ، لأن حرية الرأى شىء والطعن شىء آخر .

وخطورة العمل الذى قمتم به فى « الأخبار » تنطوى على :

١ - تشويه سمعة مصر لدى الدول الإسلامية خاصة فى هذه الفترة مع أن مصر تحمل زعامة العالم الإسلامى منذ فترة زمن طويل .

٢ - حجبكم الردود الكثيرة التى وصلتكم من علماء الأزهر الشريف مع سماحكم بنشر السخرية بهم وبدورهم فى النشر للوحدة الإسلامية يحملكم مسئولية هذا العمل .

٣ - ثم انكم بهذا تضطرون الغيورين على دينهم إلى اللجوء للدفاع عن هذا الدين فى صحف غير صحفهم الوطنية ما داموا لا يجدون متسعا فى صحف الشعب واعتقد أن ذلك لن يكون إن شاء الله .

٤ - ويؤسفنا أن نقول أن صحيفة « الأخبار » بهذا العمل فى عهد رئاستكم لتحريرها توجه توجيها خاصا ضد الأسس التى استقر عليها الشعب المصرى بجميع أحزابه وطوائفه وتكون قد خرجت عن المسار العام لهذا الشعب .

وأملنا أن تتداركوا هذا بإتاحة الفرصة لنشر الردود التى وصلتكم لتزيل بالتفصيل - أثر ما نشر من الشبهات التى بات شبابنا والناس يتساءلون عنها فى كل موقع .

بهذا يتحمل كل منا دوره ومسئوليته فى خدمة القيم العليا للعائلة المصرية بعيدا عن التعصب والهوى .

وتقبلوا تحياتنا لكل مخلص نزيه .

رئيس التحرير
دكتور عبد المعطى محمد بيومى
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بجامعة الأزهر

وقد رددت عليه فى ١٩٨٠/٨/٥ بهذه الرسالة :

الأستاذ الدكتور/ عبد المعطى محمد بيومى

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر
ورئيس تحرير مجلة « منبر الإسلام »

تحية طيبة وبعد :

أشكر لسيادتك اهتمامك بما ينشر فى « الأخبار » .. وغيرتك على أن يكون ما ينشر بها سليما صحيحا .. وإذا كنت أقدر الدوافع الطيبة النبيلة التى حدت بكم إلى كتابة رسالتكم لى ، فإننى أرجو أن تتأكد تماما ، أن ما جال بذهنك عن أسباب النشر ، هو بعيد كل البعد عن حقيقة الأمر .

وإذا كنت ترى أن ما نشر فيه هدم للعقيدة الإسلامية فأرجو أن تتأكد تماما أننا لا نقر هدم العقائد قولا أو نشرا .. ونحن دعاة إيمان .. « والأخبار » تقف دائما فى خندق واحد مع كل المدافعين عن العقيدة محاربين دعوة الإلحاد والتشكيك .. ولعلك لا تختلف معى فى هذه الحقيقة .

وقد نشرنا مقالين للأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر ردا على الكاتب وكنت أرجو من سماحتك وعلمك ألا تذهب بك الشكوك والظنون إلى مالم يخطر لنا على بال . وليست « الأخبار » هى التى تخرج عن المسار العام لشعب مصر .. وأنا أعمل رئيسا لتحرير « الأخبار » منذ/١٩ عاما .. وأعمل نائبا لرئيس تحريرها منذ عام ١٩٥٢ قبل ذلك .

ولسنا ممن تحيط بهم شبهات ولا نقبل لمزا فى هذا المعنى من سيادتك أو من غيرك .. ونحن نؤدى رسالتنا عن أصالة واقتناع وإذا كان ما نشر جارحا لمشاعر أحد فنحن نعتذر ـ فى شجاعة ـ عن هذا الخطأ .. وصاحب الكلمة يتحمل مسئولية ما كتب ، وهو يحتل أرفع مناصب القضاء .

وختاما أكرر لك شكرى على اهتمامك .. وأكرر أيضا أنه يجب أن ترعانا جميعا حسن النوايا وطهارة القلوب وبراءة المقاصد .

وأننى على استعداد لاستقبالك فى مكتبى فى أى وقت تراه تأكيدا لمشاعر الحب والمودة .

رئيس مجلس الإدارة
موسى صبرى

وكل ذلك اجواء جديدة .. غريبة على الطبيعة المصرية .. وليس لها من سبب الا تصعيدات اجواء التوتر الطائفى .. وسحب الفتنة التى كانت تتسع يوما بعد يوم .. وتفترض سوء النوايا .. وتجد من يشغلها ..

وطفت أزمات عديدة من هذا النوع على السطح .. وأصبحت احدى الصحف التى يصدرها فريق من الاخوان المسلمين تهاجمنى اسبوعيا ، وتعيرنى بأننى مسيحى .. وتنشر اسمى على انه « موسى صبرى جرجس » وهذا ليس صحيحا ولكنهم اختاروا اسم جرجس للتدليل على ديانتى .. لان اسمى الثالث « كامل .. وحاولت الاتصال برئيس تحرير هذه المجلة ولكنه تهرب منى[1] ..

وظهر التصعيد فى أكثر من موقع ..

وتضاعفت تحركات الجماعات المتطرفة . وفى محاكمة شكرى رئيس جماعة التكفير والهجرة ، امتنع شيخ الأزهر وكثير من العلماء عن الشهادة أمام المحكمة عن بطلان هذه الدعوة كما أنهم امتنعوا ــ كما روى لى حسن صادق رئيس المحكمة العسكرية التى أصدرت حكم الإعدام ــ عن الشهادة كتابة .

---

(١) تفضل الاستاذ عمر التلمسانى وزارنى فى مكتبى بعد الافراج عنه .. واستمر لقاؤنا طويلا فى حديث ودى لعله قصد به مشكورا أن يزيل آثار تلك الفترة الشاذة .. والحقيقة انه لم تكن هناك آثار .. وكان حوارنا طوال الوقت عن تدعيم الوحدة الوطنية .

وقال لى أحمد زين مدير تحرير الأخبار ـ الوثيق الصلة بالشيخ الشعراوى ـ أن فضيلته اشترط أو أبدى استعداده لمناقشة فقهيه على شاشة التليفزيون .. وكان واضحا أن مقتل الشيخ الذهبى لأنه أعلن رأيا يدين التكفير والهجرة . كان شبه انذار لباقى علماء الدين .. الذين كان يرى فيهم شباب الجماعات المتطرفة أنهم رسميون وأنهم ينافقون الحاكم .

وعندما قدم تشريع تعديل قانون الأحوال الشخصية إلى مجلس الشعب وكانت السيدة جيهان السادات تجاهر بطلبها لهذا التعديل توجهت مظاهرة ضخمة من طلبة جامعة الأزهر إلى مجلس الشعب .. وأمكن تفريق المظاهرة .

ولا أريد أن أسرد وقائع عديدة حدثت ومعروف أمرها للقارىء .. ولكننى أقول إن الرئيس السادات كانت له وجهة نظر فى تحليل اتجاهات الجماعات الإسلامية . كان يرى أن المنضمين لهذه الجماعات يشملون ثلاث فئات الأولى وهم الغالبية شباب مؤمن فعلا بمبادىء الإسلام ، يضيق بفساد المجتمع ، ويرى فى الدين ملجأ ومخرجا مما يجرى له فى مجتمعه ..

والفئة الثانية شباب وصل إلى تطرف الارهاب ويرى أن يتغير المجتمع إلى الحكم الإسلامى بالدم والسلاح .

والفئة الثالثة .. مجموعة من الشيوعيين مندسة على الجماعات الإسلامية لكى تلهب النار .

وكان السادات يوجه كل اهتمامه إلى الشباب البرىء الذى اتجه إلى دعوة الإسلام بصفاء .. ولذلك فقد فكر فى أساليب عديدة لجذب هذا الشباب إلى المعانى الحقيقية للإسلام .. وإلى أن يشاركوا فى تطوير المجتمع إلى الأفضل .

وناقش فى ذلك أكثر من مشروع مع الدكتور زكريا البرى أستاذ الشريعة الإسلامية فى الجامعة وذلك فى اجتماعات متصلة ومنتظمة قبل أن يسند إليه منصب وزير الأوقاف .

وكانت وجهة نظر الدكتور زكريا البرى ــ كما قال لى فى لقاء خاص بعد وفاة السادات ــ معالجة المشكلة اجتماعياً أولاً .. وذلك عن طريق رفع المظالم بطريقة عملية . وقد أعجب السادات باقتراح الدكتور زكريا البرى عضو المكتب السياسى بإنشاء لجنة مستمرة تسمى لجنة حقوق الإنسان فى كل قرية وشياخة وحى ومركز . هذه اللجنة يختار اعضاؤها من اشخاص مشهود لهم بالنزاهة والوطنية . وتكون مهمتها

العمل على رفع الظلم عن أى إنسان أمام أى طغيان ، طغيان العمدة أو شيخ الخفراء أو ضابط النقطة .. أو .... إلى آخره .

رحب السادات بهذا الاقتراح ، ورفضه الدكتور مصطفى خليل لأنه لا يقوم على أساس قانونى ، ويترتب عليه تعدد وتضارب الاختصاصات . ولكن هذا الاقتراح جعل السادات يتجه إلى الافادة من أفكار الدكتور البرى .. لأنه رآها متفتحة وعملية .. ولذلك فقد فوجىء الدكتور زكريا البرى بأن الرئيس حدد له موعداً للقائه فى ميت أبو الكوم . وكان ذلك فى نوفمبر عام ١٩٧٩ .

وقال له الرئيس ، سأجتمع بك يوم الاثنين من كل أسبوع فى أى مكان أكون به . فى القاهرة .. فى الاسماعيلية .. فى أسوان . هذا موعد مقدس وسأتفرغ تماماً لهذا الاجتماع . وسأعمل على أن يحضر النائب حسنى مبارك معنا ، حتى يكون فى الصورة تماماً .

واستمرت هذه الاجتماعات فعلاً ، ولكن النائب لم يتمكن من حضورها لانشغاله بأعمال أخرى كان يكلفه بها الرئيس .

وقال السادات فى أول اجتماع له مع الدكتور زكريا البرى : إن ما يشغلنى كثيراً إن كلمة الإسلام أصبحت مخيفة عند الناس لقد أساء الخمينى إلى الإسلام فى الخارج . واساءت الجماعات الإسلامية إلى الإسلام فى الداخل . ومسئوليتنا أن نعطى الصورة الطيبة الصحيحة للإسلام .. وأن يتفهم الناس هذه الصورة . ولذلك لابد من تخطيط سليم لذلك . وهذا التخطيط هو موضوع تدارسنا كل أسبوع .

وطلب الدكتور البرى من الرئيس أن يكون الاجتماع مرة كل أسبوعين .. ولكن السادات لاهتمامه البالغ بالموضوع الخطير أصر على أن يكون الاجتماع كل يوم اثنين وطلب من الدكتور البرى أن يخفف من مسئولياته الكثيرة كأستاذ جامعى .. لكى يعطى أكبر وقته لهذه المهمه ولكى يكون مستشار الرئيس فى ذلك .

وكان السادات يريد أن يبدأ التخطيط بأن يصدر بياناً باسمه موجهاً إلى الشباب .. باعتباره اباً للشباب المسلم والشباب المسيحى .. وكلهم أولادى هكذا قال الرئيس .. وأريد أن أوضح لهم فى هذا البيان خلاصة سياستى وتجاربى فى الحياة .. وأريد أن أربط المبادىء والقيم والفضائل بما جاء فى الإسلام والمسيحية ..

ويقول الدكتور زكريا البرى أنه لاحظ أن الرئيس السادات له قراءات عديدة فى التاريخ والسياسة والدين والفلسفة .. كما أنه دون كثيراً من الملاحظات والمذكرات .. وصارح الدكتور البرى بقوله فى هذا اللقاء أيضاً :

- لقد أعطانى الله فى الدنيا فوق ما استحق . واننى أتحدث عارفاً بنعمته .. وقد حقق لى سبحانه وتعالى من طموحى وآمالى وأحلامى أكثر مما كنت أتصور . لقد نشأت هنا فى ميت أبو الكوم .. حافى القدمين . نلت الدنيا واريد الآخرة .. وكلنا أخطاء .. وأملى الذى أريده لآخرتى ، هو أن أعمل على نشر دعوة الإسلام الصحيح بعد أن شوهه الخمينى والجماعات الإسلامية المتطرفة ..

واستمرت هذه الاجتماعات الثنائية .. واستقر الرأى على أن تكون البداية بما هو ليس موضع خلاف فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية ..

فلا خلاف على السلوك الخلقى العام الذى ينشده الإسلام فى المواطن الصالح . ونشر هذا السلوك وتشجيع الشباب على الالتزام بـه ، تقوم بـه جمعيات اجتماعية موجودة . وقد اقترح الدكتور البرى ، أن تسند هذه المهمة إلى جمعيات الشبان المسلمين المنتشرة فى كل انحاء مصر .. ثم تأتى بعد ذلك مرحلة تدخل فيها جمعيات الشباب المسيحية ولا تحتاج هذه الجمعيات لأكثر من دعم مادى ومعنوى من الدولة .. وأن تكون برامجها بتخطيط متصل على خطوات ..

ولا خلاف أيضاً — بالنسبة لتقنين الشريعة الإسلامية — على تعديل التشريعات المدنية . وقد حدث هذا فى الأردن . التشريعات المدنية تمت وفق الشريعة الإسلامية ومعمول بها . وهذا يبعث على الثقة ويعطى شعوراً عاماً بالارتياح ولا يثير أدنى شك أو خوف لدى المسيحيين فى مصر .

ويأتى خلال ذلك تقديم الخدمات الاجتماعية لشباب الجامعات بانتظام وبعدالة بحيث يشعر الشباب أن مجتمعه يحميه ويعاونه .. وخاصة فى موضوع الكتب الجامعية التى ارتفعت أسعارها .. وقد عملت الجماعات الإسلامية على تقديمها للطلبة مطبوعة فى مذكرات وبأسعار رخيصة جداً .

واستمرت هذه الاجتماعات الثنائية بين الرئيس والدكتور البرى كل يوم اثنين .. وكان السادات حريصاً على استمرارها حتى ليلة سفره إلى أمريكا فى إحدى رحلاته . وكاد الاثنان يقتربان من وضع خطة عمل شاملة وعين الدكتور البرى وزيراً للاوقاف .. ولكن حدث خلال ذلك بعض الأزمات التى احرجت الدكتور البرى كما يقول . ومن ذلك ، عرض فوازير نيللى فى التليفزيون خلال شهر رمضان .. وكان الدكتور البرى — كما قال لى — قد حصل على وعد رسمى من منصور حسن وزير الإعـلام بتأجيـل عرضها .. ثم التوقف فى شهور رمضان المقبلة عن مثل ذلك . ولكن منصور حسن لم يستطع تنفيذ ذلك بسبب عقبات أثارها مجلس اتحاد الاذاعة والتليفزيون .

وكان قد وجه نقد إلى الرئيس على عبارة لا سياسة فى الدين .. ولا دين فى السياسة .. وكانت وجهة نظر الدكتور البرى التى قالها للرئيس .. أن الرئيس يقصد لا اتجار بالسياسة فى الدين .. ولا اتجار بالدين فى السياسة وصارح الرئيس بذلك .. ووافقه على رأيه وطلب منه أن يذيع هذا التفسير فى تصريحاته .. ولكن الرئيس السادات لم يفعل .

وثارت أزمة الشيخ المحلاوى كواعظ تابع لوزارة الأوقاف .. الذى تجاوز فى مواعظه إلى العمل السياسى وتجريح رئيس الدولة ولم يكن أمام الدكتور البرى أى اجراء يمكن أن يتخذه معه إلا التحقيق الادارى معه باعتباره قد تجاوز أدب الإسلام .. ولن يؤدى ذلك إلى فصله .. إلا بمحاكمة قضائية .. وهذه أمرها يطول ..

ثم تكهرب الجو بمحاولات المعارضة استثمار التيار الدينى المتطرف لأنه منظم وناجح .. ووقعت أحداث الزاوية الحمراء وتعددت وقائع العنف وعمليات استعراض القوه من الجماعات المتطرفة .. وعنف موقف البابا شنودة ..

وخلال ذلك عرض المهندس عثمان أحمد عثمان على الرئيس أن تجرى اتصالات مع شباب الجامعات عن طريق قيادات قديمه لجماعه الإخوان المسلمين تربطهم بعثمان صلات طيبة .. كما أنهم يعارضون العنف .

وتم عدد من هذه الاجتماعات ولكنها لم تؤت ثمارها .

وكان تأثير التطرف فى الجماعات الدينية قوياً وعنيفاً .. وكانت ظروف المجتمع المصرى ــ ولا تزال تشجع على انتشار الفكر المتطرف .. بسبب الازمات الاقتصادية القاسية التى تمر بها البلاد . ومعاناة الشباب .. ثم مظاهر البذخ التى ظهرت على طبقة المستفيدين من رفع الأسعار والمشتغلين بالاستيراد والتصدير .. وغيرهم الذين اتخموا .. وأصبحت مظاهر حياتهم مثيرة للسخط .. كما أن اعلانات الفنادق الكبرى عن أسعار حفلات رأس السنه والكريسماس كانت كفيله وحدها بمضاعفة روح السخط لدى الشباب الذى فقد الأمل فى عثوره على حجرة واحدة يسكنها بعد تخرجه ..

وتطور الأمر .. إلى أنه بعد الدعوة الدينية اتجهت الجماعات المتطرفة إلى الدعوة السياسية .. فغير تكفير الحاكم والمطالبة بالحكم الإسلامى .. ظهرت الدعوة ضد التصالح مع اسرائيل .

وهنا حدثت نقطة تحول كبرى .. باتجاه أحزاب المعارضة إلى التعاون مع التيارات الدينية المتطرفة .. الإسلامية والمسيحية .

وفى ٢١ أغسطس ١٩٨١ .. استدعى الرئيس السادات الدكتور زكريا البرى

وصارحه فى جلسة طويلة استغرقت ثلاث ساعات ونصف الساعة .. بما قرر اتخاذه من اجراءات مع الجماعات والبابا والمعارضة ..

وقال الدكتور البرى إن مصارحة الرئيس له بهذه الاجراءات تعنى ثقته الكامله فى شخصه .. وهو من واقع هذه الثقه يقول للرئيس إنها اجراءات بالغة الشدة . ويحسن أن يترك أمرها للحكومة .. بحيث لا يتصدى بشخصه .. فإذا أحدثت الاجراءات أثراً سيئاً فيمكن لرئيس الدولة أن يعالج هذه الآثار ..

وكان رد الرئيس السادات على ذلك أن هذه مسألة كبيرة لا يستطيعها إلا هو ولذلك فقد قرر أن يقوم هو بالمواجهة .

وللحقيقة والتاريخ ، فإن الغضب الأعمى ، والتطرف الذى ظهر بين عدد من المسيحيين أو المسلمين .. فى أى شكل من الأشكال كان مثار استنكار شامل .. وقد تلقيت آلاف الخطابات التى احتفظ بها .. من مسلمين ومسيحيين ، تؤكد أن هذه الأمة قوية بوحدتها وسماحتها .. وأن أى محاولات لإشعال نار الفتنه مهما بلغت خطورتها .. ومهما وصل مداها .. فإنها فى النهاية مقضى عليها بالفشل .

وفى يوم الثلاثاء ٢٢ سبتمبر ١٩٨١ أصدر المجمع المقدس للكنيسة القبطية بياناً بعد اجتماع استمر ٤ ساعات وحضره ٤٤ من المطارنة والاساقفه ، جاء فيه ان الكنيسة القبطية الارثوذكسية بما لديها من تعاليم إنجيليه مقدسة وقوانين كنسية تلتزم بطاعة السلطات الحاكمة أيا كانت ، عملاً بوجهة الإنجيل المقدس « تخضع كل نفس للسلاطين الكائنه لأنه ليس سلطان إلا من اقه . والسلاطين الكائنه هى مرتبة من اقه . حتى أن من يقاوم السلطان ، يقاوم ترتيب اقه . والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونه » (الرسالة إلى روميه ٣ : ١ ، ٢) . وقال البيان إنهم يقدرون الظروف التى أملت على السيد الرئيس اتخاذ ما أعلنه من قرارات من أجل الوحدة الوطنية والقضاء على الفتنة الطائفيه . وقال البيان إن قوانين الكنيسة مرعية ومحفوظة ويقررون أنه لا مساس بالكهنوت المقدس للبابا البطريرك الانبا شنودة الثالث . ويشيرون إلى تصريحات الرئيس السادات عن ذلك فى ١٩٨١/٩/٩ . وحذر البيان من الاستماع إلى الاشاعات الكاذبة . ووجه نداء إلى المغتربين فى الخارج يحذر فيه من التيارات المنحرفة والأفكار الغربية المضادة ، لمصلحة الكنيسة والوطن [1]

وسجل البيان لقاء الرئيس السادات باللجنة البابوية بالقصر الجمهورى وقال أن مشاعر السيد الرئيس هى الاهتمام بالكنيسة لكى تتبوأ مكانتها وتقوم برسالتها ..

---

(١) علقت مجلة «تايم» الأمريكية فى ١٩٨٤/٩/٢٨ على قرارات ، سبتمبر بالنسبة لقداسة البابا شنوده بحديث أجرته مع «الآب متى المسكين» الذى كان قد نصب الانبا شنوده راهبا فى عام ١٩٥٠ .

كتب روبرت فورشتدت مراسل تايم : لقد اصاب قرار عزل البابا شنوده العالم المسيحى بالصدمة ،

ومشاعره نحو الأقباط أنهم جزء حي من نسيج المجتمع المصرى الذى يهتم الرئيس بتوفير كل أسباب الطمأنينة والرخاء له . والمجمع من ناحيته يسجل شكره للسيد الرئيس على هذه المشاعر الطيبة ، وسيعمل جاهدا على تطوير مناهج التربية الكنسية والانشطه الدينية ، حتى تحقق رسالتها فى تكوين المواطن الصالح الذى يسهم فى بناء المجتمع مدفوعا بالقيم الروحية التى يتلقاها فى الكنيسه .

وفى ختام البيان جاء بند رقم ١٢ ، وهو «واعضاء المجمع المقدس ، إذ يفتقدون أخوتهم من الآباء الاساقفه الذين اضطروا إلى التغيب عن حضور جلسة المجمع ، يصلون إلى اللّه من أجلهم لكى يشملهم بنعمه وسلامه» .. (المقصود الاساقفه الذين تقرر التحفظ عليهم) .

= ولكن كثيرا من اعضاء الهيئة الكهنوتية للكنيسة شعروا بالراحة إلى حد كبير . فمنذ سنة على الأقل وهم يتوقعون أن تؤدى قيادة البابا المثيرة للخلاف .. بالطائفة المسيحية إلى متاعب خطيرة مع الاغلبية المصرية المسلمة التى بدأت تؤكد وجودها مؤخرا . وقد نتج عن مناخ الصراع الطائفى وقوع عدة حوادث عنيفة فى الشهور الثلاثة الاخيرة بما فى ذلك أعمال العنف التى حدثت لمدة ثلاثة ايام فى منطقة مشروع اسكان شعبى بالقاهرة مات فيها ١٧ شخصا على الأقل .

والأب متى المسكين واحد من أكثر رجال الكنيسة القبطية فى مصر نفوذا . قال لمراسل تايم « لا استطيع أن أقول إننى سعيد ولكننى الآن فى سلام . كل صباح كنت اتوقع اخبار مزيد من الصراعات الدموية . ان اجراءات السادات قد حمت الكنيسة والاقباط .. انها من اللّه » .

ويمضى مراسل تايم فى قصته الصحفية :

ربما تكون قد جاءت من اللّه ، ولكن الاب متى قد لعب دورا كبيرا فى تشكيلها . وقد استدعى الرئيس السادات متى للحضور إلى الاسكندرية قبل ضربة السادات بأسبوع . ومتى هو رئيس دير للرهبان فى سان مكاريوس بالقرب من القاهرة . وقد تناقش السادات مع متى فى طرق نزع الفتيل من الازمة الوشيكة الوقوع . وقد سأل السادات الاب متى ، إلى أى مدى يستطيع أن يذهب مع شنوده . ويقول متى إنه اوضح للسادات حدود التعامل مع البابا . وحين اتفق على عزله تقدم متى بالاسماء الخمسة من المطارنة ، والذين تولوا جماعيا وظائف البابا . ويقول متى : ان شنودة هو اكثر بابا فى تاريخ الكنيسة ثقافة . ثم اضاف «ولكن تعيين شنودة كان بداية المتاعب . ان العقل حل محل الالهام ، وأخذ التخطيط مكان الصلاة فى السنوات الأولى صليت من اجله ، لكننى أرى الآن أن الكنيسة تذهب من سىء إلى أسوأ بسبب سلوكه» .

لقد قاد شنوده حركة يقظة دينيه تشجع الاحساس بالهوية العنصرية ، لاقباط مصر ، كشعب مستقل وأقدم من الاغلبية المسلمة وبالفعل فإن كثيرين من الأقباط ، يشعرون بأنهم هم وليس المسلمون المتعربون هم المصريون الحقيقيون من نسل الفراعنة .

وقد جاءت اساليب شنودة للمواجهة فى وقت زيادة ملحوظة للحماس الاسلامى والتطرف . وعلى اثر الاحداث العنيفة فى الربيع والصيف بدأ بعض الاقباط يخشون على سلامتهم الجسدية . وكما قال متى .. كنا فى هذه الحيره .. المسلمون يشعرون ان شنوده يمثل خطرا عليهم وعلى القرآن . وكان يعمل ضد الحكومة . وضد المعتدلين من المسلمين . ومعظم الاقباط يحسون بأن عزل شنودة ثمن يمكن تحمله من أجل السلام الاجتماعى .

الفصل السادس :

المعارضة تشجع التطرف الدينى

توحيد صفوف المعارضة ــ حزب الأحرار لا يشكل خطراً ــ دفاع فاشل من الحكومة عن توزيع المساكن الشعبية ــ صحيفة حزب التجمع تتوقف عن الصدور ــ مصطفى خليل يعترض على تعيين ابو سحلى نائبا عاما ــ حزب الوفد الجديد يبدأ بالمهادنة ثم يهاجم ثوره ٢٣ يوليو ــ عقدة النقص فى تفكير حزب العمل ــ حلمى مراد يدعو لجبهة واحدة ــ التحالف مع دول الرفض ــ دور هيكل ــ تأييد موقف البابا شنودة ــ تصرفات دنيئه من بيجن ــ لقاء السادات وريجان ــ ظهور فتحى رضوان ــ حوادث الفتنة الطائفية ــ تقارير أمنية عن خطورة الوضع .

الفصل السادس

المعارضة تشجع التطرف الدينى

بدأت المعارضة توحد صفوفها .. وكأنما أصبحت حزبا واحدا : حزب التجمع . وحزب العمل . وحزب الوفد الجديد . وعلى إطارهم حزب الأحرار . وبدأت تنمو بينها فكرة الجبهة الواحدة .

ولكن ماذا كان عليه وضع المعارضة ؟؟.. وكيف تطور الوضع إلى الصدام العنيف مع شخص أنور السادات ؟؟..

لقد نشأ حزب الأحرار برياسة مصطفى كامل مراد .. على أنه المعارضة المستأنسة . ولم يكن متصورا أن مصطفى كامل مراد وهو من الضباط الأحرار ، وكان على صلة طيبة بالرئيس السادات وكانت له وظيفته الكبيرة فى القطاع العام .. أن يكون من المعارضين . وقد حاول بشق الأنفس طوال حكم السادات أن يدخله فى أى تعديل وزارى[1] ولكن السادات لم يستجب . واتجه مصطفى مراد بحملته ضد ممدوح سالم على الرغم من أن ممدوح سالم بذل مجهودا ضخما مستترا ، لكى ينجح مصطفى مراد فى انتخابات مصر القديمة .. ولكن الحزب كان يؤيد النظام ويؤيد اتفاقات كامب دافيد . وكان مصطفى مراد من أعضاء الوفد المصرى الذى صاحب السادات فى رحلة القدس .

هذا الحزب لم يكن يشكل أى خطر ، رغم أن مصطفى مراد كان يعلن بين الحين والحين ، أن المعارضة لها أنياب .. وقد خلع عليه السادات لقب زعيم المعارضة .. وهو إجراء غير دستورى ... فليس من حق رئيس الدولة أن يعين أحدا زعيما للمعارضة .. وصدرت للحزب صحيفة « الأحرار » وبدأت هادئة جدا .. ثم أصبح مصطفى أمين وجلال الحماصى يغذيانها بأفكار الحملات .. والأخبار أو هكذا راج فى أوساط الحكومة . واستطاع رئيس تحريرها صلاح قبضايا أن يحصل على كشف توزيع المساكن الشعبية ، وثبت أن به أقارب لأحد الوزراء .

---

(١) حدث فى أحد التعديلات الوزارية ، أن ذهب مصطفى كامل مراد إلى محمود أبو وافية فى منزله بالزمالك فى ساعة مبكرة من الصباح وطلب إليه أن يصحبه لمقابلة السادات فى استراحة القناطر لكى يتحدث إليه بشأن اختيار مصطفى كامل مراد وزيراً فى التعديل الجديد وذهبا معاً إلى القناطر ورفض السادات لقاءهما عندما استنتج سبب اللقاء وعاد مصطفى مراد ساخطاً .

ودافع الوزير محمد حامد محمود عن الحكومة فى مجلس الشعب .. ولكن الكشف الذى نشرته « الأحرار » كان صحيحا .

واستمر الموضوع ضد الحكومة ..

وكان هذا هو أقصى معارضة من حزب الأحرار للحكومة .

أما عن صحيفة حزب التجمع .. فقد اعتمدت على إثارة السخط بسبب معاناة الأزمة الاقتصادية .. وتطرفت فى النشر .. ورأى السادات ألا تصادر الا بحكم قضائى .. وطبق قانون المطبوعات .. وكانت أعدادها تصل إلى مباحث أمن الدولة بمجرد طبعها .. بل كانت المباحث تحصل على بروفات منها قبل الطبع .. وكانت تستعد للمصادرة ، ثم يعرض الأمر على القضاء .. وكان القاضى أبو سحلى يصدر قرارا مسببا بالمصادرة ، رغم أن القانون لا يلزمه بذكر الأسباب .

وقيل أن أبو سحلى اختير لكى تعرض عليه قضايا المصادرة وأنه على صلة وثيقة بعثمان أحمد عثمان .. وأنه كان يقضى بتأييد المصادرة بصفة مستمرة .. وقد عين بعد ذلك نائبا عاما ، ثم وزيرا للعدل . وكان الدكتور مصطفى خليل معترضا على تعيينه نائبا عاما واجتمع بأبو سحلى وصارحه بأسباب الاعتراض على تعيينه وأولها ، انه كان يعمل مستشارا قانونيا لدى « المقاولون العرب » بعد إخراجه فى مذبحة القضاء فى عهد عبد الناصر .. ونفى أبو سحلى هذه الواقعة .

وكانت الاجتماعات الشعبية التى يعقدها حزب التجمع فى عدد من أحياء القاهرة وفى بعض مدن الصعيد والوجه البحرى ، كلها تحريض على السخط بسبب ارتفاع الأسعار والتفاوت بين الطبقات .

ثم قررت صحيفة حزب التجمع التوقف عن الصدور .. وأصدرت نشرة للحزب كانت تملؤها بالأخبار الكاذبة .. ومن أبرز هذه الأخبار الكاذبة القبض على مجموعة سرية فى الجيش باسم الضباط الأحرار .. وثبت أن القصة لا أساس لها من الصحة .

أما عن حزب الوفد الجديد فانه منذ انشائه تكاتفت معه قوى كثيرة تريد ارجاع العجلة إلى الوراء والعودة إلى الديمقراطية البرلمانية قبل ثورة ٢٣ يوليو . وكان مصطفى أمين يساند الحزب الجديد فى صحيفة « أخبار اليوم » سواء بالأخبار أو المقالات الإيجابية . على الرغم من أن مصطفى أمين هو الذى قام بالدور الأول قبل ثورة ٢٣ يوليو فى الكشف عن الفساد فى حزب الوفد .. وبالذات ضد فؤاد سراج الدين على أساس أنه السبب الأول فى إفساد تاريخ الوفد . وحجة مصطفى أمين فى ذلك ، أن ما ارتكبه الوفد قبل الثورة يعتبر مخالفات أمام جرائم الجنايات التى ارتكبت بعد الثورة .

واستعد فؤاد سراج الدين لإنشاء دار نشر ضخمة بمبلغ ضخم وقيل أن إحدى الدول العربية أرادت أن تسهم فى إنشاء هذه الدار تمهيدا لإصدار صحيفة يومية كبرى .. أو هكذا روجت بعض الأقوال المتصلة بالحزب الحاكم .

وقد بدأ الوفد الجديد بمهادنة النظام .. ثم تحول تدريجيا إلى المعارضة العنيفة وكان عدد كبير من المواطنين يتوق إلى التخلص من كل آثار الحكم العسكرى لثورة ٢٣ يوليو .. ووجدوا فى الوفد الجديد سبيلا إلى ذلك .

وكشف فؤاد سراج الدين عن حقيقة نواياه .. ووصف ثورة ٢٣ يوليو بأنها انقلاب أيده الشعب .. ثم بدأ يدافع عن كل خطايا حكم ما قبل الثورة ، وأنكر انه كان هناك اقطاع .. أو أن حقوق العمال والفلاحين كانت مهضومة قبل الثورة ، وبدأت الاتصالات بين الوفد الجديد وباقى أحزاب المعارضة .. إلى أن قرر الحزب حل نفسه .. بحجة أنه رأى أن الظروف السياسية لم تعد تسمح له بمباشرة مهمته .. وانسلخ منه الدكتور حلمى مراد الذى كان نائبا لرئيس الحزب ، وبدأ يتعاون مع حزب العمل .. بالكتابة فى صحيفته .. إلى أن أصبح نائبا لرئيس الحزب .. وكان من أصحاب دعوة تنظيم المعارضة كلها فى جبهة واحدة .

أما حزب العمل فقد ولد بعقدة نقص .. وهى أن السادات هو الذى انشأ هذا الحزب ، وطلب من نواب الغالبية الانضمام اليه حتى يتيسر له النصاب القانونى (٢٠ نائبا أصبحت بعد ذلك ١٠ نواب) . وبعد أن كان إبراهيم شكرى رئيس الحزب مؤيدا كامب دافيد ومعاهدة السلام .. عدل عن هذا التأييد بحجة أنه كانت له تحفظات ..

وكان الحزب يريد الامتناع عن التصويت على كامب ديفيد فى مجلس الشعب .. ثم قرر التأييد بعد جدل طويل .. وكان أعضاء الحزب من قدامى حزب مصر الفتاة ، يريدون للحزب أن يعود إلى أمجاد مصر الفتاة التى كانت تهاجم الملك وكل الحكومات .. وكانت تمثل روح مصر الجديدة قبل ثورة ٢٣ يوليو .

وبدأت صحيفة الحزب تتحول من الاعتدال فى المعارضة ، إلى العنف .. وبدأ حلمى مراد فى أسلوب التشكيك .. وكانت أول واقعة هى محاولة التشكيك فى نزاهة الدكتور مصطفى خليل عن عقد صفقة التليفونات مع عدد من الشركات الأوربية .. وتحداه مصطفى خليل فى الرد بالأدلة والوثائق .. وماتت حملة حلمى مراد ، ولكنها أظهرت النوايا الجديدة للحزب الذى أصبح يسيطر عليه .

نشأت فكرة الجبهة الواحدة .. وشجع عليها حلمى مراد وبدأوا عقد الاجتماعات وانضم إلى هذه الجبهة فتحى رضوان .. وهو رجل سياسى له ماض مشرف ، منذ أن

اشترك فى تأسيس حزب مصر الفتاة .. حتى تركه وألف الحزب الوطنى الجديد ، ثم عمل وزيرا مع قيادة ثورة ٢٣ يوليو .. وترك المنصب الوزارى وخلد إلى السكون بعيدا عن السياسة وانصرف للمحاماة والتأليف ولكنه فجأة ظهر على المسرح السياسى معارضا لسياسة السادات فى السلام .. وبكل عنف ، وكان هذا صدمة للرئيس السادات الذى كان يفكر فى اختيار فتحى رضوان امينا عاما للحزب الوطنى الديمقراطى ، فى مراحل تأسيس الحزب ، وأبلغ بذلك النائب حسنى مبارك .. ولكنه عدل عن الفكرة واختار فكرى مكرم عبيد .

ولم تكن فكرة الجبهة الواحدة تؤثر فى النظام .. لأنها مجرد أقليات وليست لها قاعدة جماهيرية .. وانحصر كل نشاطها فى عقد ندوات بالجامعات وبالذات مع أعضاء هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية .. ثم فى مقار الأحزاب .. وكل ذلك نشاط محدود لا يقدم ولا يؤخر .. لكن بدا الخطر عندما سلكت هذه الجبهة إلى اتجاهين ..

الاتجاه الأول هو التحالف مع الاتجاهات الدينية المتطرفة لأنه ثبت لهم أنهم جماعات منظمة ، وأنها تضم الآلاف من الشباب ، وأنها أنشأت قواعدها فى أحياء المدن الكبرى ، وفى القرى وأنها قادرة على التجمع والعمل الإيجابى .

والاتجاه الثانى هو التحالف مع الدول الرافضة فى ليبيا وسوريا بالذات .. وذهب خالد محيى الدين إلى دمشق وسلم جائزة السلام لحافظ الأسد بعد أن ألقى خطابا امتدح فيه نضال حافظ الأسد من أجل السلام !!.. هذا فى الوقت الذى كان الرئيس السورى قد شن حملة إبادة لجماعات « الإخوان المسلمين » فى سوريا ، راح ضحيتها آلاف من الأرواح .. ودمرت فيها مدينة عن آخرها بما فيها ومن فيها .

كما حضر إبراهيم شكرى اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى واستمع صامتا إلى كل كلمات النيل من رئيس مصر .. فى حضور الرئيس السورى .

وفتحت الصحف العربية ، الموالية لدول الرفض .. وغيرها صفحاتها لنشر أخبار وتحقيقات ومقالات عن المعارضة فى مصر .. فى حملة متصلة كلها تشهير بحكم أنور السادات وبحياته الخاصة وبذخ معيشته . وهى حملات ظالمة . فإن السادات الذى اتهم — كذبا — بإنشاء عشرات الاستراحات ، كان يستخدم استراحة القناطر معظم الوقت واستراحة أسوان (وهى خاصه بمفتشى الرى) شهرا أو أقل .. واستراحة فى الاسماعيلية تتبع شركة قناة السويس .. عدا استراحة الاسكندرية وهى بجوار استراحة جمال عبد الناصر .. وبرج العرب على الشاطىء الغربى بعض الوقت .. وكان يستخدمها أيضا عبد الناصر .. كل الفرق بين عبد الناصر والسادات ، أن الصحف لم تكن تجرؤ أن تنشر أين يقيم جمال عبد الناصر ، أما أنور السادات فقد كانت كل حياته

وكل تحركاته مكشوفة للشعب . وهكذا نسب اليه البذخ وهو لم يفعل شيئا أكثر مما كان يفعله جمال عبد الناصر .

وانضم محمد حسنين هيكل إلى جبهة المعارضة .. رغم أنه كان يعلم بكل هذه الحقائق ويعلم بالتبعية أن السادات كان يعيش حياة بسيطة فى مأكله ومشربه .. فقد كان يقتصر على وجبة طعام واحدة من الأكل المسلوق ..

كان انضمام هيكل إلى هذه الجبهة ، لكى يقوم بدور آخر بعيدا عنهم فى الظاهر ، متصلا بأهدافهم أعمق الاتصال فى حقيقته . لقد استثمر هيكل علاقاته بعدد من الصحفيين الأجانب ، وفى مقدمتهم رئيس تحرير الصنداى تايمز .. وعدد من العاملين فى التلفزيون الأوربى والأمريكى .. وذلك لخلق دعاية تشوه سياسة السادات . وقبل شهرين من مقتل السادات ، اتفق هيكل مع مراسل محطة تليفزيون الـ A.B.C. الأمريكية فى القاهرة على عمل برنامج يقارن بين السادات والشاه .. وذلك لكى يعرض هذا البرنامج يوم وصول السادات فى رحلته الأخيرة إلى أمريكا بعد تولى ريجان . وحصلت السلطات المصرية على هذا الشريط .. وكان عميل مباحث أمن الدولة يشتغل فى مكتب الـ A.B.C. فى القاهرة .. وهو الذى كان يخطر .. باتصالات هيكل مع المراسل الأجنبى وبكل تطورات عمل الفيلم . وهكذا قدمت التقارير الأمنية للسادات .

وكان هيكل لايتوانى عن الإدلاء بالأحاديث التى كانت ترتب له لتشويه صورة الحكم فى مصر .. وكل ذلك لم يجد .. ولكنه آثار حفيظة السادات ، لأن تعاون هيكل مع المعارضة بهذا الأسلوب كان يمثل مؤامرة سياسية مكشوفة .

ثم اتجهت المعارضة إلى الخطابة فى المساجد العامة وكانت هذه أكبر نذر الخطر .

وكانت المعارضة فى الوقت نفسه ، تتصل بالبابا شنودة .. مظهرة تأييدها لما يدعو إليه .

أى أن المعارضة اتصلت بطرفى السلك الكهربائى !!

وكانت الخطب فى المساجد مقصورة ـ من قبل ـ على عدد من رجال الدين منهم الشيخ كشك فى القاهرة ، والشيخ المحلاوى ومعهم الأستاذ محمد عيد فى الاسكندرية .. وكانت هذه الخطب تتناول حياة السادات الخاصة وتتهمه بالظلم والبذخ والخروج على الاسلام .. كما كانت تتناول السيدة جيهان السادات بالتجريح .. وكانت الخطب تسجل على كاسيتات وتوزع بالمجان أو بأسعار زهيدة جدا .

واستثمر الجميع ، لجوء شاه ايران إلى مصر ، وثورة الخمينى ، أكبر استثمار ..

وكانوا يشيعون بين الشباب .. أن كل ما ينشر عن المذابح فى إيران ، هو تهويل من الدعاوات الاستعمارية .

فى هذا الجو الملتهب .. كانت مفاوضات الحكم الذاتى تتعثر وتعرض الرئيس السادات لأكثر من تصرف دنىء من بيجن رئيس وزراء اسرائيل .

لقد ضربت اسرائيل المفاعل الذرى العراقى بعد يومين فقط من اجتماع السادات وبيجن .. وكان هذا أكبر إحراج للرئيس السادات .. لأن افتراض علمه المسبق بذلك ، أمر يمكن أن يصدق .. وهذا ليس صحيحا على الإطلاق ..

ووضع بيجين عشرات العقبات أمام مفاوضات الحكم الذاتى .

وكان يريد أن يفرض خطوات التطبيع بأسلوب يثير مشاعر المصريين ومن ذلك إصرار اسرائيل على تبادل طلبة الجامعات بين مصر واسرائيل .. وقد رفضت القاهرة ذلك .

وعنفت صحف المعارضة فى الهجوم على إسرائيل .

وظهرت المنشورات العديدة من الجماعات الاسلامية .. ضد بيجن خلال زيارته الأخيرة للاسكندرية ومنها منشور صور السادات بشكل « حمار » .. وغضب السادات من هذا المنشور .. وقال : لا يهمنى شخصى .. ولكننى رئيس مصر ورمزها فهل يكون رمز مصر بهذه الصورة ؟ ووقعت محاولة اعتصام بأحد المساجد .. ولم تتدخل الشرطة بالعنف وأمكن إنهاء الاعتصام ..

وجاءت الانتخابات الأمريكية وانشغل كارتر بالدعاية الانتخابية .. ولم يستطع أن يتحرك للضغط على اسرائيل رغم إعلانه أن المستوطنات غير شرعية .. ثم تراجع عن الموقف الأمريكى فى مجلس الأمن .. وجاء ريجان وكل تصريحاته خلال الانتخابات تبشر بخيبة الأمل .

وصرح السادات فى ذلك الوقت أنه سيقول لريجان « اذهب إلى الجحيم » إذا عاد بأمريكا إلى سياسة « دالاس » وبعد أن قابل السادات الرئيس ريجان لأول مرة خرج بانطباع بأن الرئيس الامريكى الجديد يعيش فى واد بعيد تماما عن الحقوق العربية .. فلم يعلق ريجان بكلمة واحدة بعد أن شرح له السادات كل جوانب القضية .. وقال السادات لخاصته تعليقا على ذلك بعد اللقاء « الراجل ده نايم على روحه » !

وهكذا تكاثفت كل الظروف .. ضد نجاح مباحثات الحكم الذاتى .

وهكذا تكتلت المعارضة فى الداخل مع دول الرفض .. كما تحالفت مع الاتجاهات الدينية .. وقرر الجميع النزول إلى الشارع .. وكما قال فتحى رضوان « كنا نعمل على أن

يصدر السادات قرارا بوضعنا جميعا فى السجون » ..

ووقعت أحداث عديدة متفرقة فى اكثر من مكان فيها اعتداءات متبادلة بين المسلمين والاقباط .. ووقع حادث اعتداء على كنيسة بالاسكندرية وضبط الفاعل .. واستشهد ضابط شرطة .. ثم وقع حادث إلقاء القنبلة على كنيسة شارع مسره بالقاهرة .. وراح ضحيته مسلمون واقباط ثم كانت أحداث الزاوية الحمراء .

بدأت الحوادث عادية ــ كما أشرت من قبل ـ خلاف بين جارين على غسيل الملابس وفجأة تطور الخلاف إلى استخدام الرصاص . ثم وجد من روج الإشاعات فى حلوان بأن الأقباط يقتلون المسلمين .. ووجد من روج أيضا بأن المسلمين يقتلون الأقباط . وكانت خطة الأمن هى محاصرة المكان وعدم التدخل السريع خشية تضاعف إراقة الدماء .. وكان الهدف خلال المحاصرة ـ هو القضاء على الإشاعات التى كانت تريد لحلقة الدمار أن تتسع إلى أحياء أخرى .. ثم تدخلت قوات الأمن ، وكانت الصورة الكاملة عن الأحداث صورة بشعة .. وخاصة فى عمليات القتل التى جرت .. ورغم ذلك ، فقد ظهرت الطبيعة الأصيلة للشعب المصرى .. ووجد المسلم الذى يأوى المسيحى لكى يحميه .. ووجد المسيحى الذى ينادى المسلم ليدفع عنه القتل ..

ثم بدأت جهات الأمن تكتشف وجود أسلحة وعمليات شراء أسلحة .

ووضح تماما للجهات المسئولة .. أن عوامل الفتنة الطائفية قد وصلت إلى أقصى غاياتها .. وأن هناك من يستعدون لتحويل مصر من أقصاها إلى أقصاها إلى ساحة للمذابح .. وقد حدثت تعليقات عديدة على أحداث الزاوية الحمراء .

البعض وجه اللوم إلى وزير الداخليه ، الذى لم يتدخل بالقوة منذ اللحظة الأولى لوقف تدهور الأحداث ..

والبعض دافع عن وزير الداخلية الذى فضل العلاج السياسى أولا ، .. حتى لا تتسع دائرة الدماء ..

وظهرت فى « أخبار اليوم » كلمة نقد إلى وزير الداخلية .. فاتصل بالرئيس السادات ، وأعرب عن رغبته فى الاستقالة ، إذا كان هذا النشر يعبر عن وجهة نظر الرئيس .. وكان النشر فعلا ترديدا لرأى أبداه الرئيس . ولكن السادات تمسك ببقاء وزير الداخلية .. وأكد أن عليه أن يتدخل بالقوة وبسرعه .. إذا نشأت مثل هذه الأحداث فى المستقبل . وقدمت كل التقارير اللازمة من جهات الامن المختلفة إلى الرئيس السادات . وكل التقارير تحذر من العواقب الوخيمة ، إذا تركت الأمور على ما هى عليه بغير تدخل حازم وحاسم من الدولة .

الفصل السابع

قرارات سبتمبر

طريقان أمام السادات ــ قرار بعدم إعلان الأحكام العرفية ــ مخطط الماركسيين استثمار التطرف الدينى ــ نقد لقرارات سبتمبر ــ التركيز من السادات على فؤاد سراج الدين وهيكل .. لماذا ؟ ــ فشل التحقيق الأول مع هيكل ــ لماذا شملت القرارات كل القوى المعارضة ؟ ــ فكرة الجبهة المعارضة الواحدة ــ حلمى مراد يصفى حساباته الشخصية ــ حديث مع السادات وحلمى مراد لمدة ساعة ــ الخلاف مع سيد مرعى ــ مراد يسعى لتحسين صورته لدى السادات ــ الصلح مع سيد مرعى ــ طلب موعد للقاء الرئيس ــ موقف غريب لحلمى مراد بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير ــ حديث تليفونى هام ــ لقاء السادات الصامت مع حلمى مراد ــ حملات التشهير فى صحيفة حزب العمل ــ حوار غاضب من السادات ــ هدف الجبهة المعارضة الواحدة ــ تطور موقف كمال الدين حسين ــ إقالة حسين الشافعى ــ المواجهة دفعة واحدة وضربة واحدة تجنبا لمذابح الدم .

الفصل السابع :

« قرارات سـبتمبر »

بعد أن تطور الموقف الداخلى إلى هذا الوضع .. كان أمام السادات طريقان : إما أن يعلن الأحكام العرفية .. وإما أن يصدر قرارات وقائية ، بالتحفظ على كل الأطراف المشتركة بطريق مباشر أو غير مباشر فى الوصول بأحداث الفتنة الطائفية الى بحور من الدم .

وكان السادات لا يريد على الإطلاق .. إعلان الأحكام العرفية .

كان يرى إن أعلان الاحكام العرفية فيه دعاية ضارة بمصر التى خطت خطوات كبيرة فى البناء الديمقراطى . كما كان يرى أن القوانين التى أصدرها ، كضمانات لعدم استثمار الديمقراطية ضد الاستقرار فيها الكفاية لتأمين وحماية البناء الديمقراطى .وكان يتصور أن القوى المتطرفة فى اسرائيل ستتخذ من إعلان الأحكام العرفية فى مصر سببا معوقا للانسحاب الثانى الكامل فى موعده المحدد وهو ٢٥ أبريل . ولذلك فضل أن يتخذ قرارات التحفظ مستندا إلى نص فى الدستور يعطيه هذا الحق .

وكان السادات ، يعتزم الإفراج عمن صدرت ضدهم قرارات التحفظ قبيل موعد الانسحاب ، على أن يعالج الأمر بعد ذلك بأساليب ديمقراطية . الهدف الأهم فى يقينه ، هو أن يؤمن إتمام الانسحاب الإسرائيلى الكامل فى موعده .

ولقد أيدت قرارات التحفظ ، التى عرفت بقرارات سبتمبر لأننى كنت أعيش فى قلب معركة الفتنة الطائفية ، وأدرك مدى خطورتها وأتصور أن مصر ستتحول فجأة ، وبسرعة إلى بحور من الدماء ومن عبث القول أن يزعم المعارضون للسادات ، أنه لم يكن هناك فتنة طائفية أو أن السادات هو الذى خلق الفتنة الطائفية !. ولست أعرف كيف يمكن أن يخلق رئيس الدولة ، فتنة ، تهدد شعبه بحرب أهليه يمكن أن تحرق كل شىء .. ويمكن أن تدمر السلام الذى أصبح هو رمزا له أمام العالم أجمع ؟ .. وقد أمر السادات ، بالتحفظ على عدد من المشتغلين بالسياسة ، وخاصة الماركسيين لأن مخططهم كان وبكل الوضوح استثمار التطرف الدينى من الجانبين المسلم والمسيحى لهز نظام الحكم بغير إدراك لخطورة هذه اللعبة .

ولم يكن السادات متجنيا فى ذلك .

ولكن .. كان التزيد فى أسماء من تقرر التحفظ عليهم هو الذى يؤخذ على قرارات سبتمبر . فلم يكن هناك مبرر على الإطلاق لاعتقال عبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين الأسبق رغم تطرفه إلى درجة السب العلنى فى معارضة السادات . لقد جاوز الشوربجى السبعين من عمره ، وكان يعانى من أزمة قلبية حادة كما لم يكن هناك ما يدعو لاعتقال المهندس عبد العظيم أبو العطا وقد كان مريضا . وكان نشاطه السياسى محدود الأثر ، وبلا تأثير كما أن اعتقال عبد الفتاح حسن النائب السابق والوزير الوفدى الأسبق ، كان مدعاة لاستنكار الكثيرين لأن هذا الرجل ــ رحمه الله ــ كان على علاقات اجتماعية وإنسانية طيبة وممتازة بأطراف عديدة وقد ظهر هذا فى تشييع جنازته التى اشترك فيها الآلاف من كل الاتجاهات .

كما أن هناك عددا من الصحفيين غير المؤثرين الذين جعل منهم التحفظ أبطالا يتحدثون ، بعد الافراج عنهم ، عن نضالهم التاريخى فى السجون .

وكان السادات مركزا أساسا على التحفظ على اثنين . فؤاد سراج الدين ومحمد حسنين هيكل .

لقد كان مقتنعا بأنه اعطى الاثنين ، أكبر فرص الممارسة الديمقراطية الحرة .

لقد رفع الحراسة عن فؤاد سراج الدين .. وبقرار رفع الحراسة أصبح فؤاد سراج الدين مليونيرا .. وقرار رفع الحراسة عن فؤاد سراج الدين أصدره الرئيس جمال عبد الناصر .. ولكن القرار اختفى فى مكتب سامى شرف ولم ينفذ . وقد عرفت هذه الحقيقة فى وزارة الدكتور عبد العزيز حجازى كما صرح لى بذلك . وأمر السادات بتنفيذ القرار . ورفع الحظر السياسى عنه . وعينه عضوا فى اللجنة المركزية . وكان مرحبا بتأليف حزب الوفد الجديد .. وانخدع السادات فيما سمعه من أن فؤاد سراج الدين وضع نصا فى برنامج الحزب الجديد بأن يكون السادات رئيسا للجمهورية مدى الحياة .. لولا أن بعض أعضاء من الحزب اعترضوا لا عن عدم ثقة فى السادات .. ولكن لأن النص غير دستورى . وكان فؤاد سراج الدين قد زار النائب محمود أبو وافيه عديل السادات عند تأليف المنابر ، وقال إنه مستعد أن يشترك فى حزب يرأسه أنور السادات .

وكل ذلك وضح أنه من باب ذر الرماد فى العيون . لأن مواقف الحزب فى مجلس الشعب .. وخطابات فؤاد سراج الدين بعد ذلك .. أوضحت أن الهدف هو ضرب ثورة ٢٣ يوليو وشطبها من التاريخ .. والعودة إلى الماضى بكل السبل ..[١]

---

(١) تغير موقف حزب الوفد الجديد بعد ذلك فى الإنتخابات فى عهد الرئيس حسنى مبارك . وأعلن فؤاد سراج الدين أنه يؤيد مبادىء الثورة ولكنه يعارض الأخطاء فى تطبيق هذه المبادىء .

ومن هنا كان اختلاف المواقف

وحتى لا يصل فؤاد سراج الدين إلى حد المواجهة مع النظام قرر الحزب حل نفسه .. ولكن اتصالات فؤاد سراج الدين .. لم تنقطع .. وسجلت الاجتماعات التى كان يعقدها فى منزله ، أن الحزب يشترك فى حملات التهييج والإثاره .. فى المقاهى العامة لتأليب الرأى العام وغير ذلك من الوقائع العديدة التى لا يجرمها القانون العادى ولكنها تشارك فى إحداث البلبلة والبلاد تواجه فتنة طائفية خطيرة .

ولذلك كان القرار بوضع فؤاد سراج الدين تحت التحفظ .. بل كان الاتجاه إلى وضع أمواله تحت الحراسه .. حتى لا تستثمر فى أى نشاط سياسى مضاد .

أما بالنسبة لمحمد حسنين هيكل فقد أعطاه السادات فرصا عديدة . ولم يقيد حركته فى السفر . بل إنه عندما طلب السفر إلى البلاد العربية لكتابة مؤلف ، وكان مفصولا من الأهرام .. أرسل مكتب الرئيس رسائل بالشفرة إلى السفارات المصرية فى العواصم العربية . وكذلك إلى رؤساء هذه الدول بتسهيل مهمة هيكل وتكريم معاملته . كما أن السادات لم يحجر على هيكل فى الكتابة فى الصحف العربية والغربية التى أدخلت إلى جيبه الملايين . وكل مقالاته كانت معارضة عنيفة لسياسة السادات الخارجية ولكنها على أساس تكهنات ، أو آمال فاشلة كان هيكل يتصور تحقيقها . ومن ذلك ما كتبه هيكل بعد تولى جيمى كارتر رياسة أمريكا ، أن مشكلة الشرق الأوسط هى فى ذيل اهتمامات الرئيس الأمريكى .. وأنه لا أمل على الإطلاق فى أى تدخل أمريكى لحل الأزمة . وكل هذه التوقعات ثبت أنها فاشلة لأنها لم تكن تقوم على أساس من التقدير السياسى .. بل كان دافعها ، هو أمل هيكل فى أن تفشل سياسة السادات فى تحقيق الانسحاب الإسرائيلى من سيناء .

وقد بدأت محاولات هيكل منذ عام ١٩٧٥ فى رحلة السادات الأولى إلى أمريكا ، فى عهد الرئيس فورد . لقد سافر هيكل إلى أمريكا لالقاء محاضرة فى إحدى التجمعات العربية فى أمريكا ، قبل وصول السادات . وأراد أن يستمر فى أمريكا خلال وجود السادات لكى يدلى بأحاديث صحفية عن انهيار الوضع الإقتصادى الداخلى فى مصر .. وهبوط زعامتها . وعندما كنا فى باريس قبل أن نصل إلى واشنطن قرأنا حديثا لهيكل نشر فى النيويورك تايمز . ثم علمنا أنه حاول الالتقاء بعدد من الرسميين الأمريكيين . وأقام له السفير أشرف غربال ، بحسن نية ، حفل عشاء ، دعا إليه عددا من الصحفيين والرسميين . ولما رأى هيكل أن المقابلات الرسمية التى طلبها مرفوضة . ولما علم أن هدفه مقضى عليه بالفشل أصدر تكذيبا للحديث . ثم عرف أن طلبه مقابلة السادات لتوضيح موقفه ــ كما كان يفعل ذلك سابقا بالنسبة لما يكتبه فى الصحف العربية

- مرفوض .. غادر واشنطن يوم وصول الرئيس إليها . ثم تقدم الصحفى المصرى السابق محمد حبيب إلى الرئيس السادات بقصة قال أنه حضرها .. وهو أن هيكل طلب أن يحجز له فى كل فندق ينزل به الرئيس فى مختلف المدن الأمريكية التى كان مقررا زيارتها . وكان هيكل يتصور أنه شخصية منافسة للرئيس السادات أمام الإعلام الأمريكى ! .. ومن يعرف هيكل لا يستبعد هذا الغرور القاتل عن تفكيره .. وكيف لا .. وقد كان يشارك فى حكم مصر مع جمال عبد الناصر .. وكان السادات .. متواريا حتى بعد أن أصبح نائبا لرئيس الجمهورية !

ولكن هيكل استمر فى أسلوب الاتصال ، بالمراسلين الأجانب .. وأصدقائه الكتاب الذين عرفهم وقت أن كان هو كل شيء فى حياة عبد الناصر ، وكان يدير لهم مواعيد اللقاء بجمال عبد الناصر .. استمر يتصل بهم لاعطائهم معلومات كاذبه عن انهيار حكم السادات وفشل سياسته . ولما لم يتوقف عن هذا الدور والبلاد تواجه فتنة طائفية خطيرة .. رأى السادات أنه لابد من وقفه عند حده ، بالتحفظ عليه والتحقيق معه سياسيا .

وكان السادات من قبل قد أحال هيكل للتحقيق ، أمام المدعى الإشتراكى .. ولم يكن القرار ناضجا .. لأن المقالات التى حقق مع هيكل بشأنها لم تكن تحوى ما يوجب المساءلة القانونية .. وقد كان التحقيق معه بلا جدوى .. لأن السادات عرض عليه خلال أزماته منصب وزير الأعلام .. وهذا يدل على الثقة .. فكيف يحاسبه على آراء أبداها قبل عرض هذا المنصب عليه .. وكان هذا التصرف خاطئا من السادات فى ذلك الحين .. إذ كان هدف السادات هو « حرق » هيكل .. لأن منصب الوزير يلزم هيكل بسياسة الدولة فتبطل له كل حجة إذا انتقل إلى موقف المعارضة بعد ذلك .. كما أن إقالته كانت ممكنة فى أى وقت .

وقد فطن هيكل إلى ذلك ورفض المنصب .. واستمر فى سلوكه التشهيرى بالنظام .. فكان قرار التحفظ وكان هناك أيضا اتجاه إلى وضع أمواله تحت الحراسة ..

إن النقد اذن الذى يوجه الى قرارات سبتمبر ، هو أنها شملت أشخاصا ، كان من الممكن — أو من الواجب — ألا تشملهم كما أن قرارات التحفظ صدرت للجماعات الدينية المتطرفة ، دون الوصول إلى كل مخازن الأسلحة التى يملكونها وبعد إعطاء الفرصة لبعضهم للاختفاء والهرب وارتكاب مذبحة أسيوط الدامية . وقد ثبت بعد ذلك أن أجهزة الامن لم تكن تدرى شيئا عن وجود تنظيم سرى دينى مسلح الا فى ٣٠ سبتمبر .. أى قبل اغتيال السادات بأسبوع واحد فقط !.. كما شرحت تفصيلا فى فصل سابق .

والنقد الثانى الذى وجه الى هذه القرارات . أنها شملت قوى عديدة . البابا شنودة وعدد من القساوسة وواعظان معروفان فى المساجد وعدد كبير من شباب الجماعات الإسلامية صحفيون . أساتذة جامعات . محامون من قيادات حزبية معارضة ويقال فى هذا النقد إن السادات عادى كل القوى وكان رأى السادات أن هذا النقد غير صحيح لأن هذه القوى لم تكن متفرقة وكان يجمعها ، جبهة واحدة وتنسيق متكامل فى العمل التشهيرى بالنظام واستثمار الفتنة الطائفية وتوحد الهدف فى تعطيل الانسحاب الإسرائيلى من سيناء وإفشال كل جهود السلام التى بذلها السادات ، والتى رأى فيها العالم الغربى إحدى معجزات القرن .

ولذلك فمن العدل — تاريخيا — أن نوجه هذا السؤال الهام ..

من المسئول عن هذه النهاية.. من ديمقراطية ١٥ مايو الى اعتقالات ٣ سبتمبر ؟

هل هو السادات ؟

أم هم هذه القوى المعارضة التى جمعت بين أقصى اليسار .. واقصى اليمين .. بين الشيوعيين والإقطاعيين .. بين الملحدين ، ودعاة الحكم الاسلامى ؟

قيل فى بعض الآراء أن السادات هو المسئول ، منذ أعلن قيام النظام السياسى فى مصر ، على تعدد الأحزاب . قيل إن هذه الخطوات ، كانت قبل أوانها ، بعد أن حكمت مصر حكما فرديا استمر من يوليو ١٩٥٢ حتى مايو ١٩٧١ . جاءت هذه الخطوة ولم يكن أحد مستعدا للممارسة الديمقراطية السليمة . ولم تكن هناك قواعد حقيقية تهيىء أيجاد أحزاب .. الا باستثناء الشيوعيين ولهم تنظيماتهم السرية والعلنية .. والإخوان المسلمون الذين تعتبر الجماعات الاسلامية بالنسبة اليهم هى اليسار المتطرف وربما المتمرد . وبذلك اتاح السادات الفرصة لجماعات منظمة فعلا تجمع بين أقصى اليسار وأقصى اليمين .. ولم يكن أمامها ما يواجهها .. فلم يكن حزب مصر الذى ألفه السادات برياسة ممدوح سالم ، له جذوره .. وكان حزب الأحرار الذى تكون برياسة مصطفى كامل مراد مجرد صورة زائفة .. كما أن السادات عندما عاون حزب العمل برياسة إبراهيم شكرى على التكوين .. جعل ميلاد الحزب مشتبها فيه .. وهكذا وجد أعضاؤه بمركب نقص ، هو أنهم أبناء السلطة .. فانتهزوا أول فرصة للتطرف فى المعارضة وإثبات عكس ذلك .

ولذلك اضطر السادات أن يؤلف الحزب الوطنى الجديد . ولكن الحزب جاء صورة أخرى من حزب مصر .. فكان على السادات أن يواجه المعارضة بشخصه .. وهنا أصبح طرفا فى العراك الحزبى .. وخاصة أنه تولى رياسة الحزب .

وهكذا تطورت الأمور .. حتى تأزم الأمر واضطر السادات الى اتخاذ قرارات سبتمبر الوقائية .

ربما كان في هذا النظر بعض الصحة .. ولكنه لا يمثل كل الحقيقة ..

وفي رأيي أن العناصر الماركسية في حزب التجمع التى طالبت بالتحالف مع الاتجاهات الدينية .. ثم ظهور الدكتور حلمى مراد نائباً لرئيس حزب العمل بعد حل حزب الوفد الجديد ، ومحاولة تصفية حساباته الشخصية مع أنور السادات الذى رفض إسناد أى منصب رسمى إليه .. وكان حلمى مراد قد سعى إلى ذلك .. كل هذا هيأ تكوين فكرة الجبهة المعارضة الواحدة التى بنيت خطواتها على أساس استثمار الفتنة الطائفية .

إن حلمى مراد ، اشتغل سياسياً متفرغاً بكل جهده ووقته وخلفيته التنظيميه لإيجاد هذه الجبهة الموحدة .

ولكن ما هى الحسابات الشخصية التى أراد الدكتور حلمى مراد أن يصفيها مع السادات ؟ ..

لقد بدأ ذلك بعد أن تولى السادات رياسة الجمهورية .

كان حلمى مراد يرى أن وضعه الطبيعى على المسرح السياسى هو أن يسند إليه الرئيس السادات مسئولية وزارية . وكان أحمد حسين زعيم مصر الفتاه القديم .. وزوج السيده شقيقة حلمى مراد يبعث بالرسائل من فراش مرضه إلى الرئيس السادات مؤيداً ثورة ١٥ مايو وكان يرشح له الدكتور حلمى مراد لتولى رياسة الوزارة . وكان حلمى مراد يتمتع بسمعة طيبة فى الرأى العام ، هو الذى صنعها عندما أشاع أنه هو الذى ترك المنصب الوزارى فى عهد عبد الناصر لأنه اختلف معه وصدقنا جميعاً ذلك . وقد أفادت هذه الإشاعة التى أطلقها حلمى مراد فى أن ينجح حلمى مراد فى دائرة مصر الجديدة فى انتخابات مجلس الشعب ، وكان مؤيداً من كل القوى .. وكنا فى صحف أخبار اليوم نقدم له دعاية مجانية ، إيماناً منا بسلامة وطنيته وشجاعته . ثم اتضحت الحقيقة مؤخراً .. وهى أن عبد الناصر هو الذى أقال حلمى مراد . سجل ذلك فى المحضر السرى (الموجز) لمجلس الوزراء . وقد اتصل مكتب عبد الناصر بالدكتور حلمى مراد أكثر من مرة لكى يكتب استقالته ، ولكنه لم يكتبها ، أملا فى أن يجد وسيلة لكى يعفو عنه عبد الناصر . وقد وسط فى ذلك كثيرون . وكتب رسالة إيضاح لموقفه إلى عبد الناصر . ولكن عبد الناصر لم يستمع إليه .

وقد طلبنى الرئيس السادات ، بعد انتخابات نقابة الصحفيين فى ١٩٧١ .. ليعرف

منى أسباب سقوطى فى انتخابات النقيب وقابلته فى ميت أبو الكوم وامتدت المقابلة أربع ساعات ، استمعت فيها من السادات إلى تحليل واقعى للموقف السياسى . وهو أن ذيول مراكز القوى وأعضاء التنظيمات السرية للاتحاد الاشتراكى والشيوعيين لا يزالون يضربون آخر سهامهم بعد أن اختفى على صبرى وباقى مراكز القوى . ولذلك فقد وصفوا التحول الديمقراطى الضخم ، وانهاء الحكم البوليسى ، والإفراج عن جميع المعتقلين وإعلان سيادة القانون ، ووضع الدستور الدائم الجديد .. وصفوا كل ذلك بأنه انقلاب رجعى !

وهنا انتهزت الفرصة وتحدثت مع الرئيس عن الدكتور حلمى مراد .. وكيف أنه يمثل طرازاً جديداً من المواطنين .. وأن مكانه الطبيعى ــ ومن مثله ــ إلى جوار السادات . ورفض الرئيس منى هذا الوصف تماماً . وقال لى إن حلمى مراد من طراز السياسيين القدامى . وقال إنه لا يثق به .. لأنه رآه أمام جمال عبد الناصر فى الغرفات المغلقة .. وسمع ما يقوله عن مواقف مفتعله خارج الحجرات وفى المجتمعات . وقال السادات إننى لا أحب هذا الطراز الذى يدعى البطولات كذباً .

واستمر حديثنا عن حلمى مراد أكثر من ساعة .. وعبثاً حاولت أن أحصل من الرئيس على وعد بأن يلقى حلمى مراد ويستمع إليه لعله يغير من وجهة نظره . ومن كثرة إلحاحى وافقنى الرئيس ، ولكنه لم يحدد موعداً لحلمى مراد ..

وقد رويت هذه القصة للدكتور مراد لأننى كنت مقتنعاً به بغض النظر عن رأى الرئيس السادات . وقال حلمى مراد إن الرئيس السادات فهم خطأ موقفاً له فى وزارة التربية والتعليم ، وأنه يريد أن يصحح هذا الموقف أمام الرئيس .

ولكن حلمى مراد بدأ عمله النيابى ، بتفجير قنبلة سياسية لكى يحيط نفسه بأجواء من الإثارة .. لقد وزع بياناً اعترض فيه على ترشيح سيد مرعى لرياسة مجلس الشعب .. لأنه صهر الرئيس السادات . ونجح سيد مرعى بأغلبية ساحقة ، ولكن علاقته توترت أو ساءت مع حلمى مراد .

وظهر حلمى مراد فى المجلس ، كمعارض مستقل ، مهذب العبارة يدرس الموضوع الذى يتحدث عنه ، ويمجد ديمقراطية عصر السادات وأتاح له سيد مرعى حرية التعبير الكاملة فى المجلس . ولكن هذا لم يقربه إلى أنور السادات .

ولجأ إلى أسلوب آخر .. بدأ يخطب فى الميادين العامة ، مع عدد آخر من النواب المعارضين ، وارتفعت نبرته الاستفزازية .

ولكن هذا لم يجد أيضاً ، فى أن يسعى إليه السادات .

ثم حاول بعد ذلك أن يكون جبهة معارضة وفشلت الفكرة لأنه تنافس على رياسة الجبهة مع المرحوم الدكتور محمود القاضى الذى كان يعتقد أنه أحق منه بزعامة المعارضة . وكانت حرب أكتوبر . ووصلت زعامة وشعبية السادات إلى قمتها ، بعد أول نصر يحققه العرب فى التاريخ الحديث .. ورأى حلمى مراد أنه من الأوفق أن يسعى إلى تحسين صورته أمام الرئيس السادات بالاتصالات التحتية .

وقابلته على مائدة غداء فى فندق شيراتون . وكان معنا على نفس المائدة الكاتب الاشتراكى الوطنى عبد الرحمن الشرقاوى . وأسر لنا حلمى مراد ، أنه ضاق بالمعارضين الانتهازيين ووصفهم بأنهم مهرجون .. وأن وجوده معهم فى مجموعة واحدة ، يسىء إليه .. بينما هم يستفيدون من اسمه .. وطلب منا أن نعاونه فى التفاهم مع الرئيس السادات .. وكرر خلال هذا الحديث أكثر من مرة أنه يعتبر نفسه رجل السادات . ومادام هو فى المعارضة وليس فى الحكم فإن معارضته هى لخدمة نظام أنور السادات .

وقلنا له إن تحسين علاقته بالسادات ، يجب أن يجىء خطوة خطوة ، فإذا أصلح ما بينه وبين سيد مرعى أولاً .. فإن سيد مرعى يمكن أن يتحدث إلى السادات عنه .. كما أننا ــ الشرقاوى وأنا ــ نتحدث أيضاً إلى السادات .. وبذلك يتلقى السادات الكلمة من مصدرين يثق بهما . وكان دافعنا هو الثقة الكاملة فى حلمى مراد .

واتفقنا على أن أتحدث إلى سيد مرعى فى ذلك . وقبل الرجل واتفقنا على أن نجتمع فى منزلى .

وتم الاجتماع واستمر ثلاث ساعات ولم يكن أحد معهما غيرى . وفى هذا الاجتماع الذى لم يعلن عنه ، أكد حلمى مراد كلماته السابقة لنا وهو أنه رجل أنور السادات ، سواء فى موقع رسمى أو فى المعارضة .

ثم طلب حلمى مراد لقاء حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية .. وقال له نفس القول .

وقبل أنور السادات بعد ذلك ، أن يلقاه .. وبقى فقط تحديد الموعد .. وأخطر مكتب الرئيس الدكتور حلمى مراد بذلك .

والحق أننى كنت سعيداً بذلك .. لأننى كنت ممن يريدون أن يكون حلمى مراد ــ ومن فى مثل مستواه ــ بجوار السادات .. لأننى حتى ذلك الوقت كنت أثق به تماماً .. وكنت مقتنعاً بأنه تحدى عبد الناصر وقدم استقالته .

وفجأة وقعت مظاهرات ١٨ و ١٩ يناير ..

واتصل بى الدكتور حلمى مراد تليفونياً من مصر الجديدة يوم ٢٠ يناير فى الساعه الرابعه بعد الظهر ، وكنت فى قمة الإرهاق لأننى لم أنم ليلتين وأنا فى مكتبى فى أخبار اليوم والحرائق تقترب لالتهام المؤسسة .

وكانت دهشتى بالغة ، لأن حديث الدكتور حلمى مراد معى ، كان بنبرة مختلفة تماماً . قال لى إن البلاد فى ثورة أخطر من ثورة ١٩١٩ . وأن أنور السادات يجب أن يقيل وزارة ممدوح سالم ..وأن يعقد مجلساً وطنياً يدعو إليه قادة المسرح السياسى للتشاور ..

وأكدت له أن البلاد ليست فى ثورة وأنها مجرد مظاهرات بسبب مفاجأة الحكومة للجماهير بقرارات رفع الأسعار .. وأن التنظيمات الشيوعية السرية وغيرها ركبت الموجة ، وبدأت الحرائق ودليلى على أن الأمر مرتب ، هو أن الهتافات هى بكلمات واحدة فى كل المدن .. وأن أسلوب مقاومة رجال الأمن ، أسلوب واحد وهو حصار مراكز البوليس والمطافىء ، بسيارات محروقة تعيق حركة الأمن .

وانقطع الاتصال التليفونى بيننا أربع مرات . بسبب فساد الخطوط بين مصر الجديدة والزمالك . ولكن حلمى مراد حاول طلبى أربع مرات . وكان يكرر نفس كلماته .

وشعرت أنه يسجل موقفاً .. شعرت أنه قدر أن النظام قد إنهار من أساسه .. وأنه يريد أن يعلن بعد ذلك ، أنه حذر السادات — بواسطتى — من خطورة الموقف .. وأنه طلب إقالة الوزارة ، وعقد مجلس وطنى .. ولكن السادات لم يستمع .

أدركت ذلك من كثرة ما كرر هذه العبارات ..

وهنا فقدت أعصابى .. وسألته : ولكن لماذا تحدثنى أنا بالذات عن ذلك ؟

وقال : لأنك قريب من السادات .. وعليك إبلاغه ..

فقلت فى غضب : أنا لست سكرتيراً للسادات ، ولست مديراً لمكتبه . وأنت نائب وتستطيع الاتصال بالسادات ، خلال القنوات الرسمية .. وإذا كنت قد تحدثت إلى السادات فى موضوعات تخصك فقد كان ذلك من واقع الرغبة فى تصحيح فكرة خاطئه .. وليس هذا شأنى ولا عملى ، أنا صحفى فقط .

وانتهى بيننا الحديث ..

وعرفت بعد ذلك ، أن السادات وافق على أن يقابل حلمى مراد .. ولكن بعد أن ينتهى مجلس الشعب من مناقشة أحداث ١٨ و ١٩ يناير .

وبعد أيام .. اتصل بى حلمى مراد تليفونياً ، لكى يسأل عن رد قصير فى بضعة أسطر ، أرسله تعليقاً على خبر نشرناه .. وسألنى لماذا لم تنشر التعليق ..

فقلت له (باستفزاز) : لن ننشره لأنه لا توجد حرية صحافة .. ولكننى سأنشر لك شيئاً آخر ..

وسألنى : ماذا ؟

قلت : خطابك فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى عهد عبد الناصر وأنت وزير للتربية والتعليم ، عن أحداث المنصورة التى وقعت فيها مثل حرائق ١٨ و ١٩ يناير ..

وبدأت أقرأ له فقرات من هذا الخطاب الذى كان أمامى .. وكان حلمى مراد الوزير يستنكر إحراق وسائل المواصلات .. ويدعو إلى النظام .. ويصف أحداث التخريب بمثل ما وصف ممدوح سالم رئيس الوزراء أحداث ١٨ و ١٩ يناير !

وهنا أسقط فى يد حلمى مراد ..

وقال : إذن أنت تتعقبنى ..

واستقبله أنور السادات بعد انتهاء مناقشة أحداث يناير . وقدم حلمى مراد لكلماته للرئيس فى أدب جم بقوله إنه لا يعرف كجندى كيف يبدأ حديثه مع القائد . واستمع إليه السادات أكثر من نصف ساعة ، وهو يعرض خدماته وإخلاصه للسادات وللنظام .. وأنه يتخذ من المعارضة النزيهة المسئولة ، أسلوباً لخدمة السادات وخدمة النظام . ولم يعلق السادات بحرف واحد .. بل تركه يتكلم إلى أن انتهى من كلماته . ثم أنهى المقابلة !

خرج حلمى مراد بعد هذه المقابلة وهو يائس تماما من أن يكون له موقع بجوار السادات . ومن هنا قرر الانضمام إلى حزب الوفد الجديد عندما أعلن فؤاد سراج الدين عن إنشائه . ونسى حلمى مراد تماما، كل ماضيه كمتعاطف مع حزب مصر الفتاة .. قبل الثورة ومعارض للوفد .. كما نسى كل عمله السياسى فى تنظيم ثورة ٢٣ يوليو (الاتحاد الاشتراكى) حتى أصبح عضوا فى اللجنة المركزية ثم وزيرا .. وبدأ يعمل تحت لواء فؤاد سراج الدين — وكان فى رأيه — رمز الاقطاع والفساد السياسى قبل الثورة .. لمجرد أنه أراد أن يبدأ معارضة استفزازية للنظام .. بعد أن فشلت كل محاولاته ليكون فى موقع رسمى قريب من السادات .

وهكذا بدأ يصفى حساباته .

وعندما حل حزب الوفد نفسه .. انتقل حلمى مراد للكتابة فى صحيفة حزب العمل ، دون أن ينضم إلى الحزب .. ثم أصبح نائبا لرئيس الحزب ، ونجح بعد ذلك ، فى

دفع عناصر قوية ونظيفة من الحزب إلى الاستقالة مثل المرحوم رفعت الشهاوى المحامى أحد مؤسسى الحزب والدكتور الحديدى عضو مجلس الشعب . وخلا الجو لحلمى مراد . وفجأة تراجع الحزب عن قرار تأييده لكامب دافيد واتفاق السلام . وكان قد بدأ قبل ذلك يشن الحملات التشهيرية وكانت أولها حملة التشكيك فى نزاهة الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء فى اتفاق التليفونات ، مع مجموعة الشركات الأوربية (كما أشرت من قبل) . وتجاوز ذلك إلى أمور شخصية استفزازية للرئيس والسيدة قرينته .

وكان السادات يعلن أنه لايقرأ صحف المعارضة .

ولكن هذا غير صحيح . كان هذا الاعلان مجرد تعبير من جانبه عن سموه على السطور المشهرة والمهيجة التى تنشرها صحيفة حزب العمل .

وعندما بدأ حلمى مراد حملة التشهير بنزاهة الحكم ، قرر الحزب أن تتوقف صحيفته ــ وكنا نطبعها ونوزعها فى مؤسسة أخبار اليوم ، وعندما قرر الحزب العودة إلى إصدار صحيفته اعتذرت عن عدم التعاقد معهم ، وزارنى المهندس إبراهيم شكرى وحاول إقناعى .. ولكننى اعتذرت . وقد أكدت لهم ــ أن هذا موقف على مسئوليتى كرئيس لمجلس إدارة المؤسسة .. لأننى قدرت أن المستقبل القريب يحمل لنا متاعب عديدة فى طبع الصحيفة وتوزيعها .. ولم أكن مستعدا لهذه المتاعب فوق إرهاقات مسئوليات عملى اليومى .

ولم يدخل حلمى مراد انتخابات مجلس الشعب التالية . وكان يعلم أن أرصدته لدى جماهير مصر الجديدة ــ دائرته الانتخابية ــ قد هبطت تماما بعد أن عارض اتفاق السلام .. كما أن منافسه فى الدائرة صاحب شخصية قوية هو الدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء الذى يتمتع باحترام كبير .

تعاقد حزب العمل مع مؤسسة الأهرام لطبع الصحيفة . وهذا يؤكد أن السلطة لم تتدخل لمنع طبع الصحيفة فى مؤسسة أخبار اليوم .

وزادت حملة التشهير . وضاق بها أنور السادات لتجاوزها كل الحدود .. واعتذر « الاهرام » عن عدم إمداد الصحيفة بورق الطباعة .. وكان ذلك عذرا شكليا .. ونشرت الصحيفة بضعة سطور على أن سلوك الاهرام هو قهر لحرية الرأى . وأفردت « الاهرام » صفحتين كاملتين للرد على صحيفة « الشعب » . وكان هذا خطأ ، من الأهرام لأنه كان أكبر دعاية للصحيفة . وأكبر تعبير عن ضيق السادات ، وتحدثت إلى الرئيس السادات فى هذا المعنى وصارحته بأن الموضوع ، كله لا يستأهل هذه الضجة وكان يجب التعليق فى أسطر قليلة لا صفحتين كاملتين . وأذكر أنه ضاق بهذا الرأى منى

وعرفت بعد ذلك أنه صاحب فكرة الرد فى صفحتين . وقال لى فى شىء من الغضب : « إننى لم أطلب منك أن تكتب مؤيدا لهذا الموقف . وقلت له إننى أقول رأيى بعيدا عن فكرة الكتابة أو عدمها ، ولكن الرئيس السادات اعتقد أننى أتهرب من معالجة هذا الموقف بما يتفق مع وجهة نظره .

واستمر الوضع على هذا الحال ، وبدأ حلمى مراد يدعو لفكرة جبهة المعارضة التى تضم كل المعارضين .. وكانوا يعقدون المؤتمرات الصحفية للصحافة الأجنبية ، لنشر كل تشهيرهم بحكم أنور السادات فى الصحف الغربية . ووصل التشهير إلى حد اتهام الحكومة بتدبير مؤامرات لاغتيال زعماء المعارضة . وأن مؤامرات لاغتيال خالد محيى الدين كانت ستنفذ فى أسيوط . وكان هذا الادعاء مجرد هـراء ، ثم كانت إذاعـات الرفض تذيع كل ما ينشر فى صحيفة حزب العمل . وتركزت المعارضة فى كامب دافيد وقضية السلام .. والادعاء المستمر بقهر الحريات .

ولكن السادات بدأ يقدر خطورة الموقف .. بعد أن اتجهت المعارضة إلى استثمار الاتجاهات الدينية المتطرفة . وبعد أن استخدم عدد من المعارضين مثل فتحى رضوان ، منابر المساجد للإثارة السياسية .

وكان هذا هو أخطر تطور فى الموقف الداخلى .. وكانت الاستراتيجية التى رسمها السياسى المخضرم فتحى رضوان لجبهة المعارضة ــ كما ذكرت من قبل ــ هى أن تفعل المعارضة كل شىء يؤدى بالسادات إلى أن يقرر سجنهم جميعا وبذلك تبطل دعـوى الديمقراطية .. ويظهر الحكم بصورة الضعف الذى يمكن ان يبطل معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

ولم تكن تصفية الحسابات الشخصية مقصورة على حلمى مراد . كان هذا أيضا هو وضع كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة .

عندما أعلن القرار بترشيح السادات لرياسة الجمهوريـة اجتمع عبـد اللطيف البغدادى وكمال حسين وزكريا محيى الدين وكتبوا مذكرة إلى السادات مطالبين بإنشاء جمعية تأسيسية تقرر مصير البلاد . وقد استقبل السادات فى قصر العـروبة ، خـلال الدعاية الانتخابية للرياسة ، عبد اللطيف البغدادى وتفاهم معه على أنه بعد أن تعود الأوضاع الطبيعية الدستورية .. يمكن مناقشة كل شىء .

ولم يقطع السادات علاقاته الاجتماعية بالبغدادى وكمال حسـين . ودعاهم إلى أفراح كريماته وابنه جمال . وكانوا يجلسـون معه فى المائدة الرئيسية . وكـان الاتصال الشخصى مستمرا . وطلب كمال الدين حسين لقاءه مرة واستقبله فى منزله وظل معه

طوال النهار أكثر من ثماني ساعات .. ولكنهم تيقنوا — بعد هذه العلاقات الاجتماعية الطيبة — أنه لن يكون لأحدهم موقع رسمي .. وهنا بدأت الفرقة .. ولم يشترك زكريا محيى الدين فى أى نشاط معاد واستمر فى عزلته . كما أن البغدادى لم يظهر أى تحرك مناهض . أما كمال الدين حسين فقد قرر أن يخوض المعركة ضد السادات . تحت شعار الديمقراطية والحرية . ونجح فى انتخابات مجلس الشعب فى دائرته . ولكنه لم يبرز كمعارض . وأراد أن يسجل موقفا فأرسل برقية إلى الرئيس السادات تعمد فيها أن يتطاول على شخص السادات كرئيس .. ووجه اتهاما عاما ، بأن كل الاستفتاءات والانتخابات مزيفة . وكانت هذه البرقية هى نقطة التحول . وأصّر السادات على ضرورة إخراجه من عضوية مجلس الشعب . وبذلت محاولات للتوسط ، على أساس أن يعتذر كمال الدين حسين عن التطاول ، وأن يكون قرار مجلس الشعب هو وقفه لبضعة أسابيع أو لدورة .. كما تقضى بذلك لائحة مجلس الشعب . ولكن كمال حسين ألقى بيانا بعيدا عن أى اعتذار . وقرر المجلس إسقاط عضويته . وليس كمال الدين حسين بالشخصية الجماهيرية . ولكن إخراجه من مجلس الشعب ، جعل له وضعا يجلب التعاطف . ودخل الانتخابات فى المرة الثانية .. وسقط ولكن كان واضحا أن الحكومة تدخلت لإسقاطه . وتفرغ بعد ذلك ، للإدلاء بالأحاديث الصحفية للصحف التى تصدر فى البلاد العربية ، وفتح النار على كل سياسة أنور السادات وعلى تاريخه فى ثورة ٢٣ يوليو .. بأقذع العبارات .. وانضم إلى نشاط جبهة المعارضة فى كل تحركاتها رغم أنه من ألد أعداء الشيوعية ولكنه من المؤيدين للاتجاهات الدينية بطبيعة تكوينه وأفكاره .

وبعد حرب أكتوبر قرر السادات اختيار نائب جديد لرئيس الجمهورية بدلا من حسين الشافعى تحت شعار تقدم جيل أكتوبر إلى مواقع العمل . وأبلغ ممدوح سالم رئيس الوزراء هذا القرار إلى حسين الشافعى الذى تقبله ببرود . وعلق بأن ذلك من حق رئيس الجمهورية ولم يكن يعرف أن السادات اختار حسنى مبارك لهذا المنصب . وكان واقع الحال يؤكد استحالة التعاون بين السادات كرئيس وحسين الشافعى كنائب للرئيس . كان الشافعى يشكو من أن أهم قرارات الدولة تصدر دون أن يعرف عنها شيئا . وكان السادات يشكو من أن حسين الشافعى يتحرك ويلقى الخطب العامة دون استئذان من الرئيس ودون التزام بسياسة الدولة ، وكانت اتجاهاته فى خطبه السياسية فى الجوامع ، اتجاهات دينية وهذا ما رأى فيه السادات إشارة لدمج الدين بالسياسة . ولذلك استقر قراره على إبعاده .

وفعل حسين الشافعى نفس الشىء الذى فعله غيره . وهو الالتجاء إلى الصحف العربية لشن حملات الهجوم العنيفة على كامب ديفيد واتفاق السلام وتاريخ انور

السادات فى ثورة ٢٣ يوليو .. وكان يعبر فى ذلك عن تأييده لجبهة المعارضة(١) .

كل هذه الأجواء أحاطت بالسادات ، والموعد المقرر للانسحاب الثانى من سيناء يقترب . كما أن مباحثات الحكم الذاتى لم تتقدم خطوة واحدة . ووضعت تصرفات بيجن موقف السادات فى حرج شديد أكثر من مرة . كان أخطرها ضرب المفاعل النووى العراقى .. ثم برزت نشاطات الجماعات الدينية المتطرفة ، بشكل استعرضوا فيه قوتهم التنظيمية ، كقوة قادرة على التحرك فى الوقت المناسب ثم وقعت أحداث الزاوية الحمراء .. وقبلها كان حادث إلقاء القنبلة على كنيسة « مسرة » بشبرا التى راح ضحيتها مسلمون ومسيحيون وقبل ذلك أحداث فى الاسكندرية استشهد فيها أحد ضباط الشرطة . وحوادث متفرقة أخرى عديدة .. اتجهت إلى الدم واستخدام السلاح . (كما ذكرت من قبل)

ولذلك قرر السادات أن يواجه ذلك دفعة واحدة وبضربة واحدة تجنبا لمذابح الدم ـ فى الفتنة الطائفية ـ وإنقاذا لإتمام الانسحاب الاسرائيلى من سيناء .

وكان يؤلم السادات أنه لم يستطع إنقاذ الشباب الذى كان يراه مضللا فى الانضمام إلى الجماعات المتطرفة .. ولذلك فقد طلب أن تكون الاعتقالات محدودة .. وقد سأله أحد المقربين إليه فى جلسة عائلية .. ولكن لماذا لاتعتقل كل تنظيمات الجماعات مادام الأمر مؤقتا ؟

وكانت إجابة السادات أنه يرى أن هؤلاء الشبان فى مقام أبنائه .. ولذلك اكتفى بالتحفظ على القيادات فقط .. وهو لايريد أن يقوم بحركة بطش ، بقدر ما هى حركة وقائية حتى يتم الانسحاب .

كان هذا الحديث فى جلسة عائلية ، ولم يكن السادات فى حاجة إلى أن يخدع أحدا من أفراد عائلته . كان السادات يشعر فعلا أن الشباب المضلل بالفهم الخاطىء للدين هم فى مقام أبنائه وأنه سينجح فى أن يفهم هذا الشباب دينه على وجهه الصحيح . ولذلك كانت الاعتقالات محدودة .. وإن كان عددها تكاثر فى الأيام التى تلت اغتيال السادات .. ثم تحقق الإفراج عن الجميع بعد ذلك ، وبالتدريج . ولكن .. كيف صدرت قرارات سبتمبر ؟

---

(١) خلال ذلك ، اتهم نجل حسين الشافعى بتوزيع منشورات ضبطت معه .. وتلقى السادات رسالة من حسين الشافعى يطلب فيها الافراج عن ابنه . وقرر السادات الافراج عنه . وفى عهد حسنى مبارك حامت الشبهات حول اشتراك ابن حسين الشافعى فى تهريب مخدرات من خلال كابينة والده فى المنتزه .. ثم انتهى التحقيق إلى عدم مسئوليته تماماً ، وأن الاتهام مكذوب .

وكان حسين الشافعى هو الوحيد الذى لم يشيع جثمان السادات وجنازته . وأدلى عن سبب امتناعه عن السير فى الجنازة ، بتصريحات غير لائقة .

الفصل الثامن

كيف صدرت قرارات سبتمبر

خطاب ٢٦ يوليو ــ اجتماعه مع رؤساء التحرير فى بيت الضيافة الأمريكية « بلير هاوس » فى واشنطن ــ الاجتماعات الرسمية السرية فى المعمورة ــ حوار هام بين السادات والمدعى الاشتراكى ــ ترشيح عبد القادر أحمد على لوزارة العدل ــ رأى لمصطفى خليل يطرح على السادات ــ لماذا تهربت من كتابة خطاب السادات ــ الاجتماع الثانى مع رؤساء التحرير فى القناطر ــ سؤال رفض السادات الإجابة عليه ــ تحديد أسماء الصحفيين المقرر التحفظ عليهم ــ رفع اسم جلال الحمامصى ــ عبارة واحدة فى خطاب السادات أثارت استياء الرأى العام ــ بيان تصحيحى فى التلفزيون ــ اختفاء أعضاء الجماعات فى أسيوط ــ السادات لا يثق فى أحمد الخواجة ــ أين الرخاء ــ موقف معاد من الصحافة الأمريكية والغربية ــ الصنداى تايمز تصور وجه السادات على أنه وجه حمار ــ ضبط فيلم التلفزيون الأمريكى المشهر بالسادات ــ لولا الديمقراطية لأطلقت عليك الرصاص ــ هيكل يعمل مع الحكومة الأمريكية فى مهمة خاصة فى إيران ــ التلفزيون الأمريكى يكشف مهمة هيكل السرية لصالح أمريكا ــ هدف السادات من محاكمات محكمة القيم ــ حديث مع رؤساء التحرير فى شركة غزل ميت أبو الكوم ــ رحلة المنصورة ــ كان السادات ينصح بعدم المساس بالصحفيين والسياسيين وأساتذة الجامعات ــ لماذا عدل عن هذا الموقف ؟

الفصل الثامن :

كيف صدرت قرارات سبتمبر ؟

قرر أنور السادات أن يتدخل قبل سفره إلى أمريكا للقاء ريجان لأول مرة . وأشار السادات فى خطابه فى جامعة الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو إلى أن ما تلقاه من معلومات عن أحداث الزاوية الحمراء يوجب مواجهة الموقف .

وكانت المنشورات السرية التى تصدرها الجماعات الإسلامية باسمها قد انتشرت بصورة مقلقة .

وعقدت جبهة المعارضة اجتماعاً عاما خطب فيه كثيرون ، منهم عبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين الأسبق ، وتحدث عن السادات بشتائم القذف .. وقال إنه يحتقر السادات .. وحرض على الثورة . وقد استدعى للنيابة العامة للتحقيق فكرر ما قاله فى محضر التحقيق .. وقد كان الشوربجى فى أوائل السبعينيات من أكبر مؤيدى السادات .. وكان يشترك فى الإعداد لمقاومة النشاط الشيوعى والمعارض فى جامعة القاهرة .

وسافر السادات إلى أمريكا لكى يلتقى بالرئيس ريجان لأول مرة بعد انتخابه . وأذكر أننى قدمت إليه فى الطائرة منشورا تلقيته أصدرته جماعة متطرفة . واتضح أنه سبق أن اطلع على هذا المنشور ومنشورات أخرى أكثر خطورة .

وكان كعادته ــ فى كل مرحلة ــ يجتمع برؤساء تحرير الصحف قبل ركوب الطائرة للعودة ، إذا كان الوقت متوافراً لديه ، أو فى الطائرة العائدة وقد اجتمع بنا فى إحدى قاعات بيت الضيافة الأمريكى « بلير هاوس » وأثار موضوع المواجهة مع الجماعات الدينية المتطرفة وكذلك التطرف السياسى وصارحنا بأنهم هم الذين اختاروا هذه المواجهة التى لم يكن يريدها . ولكنه يجب أن يملك زمام التوقيت وتحدث عن التطرف من الجانبين : المسلم والقبطى .

وجرت مناقشة فى هذا الاجتماع ولا أريد أن أذكر أسماء . قيل عن أحد علماء الدين إنه أصبح يشكل خطرا . بل أصبح زعيما شعبيا وهو ليس متطرفا ، ولكنه خلق مناخا يساعد أعمال التطرف ولو عن غير قصد . وقيل إنه لابد أن نراعى أن هناك

شبابا كثيرا مجنيا عليه ، وعلينا أن نأخذ بيده . وقال زميل إنه أجرى حديثا مع البابا شنودة .. ولعل ذلك يخفف من غلواء المواقف ، وأظهر السادات عدم رضائه عن إجراء هذا الحديث .

وكان الرئيس السادات يستمع الى كل الملاحظات .. دون أن يعلق الا بكلمات محدودة .. ولكنه عبر فى جملة واحدة عن إصراره على المواجهة الكاملة مهما كان الثمن . لأن الأهم هو إنقاذ مصر من أن تتحول إلى مذابح دموية . ولكنه لم يفصح عن طبيعة هذه الاجراءات .

وعاد الرئيس إلى الاسكندرية .. وبدأ الاستعداد للمواجهة بقراءة كل ما قدم اليه من بيانات وتقارير .. ثم عقد اجتماعا سريا كبيرا حضره الدكتور فؤاد محيى الدين وصوفى أبو طالب ووزير الداخلية ووزير الدفاع ورئيس المخابرات العامة .. وعدد آخر من المسئولين .

وفى هذا الاجتماع عرض الرئيس تفصيلات الموقف وفقا للتقارير التى تلقاها .. كما عرض القرارات التى اقتنع بوجوب اتخاذها .

وقد علمت أنه استدعى المستشار عبد القادر على المدعى الاشتراكى العام . وقال له : يا عبد القادر إننى قررت اتخاذ قرارات حاسمة على المتطرفين دينيا وسياسيا . وسوف يكون لك دور أساسى فى تنفيذ هذه القرارات وإننى أحلك من أى التزام إذا لم تكن موافقا تماما على هذه القرارات ، إننى أحترمك كقاضٍ وكثيرا ما اختلفت معى ، وأخذت برأيك ، ولم أغضب ، لأننى أعرف نزاهتك وشجاعتك فى إبداء الرأى .. ولذلك فإننى أعرض عليك الموقف الآن . وأترك لك حرية اختيار موقفك بكامل إرادتك وبكامل احترامى وتقديرى لك .

وقال له الرئيس إن القرارات ستشمل فؤاد سراج الدين ومحمد حسنين هيكل .

وهنا أكد المدعى الاشتراكى العام اقتناعه الكامل بما اعتزم الرئيس السادات اتخاذه من قرارات . وكرر : تأكد يا سيادة الرئيس .. لو لم أكن مقتنعا أن هذا فى صالح مصر .. لما وافقت . ولن أظلم أحدا . ولن يكون التحقيق مع أحد إلا عادلا تماما ومتوافرة له كل الضمانات القانونية .(١)

وما أعرفه أن المستشار عبد القادر على اختلف مع الرئيس فى قرارات سابقة كان

الرئيس قد اقتنع من قيادات الحزب الوطنى بضرورة إحالتها للمدعى العام الاشتراكى .

وفى جلسة واحدة مع الرئيس ، اعترض المستشار عبد القادر على اربع موضوعات عرضها عليه الرئيس .. ومن ذلك مثلا ، موضوع إحالة عدد من المحامين إلى المدعى الاشتراكى ، بعد تصرفات نسبت اليهم فى اجتماع المحامين العرب فى الرباط .

وقال المدعى الاشتراكى للرئيس : لقد فحصت الشكوى التى تقدم بها عدد من محامى الحزب الوطنى .. ثم حققتها مع من قدمها .. ولا يوجد فيما حققته دليل واحد ، يجيز التحقيق السياسى .

ووافقه الرئيس السادات على رأيه .. وقال له وهو يودعه بعد هذه الجلسة : لقد ألغيت لى يا عبد القادر النهارده أربع قرارات .. ولكننى سعيد ، لأنك قاض .

وعندما جرى التعديل الوزارى ، بعد أن قرر الرئيس إخراج ابو سحلى وزير العدل الأسبق من منصبه الوزارى ،اختار الرئيس المستشار عبد القادر أحمد على ، لمنصب وزير العدل . واستدعاه النائب حسنى مبارك لابلاغه بهذا القرار . ولكنه اعتذر عن عدم قبول المنصب .. وأصر على اعتذاره وقال ضاحكا .. اما إذا كان الغرض من الترشيح هو أن أترك منصب المدعى الاشتراكى .. فإننى مستعد للاستقالة على الفور . وأكد له النائب حسنى مبارك أن اختيار الرئيس له لاقتناعه بعد التجربة بأنه قاض عادل بلا أغراض .

وطلب إليه أن يرشح شخصية أخرى مادام مصرًا على الرفض فرشح أمين سامى ووافق الرئيس على ذلك .

وهذا مارواه لى المستشار عبد القادر أحمد على .

أعود من هذا الاستطراد لأقول بأن الرئيس السادات اتخذ قرارات مواجهة التطرف الدينى والسياسى فى سبتمبر بعد أن تأكد أن التقارير المقدمة إليه تؤكد خطورة الموقف فى البلاد ، واحتمال تحولها إلى مذبحة ..

وقد سمع الدكتور مصطفى خليل بما اعتزم الرئيس اتخاذه من قرارات . وكان فى الاسكندرية . ولم يكن يعرف طبيعة هذه القرارات .لم يكن يريد أن يحشر أنفه فيما لم يؤخذ رأيه فيه .. وخاصة أنه كان من رأيه أن تتم المواجهة منذ عامين عندما كان رئيسا للوزراء . ولكن الدكتور مصطفى خليل ، عندما سئل من أحد المتصلين بالرئيس عن رأيه فى الموقف ، عبر عن وجهة نظره ، وطلب نقلها الى الرئيس السادات إذا أمكن .

كان يرى ، قبل اتخاذ أى إجراء ، أن يؤمن الوضع فى البلاد على النحو التالى وبالتدريج :ـ

١ - أن يجرى تجريد كل الجماعات المتطرفة من الأسلحة .
٢ - أن يكون هناك اطمئنان كامل ، الى أن أجهزة الأمن ليس من بينها من يتعاطف مع التطرف الدينى مسلما كان أم مسيحيا .
٣ - أن يكون هناك تأمين مشدد لوضع القوات المسلحة .
٤ - أن تصل أجهزة الحكم الى جهات تمويل كل الهيئات المتطرفة .
٥ - أن يجرى كل ذلك خطوة ، خطوة ، ودون تعجل .

وقد وصلت هذه الآراء الى الرئيس السادات ، دون أن يذكر له أن مصدرها هو الدكتور مصطفى خليل الذى كان حريصا دائما على عدم التدخل فى أى شيء اذا لم يؤخذ رأيه . ولكن كان يهمه أن يكون الرأى مطروحا على الرئيس دون أهمية من هو صاحب هذا الرأى .

واستمع الرئيس إلى هذه الآراء .. ولم يعلق إلا بعبارات عامة ، تعنى أن كل شيء موضوع فى الاعتبار .

وأذكر أننى اتصلت بالرئيس السادات ــ وكنت فى الاسكندرية ــ أكثر من مرة فى شئون عادية متصلة بالعمل الصحفى وقد أبلغنى أنه يعد خطابه ليلقيه أمام مجلس الشعب .. وأن بيانات عديدة أمامه ، وأنه سيتصل بى لكتابة الخطاب .

والحق اننى شعرت بالحرج الشديد .

منذ أن ترك أحمد بهاء الدين القاهرة . عهد إلىّ الرئيس السادات بمهمة كتابة خطاباته الهامة . وكان أسلوبه أن يدعونى الى الاجتماع به ثم يشرح لى الأفكار التى يريد إبرازها .. وكان يهتم دائما بالنسيج الانسانى فى الخطاب . ثم اتصل به بعد أيام عندما أنتهى من كتابة الخطاب ويحدد لى موعدا وأذهب إليه لكى أقرأ له ما كتبت . ويظل منصتا وناظرا إلى ساعة يده ، ليعرف كم من الوقت يستغرق الخطاب .. وأحيانا كان يبدى إعجابه بما كتبت .. وأحيانا كان يترك موضوع الخطاب إلى مناقشات فى موضوعات عامة . ثم يعكف بعد أن أنصرف على دراسة الخطاب ، ليلة إلقائه .. وكثيرا ما كان يختصر بعض الفقرات ويضيف جملا جديدة بقلمه .. وفى بعض الأحيان كان يعدل عن الخطاب كله مكتفيا بالمقدمة والخاتمة .. ويرتجل خطابا آخر ، فيه أفكار أخرى .. تكون قد طرأت على فكره ليلة إلقاء الخطاب بسبب أحداث لا أعرفها .. أو بسبب أحداث طارئة معلنة .. وفى أحيان كان يقرأ فقرات الخطاب . ثم يتوقف ويرتجل

ليشرح ويضيف ويعود إلى أحداث سابقة .. وكان فى معظم الأحيان يختار آية قرآنية يختتم بها الخطاب .

وكان يريحه أننى أكتب الخطاب بأسلوبه لا بأسلوبى .. ولكى أعبر عنه لا عن نفسى .. وكثيرا ما قال لى : أشعر وأنا أستمع اليك ، أنك تعبر عنى وبأسلوبى .. وهذا ما يريحنى .

أعود فأقول إننى شعرت بحرج شديد ، عندما أبلغنى الرئيس من المعمورة وأنا فى الاسكندرية ، أنه يعد لى مواد الخطاب . ولم أعترض بأى كلمة . ولكننى سافرت فى اليوم التالى إلى القاهرة ، وأمضيت فى مكتبى الأسبوع كله ، وباب المكتب مفتوح . حتى يعرف جميع المحررين أننى غير منشغل بكتابة خطاب الرئيس الذى أعلن عن موعد إلقائه .. وسبب حرجى أننى استنتجت أن الخطاب سوف يتعرض للجماعات الاسلامية ، ولم أكن أريد أن أشارك فى هذا الخطاب ، منعا للنقد الذى يمكن أن يتعرض له الرئيس السادات ، وقد كان معروفا فى دائرة واسعة أننى أكتب خطاباته .

ويبدو لى أنه أدرك هذا المعنى .. فلم يطلبنى ..

استطردت فى الحديث عن هذه الواقعة .. لأنها كانت من بين الموضوعات التى تطرق اليها آخر حديث تليفونى لى مع الرئيس السادات قبل اغتياله

وصارحته بما فعلت .. وقال لى أنه فهم معنى تصرفى واحترم دوافعى .. وإن كان قد قال لى ضاحكا :

ــ سأقول شيئا لعلك لا تعرفه .. وبالقطع لا تعرفه .. فى أحد الاجتماعات الرسمية التى عقدتها أخيرا ، سأل أحد الرسميين المجتمعين .. وما هو الوضع بالنسبة لموسى صبرى كرئيس تحرير .. هل تبلغه بكل الأخبار مثل باقى رؤساء التحرير .. وفهمت المعنى الذى يقصده هذا المسئول .. فقلت له على الفور .. أرجو أن تعرف أن موسى صبرى مصرى أولا .. مصرى وطنى مائة فى المائة . ولم أعامله يوما على أنه مسيحى أو مسلم . لقد وضع رقبته على كفه معى فى ١٥ مايو .. وهكذا يجب أن يعامل فى كل الأخبار الصحفية المرتبطة بما سوف يجرى ..

ودعا الرئيس السادات رؤساء تحرير الصحف إلى الاجتماع به فى استراحة القناطر . وقال لهم إنه دعاهم لكى يعرض عليهم نقاط الخطاب الذى سيلقيه فى اليوم التالى أمام مجلس الشعب لكى يستمع إلى وجهة نظرهم .

وفى هذا الاجتماع قال الرئيس إنه اتخذت إجراءات وقائية ضد عدد من السياسيين المعارضين .. ومع محمد حسنين هيكل .. لأنهم جميعا اشتركوا فى إثارة الفتنة ،

بأسلوب أو بآخر .. وبعد أن انتهى الرئيس من عرض نقاط خطابه .. لم يوجه إليه أى سؤال . ولكننى استأذنته فى إيضاحين ..

قلت للرئيس : إن اتخاذ اجراءات تحفظ ضد عدد من السياسيين المعارضين .. سيجعل الناس يتساءلون .. وأين إذن المعارضة ؟ .. وكيف تؤدى دورها ..

وكان سؤالى الثانى على شكل اقتراح .. وهو أنه إذا كانت هناك إجراءات ضد الجماعات الاسلامية المتطرفة .. فمن الأصلح أن يشير الخطاب إلى تعديلات التشريعات بما يتفق مع مبادىء الشريعة الاسلامية خاصة أنها قطعت شوطا كبيرا .. وبذلك يكون موقف الدولة واضحا بعد أن راج أن الحكومة تماطل فى إصدار هذه التعديلات .

ولم يعلق الرئيس على الإيضاح الثانى .. وبالنسبة لسؤالى الأول قال إن موضوع المعارضة سوف يناقش بعد ذلك ، لتبين أفضل السبل لأداء المعارضة لواجبها .

وحضر هذا الاجتماع منصور حسن وزير الإعلام والثقافة . واتصل بى منصور حسن فى منزلى بعد عودتى .. وامتدح سؤالى عن المعارضة وقال إنه بالغ الأهمية . وحتى ذلك الوقت لم يكن معروفا الإجراء الذى سيتخذه الرئيس مع البابا شنودة ــ خاصة أنه أعلن فى الصحف أنه اجتمع بالأب متى المسكين راهب دير وادى النطرون مرتين بالاسكندرية . وقد عرف بعد ذلك أن الرئيس أبلغه بما انتوى ، وهو عزل البابا شنوده لاستحالة التعامل معه . وقد شرح الأب متى المسكين للرئيس التقاليد الكهنوتية بالنسبة لموقع البابا الدينى وهو أنه لا يخلع عن مباشرة الشعائر الدينية حتى وفاته . وأكد له أن هذا التقليد من المستحيل أن يتغير .. وشرح له الفلسفة المسيحية فى ذلك . أما بالنسبة للمباشرة الإدارية على الكنائس .. فهذه يمكن إبعاد البابا عنها . وطلب الرئيس من الأب متى المسكين أن يرشح له لجنة من الأساقفة تؤدى مسئوليات البابا الإدارية .. ورشح له فعلا خمسة من المشهود لهم برجاحة العقل وبالسلوك الروحى . وكان الأب متى المسكين من الرأى المسيحى الذى يقول بعدم تدخل البابا فى شئون الدنيا .

ولكن ماجرى بين السادات والأب متى المسكين ظل سرا مغلقا حتى أعلنت القرارات .

وقد زارنى الأنبا صموئيل فى مكتبى بعد ذلك مستفسرا عن الوضع بعد إبعاد البابا إلى الدير .. ولم أكن أعرف . وعندما أبلغت الرئيس تليفونيا بعد ذلك طلب منى أن أبلغه باختياره من بين أعضاء اللجنة البابوية الخمسة التى ستتولى شئون الكنيسة الإدارية وكان الانبا صموئيل على موعد مع النائب حسنى مبارك فى اليوم التالى . ولم أتمكن من الاتصال بالانبا صموئيل لإبلاغه بقرار الرئيس .

ثم أعلن الرئيس فى الاجتماع أنه قرر أيضا نقل عدد من الصحفيين الشيوعيين ومن لهم نشاط سياسى مضاد .. وقال إن وزير الداخلية سيعلن ذلك . فطلبنا جميعا الاطلاع على الأسماء قبل إذاعتها لإبداء رأينا حتى لا يظلم أحد .

وفعلا اجتمعنا بوزير الداخلية .. واعترضنا على كثير من الأسماء واعترضت من جانبى على اسم جلال الدين الحمامصى ونبيل زكى وسعد كامل .. وتمسك وزير الداخلية بضرورة إبعاد سعد كامل لأن لديهم أسبابا أمنية تدعو إلى ذلك . وقلت له إنه لايفعل شيئا أكثر من أنه يأتى إلى المؤسسة لقبض مرتبه . ولم يبد منه أى نشاط فى الصحيفة . وفى المساء اتصلت بالرئيس لكى أتأكد من استبعاد اسم جلال الحمامصى وقال لى الرئيس إن وزير الداخلية أبلغه باعتراضى وأنه يوافق على رأيى .. ثم اتصلت بوزير الداخلية لكى أتأكد من استبعاد اسم نبيل زكى ، وهو زميل يعتنق الماركسية الصينية وفى رأيى أنه صحفى يؤدى عمله الفنى أحسن مايكون الأداء واستغرق ذلك مناقشة غير قصيرة .. ولم أترك التليفون حتى تأكدت من استبعاده .

وارتجل الرئيس خطابه أمام البرلمان فى اليوم التالى مستعينا بنقاط حددها .. مع التقارير التى كانت معدة .

وكان بادى الارهاق . وعندما جاء ذكر الشيخ المحلاوى الذى كان يخطب فى أحد مساجد الاسكندرية .. قال الرئيس « أهوه دلوقتى قاعد زى الكلب فى السجن » .. كما أن الأوراق لم تكن مرتبة أمام الرئيس بحيث كان عرضه متقطعا .. وبدا أنه لم يدافع عن قضيته الدفاع الناجح .

وهذا التعبير عن الشيخ المحلاوى .. أثار استنكارا بين الرأى العام ..

وجاءت ردود فعل الرأى العام لرياسة الجمهورية .. تحمل نقاطا عديدة ، لم تكن مقنعة للجماهير .. وأثارت تساؤلات وعدم رضا ..

ولذلك أراد الرئيس أن يصحح خطابه ببيان آخر يلقيه فى التلفزيون .. ودعا رؤساء تحرير الصحف مرة أخرى لحضور تسجيل كلمته .. وكان هادئا هذه المرة .. واستمع إلى أكثر من ملاحظة .. وأمر بشطب بعض الكلمات من التسجيل . وقبل منى ملاحظة ورفض الثانية .. وعدت مع زميلى ممدوح رضا فى السيارة .. وقلت له كنت أتمنى ألا يصدر الرئيس فى كلمته أحكاما .. قبل أن يقول القضاء كلمته ، وذلك بالنسبة لفؤاد سراج الدين .

وفى ذلك اليوم .. اقترح فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس علينا أن نناقش الرئيس فى أن ننشر أسماء جميع المعتقلين وكانوا أقل من ١٥٠٠ معتقل ، وذلك حتى

لا تنتشر الإشاعات عن أعداد أكبر . وتقبلنا الفكرة .. وعرضناها على الرئيس ووافق عليها ..

وكان أثر كلمة الرئيس فى التلفزيون طيبا ..

ثم أعلنت جميع أسماء المعتقلين ..

وأدهشنى أن من بين المعتقلين بتهمة التآمر الشيوعى الدكتور كمال الإبراشى الأستاذ بكلية طب الأسنان ، لأننى أعرفه من ترددى للعلاج فى عيادته . وأبلغت رأيى للدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس الوزراء وقلت له إن هذا يعنى وجود أسماء خطأ كثيرة . وطلب فؤاد محيى الدين من الصحف عدم نشر أسماء أساتذة الجامعة المنقولين على أن تنشر بعد فترة .

ثم عرف أن جميع أعضاء الجماعات فى أسيوط وبعض محافظات الصعيد تمكنوا من الهرب والاختفاء .. وقال لى النبوى اسماعيل ردا على سؤال صحفى ــ بعد موت السادات ــ إن أنباء الاعتقالات تسربت إلى أسيوط على لسان أحد قيادات الحزب . وهذا هو سبب هروبهم . والمعروف أنهم تجمعوا بعد ذلك وحاولوا الاستيلاء على المدينة وعلى مراكز البوليس واستمرت المعركة معهم ــ بعد وفاة السادات ــ ثلاثة أيام .. وكان يقودها حسن أبو باشا (وزير الداخلية بعد ذلك) .

وقد حدث فى إحدى مدن الوجه البحرى أن احتج ضابط شرطة مسيحى على إبعاد البابا .. ففصل ونقل إلى وظيفة مدنية ، وقال السادات فى اجتماعه برؤساء تحرير الصحف إنه طلب من وزير الداخلية أن يعقد اجتماعا مع ضباط البوليس الأقباط ليشرح لهم أبعاد الفتنة الطائفية .. ويخير من لا يريد منهم الاستمرار فى عمله فى أن يلحق بوظيفة مدنية .. ولم يعترض أحد . وقدروا أن الموقف يقتضى التجرد من المشاعر الخاصة فى سبيل مصلحة عامة وهى إنقاذ البلاد من فتنة دامية .

ولم يعتقل السادات رئيسى حزبى العمل والتجمع .. ابراهيم شكرى وخالد محيى الدين . ولكن الاعتقالات شملت عددا من أعضاء الحزبين ــ وبالذات التجمع (الماركسى) فى نقابة الصحفيين ونقابة المحامين . ولم يكن الوضع فى نقابة الصحفيين يدعو إلى إجراءات .. وذلك بعد نجاح صلاح جلال (مرشح حزب الغالبية) فى الانتخابات نقيبا .. وبعد أن حضر السادات احتفال نقابة الصحفيين بما سمى عيد الصحافة .. حيث لقى كل التكريم .

ولكن الوضع فى نقابة المحامين كان مثيرا ومستفزا . وسارت العلاقات إلى أقصاها بين الرئيس السادات وأحمد الخواجه نقيب المحامين . ووصل الأمر إلى أن السادات كان

بعض عدم ثقته فى أحمد الخواجه رغم أن بعض المسئولين كانوا يرون أن « مرونة » أحمد الخواجه يمكن أن تفيد فى الوصول إلى حلول أو فى تهدئة المواقف .

وقرر السادات اعتقال عدد من المحامين الماركسيين ومن أصحاب الاتجاهات المختلفة من بينهم محام مهتز الأعصاب كان كل همه تجريح السادات والتطاول على شخصه بعبارات نابية وخاصة أمام عدسات التلفزيون الغربية .. وذلك لكى يذاع هذا التهجم .. ومنه اتهام السادات بأنه شاه مصر .. فى البلاد الغربية وفى التلفزيونات العربية .. وكان هذا المحامى قد سقط فى انتخابات مجلس الشعب بعد معارك دامية استخدم فيها الرصاص ، مع الأسرة المنافسة ووقع فيها عدد من القتلى .

وكان تكتيك المعارضين الماركسيين وغيرهم فى نقابة المحامين هو التشهير بأكبر قدر مستطاع فى وسائل الإعلام الغربية ولذلك فقد أحاطوا مبنى نقابة المحامين باللافتات التى تهجم على السادات وعلى كامب دافيد وقضية السلام .. وأبقوا هذه الأعلام عدة أيام .. لكى يصورها الإعلام الغربى .. بينما هم أعلنوا أنهم معتصمون داخل النقابة .. ولم يتعرض لهم البوليس داخل النقابة أو خارجها .

وبعد إعلان قرار إلغاء القرار الجمهورى بتعيين البابا شنودة بطريركا للأقباط .. تم التحفظ على عدد من رجال الدين المسيحى سجلت تقارير الأمن عنهم إثارة نعرة التعصب الدينى والترويج بأن المسيحيين مضطهدون فى مصر ويتعرضون للإرهاب والاختطاف والقتل .

وكان الهدف من ذلك هو إلقاء الماء البارد على نيران التعصب الدينى التى أشعلها الفريقان .

وكان رجال مباحث أمن الدولة ورجال المخابرات — بإذن من النيابة العامة طبقا للقانون — يراقبون اجتماعات وتحركات الأحزاب المعارضة .. كما أن بعض المنازل كانت مراقبة أيضا بأجهزة التصنت .. وقدمت الى الرئيس السادات ، تقارير بالصوت والصورة وبالصوت فقط عن المناقشات التى كانت تدور فى هذه الاجتماعات وكلها تدور ضد اتفاق السلام .

وكان التساؤل .. من المعارضة العنيفة .. أين الرخاء الذى وعد به السادات الجماهير بعد السلام ؟ .

والرخاء لم يكن من الممكن أن يتحقق طبعا فى بضعة أشهر أو فى عامين .. إن إصلاح الوضع الاقتصادى وتوجيه الاقتصاد كله من اقتصاد الحرب الى اقتصاد السلام ، كان يقتضى بضع سنوات تزيد فيها الاستثمارات الأجنبية والعربية المشتركة مع رأس المال المصرى .

ولكن النتيجة الملموسة لاتفاق السلام هى الانسحاب الاسرائيلى الكامل وتحرير الأرض ، وهى نتيجة تسعد كل المصريين ، ولذلك عملت الأحزاب المعارضة على إحداث أى اضطرابات تعوق تنفيذ الانسحاب .. وبذلك تصبح معاهدة السلام ورقة لاتساوى الحبر الذى كتبت به ولا تعوض عن آلاف الشهداء المصريين فى أربع حروب .. وعن مئات الملايين من الجنيهات التى ضاعت فى تكلفة هذه الحروب .

وأرادت المعارضة ــ كما ذكرت ــ أن تستثمر أحداث الفتنة الطائفية بإظهار الود والتعاون مع الجانبين .. المتطرفون من المسلمين والأقباط معا .. ثم تقع اضطرابات دامية يمكن أن تهدد نظام السادات .. وبذلك تختفى فكرة الانسحاب وتحرير الأرض .

وكان السادات متنبها تماما لهذا التخطيط من المعارضة .. ولذلك قرر أن تكون قرارات التحفظ شاملة لكل الاتجاهات الدينية والسياسية المتطرفة .. وبذلك تهدأ الأجواء ، حتى يتم الانسحاب الكامل فى ٢٥ ابريل ١٩٨٢ .

وكان واضحا لجميع المتصلين بالحلقة السياسية حول أنور السادات أن هذه الإجراءات مؤقتة .. حتى يتم الانسحاب .

وبعد أن تمت إجراءات الاعتقالات .. كان السادات يتصور أن الصحافة الغربية ــ بالذات ــ سوف تتفهم دوافعه إلى هذا الموقف الاستثنائى المؤقت .. وهو إنقاذ البلاد من حرب أهلية داخلية بسبب الفتنة الطائفية . وبذلك يمكن إنقاذ نتائج السلام مع إسرائيل . ولكن الذى أدهشه أن المراسلين الأجانب ، وقد كانوا دائمى الاجتماع برجال المعارضة فى الأشهر الأخيرة ، طيروا الأنباء إلى الصحف والإذاعات ومحطات التلفزيون على أنها ضربة للديمقراطية . لقد اختاروا الجانب المثير فقط دون أن يتعمق أحد منهم إلى الدوافع والأسباب الحقيقية . وقد استثمر المراسلون اعتقال الصحفيين وركزوا بالذات على محمد حسنين هيكل على أنه بعيد تماما عن أحداث الفتنة الطائفية . كما أشار معظمهم إلى اعتقال طبيبة يسارية هى الدكتورة نوال السعداوى على أساس أنها ليس لها نشاط سياسى معروف .. وأنها مؤلفة لعدد من الكتب الاجتماعية التى تدعو إلى الحقوق الكاملة للمرأة .. وهكذا ظهر السادات فجأة فى وسائل الإعلام الغربية وكأنه أصبح بين يوم وليلة دكتاتورا باطشا .

وبعض الصحف الغربية ، وبالذات صحيفة الصنداى تايمز ، كانت متحيزة ضد السادات .. وقد نشرت موضوعا من صفحة كاملة ، وضعت فيه رسما لوجه السادات وكأنه وجه حمار .. ولما هوجمت صحيفة الصنداى تايمز فى الصحف المصرية بسبب انحيازها لمجرد صداقة محمد حسنين هيكل لرئيس تحريرها .. قابل مراسلها فى القاهرة بعض مؤيدى السادات .. ومنهم الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء السابق ونائب

رئيس الحزب الوطني الديمقراطي الذى يرأسه السادات .. كما قابلني . وأمضى المراسل معي ثلاث ساعات .. وكذلك مع الدكتور مصطفى خليل ، ورغم تحذيرى له من أنه يمثل صحيفة متحيزة .. وأنه لن ينشر الحقيقة .. أكد لى أنه سينشر الجانب الآخر من الصورة .. وعلى هذا الأساس قابلته وتحدثت إليه .. وصدق ما توقعته ولم ينشر فى تحقيقين غطيا صفحة كاملة إلا أربعة أسطر من حديثى وكذلك بالنسبة لحديث الدكتور مصطفى خليل .

وعندما ضبط الفيلم الذى أعده مراسل محطة الـ : ايه. بى. سى. للتلفزيون الأمريكى ، وكان المتحدث فيه دافيد هيرست مراسل الجارديان البريطانية المعروف بعدائه للسادات .. والذى كانت كلماته فى الحديث التلفزيونى مجموعة من الإهانات الشخصية للرئيس ، مثل قوله إنه ممثل ويهلوان تماما مثلما كتب محمد حسنين هيكل بعد ذلك فى كتابه عن السادات .. وعندما ضبط هذا الفيلم .. أمر السادات بإخراج المراسل من القاهرة ..

وكل هذه الأجواء أثارت حفيظة المراسلين الأجانب .. ولذلك قرر السادات دعوتهم إلى مؤتمر صحفى فى ميت أبو الكوم .. وقد قدمت هيئة الاستعلامات للسادات — من قبل المؤتمر — خلاصات لما كتب فى بعض الصحف الأمريكية وبعض الصحف الغربية الأخرى .. وعلق الرئيس السادات عليها ، تعليقا ساخرا .. ولما بدأت الأسئلة كان السؤال الأول بالغ الإثارة للرئيس واعتبره إهانة لزعامته ولمصريته .. إذ سأله المراسل هل استأذن الرئيس السادات فى زيارته الأخيرة إلى أمريكا الرئيس ريجان فى هذه الإجراءات .. وهنا ارتفع صوت الرئيس مزمجرا .. ودق على المنضدة بيده فى غضب شديد وقال للمراسل : « يجب أن تفهم أنك الآن فى بلد مستقل ، ولولا الديمقراطية لأطلقت عليك الرصاص ! » .

ولم يكن السادات بطبيعة الحال يقصد المعنى الحرفى من كلمات إطلاق الرصاص .. ولكنه كان يقصد المعنى الرمزى .. وهو أنه يرفض تماما أن يسمع هذا الأسلوب .

وفى هذا الاجتماع الصحفى .. كان أمام السادات الفيلم التلفزيونى الذى حصلت عليه جهات الأمن وطلب من المراسلين أن يشاهدوا هذا الفيلم فى هيئة الاستعلامات ليعرفوا أن هناك مؤامرة إعلامية من بعض المراسلين بالاتفاق مع محمد حسنين هيكل لتشويه صورة السادات والتشهير بحقائق الأوضاع فى مصر .

ومبلغ تقديرى أن الرئيس السادات لم يكن مقدرا أن هذه الاعتقالات ، مع اعتقال محمد حسنين هيكل ، ستثير هذه الزوبعة الإعلامية فى صحافة الغرب . كان يتوقع ذلك

من الإعلام الشيوعى ، ولكن لم يكن ينتظره من الإعلام الغربى .. الذى قدم السادات فى أروع صورة كزعيم عالمى غير وجه التاريخ .. وقد اختارته كثير من الصحف ، وعلى رأسها مجلة تايم الأمريكية ، على أنه رجل عام ١٩٨٠ .. كما أن أية صحيفة أجنبية غربية لم تكن تخلو من قصة صحفية على مدار الأيام تمجد زعامة أنور السادات .

وكان السادات حذرا بالنسبة لمحمد حسنين هيكل ، وهو لم يفصل هيكل من « الأهرام » إلا بعد تردد طويل . وأذكر أن الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء قبل حرب أكتوبر قد طلب من السادات إقالة هيكل ، بعد أن أقال السادات الفريق صادق وزير الحربية ، ولكن السادات حينئذ رفض هذه الفكرة ، وقال للدكتور عزيز صدقى : إن طرد صادق سهل .. ولكن طرد هيكل سيثير زوبعة فى صحافة الغرب .

وبدا لى أن السادات غير هذه الفكرة أخيرا عندما تدعمت مكانته تماما فى العالم الغربى .. وعندما قدر أن اعتقال هيكل يمكن أن يمر بسهولة وسط كل الاعتقالات . ولكن ربما فات السادات أن علاقة هيكل بالأجهزة الرسمية الأمريكية وكذلك بالإعلام الأمريكى لم تنقطع أبدا . وكان للإدارة الأمريكية دور مع هيكل ، عندما استخدمته هذه الإدارة فى الذهاب إلى إيران ومقابلة الخمينى ورجال الثورة الإيرانية لبذل دور — مع الأدوار الأخرى — فى الإفراج عن الرهائن الأمريكيين ووثائق هذه الواقعة موجودة[1] .

---

(١) بعد أن تم الإفراج عن الرهائن الأمريكيين فى إيران قدم رئيس مكتب محطة (A.B.C.) التلفزيونية الأمريكية فى باريس ، عرضا تلفزيونيا استمر ثلاث ساعات فى ٢٢ يناير ١٩٨١ كشف فيه أخطر الأسرار عن الأساليب التى اتبعتها الحكومة الأمريكية فى سبيل الاتصال بقيادات الثورة فى إيران والسعى للإفراج عن الرهائن الأمريكيين . وقد أدت المخابرات الأمريكية فى ذلك دورا متصلا ولكنه انتهى إلى الفشل .

ومقدم البرنامج « بيير سالينجر » كان صحفيا أمريكيا كبيرا وكان متحدثا باسم الرئيس الأمريكى كنيدى .. وقد أعيدت إذاعة هذا البرنامج للمرة الثانية . بعد نجاحه الساحق . واتصل رؤساء أمريكيون سابقون منهم الرئيس كارتر ببيير سالينجر وهنأوه على دقته فى سرد الأحداث ، وكشف هذه الاتصالات التى كانت محجوبة عن العالم كله .

أذيع البرنامج واسمه (٢٠-٢٠) فى ٢٢ يناير ١٩٨١ بعنوان « أمريكا الرهينة — المفاوضات السرية » . وقال المذيع :

« سنقدم الليلة تقريرا غير عادى عن المفاوضات السرية لتحقيق إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين فى إيران . إنها قصة دولية من قصص المكيدة والخيانة والمقابلات السرية والفرص الضائعة وقد استطاع زميلى « بيير سالينجر » مدير مكتب أنباء (A.B.C) فى باريس ، أن يجمع أطراف هذه القصة العجيبة .

= ومما يهمنا فى هذا البرنامج الذى كشف كل من استخدمتهم الحكومة الأمريكية والمخابرات الأمريكية فى الاتصالات بطهران هو الدور الذى « استخدم » فيه محمد حسنين هيكل ، أو « جند » .. وهذا نص تعبير صاحب البرنامج .

وقال فى هذا البرنامج ما نصه فى مواضع متفرقة :

١ - « كان محمد حسنين هيكل الصحفى المصرى البارز والذى ظل لفترة طويلة الساعد الأيمن للرئيس السابق جمال عبد الناصر قد استخدمته الحكومة الأمريكية كوسيط منذ يناير . »

٢ - وبعد هذه الفقرة ــ بصوت سالينجر ــ يظهر محمد حسنين هيكل على شاشة التلفزيون ليبدى تعبيره عن صدمته بسبب فشل المحاولة الأمريكية العسكرية لإنقاذ الرهائن . ويقول هيكل :

« أعتقد أننا كنا على وشك الوصول إلى حل فى ذلك الوقت . ولكن جاءت المفاجأة . من حيث لا تحتسب ، وحدث موضوع تاباز (المحاولة العسكرية الفاشلة) .. لقد كنا .. أوه .. ياالهى .. كل ذلك حدث فى هذه اللحظة .. لقد فجر وسيفجر ذلك كل شىء . وأقصد أنه سوف يكون من الصعب بعد ذلك أن نبنى أية جسور .

٣ - ثم يظهر سالينجر على الشاشة ويقول ما نصه :

سالينجر : لقد كان لهيكل ميزة خاصة عند الحكومة الأمريكية فقد كان على علاقة وثيقة بآية الله الخومينى وقد قام هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط والأدنى بتجنيد هيكل كوسيط للحكومة الأمريكية وذلك خلال اجتماع عقده معه فى لندن فى منتصف يناير ١٩٨٠ .

وعلى مدى أربعة شهور كان هيكل ينقل الرسائل الأمريكية إلى الخومينى . وعلى سبيل المثال فقد قام بتحرير رسالة إلى طهران فى ٩ مارس بعد أن تلقت الحكومة الإيرانية معلومات تفيد بأن الطلاب المسلحين فى السفارة الأمريكية قد يحاولون قتل الرهائن .

وعلى مدى الأيام التى تلت غارة « تاباز » وعندما أحضر إلى هيكل أحد الوسطاء رسالة جديدة ليقوم بتوصيلها إلى الإيرانيين .. صدم هيكل بما تطلبه الحكومة الأمريكية منه أن يقوم بنقله إلى طهران ، فقد كانت الرسالة تقترح على الإيرانيين بأن يستخدموا غارة « تاباز » كوسيلة لإعلان انتصارهم على الولايات المتحدة وإصدار تصريح تعلن فيه إيران التفوق الأخلاقى للجمهورية الإسلامية ، وتشير فيه إلى الهزيمة المشينة للولايات المتحدة . وتقترح الرسالة أيضا أن الإيرانيين يجب أن .. يظهروا إنسانية الدين الإسلامى العظيم بإطلاق سراح الرهائن . ومضت الرسالة تقترح نقل الرهائن إلى « تاباز » وبعقد مؤتمر صحفى يستطيع مراسلو الصحف أن يدونوا ملاحظاتهم التى يستخفون فيها بالحكومة الأمريكية .

وكان هارولد سوندرز قد كتب هذه الرسالة ، وتم إرسالها إلى هيكل بطريقة تمكن الحكومة الأمريكية من أن تنكر أنها قد كتبتها . ويسترجع هيكل ذكرياته بشأن هذه الرسالة .

٤ - ثم يظهر هيكل على شاشة التلفزيون ويقول :

لقد تلقيت رسالة تطلب منى أن أنقل للإيرانيين ــ كما لو كانت هذه الفكرة من بنات =

وأذكر أننى كنت مدعوا على مائدة السفير البريطانى فى الليلة التالية للاعتقالات ، وقال لى السفير الأمريكى آثرتون ، وكان مدعوا : إننى أحب السادات .. ولذلك لم أكن أريد له أن يعتقل صحفيا مثل هيكل .. بحجة الفتنة الطائفية .

والواقع أن القانون الذى أصدره السادات ، وهو قانون العيب الذي ينص على محاكمة شبه سياسية لمن يفسدون الحياة السياسية ، لم يؤد الغرض منه أبدا . لقد قدم

= أفكارى ـــ انه قد حان الوقت لكى تكونوا مسلمين حقيقيين . والآن وقد أثبتوا أنفسهم فى مواجهة قوة الولايات المتحدة .. كما أثبتت الولايات المتحدة ، أن الشجاعة تعوزها وأنها عملاق بقدمين من صلصال وأن الوقت قد حان لإظهار عفو المسلم .. وعندئذ يمكن نقل الرهائن إلى « تاباز » وسط أنقاض الطائرات الأمريكية وإطلاق سراحهم كمظاهرة للتسامح الإسلامى .

وقد تطلعت إلى الرجل الذى سلمنى هذه الرسالة وقلت له : هل يريدون بالفعل أن ينقلوا هذه الرسالة إلى طهران ؟ وأجاب نعم .. أعتقد ذلك .. وقلت لابد أنهم يعتقدون أننى مجنون .

٥ - ثم يظهر سالينجر على الشاشة ويقول :

هيكل كان أحد المؤيدين للثورة الإيرانية إلا أنه وجد بعض العبارات مثل التفوق الأخلاقى للجمهورية الإسلامية ، ونجاح الثورة الإسلامية ، مهينة ، لأنها صادرة من الحكومة الأمريكية . وفى نفس الوقت فقد صدم هيكل اقتراح الأمريكيين بنقل الرهائن إلى تاباز فى حضور الصحفيين . وقد أقنعت هذه الرسالة هيكل بأن الوقت قد حان لإنهاء عمله كوسيط .

وبعد ذلك بعدة أسابيع قام هيكل بنقل رسالة أخرى إلى طهران وكان هيكل من أفضل الذين تستطيع الولايات المتحدة الاعتماد عليهم فى الدفاع عن قضيتها فى طهران .

تعليق المؤلف

انتهى ما أذاعه التلفزيون الأمريكى وما شاهدته وأنا فى واشنطن وطلبت من محطة A.B.C نصوصه .. ولا يهمنى إذا كانت الحكومة الأمريكية قد جندت هيكل أو استخدمته . . كما قال سالينجر . . فإننى لا أتهم هيكل بالعمالة للحكومة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية كما ظهر هذا الاتهام فى كتب صدرت من أمريكيين كانت لهم مناصبهم القيادية فى المخابرات الأمريكية ولكننى قصدت أن أقول أن هجوم هيكل فى مقالاته فى الصحف العربية على السياسة الأمريكية لم يكن ، يمنع التعاون الوثيق والاتصال المستمر بين هيكل والأجهزة الأمريكية وقد استخدم هيكل وضعه فى محاولات دائبة للتشهير بأنور السادات وحكمه .

وملاحظة أخرى أسجلها . . وهى أننى سألت ساندرز عندما حضر إلى مصر فى فبراير ١٩٨٢ ، عن الرسالة الأخرى التى تلقاها هيكل ، ومن سلمها له . . فقال لى إن الذى أرسل الرسالة إلى هيكل فى منزله هو أحد رجال المخابرات الأمريكية . وسألته هل كان يعلم هيكل أنه من المخابرات الأمريكية . قال . . هذا أمر طبيعى . كان يعلمه .

المعتقلون السياسيون إلى التحقيق بنص هذا القانون . ولكن الضمانات القانونية التى قدمها هذا التشريع للمتهمين كانت تتنافى مع فكرة الاعتقال .. إن التحقيق مع المتهم لا يتم إلا بحضور محاميه . كما أن المحكمة يرأسها نائب رئيس محكمة النقض وتتألف من عدد من المستشارين . كما أن الحكم لا يكون نهائيا إلا بعد إقراره فى الاستئناف أمام قضاة من محكمة النقض أيضا . وكانت تصرفات جميع المعتقلين السياسيين تأخذ الشكل الشرعى .. ولذلك فإن المحاكمات كانت ستكون بالغة الصعوبة . ولكن هدف السادات أن هذه المحاكمات العلنية ستكشف تحركات واتصالات المتهم التى لا يجرمها القانون ، ولكن يمكن اعتبارها أعمالا معادية للاستقرار ومثيرة للسخط بين الجماهير بنشر الأخبار والادعاءات الكاذبة والتشهير بسمعة الحكم .

***

وهذا يختلف عن عهد عبد الناصر كثيرا . إن الاعتقالات فى عهد عبد الناصر كان معناها اختفاء المعتقل فى مكان مجهول لأعوام طويلة دون أن يسمح لأسرته بمعرفة مكان اعتقاله . وكان المعتقلون ــ فى بعض المراحل ــ يقيدون بالسلاسل فى أيديهم وأقدامهم . وكانوا يعذبون تعذيبا جماعيا بالضرب بالعصى الغليظة والجلد ، وبعضهم مات من فظاعة الضرب . ولم يكن هناك تحقيق أو محاكمة على الإطلاق .

وبعد أن اجتمع السادات برجال الصحافة الأجنبية فى ميت أبو الكوم دعا رؤساء تحرير الصحف المصرية للجلوس معه فى شرفة منزله بميت أبو الكوم . وحضر الاجتماع منصور حسن وزير الإعلام . وقال لهم .. أنا لا أطلب من أحد منكم أن يكتب ضد ضميره .. نحن أمام وضع لإنقاذ البلاد من جربان الدم . وإذا كان منكم من له علاقة شخصية بهيكل .. فإننى أحله من أن يكتب شيئا يحرج هذه العلاقة . وكان يوجه كلامه إلى اثنين من رؤساء التحرير عملا مع هيكل فى الأهرام لسنوات طويلة .. وقد علق الاثنان بأنهما يحترمان العلاقة الشخصية ولكنهما يختلفان مع هيكل فى الرأى السياسى .

ورغم تأثر السادات ، بموقف الإعلام الغربى المعادى لإجراءاته .. فإنه كان فى قمة السعادة بعد قيامه برحلة المنصورة وكانت هذه الرحلة ، فعلا ، حدثا ضخما يؤكد شعبية السادات . لقد أحاط بقطاره ثم سيارته أكثر من أربعة ملايين مواطن . وكانوا يحيونه ويهتفون باسمه فى حماسة أقرب إلى الجنون .. ووصف فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء بعد ذلك مشهد الجماهير بقوله أمام مجلس الشعب بعد وفاة السادات إن البشر بدوا وكأنهم تحولوا إلى أشجار متراصة .. وأصبح من الصعب تمييز الكتل البشرية من التحام الرؤوس والأجساد .

واستمرت الرحلة أربع ساعات كاملة ..

وعاد السادات إلى استراحة القناطر فى قمة السعادة . كان يعتبر هذا الاستقبال التاريخى واحتشاد الجماهير بعد الإجراءات التى اتخذها ، هو استفتاء جديد لزعامته .

وأذكر أننى اتصلت به فى مساء ذلك اليوم بعد أن شاهدت الاستقبال على شاشة التلفزيون .. وروعتنى فعلا حفاوة الجماهير .

وقال لى السادات .. « إن ما ظهر فى التلفزيون لا يساوى شيئا من مشاعر الجماهير على الطبيعة » . وقد لمست فى حديثى معه تلك الليلة ، وقد طال إلى أكثر من أربعين دقيقة .. أن السادات قد عادت إليه طبيعته المرحة السلسة .. وكان صوته مليئا بالنشوة والسعادة ..

بقيت قضية هامة تتصل بقرارات سبتمبر .

قلت فى الفصل السابق أن السادات ، رأى إن الجبهات الدينية والجبهات السياسية تجمعت كلها فى جبهة واحدة .. تشعل الفتنة الطائفية وتعمل على تعطيل الانسحاب . ولذلك فقد جمعت قرارات التحفظ فئات عديدة ..

وهنا أسجل أن السادات عدل بذلك عن منطق له فى إدارة الحكم كان من رأيه فى حالات المواجهة العنيفة التى تقتضى التحفظ أو اتخاذ إجراءات استثنائية أن يبتعد الحاكم عن المساس بالصحفيين والسياسيين وأساتذة الجامعات .

وقال ذلك للنائب حسنى مبارك فى مناسبات سابقة ، وهو يروى له خلاصة تجاربه فى السياسة والحكم ..

وحتى وقت قصير ، قبل اتخاذ قرارات التحفظ .. كان متجها إلى أن تقتصر القرارات على قيادات الجماعات الإسلامية .. والبابا وعدد من القساوسة ..

وكان ذلك مفهوما فى الدوائر الرسمية المتصلة بهذا الموضوع .

وحتى اجتماع السادات ، الذى أبلغ فيه عددا من المسئولين بقراره .. كان مفهوما لدى البعض منهم .. أن القرار سيكون مقصورا على ذلك .. ولكن هذا البعض فوجىء بأن السادات أعلن أن القرارات ستشمل الجبهات الدينية والأحزاب والمعارضة والصحافة والجامعات ..

وبقى السؤال .. ماذا دفع السادات إلى أن يوسع نطاق تطبيق قرارات التحفظ ؟! ..

لقد صرح هو بعد ذلك ، أن كل هذه الجهات .. كانت تشكل جبهة واحدة .. ولكن .. ماذا قدم للسادات من تقارير ، جعلته يعدل عن منطقه فى إدارة الحكم ؟؟؟ ..

هذا السؤال .. لم أجد له جوابا فى تحرياتى الصحفية عن المتصلين بقرارات سبتمبر .

هل هو قراره وحده ؟ . أم هى مقترحات قدمت إليه .. بجعل المواجهة شاملة ؟ ..

وهنا أسجل للتاريخ ، أن النائب حسنى مبارك .. فوجىء بأن القرارات كانت شاملة ، وكان قد فهم من الرئيس السادات قبل ذلك أن إجراءاته ستقتصر فقط على الجبهات الدينية .

وهكذا كانت الأجواء متوترة بين رئيس الكنيسة القبطية وبين شيخ الأزهر .. وبينهما وبين الرئيس السادات .

الجـــزء الثـــالث

من هو أنور الســـادات

يشمل هذا الجزء الثالث ، ثلاثة فصول تحاول التعريف بشخص أنور السادات من الداخل .. وتجيب على السؤال الكبير .. من هو ؟ يبدأ هذا التعريف بأول لقاء مع أنور السادات فى معتقل الزيتون عام ١٩٤٣ وهو ضابط بالجيش برتبة اليوزباشى ، وقد فصل بسبب نشاطه الوطنى .. ويروى حياة السادات فى المعتقل كإنسان .. وكشاب يتطلع إلى نضال سياسى ضد المحتل البريطانى .. وكيف خطط للهرب من المعتقل .. وطابع شخصيته فى تلك الفترة .. وهل تغيرت بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية بعد أكثر من ربع قرن من الزمـان .. وماذا اختفى وراء اتصـاله السـرى مع مبعـوث المخابرات الألمانية فى مصر خلال اشتعال الحرب العالمية الثانية .. وكل ذلك ليس عرضا لأحداث عاشها السـادات فى فجر شبابه ، بقدر مـا هو تحليـل لشخصيته من الداخل .

ويتناول الفصل الثانى حياة السادات المحجوبة عن الناس بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ، وهواياته الأدبية والفنية وحبه للغناء .. وأسلوب تعامله مع قادة الدول وحياته فى المنزل الذى اختاره فى شارع الهرم .. وحياته فى قرية ميت ابو الكـوم .. وبرنامجه اليومى فى إدارة شئون الدولة .. وأثر حياة الفقر التى عاشها فى كفاحه على قراراته كرئيس للجمهورية .. ثم القراءات التى وجهت حياته ووضعت فلسفتـه فى الحياة .. وكيف كان يتخذ القرارات السياسية الخطيرة .. وأثـر روابطه الشخصيـة والعائلية على اختياره لمعاونيه وامتزاج طبيعة الإنسان صاحب القلب الرقيق .. بطبيعة السياسى الذى لا يعرف العاطفة .. فى قيادة السادات .. وصدى الأحداث الكبرى فى نفسه .. ولماذا لقبه البعض بأنه «حنش» ولقبه البعض الآخر بأنه «حمل وديع له زئير الأسد» .

ويتناول الفصل الثالث من هذا الجزء .. قصة القلم فى حياة السادات .. وهو سجين فى الزنزانة .. ثم بعد أن أصبح صحفيا محترفا .. ثم رئيسا للدولة .. ومذكراته التى كتبها عندما كان سجينا لمدة ٣٠ شهرا ، بتهمة اغتيال الوزير الوفدى أمين عثمان ثم آراؤه التى سجلها عن الحب والزواج والصداقة فى هذا العمر المبكر .

الفصل التاسع

اللقاء الأول فى معتقل الزيتون

من النيابة العسكرية إلى المعتقل ــ المجتمع الجديد فى معتقل الزيتون ــ جلال الدين الحمامصى أبرز المعارضين ــ مجموعة مصر الفتاة بقيادة محمد صبح ــ شاب أسمر هادىء الحركة اسمه أنور السادات ــ روايات عديدة عن سبب اعتقاله ــ اسمه «الحاج» تهريب الرسائل ــ الحمامصى يبلغنى باختياره لى فى مغامرة الهرب بقيادة أنور السادات ــ السادات يطلق على خطة الهرب ــ ساعة الصفر بعد يومين عند آخر ضوء ــ مفاجأة بعد الهرب ــ غوص فى شخصية السادات ــ الصمت والكتمان والدراية بتاريخ مصر ــ نفس الشخصية التى خططت لثورة ١٥ مايو وحرب اكتوبر ــ بعد حادث فبراير ١٩٥٢ ــ الحياة السياسية قبل الثورة ــ شاهد على قصة تعامل أنور السادات مع الألمان ــ كيف تمت اللقاءات السرية مع مبعوث المخابرات الألمانية ــ محاكمة السادات عسكريا والإفراج عنه بعد فصله من الجيش ــ اعتقاله بأمر السلطات البريطانية .

الفصـــل التـــاسع :

اللقــــــاء الأول فى معتقل الزيتـــــون

.. فى عام ١٩٤٣ ، قررنا القيام بمظاهرة احتجاج وكنا طلبة فى السنة النهائية بكلية الحقوق ، جامعة القاهرة .. الإحتجاج ضد حكومة الوفد التى أقالت عميد كلية الحقوق الدكتور على بدوى .. وكان قد رفض استثناء أبناء اقطاب الوفد من شروط الالتحاق بالكلية .

وقبض بوليس الجامعة علينا . وتقرر إحالتنا إلى النيابة العسكرية للتحقيق معنا ، فقد كانت الأحكام العرفية معلنة وكان هناك أمر عسكرى يعاقب مجرد تجمع أكثر من أربعة طلبة فى مكان واحد ، بالحبس ، والفصل النهائى من الجامعة ! وكان لابـد من التحقيق الإدارى فى الكلية ، قبل تحقيق النيابة العسكرية . وتولى هذا التحقيق المرحوم الأستاذ الدكتور وديع فرج .. الذى حاول نصحنا قبل أن يبدأ التحقيق بالإنكار .. وقال لكل واحد منا على انفراد «هناك مواقف ليس فيها أبيض وأسود .. ويجب أن يسيطر العقل على الحماسة .. ولا داعى لأن يدفع الإنسان بنفسه إلى التهلكة بلسانه ..» .

وحضر التحقيق معنا المرحوم الأستاذ عبد المجيد الشرقاوى المحامى ، ابن عم عبـد الرحمن الشـرقاوى .. وانتهينـا من التحقيق الإدارى ثم رأى رئيس النيـابـة العسكرية أن الأمر لا يستأهل استمرار القبض أو توجيه الاتهام .. ورغم ان التحقيق استمر حتى منتصف الليل إلا أنه قرر الإفراج عنا بالضمان الشخصى بعد أن تفاهم مع المسئولين فى الحكومة حينئذ .

أفرجت عنا النيابة العسكرية بعد حادث عميد الحقوق المرحوم على بدوى ولكنهم أخذونا بعد الإفراج فى سيارات « بوكس » إلى مختلف أقسام البوليس بالقاهرة ، وكان نصيبى قسم الموسكى حيث أمضيت عشرة أيام فى التخشيبة . وعدنا إلى الدراسة ..

وتخرجنا .. وصدر قرار من وزير العدل (صبرى أبو علم) بتعيينى فى النيابة العامة وذلك بتوصية من الدكتور طه حسين سكرتير عام وزارة التربية والتعليم الذى لم يكن يعرفنى .. ولكنه شاء أن يشجعنى لاستحالة قيدى فى جدول نقابة المحامين فقد تخرجت وعمرى ١٨ عاما و ٨ أشهر .. والقيد يستلزم بلوغ الحادية والعشرين ..

وتحدد موعد لى لحلف اليمين القانونية أمام النائب العام .. وفى فجر ذلك اليوم . جاءت قوة من بوليس «القسم السياسى» وهى ما يطلق عليه مباحث أمن الدولة الآن .. وألقت القبض علىّ بعد أن وجدوا فى منزلى بعض منشورات ونسخة من «الكتاب الأسود»[1] .. وقادتنى رحلة الفجر فى «البوكس» إلى ضاحية الزيتون فى القاهرة .. ووقفت السيارة أمام بوابة حديدية ضخمة تتوسط سورا طويلا على جانبيها والسور محروس من الخارج بجنود مسلحين على مسافات متقاربة وفتحت البوابة ومعى ضباط القسم السياسى لأرى حديقة واسعة يتوسطها مبنى من ثلاثة أدوار ومشينا حتى وصلنا إلى سلم المبنى .

ورفعت بصرى لأرى وجوها تطل من النوافذ وعيونا متلهفة لكى تعرف الزائر الجديد ..

وسمعت صوتا يردد اسمى !

وعرفت أننى الآن فيما يسمى بمعتقل الزيتون ..

لا أريد أن أطيل فى التفصيلات ..

رأيت مجتمعا جديدا .. وغريبا !

مجموعة من كل أحزاب المعارضة .. وهذا مفهوم .. ولكن الباقين من أعمار متباينة وجنسيات مختلفة فيهم اليوغسلافى واللبنانى والروسى الأبيض . وهؤلاء معتقلون بأمر السلطات البريطانية لاتهامهم بأنهم عملاء المحور . عملاء لألمانيا النازية واليابان .

ومن أحزاب المعارضة .. كان أبرزهم جلال الدين الحمامصى .

وقد كان نائبا فى برلمان الوفد ثم صدر القرار بفصله لأنه أقل من الثلاثين ، وذلك بعد أن اشترك فى إصدار « الكتاب الأسود » .. وكان هو الذى أشرف على كتابته وطبعه وتوزيعه وكان رشيد النحال زعيم شباب حزب « الاحرار الدستوريين » الذى كان يطلق عليه حزب البيوتات حينئذ ولكن الغالبية كانوا من اعضاء مصر الفتاة بقيادة (المرحوم) محمد صبيح الكاتب المعروف .

بعض المعتقلين .. لهم حجرات خاصة ومنهم جلال الدين الحماصى والآخرون يتجمعون فى حجرة واحدة على قدر ما تتسع الحجرة من أسرة ويصرف لكل معتقل ستة جنيهات شهريا . كما تصرف له ملابس الشتاء والصيف . وهناك حجرة لطبيب

---

(١) كتاب أصدره مكرم عبيد (باشا) ووزع سرا ، وكان يتضمن فضائح فساد الحكم التى دفعته إلى الخلاف مع مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد .. ورئيس الحكومة حينئذ . وكان مكرم عبيد سكرتيرا لحزب الوفد .. وكان الشخصية المسيطرة الأولى على الحزب .

الأسنان . بكل معداتها . والأطباء الاخصائيون يحضرون يومين فى الأسبوع . والطعام يقدمه متعهد لكل الوجبات .

ومبنى المعتقل .. لا أعرف تاريخه .. ولكنه كان أشبه بالقصر الكبير . والحديقة الواسعة التى تحيط به كان يستثمرها بعض المعتقلين فى زراعة الخضراوات والفاكهة . هذا جانب من الحديقة والجانب الآخر يتوسطه كشك صغير أشبه بالكانتين يقدم الشاى والقهوة وبعض المأكولات الجافة .

وخلف المبنى فيلا لأحد اثرياء الصعيد .. وتحده من اليمين عمارة سكنية على ما أذكر . ويساره فضاء . وأمامه سور الشارع الرئيسى والجنود المسلحون من الداخل على مسافات قريبة يقابلهم جنود فى الخارج .. واليسار حيث الفضاء تحده أسلاك شائكة ..

وعند السور الخلفى يوجد بناءان . بناء به ما يسمى بـ «سلاحليك» المعتقل .. حيث يغير الجنود نوبات الحراسة كل ثلاث ساعات ويتبادلون البنادق .. وبجواره مبنى آخر على شكل غرفة لها باب صغير .. كان أحد المعتقلين (من أصل روسى) يربى فيها «الأرانب» .

سعدت بهذا المجتمع الجديد .. وبدأت أتعرف على أعضائه .. كان معنا من المنتمين لحزب الكتلة عدد محدود : احمد حسنى مفتش التحقيقات بوزارة المعارف . وكان أخيرا مديرا فنيا لمكتب البرت برسوم سلامة عندما كان وزيرا لمجلس الشعب .. ثم سعد النشار طالب الحقوق وكان أقرب صديق لى .. ولا اذكر الآن غيرهما ولكن النجم اللامع المعروف كان جلال الدين الحمامصى .

وكنت أعرف من قبل معظم أعضاء مصر الفتاة : وخاصة الأستاذ محمد صبيح الذى كان يصدر حينئذ كتابا شهريا عن مصر وأعلام الإسلام ..

ولفت نظرى شاب أسمر اللون هادىء الحركة ، كثير التأمل يفضل الوحدة كثيرا والجلوس فى الحديقة متأملا سارحا ببصره فى الخيال .. وهو يرتدى قميصا وبنطلونا من اللون «الكاكى» .. ومع هذا الملبس البسيط فإنه أنيق ونظيف .

وكنت أراه معظم الوقت مع جلال الدين الحمامصى .. وكان له بين الجميع توقير خاص .. ومهابة رغم مظهره المتواضع .

وعرفت أن اسمه أنور السادات .

ما قصته ؟.. ولماذا اعتقل ؟

سمعت همسا كثيرا وروايات عديدة عنه . إنه بطل وطنى وهو خطير .. لقد فصلوه

من الجيش وكان برتبة اليوزباشي .. وله قصة لا أحد يعرف سرها وحقيقتها .. لقد كان يدبر عملا ضخما للاتصال بهتلر وكان يعاونه شاب اسمه حسن جعفر وهو معتقل أيضا . إنه أحمر الوجه أخضر العينين أصفر الشعر . يتحدث العربية بلكنة مضحكة . إن والده مستشار مصرى ووالدته ألمانية ونشأ فى ألمانيا .. وقبض عليه فى القاهرة فى قضية أنور السادات .

ومن أيضا !

الطيار حسن عزت .. إنه ايضا بطل قصة خطيرة فى سلاح الطيران المصرى لا تعرف تفصيلاتها . وكان حسن عزت رغم التصاقه بأنور السادات مختلفا تماما عنه . السادات هادىء صامت . وحسن عزت حركة مستمرة ، وفم لا يتوقف عن الكلام .

واندمجت فى حياة المعتقل ..

الاستيقاظ مبكرا ، قراءة الصحف ، المناقشات السياسية المفتوحة فى كل غرف المعتقل : ثم السهرة فى المساء فى غرفة رشيد النحال . وكان حلو الصوت . وكان يغنى أغنيات أسمهان . وكان أنور السادات يجلس متربعا ، يهزه الطرب لأغانى أسمهان بالذات .

وكنا نتنسم الأخبار من خارج الأسوار ..

واستعرت مصحفا كريما من جلال الدين الحمامصى الذى وافاه والده المرحوم كامل الحمامصى بمجموعة من المصاحف والكتب .. وتفرغت لوقت طويل صباح كل يوم لتجويد القرآن وحفظ آياته .. حتى وصلت إلى منتصفه .

وكنا نشارك فى زراعة الخضر بحديقة المعتقل ..

.. وكنا نلهو ونضحك .. ويزداد تعارفنا على تعاقب الايام ..

أذكر رجلا مسنا من أصل سورى . كانت له أدوار خطيرة على المسرح السياسى العربى . وكان يروى لنا ذكرياته . ثم الشاب اليوغسلافى الذى كان متخصصا فى الكهرباء وإصلاح الراديوهات . ثم هذا العجوز الروسى الابيض الذى كان منزويا على نفسه ومتفرغا لتربية الأرانب . ثم طبيب مصرى عجوز متهم بأنه من عملاء اليابان وطلبة من الأزهر .. وكثيرون من شباب « مصر الفتاة » لعل أبرزهم الاستاذ ابراهيم الزيادى المحامى .

ثم محسن فاضل وقد كان واضحا أنه من طبقة أبناء الذوات . وهو أنيق يجيد الفرنسية .. وإذا لم تخنى الذاكرة . فقد كان مديرا لمكتب الطيران المصرى فى باريس .

وكنا نتناول طعامنا معا .. فى صالة الدور الثالث ــ وهى رحبة وفسيحة .. والبعض كان يفضل ذلك فى حجرته .

ووجدتنى أسعى إلى التعرف على هذا الضابط الأسمر المفصول أنور السادات إنه مستمع جيد . كلامه قليل . وتعليقه الغالب على ما يسمع هو إيماءة من رأسه ، يقول بعدها بصوته العميق « صح .. صح » .. ولست أدرى لماذا كانوا يطلقون عليه اسم « الحاج » صباح الخير يا حاج .. أزيك يا حاج .

ولا أذكر أننى دخلت معه فى مناقشة طويلة .. اللهم إلا مرة واحدة عن ثورة عرابى . وقد صحح لى فى هذه المناقشة تواريخ تتابع الأحداث .

وأمضيت فى المعتقل على هذا النحو حوالى ستة أشهر .. وكنت أتلقى الرسائل من أسرتى بعد أن تفتح من إدارة المعتقل .. وكنت أرد على هذه الرسائل بخطابات تتسلمها الادارة .

ولكن أنور السادات ابتكر وسائل عديدة لتهريب الرسائل كان أهمها حلاق المعتقل .. لا أذكر الآن اسمه .. ولكننى أذكر أنه كان يجىء للحلاقة على « بسكليته » وكان سمحا وتدرجت علاقته بالمعتقلين إلى حد أنهم كانوا يكلفونه « بمشاوير » خاصة كان يؤديها .. ثم أصبح يهرب الرسائل بوضعها فى قدمه تحت الشراب ..

وذات صباح طلبنى جلال الدين الحمامصى للتحدث معه فى غرفته ثم أغلق الباب بالمفتاح ..

وقال : سأفضى إليك بسر سياسى خطير .. وحذار من البوح به لأى انسان ..

قلت : خيراً ..

قال : هل لفت نظرك شىء فى أخبار الصحف .

قلت : لا

قال : هناك خبر هام . ان النائب ابراهيم دسوقى أباظة (باشا) عضو الاحرار الدستوريين قدم استجوابا للحكومة عن سوء معاملة المعتقلين السياسيين ..

قلت : وما أهمية ذلك ..

قال : لقد فكرنا هنا بأن من واجبنا الوطنى أن ندعم هذا الاستجواب ..

قلت : وكيف ؟

قال : هذا هو السر .. لقد قررنا أن يهرب عدد من المعتقلين هنا ووقع الاختيار عليك من ضمن من تقرر هربهم !!

وشرح لى جلال الحمامصى التخطيط الكامل للهرب وباب حجرته مقفل بالمفتاح . قال :

ـــ الفكرة التى تدارسها مع انور السادات ، هى أن يهرب عدد محدود من المعتقلين ، يمثلون مختلف الاتجاهات .. خطة الهرب وضعها انور السادات وسوف يبلغك بها وهو الذى سيحدد موعد الهرب .. إننا نريد أن نساند الاستجواب المقدم من ابراهيم الدسوقى أباظة عن سوء معاملة المعتقلين . إن وقوع الهرب وتعريض الهاربين أنفسهم للقتل برصاص الحراس ، دليل على أن المعتقلين يعاملون معاملة سيئة .. وإلا لما أقدموا على هذه المجازفة التى يمكن أن تعرضهم للموت فى حالة فشلها .

ثم أعطانى جلال الحمامصى عددا من الخطابات المكتوبة داخل أظرفها وقال :

ـــ سيكون من مسئوليتك أن تضع هذه الخطابات فى صندوق بريد بعد الهرب . الخطابات بصيغة واحدة تقريبا ، وهى موجهة إلى رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب والسفير البريطانى وعدد من المسئولين . وخطاب منها موجه إلى مكرم (باشا) ..

وسألت :

ـــ ماذا فى هذه الخطابات ؟

وأجاب :

ـــ الخطابات مذكور فيها أن عدداً من المعتقلين قد قرر الهرب مدركين أن ذلك يعرضهم للقتل وأنهم سيختارون مواقع سرية لاختفائهم بعد الهرب .. وأنهم سوف يضربون عن الطعام حتى الموت فى أماكن الاختفاء .. وسوف يوافون الحكومة بتقارير منتظمة عن حالتهم الصحية وسوف لا يعدلون عن الإضراب إلا إذا أعلنت الحكومة إلغاء الأحكام العرفية والإفراج عن المعتقلين .

وتسلمت الخطابات من جلال الحمامصى وخبأتها فى مكان أمين بحجرتى فى المعتقل وتوجهت إلى الحجرة التى كان يقيم فيها انور السادات مع آخرين وهى حجرة واسعة ..

وروى لى انور السادات على انفراد ، وكنت فى قمة الانتباه والفرحة ، خطة الهرب قال :

ـــ لقد اختارك جلال الحمامصى ممثلا عن الشباب فى الهرب ووافقت على هذا الاختيار . سوف نهرب من حجرة الأرانب ـــ لا أحد من الحرس يشك فى أى معتقل يدخل هذه الحجرة لأنه معروف أن المعتقل الروسى الابيض يربى فيها الارانب منذ زمن طويل وهو المكان الوحيد الذى يصلح للهرب لأسباب عديدة . لأنها ملاصقة لغرفة تغيير نوبات الحراسة . وهذا التغيير وتسلم البنادق يستغرق عشر دقائق أو أكثر .

كل ست ساعات ويصاحبه هرج ومرج وأحداث .

خلال هذه الدقائق كل يوم سوف نتمكن من إحداث حفرة على شكل دائرة تتسع لجسم إنسان فى سقف الحجرة . ولدينا سلم فى حجرة الأرانب سنحتاج إلى بريمة لخرم السقف سنأخذها من المعتقل اليوغسلافى .

وسأقوم انا وحسن عزت بمهمة « تقوير السقف » .

ثم قال لى :

ــ فى الموعد المحدد للهرب .. سندخل فرادى إلى حجرة الأرانب خذ معك غيارا واحدا فقط .. ورأيى أن تدخل إلى الحجرة دخولا طبيعيا دون أن يلحظك أحد ، عندئذ سنصعد على السلم حتى نصل إلى القطعة المقورة من السقف .. ستخرج بنصف جسدك ثم تميل بهذا النصف حتى تلتصق بالسقف وتزحف بعد ذلك حتى تخرج باقى جسدك .. لتصل إلى ما فوق الحائط الذى يفصل بين حجرة الأرانب وحجرة السلاح .. الزحف هنا لن يحدث صوتا لانه ليس ثمة فراغ .. ستصل بالزحف إلى السور الخارجى .. هذا السور ليس عليه حراسة من الخارج لأنه يؤدى إلى حديقة القصر المجاور . ستقفز إلى سور هذه الحديقة . ثم قفزة أخرى إلى الأرض وهى فضاء على ناصية القصر .. ستكون هناك سيارة فى انتظارنا فى الموعد المحدد .

ثم طلب منى انور السادات أن نلتقى فى يوم آخر ، لكى يدربنى على طريقة الزحف .

وحدث .. طلب منى أن يكون الزحف على الكوعين والركبتين لأن هذه الطريقة لا تحدث صوتا على الاطلاق .. ودرّبنى فى الحجرة على ذلك ..

وأصبحت أمضى الليل حالما برؤى الحرية !

ــ أولاً .. المغامرة مثيرة جداً لمن فى مثل سنى (اقل من ١٩ سنة) .

ــ ثانياً .. اختيارى لكى أكون فى فرقة الهرب دليل على الثقة برجولتى وشجاعتى وأهليتى لكتمان الاسرار ..

ــ ثالثاً .. الخروج إلى الشارع لأول مرة بعد ستة أشهر على الأقل وكيف سأرى الحياة والناس .. وأصدقائى .. وأسرتى فى اسيوط .. واين أختبىء إلى آخر هذه الاحلام الممتعة ..

وبعد يومين أو ثلاثة ، طلبنى انور السادات وقال لى :

ــ لقد أكملنا حفر السقف .. وبقى أن نضع لوحا من خشب « الابلاكاش »

لنغطى الفجوة فى السقف .. بحيث إذا رأى أحد السقف من أحد الادوار العلوية من مبنى المعتقل فإنه لن يلاحظ شيئا ..

وقال لى :

ـ سنضع هذا اللوح الخشبى غدا عند الظهر .. وعليك أن تصعد إلى سقف المعتقل وتراقب العملية حتى تنتهى .. وحتى تطمئن إلى أن وضع اللوح الخشبى يخفى الحفرة تماما .. ولن يلاحظها أحد ..

وفعلا تم ذلك ..

ورأيت اللوح الخشبى يستقر على سقف حجرة الارانب ويغطى الحفرة ونزلت وأبلغت السادات بذلك ..

لقد استغرقت مهمة الحفر بضعة ايام .. وكانت شاقة .. كان انور السادات يمسك بالسلم ليصعد حسن عزت ويجرى بالبريمة عملية الحفر .. وكان التراب ينهال عليهما .. ثم كانا يتبادلان الإمساك بالسلم .. والحفر ، وكل ذلك يتم فى بضع دقائق كل ست ساعات .. هى دقائق تغيير الحراسة ..

وبعدها .. أخطرنى انور السادات بساعة الصفر ..

ـ بعد يومين .. عند آخر ضوء .. والليلة غير قمرية .. ووصلت نشوتى إلى قمتها !

وجاءت اللحظات الحاسمة ..

ولففت بيجامة وغيارا داخليا وأمضيت النهار بطوله متوتر الأعصاب فى انتظار الخلاص ..

وغربت الشمس ..

ومرقت إلى حجرة الأرانب .. دون أن يلحظنى أحد .

وفى دقائق كانت هذه الحجرة التاريخية تضم : انور السادات ، حسن عزت ، احمد حسنى ، محسن فاضل ، وأنا .

الظلام حالك .. والحديث بالهمس ..

وقال السادات : حسن الأول .. لكى يصل إلى السيارة وأنا سأمسك لكم السلم .. وسأكون آخر من يتسلقه ..

ومرت اللحظات طويلة وأنفاسنا تحصى الثوانى . أى خطأ ، أو أى مفاجأة يمكن أن تعرضنا للهلاك ..

وأمسك السادات بالسلم .. وصعد حسن عزت .. وقد انهال علينا التراب وهو يخرج جسده من الفتحة .. ونزلت فوق رؤوسنا كأنها شلال مياه بهدير مرتفع ..

وصعد الثانى .. والثالث .. وأذكر اننى كنت الرابع ..

وحدثت المفاجأة ..

فى كل لحظة .. هناك دائماً احتمال غير متوقع ..

وكان فى حديقة القصر المجاور كلب « وولف » ما أن أحس بهذه الحركة حتى أخذ يعوى عواء متصلا .. وبصوت يهد كل سكون .

وخشيت فعلا فى هذه اللحظات أن ينهار كل شىء ..

ولكن أنور السادات صعد .. وزحف .. وقفز .. وفى لحظات كنا جميعا فى السيارة المنتظرة وقد حل الظلام الكامل ..

وتبادلنا التهنئة بالحرية .. وتبادلنا القبلات .. واندفعت السيارة فى طريقها ..

وفجأة وعلى غير انتظار .. سمعنا دوى فرقعة شديدة ..

وتوقفت السيارة ..

لقد انفجرت العجلات ..

ــ مشكلة كبرى .. لأنه لا يوجد ستبن ..

هكذا قال حسن عزت ..

وهنا تكلم انور السادات على الفور : « كلنا سنغادر السيارة على الفور وعلى كل واحد ان يتصرف بمفرده » ..

وتبادلنا القبلات .. واختفى الجميع فى الظلام ..

تركت السيارة وأغلب الظن أننا كنا وصلنا إلى العباسية ولم أكن قد فكرت أين أختبىء ؟ ولمن ألجأ فى القاهرة ؟ كما أننى لا أملك فى جيبى أكثر من جنيهين !..

لا أريد أن أطيل .. لقد قبض علىّ من جديد بعد عشرة أيام وأنا أسير فى شارع عماد الدين .. لقد تصادف وجود ضابط المعتقل الذى هربنا فى نوبته جالسا فى إحدى المقاهى .. ونقلت إلى سجن الأجانب بعد القبض على . وهناك التقيت لأول مرة بفضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى . ثم نقلنا إلى معتقل آخر فى صعيد مصر اسمه معتقل ماقوسة بجوار مدينة المنيا وهناك تعرض المعتقلون لإطلاق الرصاص على المعتقل من جميع الجهات بعد أن تمردنا بسبب نقل عدد ضخم من المعتقلين ـ من سجون أخرى ـ إلى

ماقوسه بما لا تتسع له حجرات المعتقل . وأخيرا أقيلت حكومة مصطفى النحاس وتولى الدكتور أحمد ماهر رياسة الوزراء (رئيس الحزب السعدى) .. وأفرج عنا .. ولم يفرج عن أنور السادات .

لقد تعمدت بعض التفصيل عن قصة المعتقلات قبل ثورة ٢٣ يوليو بحوالى عشر سنوات . لأنى أردت أن أعطى صورة للحالة السياسية فى مصر فى أوائل الاربعينيات . والمهم فى كتابنا هو اللقاء الأول بضابط الجيش المفصول أنور السادات ، وزميله (الألمانى) حسن جعفر .. وزميله الطيار حسن عزت .. المفصول أيضا من القوات الجوية .

إن هذا اللقاء مع السادات لأشهر طويلة فى المعتقل أتاح لى التعرف على بعض مظاهر شخصيته . أولها القدرة على الصمت الطويل والاستماع الطويل . وثانيهما معرفته لتاريخ النضال الوطنى بدقة ودراسة . وثالثها قدرته على التخطيط بكتمان شديد . إن التوصل إلى وضع خطة الهرب من حجرة تربية الأرانب فى المعتقل ، ينم عن ذكاء شديد .. ثم الصبر الطويل حتى أمكن حفر السقف .. ثم تدبير الاتصال بالخارج بحيث تنتظرنا سيارة .. وكل ذلك يجرى والمعتقل محاصر من نواحيه الأربعة بجنود مسلحين لديهم أوامر بإطلاق الرصاص على الفور .. وهذا يدل على قدرة انور السادات على التخطيط الصامت والكتمان .. ثم المغامرة التى كان من الممكن أن تودى بحياته .

وإذا عدنا إلى تخطيط أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. وجدنا هذه الصفات هى التى لازمت اليوزباشى المفصول أنور السادات فى عام ١٩٤٣ حتى أصبح رئيسا للدولة وقائدا لحرب اكتوبر . التخطيط الهادىء الذى يستثمر الامكانيات المتاحة . القدرة على الكتمان والخداع . ثم روح المغامرة . وكذلك الأمر .. فى تخطيطه لثورة ١٥ مايو .. وقد كان وحده .. أمام خصوم سياسيين يسيطرون على القوات المسلحة والاتحاد الاشتراكى ووزارة الداخلية .

وقد عاد أنور السادات إلى معتقل الزيتون فى اليوم التالى بعد أن توجه إلى قصر عابدين وترك رسالة المعتقلين التى تطالب الملك بالتدخل لتحسين معاملة المعتقلين وإلغاء الأحكام العرفية ولكن أنور السادات هرب مرة أخرى عندما نقل إلى مستشفى قصر العينى وظل مختفيا حتى ألغيت الأحكام العرفية . وفى فترة اختفائه اشتغل سائق لورى وحامل أحجار وشريكا لحسن عزت فى المقاولات . إلى أن اتهم فى قضية اغتيال أمين عثمان فى عام ١٩٤٧ .. وقفز اسمه إلى الصحف وأصبح نجما وطنيا لمواقفه خلال المحاكمة .. وقد استمر محبوسا ٣٧ شهرا .

ولم يتغير جوهر أنور السادات منذ عرفته فى المعتقل عام ١٩٤٣ .. حتى اغتالته رصاصة التطرف فى ٦ أكتوبر . البساطة . الحنين إلى أصدقاء الماضى . التوغل فى هدوء إلى جوهر الأمور . التأمل الطويل حتى يتخذ قراره . حبه للفنون والطرب والموسيقى .

والأهم من ذلك كله ، هو تفانيه بحياته فى النضال من أجل استقلال مصر وتخلصها من الاستعمار البريطانى .

كان الملك فاروق فى ذلك الوقت .. اوائل الأربعينيات .. لا يزال محبوبا من شعب مصر .

وكانت مشاعر الجيش المصرى متعاطفة مع الملك .. حينما حاصرت القوات البريطانية قصر عابدين فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ودخل السفير البريطانى سير مايلز لامبسون وفتح باب مكتب الملك بطرف حذائه وكان معه قائد القوات البريطانية ، وسلم الملك إنذاره المشهور بتأليف وزارة يرأسها مصطفى النحاس قبل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ..

وجاءت حكومة الوفد على أسنة حراب الانجليز كما وصفها الدكتور أحمد ماهر رئيس الحزب السعدى ..

جاءت حكومة الوفد لكى تنفذ تعليمات السفير البريطانى .

وكل من كانوا فى المعتقلات ، تم اعتقال معظمهم بأوامر من السلطات البريطانية .

ثم تطورت الأمور بعد ذلك .

ونقل السفير البريطانى .

وبدأت المصالحة بين الملك والانجليز ..

وتراجع الوفد عن سياسة تحدى الملك .. وكان صاحب هذه السياسة هو فؤاد سراج الدين الشاب الثرى الاقطاعى الذى أصبح سكرتيرا لحزب الوفد بعد مكرم عبيد ..

وتحول سلوك الملك إلى الاستهتار وأصبحت حياة الليل فى الكباريهات والملاهى هى المسيطرة عليه . وأحاط نفسه بحاشية نصفها من اللصوص والقوادين .. وانتشر الفساد حتى إن المليونير أحمد عبود عرض دفع مليون جنيه على حاشية الملك لكى يعود حزب الوفد إلى الحكم .. وأصبحت الوزارات تؤلف على مائدة القمار .. وتألفت خلال ذلك خلايا الضباط الأحرار .. بعد أن يئس الجيش من صلاح الملك ومن سلوك كل الاحزاب التى كانت تسعى إلى إرضاء الإنجليز وإرضاء القصر لكى تضمن الوصول إلى

الحكم .. ثم الاستمرار فى الحكم .. وانتشرت المضاربات فى سوق القطن ، وزادت قصص استغلال النفوذ من أسرة مصطفى النحاس .. وأصبحت الأجواء كلها مهيأة لحدوث شيء ، وخاصة بعد أن تغيرت أربع وزارات خلال ٦ أشهر ، واستمرت الوزارة الأخيرة برياسة نجيب الهلالى باشا ـ الذى عجز عن مقاومة الفساد ــ ٢٤ ساعة فقط .. تألفت الوزارة صباح ٢٢ يوليو ١٩٥٢ . وقامت الثورة قبيل فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

وقصة معتقل الزيتون تقودنا إلى قصة تعامل انور السادات مع الألمان ومحاولة الوصول إلى روميل قائد القوات الالمانية فى الصحراء الغربية ، التى أرادت بعض الاقلام الحاقدة أن تشوهها وتحولها إلى قصة تجسس لحساب الألمان ..

ما هى القصة ؟..

إن شاهدها الأول ـ الاستاذ محمد عبد المغنى سعيد وكيل وزارة العمل الأسبق ، وعضو اللجنة العليا لحزب العمل المعارض لايزال على قيد الحياة .. وهو الذى كان وسيلة التعارف بين السادات وحسن عزت .. والجاسوسين الألمانيين اللذين تمكنا من دخول مصر ..

ما هى القصة ؟..

قصة الألمان

كان عبد المغنى سعيد هو حلقة الاتصال بين أنور السادات .. والجاسوسين الألمانيين اللذين أرسلتهما المخابرات الألمانية إلى القاهرة خلال الحرب العالمية الثانية .

وقد اجتمعت به خلال تأليف هذا الكتاب ، وروى لى القصة الكاملة التى أوجزها فيما يلى :-

هذه العملية لها مقدمات . لقد التقيت بأفراد من التنظيم السرى العسكرى بالقوات المسلحة فى يناير ١٩٤٠ . كنا نصدر فى ذلك الوقت مجلة « التطور » وكانت مجلة اشتراكية تضم مجموعة من المنادين بالفكر الاشتراكى أمثال الدكتور محمد مندور ورمسيس يونان وكامل التلمسانى وأنور كامل وغيرهم . والتقيت فى ذلك الوقت بالضابط الطيار حسن عزت فى منزل قريب له . كشف لى أن لديهم تنظيما عسكريا من الطيارين عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم ووجيه أباظه وسعودى أبو على .. واهتم حسن عزت بأن يجرى تنسيق بين هذا التنظيم وبين الاشتراكيين . واتفقنا على التشاور وكان موضوع التشاور هو أن يجرى التحرك على الجبهتين المدنية والعسكرية فى حدود خطة مشتركة شاملة .

ولكن تشاورنا لم يتطور إلى شيء .

وذات يوم أبلغنى حسن عزت أنهم أرسلوا طائرة إلى الخطوط الألمانية وكان سعودى يقودها . وقلت له إن هذا خطأ ، لأن هذه الحيلة تكشف عن وجود تنظيم فى الجيش ويمكن أن يلاحظه الانجليز .

وبعد شهر .. كرروا هذه العملية .. أرسلوا طائرة أخرى يقودها الصول رضوان . وانقطعت أخباره ، مثل الطائرة السابقة .

وقد أوقفوا إرسال طائرة ثالثة . وعرضت عليهم اننا كمدنيين سنحاول الاتصال بالالمان بهدف معرفة مصير الطائرتين وما هى نوايا الألمان بالنسبة لمصر .. وما مدى المساعدات التى يمكن أن يقدموها للحركة الثورية المصرية .

ولقد لعب الحظ دورا فى هذا الاتصال !

هبط ألمانيان بالباراشوت فى الصحراء الغربية ، وأكملا الطريق عن طريق الصحراء . وتخفيا فى زى ضابطين بريطانيين واستأجرا عوامة الراقصة حكمت فهمى بقرب ملهى الكيت كات فى امبابة . وكانا يخفيان فى العوامة جهاز إرسال لاسلكى . وتعطل هذا الجهاز . فاتصلا بشخص اسمه « هادرد » يعمل فى السفارة السويسرية بالقاهرة وقد كانت سويسرا ترعى مصالح الألمان فى مصر . « وهادرد » هذا من أصل نمساوى ، وكان يعرف سيدة نمساوية هى حرم الدكتور الطبيب على عامر . لجأ هادرد إلى هذه السيدة التى فاتحتنى فى الموضوع وكانت إجابتى : إننا نبحث عن أحد يوصلنا بالألمان .

وفى الحال اجتمعت مع أحدهما واسمه « أبلر » .. وسألته عن الطائرتين .. فقال لى أن الطائرة الأولى ضربت بالمدفعية الألمانية المضادة ومات الطيار سعودى . أما الطائرة الثانية فقد هبطت اضطراريا ووضعت تحت الملاحظة .

أبلغت حسن عزت بهذه الأخبار وبرغبة الألمان فى إصلاح جهاز اللاسلكى . وأجابنى حسن عزت : إن لدينا فى التنظيم ضابطا فى سلاح الاشارة .. هو اليوزباشى انور السادات .

واتفقنا على تدبير لقاء ، وطلبت من حسن عزت والسادات أن نكون حذرين فى تعاملنا معهم ، ويكون أساس تفاهمنا هو معرفة نواياهم تجاه قضية استقلال مصر . كما تفاهمت مع حسن عزت على ألا يتم لقاء فى المنازل ، وأن نقدم لهم باسماء مستعارة .

وتم أول لقاء بوساطتى فى كازينو فى شارع الهرم . الالمانيان وحسن عزت والسادات . واتفق على نقل جهاز اللاسلكى إلى منزل أنور السادات .

واعترض عبد المغنى سعيد ـ كما قال لى ـ على طلب الالمانيين مقابلة عزيز المصرى باشا . وكان اعتراضه بسبب أن عزيز المصرى مراقب من الانجليز والسلطات المصرية بعد سقوط طائرته فى قليوب .. وأنه شخصية معروفة ولا يمكن أن يقابل الألمانيين باسم مستعار ..

ثم حدث أن قبض الانجليز على الالمانيين والسيدة التى من أصل نمساوى .. وعلم عبد المغنى سعيد ، وأبلغ السادات وعزت .. ثم قبض على الجميع ومن بينهم عبد المغنى سعيد .

وتمت محاكمة السادات وحسن وعزت أمام محكمة عسكرية .. ولم تجد أى دليل عليهما وتقرر فصله من الجيش . وكان الألمانيان قد اعترفا امام السلطات الانجليزية مقابل عدم الحكم عليهما بالاعدام ثم عملا فى المخابرات البريطانية بعد ذلك .. وكانا يذيعان من راديو صوت المانيا الحرة .. ضد هتلر والنازية ..

هذه هى القصة كما رواها عبد المغنى سعيد ..

وهى تتفق مع القصة التى كتبها السادات فى « البحث عن الذات »

والهدف الأول هو مكافحة الاستعمار البريطانى .. باستثمار عدو الانجليز : الألمان ..

ولكن لم يتحقق هذا الهدف ..

الفصـــل العاشر

السادات .. من الداخل

كم أتمنى أن أعيش لاكتب فقط ـ البحث عن بليغ حمدى ـ مع السادات ، فى غرفة نومه ـ أغانى «الست» ـ يغنى نشيد مصر ـ مع قصة حياته فى حلقات اذاعيه ـ الموجى ده عفريت ! ـ ذاكرة الأسماء والأرقام والتواريخ ـ عظيم .. حمدى غيث ! ـ يقوم بدور السلطان ـ يغنى أغنيات أسمهان ـ فيلم عن قصة اكتوبر ـ مع ياسمين الخيام ـ المعاشات الاستثنائية ـ المطرب السياسى مع كارتر ! ـ بحث اجتماعى عن أسرة فنان منتحر ـ حديث عن نور الشريف ـ فيلم كل ليلة فى مشهد مثير للألم ـ مجالسة النفس ـ منزل شارع الهرم ـ رائحة التراب ـ الإقامة فى استراحة القناطر ، برنامج يومى دقيق ـ رب الأسرة ـ الزواج الثانى ـ العلاقة مع الأبناء والأحفاد ـ المعارضة داخل الأسرة ـ الحرص فى الطعام ـ الارتفاع المفاجىء فى درجة الحرارة بعد الارهاق ـ هواية الأثرياء ـ خطابات الفقراء والمحتاجين ـ معاش السادات ـ منح وقروض مادية ـ العلاج فى الخارج للمعارضين ـ التعاقد على الكتاب الثانى الذى لم يصدر ـ قصة وفاة طفلته ـ مقال بمجلة المختار الذى غير مجرى حياته ـ مآدب رياسة الجمهورية ـ كتاب ابراهيم المصرى ـ حكاية الأفنديات ـ التعبيرات المبتكرة ـ السياسة والتجرد من العاطفة ـ مع الجمصى ومحمود رياض ـ حل وسط يؤجل الأزمات ـ المناورة السياسية ـ شخصية بالغة التعقيد ـ القرار بعيد عن الروابط الشخصية والعائلية ـ سيد مرعى ورياسة مجلس الشعب ـ الثقة والقرار ـ خروج عزيز صدقى وعبد العزيز حجازى ـ تكليف حافظ اسماعيل بتشكيل الوزارة والعدول بعد ٤٨ ساعة ـ أسئلة غامضة من السادات ـ قرار الخبراء الروس ـ الحبوب المهدئة ـ دموع السادات ـ أصعب الأخبار المؤلمة عن احتراق طائرة الفريق أحمد بدوى ـ صدى أحداث ١٨ و ١٩ يناير ـ نزيف فى المعدة بعد أنباء الثغرة ـ الابتعاد عن التفصيلات ـ فروض الصلاة ـ الصيام كل يوم خميس ـ لقب «الحنش» ـ حمل وديع له زئير الأسد .

الفصـــــل العاشر :

صور من شخصية السادات .. من الداخل

فى الفترة الأولى من توليه رياسة الجمهورية ، كنت فى حجرة مكتبه باستراحة القناطر . وهذه الاستراحة من دورين . الدور الأول به أربع حجرات : واحدة للطعام وثانية للمكتب واثنتان للاستقبال ، وحجرة المكتب صغيرة ، بقيت كما هى منذ كان يستخدمها جمال عبد الناصر . دولاب بسيط للكتب . ومكتب متوسط الحجم . ومقاعد « فوتيه » .

كان الرئيس السادات قد استدعانى فى المساء لأمر لا أعرفه . ودخلت عليه حجرة المكتب ، وكان يرتدى البيجامة وعليها روب . كان ممسكا بقلم «باركر» ينظف سنه بنشافة . وكان يبحث عن «دواية» الحبر واهتم جدا بتنظيف السن مرات عديدة ، وهو يتأمله ، كشاب يستعد لتسطير خطاب غرام . قال لى : كم أتمنى أن أعيش لأكتب فقط . إنها أسمى مهنة فى الوجود . كتبت فى شبابى مسرحية لم أكملها . لى ذكريات تملأ مجلدات . يابختكم يامن تتفرغون لمهنة القلم .

ثم رفع سماعة التليفون وسأل : ألم تجدوه بعد ؟..

ثم اتجه لى متسائلا : الواد ده غطس فين ؟..

وسألته : مين يا سيادة الرئيس ؟..

قال : بليغ حمدى .. إننى أبحث عنه فى كل مكان بلا جدوى .. كنت عاوز أسمع شوية «تقاسيم» .. الواد ده موهوب .

وفى مناسبة أخرى ، فى أول أسابيع حكمه ، تجمعنا ثلاثة فى حجرة نوم الرئيس أنور السادات باستراحة القناطر . كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ذهبنا المرحوم قاسم فرحات العضو المنتدب لمؤسسة أخبار اليوم واحسان عبد القدوس رئيس تحرير أخبار اليوم ، وأنا (رئيس تحرير الأخبار) . ذهبنا على غير موعد . وسمح لنا بالدخول ، تقديرا لأن ذهابنا المفاجىء لابد أن يكون لأمر بالغ الأهمية . واستقبلنا السادات فى حجرة النوم بالدور الثانى من الاستراحة . كان فى سريره ملتحفا ببطانية سميكة . وبجواره أجهزة تسجيل وأشرطة كاسيت . قال : هذه أغانى الست (يقصد أم كلثوم) وأغانى إسمهان .

كان يحب الموسيقى الشرقية .. والصوت العربى الأصيل .

ولذلك .. فإنه طلب من فرقة الموسيقى الشرقية التى يقودها زوج شقيقته ـــ الصحفية سكينة السادات ـــ إحياء حفل زواج ابنته الكبرى (من السيدة جيهان) ..

وكان حريصا على أن يحضر احتفال عيد الفن كل عام ـــ وهو صاحب الفكرة ، وأن يلقى خطابا أمام أهل الفن عن رسالة الفنان نحو مجتمعه .. وأن يكرم الفنانين بشخصه . وعندما تعثرت خطوات الفنانة زينات صدقى وهى تتقدم إليه لتتسلم جائزتها بسبب المرض .. ترك هو مقعده وتقدم إليها .

وفى آخر احتفال بعيد الفن شهده السادات .. وكانت كل العروض المقدمة مهرجاناً لتحية مصر وكفاح شعب مصر ضد الاستعمار .. انتهى الاحتفال بنشيد وطنى رائع .. ووقف السادات فى شرفته وغنى النشيد مع الفنانين والفنانات والجماهير .

وأذكر فى أوائل عهد السادات أن المخرج الاذاعى المرحوم محمد علوان ، طلب منى أن أكتب له قصة حياة السادات ، ليخرجها فى مسلسلة اذاعية . وانتهى علوان من إعداد الحلقة الأولى وطلب منى أن يسمعها الرئيس حتى يكون ذلك دافعا له على الاستمرار بحماسة . وتحرجت أن أطلب ذلك من الرئيس . فطلب علوان نفس الرجاء من محمود أبو وافية عديل الرئيس ووافق السادات وذهبنا إلى القناطر كان الوقت بعد الظهر وجلسنا فى شرفة الدور الثانى للاستراحة . وجاء الرئيس وبدأ الاستماع .

كانت المقدمة نشيدا لشادية عن مصر .. لحنه محمد الموجى . وطرب السادات من النشيد ، وقال : الموجى ده عفريت .. لقد لحن الاذان .. وكان أحمد مظهر يمثل دور السادات فى هذه المسلسلة .. وكان حمدى غيث يمثل دورا آخر ..

وكان مظهر يقلد صوت السادات وطريقة أدائه المنفردة .. وتقبل السادات ذلك بارتياح .. وهو يروى : شوف مظهر .. بيقلدنى ازاى .. وأذكر أننا عرضنا عليه واقعة تاريخية فى المسلسلة ، أراد أحمد مظهر تغييرها ، لأنه كان أحد شهودها . وقال السادات : «لأ .. مظهر ناسى ما كتبتموه هو الصحيح» .. وروى تفصيل الواقعة بالأسماء والتواريخ الدقيقة . والحق أن ذاكرة السادات فى الاسماء والتواريخ والأرقام ، كانت أصح من أى كمبيوتر . دائما يذكر أصغر التفصيلات وبكل دقة .

واستمر يستمع إلى الفصل الأول .. وكلما سمع صوت ممثل جديد .. كان السادات يذكر اسم الممثل أو الممثلة بمجرد سماع الصوت . «ده حمدى غيث .. عظيم حمدى» .. واستهواه جدا نشيد دنشواى .. وكان يغنيه صوت جديد فى ذلك الوقت ، هو المطرب هانى شاكر واللحن لمحمد الموجى ، وسأل السادات عن اسم المطرب وتوقع له مستقبلا ناجحا .

وكان السادات ، عاشقا للمسرح والسينما . وقد نشر بعد الإفراج عنه فى قضية امين عثمان منذ اربعين عاما نص المسرحية التى مثلوها داخل السجن وقام هو فيها بدور السلطان .

وفى معتقل الزيتون عام ١٩٤٣ ، كان السادات يغنى اغنيات «اسمهان» ويطرب للأصوات الجميلة .. وقد نشر فى كتابه «البحث عن الذات» أنه أراد أن يكون ممثلا فى شبابه ولم يقبل عند اختباره . وكان يريد أن يثبت أن يستثمر الفن من أجل مصر . ومن أجل مجتمع مصر . كان يحلم بالتمثيليات الضخمة والأوبريتات الكبيرة عن تاريخ مصر .. كان يريد اليقين بمجد مصر فى قلوب الشعب وخاصة الشباب . وقد طلب من محمد عبد الوهاب أن يغير من موسيقى السلام الجمهورى بنغم نشيد «بلادى .. بلادى» وأعطاه رتبة عسكرية شرفية ، لكى يقود فرقة موسيقى الجيش بهذا النشيد . وحرضه كثيرا على وضع موسيقى لأوبريت ضخم عن تاريخ مصر . ولذلك فقد أعجب السادات بأوبريت «بهيه» الذى ألفه الدكتور رشاد رشدى وكان قد عينه مستشارا للرئيس للآداب والفنون . وكان يتمنى أن يرى فيلما سينمائيا عالميا عن نصر أكتوبر وكان فى ذهنه دائما فيلم أطول يوم فى التاريخ الذى ظهر عن الحرب العالمية الثانية وبه أكبر عدد من نجوم السينما العالميين . وكان يعد لكى تكون الاحتفالات بجلاء آخر جندى اسرائيلى عن أرض الوطن على أوسع نطاق شعبى .. ومن واقع التغنى باستقلال مصر وإرادة مصر وحضارة مصر قد شجع المطربة ياسمين الخيام على الاستمرار فى الغناء . واجتمع بوالدها المقرىء المعروف الشيخ الحصرى ، وأقنعه بأن الفن رسالة أخلاقية ولا تعارض فيها مع الدين .. وأن عليه أن يرعى صوت كريمته لأنها موهوبة .

وقد تشبعت أسرته منه بحب الفن .. واحترام الفنانين والفنانات .. وكانت السيدة جيهان تنوب عنه فى زيارة المرضى منهم وأداء واجب العزاء . وكان الفنانون يلجأون إلى الرئيس السادات فى مشكلاتهم وهم يشعرون انه راعيهم والمسئول عن إزالة أية عقبات أمامهم . وهو الذى قرر معاشات استثنائية لأسر الفنانين الذين توفوا ولم يتركوا موردا لأسرهم . وكان هو الذى يبحث حالاتهم ويقرر المعاش الاستثنائى . وعندما قرر معاشا استثنائيا لأسرة المرحوم اسماعيل ياسين ثم تلقى شكوى من زوجته بعد شهرين من القرار أنها لم تصرف شيئا .. غضب السادات من وزير الثقافة حينئذ .. وقال : إذا كان عاجزا عن تنفيذ قرار لى بمعاش لأسرة فنان .. فكيف يصلح لإصدار وتنفيذ قرارات كبيرة . وأخرجه السادات من الوزارة وكان قد أمضى فى منصبه وقتا قصيرا .

قلت إن السادات ابن ميت أبو الكوم ، كان يحب الألحان الشرقية الأصيلة . ولكن السادات السياسى ، كان يظهر للرئيس كارتر حبه لألحان « الميدوست » فى أمريكا .

ولذلك فإن كارتر عندما أقام سهرة تكريما للسادات بعد العشاء فى البيت الأبيض، جعل أشهر فرقة فى أمريكا لأغانى «الميد وست» تحيى هذه الحفلة. وكلهم أشقاء. وأظهر السادات طربه العميق مما سمع. وكنا نحن الصحفيين نبتسم لهذا الطرب السياسى. وكان السادات دائما، يجد أسلوبا لربط عاطفة الزعماء به. عندما التقى بالرئيس فورد فى سالزبورج، وكنا على موعد مع فورد بعد المباحثات، لإجراء حوار صحفى مع رؤساء التحرير .. قال لنا السادات: قدموا صورة طيبة لهذا الرجل. لقد تقاربنا منذ الدقائق الأولى للقائنا إنه فلاح مثلى. فيه كل صفات الفلاح. الصراحة والبساطة.

وكان يقول عن نيكسون: إنه أكبر سياسى فى أمريكا. إنه صانع استراتيجية. ولذلك تفاهمنا سريعا.

وكان يقول عن كارتر: ان الثقة كاملة بيننا، لأنه رجل متدين مثلى. ولذلك فإننا لم نختلف.

وكان دائما يصف كيسنجر بأنه «صديقى هنرى» وليس معنى ذلك أنه لم يكن يفهم أغوار كيسنجر .. ولكنه كان دائما يقرب من يتعامل معه بالعاطفة.

كان يفعل كل ذلك من أجل مصر.

كان ينتقى الصفات الطيبة، فى كل من يتعامل معهم. ليتعامل مع هذه الصفات.

وهذا هو دور رجل السياسة فى موقع المسئولية.

ولم يكن هذا كذبا، أو خداعا، لأنه كان يتعامل مع ساسة يمكن أن يكتشفوا الكذب والخداع. ولكنه كان اختيارا نافذا لجوانب صحيحة من تكوين هؤلاء الزعماء يتعامل معها السادات.

ولم يكن غريباً أن يحضر كل رؤساء أمريكا السابقين للاشتراك فى تشييع جنازته.

ولكنه التصق كثيراً بالرئيس جيمى كارتر، لأنه تعامل معه أربع سنوات كاملة.

وفى آخر حديث خاص أدلى به كارتر لعدد محدود من كبار كتاب أمريكا ــ قبل أن يغادر البيت الأبيض بساعات ــ قال كارتر لهم، عندما سألوه عن زعماء العالم الذين تعامل معهم: كان أقربهم لى، أنور السادات كنت أثق فى كلمته كما أثق فى زوجتى روزالين.

وكان الاتصال التليفونى مستمراً بين كارتر والسادات. وكان كارتر يستمع إلى نصيحة السادات ويأخذ بها. عندما أعتدت اسرائيل على جنوب لبنان، قال السادات

لكارتر بالتليفون : إذا لم تتخذ إجراء حاسماً وسريعاً ، ضاعت هيبة أمريكا إلى الأبد .

واستجاب كارتر وانسحبت إسرائيل .(١)

هذا استطراد لا مهرب منه ، جرنا إلى حديث السياسة ، وأنا اكتب عن السادات الإنسان .. الفنان .

أذكر أنه اتصل بى بالتليفون فى أوائل عهده .. وقال لى :

ــ هل تعرف الممثل (وذكر اسمه)

قلت : نعم ..

قال : لقد قرأت منذ فترة أنه مات منتحراً بسبب الفاقة .. أرجو ان ترسل أحد الصحفيين ليجرى بحثاً اجتماعياً عن حالة أسرته . وكلفت أحد الزملاء بهذا البحث . وأرسلته للرئيس مدعماً بصور الأرملة والأبناء وقدم السادات سراً معونة لهذه الأسرة لم يعلن عنها .

وكان للسادات صلات شخصية بعدد من الفنانين . وكان يدعوهم إلى منزله مع أسرته . وكان يعرف الكثير عن حياتهم ومتاعبهم . دهشت مرة وأنا أتحدث إليه عن أزمة الإسكان أن روى لى عن الفنان نور الشريف .. ومشكلته فى الإسكان ! مع أن نور الشريف لم يدع إلى منزل السادات .

وكان يحرص على مشاهدة كل الأفلام المصرية الجديدة ..

ولعله أخذ هذه العادة عن جمال عبد الناصر .

فى الأشهر الأولى للثورة كان رجال الثورة يذهبون إلى دور السينما .

ولكن بعد أن عرفت الجماهير صورهم ، وبعد أن زادت أعباؤهم ، كان ظهورهم فى الأماكن العامة مستحيلاً ..

وبدأ عبد الناصر يشاهد الأفلام فى منزله . الأفلام الأجنبية والمصرية . وكذلك عبد الحكيم عامر .

وقبل حرب أكتوبر .. شاهد السادات جميع الأفلام الأجنبية التى صدرت عن الحرب العالمية الثانية . وكان يراجع الحقائق التاريخية العسكرية فى هذه الأفلام ، مع

---

(١) عندما توجه السفير الأمريكى إلى لقاء بيجين لإبلاغه بانذار كارتر بضرورة الانسحاب الأسرتيلى ، بدأ بيجين كلامه برفض لإنذار .. ولما اطلع عليه مكتوباً ، تراجع عن الرفض .. وقدم كأساً للسفير الأمريكى وقال : لقد كسبتم الجولة . إن اسرائيل الدولة الضعيفة ، لا تستطيع أن تتحدى أمريكا .

الكتب التى وصفت المعارك . ولذلك كانت لديه ذخيرة ضخمة عن فنون القتال ، وأشهر معارك التاريخ .

وفى بعض الأمسيات ، كان السادات يشاهد فيلماً . وإذا كان عنده ضيف فإنه كان يدعوه إلى مشاهدة فيلم ، إذا كان قد انتهى من موضوع لقائه معه أو إذا لم يستمتع بالحوار .

ومشهد السادات ، وهو يرى فيلماً ، يثير الألم !

نعم .. الألم !

كان السادات يشاهد الفيلم فى المساء . فى قاعة كبيرة ، أنشئت لاصقة بالاستراحة ، لكى يعقد فيها الاجتماعات . كان يجلس على مقعد فى وسط القاعة المظلمة ليشاهد الفيلم وبجواره التليفون . وكان يوقف الفيلم إذا تلقى مكالمة هامة . المشهد مؤلم . تعبير عن الوحدة . القاعة كبيرة ، ومظلمة ، وبها شخص واحد .

ولكنه كان لا يبرم بهذه الوحدة .

كان يحب مجالسة نفسه كثيراً . وكانت تمر عليه ساعات طويلة فى بعض الأحيان ، وبلا لقاء مع أحد ، وهو جالس وحده فى حديقة الاستراحة ، يفكر . كان يهوى التأمل . أكبر القرارات وأخطرها ، اتخذها بعد هذا التأمل الطويل . وقد حدث كثيراً ، عندما كان يتردد عليه المهندس عثمان أحمد عثمان الذى كان يناديه الرئيس باسم « أبو عفان » .. أن كان يجلس السادات صامتاً ساعتين أو ثلاث ساعات ، وكان عثمان أحمد عثمان يجلس معه صامتاً لا يقطع عليه حبل تأملاته .

وكان يفضل الإقامة معظم الوقت فى استراحة القناطر لأن حولها فضاء كبيرا من الزرع . وهو يحب الهواء الطلق . وبعد أن قامت الثورة وكان يسكن فى شقة فى منيل الروضة اختار منزلاً متواضعاً جداً فى شارع الهرم يقيم به . سبب الاختيار أن المنزل وراءه حقل كبير . وربما كانت إقامته فى زنزانة لمدة ٣٧ شهراً ثم فى المعتقل ، ثم هارباً متخفياً من مكان مغلق إلى آخر .. ربما كان ذلك سبب عشقه للهواء الطلق . ولكنه كان يحب منزله فى ميت أبو الكوم ، أكثر من أى مكان آخر . كان يسير فى الحقول ساعات طويلة . قال لى مرة : إن رائحة الأرض هنا تنعشنى أشعر أننى جزء من هذا التراب .

قال لى فوزى عبد الحافظ : كان الرئيس يصل إلى ميت أبو الكوم متعباً مرهقاً وآثار ذلك بادية عليه ، وبمجرد أن ينام ليلته الأولى ، يصحو نشطاً فتيا وكأن عمره نقص عشر سنوات . وكثيراً ما كان يطوف بالحقول فى المساء وهو يرتدى الجلباب القروى فى الليالى المقمرة ثم يجلس متربعاً تحت شجرة أمام الترعة .. ويمضى متأملاً منتعشاً بالساعات حتى يحين موعد نومه المتأخر .

إن زوجته وكريماته وابنه جمال لهم مشاغلهم اليومية في القاهرة وأولها الدراسة الجامعية . وكان صعباً عليهم هذا « المشوار » اليومى من القناطر إلى الجامعة . وكانوا يفضلون الاقامة في منزل الأسرة بالجيزة الذى استقروا به منذ كان السادات نائباً لرئيس الجمهورية . وكان المنزل مخصصاً قبل ذلك للسيدة هدى كريمة جمال عبد الناصر . وحلت المشكلة العائلية بالاتفاق على أن تبقى الأسرة معه ثلاثة أيام كل أسبوع في القناطر .

وكان السادات يتبع في حياته اليومية برنامجاً ينفذه بكل دقة ولا يمكن أن يحيد عنه . كان يستيقظ في الثامنة من الصباح .. ثم يجرى بعض التدريبات الرياضية السريعة ويأخذ دشّاً ثم يحلق ذقنه بيده . وكان يفضل استخدام الصابون والفرشاة والموس .. ولا يحب آلات الحلاقة الكهربائية وبعد ذلك يتناول إفطاره الخفيف .. مع الشاى .. من طعام ريفى خفيف « الشعرية » .. وخلال ذلك يقرأ الصحف وكثيراً ما كانت السيدة قرينته تقرأ له العناوين الكبيرة والمقالات الهامة .. وكانت هى تستيقظ من الرابعة صباحاً وتمضى وقتها في التحضير لرسالة الماجستير وللمحاضرات التى تلقيها كمدرسة في الجامعة .. ثم يبدأ السادات في إجراء بعض الاتصالات التليفونية برجال الدولة أو بشخصيات سياسية عالمية في الخارج ثم يقرأ تقارير الدولة الهامة التى لم يكن قد انتهى من قراءتها في المساء .

ثم يبدأ لقاءاته الرسمية في الساعة الحادية عشرة من الصباح وتستمر حتى الثانية بعد الظهر . وهنا يخلع ملابسه ويرتدى الزى الرياضى لكى يمارس رياضة المشى .. ما يقرب من ساعتين كاملتين .. وكان يشاركه المشى عثمان أحمد عثمان .. وفى بعض الأيام أنيس منصور .. في الأعوام الثلاثة الأخيرة .. أو قرينته السيدة جيهان السادات وفى الأشهر الأخيرة قبل وفاته كانت لا تفارقه .

وبعد المشى .. يدلك جسده أحد ضباط الحراسة الرياضية .. (وقد كان مدلكاً لجمال عبد الناصر) .. ثم يأخذ دشاً .. وينام لكى يستيقظ حوالى السادسة .. ويتناول غذاءه في ملابسه المنزلية .. وقد وضع « كنبة » في حجرة نومه بالقناطر التى كان يقضى بها معظم ايامه تشبه المصطبة في القرية ويبدأ من السابعة في مباشرة اعماله بقراءة التقارير والاتصال بالمسئولين ثم يشاهد الفيلم السينمائى الساعة الحادية عشرة .. أو يستمر في العمل .. وكان ينام حوالى الواحدة صباحا ..

أما إذا كانت لديه اجتماعات أو مقابلات يمكن أن تتصل حتى الرابعة أو الخامسة بعد الظهر .. فإنه كان يمارس رياضة المشى في الصباح بعد استيقاظه .. وكان يقول لى إن المشى يعطيه طاقة تنشطه على العمل .. دون أن يشعر بأى إجهاد .

والسادات كربّ عائلة .. ممتلىء بالعاطفة الأبوية .

وهو قد شعر أنه لم يوفق فى زواجه الأول ، وكانت زوجته الأولى هى كريمة عمدة ميت أبو الكوم . وقد أنجب منها ثلاث كريمات . رقية وكاميليا و .... والثانية تقيم الآن فى بوسطن فى امريكا ، وهى تدرس للحصول على الماجستير فى الإعلام ..

وانتهى الزواج بالطلاق فى عام ١٩٥٠ . ولما ارتبط بزواجه الثانى من السيدة جيهان ، شعر بجو الأسرة الذى كان ينشده . ولذلك كانت حياته أسرية بمعنى الكلمة . وكان والد السيدة جيهان ، من أقرب الناس إليه ، ونشأت بينهما أعمق صداقة ، وبعد وفاته أقامت والدة السيدة جيهان معهم .. وأصابها المرض ، لسنوات طويلة .. وكان السادات يناديها « ماما » حتى توفيت فى الاسكندرية فى عام ١٩٧٩ . وأنجب السادات فى زواجه الثانى ، لبنى ونهى وجيهان .. وجمال هو الابن الوحيد .. وعند ميلاد لبنى كان السادات منشغلاً فى مجلس الثورة وحضر إلى زوجته فى المستشفى بعد الولادة . وعند ميلاد جمال كان السادات منشغلاً فى عدوان ١٩٥٦ ، وكان عديله محمود أبو وافيه هو الذى أوصل السيدة جيهان إلى المستشفى عندما حان موعد الوضع . وكانت جيهان فى السنوات الأولى بعد الزواج تقوم بحياكة ملابسهم بنفسها . وقبل الثورة ، وفى أوائلها كانت الأسرة تسكن فى شقة بالروضة بدور علوى .. وليس لها مصعد . ولما جرت التأميمات وخرج اليهود من مصر .. لم يختر السادات قصراً منيعاً من قصور الأسرة المالكه .. ولكنه اختار منزلاً متواضعاً كان يسكنه مخرج سينمائى يهودى فى شارع الهرم .. وراءه حقول شاسعة وهو أقرب الأجواء إلى الريف ، الذى ارتبط به السادات كما ذكرت .. ولم يكن السادات يستخدم أجهزة التكييف ، كان لا يحبها وكان دائماً يفضل الهواء الطلق مهما ارتفعت أو بردت درجة حرارة الجو .

كان السادات قريباً جداً إلى جميع أبنائه من زواجه الأول وزواجه الثانى .. وكان يباشر شئونهم جميعاً . وكان يهتم بأحوالهم العائلية والشخصية . وكان يتابع أحفاده .. ويجتمع معهم فى جلسات طويلة ويقدم لهم الهدايا عند نجاحهم . وقد رأيت مشهده مع أحفاده أكثر من مرة . وعندما أنجب جمال كريمته « ياسمين » ولدت بالغة الجمال . وكان السادات يطلق عليها .. « الحلوة .. المستوردة » .. وكان حفيده نجل المهندس حسن سيد مرعى زوج السيدة نهى .. هو تسليته الروحية وفى بعض الأحيان كان يوجد السادات فى المنزل وحده مع حفيده هذا .. فكان يقوم بملاعبته .. والذهاب به إلى الحمام لقضاء حاجته وكان محمود أبو وافيه يداعب السادات قائلاً عن حفيده .. هذا هو حاكم مصر الحقيقى .. فأنت لا تستطيع أن تقول له لا .. وأنت المنفذ لأوامره .. وأكثر أبنائه اهتماماً بالسياسة هى كريمته « نها » كان السادات يستمتع بالحوار معها وهى تطلق على نفسها « المعارضة » وكانت تناقشه فى كل شىء ..

وكان السادات حريصاً فى طعامه حرصاً بالغاً .. خاصة بعد أن أصيب بالذبحة الصدرية مرتين . وعرف كل شيء عن أمراض القلب وكان يتحدث عن أنواع هذا المرض بإفاضة العارف . ولذلك فإن وجبته الوحيدة لم تخرج عن اللحم أو الطير المسلوق أو المشوى مع قليل من الفاكهة . وكانت أكلة الفول والطعمية رغم ضررها على صحته من أشهى الأكلات لديه . ولذلك كان يتناولها بين الحين والحين مع المهضمات . وكان البطيخ ضاراً بصحته ويسبب له الإسهال فامتنع عن تناوله تماماً . وعاش حياته منذ أول نزلة معوية من البطيخ منذ أكثر من عشرين عاماً دون أن يأكل منه قطعة واحدة . وكان يصاب بارتفاع الحرارة المفاجىء بعد الإرهاق . وحدث فى إحدى الرحلات إلى أمريكا أن ارتفعت حرارته إلى ٣٨ درجة . وأصر إسماعيل فهمى وزير الخارجية على الاتصال لاسلكيا من الطائرة بواشنطن لإلغاء موعد السادات مع الرئيس الأمريكى . ولكن الدكتور محمد عطية أستاذ القلب المعروف الذى كان يرافق السادات فى رحلاته ويتابع الكشف عليه برسم القلب وغير ذلك فى حياته اليومية أكد أن ارتفاع الحرارة مؤقت .. وبعد ساعة عاد السادات إلى حرارته الطبيعية . ومع ذلك فإن العوارض لم تكن تمنعه من إتمام برامج عمله ، خاصة فى رحلاته الخارجية .

أما عن هوايته الأولى فهى عنايته الكاملة بملابسه . منذ فجر شبابه فى المعتقل عام ١٩٤٣ وكان مفصولا من الجيش وهو برتبة اليوزباشى ، لم يكن يملك فى المعتقل إلا قميصين وبنطلونين كاكى (من ملابس الجيش) وكان يقوم بغسلهما وكيهما .. وكان يضع البنطلون تحت مرتبة السرير حتى يحتفظ برونقه .. وعندما كان يرتدى القميص والبنطلون مع الصندل كان فى قمة الأناقة وكنت تتصوره كأنه من أبناء الأرستقراطيين . وظهر ذلك أيضاً عند محاكمته فى قضية أمين عثمان . لم يكن يملك إلا « بدلة » واحدة .. وكانت « الموضة » حينئذ هى القميص الأبيض ، المنشى فى ياقته العريضة .. وكان يظهر فى قفص الاتهام وكأنه نجم سينمائى .. بسبب العناية الدقيقة بملابسه . وليس صحيحاً على الإطلاق أنه كان يفصل « بدله » فى روما أو باريس أو لندن لدى أشهر الحائكين . كان « سويلم » الترزى المصرى هو الذى يفصل له ملابسه .. وكان السادات يعتنى بالبروفة ويبدى ملاحظات لا نهاية لها . وكان يستدعى السيدة جيهان لترى البروفة ولكنه لا يأخذ بملاحظاتها ! وحدث مرة واحدة أن اشترت له السيدة جيهان بدلتين جاهزتين من لندن .. ولم يعجبه التفصيل ولا الألوان ولا تزال ملابسه فى دولاب حجرته بالجيزة . وقد استفزت السيدة جيهان السادات من الأكاذيب التى نشرت بعد وفاته عن ملابسه الغالية .. وردت ، أكثر من مرة .. هذه هى ملابسه فى دولابه كما هى منذ وفاته ، ومن يرد أن يتأكد .. يمكن أن يحضر ليراها بنفسه .

شيئان .. كان يضعف أمامها السادات . الفقر والمرض .

كان يحب أن يقرأ الخطابات التى يتلقاها ، بمطالب مادية بسبب الفقر . وكان يردد لمعاونيه .. هذه الخطابات اتركوها لى . إن أحداً منكم لم يعانى الفقر مثلى .. كم من الأيام أمضيتها بكوب شاى واحد باللبن مع رغيف خبز . وكان يقدم ــ سرا ــ معونات مالية واسعة لأسر عديدة ولأشخاص جار عليهم الزمن من ميزانية رياسة الجمهورية . ولما زاد حجم الخطابات أنشأ السادات ديوان المظالم . ومن أهم الخطوات الاجتماعية التى حققها وتابع تنفيذها بعناية شديدة معاش العاجزين والمصابين .. الذى عرف باسم « معاش السادات » وكان دائما يروى قسوة المشاهد التى مست قلبه فى الدول الشيوعية التى زارها .. النساء فى سن الشيخوخة وهم يرفعون الثلج من الشوارع فى الفجر ودرجة البرودة عشرين تحت الصفر هذه المشاهد لم تفارق وعيه أبدا .. وكان يسخر من تطبيق الاشتراكية التى تؤدى بالانسان إلى هذا المصير .. تحت شعار أن من لا يعمل لا يأكل .

وكان السادات يعتقد ان الحاجة تولد الفساد .. وهذا سر سخائه فى المنح التى كان يعطيها لبعض القيادات السياسية فى مناسبات تزويج أبنائهم وبناتهم . وهذا التقليد بدأه جمال عبد الناصر ولكن اتسع مداه على أكبر نطاق فى عهد السادات . كذلك القروض للنواب . لا فرق بين مؤيد ومعارض . وهذه من المآخذ التى نقد فيها .. على أساس أنها رشوة سياسية .. والحقيقة أنها نابعة من مشاعر السادات بمعنى الحاجة .. وكان أحد رؤساء الأحزاب المعارضة من أكثر النواب الذى حصل على قروض من مجلس الشعب .. ولعله لم يسددها مثل غيره .

وكان السادات يضعف أمام المرض .. أيضاً لا يهمه إذا كان المريض مؤيدا أو خصما سياسيا بلا أخلاق . كان أمام الأمراض الخطيرة يأمر بلا تردد بقرارات العلاج فى الخارج على حساب الدولة . وأعرف معارضاً صرفت عليه الدولة بقرارات من السادات الألوف من الدولارات للعلاج فى أوربا وانجلترا وأمريكا من أمراض خطيرة سببها الإدمان .. وكان السادات لا يحترم هذا المعارض .. ولكنه يرى أن المرض لا دخل له فى احترامه للمريض أو عدم احترامه له . وكانت نظرة السادات صادقة .. فإن هذا المعارض .. بالذات كتب وبكل القبح بعد موت السادات أن السادات كان مصابا بجميع أنواع الانحرافات .. التى عرف منها .. والتى لم يعرف ! .

وقد سافر ماركسيون من أشد المعارضين للسادات فى رحلات علاج على حساب الدولة أكثر من مرة . واستمر بعضهم فى العلاج بالخارج لسنوات .

ولم تكن الملكية أو جمع الأموال من هوايات السادات أو من طبعه وقد تبرع بإيراده من كتاب « البحث عن الذات » الذى جاوز المليون دولار ، وكذلك تبرع بجائزة نوبل للسلام لبناء المساكن الحديثة لأبناء قريته ميت ابو الكوم المزودة بأجهزة الطاقة الشمسية .. وكان هذا التبرع مثار مناقشات فى محيط أسرته ولكنه لم يعدل عن فكرته ..بل إنه سجل فى التعاقد على كتابه الثانى « البحث عن السلام » مع نفس ناشر كتابه الأول .. أن إيراده من الكتاب الثانى سيخصص لمساكن الفلاحين فى ميت أبو الكوم .. ومات السادات وانتهت مدة التعاقد .. ولم يصدر الكتاب الثانى وكان السادات قد سجل فصوله .. وعهد بتفريغ التسجيلات وتنسيق الفصول إلى الدكتور رشاد رشدى الذى وافته منيته قبل أن يتم هذا العمل .

وعندما صدرت الطبعة العربية من كتاب « البحث عن الذات » قام السادات باهداء عدد من النسخ إلى عدد من الكتاب وكتب الإهداءات بخط يده . وقد وصفنى فى إهدائه لى .. بأننى زميل رحلة العمر .

وكان السادات يحب أن يقرأ ما يكتب عنه فى صحافة العالم ومن كل كبار الكتاب فى المؤلفات التى صدرت عنه . وقام أستاذ جامعى مصرى بتأليف كتاب عن السادات حاول فيه أن يؤصل فكر السادات بأفكار فلاسفة عالميين وكان الكتاب مبالغاً فى المدح والثناء . وأرسله لى السادات وقال إنه كتاب علمى محترم ، يستحق التعليق عليه . وقدمت الكتاب إلى زميلى المرحوم رشدى صالح رئيس تحرير آخر ساعة . قرأ الكتاب ولم يعجبه . ولم يعلق عليه بحرف واحد . ولم يغضب السادات رغم صلته الروحية الوثيقة برشدى صالح . وهو الذى اختاره رئيسا لتحرير آخر ساعة .

ان الواقع الانسانى كان هو الغالب على تصرفات السادات فى سلوكه . عانى الفقر ، ولم يكن يخجل من رواية القصص العديدة من هذه المعاناة فلم يولّد ذلك فى نفسه حقدا على الثراء والأثرياء .. ولكنه فجر فى قلبه طاقة روحية لمساعدة الفقراء ، ولعل إفراطه فى إصدار قرارات العلاج بالخارج حتى لخصومه السياسيين .. نابعة أيضاً من معاناته وهو شاب صغير عندما توفيت طفلته لعجزه عن شراء الدواء لها ، وهو الذى روى لى هذه القصة .

حدث أن ألقى خطابا فى اللجنة المركزية وتحدث طويلاً عن مسئولية الحكم فى رفع المعاناة عن المكدودين . وضرب مثلاً بأب يعرفه ، ماتت طفلته لأنه لم يستطع أن يشترى لها الدواء !! .

ثم طلبنى تليفونيا وقال لى : هل تعرف من هو هذا الأب ؟ .. أنا لم أشأ أن أصرح به فى خطابى ..

وأجبت : لا
فقال : الأب .. هو أنور السادات !.
وروى لى القصة تفصيلا ..
وسألته : هل هناك مانع أن أكتب القصة ..
ولم يعترض ..

وعندما نشرت القصة غضبت أسرته .. أما هو فقد كان سعيدا بنشرها .. وهذه التجربة هى التى أوحت له بإنشاء بنك ناصر .. وطلب من الدكتور عبد العزيز حجازى أن يشرف بنفسه إشرافا مباشراً على إنشاء البنك .

وبعد ذلك .. اتسعت الفكرة إلى مظلة التأمينات الاجتماعية التى اتسعت وشملت كل مواطن عاجز عن العمل أو ليس له معاش فى مصر .. وكان يعقد الجلسات الطويلة مع الدكتورة آمال عثمان وزيرة الشئون الاجتماعية لكى يستمع منها إلى خطوات المشروع .. وكان يجد فى ذلك سعادة كبرى .

ونما فى نفسه الشعور بالأبوة ومسئوليات هذه الأبوة . وعمق هذا الشعور انفصاله عن زوجته الأولى بعد أن أصبح أبا لثلاث بنات .. وإحساسه بواجبه الأول فى رعايتهم .. وكان شعور الأبوة يظهر فى كثير من القرارات ومنها أن كريمة سعد الدين الشاذلى طلبت السفر إلى الخارج لرؤية والدها .. ورفضت وزارة الداخلية التصريح لها بالسفر . لقد كان سعد الدين الشاذلى يشن حملة حمقاء ضد السادات من العواصم العربية ويتهمه بالخيانة .. فشكت كريمة الشاذلى إلى إحدى كريمات السادات وكانت تعرفها ـــ هذا المنع .. وحملت كريمة السادات الشكوى إلى والدها فكان قراره الفورى « يجب أن تسافر .. وهل من الممكن يا ابنتى أن أمنع ابنة من رؤية والدها » .

وقد تضخم شعور الأبوة فى قلب السادات ، حتى انه سرح بخياله فى الحلم بالشعب المصرى كعائلة واحدة هو كبيرها .. وهو المسئول عن كل أبنائها مهما اختلفت دياناتهم ومشاربهم وطوائفهم ومراتبهم . وهذا الشعور الانسانى ساعد على تولده ونموه أيضا السنوات الثلاث الأولى التى أمضاها فى زنزانة السجن ، كانت سنوات لقاء مع النفس . وكانت سنوات قراءة فى فلسفة الحياة وتجارب الانسان وكانت سنوات تعبد وابتهال إلى السماء أن ينقذه الله من حبل المشنقة . وقد أثر فى تكوينه مقال قرأه فى مجلة « الريدرز ديجست » كتبه طبيب عن غنى النفس .. وظل يذكر هذا المقال طوال حياته . وعندما التقى الرئيس السادات مع أحد رؤساء تحرير الريدرز ديجست فى عام ١٩٧٤ .. وقد حضرت هذا اللقاء فى المعمورة .. كان أول ما طلبه منه موافاته بهذا المقال وحدد له سنة

نشره ، وأرسلته إليه إدارة هذه المجلة العالمية التى تنشر طبعات فى ٢٨ لغة .. المقال بكل هذه اللغات[١] .

(١) فى يوليو ١٩٤٧ قرأ أنور السادات ، مقالا وهو فى زنزانة السجن ــ نشرته مجلة Reader's Digest . العالمية الشهرية وقد كانت تصدر منها نسخة عربية فى مصر تحت اسم « المختار » . هذا المقال كان له أعمق الأثر فى حياة السادات فى مختلف مراحلها وقد وصف السادات المقال بأنه كان طريقه إلى اللقاء مع نفسه فى صفاء .. فعرف أن رضا النفس ، هو أثمن ما يمكن أن يصل إليه الإنسان فى حياته .

كاتب المقال ، عالم نفس امريكى إسمه هارى امرسون فوسدك ، Harry Emerson Fosdick وعنوان المقال هو : كيف تحفظ نفسك بعيدا عن أيدى الأطباء النفسيين . ولم يحتفظ السادات ، بنسخة من عدد « المختار » الذى ظهر به المقال ، ولكنه ظل يذكره فى مناسبات عديدة إلى أن التقى بأحد رؤساء تحرير مجلة « الريدرز دايجست » فى الاسكندرية .. قبل حرب أكتوبر ، وكان قد حضر إلى مصر لإجراء حديث مع السادات . وسأل رئيس التحرير ، أنور السادات عن موضوع هذا المقال ، وعام صدوره .. وبعد أن عاد إلى أمريكا أرسل إلى الرئيس السادات نسخة من المقال ، مترجمة إلى ٢٦ لغة تصدر بها هذه المجلة فى جميع أنحاء العالم . وأرسل إلى رئيس التحرير صورة مما أرسله إلى الرئيس حيث كنت حاضرا للقائه وحديثه مع السادات .

وخلاصة المقال : أن الإيمان بعقيدة وهدف فى الحياة والبعد عن الأنانية ، والتخلص من الاحقاد ، هو العلاج الحاسم لأى انسان يتعرض لأزمة مع نفسه ، ويرى ان حياته لا مذاق لها .

ويقول كاتب المقال : إننى مقتنع بأن العقيدة الدينية هى واحدة من القوى الهامة الكامنة التى تحقق الانسجام والسلامة العقلية ، وهى أيضا الروح المطلوبة لتحقيق القوة والصحة لنسبة كبيرة من مرض الأعصاب .

ويضرب على ذلك مثلا بروايته :

« لقد هرع إلى بيتى فى إحدى الليالى شاب لم أكن أعرفه وكانت مشكلة هذا الشاب أنه حاول الانتحار بشنق نفسه ، ولكن الحبل الذى استخدمه فى المحاولة ، انقطع . وبعد حديث بيننا ، استمر ساعتين مضى الشاب قائلا : إننى أشعر كما لو كنت إنسانا جديداً فى عالم جديد » ..

ويقول الكاتب الأمريكى : ان العقيدة سر يصنع الصفاء الداخلى . ان غالبية الناس هذه الأيام ، ليس لهم مكان داخل أنفسهم ، يوفر لهم الهدوء والاستقرار فى هذا العالم الهائج والمضطرب . ان القضية هى ما يفعله الفرد فى وحدته . ان ما يفعله من ليست له عقيدة هو أن يهرب من وحدته وليس أمامه غير ذلك . وبالنسبة لهؤلاء فان النشاط المستمر دون جدوى هو حياتهم .. وتتسم هذه الحياة باضطراب لا يعرف الهدوء .. انها حياة لا تتمتع بحصانة داخلية=

= تتحول إلى شيء مأساوى . وهؤلاء قد يعيشون على أحقادهم بأن يجعلوا غضبهم الداخلى ، ينمو ، ويصابون بشرور الغيرة التى تختفى وراء وجوه مبتسمة وودودة ! ..

والانسان السليم هو الممتلىء بالإيمان والأمل والحب . وأعظمها هو الحب . ثم يقول المقال : هناك عامل آخر فى التمتع بحياة نفسية صحية ، وهو احترام النفس . ان الانسان العاقل لابد أن ينقد نفسه ، ولكن إذا تملكت الانسان حالة احتقار الذات فانه يصبح ميئوسا منه . ان العقيدة تحطم هذا العائق .

لقد كان لى صديق يتعاطى الخمور بإدمان ميئوس من علاجه ومنذ سنوات دخل مصحة لمدمنى المخدرات للعلاج . وقال الأطباء أن ، حالته لن تعالج . وكذلك كان رأى أسرته . وفى محاولة طارئة . قام هذا الصديق بالصلاة لله لاحتمال أن يكون هناك إله سوف يساعده . وكان هذا خط دفاعه الأخير فى مواجهة اليأس الشديد . ومنذ ذلك ، الوقت لم يتناول هذا الرجل أى مشروب كحولى . إن العقيدة ، بما تبثه لدينا من اقتناع بأن الانسان خلق لغرض يمكن أن يحققه تفتح الأبواب إلى حياة أفضل . ويمكن أ يفشل الانسان فى أشياء كثيرة ولكن لا يعنى هذا أنه يكون هو نفسه فاشلاً فى النهاية .

ثم يقول كاتب المقال :

وهناك عامل هام لقيام حياة صحية .. ويتمثل ذلك فى الاخلاص واللا أنانية . إن الشخصية الانسانية لم تخلق لتكون منطوية على الذات . إن خروج المرء عن ذاته وشعوره بأن يجد شيئا له قيمة يعيش من أجله .. فيضع نفسه فى إطار هدف جاد من نوع ما أو أن يقع فى حب آخر أو يكتشف مهمة كبيرة لنفسه .. أو يدخل فى مغامرة مثيرة أو يهب نفسه لقضية تنطوى على الخير .. كل هذه شروط أساسية لحياة صحية .

ان الناس يعبرون عن أنفسهم فقط عندما يجعلون أنفسهم فى خدمة أشخاص وقضايا يؤمنون بها . إن التعبير عن النفس يتطلب القدرة على نكران الذات وخدمة الأهداف التى لا تخص الذات بصفة أساسية .

ويقول كاتب المقال :

ويمضى جنبا إلى جنب مع ذلك وجود الثقة فى الأهمية الأساسية للحياة ، بمعنى الايمان بأن هناك قوة موجودة فى الحياة أعظم من حياتنا . فلابد أن نتدعم من الداخل وإلا انهار المعبد علينا . إن تأكيد القوة العليا الموجودة ضرورى لجعل الانسان يعرف أنه مزود بالقوة التى تمكنه من فعل ما يجب أن يفعله وحتى يتصدى لما يجب أن يقاسيه . إن نفس الانسان الواعية ذات حدود مشتركة مع حقيقة روحية أكثر اتساعا .

إن جوهر العقيدة التى تنشأ فى القلوب الانسانية فى هذا العالم المضطرب هو حصانة داخلية تصنع الهدوء وتطرد الحقد ، مع إرادة قوية تطهر الروح من الذنوب وتفتح الأبواب للضمائر الحية وتطلق الحياة من أنانيتها إلى هدف له قيمة .. لكى نبذل أقصى ما فى وسعنا من أجل الآخرين ، ونستبدل الصفات الفاسدة بإيمان يحقق النصر فى معنى وهدف الحياة ويدعم قوانا الداخلية فى مواجهة مصاعب الحياة . =

وقد حدث بعد الإفراج عن أحد الصحفيين فى قضية مؤامرة مايو بقرار خاص من السادات قبل أن ينهى مدة العقوبة .. أن خرج هذا الصحفى بلا عمل ، كانت له صلة خاصة بالمهندس عثمان أحمد عثمان الذى عرض عليه أن يعمل فى المقاولين العرب فى منصب إعلامى ، ويتقاضى نفس المرتب الذى كان يتقاضاه من الصحيفة التى كان يعمل بها ووضع شرطا واحدا فقط .. هو موافقة الرئيس السادات .

وروى لى زميلى الصحفى هذه القصة ، واتصلت بالرئيس السادات ، وكان فى قمة الألم من هذا الصحفى بالذات لأنه يعرفه عن قرب ، وله به مودة .. ولأنه تطاول بلسانه عليه كما سمع السادات بأذنه من تسجيلات القضية .. وذكر ألفاظا بذيئة ..

ولكن السادات وافق على الفور .. وهو يقول لى بعاطفة أب : هو بذىء ، ولكن ما ذنب أولاده .

وأبلغت عثمان أحمد عثمان بقرار السادات ، ولكن الصحفى بعد ذلك رفض هذا العرض وطلب أن يعود إلى الصحافة .. وتأخرت عودته .. وترك مصر وبقى سنوات فى البلاد العربية ، واستقبله السادات مرة فى إحدى العواصم العربية .. ولكنه أصر على العمل خارج مصر .

ولم يكن السادات يحب البهرجة كما أشاع خصومه عنه لقد أصدر قرارا بأن يقدم فى مآدب رياسة الجمهورية التى تقام للضيوف من رؤساء الدول ، طبقين فقط من الطعام . وقد نشرت هذا الخبر فى حينه ولم يصدقه أحد ! .

وفى زفاف كريمته جيهان من المهندس محمود عثمان رفض السادات أن يقدم العشاء للمدعوين ، وأصر على أن يقدم الشاى فقط مع « السندويتش » وقام فندق الشيراتون بذلك .. ولما زاد عدد المدعوين اشترط السادات ألا يزيد المبلغ المقرر للشاى ويقلل من كمية السندويش والحلوى لكل مدعو ، حيث يكفى ما يقدم للعدد الزائد من المدعوين .

وقد سمعت هذه القصة وتحريتها من إدارة فندق شيراتون .. ولما سألت السادات عنها أقر بصحتها .. وقال إنه يريد أن يقدم قدوة .. كما تأثر أنور السادات بكتاب إبراهيم المصرى عن فلسفة الحياة والموت والحب ، وعلاقة الفرد بالمجتمع وروابط المرأة بالرجل .. ودوّن منها الكثير فى مذكراته فى السجن . وعندما عقد اجتماعا للكتاب بعد توليه رياسة الدولة ناشدهم العودة إلى العمق فى التعبير وإلى بناء القيم الروحية فى المواطن المصرى .. واستشهد بعبارات عديدة قرأها وسجلها لإبراهيم المصرى فى السجن . وكانت هذه الإشارة أسعد وأكبر تحية لإبراهيم المصرى فى شيخوخته .. وبعدها عينه السادات ، بناء على اقتراح منى ، عضوا بالمجلس الأعلى للفنون ، وقرر له معاشا استثنائيا بعد أن علم بأن الكاتب الكبير يعانى فى أخريات عمره .

= هذه خلاصة وافية لأهم المعانى التى جاءت فى هذا المقال الذى أثر على حياة أنور السادات .. وجعله كما قال : يلتقى مع ذاته .. ويعرف جوهر الحياة ، وهو الإيمان والحب ونكران الذات والعمل من أجل هدف خير فى الحياة .. يخدم به الآخرين .

وقد كانت سعادة السادات لا توصف عندما تلقى المقال من إدارة الريدرز دايجست بعد أكثر من ثلاثين عاما من قراءته له .

ولذلك كانت للسادات تعبيرات ساخرة عن الكتاب العقائديين الذين يسطرون بالقلم ما يناقض سلوكهم في الحياة .. الذين يتحدثون عن آلام الجماهير وهم يعيشون حياة أصحاب الملايين .. وجرى على تلقيبهم « الأفنديات » في كثير من خطبه ــ الذين ينعمون بالتكييف والماء الساخن ، ولم يكن السادات موفقا في هذا التعبير .. لأن كل من يعملون يرتدون حلة الأفندي وفاتحته في هذا الأمر ، وقال لي إنه يقصد الشيوعيين الذين يستثمرون متاعب الجماهير ويعيشون حياة ارستقراطية بالخدم والحشم والكافيار والشمبانيا .. فقلت له إن هذا المعنى غير واضح .. وهو يثير تساؤل كل أفندي في مصر ، واقتنع السادات وتوقف عن استخدام هذا التعبير .

ولكنه كان يهوى التعبيرات المبتكرة .. ومن ذلك وصفه للقلة التي تحاول إثارة السخط بأنها (شرذمة) بكسر الشين .. وكان التعبير غير مألوف الاستعمال .. ووصفه أيضا أحداث ١٨ و ١٩ يناير بانتفاضة الحرامية بعد أن وصفها الشيوعيون بأنها انتفاضة شعبية .. وشرح تعبيره شرحا مقنعا .. لأن الانتفاضة الشعبية لا تسرق الطعام من المجمعات الاستهلاكية في وقت نشكو فيه من أزمة التموين .. ولا تحرق السيارات والأتوبيسات ، في وقت نشكو فيه من أزمة المواصلات .

وكان يحب التعبيرات الريفية الشعبية .. فبدلا من أن يصف شخصا بالغباء .. يقول عنه إنه « جحش » ، وبدلا من أن يصف شخصا بالرعونة يقول عنه « إنه يطجن .. ده تور ما لوش وتد » . وكان يصف المرأة التي تهوى الشقاق والنكد بأنها « حيزبونة » .. ومرة شكوت له من مظاهر الفساد ، ومن ذلك أن أحد الوزراء حصل على كابينتين في المعمورة وكابينة ثالثة في المنتزه .. فكان تعليقه تناته تعمل إيه في البشر ؟ .. وكان يصف أحد السياسيين الذين لا طعم لهم ولا رائحة ويدّعون العلم بما لا يفقهون خاصة في شئون الدين .. كان يصفه بأنه « .. زي تور راقه في برسيمه » .. وكان يستخدم هذه التعبيرات وهو معتدل المزاج ..

ولكن كانت للسادات غضباته المفزعة .. داخل منزله .. وفي الاجتماعات السياسية الضيقة .. وهو إذا غضب فإن صوته الجهوري يعلو ويطلق اتهاماته الهادرة .

ولكن السادات الإنسان لم ينفصل أبدا عن السادات السياسي الصارم ، وهو ما يطلق عليه في عالم الغرب « الحيوان السياسي » إنه السياسي الذي لا قلب له .. والذي يتجرد من عواطفه لأقرب الناس إليه في إصدار القرار السياسي ..

عندما كان السادات في أزمة مع مراكز القوى في أول أيام حكمه ، كان يجب أن يستميل الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الشعب حينئذ .. ولذلك فإنه بعد أحد الاجتماعات في منزله وبعد أن سمع بأن ابن لبيب شقير أجرى عملية جراحية خرج مع لبيب شقير واتجه إلى المستشفى لزيارة ابنه ..

ولكن حدث أن مرض صحفي كبير مرضا خطيرا ، قال الأطباء إنه مرض موت . وكان السادات قد قطع صلته بهذا الصحفي لوقت طويل .. وقد أبلغته بمرضه أكثر من مرة ورجوته أن يسأل عنه ولو بالتليفون .. ولكنه لم يفعل إلى أن توفي الصحفي الكبير . رغم أنه كان يتابع تطورات مرضه ويدعو له بالشفاء .

وفى القرار السياسى لا يهمه أبداً الانفعال العاطفى . مثال ذلك قرار إخراج الفريق الجمصى من وزارة الدفاع فى اليوم الخامس من أكتوبر .. أى قبل حفلات الاستعراض العسكرى بيوم واحد !.. وكان توقيت القرار صدمة عاطفية عنيفة للجمصى .. ثم قرار إخراج محمود رياض من وزارة الخارجية ، وكان فى مهمة سياسية رسمية فى دول الخليج ، صدر قبل أن يعود محمود رياض مما سبب له حرجا شديدا وهو فى الخارج أن يقرأ قرار عزله فى الصحف هناك .. وهكذا .

أما السادات المناور السياسى فقد كانت تغلب عليه طبيعة التدبير الخفى البعيد الأجل ، خاصة فى الشئون الخارجية . وكان يعتقد أن جمال عبد الناصر من قمم المناورين فى السياسة الخارجية . وكان يردد « هذه لعبة عبد الناصر » .

كان يمكن للسادات أن يكظم غيظة .. وكان يمكن له أن يظهر انفعالا ساخنا عارضا . ولكنه كان بارعا فى موهبة أساسية اكتشفها واعترف بها كل من اشترك معه فى مفاوضات سياسية .. كان لا يعرف اليأس عندما تصل الأمور إلى الطريق المسدود . وكان بارعا فى اختيار حل وسط .. يؤجل الأزمة .. ويعطى الفرصة للأطراف المختلفة أن تصل إلى نقطة بداية . عندما حضر بيجن إلى الاسماعيلية فى أول زيارة له ومعه مشروع الحكم الذاتى .. كان واضحا تماما أن المشروع مرفوض تماما من مصر .. وأنه لا يشير بأى خير فى مستقبل المفاوضات .. وكانت صدمة للرئيس السادات .. ولكنه مضى فى تنفيذ اقتراح مسبق بتأليف لجنة سياسية ولجنة عسكرية من الطرفين تستمر فى المباحثات . لم تكن اللجنتان بطبيعة الحال قادرتين على اتخاذ أى قرار .. ولكن السادات أراد أن يوجد مخرجا من الحكم النهائى على المفاوضات بالفشل .

لقد كانت حسابات السادات بالغة الدقة فى المناورة السياسية .

وكان السادات سعيدا بالمكانة العالمية الشامخة التى وصل اليها وكذلك شعبيته داخل مصر بعد قرارات الروس والحرب والسلام والاقتصاد المفتوح وفتح قناة السويس .. وكان يرى أن الرأى العام المصرى مستعد دائما للاستجابة لقراراته . ولذلك أقدم على قرار منع بيع اللحوم لمدة شهر وناشد الشعب أن يستجيب واستجاب الشعب .. وهذه واقعة تحدث لأول مرة فى تاريخ الشعوب .

وفى روابطه الشخصية . كان السادات شخصية بالغة التعقيد ليس من السهل فهمها فى حين يبدو « مظهره » الخارجى فى منتهى البساطة ، بل الطيبة التى تصورها البعض سذاجة . وكثيرا ما احتار المقربون إلى السادات فى استنتاج قراراته أو فهمها . وفى بعض الأحيان كان السادات يترك المتحدث إليه ساعة أو ساعتين دون أن يعلق هو بكلمة واحدة . ولا يفهم المتحدث أبدا أثر كلماته على السادات . وفى أحيان أخرى كان السادات يستأثر بالحديث الطويل ولا يترك فرصة لمحدثه إلا أن يستمع . ولكن كان من الصعب أن تتغير مواقف السادات من الأشخاص وخاصة إذا كان يعتقد أن سلوك هؤلاء الاشخاص عدائى تجاهه أو تجاه سياسته . وحتى إذا بدا فى تصرفات السادات بعد ذلك قبل هؤلاء الاشخاص وكأنه عدل عن تقييمه السابق لمواقفهم .. فان هذا التقييم يبقى دائما راسخا فى قاع فكره ويظهر على السطح فى الوقت المناسب .. ولذلك فإننى أقول إنه لم يكن من السهل خداع السادات أو نفاقه فإنه كثيرا ما كان

يبدو أنه تقبل الخداع .. أو النفاق ، ولكنه فى الحقيقة لا يغير حكمه السابق .. إلا لفترة مؤقتة .

ولم يكن السادات على عكس ما يتصور البعض يتأثر فى ذلك بروابطه العائلية أو الشخصية . إن هذه الروابط لم تجعله أبدا يضع شخصا فى غير موضعه الصحيح . أو لم تجعله يعدل عن إبعاد هذا الشخص من موقعه إذا تبين له — من وجهة نظره أنه لا يؤدى مسئوليات هذا المنصب كما يتصور السادات . ولكن السادات لم يكن يقطع هذه الروابط العائلية أو الشخصية لأنه كان دائما يفصل بينها وبين مسئوليات العمل العام . فإذا كان محمود أبو وافية عديل السادات هو من دعا لفكرة المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى وأول من رأس منبر الوسط فإن السادات قرر أن يبتعد محمود أبو وافية عن حزب مصر فى فترة معينة . وقد فكر محمود أبو وافية بعد ذلك فى إنشاء حزب معارض ، ورفض السادات هذه الفكرة فانضم الى حزب العمل المعارض دون أن يستشير السادات .

كذلك الأمر بالنسبة للمهندس سيد مرعى . السادات هو الذى اختاره لرئاسة مجلس الشعب ، اقتناعا منه بكفاءته السياسية وخبرته البرلمانية ولكنه اختلف مع المهندس سيد — من وجهة نظره — فى طريقة معاملة المعارضة تحت قبة المجلس . واقتنع انور السادات بأن أسلوب سيد مرعى خاطىء ولذلك اختار بعد ذلك الدكتور صوفى أبو طالب على الرغم من أن كثيرين تحدثوا إلى السادات فى أن الدكتور صوفى ليس هو رجل هذا المنصب وأنه لا مجال للمقارنة بين المهندس سيد مرعى وبينه . ولكن السادات اتخذ القرار — رغم الروابط العائلية — بإبعاده المهندس سيد مرعى .. كما اتخذ قراره بإسناد هذا المنصب إلى ابو طالب ، غير متأثر ابدا برأى غير رأيه . إن العمل السياسى والقرار السياسى بعيدان تماما فى سلوك السادات عن التأثر بالرابطة العائلية او الشخصية . وهذا ما حدث عند تأليف حزب مصر . فكر السادات بعض الوقت فى أن يكون سيد مرعى هو رئيس الحزب .. ولكنه عدل عن هذا التفكير الذى كان يؤيده الكثيرون واختار ممدوح سالم .

وقد حدث فى آخر جلسة للدورة البرلمانية برياسة المهندس سيد مرعى فى مجلس الشعب أن كانت جلسة تكريم حماسية للمهندس سيد مرعى . وتبارى نواب الحزب الحاكم مع نواب المعارضة فى تسجيل كلمات التقدير للمهندس سيد مرعى ورياسته الديمقراطية لجلساته . كانت الجلسة مهرجانا ضخما يرشح سيد مرعى لرياسة الدورة التالية . وشعر المهندس سيد مرعى بالحرج الشديد أن تنشر الصحف كل ما دار فى الجلسة خشية أن يفهم الأمر على أنه من تدبيره لاستمرار رياسته للمجلس . واتصل بالرئيس السادات وروى له ما دار فى الجلسة . وسأله : هل ترى أن ينشر كل هذا يا ريس ؟ وأجاب السادات بكل بساطة : ولم لا ؟.. ينشر كما تنشر كل الجلسات . كانت هذه إجابة السادات وهو متخذ للقرار بإسناد رياسة المجلس للدكتور صوفى أبو طالب بعد ذلك .

والسادات يبدأ دائما بإعطاء ثقته إذا كان مقتنعا بذلك . وهو يعطيها بلا حدود ولا يسحب هذه الثقة إلا إذا اقتنع مائة فى المائة بالعكس ، وهو صبور فى ذلك كل الصبر .

كما أنه مستعد دائما لإلغاء قراره — الذى لم يعلنه — اذا اقتنع بالعكس بعد تفكير

متجدد .. وهو لا يرى فى ذلك أى حرج مع الأشخاص الذين يتعامل معهم .. ويكون قد أبلغهم فعلا بقراره .

وعندما يعطى الثقة يصرح دائما بالأسباب التى دعته لذلك .

عندما اختار الدكتور عزيز صدقى لرياسة الوزارة كان يردد : احنا عندنا اتنين عتاولة .. فى الصناعة عزيز صدقى وفى الزراعة سيد مرعى .

وعندما قرر الاتجاه بالسياسة الخارجية إلى الغرب قرر إخراج الدكتور عزيز صدقى لأنه كان مقتنعا أن صورة عزيز صدقى فى الداخل وفى الخارج هى أنه رجل التفاهم مع الاتحاد السوفيتى ولم تنشأ أى خلافات بين السادات وعزيز صدقى . ولكن القرار كان قرارا سياسيا تماما .

وقد طلب الدكتور عزيز صدقى لقاءه بعد خروجه من رياسة الوزارة ، بفترة طويلة لكى يقدم له الأفكار والآراء .. وكان رد الرئيس السادات لا يوجد على الإطلاق أى مانع — من لقائى بعزيز صدقى — وليست هناك أى ضغينة شخصية ولكن عيب عزيز أنه دمغ نفسه بصورة الانحياز للاتحاد السوفيتى . وعندما اختار السادات الدكتور عبد العزيز حجازى لرياسة الوزارة كان سعيدا ، جدا بهذا الاختيار وكان يردد أن عقل الدكتور حجازى هو كمبيوتر لا يخطىء أبدا وأفكاره مرتبة وفهمه الاقتصادى واضح .. ولكن الدكتور حجازى لم ينجح بعد ذلك — من وجهة نظر السادات — فى أن تكون علاقاته متعاونة مع بعض الوزراء ومع مجلس الشعب .. ومع الصحافة .. وسانده السادات كثيرا ولكنه قرر إخراجه بعد أن تبين له أن الدكتور حجازى سيبقى دائم الشكوى .. وأن التعاون بينه وبين ممدوح سالم أصبح مستحيلا .

وقد كان الخلاف عنيفا بين الدكتور حجازى رئيس الوزراء ، وبين ممدوح سالم وزير الداخلية .. واستمع السادات اليهما بحضور المهندس سيد مرعى والدكتور حافظ غانم . وكانت شكوى الإثنين ، أن الآخر لا يعترف به رئيسا للوزراء أو وزيرا للداخلية . وحذرهما السادات من خطورة هذا الخلاف وقال لهما وهو غاضب ما معناه : أنا بالى طويل صحيح .. ولكننى أفرم فى الوقت المناسب . وخرج الدكتور حجازى من هذه الجلسة على أساس أنه سيجرى تعديلا جزئيا فى الوزارة . ولكن السادات كان قد قرر إسناد رياسة الوزارة إلى ممدوح سالم .

وعندما اتخذ السادات قراره بإسناد رياسة الوزارة لممدوح سالم كان يردد سعيدا وعن اقتناع أنه اختاره رغم أنه رجل شرطة لأنه سياسى .. سياسى حقيقى وكان يقول : « هوه أنا عندى وزير سياسى إلا ممدوح سالم » .

وكان هذا اقتناع السادات من العمل السابق مع ممدوح حتى قبل أن يتولى مسئولية وزارة الداخلية فى قمة الصراع مع مراكز القوى . وزاد من هذا الاقتناع أن الدكتور حجازى — من وجهة نظر السادات — لم يستطع أن يتعامل بالأسلوب السياسى مع كافة القوى السياسية الأخرى .

ولكن السادات اقتنع بعد ذلك بأن ممدوح سالم لم يستطيع أن ينهض بحزب مصر كما كان يتصور أنور السادات .

وكان السادات يطلب أن تتكون جذور الحزب فى كل قرى مصر وأن يجذب اليه كل العصبيات .. وأن تكون دور الحزب كالبيوت المفتوحة لكل المواطنين .. وبذلك يلتحم الحزب بالجماهير ويعبر عنها ويلبى حاجاتها .

وظهرت عوامل أخرى عديدة .. أقنعت السادات بأن الحل هو تغيير الوزارة . وأخطر ممدوح سالم بذلك ، وسافر إلى امريكا .. وكان متفقا أن يتم التغيير بعد عودة السادات . وخلال ذلك كان ممدوح سالم قد طلب الاستقالة .

وقبيل حرب أكتوبر قرر السادات إسناد رياسة الوزارة إلى حافظ إسماعيل .. وقد كان مستشار الرئيس للأمن القومى .. وبدأ حافظ إسماعيل فعلا فى اختيار أشخاص الوزراء ، ثم عدل السادات عن ذلك بعد يومين .. ورأى أن خطورة الموقف تستدعى أن يتولى بشخصه رياسة الوزارة . فأبلغ حافظ إسماعيل بقراره دون حرج .

لقد كانت تجتمع فى شخصية السادات رجل السياسة ، كل مقومات السياسى . فهو أولا قادر على الكتمان إلى درجة ملفتة للنظر . وهو قادر أيضا على اتخاذ القرارات الشجاعة الخطيرة . وقد تبدو قراراته مفاجئة . ولكن هذا ليس صحيحا . إنه يسمح لنفسه بساعات تأمل طويلة يدرس فيها كل الاحتمالات وهو يستدعى الشخصيات ذات الصلة فى اختصاصها بالقرار ويوجه إليهم كل الأسئلة التى تحمل فى ذهنه علامات الاستفهام .. وكثيرا ما يكون الشخص المسئول غير عارف بما يختفى وراء الأسئلة التى يوجهها إليه الرئيس .

وهو يظل منشغلا بالتفكير فى القرار وقد لا يستطيع النوم وهو يدرس ، ويدبر ويخطط ولكنه عندما يصل إلى الاقتناع بالقرار .. فإنه ينعم بالهدوء وينام نوما عميقا ويواجه كل الاحتمالات والنتائج بعقل بارد .. وصفاء ذهنى كامل .

حدث ذلك مثلا عندما اتخذ قرار طرد الروس من مصر . لقد ناقش كل ملابسات القرار داخل القوات المسلحة . مع الفريق محمد صادق وزير الدفاع حينئذ . وعرف تماما من اتصالات أخرى ، مدى تأثير القرار داخل القوات المسلحة . كما استدعى الدكتور عبد العزيز حجازى وسأله عن مدى إمكانيات الاعتماد على النفس فى المشروعات الصناعية التى يشترك فيها الروس .. وفى غير ذلك من المجالات الاقتصادية التى ترتبط فيها بالاتحاد السوفيتى .. واطمأن السادات تماما إلى إيجاد البدائل وإلى أن الوضع الاقتصادى سوف لا يتأثر أو أن الآثار ستكون بسيطة يمكن تلافيها . وكان السادات يجلس وحده إلى ساعة متأخرة من الليل فى شرفة استراحة القناطر .. وكثيرا ما طلع عليه الصباح وهو يقلب الأمور .

وليس من عادة السادات أن يستعين بمنوم أو بمهدىء للأعصاب ولكنه فى تلك الليالى كان يتناول حبوبا مهدئة حتى يستطيع أن ينعم بساعات نوم كافية لمباشرة المسئولية الجسيمة فى اليوم التالى .

ولكنه عندما وصل إلى الاقتناع الكامل باتخاذ القرار .. نام نوما عميقا وباشر حياته العادية كما اعتاد أن يباشرها كل يوم ومارس رياضة المشى اليومى وأشرف على شئون الدولة العادية .. وكأن شيئا لم يكن .

ومن طبيعة السادات أن يواجه الكوارث بقلب ثابت وبيقين مؤمن بإرادة السماء .. وهذه هى نفس طبيعته بالنسبة للكوارث الشخصية أيضا .. وقد سألته مرة : ألا تبكى ؟

فقال لى : إن عينيه لا تعرفان الدموع .. وقد دمعت عيناه فى مناسبات قليلة جدا .. مناسبتين أو ثلاث مناسبات .. أحدها عندما توفيت جدته التى أنشأته وعندما توفى والد زوجته السيدة جيهان الذى كانت تربطه به علاقة خاصة وعميقة وعندما توفى والده .

وسألت السادات عن سر ذلك .. لأن دموع الرجل قد تكون دليلا على رجولته وقد عرف عن النبى أنه كان يبكى .. بل يجهش بالبكاء ..

فقال لى : هذه طبيعتى ..

قلت : وكيف يكون شعورك بالألم ؟ ..

قال : فى داخلى ..

ومن أصعب الأخبار المؤلمة التى تلقاها الرئيس السادات عندما احترقت الطائرة الهليوكبتر بالفريق أحمد بدوى وزير الدفاع ومعه عدد من خيرة قيادات القوات المسلحة ..

لقد اتصل بى الرئيس فى ذلك اليوم .. وأبلغنى بالنبأ فى صوت بالغ الحزن والتأثر .. وطلب منى أن أكتب كلمة رثاء للضحايا لكى تصدر عن رياسة الجمهورية .. ولم يعطنى فرصة أن أعرف منه تفاصيل المأساة حتى أستطيع أن أكتب الرثاء .. وطلب منى أن أتصل بالنائب حسنى مبارك ، لمعرفة التفاصيل .. لم يكن السادات قادرا على الاستمرار فى الكلام عن هذه المأساة ولم أستطع الاتصال بالنائب لانشغاله فى المتابعة اللاسلكية للحادث ، وترتيب الإجراءات التى يجب أن تتخذ .. ولذلك تأخرت فى كتابة الكلمة .. ثم سمعت بيانا من رياسة الجمهورية فى التلفزيون .. وأبلغنى منصور حسن وزير الإعلام أنهم أعدوا هذا البيان .

ومن الأيام الحزينة التى واجهت السادات ، أحداث ١٨ و ١٩ يناير . فلم يكن

ليتصور أنه بعد أن أرسى قواعد الديمقراطية وأعطى للصحافة حريتها وجرت انتخابات لم يطعن أحد فى عدم سلامتها وبعد أن تحقق انتصار حرب أكتوبر .. وبعد أن خلص البلاد من مراكز القوى .. إلى آخر القرارات التاريخية الفاصلة التى اتخذها .. أن يقابل كل ذلك بالجحود .. وأن تنجح التنظيمات الشيوعية السرية فى ركوب موجة استنكار رفع الأسعار ..

ولكن السادات ارتفع على حزنه فى ساعات قليلة .. وواجه الموقف بكل ثبات .. وأدار شئون الدولة حتى أمكنه إعادة الأمن والنظام فى أقل من ٤٨ ساعة .. وأصدر على الفور قرارا بإلغاء رفع الأسعار .

وعند سماع السادات أنباء المظاهرات والأحداث لأول مرة كان فى أسوان .. وقد انفرد بنفسه فى حديقة الاستراحة الصغيرة الواقعة على النيل وجلس طويلا وعلى وجهه كل قسمات الحزن والألم .. وبقى لساعات لا يتحدث إلى أحد وكان يتلقى أخبار تطورات الأحداث بهدوئه الحزين .. وعندما قرر العودة إلى القاهرة ، كان الأمن تحت السيطرة الكاملة وجلس مع أفراد أسرته وكأن شيئا لم يكن .. ثم أعد لاجتماع مع نقابات العمال ومع مجلس الأمن القومى .. وأعد الموقف لمواجهة المعارضة فى مجلس الشعب .. وانتهت الأزمة تماما .. ولكنه كان قد قرر أن يغير من أسلوب ممارسة الديمقراطية . وبدأ ما سمى بالتشريعات الاستثنائية لحماية النظام من الانقضاض عليه من القوى المعادية فى الداخل والخارج .

وعندما بلغت السادات الأنباء الأولى عن الثغرة بعد انتصارات أكتوبر المذهلة التى أعلنها فى مجلس الشعب .. قابلها بثقة كاملة .. وكان تعبيره عنها « دول شوية فراخ خرجوا من العشة .. لكن الموقف فى يدنا تماما » .. ولكن عندما اتسعت دائرة الثغرة تأثرت نفسيته .. وبالتالى تأثرت حالته الصحية وتعرض لنزيف من معدته .. ولكن الأطباء عالجوا الموقف .. وكان أثرا مؤقتا .. ورأس السادات بعد ذلك اجتماعا عسكريا لوضع خطة مقاومة الثغرة ، وكلف سعد مأمون بتنفيذ الخطة .. وكان السادات قد أجرى اتصالات مع الرئيس تيتو الذى أرسل مائة دبابة وفى أسرع وقت وبها وقودها وجاهزة للعمل بمجرد وصولها وقد قام بمباشرة الإجراءات فى بلغراد ، سفيرنا هناك سعد عفرة .

ولم يكن من طبيعة السادات أن يغرق نفسه فى التفصيلات اليومية كأن يترك ذلك لمساعديه ولرئيس الوزراء والوزراء المختصين . كان يرى أن مسئولية رئيس الدولة هى فى وضع الاستراتيجية .. وتحديد الخطوط العريضة فى السياسة الداخلية والخارجية .. ولذلك كان لا يقرأ إلا التقارير الهامة وفى جلساته مع المسئولين كان لا يضيع وقته فى غير موضوع الاجتماع .. إلا عندما ينفرد بمسئول أو اثنين بعد انتهاء العمل .. وتكون

لديه فرصة للراحة .. فقد كان يتحدث فى الأدب والتاريخ .. ويروى ذكرياته الشخصية فى فجر حياته .. ومع عبد الناصر .

وهو محدث لبق .. يعرف كيف يروى القصة ويعرف كيف يستولى على لب سامعيه .. وماذا يخفى .. وماذا يظهر .. وكيف تكون متعة الرواية . وكان يمزج فى حديثه بين أسلوبين : الأسلوب الشعبى الريفى واللغة العربية السليمة التى كان متمكنا منها بسبب حفظه للقرآن .. وتلاوته كاملا .. ولأكثر من مرة .. وخاصة فى شهر رمضان .

وكان حريصا دائما على تأدية فروض الصلاة منذ مطلع شبابه وهو طالب .. وبعد أن تخرج .. ولذلك فإن صلاة الجمعة التى كان يؤديها بانتظام فى أى جامع قريب .. كانت من طبيعته ولم يكن يؤديها لكى يستعرض أمام الشعب أنه رجل متدين .. بل كان يريد أن يعطى القدوة للشباب .. والصوم فى شهر رمضان مقدس بين أفراد عائلته . وكان ينهر أيا من أبنائه عندما يعلم أنه مفطر .

وكان السادات يصوم أسبوعيا كل يوم خميس ، ولم يقلع عن ذلك أبدا .. ومهما كانت الظروف ولم يفطر فى رمضان إلا فى وقت الحرب .. وسمح لقيادات القوات المسلحة بذلك وشجعهم عليه فى اجتماعه بهم فى غرفة العمليات .

وبعد .. لعلنى حاولت فى هذه الصفحات أن أعطى صورة للسادات من الداخل ويمكننى أن ألخص هذه السطور فى عبارات قليلة .. كان السادات إنسانا فى جوهر تصرفاته .. وكان غولا سياسيا فى قراراته . وكان أستاذا فى فن التعامل مع الواقع .

وهنا يمكن أن أذكر أن أحد قيادات منظمة التحرير كان يطلق عليه لقب « الحنش » والحنش هو الثعبان القوى بعضلاته الذى ، يفرز سما قاتلا لا سبيل إلى العلاج منه ، وهذا الوصف يمكن أن يكون صحيحا فى تحديات السادات العنيفة(١) .. وكان السادات قد سخر من العمليات الفدائية التى كان يقوم بها الفلسطينيون وكان يرى أنها لن تقدم ولن تؤخر .. لأن إسرائيل لن تتراجع إلا أمام ضربة عسكرية كبرى .. ومرة قال للقيادات الفلسطينية « اللى بتعملوه ده لعب عيال .. أنا كنت بأعمله وأنا سنى عشرين سنة .. المطلوب استراتيجية عسكرية تعرف كيف تنتصر فى معركة عسكرية تاريخية » .

ولكننى أعود وأذكر أننى أفضل وصف الدكتور رفعت المحجوب للرئيس السادات بأنه حمل وديع .. له زئير الأسد .

---

(١) حدث بعد اتفاق كامب ديفيد أن اختطف سفيرنا فى اليونان . وكلف السادات أحد المسئولين باستدعاء عدد من القيادات الفلسطينية الموجودة فى القاهرة ، ووجه لهم إنذارا باسم السادات ، أنه إذا لم يعد السفير المخطوف فى ٣ ساعات .. فليتحملوا المسئولية . واتصلوا بياسر عرفات الذى نفى أن لمنظمة التحرير دخلاً فى هذا .. وأن العملية سورية . فطلب السادات من ياسر عرفات أن يبلغ سوريا أنه سيضرب دمشق إذا لم يعد السفير بعد ثلاث ساعات . وطلب عرفات مهلة ٦ ساعات لكى يتفاهم مع الحكم السورى . وعاد السفير المصرى قبل انقضاء الست ساعات .

الفصل الحادى عشر :

القلم فى يده

هواية القلم فى الزنزانة ــ صحفى محترف فى « دار الهلال » ــ دراسة اللغة الانجليزية فى مرسى مطروح ، تعلم الألمانية والفارسية وأول لقاء مع شاه إيران ــ كلمات عن الحب ــ صوت ليلى ــ بابا أنور و١١ ولدا ــ مسرحية ضاحكة ــ فى عيد مولده ــ نداء الثورة ــ نماذج من إنتاجه الأدبى .

الفصل الحادى عشر

القلم فى يده

مارس أنور السادات هواية القلم فى الأربعينات ، وهو سجين رهن التحقيق القضائى ، عندما اتهم فى قضية اغتيال أمين عثمان .. وقد استمر حبيسا بين سجن الاجانب وسجن مصر ٣٧ شهرا إلى أن حكم ببراءته .

وبعد الافراج عنه عمل صحفيا محترفا فى صحف « دار الهلال » .. ونشر مذكراته فى السجن ، كما كان يحرر بابا أسبوعيا يشكل « مجلة » قائمة بذاتها .

ولما قامت الثورة .. وأنشئت دار التحرير التى أصدرت صحيفة « الجمهورية » تعبيرا عن الثورة ، كان أنور السادات هو رئيس مجلس الادارة .. وكان يكتب مقالا سياسيا قصيرا فى الصفحة الأولى . وأصدر ٤ مؤلفات ، تحوى بعضا من سيرته الشخصية وبعض فصول من قصة الثورة .

وقلمه يسيطر على أسلوبه . وساعده على التعبير ، حفظه للقرآن الكريم ، وكذا قراءاته فى الأدب والتاريخ والسياسة ويقول فى مذكراته : « إن شر ما يصاب به إنسان ذو مثل عليا ، هو الانحطاط العقلى . إن القراءة والاطلاع ألزم للفرد من الطعام فى هذا العالم الذى اتصل قاصيه بدانيه .»

وهو من هواة اللغة .. وقد أجاد اللغة الانجليزية بتدريب نفسه على القراءة المستمرة منذ كان طالبا فى الثانوى والكلية العسكرية وبعد تخرجه . وروى لى الدكتور يوسف رشاد ، وكان ضابطا طبيبا فى مرسى مطروح فى أول الأربعينيات فى فرقة عسكرية بها الملازم أنور السادات الضابط بسلاح الإشارة أن السادات كان يقرأ فى تلك الأيام كتب السياسى البريطانى هارولد لاسكى .. وكان يستخدم القاموس وكان يلجأ إلى الدكتور يوسف رشاد فى توضيح الكلمات الغامضة عليه وتصريف الأفعال ، فقد كان يوسف رشاد يجيد الإنجليزية إجادة تامة .

ودفعته هواية اللغة أن يتعلم « الألمانية » .. وعندما أصبح رئيسا للجمهورية ، كان

يتعه أن يبدأ مؤتمراته الصحفية مع الصحفيين الألمان بمقدمة باللغة الالمانية .. كما كان يحب أن يلقى الخطب الرسمية باللغة الألمانية .. وكان ذلك يعطيه تقديرا خاصا من ساسة وشعوب أوربا .

كما تعلم اللغة الفارسية وكان يتلقى دروسها من أحد محررى صحيفة الجمهورية .. وخاطب شاه إيران فى أول لقاء له فى اجتماع المؤتمر الاسلامى فى الرباط باللغة الفارسية . واستشهد بقول فارسى مأثور وكان السادات فى ذلك المؤتمر ممثلا لمصر نيابة عن الرئيس جمال عبد الناصر وكانت العلاقات سيئة بين مصر وإيران .. وكان ذلك اللقاء الأول بين السادات والشاه فاتحة الطريق لتحسين العلاقات بعد أن تولى السادات رياسة الدولة .

وقد فضلت أن أورد فى هذا الفصل نماذج من كتابات أنور السادات الأدبية .. منقولة عن « كراسة السجن » التى كان يدون فيها خواطره . من ذلك ما كتبه فى ٢٣ فبراير ١٩٤٧ عن قصة حب فرقت ثم جمعت بين عاشقين بسبب التفاوت الطبقى . وهو يقول فيها « إننى أؤمن بالحب واعتقد أن مدار الحياة هو الحب .. إذا بعدنا عنه نشقى ، وإذا عشنا فيه نسعد » ..

وهو يكتب أيضا قصة عن قلقه النفسى بعد الإفراج عنه ، ولم يكن له من مورد يقتات منه ويروى كيف عاش يومين على إفطار خفيف لأنه لم يكن يملك ثمن الطعام .

وقد بدأ كتابة القصة الطويلة بعد ذلك عندما أعيد إلى الجيش وكان مقره العريش . بدأ رواية طويلة فى عام ١٩٥١ .. كتب منها فصلين ولم يكملها إلى أن مات .

وهو يتحدث فى هذه المذكرات عن « ليلى » التى تسكن الزنزانة المجاورة .. وكيف تأثر بصوتها وهى تغنى « لقد امتزجت البراءة مع رقة الأنوثة فى إخراج هذا النغم الساحر حتى خيل لى أنه ليس صوت بشر !.. إن الموسيقى تضفى على هذا الجو الذى يرتفع بالنفس إلى آفاق الروح فينسى الانسان الزمان والمكان والأشياء » !

وفى مذكراته كسجين التى سجلها من يوم ١٨ يناير ١٩٤٦ وختمها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ يكشف السادات عن عناصر شخصيته بكل وضوح .. فهو ينظر إلى المسجونين معه ، فى قضية أمين عثمان — وكانوا يصغرونه سنا — على أنهم أولاده . ويقول إنه يشعر أنه رزق بأحد عشر ولداً ! وقد كانوا يلقبونه بابا أنور .

وقد كتب فى ذلك فصلا كاملا لا أجد مجالا لنشره فى هذا الكتاب لأنه يصف فيه شخصية كل سجين معه .. ولكننى أكتفى بتسجيل مقدمة هذا الفصل كما كتبها السادات :

تقول المقدمة :

« شاءت إرادة الله أن تعوض عن مرارة الأسر وذل السجن نعمة هي خير النعم . أضاءت جوانب نفسي ، ولطفت من حدة ألمي . . إنها نعمة « الأبوة » لأحد عشر ولدا كانوا يقيمون معي في السجن ويسمونني بابا أنور .

لقد كانت أيام الأب وأبنائه كلها شدة . ففي الوقت الذي كنا نحاول فيه التغلب على سأم الأيام أرهقنا الزمن بأحداث وأرزاء — فعرفنا معا سجن الأجانب وسجن مصر . . وقاسينا معا هول السجن وصنوفا من الكبت والإرهاق وأيضا ليالي كالحة أسود من حنك الغراب .

ولكن . .

كان لنا دائما من علاقتنا سد منيع يحمينا من غوائل الأيام ويفيض بالعطف مايروي النفس ، ويجددها على مر الأيام » .

ثم قدم في مذكراته « أولاده » واحدا واحدا .

وهو يكتشف كل حيل القلم السياسي عندما دسوا عليه سجينا مزيفا لكي يحصل منه على اعترافات تدينه . . وهذه طبيعة الحذر في أنور السادات .. وهو يعبر عن آلام « الجوع » المادي . . والجوع الروحي ويتحدث عن الحرية بعبارات بليغة صادقة .. ويكشف أيضا عن طبيعته المرحة ، وحبه للتمثيل والغناء . . وقد ألف مسرحية ضاحكة في السجن قام فيها بدور السلطان .

وقد سجل آراءه السياسية في هذه المذكرات ، وهي أن مصر تحكمها أحزاب فاسدة وزعماء خانوا الأمانة وخضعوا لسيطرة المستعمر البريطاني . ويصف تطور مشاعره نحو مصطفى النحاس باشا . . منذ كان السادات صبيا صغيرا حتى أصبح شابا له حكم سياسي وذلك من خلال رؤيته وهو في القفص ، لمصطفى النحاس وهو يدلي بشهادته أمام القضاء .

ونظم أنور السادات الشعر وهو في السجن وكتب كثيرا عن قريته ميت أبو الكوم وانتمائه الريفي . . ويقول في عيد مولده الثامن والعشرين في ٢٧ ديسمبر ١٩٤٦ « سأذكر دائما هذا اليوم وسأذكر أيضا عشيرتي من الفلاحين الكادحين في بساطة ووداعة ، فهذه الذكرى ترفعني فوق لؤم المدينة وخداعها . ومظاهرها المتكلفة وأهلها التافهين . . سأذكر دائما بيتي القروية الساذجة حيث تمتلىء النفوس بالايمان بالله ، وحيث يرجعون كل شيء الى الله ، فهناك تعلمت أن الله حي في كل شي ، وأن العبرة بنقاء السريرة قبل العلانية » .

ويتضح في هذه المذكرات أن السادات لم يترك أبدا فروض الصلاة ولم يتخل عن الصوم في رمضان ، رغم قساوة السجن ورداءة الطعام . ولكن كل كلماته تدور في محور

واحد .. وهو نداء الثورة .. فيقول « سمعنا عجبا وألما ورأينا على المشرحة ، أولئك الذين قادوا البلاد خلال ربع قرن أو يزيد فما تغير رأيي المتواضع فيهم أبدا .

يا قومي .. يا مواطني .. إعلموا أن السياسة فاشلة في بلادنا على وجه لا يصدقه العقل . يا قومي : لن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا ..» .

وهو ينجذب بعواطفه داخل الزنزانة إلى عاطفة الحب ويكتب قائلا : « إنني أميل إلى قراءة النوع الغرامي من الروايات فإن لها تأثيرا لطيفا على أعصابي فضلا عن أنها تحليل للحياة ولوجه شيق من أعظم وجوهها وهو الحب . يقول الألمان « أن تحب وأن تحب لهي أعظم نعمة في الوجود » ... اي والله كم أنا في حاجة إلى حب عظيم يملأ نفسي ويغذي قلبي ..!، وبعد .. أليس الحب في مختلف صوره هو أسمى عواطف الوجود ؟» .

وعندما تولى أنور السادات رياسة الدولة .. كان دقيقا في مراجعة خطبه باللغة العربية .. واللغة الانجليزية . كما كان دقيقا في مراجعة الأحاديث الصحفية التي يهتم بها وهي التي تعبر عن ذكريات حياته . وكان حريصا على الرتم الموسيقي في تعبيره .. وكان يؤثر دائما وجود النبض الإنساني في السطور .

ويرى القارىء في الصفحات التالية .. مذكرات السادات بعنوان « ٣٠ شهرا في السجن » .. ثم نماذج من إنتاجه الأدبي في قصة قصيرة أو تعليق أو كلمة تأثر بها .

الجزء الأول :

الجزء الأول

« ٣٠ شهراً .. فى السجن »

بقلم اليوزباشى/انور السادات

الجمعة ١٨ يناير ١٩٤٦ :

دخلت أمس سجن الأجانب بعد منتصف الليل بعد أن عدت من سراى النيابة . هاهو ذا سجن الأجانب يضمنى ثانية .. بعد أن كنت قد نسيته تماما إذ أن آخر ذكريات لى فيه انتقلت إلى ركن بعيد من ذاكرتى ولكننى أرانى الآن استعيدها كما لو كانت بالأمس .. فها هى ذى الغرفة رقم ٢٨ التى كان يسكنها أربعتنا : « محسن فاضل » و « الدمرداش الشندى » (النائب الآن) و « حسن جعفر » ، وأنا .. وقد نقلنا إلى السجن فى شهر سبتمبر ١٩٤٤ فى أواخر عهد الحكومة الوفدية على اثر مشادة بيننا وبين ادارة المعتقل بالزيتون تمهيدا لترحيلنا إلى الطور كما ارتأى الحاكم العسكرى وقتذاك ..!

اننى أذكر جيدا الآن كيف جاهدنا لنجعل إقامتنا هنا محتملة بل وشيقة . فقد رأينا من المستر هكمان مأمور السجن السابق استعدادا طيبا لذلك . وكنا نمضى اليوم فى لعب الطاولة والدومينو أو القراءة على كراسى البحر التى استحضرناها ..

وأذكر أيضا ذلك اليوم الذى أعلنا فيه بالسفر إلى « الطور » وكيف نقل « الشندى » إلى سجن التخشيبة وبقينا نحن الثلاثة هنا انتظارا لميعاد قدوم الطوافة التى ستقلنا إلى الطور إذ أن رحلتها كانت شهرية ، واحضروا لنا طعام الرحلة من المتعهد لكى نحمله فى سفرنا وهو عبارة عن بقسماط ناشف وجبن وحلاوة !

كما أنى ما أزال أذكر أنه قدر لهذه الرحلة ألا تتم فقد تدخل الانجليز فى عدم إتمامها ..! ولهذا التدخل قصة طريفة : لقد كان رجال المخابرات البريطانية دائمى التردد على سجن الأجانب بشأن قضاياهم . وذات يوم حضر إلى السجن المدعو الميجور سمسون من قلم الجاسوسية البريطانية فى الشرق الأوسط فقابل مصادفة محسن فاضل وهو فى الزيارة بغرفة المأمور ، وسأله عن سبب وجوده فى سجن الأجانب فأخبره محسن بوجودنا جميعا تمهيدا لترحيلنا إلى الطور ، فثار سمسون ثورة هائلة لأن ثلاثتنا كنا معتقلين على ذمة السلطة البريطانية فكيف لم تستشر تلك السلطة فى أمرنا ؟! ثم أعطى محسن وعدا قاطعا بإلغاء هذا الترحيل .. وعودتنا للمعتقل . ويظهر أن السفارة البريطانية كانت مصدر السلطات حقيقة وقتذاك فإنه لم يمض يوم واحد على زيارة سمسون المذكور حتى ألغى الحاكم العسكرى أمره بترحيلنا للطور وعدنا إلى المعتقل فى عهد خلفه المرحوم ماهر باشا .

ومازلت أذكر كيف دفعني الفضول لأستقصي سر « سمسون » هذا ، فعلمت انه كان موظفا فى شركة تأمين انجليزية كبرى فى القاهرة قبل قيام الحرب بزمن طويل . وكان يعمل فى قلم المخابرات البريطانية فى نفس الوقت فلما أعلنت الحرب جند رئيسا لقلم الجاسوسية فى القاهرة ، برتبة كابتن وكانت مدة خدمته السابقة كفيلة بأن تجعله يجيد العربية بجميع لهجاتها (بحكم الصنعة) ويتغلغل فى جميع الأوساط ويقف على جميع الاتجاهات ، ولم تستطع الامبراطورية العجوز أن تستغنى عن خدماته بعد الحرب فهو يشغل الآن وظيفة دبلوماسية فى السفارة البريطانية .. ترى ما هى حقيقة العمل الذى يؤديه الآن ؟!

إن الذكريات تتدافع إلى رأسى فى كل اتجاه وكأنها فيلم تتوالى حوادثه فى تشويش واضطراب ! لقد نسيت أننى الآن متهم فى قضية أمين عثمان باشا .

إننى أرى جو السجن رهيبا بخلاف ما عهدته إلا أننى أعتقد أن الوضع سيكون على أية حال أحسن . فلست الآن تحت الأحكام العرفية كما كان الحال فى المرة السابقة ولعل وجودى على ذمة النيابة يكون خيرا من وجودى على ذمة الحاكم العسكرى المفضال .

الاحد ٢٠ يناير ١٩٤٦ :

مضى علىّ الآن ثلاثة أيام وأنا أنام ببدلتى فقد نقلونى إلى هنا مساء الخميس السابق بدون أن يحضروا ملابسى وحاجاتى من سجن مصر حيث كنت .. هذا برغم أننى شكوت شفويا ثلاث مرات فى الأيام السابقة لمأمور السجن !.

إننى ألاحظ تغيرا شديدا فى معاملة المأمور لى بالنسبة للمعاملة التى لقيتها منه فى المرة السابقة . وهو يحيلنى دائما على البكباشى إمام الذى اخفقت فى محاولة الاتصال به .. لذلك كتبت خطابا شديد اللهجة إلى النائب العام فى شأن هذا الإهمال وتركى بدون ملابسى أو حتى صابونة لأغتسل .. وقد سبب لى النوم بالبدلة التهابا شديدا فى فخدى جعلنى أهرش كما لو كنت « أجرب » !.

الاثنين ٢١ يناير ١٩٤٦ :

يظهر أن خطابى للنائب العام أحدث أثرا ، فقد أحضر لى مأمور السجن ملابسى وكذا أحضر الصابون .. وقد طلبت حماما ساخنا فأذن لى المأمور بذلك واستمتعت باستلقاءة بديعة داخل البيجامة والبطاطين .

لا أريد أن أفكر فإننى أشعر بأسئلة عديدة تؤرقنى ولا أجد لها جوابا ! فإن هيكمان يتغير فى كل لحظة كما يبدو لى بشكل جاف لا أدرى له تعليلا ! الفسحة فى السجن معدومة وأكاد أقضى الأربع والعشرين ساعة فى الغرفة وهى مظلمة وشديدة الرطوبة لأنها فى الدور الأول على سطح الأرض .. ولما طلبت تفسير ذلك من هيكمان هز رأسه ولم يجب !.

٢٢ يناير ١٩٤٦ :

أصبحت الحالة لا تطاق ــ فلم يسمح لى الضابط النوبتجى اليوم بالتوجه لدورة المياه فى الصباح كالمعتاد ، وعبثا حاولت التفاهم معه ولم ينقذ الموقف إلا نزول هيكمان من منزله فسمح لى بأن أقضى حاجتى وأتوضأ . . !

وقد كتبت للنائب العام مرة ثانية أعلمه بهذه المعاملة الشاذة . . فطلبني وكيل النيابة عند الظهر وأثبت شكواى وخاصة فيها يختص بالسماح لى بالقراءة ، ولكنه سامحه الله لم يسمح لى بشىء حتى ولا بالمصحف الشريف !

٢٧ يناير ١٩٤٦ :

خرجت اليوم للفسحة فقابلنى شاب أخبرنى أنه صحفى معتقل على ذمة قضية صحفية وأخذ يحدثنى عن قضيته ثم تدرج إلى التحدث عن السياسة والانجليز والذين يتعاونون معهم .. وكيف ان الكفاح الحق يجب أن يتجه أولا إلى القضاء على هذه الفئة من المصريين لأنها طابور خامس يكمن فى ظهر البلد .. الخ ! وكنت طوال الوقت أقوم بدور المستمع ثم سكت « سكت الصحفى » قليلا وعاد يخبرنى أن الغرفة التى أسكنها وهى رقم ٦ كان يسكنها فى وقت من الأوقات شفيق منصور الذى أعدم فى قضية اغتيال السردار وكيف تمكن البوليس والنيابة من أخذ الاعترافات منه . وقال إنهم لم يكونوا يسمحون له بالنوم ثم يأخذونه فى ساعة الفجرية وهى ساعة (النومة الحلوة) فى عربة حنطور ويمشون بها على النيل طوال الوقت ، حتى إذا أخذته سنة من النوم أيقظته أسنان سناكى المرافقين له ، وبذلك وبطرق أخرى (لم يوضحها) تحطمت أعصاب المتهم وأدلى باعترافه ..! وعاد الصحفى إلى السكوت فترة أخرى وهو ناظر إلىّ فى إشفاق ثم قال لى إنه علم من أحد العساكر السجانين أن الغرفة رقم ٢ (وهى مقفلة دائما ويسدل خلف بابها ستار سميك بخلاف جميع غرف السجن) تحوى سرا غريبا ، وهو أن بها آلات واجهزة تركب على الجهاز التنفسى للانسان وعلى رأسه ليصبح فى غيبوبة يدلى فيها بكل ما فى قلبه من أسرار يحرص على إخفائها وهو فى حالته الطبيعية ! ولاحظ صاحبنا أننى لا أتكلم مطلقا وأكتفى بأن أظهر له علامات عجبى من آن لآخر فسألنى لماذا لا أتكلم وأخبره بالحقيقة علّه يتمكن من مساعدتى قانونيا ، فقلت له بهدوء : « أنت بتمسك كام ساعة نوبتجية » فرد على الفور بدون تفكير : « ١٢ ساعة » ثم احمرّ وجهه وأدرك خطأه فقام فى الحال وتركنى .. وحضر إلىّ السجان يعنفنى لأننى تأخرت فى الطابور ويأمرنى بالذهاب لغرفتى فقمت وأنا أضحك فى كمى !.

٣٠ يناير ١٩٤٦ :

حدث فى الساعة الثالثة من صباح اليوم مشهد مسرحى رائع ! فقد استيقظت فى الساعة الثانية صباحا على صرير فتح القفل ودفع المزلاج بشدة للخلف ثم دخل الضابط الجزار وطلب إلىّ أن ألبس لأننى مطلوب للتحقيق . قمت من تحت البطاطين ولبست بدلتى وجلست على السرير لأنتظر ما يقرب من ساعة فى جو هو الثلج تماما . ثم عاد الجزار وقادنى إلى الطرقة الخارجية حيث وجدت ثلاثة شبان ينتفضون من شدة البرد مثلى وكان أول أثر انطبع فى ذهنى عند رؤيتهم أنهم طلاب فى الابتدائى أو على الأكثر فى أوائل الثانوى — وأمرت أن أقف مع هؤلاء الاولاد ولكن بعيدا قليلا بحيث وقف الجزار وتوفيق السعيد بينى وبينهم وظللنا صامتين فترة ولّدت فى نفسى بالاشتراك مع سكون الليل وبرد الساعة الشديد رهبة هى مزيج من الخوف والقلق .. وأردت أن أحول فكرى عن هذه الرهبة فتوجهت بالحديث إلى توفيق السعيد أسأله عن أخيه وهو زميل لى بالجيش ولكنه رد بخشونة طالبا إلىّ السكوت لأن « البك وكيل

النيابة » في الطريق فزادت هذه المعاملة من اضطرابي . وصمت فترة قد تكون قصيرة ولكن خيل إليّ أنها أيام ثم خرج إلينا وكيل النيابة ونحن في موقفنا هذا ورأيته أول ما رأيته يزيح ستارة الغرفة رقم/٢ الخضراء ويقف قليلا حيث انعكس عليه ضوء الغرفة ثم تقدم إلينا في خطوات ثقيلة وبدأ بالثلاثة الصغار فتفرس في وجههم ، ثم أتى إليّ فتفرس في وجهي وفي لهجة عميقة سألنا من منكم يعرف الآخر ؟ فتعرف أحد الشبان الثلاثة على الاثنين الباقيين وهو ينتفض ، ولم يتعرف عليّ أحد ، ثم كرر هذا الأمر ثانية مشيرا إلي بشكل ذكرني « بأبي حجاج » وهو يمثل رجل الساعة في برنتانيا ! ولكن لم يتعرف عليّ أحد فأمر بإعادتي إلى غرفتي حيث لم أنم إلى الصباح !.

٣١ يناير ١٩٤٦ :

آمنت بالله . . ! نار الحاكم العسكري ولا جنة النيابة . . تكرر نفس المشهد التمثيلي في الساعات الأولى من صباح اليوم ولكن بثلاثة وجوه جديدة . بدأت أشعر بتعب وارتباك عصبي شديد لذلك أرسلت للنائب العام تلغرافا أستنجد به وأطلب مقابلته بحضور محام .

٢ فبراير ١٩٤٦ :

استدعاني اليوم وكيل النيابة ظهرا وكان بيده التلغراف وحقق معي بشأنه فرفضت الإدلاء بسبب إرساله إلا بحضور المحامي سواء أمام النائب العام أم أمام المحقق . ولما أعلمني باستحالة ذلك لسرية التحقيق أجلت الإدلاء بما أريد إلى فرصة أخرى .

٤ فبراير ١٩٤٦ :

« ليلى الهندية » تحب السجين رقم ١٩ .. هذه هي العبارة التي يرددها السجن كله . قالتها لي سنية الفراشة .. والسجانة والعسكري السجان .. بل أكثر من هذا تقدمت ليلى للمأمور بطلب إعطاء المسجون رقم ١٩ فسحة أطول لكي تتمتع بالتحدث إليه ومناجاته ! وقد دفعني الفضول لرؤية هذا « المحبوب » وبكل عناء تمكنت من أن أراه لمدة نصف دقيقة على الأكثر فوجدته يستحق إعجاب ليلى فعلا إذ كان شابا أشقر ذا أنف روماني وشعر أصفر وتقاطيع متناسقة في رجولة .. وقد علمت فيما بعد أنه يدعى محمد إبراهيم كامل .(١)

٥ فبراير ١٩٤٦ :

تحسنت معاملتي نسبيا واتضح أن صاحبنا « الصحفي » إياه لم يكن سوى أحد أعوان البوليس السياسي أو أحد (العملاء المغررين) بالتعبير الفني . وكان يتحاشى مقابلتي عند خروجي للفسحة الأسيفة وهي عشر دقائق طوال اليوم زيدت عشرا أخرى وسمح لي بقراءة المقطم والأهرام والمصور ولكن لم يسمح لي بالكتب ولا باستحضار أكل من الخارج في حين أنهم يصرحون لباقي المتهمين بكل شيء ! .

---

(١) اختاره أنور السادات وزيرا للخارجية بعد استقالة إسماعيل فهمي .. واستقال خلال مباحثات كامب ديفيد . وأصدر كتابا هاجم فيه السادات هجوما عنيفا ظالما .

٨ فبراير ١٩٤٦ :

حدث أن خرجت من غرفتي إلى دورة المياه ظهرا . فوجدت العسكري « المراسلة » يدخل الغرفة رقم ١ ومعه لفة (كباب وكفتة) اخترقت رائحتها أحشائي ! ولما سألت قيل لي إن المتهم الأول في هذه الغرفة هو وستة آخرون وأنهم يأكلون ما يشاءون . فثرت ولم أدخل الغرفة إلا عندما حضر المأمور ـــ وكان قد تعين مأمور مصري في هذه الفترة ـــ فتكلمت معه بغلظة هي رد فعل الجوع . كان من نتيجتها أن سمح لي بعد جهد بأكلة من « الشيمي » على حسابي ولا أزال أحس بحلاوة هذه الأكلة إلى الآن ! .

١٤ فبراير ١٩٤٦ :

ليس في الإمكان أبدع مما كان .. فقد استيقظت اليوم على صوت حنون يغنى كليوباترا وآهاتها ـــ إنها « ليلى » في الغرفة المجاورة .

لقد امتزجت البراءة مع رقة الأنوثة في إخراج هذا النغم الساحر حتى خيل إلىّ أنه ليس صوت بشر .. إنني أعشق الموسيقى بكل جوارحي وأكثر من ذلك فهي تضفي على هذا الجو الرهيب لونا خفيفا طليا من الجمال الذي يرتفع بالنفس إلى آفاق الروح فينسى الإنسان الزمان والمكان والأشياء !

استغفرك اللهم وأحمدك حتى ترضى .

١٧ فبراير ١٩٤٦ :

طلعت علينا جريدة « المقطم » وفيها خبر نقل « كيلرن »[1] من مصر ولما كنت أبغض هذا المخلوق الذي أدمى كرامة مصر كلها فقد صممت على أن احتفل بهذه المناسبة بقدر ما أتمكن وأرسلت في شراء دستة جاتوه بإسم للسجونة ليلى الهندية ووزعتها على ليلى والسجانات والسجان والفراشة واستبقيت لنفسي ثلاث قطع أحتفل بأكلها على فنجان شاي المساء ـــ وقد استمتعت بأكلها أيما استمتاع خاصة وأن (المعازيم) تركوها لي من النوع الدسم المملوء بالكريمة !

وفي نحو الساعة الثانية صباحا استيقظت على مغص وإسهال مروع واتضح لي أن الجاتوه كان تالفا وقد جيء به من دكان في شارع محمد علي

إنني أقرر لوجه الحقيقة أن بغضي لكيلرن قد تحول إلى حقد دفين منذ هذه الليلة !! .

---

(١) اللورد كيلرن هو السفير البريطاني الذي كان يحكم مصر فعلا .. وهو الذي اقتحم قصر عابدين بالدبابات في ٤ فبراير ١٩٤٦ ووجه إنذارا إلى الملك ، بعزله عن العرش إذا لم يؤلف مصطفى النحاس الوزارة ، قبل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم .

٣٠ شهرا .. فى السجن

أيام وليالى فى سجن مصر

٣٠ يونيو ١٩٤٦ :

لقد مضى علىّ منذ نقلت إلى هذا السجن أربعة أشهر كاملة خلتها لشدة ما اكتنفنى خلالها من ظلام — أطول من أربعة أعوام ! .

ولطالما حاولت خلال تلك الفترة أن أسطر شيئا لعلى أنفض بذلك عن صدرى ما يخيم عليه من الكآبة والجمود ولكن هيهات لى أن أجد القلم فإن الأقلام هنا محظور وجودها ، وغرفتى وثيابى يفتشان بانتظام ودقة مرتين يوميا .. وإن وجد القلم فلا يوجد الورق وحيازتى لورقة بيضاء جريمة أعاقب عليها ! وإذا أراد الله أن أجمع بين ورقة وقلم واحتفظ بهما بمنجاة من التفتيش انتظارا لليل كنت بذلك أغالط نفسى فالزنزانة التى تحتوينى مصممة بحيث لا ينفذ إليها النور إلا من كوة قرب السقف تسمح لضوء النهار فقط أن يغازل الغرفة أما فى الليل فيجب أن تقترن الوحدة بالظلام

لاسبيل إلى الكتابة إذن ولا سبيل أيضا إلى القراءة فقد منعت من استحضار كتب أو قراءة الصحف وأصبحت — فى القرن العشرين — أعيش عيشة حيوانية بحتة فى قفص من الحجر طوله ثلاث خطوات وعرضه خطوتان ، طيلة الأربع والعشرين ساعة لا يقطعها إلا صرير مفتاح الحارس عندما يفتح باب القفص ليقذف لى بالأكل ثم يعيد القفل ثانية ، وهكذا .

ولماذا ؟ لأنه يراد أن أقضى تلك الفترة القلقة فى سجن الأجانب على نحو من الفزع والرهبة ثم تتلوها هذه الحقبة فى سجن مصر فى ظلمة وإجداب ووحدة !

إن شر ما يصاب به إنسان ذو مثل عليا هو الانحطاط العقلى . فالقراءة والإطلاع ألزم للفرد من الطعام فى هذا العالم الذى اتصل قاصيه بدانيه .. ولكنهم فى النيابة — سامحهم الله — لا يؤمنون بذلك فيما يظهر بدليل أنهم أمروا بأن يطبق علينا شىء كريه يسمى « لائحة السجون » ذلك الأثر البربرى من آثار الاحتلال البغيض !

ولقد حاولت جاهدا خلال هذه الفترة أن أحتفظ بشىء من معنوياتى بعد أن فقدت كل أمل فى الإنصاف والعدالة بل لا أكون مغاليا إذا اعترفت لنفسى صراحة بأننى كدت أن أفقد توازنى وأن أشك فى كثير من القيم ! ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده فقد أراد لى ولباقى المتهمين فى يوم من أيام شهر يونيو ١٩٤٦ أن تزاح هذه الغمة عن صدورنا فصدر أمر باختلاطنا أثناء النهار وركبت الكهرباء فى الزنزانة فأضيئت ليلا وسمح لنا بقراءة الكتب والصحف وبالأقلام والورق .

وهكذا بدأت الحياة تدب فى نفوسنا من جديد وبدأت أفيق من ذلك الكابوس الكريه وكأنما أشرقت علينا الشمس بعد طول إظلام وطلع علينا أمل منعش بعد يأس مفجع ولا غرو فهى حياة جديدة حتى ولو كانت داخل القضبان .. !

١٥ يوليو ١٩٤٦ :

استدعانى اليوم ضابط العنبر لكى يسلمنى أدوية وردت لى من الخارج وقد سمح لى بالجلوس نظرا للزمالة السابقة .. أخذنا نتجاذب أطراف الحديث وفجأة سمعت عويلا وصراخا على الباب الخارجى للسجن ولما استفهمت قال لى فى بساطة إن مسجونا توفى وأن أهله فى انتظار تسلمه .. وبعد فترة وجيزة خرجوا بالجثة من باب الوسط الذى فى مواجهتنا وقد تملكتنى رهبة لجلال الموت فشردت برهة لأفيق على زغاريد وغناء فى ناحية سجن النساء .

يا إلهى كم فى هذا المكان من متناقضات تهز المشاعر هزا ..

نظرت إلى الضابط فى استفهام مرة أخرى ويظهر أنه لاحظ ما انتابنى فضحك قائلا « إنها سنية النشالة ! لابد أن تكون قد وضعت مولودا وهذه زغاريد زميلاتها فى المستشفى يحيينها التحية المعتادة لمثل هذه المناسبة ، تفضل أنت لأننى سأذهب لأثبت المولود فى الإيراد وأحذف الميت فى الترحيل » !

عدت إلى غرفتى بانفعالات مشوشة .. ولكن أليست هذه هى سنة الحياة : إيراد وترحيل ؟

٢٢ يوليو ١٩٤٦ :

أفزعنا محجوب أمس فى طابور بعد الظهر بصرخة مكتومة جعلتنا نسرع نحوه لنرى ما الخبر فأشار وهو فاغر فاه إلى شباك الدور الثانى بسجن النساء حيث كانت تجلس حورية آية فى الجمال ! دهشنا جميعا لهذه المفاجأة ودهشنا أكثر لأن مثل هذا الجمال يكون نزيلا لزنزانة ! وبالسؤال اتضح أنها « نبوية شاهين » النشالة الفاتنة التى حيرت رواد شبرد وأغنياء الحرب .. !

ويظهر أن صاحبنا محجوب ــ وهو شاعر مطبوع ــ وقع فى شراكها فقد طالعنا صباح اليوم بقصيدة عصماء فى التشبيب « بنبوية » وتمجيد فن النشل قال فى مطلعها :

إنى أرى « نبوى » آية صنعه ... فى الخلق منذ بداية الأزمان
وجه يضىء بنور صبح فاتن ... ويدان تنشل مهجة الأبدان !

٢٥ يوليو ١٩٤٦ :

حياتنا تحمل الآن طابع الاستقرار إلا من مناقشات الصباح بعد قراءة الصحف .

إن أهم ما يشغلنا فى الوقت الحاضر هو المفاوضات .. كثيرون منا يتنبأون بفشلها ، وآخرون يعترضون على مبدأ المفاوضة فى حد ذاته لنيل حقوق البلاد .. لذلك قررنا عقد مؤتمر لمناقشة هذه المشكلة .. وأن تبطل المناقشات حولها حتى ينعقد المؤتمر .

٦ أغسطس ١٩٤٦ :

انعقد مؤتمر المفاوضات أمس واليوم وهذه صورة سريعة لبعض ما دار فى الجلستين وهو إن يكن مطبوعا بطابع الشباب والاندفاع إلا أنه فى اعتقادى صورة لما يعتمل فى صدر كل شاب مصرى فحقيقة اليوم هى أن الشباب فقد ثقته إلى الأبد فى الحزبية وقادتها وكل محترفى السياسة !

بدأت الجلسة الأولى عندما أعلن الرئيس وهو أصغر سنا « مصطفى حبيشة » افتتاح الجلسة والموافقة على أن تكون المناقشة حرة فى القضية المصرية تنتهى بقرار تبطل بعده المناقشات فى مسألة المفاوضات فوافق الجميع .

مدحت فخرى : أطلب وقف الجلسة حدادا على الشهداء منذ مذبحة الإسكندرية إلى دنشواى إلى ثورة سنة ١٩١٩ إلى شهداء مارس الماضى (وافق الجميع .. ثم عادت الجلسة للانعقاد) .

حسين توفيق : بعدما استعرض تاريخ الحركة القومية منذ القرصنة البريطانية سنة ١٨٨٢ إلى الآن قال ما معناه : « ويقينى يا أخوانى أننا نجتاز الآن فترة كالتى اجتازتها تركيا فى أعقاب الحرب الأولى فالتشابه بيننا شديد من حيث الانحلال وضعف الروح المعنوية وما جرّته علينا الحياة الحزبية من انقسام جعل هم كل زعيم سياسى هو الفوز لشخصه هو ولمحاسيبه بأكبر الغنم وترك مادون ذلك حق ولو كان استقلال البلاد وكرامتها ! وإنكم لترون أن الدستور كان أكبر نكبة منيت بها البلاد بعد الاحتلال فقد شغلونا عن الكفاح فى سبيل استقلالنا وقوتنا بالكفاح فى سبيل كراسى الحكم والمنصب الزائل لتفرقنا شيعا وجعل كل منا يهدم الآخر بكل الطرق شريفة أو غير شريفة حتى وصلنا إلى هذا الحال وأبلغ مثل على فشل الأحزاب والسياسة فى مصر ، هو حادث ٤ فبراير .

وسيم خالد : (بعدما استعرض كيف استقلت ايرلندا والتشابه الشديد بين حالتها وحالتنا قال ما معناه) : لا حل لقضيتنا إلا بحمل الشعب كله للسلاح فالشعب الذى لا يعرف كيف يحارب لا يستحق الاستقلال لذا فأنا أرى أن تتحول مصر كلها إلى ترسانة وميدان وبهذا وحده سنأخذ استقلالنا .. ومن حركة ايرلندا يجب أن يفهم أن الاستقلال حق يؤخذ ولا يعطى .

سيد خميس :(١) (بعد أن تلا فذلكة طويلة فى تاريخ الثورات الاستقلالية بوصفه طالبا فى قسم التاريخ بكلية الآداب قال ما معناه) :

« إننى سأكافح بعد خروجى من السجن بسلاحى الخاص فى سبيل الوطن .. وهذا السلاح هو سيف العصر الحديث البتار : هو القلم ! » .

(صيحات استنكار وصفير وهجوم شديد عليه) .

الرئيس : لكل عضو الحق فى أن يقول ما يشاء فاتركوه لأن هذا جهده ..

محمود مراد : (فى انفعال) أرجو أخذ قرار بأن الوطن برىء من كل كفاح من نوع كفاح السيد خميس !

---

(١) هو الصحفى عبد العزيز خميس الذى عينه السادات رئيس مجلس إدارة روز اليوسف ورئيسا لتحريرها فى السبعينات .

(موافقة جماعية)

وبعد هذا أدلى الباقون بآرائهم وهى لا تختلف كثيرا عما تقدم ، ثم وقفت فى ختام المناقشة وقلت :

– إننى أشكر وكيل النيابة الذى جمعنا وماكنا لنجتمع أو يعرف بعضنا بعضا لولا عبقريته وخياله الفذ .. وإننى أشارككم فى أن الحزبية قد فشلت فى بلادنا فشلا ذريعا ، وأن السياسة فى بلادنا من نوع عاصر الاحتلال وأشرب فى قلبه الخوف والاستكانة وقد استغل الإنجليز ذلك أبشع استغلال ، ورأينا أخيرا ذلك النصاب العجوز تشرشل يتكلم فى مجلسهم وكأن وطننا إرث آل إليه من جده الإيرل المحترم . ورأينا من قبل ذلك المخلوق الوقح كيلرن يعجب حين أبلغه النقراشى مذكرة الجلاء ووحدة الوادى ظنا منه أن النقراشى لابد أن يكون قد جن ليطالب بهذا !

« إن المسئول عن هذا الهوان الصارخ وهذا الإذلال المميت هو ذلك الجيل المتخاذل الذى لن يستطيع أن يموه طويلا فقد كشفه الشعب وفضحته الحوادث .. يجب أن يتنحى هذا الجيل فإن من المستحيل أن تسير عقارب الساعة إلى الوراء ! » ..

وانتهت المناقشة بالقرار الآتى :

« على الشباب وحده أن يعد نفسه ويتقدم للموت فذلك خير من أن يحيا حياة ذليلة ! »

٢٠ أغسطس ١٩٤٦ :

عاد إلينا الهدوء .. حدث أمس أن اشتبك محجوب ووسيم فى مناقشة حادة وذهبت لأستطلع الخبر فعلمت أن الإثنين وهما رئيسا تحرير الجريدتين اللتين اعتزمنا إصدارهما داخل السجن يتشاجران على استخدام محمود الجوهرى وهو الرسام الوحيد ! وبعد تدخل منا اتفقنا على أن يستخدم كل منهما الجوهرى أحدهما قبل الظهر والآخر بعده ، وأقسم الجوهرى يمينا بعدم إذاعة أسرار أى مجلة للأخرى أو للقراء وكفى الله المؤمنين القتال ! » .

١٠ سبتمبر ١٩٤٦ :

الحياة رتيبة والجو يسيطر عليه هدوء بديع ــ الجميع منصرفون إلى القراءة وقد استحضرنا مجموعة كتب وروايات باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية واستحضرت مجلدا لمجموعة كتب بالألمانية فأنا أعشقها .

إننى أميل إلى قراءة النوع الغرامى من الروايات فإن لها تأثيرا لطيفا على أعصابى هنا فضلا على أنها تحليل للحياة ولوجه شيق من أعظم وجوهها وهو الحب .

يقول الألمان فى مثل من أمثلتهم : « أن تحب وأن تحب هى أعظم نعمة فى الوجود »

أى والله كم أنا فى حاجة لحب عظيم يملأ نفسى ويغذى قلبى .. ! .. وبعد أليس الحب فى مختلف صوره هو أسمى عواطف الوجود ؟ !

٥ أكتوبر ١٩٤٦ :

انتهت جلسات الإحالة وصدر الحكم بإحالتنا إلى محكمة الجنايات لدور نوفمبر المقبل ..

٢٠ أكتوبر ١٩٤٦ :

دعا وسيم ومحجوب إلى حفل لمناسبة قرب صدور الجريدتين واشترطا للاشتراك فى الحفل والتمتع بالتورتات الفاخرة والحلوى والشاى أن يكتب من يريد الاشتراك مقالا أو قصيدة يقدمها . واحتججنا على هذا الاستغلال بدون جدوى ــ ولما كنت لا أحتمل أن تفوتنى هذه الفرصة فقد جلست أستوحى شياطين الشعر وكتبت قصيدة بعد عرق وفيها :

سلونى أجيبكم أن قد مليحة ... لأطيب عندى من طعام ابن خالد

فواقه مالى للطعام شهية ... وقلبى على الخلان يرغى ويزبد !

وطعام « وسيم خالد » كان ولا يزال عروس يومنا .. !

٢٣ أكتوبر ١٩٤٦ :

صدرت اليوم بعد طول شوق وانتظار مجلة « الهنكرة والمنكرة » ورئيس تحريرها « وسيم خالد » وهى مجلة فكاهية وتحوى مواضيع شيقة وقفشات وصورا كاريكاتورية لطيفة .. وقد هاجمنى وسيم بالكتابة والكاريكاتور واتهمنى أننى أتسكع بجوار حائط سجن النساء مما يضرب أسوأ المثل لباقى المتهمين وبعد هذا الهجوم العنيف طالب بحرمانى من الأطايب لمدة أسبوع على الأقل .. وقد أسرعت واعتذرت وأمرى قه ! .

٢٦ أكتوبر ١٩٤٦ :

صدرت مجلة « ذات التاج الأحمر » وهى آية فى الطبع والتبويب والتلوين ولم أنج من هجومها أيضا وقد احتفظت بالعدد الأول منها ..

٢٠ نوفمبر ١٩٤٦ :

أحمد اقه فقد بدأت علاقتنا تتحول إلى صداقة عميقة بعد أن مرت فترة التهيب والكلفة وإن أكبر الفضل فى ذلك يرجع إلى الحملات الصحفية اللطيفة .

ولو أن معيشتنا رتيبة إلا أنها شيقة على أية حال .

٢٥ ديسمبر ١٩٤٦ :

« إنه لغنى الذى يرى الحياة اكتشافا مستمرا »

ديهاميل

اليوم هو عيد ميلادى ــ لا أدرى لماذا تداعبنى خواطرى فى ابتهاج ونشوة .. فمنذ ثمانية وعشرين عاما خلت وفى مثل هذا اليوم كان مولدى الساذج فى تلك القرية الهادئة بالمنوفية ..

سأذكر دائما هذا اليوم وسأذكر أيضا عشيرتى من الفلاحين الكادحين فى بساطة ووداعة فهذه الذكرى ترفعنى فوق لؤم المدينة وخداعها ومظاهر التكلفة وأهلها التافهين .

سأذكر دائما بيئتى القروية الساذجة حيث تمتلىء النفوس بالإيمان باقه وحيث يرجعون كل شىء إلى اقه فهناك تعلمت أن اقه حى فى كل شىء وأن العبرة بنقاء السريرة قبل العلانية .

سأذكر محصول الثمانية والعشرين عاما الماضية بفخر واعتزاز وسأسير مرفوع الرأس غير خاش أن يساء فهمى أو يؤول قصدى .

اللهم حمدا وشكرا فأنت وحدك القوى المكين .

صندوق الدنيا فى محكمة الجنايات !

أول ديسمبر ١٩٤٧ :

.. وأخيرا بدأ نظر القضية بعد عامين طويلين طفحا بالألم . ولكن الله لطيف وجميل إذ شاءت إرادته أن يحنو ويرحم فملأ نفسى بحلاوة الأمل . وهاهو ذا الأمر قد أوشك أن يبين . وها أنذا داخل القضبان فى الغرفة رقم ٥٤ أتحدث إلى نفسى حديث المسافر الذى أوشكت رحلته على النهاية ، فهو تعب من طول الطريق ومن طول ما تحمل من مشقاته وهو جزع من صدمة الوصول ورهبة اللقاء لأن نفسه قد أذابها الأمل وأحرقها الفراق .. !

٢ ديسمبر ١٩٤٧ :

طالما اشتقت لرؤية أولئك السادة الذين يطلقون على أنفسهم زعماء .. ولقد كانت فرصة جميلة تلك التى أتاحتها لى القضية لأراهم يؤدون الشهادة .

وكم طابت نفسى حينما تولى المحامون تشريحهم أمام منصة القضاء .

كان يخيل إلىّ أننى أشاهد « صندوق الدنيا » يعرض السفيرة عزيزة .. ويونس الجميل ، والفارس الغضبان ! ..

وكان مصطفى النحاس باشا أول من طالعنا .

وهنا أقف قليلا وأعود بذاكرتى إلى الوراء فكم أحفظ له من ذكريات .

أذكرنى فى العاشرة من عمرى وكنت أقطن كوبرى القبة .

وأذكر كيف كنا نجتمع نحن « أولاد الحتة » لنحيى الرئيس الجليل كل ليلة عند عودته من بيت الأمة إلى مصر الجديدة مارا بضاحيتنا .. وأذكر جيدا كيف كانت تتملكنى الرهبة لهذا اللقاء العابر ..

وأذكره وأنا فى السادسة عشرة حينما عاد من أوربا ولقبه « ذو .. الرياسات الثلاث » وقصفت له المدافع وقرعت له الطبول . وكانت هذه الطبول وتلك المدافع إيذانا بنهاية البداية إذ ولدت معاهدة ١٩٣٦ ..

ثم تقفز بى الأيام فأذكره وأنا فى الثالثة والعشرين حاكما عسكريا تولى الحكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وكانت هذه بداية النهاية ..

ثم انتهى بى الأمر أن أراه أمس يقف فى ساحة القضاء المقدسة .

تكلم النحاس باشا وأسهب فى الحديث واجتاز مواطن الحرج فى غموض شعرنا به وأسفنا له ..

١٠ ديسمبر ١٩٤٧ :

الصور تتوالى فى صندوق الدنيا . !

رأينا حسين سرى باشا على شاشة الصندوق أحسن من يمثل « نفشة » الديك الرومى وانتفاخ الأوداج ..

ورأينا هيكل باشا يشهد بما تفوه به كيلرن تعديا وتحديا ..

ورأينا حافظ رمضان باشا يقول : « أنا لا أسمع إلا بأذن واحدة ونصف ما أسمعه بها كلام فارغ » وكانت حكمة . !

ورأينا زكى على باشا يشهد شهادة القاضى الدقيق ويقرر الحقيقة فى قوة ولباقة ..

ورأينا بهىّ الدين بركات باشا يتحدث فى السياسة حديث « الجنتلمان » المتزن فى غير حزبية ثم انتقل إلى الاقتصاد فكان العالم الواثق من نفسه وأقر بوضوح خراب البلاد على أيدى عصبة السياسيين وحليفتهم .. !

وسمعنا وسمعنا .

سمعنا عجبا وألما ورأينا على المشرحة أولئك الذين قادوا البلاد خلال ربع قرن أو يزيد .. فما تغير رأيى المتواضع فيهم أبدا . !

ياقومى يامواطنى : إعلموا أن السياسة فاشلة فى بلادنا على وجه لا يصدقه العقل !

ياقومى : لن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا .

ديسمبر ١٩٤٧ :

أدى رجال البوليس السياسى الشهادة وأداها أيضا وكيل النيابة المحقق والنائب العمومى السابق .

سيبقى هذا الإجراء فخرا وعلما على قدسية العدالة وسمو قضائنا ونزاهته فهنيئا لك ياعبد اللطيف بك أنت وحمدى بك وخليل بك .. كان البوليس السياسى وقتذاك أداة للدس وخادما للمستعمر وللشهوات الحزبية وما عهد بدر الدين وفلبيدس وقضية القنابل منا ببعيد .. ومن سخرية القدر أنهم أحاطوا أنفسهم وأعمالهم بقدسية خافها الجميع ووافق عليها الجميع أيضا .. ولطالما فاحت من أوراقهم أبشع الخيانات والفضائح .

لقد كان درسا بليغا ذلك الذى لقنته المحكمة لأولئك القوم سيذكرونه وسيذكره الجميع .

٣٠ يناير ١٩٤٨ :

ويجعل الله بعد عسر يسرا .

إلى هذا الوقت كان وجه القضية مظلما يحيط به الغموض ولكننا الآن نضحك ملء أفواهنا وبكل قلوبنا لأول مرة فى هذا المكان .. فقد أنزلت المحكمة قضاءها العادل بالعابثين .. إننا نضحك ونبكى فى وقت واحد .. !

يارب إنها هستيريا الانتصار بعد ظلام الهزيمة .. لم يعد يهمنا حكم المحكمة أيا كان فقد طابت نفوسنا لهذا الحكم الابتدائى .

٢٠ فبراير ١٩٤٨ :

استخف بنا الفرح فنظمنا أمس لأول مرة مهرجانا نفسنا فيه عن نفوسنا كربا كان حبيسا مكتوما — وكم يطيب لى أن أروى فى هذه الصفحات وصفا لهذا المهرجان « الهستيرى » لعلى أتمتع بقراءته فى الخارج فى يوم من الأيام :

كان المهرجان سهرة فى قصر هرون الرشيد واشتركنا جميعا فى وضعه وتمثيله وإخراجه والاستمتاع به فى آن واحد .. !

وكان توزيع الأدوار كالآتى : —

أنور السادات : هارون الرشيد (الخليفة)

حسين توفيق : السياف عبد الله

السيد خميس : القهرمانة وكبيرة القيان .

سعيد توفيق : كبير الحجاب .

مدحت فخرى : شهر زاد الراقصة المغرية .

عمر أبو على : اسحق الموصلى

أحمد وسيم

محمد كريم

محجوب

فتيات الكورس

الجوهرى : بائع اللب .

مراد : الخواجة ورئيس وفد الفرنجة .

وتبدأ السهرة بأن يشير الخليفة إلى القهرمانة لتدير العزف والغناء فيرتفع صوتها هى وفتيات الكورس فى توشيح جميل :

بـالـذى أسـكـر مـن خمـر الـلمـا كـل مـسـجـون أسـيـف وحـبـا
والـذى أجـرى دمـوعى عـنـدمـا أخـرج ..... والـظلم سـوا

ويطرب الخليفة فيستعيد النغم مثنى وثلاث ويطرب الحضور فيندفع الجميع فى جو كله طرب وحبور .. ثم يهدأ الجو ويشير الخليفة إلى القهرمانة لتغنى أحدث ألحان الموصلى قائلا فى نشوة :

« اطربينا ياقهرمانة وابعثى فى الجو أشهى الألحان »

« وليغن القيان وليحرق البخور فى أرجاء المكان »

فتنحنى القهرمانة أدبا وخضوعا وفى حنان ورقة يرتفع الغناء فيعم الأرجاء :

جـاء الخـليـفـة جـانـا والـسـعـد أهـو ويـانـا
فى مجـلـسـه حـيـانـا وبـخـمـرتـه سـقـانـا

وتأخذ القهرمانة والقيان فى ترديد النغم على مختلف الألحان والموصلى يهتز للأوزان فيأخذ الطرب بمجامع الخليفة فلا يتمالك من أن يندفع ويرد على القيان :

أنـا جـيـت لـكـم والله يـاولاد أنـا أحـبـكـم أوى أوى يـاولاد
أنـا جـيـت لـكـم أنـا جـيـت دا الاتـهـام لخـبـيـط !!

وترتفع فى الجو النشوة ويتمايل الخليفة يمنة ويسرة ويعم السرور ويعبق البخور .. وهنا يدخل كبير الحجاب مستأذنا فى دخول وفد الفرنجة ليقدم الهدايا للخليفة فيأذن . ويدخل رئيس الوفد والمجلس كله وقار وسكون والخليفة معمم بعمامة الخلافة الشاهية . ويقدم رئيس الوفد للخليفة هداياه النفيسة من السجاير المعدومة فى مملكة الخليفة ثم يطلب باسم عاهل الرومان عقد معاهدة تحالف وإخاء . فيقف السياف عبد الله معارضا فى هذه المعاهدة « ويزوم » الحضور ويزمجرون ويطلبون إلى الخليفة ألا يتعاون مع الأجانب الذين لا يحفظون العهود ولا يحترمون الحدود . ويدير الخليفة المناقشةفى هدوء ولكن يندفع السياف طالبا السماح له بقطع رقبة رئيس وفد الفرنجة . وفى نفس الوقت ترتفع فى المكان أصوات تقول « اقلب .. اقلب .. بلدى » فلا يسع الخليفة إلا أن يشير إلى القهرمانة فتندفع هى والقيان فى لحن بلدى :

طل على الحليوه من طجان البيت
جلت الجمر فى السما واش دلدله عالحيط
يا يابوى يابوى

ثم يعود الوقار إلى المجلس ثانية ويهدىء الخليفة من روع القوم ويؤكد أنه لا يتعاون مع الأجانب إلا ندا لند على أساس احترام حدود الخلافة ويهدأ السياف وينصرف رئيس وفد الرومان مودعا بالشتائم والسباب ..

ثم يطلب الخليفة إلى القهرمانة أحدث مواويل الموصلى التى تبعث فى النفس الصبر والسلوان فتنشد مع القيان :

نامت عيونك وعين الله ما نامت   ماق ولاشدة على مخلوقها دامت
وإن دامت الشدة ما يدوم صاحبها   راحت ليالى الهنا ياليتها دامت

هنا يطرب الخليفة ويستزيد وتنشد القيان وتعيد وتندفع الراقصة المغربية شهر زاد فى أحدث الرقصات على نغمات الموال ويصيح الخليفة من فرط النشوة :

هدهدونى   هدهدونى

اطربونى   اطربونى

ويردد الجميع كلمات الخليفة . ويضج المكان بمختلف الألحان وتعيد القيان فى نشوة وحنان .. وينتهز بياع اللب هذه الفرصة فينادى على بضاعته بصوت نشاز فيأمر الخليفة بإخراجه من المكان . ويحل وقت العودة إلى الزنزانات فينتهى الحفل بين رنين الضحكات وباسم الثغور وبالغ البهجة والحبور .. وغضب السجانين وسك الأقفال .. !

٢٠ مارس ١٩٤٨ :

يسيطر المرح على الجو برغم التأجيلات المتوالية .. عاودنا نشاطنا السابق : فالقراءة على أشدها والكتب تنهمر علينا من الخارج . وعاد الطلبة من المتهمين يفكرون فى مدارسهم بعد أن أهملوا ذلك سنتين أو أكثر وكل يرسم لنفسه الطريق الذى سيسلكه عقب خروجه .. الروح المعنوية فى أقصى درجات ارتفاعها !

إنه الأمل بعد طول انتظار .. اللهم حقق لنا الآمال ..

٣٠ مارس ١٩٤٨ :

حدث اليوم أن كنا في طابور الصباح فقدم إلينا المدعو عبد الله زيدان مساعد العشماوى وجعل يحدثنا عن عمليات الشنق التى باشرها فى الأربع عشرة مديرية على حد قوله ثم داعبنا بأن أخذ يعاين رقبة كل منا ويصف له الحبل الذى يناسبه والمدة التى يستغرقها النبض .. وكان حديثه مدار دعابتنا طول اليوم ! .

١١ أبريل ١٩٤٨ :

ترافعت النيابة أمس واليوم وقد استهل الأستاذ أنور حبيب مرافعته أمس استهلالا خالدا هز مشاعرنا وأبهج قلوبنا ونحن جلوس فى قفص الاتهام واليوم أتى النائب العمومى « لينسخ » ما قاله الأستاذ أنور ولكن هيهات ، لقد عاب على تشبيهات وردت فى حق الخليفة على لسان الأستاذ أنور وهى أننا شتمنا أكثر من مرة من منبر برلمان الخليفة الموقره ونسى سنة ١٨٨٢ ونسى فظائع المستعمرين ونسى أرواح الشهداء إلى اليوم !!

٢٤ ابريل سنة ١٩٤٨ :

بدأ الدفاع وهو آخر مراحل هذا الجيل من السجن والاتهام ..

ابريل ١٩٤٨ :

لأول مرة منذ أكثر من سنتين سمحت النيابة للمرضى منا الذين لا يجدون عـلاجاً فى السجن بالخروج تحت الحراسة للعلاج عند الأطباء الخصوصيين على نفقتهم الخاصة .. وأول من سمح له بذلك هو مدحت فخرى . وقد عاد اليوم يحدثنا حديثاً عجيباً .. لقد جلس على كراسى من الجلد .. وتناول قهوة باللبن عند الدكتور ! وفى طريقه إلى العيادة رأى ثكنات قصر النيل بعد أن آلت إلى اصحابها ، ورأى السماء غير مخططة بقضبان الشبابيك وقال إنها واسعة والنظر إليها يبهج النفس ! .. ورأى النيل .. ورأى .. ورأى مما أعاد القاهرة إلى أذهاننا بعد أن كدنا ننسى معالم الحياة فيها ..!

يونيو ١٩٤٨ :

فجأة .. ودون أن يعلم أحد هرب حسين توفيق !!

لقد وصلنا الخبر أول ما وصل على وجـه السجانـين والضباط ثم انهالت علينـا القيود والتشديدات وعدنا إلى سالف العصر والأوان ..

لقد كان حسين شرًا فى وجوده وشرًا فى هروبه !! .. ففى وجوده كان خير من يثير عنيف المناقشات « وزعيرة » الجو بالتكهنات والخرافات ، ثم هرب فكان سبباً فيما نزل بنا من كبت وإرهاق !

اللهم سامحه والطف به وبنا ..

٧ يوليو ١٩٤٨ :

انتهى اليوم الدفاع وتأجلت القضية إلى جلسة ٢٤ يوليو للنطق بالحكم .

٨ يوليو ١٩٤٨ :

بدأ اليوم رمضان

ولرمضان فى النفس رهبة ونشوة .

فالرهبة وليدة التكريم الذى خص الله به هذا الشهر دون بقية الشهور وهى وليدة المجهود الذى يبذله الإنسان فى مغالبة نفسه للتحكم فى شهواته .

وأما النشوة فهى وليدة الانتصار حتى يفطر الإنسان فى نهاية اليوم ويشعر أنه تغلب طيلة اليوم على شهواته وما تعرض له من مغريات .

والمزيج من هذه النشوة وتلك الرهبة كفيل بأن يشغل على الإنسان فكره وجنانه وحسه ووجدانه . بحيث لا يبقى لغير هذين العاملين محل فى النفس .

ولكن

حل علينا رمضان برهبته ونشوته والنفس مشغولة كأشد ما يكون الانشغال والقلب يتلهف .. والانفعالات تعتمل فى عنف وهدير .. ولا عجب فنحن اليوم على أبواب المصير ..

لا أستطيع أن أصور ما سيكون عليه الحال خلال هذا التأجيل للحكم .. ولكننى جزع من طول هذه المدة .. جزع من فرط ما أخشى من الغيب ..

ولكن .. لم الجزع ولم الخوف يا نفس ؟

ألم يقل سبحانه وتعالى « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » .. أليست حياتى هذه من صنع الله وتيسيره ، وهو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما .

يا نفس اثبتى ولا تضعفنك الدنيا واعلمى أن الحكم لله والأمر لله .

واحتفظى بالقوة والعزة تعودى إلى ربك راضية مرضية وتدخلى جنته .

الجزء الرابع

« فى رأس برج بابل »

لا شيء يزعج النفس ويشغل القلب كالانتظار .. فنحن الآن فى شبه غيبوبة ، يتراءى لنا الماضى بأطيافه وذكرياته وكأنها حلم يبتعد شيئاً فشيئاً ويسيطر علينا فى حاضرنا شعور لا يمكن وصفه أو تحديده ، فتارة هو مزيج من القلق والجزع وتارة هو المختلط بالأمل وتارة أخرى هو « تشكيلة » من عواطف متباينة جمعت هذا وذاك ..!

والنتيجة أننا فى شوق ورهبة .. وخوف وقلق .. وجزع .. وأمل .. إنه الانتظار وقديماً قالوا عنه إنه « يورث الاصفرار » .. !

١٢ يوليو :

عاد نظام « الشلل » فأنا أرى الآن كل « شلة » منسجمة بمجلس أفرادها وحدهم حيث يتدارسون — على ما يظهر — أمرهم بعد الحكم ... فمنهم من يأمل فى الافراج ومنهم من ينظر إلى المستقبل نظرة سوداء وبين هذا وذاك .. آخرون فى حالة « توهان » فبينها يؤلف مدحت وسعيد ووسيم ومحجوب « شلة بيضاء » نجد عمرو والجوهرى وخميس « يندبون بشقافة » !

١٤ يوليو :

اطلقنا على وسيم لقب « ابن الناس الأكابر » لأنه طالما اطعمنا بشهى الأطباق .. وأمس كانت إحدى هذه الأكلات الطيبة ورأينا أحدنا — وليس هو مدحت — يبكى وهو يأكل من فرط اللذة ..! وقد دعونا الله أن يربط مصيرنا بمصير وسيم و« يا نعيش سوا يا نموت سوا » !

١٧ يوليو :

اليوم طويل جداً ورمضان يزيده طولاً على طوله !

جلسنا أمس نفكر فى حالنا وكلما مضى الوقت زادت الكآبة وبينما نحن على هذا الجمود انبرى محجوب وقال : « اسمعوا يا جماعة سأروى لكم قصة شاب ستجدون فيها تسلية وطرافة وهى حقيقة فى كل حرف من حروفها .. فما رأيكم ؟! » .

وتوالت الاحتجاجات لا لشيء إلا للمعارضة ولما هدأت بدأ محجوب يروى القصة فقال : « تبدأ قصة فتانا — واسمه شهاب — فى قرية هادئة من قرى الريف عندما يسمع الناس فى أحد منازلها صراخاً فيجتمعون ليعرفوا سببه وليقدم كل منهم من يستطيع من مساعدة وفق التقاليد القروية السمحاء ، فلا يلبثون ان يفاجأوا بالزغاريد ثم يقال لهم إن « الأفندى » ولد له ولد ..! و« الأفندى » هنا هو والد شهاب إذ جرت العادة فى القرية أن يطلقوا هذا اللقب على المتعلم تكريماً وتمييزاً .

ويندفع القرويون وزوجاتهم كل يحمل ما تسمح به حالته ويدخلون الدار فى سباق لأن « الأفندى » غائب فى جنوب الوادى فى عمله وتدخل القرويات على الأم يهنئنها ويبقى الرجال فى صحن الدار حيث تخرج إليهم القابلة تحمل المولود الذى لا ينفك عن البكاء والصراخ !

ويشب الطفل مع الأيام فلا يرى من حوله إلا الهدهدة والبساطة . حتى إذا ما بلغ الرابعة أرسلته جدته إلى « كتاب » القرية ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن كما أمر أبوه فيجفل أول الأمر من رهبة « العريف » و « فلقته » ولكنه لا يلبث أن يعتاد هذا المنظر على مر الأيام . بل أكثر من هذا يشتغل وجدانه ويطرب حسه حينما يردد النشيد الذى علمه إياه العريف والذى استقبل به أهل المدينة محمداً رسول الله ﷺ ومطلعه :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع

ويبدأ خيال فتانا يتفتح شيئاً فشيئاً فكل ما حوله ينطق بالجمال والروعة . ويعود « الأفندى » من الجنوب ويصطحب أسرته إلى القاهرة حيث استقر . ويبدأ الفتى مراحل تعليمه وقد أورثه الريف بساطة فى الطبع وعمقاً فى الخيال واعتدادا بالنفس .. ويتدرج فى التعليم حتى يصل إلى نهاية الدراسة الثانوية وهو ما يزال ريفى الطبع نافراً من المدينة وزخرفها منكراً لزيف أهلها وتكلفهم . فما يكاد ينتهى من سنته الدراسية حتى ينطلق إلى الريف مهبط وحيه وغذاء خياله ، وقد ملك عليه مشاعره ما سمعه من أبيه عن « نابليون » وعظمته الخالدة وكيف سطر تاريخه بحروف من البطولة والشجاعة وكيف رفع وطنه من خزى وتفكك وفرقة وانهيار .. فلم يلبث أن لقى مصيره المعروف ..

وتلفت الفتى حواليه ليرى بلاده مغلوبة على أمرها وليطالع فى صحفها عجباً وفى كتب تاريخها ما هو أعجب . ويشاء القدر أن يخر صديق له برصاص المغتصب وهو ينادى بعزة وطنه واستقلاله ، فيثير هذا الحادث فى نفسه عاطفة جديدة هى الحقد على المغتصب حقداً يؤججه حبه العميق لوطنه .

ويشاء السميع العليم أن تطيب نفس الفتى فيلتحق بعد دراسته الثانوية بمعهد عسكرى أرضى ميوله ووافق هواه وكان التحاقه به إيذانا ببدء المرحلة التالية فى ميدان الحياة والكد . فما كادت دراسته فى ذلك المعهد تنتهى ويتخرج حتى بدأت شخصيته تتجدد وآماله تنمو وتتحدد فكان أول ما فكر فيه : كيف يوفق بين شخصيته ووضعه الجديد .. وبين أهدافه وآماله التى ثبتتها الأيام رسوخاً فى قلبه وزادها فساد الحال وثوقاً فى عقله — فانتهى من تفكيره إلى أن خدمة الوطن ممكنة فى كل وقت وعلى أى وضع بل هى واجب حتمى على كل من أنجبه الوطن .. فراح يعمل فى هذا السبيل جاهداً وهو لا يخشى شيئاً لأنه اقتنع بأن الأرض وطنه وأن الكفاح عنصر أساسى فى حياة كل رجل وأن أشرف كفاح وأطهره هو ذلك الذى يهبه خالصاً للوطن ففضلاً عن أنه سبيل القوة والحق على الأرض فهو عبادة وحمد لوارث الأرض وواهب الحياة والموت .

وتمر الأيام وصاحبنا يعمل فى غير كلل لتحقيق مثله وأهدافه . ولكن عينا خبيثة يهولها ما تراه من أمره وتخشى ما قد يصيبها من أهدافه فلا يلبث أن يرى نفسه مسرحاً من سلكه مرسلاً إلى « مكان ما » ليبقى فيه بلا حراك ! وهكذا خسر منصبه وفقد حريته ، فكان ذلك أول خطوة من خطوات المجد بينه وبين نفسه وسأكتفى اليوم بهذا القدر من القصة يا جماعة لأن موعد إغلاق الزنازين قد حان ولكننى أعدكم أن أكمل لكم الجانب من هذه القصة غداً لتروا كيف استطاع صاحبنا أن يسوس الحياة ويجعل منها حلماً جميلاً وقصة هى فى مبناها ومعناها قصة الحق والقوة والجمال » .

ووقف محجوب عند هذا الحد وكلنا شوق ولهفة لسماع بقية القصة حتى لقد ألح عليه بعضنا أن يكتب البقية ويرسلها إليهم فى الزنازين ليطالعوها ولكنه أبى إلا أن يصمت وجميع ألوان السباب تنصب عليه من فرط ماشوقنا ..[1]

لقد مر اليوم شيقاً والحمد لله فاللهم الطف بنا فى الباقى .

٢٠ يوليو ١٩٤٨ :

لم يستطع محجوب أن يتم قصة شهاب لأننا منذ يومين مشغولون بالأحلام التى هطلت كالمطر ــ ويظهر أن للحالة النفسية المسيطرة علينا الأثر فى تكاثرها !

فقد رأى مدحت فى المنام أنه يلبس ثياباً بيضاء ويركب حصاناً ابيض ويسير به الهوينى فى نادى سبورتنج ولما التقينا رفض أن يكلمنا لأنه من « الأسياد » ونحن فلاحون ..! وقد نال جزاءه على ذلك بأن فسرنا له الحلم ألعن تفسير !

ورأى عمر فى المنام أنه « معزوم » فى مأدبة كبيرة فيها مالذ وطاب ولكنه كلما مد يده ليتناول لوناً من ألوان الطعام تحول فى يده إلى لب أو حمص حتى « انقطع قلبه » على حد تعبيره ، وفجأة رأى « العزومة » تنقلب إلى عنبر من عنابر السجن والطعام يتحول إلى « يمك » من يمك السجن فاستيقظ مهموماً متألماً .. ورأى محمد كريم فى المنام أنه قد نبت له ذيل وأنه كان يبكى خجلاً من أن يعرف زملاءه ذلك .

٢٢ يوليو :

فى كل زيارة لأى متهم منا تأتينا أخبار عجيبة ! .. فقد قيل أولاً إن المحكمة ستؤجل الحكم مرة اخرى لإتمام المداولة .. وكان هذا الخبر أشبه بالصاعقة ..

ثم جاء خبر آخر أن الاحكام كلها بالأشغال الشاقة وقد أكد مصدر هذا الخبر أنه سمعه خلسة أثناء تداول المستشارين .. !

ثم جاء خبر آخر أن الحكم سيؤجل إلى ما بعد فترة الإجازات وأن المستشارين قد بعثوا بعائلاتهم إلى المصيف .. وهكذا قضينا الأيام الأربعة الأخيرة فى حرب إشاعات لا يعلم ما نعانيه منها إلا الله .

٢٤ مايو(مساء فى حلوان)

قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .. فقد قال القضاء كلمته وإذا هى تقرر أنى برىء مما أرادوا أن يتهمونى به .

وها أنذا أكتب هذه الكلمات من اللوكاندة ولازال السجن يسيطر على فكرى وحسى وخيالى ..

ان فى رأسى زحاماً كبرج بابل .. حتى أصبحت لا أستطيع الكتابة ولا أستطيع القراءة ولا أستطيع حتى التفكير ..

اللهم لك الحمد حتى ترضى ..

---

(١) واضح من أحداث هذه القصة الرمزية أنها تروى حياة أنور السادات .. حتى دخل الكلية الحربية وتخرج ضابطاً .. ثم فصل من الجيش .

قطع أدبية

انتهت مذكرات أنور السادات «٣٠ شهرا فى السجن» .. وأورد فى السطور التالية ، بعض إنتاج قلمه فى الأربعينات .

ومن ذلك قصة «لورى» ..

كتب السادات فى كراسة السجن فى ٢٣ فبراير ١٩٤٧ :

« عاشت « لورى » الفتاة الانجليزية الحسناء فى كنف أبيها القسيس الفقير ووضعت الأقدار فى طريقها شابا من اللوردات فأحبها دون أن يعرف أنها متواضعة النشأة .

وكانت الفتاة على جمالها بسيطة بعيدة عن التعقيد .. فكانت لا تتوقع وهى فى غمرة حبها أن يحول حائل دون زواجها من حبيبها ، ولكن حدث أن وقف عم اللورد الشاب فى طريق هذا الزواج ، ورفض كل الرفض أن يتزوج ابن أخيه اللورد من فتاة فقيرة .

وكان هذا الرفض باكورة لسلسة من الكوارث أحاطت بأسرة الفتاة .

بدأت بأن فقد والد الفتاة كل ثروته المتواضعة التى ادخرها لأيام الشدة . فقدها فى المضاربات ثم مات من قسوة هذه الصدمة !

وكان العم قد منع ابن اخيه من الاتصال بفتاته فهجرته الفتاة لتقيم مع إحدى قريباتها الثريات وانقطعت صلتها بالقرية ومن فيها .

وخطب حبيبها «اللورد» بتوجيه من عمه فتاة ثرية من الباحثات عن الألقاب .

ومرت الأيام ثم سافر اللورد إلى المدينة حيث التقى مصادفة بفتاته التى كانت تعمل وصيفة لقريبتها الثرية .

وعندما عاد إلى القرية وجد خطيبته فى موقف شائن مع صديق لها ففسخ خطبتها .. وضحى بثروتها الضخمة التى كان عمه يعول عليها فى إنقاذ أسرته العريقة من الإفلاس .

وعاد اللورد لكى يتزوج من فتاته الفقيرة «لورى» .

ومست هذه القصة شغاف قلبى .. فقد كنت وحيدا فى سجنى .. وأنا أؤمن بالحب وأعتقد أن مدار الحياة هو الحب ، إذا بعدنا عنه نشقى وإذا عشنا فيه نسعد !.

وأنا لا أقصد الحب بمعناه الضيق ولكنى أقصد الحب بمعناه الكبير حب الطبيعة ، حب الانسان لأخيه الانسان .. ولو آمن الانسان بمبدأ الحب وجمال الحب فانه سوف يرى كل شىء متعة وسعادة .. وحتى الأمور التى أصبح الناس لا يجدون فيها السعادة الآن .. لاتجاههم اتجاها ماديا بحتا ..» .

(من كراسة السجن ــ ٢٣ فبراير ١٩٤٧) .

وفى أوائل الخمسينات بالتحديد فى ٧ يونيو ١٩٥٤ كتب السادات عن رأيه فى الزواج وهل يعوق مستقبل الشاب المكافح :

وهذا نصه :

تصلنى أسئلة كثيرة من الشباب أكثرها يتركز فى هذا السؤال : هل يعوق الزواج مستقبل الشاب ، اذ يجعله مسئولا لا يستطيع ان ينفذ فكرة جريئة تنطوى على مغامرة تحسن مستقبله وتدفعه إلى الأمام ؟.

وأريد أن أقول لهؤلاء إنه لا الزواج ولا الأولاد ولا المسئولية تحول دون أن يؤمن الشاب بفكرة سامية يعمل على تنفيذها أو تقف فى سبيل تحسين مستقبله الذى يتطلب منه أن يغامر وأن يعمل من أجل هدفه .

والذى أريد أن أهمس به فى آذان شبابنا أن بلوغ المجد أو الوصول إلى الهدف لابد له من ضريبة فادحة يدفعها الطالب ، وإذا كان الشاب متزوجا فالضريبة تكون أفدح وأعظم .. وكلما كانت الضريبة غالية كان الحرص على الوصول أشد وأقوى !

وقد قاسيت هذه المرارة مرات فلم يقلقنى وأنا أنتقل بين المعتقلات سوى التفكير فى أسرتى وأولادى ولكننى مع ذلك لم أسمح لفكرة الراحة والهدوء لأسرتى ببيع الهدف الأسمى الذى كنت أكافح من أجله !

وكانت صور أسرتى تمر أمام عينى وأنا وحيد فى السجن فأسرع بوضع صورة الأمل الذى أرجوه أمام ناظرى وأتناسى كل ظروفى والمحنة التى أعبرها حتى لا يتسرب الضعف إلى عزيمتى .

وكل فرد وكل شاب فيه هذه القوة وأكثر .. والزواج لا يثنى مجاهدا عن جهاده ولا مكافحا عن كفاحه بل إنه كثيرا ما يكون حافزا إلى ارتقائه سلم المجد .

ولقد كافح محمد عليه الصلاة والسلام وأرسى قواعد دينه وقاتل وهاجر وناضل فى سبيل فكرته وهو أب وزوج ونجح نجاحا أبديا خالدا .

ذكريات عن التواشيح !

وكتب عن ذكريات له عن أغانى التواشيح :

مما لا شك فيه أن كل أغنية ترتبط فى ذهن سامعها بصور الظروف التى كان يسمعها فيها ، سواء كانت مرة أو حلوة .. ومن ثم تصبح الصور والذكريات مرتبطة بهذه الأغنية تطفو كلما سمعها بعد ذلك .

وفى شهر رمضان المبارك لا اكاد أسمع أصوات منشدى التواشيح الدينية حتى تعود بى الذاكرة إلى تلك الغرفة الرهيبة فى السجن وأنا أتطلع إلى الكوة التى تتخللها القضبان والأصوات تتسلل من خلالها حاملة هذه الألحان الدينية .

كانت هى سلوانا الوحيدة التى ترد إلى آذاننا اعتبارها . فلم نكن نسمع فى السجن سوى الأصوات الخشنة من السجانين .. ما عدا شهر رمضان فقد كان أهل الحى الذى يحيط بالسجن

يأتون بهؤلاء المنشدين ويجاملون المسجونين فيجعلون «الميكروفونات موجهة إلى نوافذ السجن .. ونظل نستمع حتى مطلع الفجر ..» .

ورغم قسوة الصور التى تحيط فى ذهنى بهذه الأناشيد والتواشيح فإنها لا تكاد تطرق سمعى من راديو فى الطريق أو فى البيت ، حتى أتخيل أن كل ما بجانبى جدران عالية بها كوة تتخللها القضبان وتنساب من بينها أصوات المنشدين !.

قصة واقعيه

كما كتب القصة الواقعية التالية التى صور فيها يوم صدور الحكم ببراءته والأيام القاسية التى أمضاها بعد الافراج عنه يقاسى من الجوع !

وقفت داخل قفص الاتهام مع بقية الزملاء المتهمين بعد أن صاح الحاجب هاتفا :

- محكمة ..

واتجهت كل الأنظار إلى فم القاضى والحكم يتدفق منه ورأيت الزملاء يتساقطون من حولى مغمى عليهم .. وهم يسمعونه يقول :

- فلان الفلانى ، عشر سنوات .. فلان الفلانى ، خمستاشر سنة .. فلان الفلانى خمس سنوات ..

وخيل إلى أنه قد مضى دهر قبل أن أسمعه يقول :

- انور السادات .. براءة !

ولم أصدق أذنى وتهاويت جالسا معهم فى القفص ، ولم أتحقق مما نطق به القاضى إلا عندما أقبل علىّ الناس لتهنئتى ..

وبعد جولة بين سجن مصر والمحافظة أفرج عنى .. ووجدت نفسى سجينا من جديد .. ولكن فى القاهرة الواسعة !

وبعد بحث مرهق عثرت على «بنسيون» قبلت صاحبته إيوائى واتفقت معها على أن تقدم لى وجبة الفطور فقط وأتناول غذائى وعشائى فى الخارج وأسرعت أتمدد على السرير وفى رأسى دوامة من آثار تفكيرى فى موقفى .

لم يكن هناك أى أمل لى فى العثور على عمل .. فأنا سجين سابق .. «مشهور» ولا يوجد فى مصر صاحب عمل جرىء يستطيع أن يضع ثقته فى سجين سابق وكذلك لا يمكننى أن أكذب على أية شركة فأقول إننى لم أكن سجينا فقد كانت الصحف تنشر صورى طوال أيام نظر القضية .

اما الأعمال الحرة فلم تخطر لى ببال يومذاك فقد كنت أنظف من الصينى بعد غسيله وتجفيفه أيضا !..

وفى اليوم الاول غادرت «البنسيون» أتجول فى القاهرة فمررت بمقهى عند قصر النيل ولقيت هناك بعض الأصدقاء ولم تطاوعنى نفسى أن أحدث واحدا منهم بموقفى .. وعدت إلى «البنسيون» حيث بت على الطوى فى انتظار الافطار الذى ستقدمه لى صاحبة «البنسيون» فى الصباح ..

ولم أخرج فى اليوم التالى إذ كنت قضيت الليل كله أنتظر الافطار فما كاد يستقر فى أمعائى على تفاهته حتى دخل النوم فى عينى ونمت .

وغاظنى أن هذه السيدة لم يكن عندها «نظر» فرغم أنها رأت أننى لم أخرج ولم أبرح غرفتى إلا أنها لم تفكر فى أن تقدم لى وجبة الغداء أو العشاء وأصرت على تنفيذ الاتفاق بحذافيره وهو يقضى بتقديم وجبة الافطار فقط !..

وكانت معى نسخة من مجلة «المصور» وفيها مذكراتى التى كتبتها من السجن وقد قدمها لى أحد أصدقائى فى المقهى فرحت أستعيد قراءتها للمرة العاشرة وأحاول بها أن أطرد الجوع الذى يناوش أمعائى مناوشة قاسية !.. ولكنى فشلت فى تهدئة صرخات الجوع فقمت أنظر من النافذة وأتسلى برؤية المارة .. وكان عجيبا حقا أن أول ما يقع عليه نظرى هو خادم تسير فى الشارع تتهادى وقد حملت «صينية» بطاطس تتربع فوقها أوزة محترمة وصلت رائحتها عبر النافذة إلى خياشيمى رغم أننى كنت أطل من الدور الرابع !..

وحتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه تراجعت من النافذة إلى السرير !

وفجأة دخلت صاحبة « البنسيون » فانكمشت فى ملابسى وقد خشيت أن تكون جاءت تريد نقودا أو تطلب ملابس لكيها .. وكانت قد ضايقتنى بهذا الطلب السخيف كثيرا .. ولكنها قالت إن أحد أصدقائى يسأل عنى فى الخارج ، فقمت إليه فورا .. واستقبلته بالعناق والأشواق .. وبعدها جلس يقول لى :

– ياشيخ .. فى دار الهلال بيدوروا عليك علشان تشتغل وتكمل كتابة مذكراتك !

اشتغل ؟! وقبل أن أرد عليه كنت قد ارتديت ملابسى وأنا أمنى نفسى بالفرج ..

وأسرعت بالنزول مع الصديق ، وفى الطريق أخبرنى أن دار الهلال حاولت أن ترسل لى أجرى عن الجزء الذى نشر من المذكرات ولكنها لم تعرف عنوانى ..

وتأكدت أنها فرجت اليوم .. فانطلقت أستدعى « تاكسى » ركبته حتى وقف بى امام دار الهلال حيث استقبلنى البواب العجوز وهو يهز رأسه قائلا لى :

– يا افندم .. النهاردة الأحد ، مافيش حد موجود .

الجزء الرابع

بين السادات وعبد الناصر

الفصل الثانى عشر :

السادات يروى القصة الكاملة

الفصل الثانى عشر :

السادات يروى القصة الكاملة

كيف كانت علاقة السادات بعبد الناصر ؟ .. ما هي الأزمات التي مرت بها هذه العلاقة ؟ .. وكيف تحولت العلاقة في الأشهر السبعة الأخيرة من حياة عبد الناصر إلى رابطة بالغة القوة بحيث كانا يجتمعان كل يوم تقريباً ، ما هو أخطر حديث جرى بينهما قبل وفاة عبد الناصر .. وكان في شارع الهرم ؟ .. كيف نشأت مراكز القوى في عهد عبد الناصر ، وكيف تعامل معها السادات خلال حياة عبد الناصر وبعد وفاته .. ماذا كان موقف السادات من الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الذي انتهى بتآمر عامر ضد عبد الناصر ثم انتحاره ؟ .. لماذا تحول حكم عبد الناصر في رأى السادات إلى الاعتقال والتعذيب حتى الموت ؟ .. كيف عرف زعماء الكرملين أن على صبرى يمكن أن يخلف عبد الناصر بعد موته .. ؟ .. هل لإيمان عبد الناصر بعلم الأرواح صلة في العلاقة بين عبد الناصر والسادات .. ماذا كان عليه وضع محمد حسنين هيكل في حياة عبد الناصر .. ومتى فكر عبد الناصر في التخلص منه ؟.. وكيف كانت تحكم مصر خلال مرض عبد الناصر ؟ وما هو الدور الذى أراد أن يلعبه هيكل بعد وفاة عبد الناصر .. وتطور علاقته بالسادات منذ أن تولى رياسة الدولة .. وحتى أبعد هيكل .

كل هذه الأسئلة وغيرها تجيب عليها هذه الأحاديث الخاصة التي سجلتها مع أنور السادات على مدى ساعات طويلة في عام ١٩٧٧ .. وائتمنني السادات عليها ، لتكون كلمات للتاريخ .

جرى التسجيل لمدة أسبوع كامل بدأ في ٢٦ رمضان عام ١٩٧٧ . في منزل السادات بقرية ميت أبو الكوم في شرفة خلفية ملحقة بغرفة نومه ابتداء من التاسعة مساء بعد تناوله الإفطار .. وكانت تستمر حتى الواحدة صباحاً . حرص السادات خلال حديثه ، أن يقول لى هذا الكلام للتاريخ . إنه شهادة منى أمام الله . استخدمت بعض المعلومات في هذه الأحاديث ، في عدد من المقالات السياسية المتفرقة وفي صفحات محددة من كتابي « وثائق ١٥ مايو » .

وبعد وفاة السادات ، أرى كأنها وصيته أن تنشر هذه الأحاديث بنصها الكامل . كان السادات يتحدث بصفاء غريب . لقد انتقد عبد الناصر في بعض المواقف ، ولكن بلسان الحب . وكنت أشعر طوال الساعات التي كان فيها يتكلم ، وكنت أسجل .. أنه يريد أن يطلق من صدره أسراراً عديدة عاشها .. وكان من حظى أن أستمع إلى هذه الأسرار ، وأن أحتفظ بها حتى اليوم .

وكان السادات ينتقل من موضوع إلى موضوع دون ترتيب مسبق .. ثم كان يتذكر شيئاً فاته ، فيعود إلى موضوع سابق .. وهذه هي قيمتها الحقيقية . وفي معظم الوقت كنت أسمع .. وفي القليل كنت استوضح .

الفصل الثانى عشر

السادات يروى القصة الكاملة

قال السادات :

أنا لست سعيداً بما يكتب فى بعض الصحف عن جمال عبد الناصر . ولكنى لا أريد أن أتراجع عن الحرية . مهما كانت أخطار الحرية فهى أقل ضررا من الرقابة على الصحف وكبت الحريات . بعض الناس يتصور أننى وراء ما يكتب ضد عبد الناصر .. وهذا كـذب . ولكن لا أريد أن أنهى الحرية ، لمجرد منع الكتابة عن عبد الناصر . لا أريد أو أقول أكتبوا عن فلان ، ولا تكتبوا عن فلان .. وإلا عدنا إلى الوراء . إننى مصر على طريق الحرية . ومصر على بناء مؤسسات الدولة .. وهذا ما لم يحدث من وقت استقلالنا المبتور بتصريح ٢٨ فبراير ..

وفى خطب عبد الناصر ، كان يذكر دائما مراكز القوى . كان ينبه إلى وجود مراكز قوى .. كان يندد بها .. وكان يكرر أن إرادة الشعب أقوى من مراكز القوى . ولكن قصة مراكز القوى قصة طويلة .. إنها لم تبدأ بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ولكنها بدأت فى الستينيات .

فترة الخمسينيات كانت كلها إنجازات وانتصارات .

فترة الستينيات .. أنا أسميها فترة المعاناة . بدأت بآلام ، ومرارة وصراعات ، نتج عنها مراكز قوة ، وهزائم متتالية ، واختلاف أو اختلال فى موازين القرار عن سنوات الخمسينيات .

عندما نستعرض حقبة الستينيات نجد أنها من أول يوم فى ١٩٦٠ ، بدأت بمعاناة . عملية الوحدة مع سوريا بدأت تتعثر وكان هذا واضحا . وكان أمام عبد الناصر وضع مطلوب منه أن يحله ولكن الوضع كان معقداً .. وأشبه باللغز .

كما أنه فى أوائل الستينيات ، بدأ الصراع الـذى كان مختفيـا فى مجلس الثورة (انتهى ١٩٥٦) يطفو على السطح .

ولكن لماذا كان عبد الناصر يتكلم طوال الستينيات عن مراكز القوى ؟ ..

إن الصراع الذى كان مغطى داخل مجلس الثورة ، بدأ يظهر على السطح .. وكانت له نقطة تحول فى عام ١٩٦١ عقب الانفصال مباشرة .

تم الانفصال ، وعاد عبد الحكيم عامر من سوريا ، بعد أن عامل كمشير وكقائـد عام للقوات المسلحة ونائبا لرئيس الجمهورية معاملة مهينة .. وقد أرسل إلى مصر بأسلوب مؤلم .

لقد عاد ، وهو مقتنع أنه لا يجب أن يستمر فى قيادة القوات المسلحة .

وكان المفروض أن يخرج عبد الحكيم عامر ..

ولكنه لم يخرج . لم يتخذ عبد الناصر القرار .

وكان المفروض أن يخرج عبد الحكيم عامر ــ قبل ذلك ــ بعد عدوان ١٩٥٦ .. ولكنه لم يخرج .. ولم يتخذ عبد الناصر القرار .. إلى أن جاءت هزيمة ١٩٦٧ .

وأذكر للتاريخ أننا حاربنا فى معركة ١٩٥٦ .. وأخذنا درساً وهو أنه يجب أن تحترف القوات المسلحة . ولكننا أيضاً لم نعتبر من الدرس .

إننى أذكر مثلا واحدا ، على قتالنا فى معركة ١٩٥٦ . سعد متولى (كبير الياوران الآن) كان قائد لواء فى « أبو عجيلة » على بعد أربعين كيلو متراً من العريش ، بجوار الحدود الاسرائيلية .. أقصد حدودنا مع فلسطين . صدر قرار الانسحاب ــ من جمال عبد الناصر يوم ٢٩ بالليل .. أى مساء يوم الهجوم . وأصدر جمال عبد الناصر قرار الانسحاب عندما تيقن من التدخل الانجليزى والفرنسى ، ومن ضرب الطائرات . نفذ القرار حسب الأصول العسكرية على أيام ، وانتهى فى يوم اثنين . كان من شأن هذا القرار أنه أنقذ أكثر من ثلثى القوات المسلحة من التدمير . لقد كانت قواتنا بين شقى الرحى .. الانجليز والفرنسيون على شاطىء القناة .. واليهود أمامهم فى سينا . ويستطيعون جميعا أن يدمروا قواتنا . كانوا قادرين على ذلك . فى هذا الموقف كان سعد متولى ، بلوائه متعرضا لهجوم عنيف استمر من يوم ٣٠ أكتوبر إلى ٢ نوفمبر . استولوا على ثلث موقعه ولكنه استرده ، رغم أن الهجوم عليه كان من لواءين .. أحدهما مدرع والثانى مشاة . استرد سعد ثلث الموقع بهجوم مضاد . يئس اليهود . وفى يوم ١ نوفمبر ركبوا الميكروفونات .. وتكلموا باللغة العربية « يا مصريين إحنا محوطينكم .. سلموا .. لا إنقاذ لكم إلا بالتسليم » .. أى أنهم لجأوا إلى الحرب النفسية . ولكن سعد متولى ، كان يحارب .. وفى الوقت نفسه كان ينفذ قرار الانسحاب . وفى صباح ٢ نوفمبر فوجىء اليهود بأن الموقع ليس به إنسان ! .. وآخر من انسحب كان سعد متولى .. جاء إلى مصر وتورمت قدماه من السير . وكان وراء جمال عبد الناصر فى المطار يوم وفاته ، وهو الذى قال لى إن جمال كان يسير ورجليه لفّت على بعض ..

نحن حاربنا فى ٥٦ ..

ولكننا فقدنا كل الطيران على الأرض . وكان صدقى محمود قائد الطيران . وما حدث كان إهمالاً لا يغتفر . ولكن عبد الحكيم عامر كان يحمى هذه الأوضاع بطريقة قبلية ، لا بطريقة عسكرية وكان من المحتم ، أن يخرج صدقى محمود .. ويخرج أيضا عبد الحكيم عامر من قيادة الجيش ، ويكتفى بمنصب سياسى .

ولكن جمال عبد الناصر ، لم يتخذ قرار إخراج عبد الحكيم عامر .

ولما حدث الانفصال عن سوريا .. وعاد عبد الحكيم عامر ، كان على عبد الناصر أن يتخذ قرار إخراج عبد الحكيم عامر .. ولكنه لم يصدره .. رغم أن عبد الحكيم قال لجمال : إننى أشعر أن هذه المعاملة ، لم تعد تليق بى كقائد .. ولا تسمح لى أن استمر قائداً عاماً .. ولذلك فإننى أعتزل .

وهنا تثور علامة استفهام كبرى ..

لماذا لم يخرج جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم بعد ١٩٥٦ ، وهو رئيس جمهورية ، ويملك هذا القرار ، ويعلم أن البلد كلها كانت ترحب بالقرار ؟ .

صحيح أن عبد الحكيم عامر ، تراجع عن كلامه ، ولكن ماذا منع عبد الناصر من اتخاذ قرار إبعاده عن قيادة الجيش ؟ .. وذلك على الرغم من أن عبد الناصر ، كان يريد فعلاً ، أن يتخلص من عبد الحكيم عامر كقائد عام للقوات المسلحة ؟ ..

وهنا أذكر ، أننى عندما قررت إخراج الفريق صادق .. نفذت هذا على الفور .. وهذه قضية مصير .. قضية رياسة الجيش ..

فلماذا لم يتخذ عبد الناصر القرار ؟ ..

صحيح أن عبد الحكيم عامر تراجع .. ولكن عبد الناصر كرئيس للدولة عليه إصدار القرار .. ولكن الذى حدث هو أن عبد الناصر دعانا فجأة إلى اجتماع .. وروى لنا ما حدث .. ثم طلب رأينا وكان رأينا بالإجماع ضرورة اعتزال عبد الحكيم عامر .

سؤال : هل تم هذا فى حضور عبد الحكيم عامر ؟ ..

السادات : لا .. الاجتماع كان فى مكتب عبد الناصر بمنزله بدون وجود عبد الحكيم . واتفق عبد الناصر معنا ، على أن هذا هو الوضع السليم . وفى هذه الاثناء ، اختفى عبد الحكيم عامر فى مكان مجهول .. ثم علم عبد الناصر أنه فى مرسى مطروح .. وهذا يعنى أنه منشق ، وأنه سيقود معركة ضد عبد الناصر .. ولو كان قادها كانت ستكون معركة فاشلة بعد فضيحة الانفصال .. وبعد الخلافات التى كانت بين عامر وعبد الحميد السراج فى سوريا .. وبعد ظهور فشله فى اختيار مساعديه من الضباط .. الخ .. الخ ..

ومع ذلك ، فإن عبد الناصر لم يحسم . ولجأ إلينا لكى نتخذ القرار .

وعاد عبد الحكيم عامر .. وقال له عبد الناصر إننا نحن الذين اتخذنا القرار .. وطبعا فهم عبد الحكيم ، أنه قرار عبد الناصر لا قرارنا .. لأن عبد الناصر لم يكن فى حاجة إلى أن نتخذ له القرار ..

لم أعرف ماذا جرى بين عبد الناصر وعبد الحكيم فى لقائهما .. ولم أعرف .. هل كان عبد الناصر يخشى الوقوف فى معركة ضده أم لا .. وستظل هذه علامة استفهام كبرى فى تاريخ مصر .. فقد بدأ بعد ذلك صراع رهيب بين الرجلين . وأستطيع أن أقول اليوم مستريح الضمير ، أن الجناية التى أصابت البلد فى هزيمة ١٩٦٧ ، كان منشؤها هذا الصراع بالذات .

لقد حصل عبد الحكيم ، على حل وسط .. وهو فى الواقع لم يكن حلاً على الإطلاق ..

الحل ، هو أن يترك منصب القائد العام للقوات المسلحة ، ويتولى منصب نائب القائد الأعلى . والمفروض أنه منصب شرفى لا تنفيذى . ولكن الذى حدث أن عبد الحكيم استمر يمثل السلطات التنفيذية فى القوات المسلحة . أصبح نائب القائد الأعلى بسلطات القائد العام ! .

اتفق على هذا فى يوليو ١٩٦١ مع جمال عبد الناصر ، فى غير وجودنا .. واتفق على أنه فى

٢٣ يوليو التالى (١٩٦٢) .. يتولى عبد الحكيم القوات المسلحة ، ويتولى محمد فوزى منصب القائد العام .. كما يتركها أيضا صدقى محمود قائد الطيران .

ونسيت أن أذكر لك ، أننا عندما اتفقنا على قرار اعتزال عبد الحكيم .. كان القرار يتضمن أيضا اعتزال صدقى محمود .

وانتهى عام ١٩٦١ ودخلنا عام ١٩٦٢ .. وصدر الميثاق .. وانتهينا منه فى مايو . وكان الميثاق ــ عملية سياسية الهدف منها امتصاص كل آثار الانفصال . وفى ديسمبر ١٩٦١ عين مدكور ابو العز رئيسا لأركان الطيران تمهيداً لأن يتسلم قيادة الطيران فى ٢٣ يوليو .. ولكن تجربة مدكور لم تنجح .

وبقدرة قادر .. وعندما جاء ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ، كان مدكور ابو العز قد خرج من الطيران .. وتثبت وضع صدقى محمود .. كما تثبت وضع عبد الحكيم عامر كنائب للقائد الأعلى بالسلطات الكاملة لقائد عام القوات المسلحة .

وبدأ الصراع ..

عبد الحكيم أراد أن يثبت نفسه فى البلد .. ليس فى القوات المسلحة فقط . وكان فى عام ١٩٦١ ، عندما اتخذنا القرار .. كتب استقالة ونشرها أصدقاؤه ، وألح فيها على ما يثير غيظ جمال عبد الناصر ، وهو الديمقراطية والأحزاب .. وطبعا هذا كله كلام تهديدى وعن غير إيمان .. وقد رأينا عبد الحكيم يرأس فى عام ١٩٦٦ و ١٩٦٧ لجنة الإقطاع .. يعنى لا ديمقراطية ولا أحزاب ..

لقد أراد أن يسجل موقفا ضد جمال عبد الناصر .

وهل كان عبد الناصر يخشى من تسجيل المواقف ؟ .. واستمرت علامة الاستفهام الكبرى . وفى ظل ذلك . اتسعت سلطات عبد الحكيم عامر وصولته .. وكان يمثل أول مركز قوة فى القوات المسلحة . وبدأ يتدخل فى المؤسسات ، والقطاع العام ، وتعيين المحافظين .. بل إنه وصل إلى تعيين رؤساء المدن ! .

وكان شمس بدران يقوم بهذه التعيينات .. أى نشأ مركز قوة آخر .. بجوار عبد الحكيم ، يهدد عبد الناصر .

وكان عبد الناصر متنبهاً لكل ذلك ..

وعين على صبرى رئيساً للوزارة ..

على صبرى كان يريد أن يخدم جمال عبد الناصر .. فشكل مركز قوة مضاد لعبد الحكيم عامر . وهى تنظيمات الشباب .

وتطورت خطورة تنظيمات الشباب ، إلى درجة أنه فى وقت ما كانت تصدر لها التعليمات من التنظيم الطليعى أن يكونوا جاهزين لكى يواجهوا القوات المسلحة إذا قامت بعمل شىء ! .

وقد استطاع على صبرى أن يقنع جمال عبد الناصر بأن هذا فى صالحه .

وكان عبد الحكيم عامر يعلم ! .

وكنت أرقب كل ذلك بعيداً عن الصراعات .. فقد كان جمال عبد الناصر صديقى .. وكان عبد الحكيم صديقى .. وإذا طلب أيهما النصح تقدمت به .. ولكننى لم أتطوع أبدا بالتدخل .. وقد كنت أشعر أن هذا هو أخطر ما وصلنا إليه . لأنه عندما توجد قوة تجهز لكى تقف ضد القوات المسلحة ، فهذا يعنى نسف الوضع فى البلد كلها .

هيكل بين عبد الناصر والسادات

وفى خلال ذلك نشأ محمد حسنين هيكل أيضا كمركز قوة آخر .. كان يتولى الدعاية للنظام .. ولكل قرارات النظام . كان هو المخرج الفنى . وقد أشركه عبد الناصر فى كل تفصيلات الأمور لدرجة أن هيكل اقتنع فعلاً أنه شريك فى الحكم . وكانت هذه هى عقدته معى بعد أن توليت . لم يستطع أن يدرك أن مفاتيح شخصيتى مختلفة تماما عن مفاتيح شخصية عبد الناصر . ويبدو أنه كان متصورا أننى غير متنبه لهذا الوضع .

وهكذا تعددت مراكز القوى . طلعت مراكز صغيرة أخرى . شعراوى جمعة . سامى شرف . وهنا توجد حقيقة يجب أن تذكر للتاريخ . لقد مات عبد الناصر ، وهو يؤمن أن شعراوى وسامى معه .. ضد أى تدبير يمكن أن يخرج من على صبرى .. رغم أن عبد الناصر استبقى على صبرى فى اللجنة العليا .. وأعطاه سلطات ! لعبة معقدة فعلاً . ولكن اتضح لى بعد ذلك ومن تحقيقات قضية المؤامرة فى عام ١٩٧١ أن شعراوى ، وسامى كانا يعملان مع على صبرى .. كقوة واحدة .

ولكن هيكل كان يتمتع بفرص أكثر من هذه المراكز كلها .

إن جمال عبد الناصر هو الذى بنى « الأهرام » . هذه حقيقة ، وأرادها صحيفته . لقد أعفى « الأهرام » من قوانين عادية طبقت على كل المؤسسات . الإعلانات الخارجية . العملات الصعبة . استيراد كل ما يريدونه .. إلى آخر ما يعرفه الوسط الصحفى تماما . ولا بأس من ذلك كله . إنها جريدة قديمة وتعبر عن النظام . ولكن الأمور تطورت بالأهرام . حتى جعل منه هيكل مركز قوة . لقد رأى هيكل أن كل واحد من مراكز القوى يدعم نفسه ، بإمكانياته .. فلماذا لا يدعم هو نفسه .. لقد نجح فى أن يصبح المستشار الأول لجمال عبد الناصر . كان هناك خط تليفونى مفتوح بينه وبين عبد الناصر لا يتدخل فيه أحد ولا يستطيع أحد أن يسمعه . كان هو أول من يتحدث إلى عبد الناصر فى الصباح . وآخر من يتحدث إليه قبل أن ينام .. بعد ذلك .. أراد أن يجمع فى « الأهرام » كل الاتجاهات ، لكى تسانده .. يمين .. وسط .. يسار .. اشتراكى .. شيوعى ..

وأراد هيكل أن يدعم من وجوده كقوة مؤثرة .

وكان يشجع عبد الناصر على فتح المعارك مع الدول العربية وغيرها .. وساعده على ذلك عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ اقتنع تماما أنه هو المقصود شخصيا بهذه الحرب من أمريكا ومن اسرائيل ومن كل القوى التى كان يعاديها .. كان عبد الناصر قد قطع خطوطه مع غرب أوربا ، وإيران والعرب ، وأمريكا .. وشن معارك صراع رهيبة بواسطة هيكل .. وهذه المعارك أكسبت

هيكل مكانة على حساب عبد الناصر .. وكان منها عمليات كثيرة من صنع هيكل نفسه .. حتى إن عددا كبيرا من رؤساء الدول رفض زيارة مصر .. بسبب هيكل .

وسمعت أنا هذا شخصيا من عدد منهم .

وأخيرا .. شعر عبد الناصر بكل هذا .

وأجرى تعديلا وزاريا فى عام ١٩٧٠ .. وأدخل هيكل وزيرا للإعلام .. وأدخل سامى شرف وزيراً لرياسة الجمهورية .. وقال لى وقتها .. « علشان كل مراكز القوى تتحمل المسئولية علنا . »

وكان هيكل فى قمة الانهيار ، من هذا التغيير ، وخاصة أنه لم يفهم ، عندما فوجىء بالتعديل هل سيبقى فى « الأهرام » أم لا « والأهرام » طبعا أهم من الوزارة .. ومن هنا جاءت حكاية القبض على سكرتيرته وزوجها ولطفى الخولى .. وسأرويها لك بعد ذلك .

والحقيقة أن رأيى بعد الهزيمة كان مختلفا .

المسألة لم يكن يواجهها تعديل وزارى ..

كان رأيى ، إجراء تغيير شامل ابتداء من ١١ يونيو .

لقد خرج الشعب فى ١٠ يونيو .. وأرجع عبد الناصر ، لمعنى واحد ، وهو الصمود . وكان لابد أن يحدث تغيير شامل .

وقد قلت له هذا .. واتخذت إجراءات فعلا .. لقد اتصلت بجميع زملائنا وطلبت منهم استقالتهم : عبد الحكيم . وزكريا محيى الدين وصدقى سليمان . على صبرى . وطلبت من زكريا أن يحضر استقالة حسين الشافعى .. وقد كتبت استقالتى لكى أقدمها إلى مجلس الشعب ، لأن استقالتى كرئيس مجلس لا ترفع إلى رئيس الجمهورية .

واتصلت بجمال عبد الناصر يوم ١٠ يونيو ..

قلت له .. لقد أعلنت قرار عدولك عن التنحى فى مجلس الشعب ..

قال لى : (وكأنه كان يتكلم من الغياهب .. لأنه كان فى حالة نفسية منهارة .. وكان فى قمة الإجهاد) قال لى : نعم .. سمعت من الراديو ..

قلت له : لقد اتصلت بالجميع وطلبت منهم استقالاتهم .. وإنك تبدأ تغييرا شاملا ولا تكون مقيدا بأى وضع .. لابد من أسلوب جديد .. لأن الشعب أسقط كل اللافتات .. إلاجمال عبد الناصر وأنا قلت هذا الكلام عند اجتماعى بالطلبة قبل ذلك بأيام .

ورد جمال قائلا : يا أنور ..العملية ستأخذ شكلا وكأنه انهيار . أنا شخصيا لم أعثر بعد على نقطة البداية . كيف أبدأ ؟

وانتهينا من هذا الحوار ، إلى أنه لابد من التغيير . ولم يحدث التغيير .

وفى عام ١٩٧٠ .. وقبل شم النسيم بيوم واحد .. أجرى التعديل الوزارى . وكما قلت لك ، عين سامى شرف وهيكل وزيرين . فى ذلك اليوم اتصل بى جمال تليفونيا فى بيتى بالهرم .. وسألنى رأيى فى التعديل الوزارى . وقلت :كويس . وكان تعليقه : خلّى يا أخى مراكز القوى تطلع على السطح .. وخلليهم يظهروا ويشيلوا مسئولية أمام البلد .

وعند الغروب .. اتصل بي عبد الناصر ثانية وهو في قمة الانفعال .

قلت له :خير ياجمال .

قال : تصور .. وبعد كل اللى عملته لهيكل بروح يأخذ رأى .. لطفى الخولى .. فى أنا !

ما هى القصة ؟ ..

عندما صدر التعديل الوزارى ، وكان هيكل يخشى إخراجه من الأهرام .. ثم إخراجه من الوزارة بعد ذالك ، لأن هيكل أول من يعلم أنه من عادة عبد الناصر أن يقسم قراراته .. ويظهرها قرارا بعد قرار . كما كان ضائقا أنه وضع فى مرتبة واحدة مع سامى شرف .

لقد ذهب هيكل إلى منزل لطفى الخولى .. وعقدوا اجتماعا .. وكانت فيه سكرتيرته وزوجها .. وكان سامى شرف يراقب منزل لطفى الخولى بأجهزة تصنت .. وأخذ الشريط وقدمه إلى جمال عبد الناصر ..

وكان هذا هو الأسلوب .. كل مركز قوة يريد أن يقضى على المركز الآخر . سامى يريد أن يقضى على هيكل .. وهيكل يريد أن يقضى عليه .. وعبد الحكيم يريد أن يقضى عليهم .. وهم يريدون القضاء على عبد الحكيم ..

فى هذه الجلسة .. تحدث لطفى الخولى عن عبد الناصر بما يسىء إليه ..

واستمع عبد الناصر إلى التسجيل كله ..

واتصل بى على الفور ولم يقل لى انه استمع إلى تسجيل وإنما اكتفى بالقول ، وهو فى قمة الانفعال : « بعد ده كله .. هيكل رايح يأخذ رأى لطفى الخولى فيه أنا ! » .

والحقيقة أننى رأيت هيكل فى اليوم التالى .. وقلت له : جرى لك ايه .. انت أهبل .. الراجل عاوز يشغلك معاه .. تقوم تهرب .

وقبض على لطفى الخولى وزوجته .. كما قبض على سكرتيرة هيكل وزوجها .. وجرى تحقيق طويل واستمروا فى الحبس عدة أشهر .

ثم انتقل الرئيس السادات فى حديثه المسجل معى إلى سلوك هيكل بعد وفاة عبد الناصر .

قال السادات :

أمسك هيكل العصا من الوسط . جاءنى ليؤكد ولاءه . وطلب أن يتولى تنظيم الدعاية لانتخابات الرياسة . ولكنه أخفى عنى أنه كان مع شعراوى وسامى شرف فى سيارة قادمين إلى قصر القبة ، حيث جثمان عبد الناصر قبل وفاته ، وتوقفوا بالسيارة فى مكان مظلم أمام كلية البوليس ، وقال لهم .. يا جماعة احنا بتوع عبد الناصر ونريد أن نتفاهم على عدم ترك العملية لأى أحد آخر لأننا أقرب الناس لعبد الناصر ..

وفى ذلك الوقت كنت وحسين الشافعى وعلى صبرى مقيمين فى قصر القبة بجوار جثمان عبد الناصر . وهذه هى طبيعة هيكل ، التى ظهرت فى مناسبات عديدة . انه ينتظر حتى يعرف الاتجاه المنتصر ثم ينضم إليه . إنه يأخذ دائما جانب نفسه .

قبل أول مايو مثلا ..

طلبت من هيكل أن يحضّر لى خطبة عيد العمال . وأعطيته النقط وقلت له : فى نهاية الخطاب أريد فقرة عن مراكز القوى وعن أننى لن أسمح بأى صراع ، ومسئوليتى كرئيس لهذا البلد أن أطحن كل من يحاول إحداث صراع .. وقلت لهيكل : هذه الفقرة تكتبها بمنتهى الوضوح . وكتب الخطاب ، وأرسله إلى مكتب سامى شرف ، وكتب على الآلة الكاتبة ، كما هى العادة فى وقت عبد الناصر .. ويوجد فى المكتب شخص يعرف خط هيكل .. وقرأ سامى طبعا الخطاب .. وتلقيت الخطاب وعند مراجعتى له لم أجد الفقرة التى طلبتها . وفى المساء طلبنى هيكل وسألته .. لماذا لم تكتب هذه الفقرة فأجابنى لا يا فندم .. إعمل معروف الجزء ده سيادتك تكتبه .

ــ كده يا هيكل دى الساعه دلوقتى ٩ مساء ..

ــ أرجوك يا أفندم ..

وفعلا سهرت ليلتها ، وكتبت الفقرة بنفسى .. وفى اليوم التالى قرأت الخطاب ، وكانت كل مراكز القوى حاضرة .. وفوجئوا بالفقرة الأخيرة ! .. وفوجئوا بأن جماهير العمال تجاوبت مع كلمات هذه الفقرة ..

وفى يوم ١٢ مايو .. أى بعد الخطاب بأحد عشر يوما ، روى لى هيكل ، أن شعراوى فى مساء أول مايو ، بعد سماع الخطبة ذهب إلى هيكل وهدده وقال له : لعلمك أى مساس بالاتحاد الاشتراكى نعتبره مساسا بعبد الناصر وسنقاومه .. قال له شعراوى هذا الكلام . على أساس أن هيكل هو الذى كتب خطاب أول مايو بفقرته الأخيرة ..

ولكن لما تبينوا من مراقبة التليفونات ، أن هيكل لم يكتب هذه الفقرة . قالوا لهيكل بعد ذلك : براءة !

ولكن هيكل لم يبلغنى بهذه الواقعة إلا فى ١٢ مايو !

ولكن ماذا جرى يوم ١٢ مايو ؟ ..

جاءنى ضابط الأمن ، الذى قدم لى الشرائط برقابة التليفون وفيها حديث بين فريد عبد الكريم ومحمود السعدنى . وفى هذا الحديث يسأل السعدنى : عملتم حساب الإذاعة ورد عبد الكريم : نعم .. عاملين حسابها .

هنا قال لى فوزى سكرتيرى .. بهذه المناسبة .. أبلغ سيادتك أن هيكل جاء لى يوم اجتماع اللجنة المركزية ، وقال لى إن الإذاعة محاصرة .. وأنه ذهب إلى دار الإذاعة ورأى بنفسه الحصار . ولما طلبت منه أن يبلغ سيادتك بذلك .. قال أنا مليش دعوة وقلت له إنت قريب جدا للرئيس ويستمع منك أى كلام فى السياسة .. أما أنا فلا .. ولكنه رفض أيضاً .

وذهلت من هذه الواقعة ..

وفى الصباح ، طلبت من نهى ابنتى أن تمر فى طريقها إلى المدرسة ، على منزل هيكل ، وتطلب منه أن يحضر عندى .. (منزله قريب جدا فى الجيزة) ..

وحضر هيكل .. وسألته عن هذه الواقعة .. فروى لى .. أن أحد الصحفيين فى

« الأهرام » .. جاء إليه يوم اجتماع اللجنة المركزية وأبلغه بأنه رأى حصار الإذاعة . ونزل هيكل من مكتبه ، ورأى بنفسه الحصار .. ثم أبلغ سكرتيرى فوزى ..

ودهشت .. ولماذا لم تبلغنى يا هيكل ؟ .. حصار الإذاعة معناه انقلاب . معناه أن أى واحد يقدر يروح على الميكروفون — على رأى توفيق الحكيم — ويقول أى كلام .. يقول إن السادات استقال .. ويتركوا البلد فى روشة ساعتين .. ثلاث ساعات ..

وهنا روى لى هيكل ، أيضا ، ما حدث من شعراوى جمعة معه .. يوم خطاب أول مايو .. فقلت لهيكل : أمرك غريب يا هيكل .. حصار على الإذاعة ولا تخبرنى . وتقول لى خفت . وقبلها تهديد لك من شعراوى .. ولا تقول . لو كنت قلت لى عن تهديد شعراوى كنت أقلت الجميع مع إقالتى لعلى صبرى فى أول مايو ..

وهنا انفلتت من هيكل عبارة ، قالها دون أن يدرى ..

قال لى : أنا مكنتش عارف القوة فين ..

وهذا هو هيكل . إمساك العصا من الوسط ، حتى يعرف أين يقف .

وسألت السادات : سيادتك فاهم هيكل تماما .. وتعرف كل أساليبه .. لماذا أبقيت عليه كل هذا الوقت .. كما أنك كلفته بأعمال فيها ثقة ؟..

وقال السادات : كان عندى أمل ، أن يكيف نفسه للوضع الجديد معى . وهذا لم يحدث . كان عبد الناصر مغرما بسماع الأخبار .. أى أخبار .. والأخبار الشخصية أيضا . وكان هيكل أول من يتحدث إلى عبد الناصر وآخر من يتحدث إليه فى المساء .. كان ينيم عبد الناصر ويصحيه .. ويبلغه بالاخبار ، ويحشر فيها ما يريد أن يحشره ..

لقد أراد هيكل أن يفعل هذا معى .. ولكنه لم يفلح . لماذا ؟ لأننى لاأريد أن اعرف هذا النوع من الأخبار .. ولا أسأل عن سلوك شخص أبدا .. ولا عن رقابة تليفونات .. لا يهمنى أن أعرف علاقات شخصية عن هذا أو عن تلك .. هذه مسائل لا تهمنى وليست من عملى .

جرب هيكل هذا معى .. ووجد أنها طريقة غير مجدية .

وقد عرف مثلا أن سامى شرف جاء لى من أول يوم ، وأنا فى قصر الطاهرة ، ومعه تقرير الرقابة على التليفونات .. وسألته : ماهذا ؟.. قال : هذا دوسيه كنا نقدمه يوميا للرئيس عبد الناصر .. خاص برقابة التليفون ..

سألته : هل هناك قضية سياسية ..

قال : لا ..

قلت : هذا لا يهمنى ..

كان هيكل يتصل بى نعم .. يبلغنى أخبارا سياسية .. نعم . ولكن ليس أكثر من هذا النطاق . لم يجد إذن الجو الذى يريده ويستهويه ..

كما أنه لم يجد سبيلا ، لكى يعرف القرارات السياسية الهامة أو يشترك فيها ، كما كان الأمر مع جمال عبد الناصر .. بل إنه وصل فى نهاية الأمر أنه كان يضع القرارات لعبد الناصر ..

وخاصة فى فترة مرض عبد الناصر الأخيرة . كان عبد الناصر فى غاية التعب والإرهاق ، وسأروى لك عن هذا ..

فوجىء هيكل بالوضع الجديد .

وجد أنه يجهل كل شىء . مثلا .. أول قرار اتخذته كان تصفية الحراسات . لم يكن هيكل يعلم عنه شيئا . كنت كلفت سامى شرف أن يطلب من لبيب شقير وضياء داود أن يعدّا لى مشروع قرار بتصفية الحراسات . ولما أرسله لى ، لم أجد به أى شىء عن تصفية الحراسات فطلبت هيكل .. وسألته .. عندك جمال العطيفى . قال : نعم . قلت له .. خذ هذه النقاط الثلاث ، وأريد منه أن يصيغ لى منها قرارا بتصفية الحراسات . وصاغها جمال . ولم تعجبنى . وطلبت منه إعادة صياغتها . وفعلا أعاد صياغتها ، ووافقت عليها . وأمليت على الصحف .. وفوجىء بها كل مراكز القوى . وقال شعراوى فى مجلس الوزراء .. إحنا وزرا ونقرأ القوانين الجديدة فى الصحف .

المهم ..فوجىء هيكل بهذا القرار . لم يشترك فى صنعه .طلبت فقط من جمال العطيفى أن يصيغ القرار ، وهذا هو كل صلته بالقرار ..

ثم جاء بعد ذلك قرار المبادرة . فوجىء به الجميع ومنهم هيكل . الوحيد الذى استشرته فى قرار المبادرة هو الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء ، كرجل سياسى محنك . عرضت عليه أفكارى ، وأيدها ووصفها بأنها رائعة . وسألنى .. كيف جاءتك الفكرة قلت له .. الوضع السياسى الخارجى راكد . وأريد أن أحركه بغير معركة سياسية . فقال لى محمود فوزى : على بركة اللّه .

ثم أعلنت المبادرة الأولى فى البرلمان .. وكان هذا الإعلان مفاجأة لهيكل ، الذى يعتقد أنه ورث حق المشاركة فى القرار .

ثم كان قرار الروس . كان ذلك فى أوائل ١٩٧٢ .. وكنت قد أبعدت هيكل عن الاتصال بى من أواخر ١٩٧١ لأسباب سأذكرها لك .. وهذا الإبعاد ، معناه عدم الرد على طلبه بالتليفون ، وعدم طلبى له ، وهذا الأسلوب يفتك به .. لأنه أعتاد الاتصال وهو وسيلته الوحيدة للتأثير . عند الانقطاع يشعر أنه تاه .

المهم ـ بعد أن أصدرت قرار إبعاد الروس ، بيومين ، استدعيت هيكل فى القناطر . كنت قد أبعدته أكثر من شهرين . كنت فى استراحة القناطر أتناول عشائى . كان شهر يوليو .. وكنت فى البلكونة . وجاء هيكل ، وقبل أن أبدا معه أى حديث ، تكلم وأخذ يدافع عن نفسه عن الأشياء التى أغضبتنى وسأرويها بعد ذلك .. ولنا يافندم .. وأصل الحكاية ياافندم .. إلى آخره .. وأنا تركته يتكلم .. وأنا أتناول طعامى . ثم فاجأته بقولى : فيم تتكلم ياهيكل ؟ انت بتدافع عن نفسك . أنا لم أستدعك لكى تدافع عن نفسك .. أنا منشغل بموضوع آخر .. وأنا لم أسمع شيئا مما قلته الآن .

وظهرت عليه الدهشة .. ثم قلت له : إسمع .. منذ يومين .. أنا أصدرت قرارا بإبعاد الروس عن مصر تماما . ورويت له تفاصيل القرار الذى صدر منذ يومين وبدأ تنفيذه وهو لا يدرى .

وهنا قال هيكل متحمسا .. يافندم .. هذا ليس قرار رئيس هذا قرار لا يصدره إلا زعيم . وغادر القناطر ، وذهب إلى « الأهرام » وإذا به يبلغ زملاءه فى الأهرام بأنه قرار خاطىء ، وصدر فى غير وقته السليم !!

وأنا الحقيقة ، أردت أن اتأكد من سلوك هيكل . وسألت على حمدى الجمال ، عما قاله لهم هيكل .. وعرفت أنه قال لهم عكس ما قاله لى تماما .

وقد واجهت هيكل بهذا ، بعد ذلك .. وقلت له .. إننى عندما أثق فى إنسان لا أتعقبه . وعندما لا أثق فى إنسان ، أشطبه من حسابى تماما . ولكننى فى هذه الواقعة بالذات ، أردت ان أكشف سلوكك ، فعرفت ما قلته فى الاهرام ..

ولم يستطع هيكل أن يرد ..

إن استدعائى له فى القناطر كان يوم ثلاثاء . وفوجئت به فى مقاله يوم الجمعة ، يكتب أن الرئيس استدعانى وقال لى كذا وكذا ..

كان يريد أن يظهر للناس أننى أستشيره فى قراراتى وهذا لم يحدث . وقلت له .. هذا الأسلوب لا يعجبنى .. وقلت لك عشرات المرات أنا مش عاوز تمجيد .. ولا تأليه مش عاوز .. وهيكل فى أسلوب التأليه لا يعلى عليه . وفى قرار الروس ، كنت قد استشرت أيضا الدكتور محمود فوزى ، وكانت نصيحته .. أن أفعلها مع ترك شعرة معاوية .

ومساء يوم الأحد ــ يوم اتخاذ القرار ــ استدعيت عزيز صدقى وممدوح سالم ومراد غالب واحمد اسماعيل ، وحافظ اسماعيل الذى كان معى عندما أبلغت السفير الروسى بالقرار .. وأبلغت الجميع بالقرار . كما أبلغت القرار إلى وزير الحربية وحسنى مبارك قائد الطيران ، ومحمد على فهمى قائد الصواريخ .. لتنفيذ عملية إخلاء الروس لمواقعهم .. وكان يوجد ٦٠ طيارة فى بنى سويف ..

ولما كتب هيكل مقاله ، وعنفته ، وقلت له : عيب .. أنا قلت لك لا تستخدم الكلام الذى أقوله لك فى مقالاتك .. بطل الأسلوب ده عيب .

واعتذر .. وأنا آسف واقه يا افندم .

وهو قد أخذ بعد ذلك يشيع معارضته للقرار .. لأنه أدرك أن حلم مشاركته فى إصدار القرارات مستحيل . وتصور أن المركب غارقة وعليه أن يسعى لنفسه عن حل لوجوده .. وهو لم يستطع أن يفهم القرار . هو يتصور أننى لن أحارب . وأنا فى معركة سياسية مع أمريكا . وهذه معركة جديدة مع الروس .. على أى شىء إذن .. أستند ؟ هكذا حلل هيكل الموقف .. لكى يجد لنفسه مهربا .

والمهم .. أن قرار الروس كان نقطة تحول بالنسبة لهيكل . أدرك تماما ، أن موضوع مشاركته فى أى قرار مستحيل .

انا من جانبى لم أتغير . هذا أسلوبى معه منذ اليوم الأول .

ولكنه بعد ذلك . أخذ « يجر ناعم » فى تقديره أن المركب غرقانة ، فلا بأس من مجاملتى .

والمسألة ليست مسألة مبدأ أو رأى . أنا لو كنت استشرته فى أى قرار كان أيده . المسألة شخصية . هو يريد أن يبدو أمام الناس أنه صانع التاريخ . وكما قلت .. هذا الأسلوب « ما يمشيش معايا » .

ثم جاء أكتوبر ١٩٧٢ .

وكانت قصة المعاناة .. لماذا ؟

كانت استراتيجيتى قائمة ، على أننى لن أتمكن من دخول حرب والروس على أرض مصر ..

وأردت بضربة إخراج الروس ، أن أوقظهم ، حتى أحصل على صفقة جديدة . وهذا ما فهمه الروس ، لأنهم تأكدوا بعد ذلك أننى لم أتاجر بقرار إخراج الروس ولم أطعنهم فى الظهر ذلك أننى لم أتفق مع الأمريكان بشأن هذا القرار . وقدروا هذا . وفعلا قدموا لنا صفقة ضخمة ، ليس هى كل ما نريد ، ولكنها كانت مفيدة .

ولكن هيكل لم يفهم . وكان مقتنعا أن دخولنا الحرب .. هو المستحيل . وحاول بكل الوسائل أن « يكسر مقاديفى » .. كان يحضر ويتكلم عن الضابط اليهودى .. والعسكرى اليهودى .. وهو كان فى دراسة « سمستر » فى أمريكا ، حضرها رابين .. وأخذ يتكلم عن الضباط اليهود وكأنهم عباقرة ..

وهذه مسألة حساسة عندى جدا .. لأن ثقتى بالمقاتل المصرى لا تعلو عليها ثقة .. رغم أننى لم أمكث فى الجيش إلا سنوات قليلة .. والذى لا يعرفه أحد عنى ، أننى قطعت صلتى تماما بأعز صديق لمجرد أنه أعلن عن اقتناعه بأن الجيش المصرى لن يصلح لشىء . سأذكر لك اسم هذا الصديق ولكن لا تنشره أبدا . وذكر (السادات اسم صديقه عضو مجلس الثورة) .. هذا الصديق كفر بالقوات المسلحة وكفر بأدائها ، وخرج بعد ضربة ٦٧ مستاء ، لا فائدة عسكريا أو سياسيا أو اقتصاديا .. والحالة ميئوس منها تماما ..

(وهنا روى لى السادات ما كان يذكره هذا الصديق عن العسكرى المصرى ، وطلب منى عدم نشره تحت أى ظرف من الظروف) ..

وهذه المسألة حساسة جدا بالنسبة لى . هى مسألة حياة أو موت . وقد قلت لقيادات القوات المسلحة ، اننا سندخل المعركة بما فى يدنا من إمكانيات ، حتى لو استرددنا شبرا واحدا من شرق القناة .. هذا يكفينا لكى نموت شرفاء .

وكان تقديرى ، فى حياة عبد الناصر ، وهذا ما رددته مرارا .. وما شاركنى فيه المرحوم عبد المنعم رياض .. إذا لم ندخل معركة ، ستموت الرجولة فى مصر . لقد ذهبت لتعزية عبد المنعم رياض فى شقيقه .. وكان رئيسا للأركان . وقال لى : يا أخ أنور .. أقولها لك بصراحة ، لمدة مائة سنة سنفقد رجولتنا ، لو لم ندخل معركة .

وقلت له : بل سنفقدها للأبد يا عبد المنعم .

• وتركته وذهبت إلى جمال عبد الناصر وقلت له : رياض .. صح : معركة يعنى معركة .. ولو أن جمال كان خاضعا تحت تأثير هيكل .

هيكل ، ارتكب هذا الخطأ الكبير معى فى اكتوبر ١٩٧٢ . أنا أصدرت قرار الروس . أخرجت الفريق صادق . هيكل لم يجد أحدا ليركبه ويؤثر عليه من المعاونين لى . وهو كان قد حاول أن يصنع مركز قوة مع صادق فى الجيش .. هوه فى الاهرام مركز قوة . وأراد أن يعزز نفسه بالقوات المسلحة وصادق وزير حربية وقائد عام . واكتشفت ذلك من الخطب التى كان يلقيها صادق فى وحدات الجيش ، مع أنه كان يجىء أمامى ، مثل « القط » .. وهيكل وصادق متفقان معا على خط القذافى .. وانهار هيكل .. وتصور أننى سأدخل معركة فاشلة ألف فى المائة . وكأنه كان مطلوبا منى أن أكشف كل أوراقى للرأى العام ، وهذا هو المستحيل . ووجهت لوما لهيكل ، عما يفعله مع صادق . ثم انتهيت إلى قرار بإخراج صادق لأنه لا ينوى المعركة على الاطلاق .

وبدأ صراع الطلبة .. ونشر الشيوعيون فى الجامعة أن الوضع منهار ، وأننى سوف أسلم وأستسلم .. كما أن الاتحاد السوفيتى لم يهضم بعد قرار إبعاد الروس واعتبرها لطمة .. وإن كان قد تأكد بعد ذلك أنه قرارى وليس قرار الأمريكان . اليمين واليسار تآمروا على تنمية روح هزيمة وسخط فى البلد . اليمين هو هيكل .. واليسار فى الجامعة .. وفى هذا الوقت بدأت الفتنة الطائفية من الصيف .. وأصدرت قانون الوحدة الوطنية لكى أقول لجميع الأطراف « عيب » .. قلتها للمتعصبين من الناحيتين ، مجانين . لا أريد أن أضرب ، لأننى لا أريد أن أدخل البلد فى معركة فرعية طاحنة . فقدوا العقل ..سواء الشيخ أبو زهرة .. أو شيخ الأزهر أو البابا شنودة . كلهم فى خط واحد .. ومن أجل هذا .. قررت أن أعقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقد تبين لى من مجرى المناقشات أن صادق كان لا يريد معركة على الإطلاق .

وفى هذا الاجتماع لم يتكلم صادق . لم يفتح فمه بكلمة واحدة .. كان مرتبا لاثنين لكى يتكلما . عبد القادر حسن . وشخص آخر كان « ماسك » قسم القاهرة وكان يعمل أساسا فى مكتب عبد الحكيم عامر واتهم فى مؤامرة .

واتضح لى فى الاجتماع أن الخط الدفاعى مكشوف . قررت أن أترك كل شىء .. الفتنة الطائفية وعبث الجامعة .. وتفرغت لاستكمال الخط الدفاعى الذى نفذه أحمد اسماعيل قبل ٣٠ نوفمبر ..

وهنا .. فى موضوع الفتنة الطائفية ، كان لهيكل موقف . كان لا يعترف بشىء اسمه المؤسسات . انت يا أفندم . سيادتك .. أنت البلد . أنت مصر .. أنت الذى تتدخل فى الفتنة الطائفية دون اللجوء الى مجلس الشعب .

قلت له : اسمع .. أنا لا أعترف بالكلام ده ..

بعد هذا .. خفف من لهجته على الفور .. وهذا هو أسلوبه .. طيب حتى نكمل دولة المؤسسات تبقى انت !

عندما بدأت أفكر فى الحل للفتنة الطائفية .. قررت أن أزور ، الفريقين . أزور الازهر .. وأزور المطارنة ، وأبلغهما بأن يضع كل واحد نفسه فى مكانه .. وعيب ! بالنسبة للبابا كان يوجد إهمال فى موضوع بناء الكنائس . وهى الشكوى القديمة من الفرمان الخديوى .. وأنا فعلا مقتنع بأن هذا الفرمان كلام فارغ . وأنا ضد أن يكون مبنى الكنيسة فى ناحية ومبنى الجامع فى ناحية أخرى لماذا ؟.. هذا كلام فارغ . يجب أن يكون الجامع بجوار الكنيسة وفى تصميم مدن القناة ..

قلت لعثمان .. اترك كنيسة مهدمة وجامع مهدم .. حتى يكون عبرة امام كل الناس : أن العدو لا يفرق بين جامع وكنيسة .

وأرسلت خطابا إلى مجلس الامة .. وطلبت تشكيل لجنة لتقصى الحقائق .. وبعد قرار اللجنة سأتحدث إلى الشعب ..

كان هيكل عندى فى المساء .. وجن جنونه بعد أن سمع قرارى . وأخذ يحدثنى . ويرسل لى . هذا قرارك أنت .. أيضا هواية حكم الفرد .

قلت له .. لا أريد هذا الأسلوب . أريد أن يشارك الشعب فى الحلول . أن يعرف الشعب كل الحقائق .

انتهيت من موضوع الفتنة الطائفية ..

وقبل هذا فى اكتوبر أقلت الفريق صادق كما قلت لك ..

سؤال : بعد اجتماع المجلس الأعلى .. ألم تتحدث الى الفريق صادق ؟

السادات : منذ اجتماع مجلس الشعب فى الافتتاح .. وهو يعلم أننى غاضب .. وقد رفضت رؤيته . وكنت قد كلفته بالسفر إلى سوريا ، ثم أرسلت له أمرا بوقف السفر .. لقد كان قائدا عاما للجبهتين . وفى اجتماع مجلس الشعب جاء لى فى حجرة رئيس الجمهورية وعمل « منظر » أمام عدسات الصحف ومال على لكى يبلغنى شيئا .. وهو يكره سوريا .. ويكره المعركة .. ولا يريد عمل شيء وشارب من تعاليم هيكل تماما .. وكان هيكل وقتها يقول لى : معركة أيه يا سيادة الرئيس .. لا تدعنى أتكلم عن حالة الجيش وما فيه .. وكأنه كان يريد أن يقول لى شيئا ضد صادق .. صديقه ومركز القوة المساند له !.. وهذا هو هيكل .

المهم .. أننى عندما أخرجت صادق .. تحدث هيكل داخل الأهرام ، دفاعاً عن صادق وقال إنه قرار خاطىء .. ولذلك قلت لك .. إن .. اليمين ــ هيكل صادق ــ واليسار فى الجامعة .. وبتشجيع من حكماء « الاهرام » .. كلهم اتفقوا .. على أن البلد « رايحة فى داهية » ..

ومع ذلك فقد استدعيت هيكل .. وأنت تلاحظ فى كل مرة أننى أستدعيه .. وقلت له « أنا أعرف أنك صديق الفريق صادق .. وأعرف أنك تكره أحمد اسماعيل .. وأنا أعرف قصة احمد اسماعيل معك وهو مدير مخابرات .. عندما ذهبت اليه ولفظك » .. ولكنه كذب ايضا وقال انه لم يحدث منه أى كلام تأييدا لصادق . لقد ذهب هيكل إلى احمد اسماعيل وهو مدير مخابرات ، متصورا ، أنه مسيطر على كل الأجهزة كما كان فى عهد عبد الناصر .. ولكن احمد اسماعيل رفض هذا الوضع . وشكا لى هيكل .. وقلت له .. إبتعد عنه .

ثم يتحدث أنور السادات عن دور هيكل « والأهرام » فى أحداث الطلبة وغيرها :

ــ هيكل كان ذهب إلى البلاد العربية .. وأدلى بكلام سخيف كله ممالأة للقذافى .. وجاءنى هنا ، وفى حضور اسماعيل فهمى وأنكر هذا الكلام .. وكل ذلك نتيجة أنه رأى نفسه لايشترك فى إصدار أى قرار .

ونسيت أن أذكر لك ايقاف قرارى مع الاتحاد السوفيتى بعد الانقلاب الشيوعى فى السودان . لقد رفضت أن اعترف بالانقلاب الشيوعى .. حدث هذا وهيكل لا يعرف شيئا . ثم

جاءت أحداث الطلبة فى الجامعة فى عام ١٩٧١ . وهو كان يريد أن يستجدى الطلبة والشباب .. وكان الطلبة يذهبون إلى « الأهرام » وفى مركز الدراسات بالذات الذى كنت أسميه « مجلس الحكماء » .. وكانوا يستمعون إلى تفسيرات خاطئة تشجعهم على الشغب فى الجامعة .

وكان هيكل يريد أن يجعل رياسة الجمهورية ، تابعة ، لمركز البحوث والدراسات . جاءنى ذات يوم فى عام ١٩٧٢ ، ليقول لى إنهم صفوة المفكرين فى مصر .. والبلد انتهت ، ولا حل إلا أن تحضر وتستمع إليهم ..

فأجبته .. ماذا تقول .. دول يابنى فقاقيع ..

قال .. بقى الفتنة الطائفية .. والطلبة .. وكل ما يجرى .. وتقول فقاقيع ياسيادة الرئيس .

قلت .. نعم فقاقيع .. وتفكيرهم محدود على الورق .. أنا عشت الشارع السياسى منذ شبابى المبكر وأستطيع أن أحس نبض الشعب .. أنا مؤمن بحكم الشعب .. حكم الصفوة « الإيليت » لا أعترف به .

وأنا لا أريد من الصحافة أن تقول للناس قفوا مع أنور السادات . كل ما أريده من الصحافة أن تقول .. قفوا مع البلد . قفوا مع مصر .. اصمدوا من أجل مصر .

ونجح التأثير على الطلبة .. وفى أوائل يناير ١٩٧٢ احتلوا المجلس الأعلى للجامعات .. وأشرت على ممدوح سالم أن يتركهم .. ثم يظهر فى الجامعة فى الليل . وقد حدث . ثم عقدت اجتماعا لهم فى قصر عابدين وخطبت فى الطلبة وناقشتهم .. وانتهى الامر . كل هذا وهيكل بعيد عن الصورة .. لا يدرى شيئا عن العملية كلها .. إلى أين نحن سائرون .. وقد هيىء لهم أننى أتخذ قرارات انفعالية .. وهو يتصور أننى مثل جمال عبد الناصر فى طريقة اتخاذ القرار .. ولايعلم أنى أستشير كل صاحب اختصاص من المعاونين وأقلب القرار من مختلف وجوهه ثم أصدره .. وبعد أن أقتنع بالقرار لا أتردد فى إصدار القرار .

المهم .. أن هيكل شعر أيضا بالنسبة لمعالجة أحداث الطلبة أنه خارج إطار الحكم تماما ..

سؤال : وعن علاقته بليبيا ؟

السادات : علاقته بليبيا كانت مستمرة على طول الخط .. وهو إنسان مادى ، وملحد ، وهو لا ينكر ذلك . ويفهم أن هذه ثقافة . وما يهمه من ليبيا هو الثراء الليبى .

ولكنه فهم تماما ، أنه لن يكون معى ، مثلما كان مع عبد الناصر .. رقم ٢ .

هو يجب أن يكون رقم ٢ . يجب أن يكون فى الظل مع رقم ١ يعرف القرارات مقدّما . يشارك فيها . يجلس مع تابعيه ، لكى يقول لهم سيحدث كذ ! وسيحدث كذا .

لقد وجد أن أصغر قرارات الدولة لم يعرف عنها شيئا .

وفقد اتزانه تماما .

وأكمل أنور السادات روايته عن هيكل قائلا :

ـــ نسيت أن أذكر لك حكاية العريضة التى كتبها ومضُوا عليها توفيق الحكيم فى أواخر عام ١٩٧٢ .. كتبت هذه العريضة من مكتب يوسف ادريس . أخذها طلال سلمان رئيس تحرير

جريدة « السفير » التى كان يصدرها القذافى .. وخرجت إلى العواصم الغربية على أن ما بها هو موقف الكتاب المصريين .. وكانوا ينددون بالحالة فى جبهة القتال وتمزق الشباب . وبما يعنى أننا لن ندخل حربا .. وكل هذا حكاه هيكل لى . موقف مائع .. وهو لو أراد منع هذه العريضة لمنعها .. ولكنه أمامى لا يعبر إلا عن ولائه واخلاصه .

ولكننى قلت له بكل وضوح : اسمع يا هيكل .. الأمر لا يخرج عن فرضين : إما أنك أنشأت جهازا فى « الأهرام » وجمعت فيه كل الاتجاهات وتمرد عليك هذا الجهاز ولم تعد قادرا على حكمه .. وإما أنك أنت الذى فعلت هذا كله .

وأنكر أنه فعل شيئا أو اشترك فى شىء ..

قلت له : إذن .. هذا الجهاز تمرد عليك .

قلت له ذلك فى أواخر ١٩٧٢ . وهنا اتخذت قرارا وهو إخراج ١٢٠ صحفيا وكاتبا ونقلتهم إلى هيئة الاستعلامات ، لأنهم مصدر التشهير بحقيقة الأوضاع فى البلد . وكانوا يتصلون بالمراسلين الأجانب . ويقدمون إليهم معلومات كاذبة .. وهم من اليسار واليمين ومن أتباع هيكل .. وهيكل فى ذلك الوقت ، كما ذكرت لك ، كان مؤمنا بأن الأوضاع قد انتهت .. بدليل أنه جاء لى .. وطلب منى أن أستمع إلى آراء « مجلس الحكماء » إياه .. لكى يحل لى هذا المجلس مشاكل البلد ! كلام غريب . كما أننى أخرجت أحمد بهاء الدين مع هذه المجموعة . وقيل لى وقتها إن له مكانة بين الصحفيين العرب . وقلت عرب عجم هذا شىء لا يهمنى . وبهاء تغير موقفه بعد ذلك . وهو الآن يكتب لى خطبى[1] . وبعد ذلك أصدرت قرارا بأن جميع مقالات هيكل تعرض على الرقيب . فجاء لى هيكل وقال إن عبد الناصر لم يفعل معه هذا .. فقلت له .. لا .. عبد الناصر عمل معك أكثر من هذا بكثير . لقد أغلق عليك الصحافة المصرية كلها ، وألغى بجرة قلم كل كاتب وصحفى فى مصر .. ولم يثق إلا فيك أنت .. وقرارى .. أن تعرض مقالاتك على الرقيب .. أو لا تنشر مقالاتك مطلقا . قال لى : تسمح لى أسافر فى رحلة إلى الشرق الأقصى .

---

(١) كتب أحمد بهاء الدين الخطاب التالى إلى الرئيس السادات بتاريخ ٥ أبريل عام ١٩٧٣ .

وهذا نص خطاب أحمد بهاء الدين :

خطاب من السيد أحمد بهاء الدين ٥/٤/٧٣

السيد الرئيس/أنور السادات

اقدم إلى سيادتكم أطيب التحية . ثم أحب أن أعترف بأننى أحاول أن أكتب هذا الخطاب إلى سيادتكم ، وهو ما ساورنى مرارا ، وأنا كالسائر فى الظلام . ذلك أننى ، وبكل إخلاص ، لا أعرف بالضبط ما هى الشكوك المتعلقة بى والتى على أن أحاول إيضاحها .

ان ما أكتبه من مقالات ، مسئوليتى عنه واضحة ، ومن العدل أن أتحمل نتائج هذه المسئولية ، وليس لدى دفاع مجمل عنها بوجه عام ، بما يمكن أن يكون فيها من خطأ أو صواب ، إلا أننى أكتبها من صميم القلب ، وبكل صفاء نية وصدق رغبة فى المساهمة فى الخدمة العامة ، وفى إطار الركب الذى تقودونه فى أصعب وأقسى الظروف . وطوال عشرين عاما من الكتابة المتصلة ، كان لأبد أن يكون فيها أكتب ما هو

خطأ ، وما هو صواب ، وما هو موفق وما يجانبه التوفيق . ولكن الذى أؤكده أننى ممن يكدون الذهن فيما يكتبون ، وأن ما أكتبه أحاول قدر جهدى أن يكون فيه طابع الدراسة والتأمل والاقتراح ، وليس طابع التعليقات العابرة وفى ذهنى دائما أننى حسن النية فيما أقول . لأننى لا أجد أى خلاف بين ما أؤمن به من منطلقات أساسية للسياسة العامة للبلاد . وحين يكون لى رأى آخر فى بعض التفاصيل ، لا أكتم عن المسئولين الذين استطيع أن أتصل بهم ، معتقدا أن هذا هو الأسلوب الصحيح للإخلاص فى الخدمة العامة كما حدث ــ على سبيل المثال ــ بعد قرار قطع العلاقات السياسية مع الأردن إذ قابلت السيد حافظ اسماعيل وشرحت له وجهة نظرى كاملة لأن هذا هو أسلوب الصدق والإخلاص فى العمل .

وفى نفس الوقت ، عندما طلب منى المهندس السيد مرعى ، رغم إرادتى ، أن أذهب وأمثل الاتحاد الاشتراكى فى مؤتمر بيروت للقوى المناصرة للثورة الفلسطينية وكان لى رأى خاص فيه ، وقال لى إن المعلومات لديه أنه سيكون منبرا للتهجم على مصر ورئيسها ، ذهبت بمفردى إلى المؤتمر العاصف ، وكان دورى أن لا يمس أحد مصر أو رئيسها بكلمة وهذا ما حدث . وحين عدت شكرنى المهندس سيد مرعى ، بناء على ما تلقاه من معلومات على ما قمت به من مجهود فى جو متحيز وعاصف .

أما غير ما أكتبه وأقوله ، فقد كان قرار نقلى من دار الهلال مفاجأة لى . كنت شاعرا ببداية حملة البلاغات والدسائس من أناس مشكلتى معهم أننى بحكم عملى أعرف عنهم رسميا وبالأدلة ما يشينهم . وهم بالتالى لا يطيقون وجودى فى الساحة فهم فى حالة تعقب دائم لى ، ظنا منهم أننى قد أشهر بهم أو اتعقبهم ، وهو ما لم أفعله قط .

ووقتها اتصلت بالسيد فوزى عبد الحافظ وطلبت موعدا من سيادتكم فلم أتلق أى رد . حتى جاء قرار النقل والتزمت الصمت . وكنت راغبا فى ترك مسؤلية رئاسة مؤسسة ، وقد سبق أن عبرت لسيادتكم عن ذلك ، واعتبرت موافقة سيادتكم على عملى فى الأهرام ، إكراما لى ، ومن يومها لم أشغل نفسى بغير عملى المحدود .

وقد سمعت مؤخرا أن التقرير الذى كان مقدما عنى إلى لجنة النظام ينطوى على معلومات ، لا أعرف هل هى حقا فيه أم لا :

سمعت أن فيه انى كنت مستشارا صحفيا لعلى صبرى (١) والأستاذ هيكل يعلم أن علاقتى كانت سيئة مع اثنين بالتحديد : على صبرى ، وسامى شرف . الأول : لأنه طلب منى مرة أن أعمل معه عضوا فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى فرفضت ، ولأنه طلب منى مرة أخرى أن أتولى إدماج الهلال والجمهورية تحت إشرافه فرفضت وكان دائم التنديد بى لأننى صديق للأستاذ هيكل الذى كان يعتبره خصما لدودا .

وسمعت أن فيه أننى قابلت على صبرى ليلة عزله أو ليلة اعتقاله ساعتين . وهذا ما لم يحدث قط . ولكن الذى حدث أنه بعد سنوات من الانقطاع ذهبت فى رحلة صحفية إلى سوريا فى أوائل الحديث عن الوحدة الثلاثية . وأنا متهم بمبالغتى فى الوحدوية ، وعدت فكتبت مقالا منشورا فى المصور عن سوريا ومحبذا مشروع الاتحاد الثلاثى . فاتصل بى السيد محمد فائق وقال لى إن على صبرى يريد أن يرانى ليسمع منى عن أحوال سوريا . وحدد لى موعدا ذهبت إليه فى الاتحاد الاشتراكى وكان مدير مكتبه يومها السيد عبد المجيد شديد . وفى هذا اللقاء بدأه بالتهكم علىّ بما سماه مرضى السورى المزمن ثم سألنى عما رأيت فى دمشق فشرحت له ما رأيت وأنا خالى الذهن تماما من أى خلفية أخرى . وكان هذا هو اللقاء الوحيد وكان قبل شيوع موضوع الخلاف بزمن .

= أما سامى شرف فقد فوجئت به قبل سنوات من عزله يطلب منى تليفونيا فصل محرر فى روز اليوسف اسمه محمود ذهنى لأنه « يشنع عليه » واعتذرت له عن ذلك قائلا إنه يمكنه أن يرسل لى مذكرة أحقق فيها معه ، أما أن افصله بدون إبداء أسباب وكأن الفصل صادر منى ، فهذا يضعنى أمام سائر المحررين فى موضع مريب ، ومن يومها كانت القطيعة والمحاربة .

وحين كنت نقيبا طلب منى عن طريق السيد على خشبة فصل عدد من الصحفيين من النقابة لتطهيرها فرفضت . ثم جاءت احداث ١٩٦٨ وكتب سامى شرف ضدى تقريرا للرئيس الراحل ينتهى إلى طلب القبض علىّ ولم يحدث هذا . ولكن الرئيس الراحل أرسل لى سامى الدروبى حاملا عتابه وقد قرأ على فقرات من تقرير سامى شرف .

وأنا آسف أن أذكر هنا اسم محمود العالم لأنهم قرروا جعله الصحفى الذى يدفعونه للصدارة وتجسم هذا فى انتخابات اللجنة المركزية إذ طلب منى الاستاذ هيكل نقلا عن الرئيس الراحل أن أرشح نفسى بعد بيان ٣٠ مارس . فقلت له إنهم سيمنعوننى من دخول اللجنة المركزية وشرحت له التفاصيل فأصر . ودخلت الانتخابات ويوم انتخاب اللجنة المركزية وزعت القوائم السرية وفيها اسم محمود العالم الصحفى المطلوب دخوله . ونبه على الناخبين بعدم انتخابى . وأشرف على العملية عيانا بيانا سعد زايد . وكان معى يومها الدكتور مراد غالب الذى رأى هذا معى بعينيه .

اما التنظيم السياسى فقد وضعت فى لجنة القاهرة الرئيسية وبعد جلستين تجرأ فيها اثنان على المناقشة والإعتراض : أنا والدكتور إبراهيم الشربينى أسقطنا من اللجنة ولم نعد نحضرها . وبين المسئولين الحاليين شهود على ذلك ، من يومها قاطعت التنظيم . لقد وقعت حرب ٥ يونيو واتصل بى محمد فائق من جديد طالبا أن أشرف على التنظيم السياسى فى الصحافة كلها أنا واحمد فؤاد فرفضت بصراحة أولا لعدم موافقتى على الطريقة وثانيا لأننى قلت له إن أحمد فؤاد غريب عن الصحافة حتى القلائل الذين اختاروهم فى دار الهلال لم نزد عليهم واحدا ، وجمدنا نشاطه ، وطلبت أن يتولاها مصطفى بهجت بدوى شكليا ولم أعد أحضر ولا غيرى هذه الاجتماعات .

وفى خلال الفترة الاخيرة منذ ذهابى للأهرام تفرغت للبحث فى قضايا تهمنى : إسرائيل والصراع الإسرائيلى ، وسائل الإفادة من رأس المال العربى فى مصر ، وإعادة تخطيط مصر ، ومشروع إعادة بناء القرية المصرية . ولم أشترك لا فى اجتماع ولا وقعت على بيان أو عريضة ، معتذرا بأننى لا صلة لى بحكم طبيعتى بالعمل الجماهيرى . ومقتنعا أن ما تبقى لى من وقت للإنتاج سوف أنفقه فى تأليف بعض الكتب عن القضايا الشاملة الاساسية التى تواجه المجتمع المصرى والعربى بوجه عام ، وكان هذا ومازال أملى وطموحى الحقيقى .

وبعد فصل الصحفيين ، حاولت نقابات عربية كثيرة أن تدعو لاجتماع اتحاد الصحفيين العرب الذى أرأسه لاستغلال الموقف ، ويعرف الدكتور حاتم الذى أعلمته بالأمر الجهود التى بذلتها لإحباط هذا كله ، منعا للاستغلال ، آخذا الأمر على عاتقى .. حتى هاجمتنى بعض الصحف فى لبنان والكويت لهذا السبب .

السيد الرئيس

الواقع أننى مضطر أن أعود إلى القول بأننى عاجز عن الكتابة لأننى حقيقة لا أعرف تماما ماذا علىّ أن أوضحه . وإننى قابل تماما أن يقابلنى أى مسئول تثقون فى تجرده . ويواجهنى بأى شىء وسوف أعترف بأى خطأ لا أدريه . وأوضح أى قضية تحتاج إلى إيضاح ولا أعفى نفسى من مسئولية هذا أو ذاك . =

قلت له : روح زى ما أنت عاوز .

وسافر فعلا فى رحلة فى أوائل ١٩٧٣ ، ووصل فيها إلى اليابان ورجع يكتب عن اتفاق المهزوم والقائد المنتصر فى حرب الهند وباكستان .. ثم كتب تفاهات , لأن هيكل ليس له أية قيمة فيما يكتبه إذا لم يكن متصلا بالحاكم .

واستمر يكتب عن الشباب والجيل المقبل .. ويعيد ما كتبه من قبل . وأذكر أننى قلت له : أنت تكرر نفسك ..

وجاء الصيف : وسافر فى إجازة . وجاءت المسيرة الليبية ، وأصدر تصريحات فى الخارج تؤيد المسيرة الليبية ، بعكس السياسة التى انتهجها وكانت معبرة عن رأى الشعب . وعندما عاد استدعيته فى المعمورة ، وقلت له :

ــ تعال .. لغاية هنا كفاية ياأستاذ .. عليك أن تختار حلا من ثلاثة ولعلمك أنا داخل معركة ولا مجال إلا الحسم فى كل شىء إما أن تلتزم فيما تكتب . وإما أن تترك الأهرام إذا كنت تريد الاشتغال بالسياسة .. ولا مانع عندى أن تعمل معى فى رياسة الجمهورية . وإما أن تخرج من الأهرام وتقعد فى بيتك .

واستمر لقائى معه ثلاث ساعات .. وتحدثت إليه بما رويته لك كله ..

قال : ألتزم ..

وأخذ يكرر أنه سعيد جدا .. وأنا .. وأنا ..

قلت له : طيب مع السلامة .

وفى هذه الجلسة ، أخبرته أننى كتبت خطابا إلى برجنيف فى ٢٩ أغسطس ١٩٧٢ .. بعد رد الخبراء .. وكانت العلاقات ممدودة . وكنت أعتبر هذا الخطاب من أهم وثائق الدولة لأنه يحدد تماما العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى . ماذا أعطونا من سلاح .. وماذا أعطت أمريكا لإسرائيل . وبماذا التزم الروس معنا ولم ينفذوه .. والمهم أن هذا الخطاب أمضيت فى كتابته ٧ ساعات .. ولم يعجبنى ومزقته .. وكتبته من جديد فى خمس ساعات . وذعر هيكل وقال لى .. لن يغفر لك الروس هذا الخطاب .

وطبعا كان هيكل فى حالة غير طبيعية لأنه لم يكن يعلم عن هذا الخطاب شيئا . ولكنه فى هذه الجلسة ، عرف حجمه تماما . وذهب إلى الأهرام وقال فى اجتماع إنه ملتزم بسياستى وبدأت المعركة .. وكان يجىء لى فى قصر الطاهرة ، وهو شاعر بالخجل أمامى . إنسان كأنه « مبلول » .. وابتدأ كل كتّاب الاهرام يكتبون . عبرنا الهزيمة . الحكيم وإدريس ونجيب محفوظ وغيرهم .

= وأنا لا أطلب شيئا . وإذا كانت هناك أسباب تقتضى إنهاء عملى الصحفى فليس لى طلب أكثر من صيغة تحفظ لى كرامتى .. تمكننى من أن أجد فى الوقت المناسب عملا مناسبا يجعلنى قادرا على تحمل مسئولية حياتى وحياة الذين يعتمدون علىّ فى حياتهم .

ولسيادتكم أطيب التحية وأخلص الشكر ...

احمد بهاء الدين

وكان يعبر عن انبهاره .. وأذكر أنه في يوم الأسرى ، جاء لي وهو يردد مبهوراً : صور الأسرى طالعة بكره في « الاهرام » .. واستمر هكذا .. ثم جاءت الثغرة .. وعاد أسوأ مما كان !.

سؤال : عندما نشر الخريطة المبالغ فيها عن الثغرة ..

السادات : وكتب أيضا .. وقال : الآن القنطرة .. بدل القنيطرة .. والأدبية بدل شعشع .. الأدبية عند السويس .. وشعشع بجوار دمشق أى أن الوضع لدينا مثل سوريا .. وأرسلت لهيكل .. وسألته كيف يكتب هذا الكلام الكاذب . في سوريا حصل انسحاب وإنما في مصر هذه ثغرة .. جيب وتسلل و ٥ و ٦ كيلو متر بين جيشين واقفين .. ثغرة تليفزيونية .. الذى أرهقنى أن الروس لم يتركوا لى خمس دبابات احتياطى . ولو كان عندى خمسين دبابة أو مائة في الثغرة كانت النتيجة واضحة . وهذا ما يعلمه اليهود . هات التايمز والنيوزويك واقرأ ماذا كتبوا عن الثغرة .. العساكر اليهود في الثغرة كانوا يصرخون للمصريين .. نحن لا نريد حربا .. سنرجع .. وعلقوا لافتات مكتوب عليها بالعربى .. نريد أن نذاكر ونعود إلى مدارسنا .. ليس بيننا وبينكم شيء .. وما ذنبنا لكى تستمروا في الضرب . هذا كان حال اليهود في الثغرة .

وخلال الثغرة .. هيكل ضرب لى تليفون ، وقال لى إن حسين الشافعى يقول إن الجيب تحول إلى كرش . وهذه هى طريقة هيكل . إذا أراد أن يقول شيئا يقوله على لسان أحد آخر .. وكان هذا هو أسلوبه مع عبد الناصر .. وكم من أشخاص راحوا ضحايا بسبب أسلوب هيكل . وقد فعل هذا الأسلوب مع عبد الناصر عن إحسان عبد القدوس وبالنسبة لك .. جاءت مرحلة خلص عليك فيها ..

قلت : هيكل أفهم عبد الناصر أننى رجل لا عمل لى إلا الخمر والنساء !

السادات : هو كان يعلم أن مثل هذه النواحى تهم جمال عبد الناصر .. المهم أننى استدعيت هيكل وقلت له عيب الكلام الفارغ ده .

واتعدل .. وجاب لى « بوفر » الفرنساوى في القناطر وهو خبير استراتيجى عالمى وقال لى أمام هيكل ، إن هذه الثغرة ، لا تشكل أى نصر لليهود .. لأنها تسلل بين قوات . وأنت قواتك محيطة بها .. وكانت الأسماء الكبيرة تهم هيكل جدا .. مثل كيسنجر مثلا .

يوم أن نشر مقال بعنوان « كيسنجر وأنا » ندهت له .. وقلت له .. أنا أول ما قرأت العنوان رحت رامى الجرنال بشرقى . قيل لى بعد ذلك مضمون المقال .. وقلت لما ذكرت (فلان) .. كلامك معناه أنه كان عميل أمريكى .. وسأخرجه في أول تعديل وزارى .. لماذا تكون شؤما على الناس ؟.. (قال السادات الاسم وأرى عدم نشره)

المهم .. انتهيت من اتفاق فض الاشتباك الأول وهو مبعد تماما وذهب هو إلى اسماعيل فهمى وأخذ يشككه له في الاتفاق ، وأنه كان من الممكن أن تأخذ أكثر . وجاءنى اسماعيل فهمى يردد هذا الكلام « هبشته في مصارينه » وقلت له .. عاجبك عاجبك .. مش عاجبك تستقيل .

ولكن الحقيقة اسماعيل فهمى كان موقفه موقف « كويس » .. أنا عملت فض الاشتباك الأول لكى أحافظ على حجم انتصارى على الأرض . كان أمامى اثنان . الروس والأمريكان يريدان أن يجهضا انتصارى على الأرض .. وبسلاحى .. وهنا أذكر للتاريخ موقف تيتو معنا الذى لن ينسى عندما أرسل دبابات بوقودها جاهزة للعمل .. وعمل خطة القضاء على الثغرة ..

بعدها هيكل كتب مقالتين فى منتهى السوء .. وكان لابد أن يخرج .. وقد واجهه اسماعيل فهمى أمامى بكل الوقائع وبكل ما نبهه إليه . وسمعت بعد ذلك أنه قال له .. لو أنا الرئيس السادات كنت أخرجتك من الأهرام قبل المقالتين بكثير ..

واستمر على وضعه خارج « الأهرام » تسعة أشهر .. وأرسل لى شفاعات عديدة . وخلال ذلك أرسلت له رسالة مكتوبة قرأها له رسولى وفى هذه الرسالة قلت له : إعلم يا هيكل أننى أعلم أنك منذ أن اشتغلت معى وأنت مركز قوة .. أنت و « الاهرام » .. ومع ذلك تركتك تعمل . وعندما جاءنى بعد ٩ أشهر .. قال لى .. هل صحيح أن سيادتك أرسلت لى هذه الرسالة .. وكان قد كتبها وقرأها لى قلت له : نعم .

وقلت له : كنت أريد أن تأخذ فترة « تلم » فيها نفسك .. وتعرف مفاتيحى وتعرف أنى مختلف عن عبد الناصر . من الممكن أن تساعد وأن تعمل معى ..

وقال : هل هناك مانع أنى أرجع الاهرام .. فيه حاجة تمنع ؟

قلت له : لا يوجد مانع .. ولكن هذا يتوقف عليك .. لا يوجد أى مانع وأنا لا آخذ أوامر من أحد . المهم أنك تلتزم .. هذا هو المعيار ..

ثم كلفته أن يكتب خطابا . وكتبه . وأغلب الظن أنه كتب لى بعد ذلك خطابا . ثم طلب أن يخرج فى جولة فى البلاد العربية وأرسل مكتبى إلى سفاراتنا توصية عليه بحسن معاملته وتسهيل مهمته . ولكنه عاد إلى نفس أسلوبه السابق وراوغ وناور .

وهنا أيضا أرسلت فى استدعائه وبحضور اسماعيل فهمى وزير الخارجية .. وواجهته بصراحة مطلقة وبكلمات عنيفة برأيى فى كل سلوكه .. واشترك اسماعيل فهمى فى هذا . واستمر التعنيف ثلاث ساعات .

وكان من رأى اسماعيل فهمى أن يكتب هيكل فى « الاهرام » .. مقالات يصحح بها موقفه . ولكننى رفضت لأن معنى ذلك عودته إلى « الاهرام » .. ولم أكن أريد هذه الخطوة حتى لا يعود كمركز قوة من جديد . وقلت لا مانع عندى أن يرأس صحيفة « الجمهورية » وسهلت له ذلك بأن نسدد كل ديونها .. ولكن كان سؤال هيكل : ولماذا لا أعود إلى الاهرام ؟.

وانصرف .. وأرسل لى أكثر من رسول يقول لى : لقد عفوت عن الجميع .. فلماذا لا تعفو عنى أنا بالذات . أنت عفوت عن مصطفى أمين وعلى أمين وأعدتها . وأنت عفوت عن أحمد بهاء الدين .

وكان ردى أنه كان قريبا منى .. وأننى لم أحاسب هؤلاء كما حاسبته .

ثم جاءت فكرة التعديل الوزارى وإعادة التنظيم فى الدولة وعلى الرغم من أن ممدوح سالم كان لا يطيق هيكل .. إلا أنه قال لى ولماذا لا يدخل الوزارة فى هذا التعديل .. وقلت ليس عندى مانع مادام يريد الاشتغال بالسياسة . ويوم أن يخرج عن الالتزام يخرج من الوزارة .

وقابله ممدوح سالم .. وجاء لى بعد المقابلة ليعرض أنه مستعد أن يكون إلى جوارى فى أى عمل .. غير الوزارة .

وطبعا رفضت .. لأنى لا أريده فى موقع حساس بجوارى بعد كل تجاربى معه . وقلت له : طيب .. أفكر ونؤجل الموضوع .

ثم أصدر بعد ذلك كتابه « الطريق الى رمضان » الذى حاول فيه أن يشكك فى نصر أكتوبر .

ونشرت ـ من هذا الكتاب ـ ثلاث مقالات فى صحيفة عربية . وذهب إليه إحسان عبد القدوس رئيس الأهرام فى ذلك الوقت وعرض عليه أن تنشر المقالات فى « الأهرام » ولكنه رفض . وهذه كانت فكرة إحسان .

وأفاجأ بأن الكتاب ملىء بالاكاذيب .. التشكيك فى أن قرار طرد الخبراء الروس تم بالاتفاق مع الأمريكان ! أو مع السعوديين ! ثم القول الكاذب بأن الخلاف بينى وبين صادق .. هو أن صادق كان يريد تحرير سيناء .. وأنا الذى رفضت وحددت آخر خط للقتال . والغريب أن كلامه مناقض لأنه يقول فى نفس الموضوع إننا لم نكن نملك ما نحرر به سيناء ! .

وهنا فاض بى الكيل تماما ..

وطلبته بالتلفون .. وقلت له إننى قرأت المقالات الثلاث .. وهى تافهة . وسألته : بقى قرار طرد الروس أخذوه لى السعوديين ياهيكل ؟

ماهذه التفاهة ؟..

فقال لى إن الكتاب مدروس .. وعندما أقرأ باقى الكتاب سأغير رأيى ، وأنه باعه بمائة ألف جنيه .

فقلت له .. يكفى المقالات الثلاث التى قرأتها ، لكى أتأكد أنه كتاب تافه . ألم أنبهك أكثر من مرة إلى أن الأمانة تقتضى ذكر الحقائق . ونبهتك أكثر من مرة ألا تذكر قال لى .. وقلت له .. والكلام الهايف ده الذى تريد أن توهم به الناس أنك شريك فى الحكم .. وثالثا .. إذا كنت عاجزا عن فهم أبعاد قرار طرد الروس .. تسكت أحسن . أما أن تقول إن السعوديين اتخذوه لى .. فلأنك تريد أن تضعنى مع الروس ومع الأمريكان فى وضع غير أخلاقى .. وكلامك عن صادق أنت تعلم أنه كذب .. وأنت تعلم أنه كان لايريد الحرب على الاطلاق .. وأنت كنت ترتب هذا معه .. فلما جاءت الحرب وجاء النصر .. تريدون الآن التشكيك .

وأخيرا قلت له : اسمع ياهيكل .. كل حاجة عندى ممكنة ، إلا الكذب والتزوير وتغيير الحقائق لمجرد أن عندك قلماً .. وأن عبد الناصر عمل منك شيئا .. وعندك فرصة تكتب .. تقوم تكتب وتزور لا ..

وهكذا انتهت قصة هيكل معى .

السادات .. ومراكز القوى

وعاد الرئيس السادات ليكمل قصة مراكز القوى التى نشأت فى عهد عبد الناصر ، وكيف كان سلوك هذه المراكز بعد تولى السادات .. وكيف تطورت الأمور :

قال أنور السادات :

أعود فى الحديث معك إلى أول قرار اتخذته ، بعد أن توليت رياسة الجمهورية ، وهو قرار تصفية الحراسات . طلبت من سامى شرف أن يكلف لبيب شقير وضياء الدين داود أن يعدا لى مشروع قرار بتصفية الحراسات . ومر على هذا التكليف أكثر من عشرين يوما ولم يقدم لى سامى مشروع القرار . ونبهته . وقال لى : جاهز . ووصلنى القرار . ودهشت لأننى قرأت ورقتين فولسكاب ولم أجد فيهما شيئا عن تصفية الحراسات .. وكلام عن الاتحاد الاشتراكى واللجنة التنفيذية العليا .. ولايفهم من أى سطر أن هناك تصفية للحراسات !

وطلبت سامى شرف وسألته : هل هذا قرار تصفية الحراسات .

وأجاب : أيوه ياأفندم ..

وسألت عن الدكتور جمال العطيفى .. وقال لى هيكل أنه موجود بالأهرام فقلت له ، أريد منه أن يكتب قرارا بتصفية الحراسات من ثلاث نقاط . الأولى كلام واضح عن تصفية الحراسات . والثانية لاتفرض حراسة إلا بحكم قضائى وإجراءات قضائية . الثالثة تعين مدعى اشتراكى .

وبعد نصف ساعة قرأ لى القرار . ولم يعجبنى . وطلبت تعديله .. وبعد نصف ساعة أخرى كان جمال العطيفى قد كتب القرار كما أريده .. وأمرت بتوزيعه على الصحف .

ومن هذا التاريخ بدأ الصراع يشتد ويتطور ولكن من ناحيتهم . أما من ناحيتى أنا « فأنا قاعد مستنى على حافة الترعة — كما يقول المثل الصينى — لغاية ما تفوت الجثث قدامى واحدة .. واحدة » ولايوجد شىء يهزنى . وقد استدعيت شعراوى وسامى وقلت لهما أنا لست عبد الناصر .. ولن أتخذ قرارا ضد أى منكم بدون مواجهة أولا . أنتم تعرفون سمعتكم سيئة فى البلد .. هل هذا صحيح ؟

أجابا : نعم . قلت إذن اعملوا على تحسين سمعتكم .. وطمأنتهم لأننى وجدتهم يعيشون على أعصابهم ويفسرون أى كلمة أو تحرك منى .. مليون تفسير ..

المهم بعد ولايتى فى مارس ١٩٧١ وكان الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزارة جاء لى سامى شرف فى القناطر بعد رحلتى الأولى الى الاتحاد السوفيتى .. وكنت مضطرا الى مد فترة وقف إطلاق النار وبطاريات الصعيد لم تصلنى .. وأعضاء اللجنة العليا عاوزين أى كلام من غير حسابات .. المهم جاء لى سامى شرف فى القناطر وعرض بعض الأوراق .. ثم أخذ يتكلم لمدة

نصف ساعة .. كلاما لم أفهم منه أى شىء .. فقلت له : اسمع ياسامى بقالك نص ساعة بتلف وتدور .. اتكلم دوغرى قول انت عاوز ايه ؟

فقال : يبقى شعراوى رئيس وزارة ..

قلت له : من طلب منك هذا ؟

قال : سيادتك عارف الدكتور فوزى مش بيمشى شغل ولاياخد قرار .

(وصحيح أن الدكتور فوزى كان لايتخذ قرارات وإن كان رجل نظيف والبلد استراحت له وهدأت .. وهذه هى قدراته .. ولا أستطيع أن أقول له أن يفعل أكثر مما يستطيع) .

وقال سامى .. إنه معطل وشعراوى شايف إن الحركة مطلوبة وهو مناسب لذلك ..

وهنا قلت له : أنا يا ابنى مش قلت لكم إن سمعتكم فى البلد سيئة ..

قال : آه .. ما هو البركة فى سيادتك ..

قلت : يا ابنى طيب مش تدونى وقت علشـان أحسن سمعتكم .. ورفضت تغيير رئيس الوزراء .. وأعتقد أن هيكل هو صاحب هذه الفكرة .. رغم علاقته بالدكتور فوزى ..

سؤال : جاء ياسيادة الرئيس فى تحقيقات المؤامرة كلام على لسان شعراوى وأيده سامى شرف .. أن هيكل تحدث إلى شعراوى جمعه وقال له .. تبقى أنت رئيس وزراء وأنا مستعد أكلم الريس فى هذا وسوف أدخل الوزارة معك لو أنك أصبحت رئيسا للوزارة ..

الرئيس السادات : هذه أول مرة أسمع هذا الكلام ..

السؤال : هذا مسجل فى التحقيقات ..

الرئيس السادات : المهم .. قلت لسامى شرف .. هذا الكلام لايفتح أمامى مرة أخرى .. وغادر القناطر ثم بلغنى من شخص كان معه فى السيارة أنه كان يردد فى الطريق أنا هاأرمى نفسى فى النيل ويبدو لى أنه كان وعدهم بأن يبلغ لى هذا الأمر كإنذار .

وانتهى هذا الموقف .

وكان هذا سائدا أثناء صراع اجتماعات الوحدة التى بدأت فى نوفمبر وديسمبر ١٩٧٠ أولا مع ليبيا والسودان .. ثم انضم لنا حافظ الأسد بعد أن أجرى الحركة التصحيحية فى ديسمبر .. وانتهزوا الفرصة أن يأخذوا عملية الوحدة والاتحاد نقطة تفجير للصراع معى وهذا حدث فى مارس . وكانت مبادرتى أمام البرلمان فى ٤ فبراير بغير علمهم . وقد فوجئوا كلهم .. وكانوا موجودين فى مجلس الشعب وأنا قلت يومها عند خروجى من البرلمان .. لن أحضر أى إجتماع وفيه هذه الأشكال مرة أخرى .. وقد استقبل المجلس المبادرة أحسن استقبال .. والبلد فهمتها تماما وبعد ٤٨ ساعة كانوا جميعا يقولون « مفيش أحسن من كده » مع أنهم ضموا لهم محمود رياض .

سؤال : كانوا فى غرفة الوزراء بمجلس الشعب ..

السادات : لا .. كانوا فى غرفة رئيس الجمهورية .. على صبرى قال : مليش دعوة .. عبد المحسن أبو النور قال : يطلع يدافع عنها فى البلد ويشوف المظاهرات اللى حتطلع بكره . وضياء داود قال : البلد دى بتتحكم ازاى .

وكل هذا بلغنى بعد ذلك ، ولكننى رأيته على وجوههم عند خروجى ، ولم يفتح أحد منهم فمه ..

وهم بعد ذلك ركزوا نقل الصراع على عمليات الوحدة .. لقد تركوا موضوع الحراسة ، لأنه كان أول بادرة تشعر الناس بالاطمئنان .

ووصلنا إلى يوم أول مايو . عيد العمال .

كان الاحتفال فى حلوان ، ورتبوا صور عبد الناصر والهتافات باسم عبد الناصر .. وكأن الهتاف باسم عبد الناصر يضايقنى .. كلام ساذج .. المهم أنهم رتبوا كل شىء لكى يفشل الاجتماع ولكن الاجتماع نجح .. والخطاب شد مشاعر الناس . وأدى عبد اللطيف بلطية دورا أساسيا معى ..

ورويت لك من قبل ، قصة فقرة الخطاب التى أنذرت فيها بالقضاء على مراكز القوى والتى رفض هيكل أن يكتبها .. وأصبح الموقف مكشوفا .

وفى صباح ٢ مايو ، اتصلت بسامى شرف تليفونيا وقلت له : تطلّع فى الصحف إقالة على صبرى فى سطر ونصف سطر . فى الصفحة الأولى وبنط صغير .

تململ فى الكلام قلت له إسمع . مش عاوز تبلغ الصحف المكتب عندى يبلغها ..

وقال حاضر . ياأفندم .

وجاءنى فى ظهر نفس اليوم ، ومعه القرارات .. إقالته من نائب رئيس جمهورية .. ومن مساعد رئيس الجمهورية لشئون الطيران .. وحاجة ثالثة .

وهذا أمر غريب . لأنه جرت العادة أن يعلن القرار بمجرد إصداره شفهيا . وبعد ذلك يكتب وأوقعه بعد أيام . وحدث هذا كثيرا . ولكنه حرص على أن أوقع القرار قبل إعلانه . وكأنهم تصوروا أنى سأعلن أننى لم أصدر القرار بعد إعلانه شفهيا !

وأرسل القرار للصحف . وطلبت من مكتبى أن يتصل أيضا بالصحف لضمان التنفيذ .

وبدأت الحمى ..

ومن جانبى بدأ العد التنازلى .

وذلك لأن الصراع بدأ فى اللجنة العليا المركزية قبل ذلك بشهرين .. وعلى صبرى تجاوز حدوده وكذلك ضياء داود .. وكانت الأصوات فى اللجنة العليا ضد الوحدة خمسة ضد ثلاثة وتصوروا أننى سأتراجع ، ولكننى صممت على دعوة اللجنة المركزية ، ولم أتراجع وقلت : أنا عاوز رأى عضو فى اللجنة . نعم أو . لا .

المهم صعّدوا الصراع وساعة إقالة على صبرى . صعّدوه بشكل رهيب . ووضح من تحقيقات القضية أن على صبرى كان يتصل بشعراوى يوميا .. وشعراوى يقول له : بس سيادتك ادينا وقت ياأفندم احنا حنعمل كل حاجه . وهو يقول لهم : هوه حيأخذكم واحد واحد وحيضيعكم واحد واحد ومتخافوش منه .. ده ما ياخدش قرار . ده يخاف من خياله .

وطبعا على صبرى كان متصورا أننى لا أستطيع اتخاذ قرار ..

ثم جاء روجرز وزير الخارجية الأمريكى وقابلته . وبعد المقابلة دعوت اللجنة العليا عندى فى البيت ماعدا اثنين على صبرى وضياء داود . وحضروا .. وكان على صبرى وقتها قد كتب خطابا إلى أمين الاتحاد الاشتراكى عبد المحسن أبو النور يطلب دعوة اللجنة المركزيه فورا للاجتماع .. لأننى نحيته لمجرد أنه أبدى رأيه .. ويريد أن يناقش هذا كله فى اللجنة المركزيه ..

وصلنى الخطاب .. وجمعتهم فى المنزل بعد لقاء روجرز وقلت لهم : لقد جمعتكم اليوم ، وتلاحظون عدم وجود اثنين . على صبرى وضياء داود . (وكان لبيب شقير موجودا ، وأنا أعرف صلته بهم . وقد حضر سامى شرف (رغم أنه ليس عضوا فى اللجنة) .. لم أدع على صبرى وضياء .. لأن الاجتماع فى بيتى .. وأى كرسى هنا لا يستحق أن يجلس عليه أى منهما .

وسألت : يا عبد المحسن .. وصلك خطاب على صبرى .

قال : أيوه يا فندم .

قلت : ما رأيك ؟

قال : كلام فارغ ..

قلت : هل يوجد تعليق من أحدكم ..

لم يتكلم أحد .

وتكلمت .. وقلت إننى دعوتهم لكى أطلعهم على ما جرى من حديث مع روجرز .

وانتهى الاجتماع .

وفى صباح اليوم التالى استدعيت جمعه وأبلغته : لقد قررت تصفية الاتحاد الاشتراكى كله وحله . وتجرى الانتخابات من القاعدة إلى القمة بحيث تبدأ فى مايو آخر هذا الشهر .. ويجتمع المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو .. وبوصفك أمين التنظيم .. روح جهز نفسك واشتغل .

وأجاب : حاضر يا أفندم .

وخرج من عندى وذهب إلى فريد عبد الكريم فى بيته فى الجيزة .. ونفس عن نفسه .

ومررت على وحدات الجيش يوم ١١ مايو وكان معى فوزى .

وكان مفروضا أن أزور الطيران صباح ١٢ مايو (حسنى لم يكن عين بعد قائد طيران)

وفى مساء ١١ مايو جاءنى ضابط الأمن بالشريط الذى تحدثت عنه من قبل .

وفى صباح ١٢ مايو .. زرت الجيش وأخذت قرارى فى المساء .. كان مفروضا أن أزور مديرية التحرير يوم ١٣ . واتضح أنهم دبروا «كمينا» لى هناك .

وألغيت الزيارة . وطلبت من فوزى إلغاء رحلتى إلى مديرية التحرير . وقررت أن أفتح المعركة .

كان أول قرار إقالة شعراوى جمعه .. وهو زعيم المجموعة .

ومنذ الصباح المبكر طلبت من فوزى سكرتيرى أن يتحدث تليفونيا إلى ممدوح سالم (محافظ الاسكندرية) وأن يطلب منه ركوب سيارته ويحضر إلى الجيزة دون أن يتوقف فى أى مكان .

بلغ هذا شعراوى عن طريق أحد أفراد مكتبى .

واجتمعوا هم .. وأخذوا يفسرون قرار استدعاء ممدوح سالم واستبعدوا تماما أننى سأقيل شعراوى لأنهم كانوا مخدرين من تصرفاتى . كنت أحوّل إلى شعراوى أى شكوى أتلقاها ضده أو ضدهم .. وأطلب منه التحقيق وإفادتى .

وفى الظهر أرسلت لسامى شرف . إننى أطلب منك الذهاب إلى شعراوى لكى تبلغه أن يقدم استقالته .. لأننى لا أريد إقالته مثل على صبرى إكراما له ..

ابيض وجهه مثل الشمع .. وأخذ يكرر أقواله : يا أفندم ده قرار خطير .. ده قرار صعب .. يا أفندم ده شعراوى مخلص جدا ..

وكنت قبل ذلك قد استدعيت الليثى قائد الحرس الجمهورى وقلت له : يا ليثى جهز نفسك . المعركة النهاردة . وانتظر الأمر اليوم للتنفيذ .

نعم . كنت أتوقع معركة .. لأن الأمن المركزى ــ المسلح من ألمانيا الشرقية ــ يتبع شعراوى وهو القوة الوحيدة الموجودة فى القاهرة . والجيش خارج القاهرة . والفريق فوزى معهم . وكان لابد أن أستعد لمواجهة ..

قال لى الليثى إنه جاهز تماما وكانت تفصيلات الخطة عنده .. ومعدة قبل ذلك بشهرين .. والواجبات موزعة ، دون أن يشعر أحد . وكان أساس الخطة ، حماية القاهرة ، ودخول أى معركة مع أمن مركزى أو قوات مسلحة .

وخرج الليثى ليكون إلى جوار تليفونه ينتظر إشارة البدء . وقبل أن ينصرف سألته : ما رأيك فى سامى شرف ..

قال لى : سامى كويس يا أفندم .. وعلى ضمانتى .. ولو حدث منه شىء فهذه مسئوليتى أمامك .

قلت له : أنا عينت ممدوح سالم وزير داخلية .. سيحضر من الاسكندرية لحلف اليمين وبعد ذلك تبدأ المعركة . أنت تعلم يا ليثى أننى لا أدخل معركة خاسرة . إجهز .. شد الدبابات .

والطريف أن حرس رياسة الجمهورية على بعد أمتار من مكتب سامى شرف ولكنه لم يشعر بأى شىء .

أعود إلى لقاء سامى شرف .

تحول إلى حالة شبه إغماء . وأخذ يبكى لأكثر من ساعتين قلت له : يا سامى .. من يوم حكاية هيكل فى اللجنة العليا لما كتب عبد الناصر ليس أسطورة .. وكانوا يريدون فصله .. واتهموه بالخيانة .. أحضرت هيكل لكى يواجهوه .. أنا عند كلمتى .. لن أتخذ إجراء ضد أحد إلا بالمواجهة . وعندى الآن البينة على تآمر شعراوى .

وسأل سامى : أى بينة ..

قلت له : عندى الدليل الدامغ .. أشرطة مسجلة حصلت عليها .

وخرج من مكتبى بعد ساعتين .. وطلبت منه أن يبقى . ولكنه اجتمع بهم وأبلغهم بما جرى .

حضر ممدوح سالم .. وحلف اليمين .. وباشر مسؤليته . وكان موقفه كله رجولة ووطنية . وكان أول إجراء له هو التحفظ على الأشرطة فى وزارة الداخلية لأننى كنت قد أعدت الشريط إلى مكانه . نفذ ممدوح هذا . ثم أقال مدير المباحث حسن طلعت وهو ابن خالة ضياء داود . وسيطر على الأمن المركزى .

للتاريخ أقول : إننى عندما استدعيت ممدوح سالم .. قلت له : إننى أبدأ اليوم معركة . وقد أرسلت إليك . وهذه هى الصورة كاملة أمامك .. وأنا جندى فى المعركة . ولك مطلق الخيار الحر أن تكون معى أو لا . وإذا لم تكن مقتنعا عد إلى مقر عملك كما جئت ولن تمس .. لأننى مقتنع بسلامة خلقك ووطنيتك .

وكان رد ممدوح سالم : إننى مع الشرعية .. ومنذ هذه اللحظة كل إنسان فى البوليس والأمن المركزى . وغيره .. تحت أمر رئيس الدولة .

ثم حلف اليمين .

سامى شرف ذهب إليهم . اجتمعوا عند الفريق فوزى فى القيادة طلبوا من عبد اللطيف بلطيه أن يكتب استقالته معهم . لم يكتب الأستقالة . ورطوا مشهور أحمد مشهور . إستدعوه . ولم يكن يدرى شيئا عن سير الأمور . وشاركهم فى الجلسة . ولكننى استدعيته بعد ذلك وقلت له : يا مشهور أنت فعلت كذا وكذا .. أرجو أن تسير فى الطريق الصحيح . وليس عندى شىء ضدك . وإننى أحذرك . فى حضورك معهم ..

استقر رأيهم فى ذلك الاجتماع على الاستقالة الجماعية .

كانت قد أذيعت استقالة شعراوى فى نشرة الساعة ٨,٣٠ مساء .

وفى الاجتماع طلبوا من الفريق فوزى أن يتدخل .وسعد زايد قال شوية دبابات تنهى الموضوع . ولكن فوزى قال لهم .. إنه لا يحكم على دبابة واحدة فى الجيش . إننى قائد عام .. ولكننى لو طلبت من أى أحد أن يتحرك مثل هذه الحركة التى تريدونها .. فإنه سيضرب فىّ أنا .. رجال الجيش يريدون إنهاء معركتهم .. معركة التحرير .. ولا يريدون معركة داخل البلد . وأنا فقط مستعد أن أقدم استقالتى معكم . وهذه هى استقالتى .

ثم أرسلوا لأشرف مروان .

وقبيل الساعة ١١ مساء بدقيقتين وأنا أجلس فى شرفة منزلى بالجيزة وبجوارى الراديو .. قيل لى إن أشرف يريد مقابلتى .

دخل ..

قبل ذلك كان ممدوح سالم قد أبلغنى بأن كل شىء تمام . وكذلك فعل الليثى ..

فى الساعة ٨,٣٠ حدثنى سامى شرف .. وأخذ يردد .. القرار صعب يا أفندم .. وبكى مرة أخرى فى التليفون .

قلت له : يا سامى انت أعصابك تعبانه .. خد لك أجازه عشان تستريح ..

وفى حوالى الساعة الحادية عشرة إلا دقيقتين دخل أشرف .

وكان هيكل قد حضر مرتعشا .. واتضح أنه أوصى زوجته على أولاده .. بعد أن سمع استقالة شعراوى فى الراديو . كانت حالته يرثى لها وهو يسير فى الشرفة ، ويهز رأسه يمينا وشمالا .

وطلبت منه أن يهدأ ويجلس .. وقلت له .. إيه وجع الدماغ ده كل شىء انتهى . والبلد سليمة . قعد . دخل أشرف مروان . وقدم لى استقالاتهم . وقال لى إنهم احتجزوه بحيث يصل قبيل الساعة ١١ وتكون الاستقالات قد أذيعت .. وقد بقى محمد فائق فى مكتبه بالإذاعة حتى أذيعت الاستقالات ثم انصرف وهو معهم فى الاستقالة . وهنا طلبت من فوزى سكرتيرى إبلاغ الاذاعة .. وفى الاستوديو .. أن يذاع بعد الاستقالات ، جملة واحدة ، وهى أن رئيس الجمهورية قبل هذه الاستقالات .

ثم اتصلت تليفونيا بممدوح سالم وطلبت منه أن يتحفظ على شعراوى وسامى ومحمد فائق وجميع من قدموا استقالاتهم .

سمع الليثى قائد الحرس الجمهورى الاستقالات من الراديو . وجد اسم سامى شرف من بينهم . فأسرع وتحفظ على سامى شرف ، قبل أن يتحفظ عليه ممدوح سالم . واتصل بى على الفور وقال : أنا سمعت كذا كذا .. وأنا أعطيت كلمة لسيادتك عن سامى .. وأنا تحفظت عليه ..

واحتياطيا جرى التحفظ أيضا على على صبرى .

وفى ذلك اليوم .. وقبل أن أسمع باقى الأشرطة .. كنت منخدعا مثل عبد الناصر . كنت أتصور أنهم بعيدون عن على صبرى .. ولكن .. اتضح أنهم فرقة واحدة .

ثم جاء لى محمود رياض . وكان فى حالة انهيار تام .. وخاصة بالنسبة للفريق فوزى .

وقد قلت له بكل وضوح : يا رياض لا تضيع وقتى .. إذ أردت الاستمرار فى عملك كان بها ..

وخلال ذلك اكتشفت أننى كنت قد طلبت احمد اسماعيل لكى أكلفه برياسة المخابرات . المهم أنه دخل وعظم وجلس .. وأنا لم أنتبه وعندما انتهى حديثى مع محمود رياض اكتشفت وجوده جالسا فى منتهى الهدوء . وكانت الساعة حوالى الواحدة صباحا . طلبت من فوزى سكرتيرى إعداد حرس جمهورى يذهب مع أحمد اسماعيل إلى إدارة المخابرات .

وانتهت العملية .

سرقة خزانة عبد الناصر

وسألت : الرئيس السادات عن قصة سرقة خزانة جمال عبد الناصر بعد وفاته .. وما هى حقيقتها ؟..

وقال الرئيس السادات :

حكاية الخزانة .. آه .. فى يوم وأنا قاعد فى الجيزة فى بيتى .. جاءت هدى عبد الناصر وقالت لى يا عمى ..

لا .. لازم أرجع لتواريخ سابقة حتى تفهم الحكاية .

فى عام ١٩٧٠ .. العام الذى مات فيه جمال عبد الناصر .. وفى هذا العام ، كنا نتبادل الزيارة يوميا . نصف الأسبوع هو عندى كل ليلة فى الهرم .. والنصف الثانى أنا عنده فى بيته فى منشية البكرى .

وذات يوم ، فوجئت به ينادى لى زوجته السيدة تحيه .. وكنا نجلس معا فى قاعة السينما . وبالمناسبة .. السينما كانت تحت ثم نقلت إلى أعلى حتى لا يستخدم المصعد أيضا . لأن حالته الصحية كانت لا تسمح .

كنا نتناول العشاء .. ونادى على زوجته . قال لى : يا أنور .. تحيه قدامك . الخزانة التى تحت فى مكتبى .. وانا أكلمك كنائب رئيس جمهورية .. فيها ٢٢٠ الف جنيه مصرى . وفيها ٨٠ ألف جنيه عملة أجنبية بعملات مختلفة . استرلينى . دولار . ماركات .. يا أنور .. يا تحيه .. أنا قلت لأنور ان هذه الفلوس ليست ملكى . إنها أموال الدولة . الخزانة لها مفتاحان يا أنور . مفتاح مع تحيه ولذلك طلبت حضورها أمامك . والمفتاح الثانى مع محمد أحمد . وغير المفتاحين هناك « الأرقام السرية » مع محمد أحمد . وبدون مفتاح تحيه لا يمكن فتح الخزانة .

وهنا أردت أن أخفف الموقف .. وقلت له .. ما هذا الكلام .. انت مش هتموت قبلى يا جمال .. وأنا أوصيك على عيالى .

ثم غادرتنا السيدة تحيه .

وهنا قال لى عبد الناصر : ولعلمك .. سامى شرف أيضا عنده مليون ونصف مليون جنيه . مصاريف سرية « محوشينها » فى الرياسة لكى تفهم الموضوع .. مصاريف رياسة الجمهورية تأتى من المخابرات التى لا تخضع لأى رقابة .

وبعد وفاة عبد الناصر .. جلست مع الأسرة . وقلت لهم .. أبوكم قال كذا وكذا .. والسيدة تحيه كانت موجودة .. وقالت نعم .. هذا حصل . وبناء على طلبهم فتحنا الخزانة بحضور الجميع . الزوجة والأولاد . فى الرف الأعلى كانت كل ورقة مكتوبة بخط عبد الناصر وهذا يعنى أنه لم يعط فرصة لأحد أن يطلع على ما كتب لأنه حرص أن يكتبه هو بخط يده . واذكر أنه لما كان يفتح الخزانة وأنا موجود كان يغطى على الأرقام السرية .. وكنت أنا أبتعد عن المكتب حتى لا أحرجه .

فتحنا الخزانة وجدناها على طريقة عبد الناصر مرتبة ومنظمة بشكل هندسى رائع .. نظرت إلى الخزانة وقلت لهم : يا أولادى أمام مامتكم أهى موجودة . فيه ٢٢٠ الف جنيه ملك الدولة .

وأمنت السيدة تحيه على كلامي .

ثم رأينا كراسات فيها مذكرات لعبد الناصر وفى أسفل الخزانة توجد أشرطة وأشياء أخرى موضوعة بترتيب .

قلت لهم : اسمعوا .. أنا فتحت الخزانة لأن هذه هى وصية والدكم وأنا المسئول عنها . وأنت يا هدى كنت تعملين سكرتيرة لوالدك . إبحثوا فى الورق المكتوب بخط يده . إذا وجدتم به شيئا خاصا بالدولة .. أرسلوه لى . وكل ما ترونه خاصا بالوالد احتفظوا به . وأنا مآمن يا بنتى . أما عن الفلوس فيجب أن نخرجها من الخزانة وتعطى لسامى شرف لأن هذه مصروفات سرية . وذلك حتى لا يقال إن عبد الناصر كان يحتفظ بأموال الدولة فى خزانته .. كما كان يفعل عبد الحكيم عامر .

وفى هذا الوقت كانت تجرى فى مكتب عبد الناصر ، عملية إصلاح . إعادة بياض . الخزانة كان مبنى فوقها حجرة المكتب . لأنها ضخمة وغير عادية . لقد أحضرت الخزانة ثم بنى عليها المكتب . وهى تأخذ مساحة حائط بالكامل . وكان العمال لا يزالون يكملون الإصلاح . وهنا دخل سامى شرف .

وهنا قلت : طيب يا هدى . إفرزى كل شىء بمعرفتك .. وأرسلى لى ما ترين إرساله إذا كان خاصا بالدولة . واحتفظى بالأشياء الخاصة . والفلوس احتفظى بها وسأعطيها أنا لسامى .

- طيب يا عمى .

وانصرفت .

وفى يوم ـــ كما ابتدأت معك الرواية ـــ جاءت لى هدى فى الجيزه .. وقالت لى : أريد أن أبلغ النائب العام ..

- ليه يا بنتى ..

قالت .. انت شفت الخزانة معانا ، وكل شىء قد ثبت . ولما فتحتها بعد ذلك لفرز الاوراق وجدت كل شىء « ملخبط » .. وقفلت الخزانة على الفور . وقلت أبلغك لكى تتخذ قرارك مع النائب العام .. لأن العملية فيها شىء غير مفهوم . وواضح أن الخزانة فتحت .

وهنا ارتديت ملابسى على الفور وذهبت مع هدى إلى منشية البكرى .

تعالى يا سامى .. تعالى يا تحيه .. فتحنا الخزانة .. سألتنى هدى : هل هذه هى الخزانة التى رأيتها معنا يا عمى ؟ قلت : لا آسف .. حصل لعب فيها مائة فى المائة . وقفلنا الخزانة .

وتوجهت إلى الصالون ومعى هدى .

قالت إنها تريد إبلاغ النائب العام .

قلت لها : إسمعى يا بنتى .. لا تفضحى أبوك . هذه الخزانة سلمها لى والدك . وأبلغنى أمام والدتك أن بها ٢٢٠ ألف جنيه و ٨٠ ألف عمله صعبه .. والسؤال سيثور .. طيب بتوع مين دول ؟.. لا يا بنتى .. البلاغ للنائب العام لا يكون منك .. ولكن منى أنا كرئيس جمهورية . هذه خزانة الدولة وأنا أشعر أنه حدث فيها تلاعب .

ووافقت هدى .

واستدعيت النائب العام على نور الدين (وهو خاضع لشعراوى .. وسامى) .. طلبت منه أن يرفع البصمات ويجهز لى تحقيقا كاملا ..

وسألت : فيمن تشكّون يا أولاد ؟..

ومالت هدى على أذنى وقالت : أنا أشك فى سامى شرف شخصيا . لم يسمعها سامى .

قلت لها : إسمعى يا بنتى .. إحنا نترك النيابة تجرى تحقيقها السليم .

دخل على نور الدين . رفع البصمات . وأجرى التحقيق .

وفوجئت فى اليوم التالى ، بسامى شرف يحضر لى فى الجيزة وإذا به يقول لى : يا أفندم .. لعلم سيادتك ــ ويبدو أنه خاف من رفع البصمات ــ نسيت أن أذكر لك ، أننا لما كشفنا على الخزانة بحضور الأولاد .. وجدت الفلوس كما هى .. معنى هذا أن الذى فتح الخزانة لم يأخذ نقودا .. وأنه أخذ أوراق أو شرائط .. وهنا رأيت أن يكمل على نور الدين التحقيق ، مادام موضوع النقود لم يمس ، وهذا ما كان يهمنى لسمعة جمال عبد الناصر .

وفهمت بوضوح ، أن حضور سامى لى فى اليوم التالى ــ وكان شعراوى موجودا ــ كان معناه أنه قام بترتيب الخزانة . معنى هذا انه فتحها بعد ذلك .

سؤال : ولكن كيف فتح سامى شرف الخزانة إذا كان المفتاح مع السيدة تحيه والمفتاح الآخر مع محمد أحمد .. ولا يمكن الفتح إلا بالأرقام السرية ؟

السادات : الذى اشترى الخزانة هو حسن التهامى . وحسن رجل شريف . وهو الوحيد الذى استبقيته معى ، من كل طابور المنتفعين الذين كانوا فى الرياسة . ولعلمك حسن من خلية عبد الناصر الشخصية هو وكمال رفعت وحسن ابراهيم .

شمس بدران كان على صلة بعبد الناصر . ولكن الخلية كانت مكونة من تهامى وحسن ابراهيم وكمال رفعت . ولهذا كان كمال رفعت يعتبر نفسه رقم واحد .

حسن تهامى هو الذى اشترى الخزانة . وهو رجل دوغرى مثل حد السيف . وكان أجرأ شخص فى الضباط الأحرار . هو الذى تسلق مواسير منزل حسين سرى عامر . ودخل وضرب عليه وعاد إلى السيارة . ولما عرف أن الرصاص لم يصل إلى حسين سرى عامر ، عاد وتسلق المواسير مرة أخرى ودخل غرفة نومه ، رغم أن زوجته صرخت .. وحدثت زيطة ودربكة .. ثم عاد إلى السيارة من المواسير مرة أخرى . وأخذه عبد الناصر واختفيا بالسيارة . هذا هو حسن التهامى .

اشترى الخزانة . والخزانة لها طقمان كأى خزانة ، وخاصة إذا كانت بمثل هذه الضخامة . أتى حسن بالطقمين . تسلم منه سامى شرف الطقمين ، وقد كان مهيمنا على كل شىء وموضع ثقة عبد الناصر وقد سلم سامى « طاقم » واحد لعبد الناصر واحتفظ بالثانى . كيف فاتت هذه على عبد الناصر ؟ .. هذا ما حدث . واحتفظ سامى بالطاقم الآخر والكومبينيشن (الأرقام السرية) . عبد الناصر لم يسأل عن الطاقم الثانى ولم يكن يعرف . ومن الاحتياط ، أعطى مفتاحا لمحمد أحمد ومفتاحا للسيدة تحيه . حتى الـ « كومبينيشن » كان يضعه فى ظروف مغلقة .

هذا هو استنتاجي .

سؤال : ولماذا لم تطلب سيادتك من النائب العام أن يأخذ بصمات سامى شرف .. لكى تتضح الحقيقة ؟

السادات : هذا حدث بعد موت عبد الناصر بأقل من أربعين يوما . وكنت أدرك أن هناك صراعا مقبلا .. وكان يهمنى أن أصل إلى كل تفاصيل الموقف .. حتى أكون مستعدا للصراع . ثم أنا اخترت سامى شرف وزيرا لرياسة الجمهورية ، وأخرجت حسن التهامى ومحمد أحمد . ويوم أن أبلغت حسن التهامى بقرارى بإخراجه من الرياسة ، لم يتأثر على الإطلاق ورفض منصب وزير . وقال لى إن وجوده فيه حماية لظهرى . واخترت له منصب مستشار رئيس الجمهورية . وقال .. هذا يكفى . إنه رجل نظيف وملىء النفس . وكانوا يرتعدون منه ..

حصل .. عندما طلبت استدعاءه وكان الليل متأخرا .. أن قال لى سامى شرف : كيف تقابل هذا الرجل فى آخر الليل .. ده مجنون .. ده يمكن يقتل ..

وضحكت وقلت لسامى : عندما أخاف من لقاء أى إنسان .. فإننى أترك مكانى على الفور ..

المهم .. لم أطلب من النيابة أخذ بصمات سامى شرف .. حتى لا أعجل بأى صراع لم يحن وقته بعد . وكنت أستطيع أن أستند إلى شكوى هدى فيه .. ولكننى لم أفعل . كما أن الشكل سيكون سخيفا . قبل مرور أربعين يوما على وفاة عبد الناصر ، يتضح أن الشخص الذى كان موضع ثقته .. لص ..

لكل هذه الظروف ، طلبت من هدى ألا تعلن اتهامها لسامى شرف .. كما أننى لم أطلب من النائب أخذ بصمات سامى شرف .

هـــذه هى الحقيقة التى أذكرها للتاريخ .

بين السادات وعبد الناصر
خلال ربع قرن

وعاد السادات ليتحدث عن علاقته بجمال عبد الناصر وكيف تطور الأمر حتى أصبح نائبا لرئيس الجمهورية

قال السادات :

عبد الناصر له دين فى رقبتى . لقد تولى عبد الناصر أمر تنظيم الضباط الأحرار فى أواخر ١٩٤٢ أو أوائل ١٩٤٣ ، عندما اعتقلت . وكان فى التنظيم عبد المنعم عبد الرؤوف الذى انضم إلى الإخوان بعد ذلك ، وعبد اللطيف بغدادى وخالد محيى الدين من العناصر التى عملت معى فى التنظيم الأول . ثم حسن ابراهيم هؤلاء الاربعة أصبح ثلاثة منهم من التسعة أعضاء مجلس الثورة . واستبعد عبد المنعم الذى خرج من اللجنة التأسيسية بعد إنشائها فى ١٩٥١ .

ما هو دين عبد الناصر الذى فى رقبتى ؟

لقد خرجت من الجيش فى منتصف ١٩٤٢ . بقيت خارج الحلقة أو خارج الميدان فى اعتقال وهرب وسجن .. وكل هذا استغرق من منتصف ١٩٤٢ حتى ١٩٥٠ . عدت إلى الجيش فى ١٥ يناير ١٩٥٠ . لقد عدت ولا يعلم أحد شيئا عنى فى القوات المسلحة . سنوات طويلة ، دفعات جديدة .. والأمور تطورت . عبد الناصر طوال سبع سنوات ونصف وهو ينظم . لقد كان أستاذ التحركات فى كلية أركان حرب .. وعلم التحركات هو أعقد علم .. وكان يرسب فيه الضباط كثيرا مرة ومرتين وأربع مرات . هذا العلم هو عمل جدول مواعيد تحركات الجيش وتموين مختلف الأسلحة وضبط تحركات القوات البرية مع البحرية مع الجوية . علم معقد جدا . وأستاذ هذا العلم .. عبد الناصر .. لابد أن تكون له عقلية تنظيمية فذة . وخلال ذلك أنشأ عبد الناصر قاعدة جديدة فى التنظيم غير التى كنا نسير عليها . أنا كنت أعمل بانفعال وعاطفة . والأحداث كانت أكبر منا . فى سنة ١٩٣٩ قامت الحرب . فى ٤٠ سقطت فرنسا . بعدها سقطت بلجيكا فى يوم .. هولندا فى يوم . وارسو فى أسبوع . فرنسا ثلاثة أسابيع . ولم يكن لدى وقت لعمل تنظيم محكم .. كنت أريد أن أنتهز فرصة الأحداث لعمل أى شىء .. ولذلك فشلت أول ثورة فكرت فيها ونحن عائدون من مرسى مطروح عام ١٩٤٠ . عبد الناصر هو الذى بدأ بالعقلية التنظيمية . خلايا لا تعرف بعضها . وهو الذى يجتمع بكل خلية على حدة . وقد كانت لديه مميزات كبيرة وهو أستاذ فى الشئون الإدارية أو الميكنة الحربية أو كلية أركان حرب . كان ضابطا محترما جدا . ليس له أصدقاء ، ولكن له هيبة . ودائما يضع فاصلا بينه وبين الآخرين . وصداقاته قليلة . وله كلمة . وهكذا استطاع فى عام ١٩٥١ أن يكوّن الجمعية التأسيسية وهى رأس التنظيم .. أى أنه وصل بالتنظيم إلى أن يشكل له قيادة . فى كل هذه المراحل أنا بعيد عن الجيش وأجيال جديدة تدخل كل عام . الدفعة من ألف على الأقل .. أى سبعة آلاف على الأقل . ولذلك لم يكن لى مكان فى هذا الوضع الجديد . وكان من الممكن أن يخشانى عبد الناصر . كيف

يضع فى تنظيمه شخص له ماض سياسى وماض فى التنظيمات .. كان من الطبيعى أن يشك .. ورغم أن هذه طبيعة عبد الناصر . فإنه لم يشك . وأدخلنى قيادة التنظيم .

وأنا لم يكن لى أى مطلب .. قلت له : أنا معاكم وخلاص . ولم أسأل عن أى شىء . وعندما جاء وزارنى هو وعبد الحكيم . وطلب منى عدم التحرك أو القيام بأى نشاط . قال لى : أنت معروف لدى جهات الأمن وهم يتعقبونك الآن بعد عودتك للجيش . وقلت له : صح .

واستمررنا بعد ذلك فى لقاءات .. نتحدث عن الخطوط العامة للحركة . مثال ذلك أننا تناقشنا فى إحدى المرات .. هل تسبق الثورة عمليات تسخين .. أم لا . وقلت له رأيى . وكان رأيى عدم القيام بأى عمليات قبل الثورة والتركيز كله يكون على الثورة . مرة أخرى حدثنى عن صراعات فى اللجنة التأسيسية . سببها جمال سالم والبغدادى . وكان هناك اعتراض أن يأتى البغدادى بجمال سالم . وكان جمال سالم يتحدى دائما جمال عبد الناصر بل ويتطاول فى الكلام . وقد اضطررنا إلى قبوله ، لأن أى خطأ يرتكب ونحن تحت الأرض يمكن أن يكشفنا جميعا وينتهى كل شىء وخاصة أن ٦ أجهزة أمن فى الدولة كانت تتعقبنا .

لقد حاولوا مثلا أن يحرجوا جمال عبد الناصر واقترحوا القيام بعمليات اغتيال . وانتظر عبد الناصر عودتى من الاجازة وسألنى رأيى . والموضوع كان محل خلاف . فقلت له : يا جمال .. الجهد الذى يبذل فى عملية الاغتيالات .. مثل الجهد الذى يبذل فى الثورة . إذن نأخذ الأصح . ثم ما هى القيمة لو نجحت الاغتيالات .. أو لو فشلت .

الدين الذى لعبد الناصر فى رقبتى ، هو أولا أطلعنى على أن هناك تشكيل هيئة تأسيسية ، لو لم يقل لى ، لما عرفت . كما أنه ضمنى إلى الهيئة التأسيسية ولم يكن لى مطلب من هذا النوع . وكان يهمنى علاقتى معه . وهو القائم بكل شىء . وكنا نتقابل ونتشاور باستمرار .

وذات يوم قال لى عبد الناصر : يا أنور .. أنا عملت هيئة تأسيسية واخترت معى عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال حسين وهؤلاء كانوا معى فى حرب فلسطين . وأخذت ثلاثة من التنظيم القديم وهم بغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين . واقترحت إن أنت وعبد الرؤوف تدخلا معنا . وقال لى جمال أن عبد الرؤوف اعترض على دخولى .

وشكرت عبد الناصر . وقلت له .. أنا معك فى هيئة أو من غير هيئة.. المهم أن تقوم الثورة .. وأنا أثق فيك كأخ وصديق ووطنى مصرى . وكل نصيحتى يا جمال أن تعمل عملية متكاملة هذه المرة لا أنصاف عمليات ولا أنصاف حلول . واللى يعيش يعيش .. واللى يموت يموت . لأن الناس سوف تواجه « بهدلة » إذا أقدمنا على عملية جزئية وفشلت .

وبعد ذلك قررنا استبعاد عبد الرؤوف لأنه طلب أن ننضم إلى « الإخوان المسلمين » وكان له منطق فى ذلك . من يرعى عائلاتنا إذا حدث لنا شىء . وكان يقول هذا الكلام عن تجربة . لأنه عانى الأمرّين بالنسبة لأسرته بعد عملية عزيز المصرى . ولكننا رفضنا ذلك . وكما قلت لحسن البنا على انفراد .. وقال له جمال عبد الناصر أيضا .. إن التنظيم للبلد .. لمصر .. وليس لهيئة أو لحزب .

لن أنسى الدين لعبد الناصر .. وكان من حقه أن يتشكك .. إننى بحكم ماضى السياسى يمكن أن أضعف معه وأعمل انشقاقا فى الحركة .. ولكنه أخذ الموضوع على أساس المبدأ والقيم . وهذا شخص له كفاح .. لابد أن يأخذ مكانه فى الحركة الجديدة . وقلت لعبد الناصر : إلى أن أموت .. لك هذا الدين فى رقبتى .

سؤال : إذا كان هذا منطق عبد الناصر فما الذى جعله بعد ذلك يرفض أن تكون أمين الاتحاد الاشتراكى وتشكل له حزبا سياسيا بحكم خبرتك السياسية ؟ ..

السادات : هنا تدخلت وبمرور الوقت متاعب السلطة . والدسائس وحسد الزملاء .. وواقه .. وأنا أتحدث إليك بهذا الصفاء .. لم تعد السلطة تهمنى فى حياتى إطلاقا ولم تعد زينة الحياة لها قيمة . لا سلطة ولا غير سلطة . أنا دائما أقول لمن حولى : سيارة الفيات الصغيرة التى ركبناها سنة ١٩٣٩ .. ألا تقوم بمهمة التوصيل مثل الكاديلاك ؟.. دى بتوصل ودى بتوصل إيه الفرق ؟..

واقه ما عرفت فى حياتى ، أكله أطعم وأروع من شوربة العدس عندما ينتهى يوم العمل مع الصعايدة وأنا هارب وأعمل نفر مقاولات . كنا نعمل من طلوع الشمس حتى الغروب .. وكان ذلك فى الشتاء فى يناير . وفى آخر اليوم كنا نجتمع فى مطعم قذر فى قرية مزغونة على الطريق العام نقعد ونشرب شوربة العدس .. واقه فى حياتى ما عرفت أطعم منها .. تقولى ديك .. رومى ولا حفلات فى البيت الأبيض . ولا كفيار .. كله لا مذاق له أمام شوربة العدس هذه .. والحمد قه معدتى لم تعد تتقبل إلا أبسط الطعام ..

سؤال : إذا كان عبد الناصر بهذه القيم .. لماذا قبل إجراء التعذيب للمعتقلين .. بل وصل التعذيب إلى حد القتل ؟..

السادات : إننى أقول فى هذا أن العملية مرت بمراحل عديدة . فى مرحلة مجلس الثورة كان عبد الناصر بلا شك يحافظ على الصورة المثالية لرياسة بلد من أول المجلس حتى آخر وجوده .. وذلك برغم الصراعات التى حدثت وطفت على السطح عام ١٩٥٠ أى قبل أن ينتهى المجلس . وكان عبد الناصر يأخذ رأى زملائه .. رغم أنه كان له رأى مسبق دائما .. كان يستطيع أن يطوع المجلس لرأيه . وكان الموضوع يؤخذ عليه التصويت ، ويتم بالأغلبية .. وكانت مراكزالصراع محدودة ..

وفى إحدى المرات بغدادى وجمال سالم أضافا لهم صلاح سالم .. ولكن صلاح سالم كان إذا غضب يكشف كل شىء ، ويذهب إلى عبد الناصر ويروى له كل ما حدث . أما حسن إبراهيم فرغم دخوله فى بعض الصراعات ، إلا أنه كان رجلا بمعنى الكلمة . فى الوقت المناسب ينتهى كل شىء وينسى كل شىء ويقبل القرار عن طيب خاطر وليست له طبيعة سيئة على الاطلاق .

أنا شخصيا أعطيت صوتى لجمال عبد الناصر فى جيبه . لقد رأيت أنه رجل فى قمة الكفاءة . Efficent تام . يحضر ويعرف الموضوع بعد دراسة كاملة ، وتحليل مستفيض .. وتجدنا بعد مناقشات كانت تستمر ١٧ و ٢٠ ساعة ــ كنا شباب ــ نعود إلى الرأى الذى عرضه عبد الناصر فى أول الأمر . وهكذا قلت له : صوتى معك دائما ..

وقد حدث عندما أخرجنا محمد نجيب .. لم أكن موجودا عندما صدر قرار عودته . كنت فى منزلى وسمعت قرار مجلس الثورة بعودة نجيب . أصدر عبد الناصر القرار ولم يرجع لى لأنه يعلم أن صوتى معه . وحتى فى تشكيل الوزارات أو غير ذلك من القرارات .. لم أدخل معه فى نقاش أبدا . وكنت أتفرج على الصراعات بعد ذلك ، وأتألم . هذا الرجل هو الذى استمر عشر سنوات يعد للثورة .. وهو الذى كون الخلايا السرية . وهو الذى جمع الجمعية التأسيسية .. فلماذا الصراع ؟.. وأذكر للتاريخ انه حتى وقتنا هذا! لا أحد يعرف حقيقة أسماء أعضاء الخلايا السرية إلا عبد الناصر نفسه . وهناك ضباط كانوا معه فى الخلايا ، وهربوا ليلة الثورة .. وتخلوا ومع ذلك فإن عبد الناصر احتفظ بأسمائهم سراً . وهذه قيمة أخلاقية أذكرها لعبد الناصر . ثم كيف الصراع مع عبد الناصر ، وهو الذى استطاع أن يحول الهزيمة العسكرية فى معركة ٥٦ الى انتصار سياسى .. لا على مستوى مصر .. أو مستوى الأمة العربية بل على مستوى العالم كله ؟ .. صحيح أن هذا الانتصار العالمى أثر على شخصيته .. ولو .. ولكن هو صاحب هذا النصر .. فلماذا الصراع معه ؟ ..

وفى معركته مع خروشوف .. انتصر عبد الناصر . هو الذى انتصر وحده .. وكلهم كانوا متفرجين فلماذا الصراع معه ؟ .

صحيح أنه كان يريد أن يحكم بخطته وأسلوبه وفلسفته .. ولكنه صاحب الحق .

وإذا التمست لهم بعض العذر فى حياة عبد الناصر .. وأنهم كانوا مقيدين ، محرومين من إبداء الرأى .. ها أنت تراهم الآن ، أى قرار أتخذه ، لابد أن يهيلوا عليه التراب .. لماذا ؟ .. إن أبسط مواطن فى مصر يتمتع بالحرية الكاملة .. فماذا يضايقهم ؟ .. هى النفس البشرية . وهذا أمر من أسرار خلق الله . طبيعة بشرية ماذا أقول ..

أعود إلى موضوعنا فأقول .. إن الصراعات تطورت .. حتى أخذت شكل الصراع الخطير بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كما سبق أن رويت لك ..

لقد التف حول عبد الحكيم زبانية السوء . أفهموه أن عبد الناصر لا يستطيع أن يحكم من غيره . وأنه الإله المنزل للقوات المسلحة . وكما قلت لك لم يتخذ عبد الناصر قرار إبعاد عبد الحكيم عامر من القوات المسلحة .. وتردد فيه حتى وقعنا فى كارثة ٦٧ .

وأريد أن أقول .. إنه ربما عبد الناصر ـــ من غير عمليات الصراعات ضده ـــ كان يمكن أن يتخذ إجراءات أمن وإجراءات استثنائية أقل . ولكن هذه الصراعات ضاعفت من طبيعة الشك فى نفسه .. رغم انه لم يكن هناك ما يدعوه إلى الشك فى شعور البلد نحوه . يكفى أنه فى ٩ و ١٠ يونيو فى أمر لحظات الهزيمة البلد كلها طلعت له تطالبه بالبقاء . وها نحن رأينا جنازة عبد الناصر .. خمسه مليون شيعوه .

كما أن معاملة من حوله له .. التى وصلت إلى درجة التأليه وخاصة من هيكل .. وهو بشر .. ضاعف فيه الشعور بالذات . ثم إن هذه الصراعات أتاحت لعملية القرارات الفردية أن تنتقل الى كل المستويات بعد عبد الناصر .. والناس على دين ملوكهم . واكتشف المسئولون عن الأمن هذه الطبيعة فى عبد الناصر .. وأرادوا أن يسيطروا عليه .. جسموا له الأمور فأطلق يدهم .

ولا أعتقد أنهم كانوا يوصلون إليه عمليات التعذيب . ربما بعد ما تقع .. ويقنعونه أنهم اضطروا إليها لكى يعترف المتهم .. أو المعتقل .. إلى آخر مثل هذه المبررات .

ولكننى أقول للتاريخ أن عبد الناصر لم يأمر بقتل إنسان .

وهذه المرحلة استمرت من ٥٤ إلى ٦٥ .

ثم حصلت حكاية الإخوان الثانية .. وهذه اختارها شمس بدران مع عبد الحكيم عامر . وكان من الممكن أن تكون قضية مثل قضية الفنية العسكرية .. ويحاكم المسئولون عنها فقط . أنا لم أقبض فى قضية الفنية العسكرية على كل الاخوان المسلمين .. ولم أقل كل من لـه ذقن اعتقلوه .. لقد اعتقلنا من جاء ذكرهم فى التحقيق . وهناك اسماء ورد ذكرها وحقق معها بكل الاحترام وبكل سيادة القانون وخرجت مثل الشيخ سيد سابق والشيخ الغزالى . خرجوا بكرامتهم وعادوا إلى وظائفهم .

عبد الحكيم عامر وشمس بدران وضعا عملية الاخوان .. لكى يصورا لعبد الناصر أنهم أنقذوه . وهذه أعتبرها فصلا من فصول صراع القوى . اعتقلوا الآلاف . ضرب . تعذيب . وهناك من مات ، ولم أعرف بهذه القصص إلا مؤخرا . ولم أكن أعرف ــ واللّه ــ بصدق . وكل هذه العمليات تمت فى البوليس الحربى بجوار قشلاق عابدين . وهكذا وضعوا اللمسة الأخيرة فى العملية .. « إحنا أنقذناك من عملية كنت رايح فيها مائة فى المائة » . ثم حكم بالإعدام على سيد قطب وآخرين ..

لقد كنت عضوا فى محاكمة الإخوان عام ١٩٥٥ .. كنت عضو اليمين وهذا اعتداء بإطلاق النار على عبد الناصر . وقد ضبطت كمية مفرقعات كانت كافية لنسف مصر كلها ..

السؤال : الاخوان يقولون إن هذه المفرقعات كان يعرفها عبد الناصر قبل الثورة واستغلها ضدهم ..

السادات :لا .. كدابين . عبد الناصر اتصل بهم قبل الثورة ، وأعطاهم أسلحة ودربهم .. وكانت أسلحة بسيطة . أنا محتك بالاخوان وأعرفهم قبل الثورة . وتنظيمهم السرى فى عام ١٩٥٤ كان تنظيما رهيبا .. يكفى أن تصل قرارات التنظيم إلى تكليف عبد المنعم عبد الرؤوف بأن يحضر إلى مجلس الوزراء وحول وسطه حزام مفرقعات ينسف نفسه وينسف كل مجلس الوزراء .

خلاصة القول أن عبد الناصر بعد ١٩٦٥ وضع فى قبضة الصراع ولم يستطع الافلات .. ولكن الأجهزة كانت قد أخذت مداها ، فى امتهان الكرامات تحت بند الأمن والأمان . وشهادة لله أنا دخلت على عبد الناصر فى فبراير ١٩٦٧ فى حجرة مكتبه ووجدته واضعا رأسه بين يديه وهو يقول لى .. البلد يا أنور تحكمها عصابة . كان Concsious ولكنه كان عاجزا عن اتخاذ قرار مع عبد الحكيم وجماعته . كان عبد الناصر يعلم مدى ما وصلت اليه القوات المسلحة من تفكك وخاصة بعد حرب اليمن .. وكان مفروضا أن تكون هذه الحرب لتدريب القوات المسلحة .. وتحولت إلى شراء ثلاجات وجمع ذهب وكلام فارغ ..

أقول مرة أخرى .. كل هذه العوامل .. الصراع .. والعوامل الشخصية .. واستغلال نقطة الأمن أدت إلى ذلك الوضع .. كثرة الاعتقالات .. ثم وقائع التعذيب .

وإذا كنت تشير إلى ما ذكره مصطفى أمين عن تعذيبه . رأيى أنه مبالغ فيه . وإذا كان صحيحا ، فإننى متأكد أن عبد الناصر لم يستأذن فى تعذيب مصطفى أمين .. وعلى كل فإن قضية مصطفى أمين كانت جزءا من مواجهة عبد الناصر مع الأمريكان . وأنا شخصيا مقتنع أن دور مصطفى أمين كان مثل دور هيكل مع الأمريكان .. وهيكل أكثر وأنا حاضر عمليات كثيرة .. مثلا عندما خطب عبد الناصر وقال للأمريكان إذا ما كنش عاجبكم اشربوا من البحر الأحمر والبحر الابيض . الامريكان اتصلوا بهيكل .. وكان هو صلة الوصل .. وعبد الناصر قال له إلحق يا هيكل روح صالحهم . وطلب من عبد الحكيم أن يذهب مع هيكـل لمصالحـة السـفير الامريكى وكان السفير يستعد للسفر . وعبد الحكيم أصر على ذهابى معهم . وذهبنا إلى منزل هيكل واستمررنا إلى ساعة متأخرة من الليل لاسترضاء السفير الامريكى ..

ولى كلمة أخيرة فى موضوع الإجراءات الاستثنائية والتعذيب .. كلمة شاملة .. إن نظام الحكم بالشكل الذى كان به كان يسمح بمثل هذه الاجراءات . نظام الحكم بوضعيته هذه كان يسمح بهذه الإفرازات .

هذا حكمى الشامل .

هل كان لعبد الناصر اموال فى الخارج ؟

سؤال : وما هى حقيقة أن جمال عبد الناصر أودع مبالغ كبيرة فى الخارج . بحجة أن تستخدم فى حماية النظام إذا تعرض النظام لانهيار واضطر عبد الناصر للسفر إلى الخارج ؟..

السادات : لو كان هذا حقيقيا لأبلغنى به جمال عبد الناصر .. لقد أبلغنى أمام زوجته بواقعة الأموال التى فى خزانته والأموال الموجودة لدى سامى شرف . إننى أشهد بذلك أمام الله .

ولكن يمكن أن مثل هذه الاقوال تسربت بسبب وجود المليون جنيـه فى مكتب سامى شرف . وقد علمت بعد ذلك أنه كان مفروضا أن توزع هذه الأموال على شقق كانت مؤجرة فى القاهرة وذلك حتى يمكن الصرف منها فى حالة حدوث شىء . وهذه الشقق كانت مستأجرة لرقابة مداخل القاهرة إذا ما حدثت حركة فى الجيش ودخل القاهرة . ورأيى أن عبد الناصر لم يكن محتاجا لهذا على الإطلاق ولكن عبد الناصر وضع هذه الخطة لتأمين القاهرة . وكان يقوم بتنفيذ ذلك النائب احمد شهيب .. ولكن فلوس خارج مصر .. لا .

ان فكرة التأمين سيطرت على عبد الناصر بواسطة رجال الأمن لدرجة أنهم حبسوه فى منزله .. وكان عبد الناصر يركب بجوار السائق عندما يزورنى فى الهرم .. هذه المسافة من مصر الجديدة إلى الهرم كان « يشم نفسه » فيها .. لقد أحاطوه بفكرة مستمرة وهى أن حياته فى خطر .. وأولاده فى خطر أيضا . وكان ابنه خالد يجلس فى مدرج كلية الهندسة ووراءه مخبر .

سؤال من الروس لعبد الناصر :
من سيخلفك ؟

سؤال : كيف تطور مرض جمال عبد الناصر .

السادات :بدأت الأزمة الصحية الخطيرة فى سبتمبر ١٩٦٩ وجاءته أزمة القلب بـآلام بالغة . وكان عبد الناصر لا يحب أن يظهر ألمه لأحد حتى لزوجته وأولاده . وكنت أجلس معه فى غرفة نومه ، ونقفل الباب حتى لا يتألم أمام أحد . وكان يتحدى نفسه ويذهب إلى الاجتماعات العامة للخطابة . وكان يسير بصعوبة . وكان يشعر بالآلام ولكنه بمجرد أن يبدأ خطابه وتلتحم مشاعره مع الجماهير ينسى كل شىء .. ويخطب كأنه معافى مائة فى المائة . ثم يعود إلى منزله ويقفل عليه حجرة نومه . ثم سافر إلى الاتحاد السوفيتى فى سخالو طوبو .. وهناك أفادته المياه المعدنية التى تذيب الملح حول الأعصاب .. وعاد بكامل صحته .. وفوجئت به يوما فى استراحة المعمورة يمشى بخطوة الأوزة المشهورة .. وكان سعيدا بذلك .. بدأ يمارس رياضة التنس ٤٥ دقيقة يوميا بعد حالة العجز الكامل ولكن هذا أثر على القلب . فاستدعيت الاخصائى الروسى الدكتور شخلوف وجاء بالطائرة . وقال لى إن عبد الناصر يمكن أن يتغلب على الأزمة . ولكنه أمر بمنع التدخين فى حضور عبد الناصر . ونفذت أنا ذلك . ولكن شخلوف حذرنى من خطورة المرض . ويبدو أنه أبلغ بذلك على صبرى وسامى وشعراوى . ولذلك أدهشنى أنه بدأ هجوم على عبد الناصر فى بعض اجتماعات الاتحاد الاشتراكى وهو مريض ! وكأنهم يعدون العدة لمن يخلفه .. وذلك لأن تقدير الطبيب الروسى أن أكثر مدة لمريض بعد هذه الأزمة إذا لم ينفـذ التعليمات الطبية بدقة متناهية هى سنة ..

وكنت قد سافرت مع جمال عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٦٨ .. فى هذه المرة أقاموا استقبالا رسميا ضخما وجاملوا عبد الناصر كثيرا .. وإذا بهم على المائدة الرئيسية التى جلس إليها زعماء السوفييت الثلاثة يسألون عبد الناصر من سيكون بعدك ؟ فقال لهم أنور السادات .. وهنا ضحكوا وطلبوا منه أن يشرب فودكا فاعتذر . فقالوا : إذن السادات يشرب نصيبك ما دام هو بعدك . وفى وسط الضحك أيضا .. سألوا ومن بعد السادات .. قال عبد الناصر : على صبرى .

خروشوف .. سبب مرض عبد الناصر

سؤال : ولكن كيف بدأ مرض السكر مع عبد الناصر ؟ ..

السادات : كان ذلك فى عام ١٩٥٨ . وكان عبد الناصر فى زيارة يوغسلافيا .. وخلال عودته من الزيارة قامت ثورة العراق (فى يوليو) .. فقطع الرحلة وهو فى عرض البحر وتوجه

إلى موسكو فى زيارة سرية ومكث مع خروشوف فى مناقشة استمرت ١٦ ساعة ، لكى يعلن الإتحاد السوفيتى تقديم معونة لثورة العراق . ولكن خروشوف رفض بإصرار .. رغم كل محاولات عبد الناصر إقناعه بأنها ثورة ضد الإستعمار والأحلاف .. وكنا فى ذلك الوقت وحدة مع سوريا .. وكانت صدمة قاصمة لعبد الناصر .. بدأ بعدها مرض السكر . وإن كان عبد الناصر أعلن بعد عودته إلى دمشق أن الإتحاد السوفيتى يؤيد الثورة ..

ومرض السكر خطير جدا وبسيط جدا فى نفس الوقت .. المهم أن يكون تحت الرقابة بحيث لا تزيد نسبة السكر عن ٤ وحدات فى الألف وبحقن الأنسولين لكى يقوم بوظيفة البنكرياس الكاملة .. وكان عبد الناصر يحلل يوميا مرتين وثلاث مرات . وفى كل مكان يحل به ، كانوا يضعون له زجاجة لأخذ عينة وتحليلها . والذى يؤثر فى السكر أكثر من الطعام .. هو الحالة العصبية ..

وكانت قمة مأساته الشخصية فى ٥ يونيو .

وكان يستمع إلى الراديو ويبكى . والغريب أنه كان يستمع إلى كل الإذاعات الشامتة التى تؤلمه وتثير غيظه . والعواصم العربية شامتة .. والقصص عن الجيش المصرى الذى عاد جنوده إلى مصر حفاة ...

هنا ارتفع السكر ارتفاعا خطيرا .. وزادت كمية الأنسولين التى كان يتعاطاها .. وأذكر أنى فى أغسطس ٦٧ رأيت صفرة الموت على وجه عبد الناصر . كنا فى رأس التين وكان يزورنا تيتو .. رأيت صفرة الموت كما رأيتها على وجه أمى وصهرى .. والاثنان ماتا أمامى . وبدأ يعانى الآلام المبرحة .. لأن مرض السكر يكون أملاحاً بين العصب والشريان .. وأى حركة تسبب آلاما فى الجسم كله أربعة وعشرون ساعة والآلام المستمرة .. وكأن السكاكين تمزق جسده .

ومن هنا جاءت أزمة القلب .. لأن السكر يخرب الجسم داخليا وعرف الروس حقيقة حالته الصحية .. وكانوا يعدون لمن يخلفه « على صبرى » .. ولذلك فإننى أعتقد أن الروس وهم يعلمون بمرض عبد الناصر كانوا مخططين لمن يخلف عبد الناصر وطبعا أنا لا أرضيهم .

سؤال : ولكن عبد الناصر اصطدم بالروس كثيرا .. وسيادتك أيضا .

السادات : هذا صحيح . كان أول اصطدام فى عام ١٩٥٩ . كان عبد الناصر فى سوريا .. وهاجم خروشوف الوحدة .. لأنهم ضد الوحدة وتصدى عبد الناصر لهذا الهجوم .. وأرسلنى إلى القاهرة ــ وكنت أمين الإتحاد القومى ــ وألقيت عدة خطب ــ ومن الإسكندرية إلى أسوان ــ هجوما على السوفييت وعلى خروشوف بالذات ..

وكان هذا أول صدام لى مع الروس .

الصدام الثانى كان فى عام ١٩٦٠ عندما ذهبت على رأس وفد برلمانى (يمثل مصر وسوريا) .. وعندما قابلنا خروشوف ، هاجم الإشتراكية فى مصر ــ بدون مناسبة ــ وقال .. الإشتراكية فى الإتحاد السوفيتى هى « الكباب » .. أما الإشتراكية عندكم فهى عيش حاف . كلام فارغ . وقد رددت عليه بأسلوب مهذب وأبلغت عبد الناصر وعندما عدت أعلنت بيانا ضد الإتحاد السوفيتى .. ونقلت وكالات الأنباء هذا البيان وأذيع من محطات أوربا الحرة باللغة الروسية وجن جنون خروشوف ..

وحتى عندما تحسنت العلاقات .. وجاء خروشوف لزيارة مصر فى عام ١٩٦٤ ، قدم لى هدية عبارة عن بندقية . وأهدى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم وعلى صبرى كل واحد منهم سيارة .. ثم أعطى نيشان لينين لعبد الناصر وعبد الحكيم .. وكانت هذه أول مرة يهدى فيها نيشان لينين خارج الإتحاد السوفيتى .. وبعدها أعطوه لبن بيلا . ويظهر أنه نيشان شؤم .

وزرت بعد ذلك الإتحاد السوفيتى فى عام ١٩٦٧ .. وأظهروا لى مودة .

سؤال : ولكننى سألت مراد غالب عن أثر زيارتك .. وقال لى أن الروس يرتاحون للتعامل مع على صبرى .

السادات : هذا طبيعى . .

خلافات السادات مع عبد الناصر

سؤال : هل اختلفت مع عبدالناصر ؟

السادات : من جانبى لم أختلف أبدا . ولكن كان فى بعض الأحيان تصله عنى أقوال كاذبة ، رغم بعدى تماما عن الصراعات فكان لا يتصل بى . وكنت أتركه . ولا أحاول الاتصال به على الإطلاق ثم فجأة يتصل بى ويسألنى عن سبب اختفائى . فكنت أرد عليه بأنى أقدر مشاغله .. ونعود كما كنا .. ولا نثير أى موضوع خلاف . وكما قلت .. كنت دائما أحمل له دينا فى رقبتى .. بعد أن أدخلنى الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار . وكان يمكن ألا يفعل هذا . وهو الذى طلب منى إعلان بيان الثورة فى الإذاعة .. وهو الذى طلب منى الذهاب إلى الإسكندرية بعد إعلان الثورة واتخاذ إجراءات تنازل الملك عن العرش .. وهو الذى طلب منى الذهاب إلى على ماهر بعد نجاح الثورة وتكليفه بتأليف الوزارة .. ويبدو أن هذا أثار حفيظة بعض زملائى من أعضاء مجلس الثورة .. رغم أنى كنت أفعله بحسن نية ..

وفى أحد الاجتماعات الأولى للثورة اشتد الحوار بينى وبين عبد الناصر فقال لى إنك تتحدث وكأنك رئيس المجلس .. وبعد ذلك تفهمت شخصيته وتفهم شخصيتى ولم أطلب أى منصب رسمى . وعندما رشح عبد اللطيف بغدادى رئيسا لمجلس الأمة قبلت دون تردد أن أكون وكيل المجلس .. ولم أجد فى ذلك أى حرج لأن المناصب لا تهمنى .. وعندما رشحنى عبد الناصر بعد ذلك رئيسا لمجلس الأمة ، أصدر قرارا بتعيينى نائبا لرئيس الجمهورية رغم أننى كنت سأتولى رياسة المجلس فى اليوم التالى .. أى نائب ليوم واحد .. وسألته لماذا ؟ .. فقال لى حتى لا تكون فى الترتيب بعد زملائك أعضاء المجلس .. وقيل لى إن عبد الناصر وقد كان من المتأثرين بعلم الأرواح .. سمع فى إحدى جلسات تحضير الأرواح أن الذى سيخلفه هو أنور السادات .. وربما اقتنع بهذا .. واقتنع بأننى لن أخلفه إلا بانقلاب .. ولعل ذلك أثر فيه من ناحية تأخير تعيينى نائبا لرئيس الجمهورية .. واستمر ذلك حتى سبعة أشهر فقط قبل وفاته .. وفى هذه الأشهر السبع الأخيرة لم نكن نفترق ليل نهار ..

وقد حدثت واقعتان فقط من ناحية المناصب لم أقصدهما ..

الواقعة الأولى ، عندما اقترحت عليه أن أتولى رياسة الاتحاد الإشتراكى لتحويله إلى حزب سياسى .. وكنت مخلصا فى هذا الإقتراح لسابق خبرتى فى الشارع السياسى .. ولكنه تجاهل اقتراحى ، وقال لى .. لماذا لا تذهب إلى بور سعيد لتستريح مع أسرتك بعض الوقت .. وفعلا سافرت فى نفس اليوم على أول طائرة إلى بور سعيد ولم أفتح هذا الموضوع معه أبدا .. ومرة ثانية .. بعد الهزيمة .. طلبت منه أن يطلق يدى فى الجهاز التنفيذى لمدة ٦ أشهر فقط .. وكنت قد درست الوضع الداخلى ورأيت أنه من الممكن إصدار قرارات شعبية تنفيذية هامة تصلح الأوضاع .. بعد أن اجتمعت بالوزراء فرادى وعلى هيئة مؤتمرات صغيرة .. وتقبل الفكرة فى أول الأمر ولكنه قال لى .. نرجىء ذلك إلى ما بعد إزالة العدوان ..

ولا أذكر أننى اختلفت معه بسبب ذلك على الإطلاق ..

سؤال : ماهو أخطر حوار جرى بينك وبين عبد الناصر ؟ .

السادات : أخطر حوار جرى فى شارع الهرم .. وكنا نزور المرحوم جمال سالم فى المعادى . وكان مشلولا تماما إلا من رقبته ورأسه وكان فى قمة الوعى .. وتدفق فى حديث مع عبد الناصر كله صفاء .. صفاء الموت .. وانتقد كل أعضاء مجلس الثورة .. وقال لعبد الناصر .. البلد مصيرها خطير . ويجب أن يتركوا لك كل شىء . وخرجنا من هذه الزيارة إلى الهرم لكى نزور الدكتور محمود فوزى وقد كان مريضا .. وكان عبد الناصر مشتت الذهن فى خطوات المستقبل فقلت له .. ياجمال لاتتصور أنك ستحكم بعد موتك .. ودعك من ترتيبات الأشخاص .. حاول أن تقيم حكم البلد على قواعد .. وبعد ذلك اترك كل شىء لمشيئة الله .. الله أكبر منا جميعا ..

وكان عبد الناصر مرتاح النفس تماما .. لهذا الحديث الذى خرج من قلبى إلى قلبه .. لأننى كنت أشفق عليه من الحسابات المعقدة ثم من صدمته فى عبد الحكيم عامر الذى أعطاه مالا يعطيه أب لابنه وانتهى الأمر بالمؤامرة عليه من عبد الحكيم .. ثم انتحار عبد الحكيم .. وكان زكريا محيى الدين قد استقال .. ولم يبق إلا أنا وحسين الشافعى .. وكان معروفا أن البلد تكره على صبرى .. وكان عبد الناصر حائرا .. فقلت له .. وأعدت عليه القول .. لا تعمل حسابات وكأنك ستحكم بعد موتك .. أنا سأموت قبلك .. وأنا أوصيتك بأولادى أكثر من مرة .. فضع فى يقينك دائما أن هناك قوة أكبر هى التى تدبر .. هى قوة السماء .

***

لقد أردت من الإذاعة الكاملة لهذه التسجيلات التى عندى بصوت الرئيس السادات دون حذف منها فى هذا الكتاب عن أنور السادات لكى أخلص بالنتائج التالية عن شخصية أنور السادات :-

(١) واضح من رواية كل هذا التاريخ أن أنور السادات ، كان يتمتع بميزة الصبر الطويل ، والاحتمال والقدرة على التحكم فى أعصابه .. بدليل أنه أمضى هذا الوقت الطويل مع عبد الناصر فى قمة أزمات الصراعات .. حتى استطاع أخيراً أن يكون موضع ثقته الأولى .. وكانا فى الأشهر السبعة الأخيرة من حياة عبد الناصر لا يفترقان .

(٢) لا شك أن السادات كان يحب عبد الناصر .. وكان يرى فيه قائداً فذاً .. رغم علمه بعيوبه الشخصية وأهمها الشك .. والدوران حول الذات .. ولكنه لم يكن يأخذ من هذه العيوب ، ما يجعله يشعر بكراهية أو حقد نحو عبد الناصر حتى لو أساء معاملته .. بل كان يرى زعامة عبد الناصر أشمل وأكبر وأقوى .

(٣) هذا الحب .. أورث فى السادات شيئاً ربما لم يحس به السادات طوال حياته .. ولكنى أحسست به من لقاءاتى وأحاديثى مع أنور السادات . وهو أنه كان فى شخصيته ــ أى السادات ــ جزءاً مستتراً .. هو عبد الناصر . ولذلك ورغم دعوته إلى الديمقراطية وإيمانه بأنها الطريق الوحيد لاستقرار الحكم فى مصر .. فإنه عندما أراد أن يواجه المعارضة لجأ ــ ولو مضطراً ــ إلى أسلوب عبد الناصر وهو الاعتقال .. على الرغم من أنه كان مقرراً أنه اعتقال لفترة محدودة حتى يتم الانسحاب الاسرائيلى من سيناء . كما أن احتفاظ السادات بهيكل بجواره لسنوات .. فيه أيضاً جزء من شخصية عبد الناصر ولو أنه لم يستجب إلى هيكل فى أن يكون شريك قراره ، كما كان مع عبد الناصر .. وانتهى به الأمر بعد تجربة مريرة إلى استبعاد هيكل .

(٤) كان أنور السادات شخصاً عاطفياً فى أعماقه الإنسانية .. وكان لا يميل أبداً إلى الإيذاء . ولكنه كان دائماً واقعياً ، يتعامل مع حقائق الأحداث ، بلا عاطفة . وكان عنيداً . هناك جزئيات كثيرة كان يمكن أن يحسمها لولا صفة العناد التى لأزمتها صفة التحدى .. مثال ذلك مشكلات نادى القضاة .. ومشكلات نقابة الصحفيين .. وأزماته مع نقابة المحامين .

(٥) هناك مرحلة مشتركة فى حياة عبد الناصر والسادات .. وهو أن كلاً منهما تحول إلى شخصية عالمية . عبد الناصر بعد تأميم القناة وبعد أن نجح فى تحويل الهزيمة العسكرية فى ١٩٥٦ ، إلى نصر سياسى .. واستطاع أن يسقط إيدن من حكومة انجلترا وموليه من حكومة فرنسا .. واستطاع بمعونة الأمريكان أن يحقق الانسحاب من سيناء .. هنا تحول عبد الناصر إلى مرتبة الزعامة العالمية .

كذلك السادات .. بعد أن حقق انتصار أكتوبر .. ثم بعد أن حقق السلام ، برحلته التاريخية .. واتفاقات السلام .. ارتفع إلى مستوى عالمى وصل به إلى أن يكون قمة فى زعامات قرن كامل .. أى أن عالميته فاقت عالمية عبد الناصر ..

ولا شك أن هذه « العالمية » كان لها تأثير على كثير من قرارات وتصرفات وردود فعل الاثنين .. السادات وعبد الناصر .

(٦) استفاد أنور السادات من تجربة الصراعات التى نشأت حول عبد الناصر ..

ونجح فى أنها لم تتكرر إلا فى نطاق ضيق جدا .. دون أن تتكون حوله مراكز قوى .. إذا استثنينا وضع أشرف مروان الذى تحول فعلا إلى مركز قوة .. وكذلك وضع عثمان أحمد عثمان الذى كان أقرب صديق إلى السادات فى سنواته الأخيرة .. ولكن الفرق هنا أن السادات كان مقتنعا تماما أنه يستخدم أشرف فى أمور هى فى صالح مصر .. وأنه كان يستفيد من عثمان فى خلق رواج اقتصادى بمشروعات تنفذ فعلا .. وليست مشروعات على الورق .

(٧) إننى لم أتعرض فى الفصل السابق .. لعلاقة عبد الناصر بالشيوعيين والإخوان المسلمين .. ومعروف تاريخيا أن عبد الناصر كان يقول دائما : الحل فى يدى بالنسبة لهؤلاء قرار باعتقالهم فى ٢٤ ساعة . وكان رأى السادات « أن تجربته فى الشارع السياسى أثبتت له أنه لايمكن الثقة فى العمل السياسى بشيوعى أو بإخوانى .. مهما فعلت من أجلهم ، فإنهم فى أول مناسبة ينقضون عليك اذا استطاعوا ذلك » وهذه نص كلماته .

أريد أن أقول إنه لم يكن هناك أدنى فارق فى نظرة كل من عبد الناصر والسادات إلى الشيوعية والإخوان .

(٨) وهناك فرق جوهرى بين الاثنين فى النظرة الى الغير والتعامل معه . كان عبد الناصر يبدأ بالشك الشديد . ويستمر هذا الشك طويلا حتى يتحول إلى ثقة .. وهذه الثقة أيضا يمكن أن يهزها الشك . أما السادات فقد كان يبدأ فى علاقاته بالثقة الكاملة وعندما يتسرب الشك إلى نفسه .. يصبر بعض الوقت .. وحتى يتحول الشك إلى يقين .. فإنه لايتعامل مع ذات الشخص .

كما أن عبد الناصر كان يهتم بالأخبار الشخصية .. وكان مؤمنا بأن كل صاحب ثروة هو لص . ولذلك كان يشك فى أى شخص يسمع أنه كون ثروة .. وعلى نقيض ذلك كان أنور السادات . كانت لا تهمه الأخبار الشخصية .. وكان يريد النجاح المادى فى الحياة العامة .. لكل من يشتغل بالحياة العامة ولم يكن يحمل فى نفسه أى حقد على أى إنسان كون ثروة .. مادام لم يستخدم أساليب غير مشروعة . كان عبد الناصر يعتمد على التخويف . وكان السادات يعتمد على الترغيب فى العمل والنجاح .

الجــزء الخــامس

القضـــايا الخطيرة

التى واجههــا الســادات

الفصل الثالث عشر : قضية الديمقراطية ــ أحداث مايو ــ أحداث ١٨ و ١٩ يناير

الفصل الرابع عشر : قضية الحرب

الفصل الخامس عشر : شهادتان للتاريخ

الفصل السادس عشر : قضية السلام

الفصل الثالث عشر :

قضية الديمقراطية أحداث مايو - أحداث ١٨ و ١٩ يناير

قضية الديمقراطية ــ من ١٤ مايو إلى ١٨ و ١٩ يناير ــ دور سيد فهمي رئيس مباحث أمن الدولة الجديد ــ لقاء في التلفزيون ــ موقف السوفييت ضد الحرب ــ لقاء سيد فهمي والقيادات الماركسية بطلبة جامعة القاهرة ــ قرار السادات بالافراج الجماعي ــ الاوضاع الاجتماعية للطلبة هي التي توجه ميولهم السياسية ــ دور محافظ اسيوط ــ تنبه أجهزة الأمن للنشاط الديني في الجامعات ــ صراعات داخل حزب مصر ــ احداث ١٨ ، ١٩ يناير ــ معارضة في مجلس الوزراء لرفع الاسعار ــ الدكتور السايح يحذر من كارثة اقتصادية ــ قرار مفاجيء بالاضراب من سائقي التاكسي ــ سيد فهمي يبقى حتى الرابعة صباحاً ــ بدأت التحركات صباح ١٨ يناير ــ التعليمات : المحاكمة العسكرية لو هوجم أي موقع أمن ــ أسلوب الماركسيين في إرهاق رجال الأمن ــ العملية راحت خلاص لـ الاتصال بالسادات في اسوان ــ اجتماعات لمجلس الأمن القومي ــ السادات يرفض اعتقال الشيوعيين ــ فكرة الاستفتاء الشعبي ــ ندوة مع القيسوني ــ احتراق مخازن أخبار اليوم ــ سيارة مصفحة من الجيش تنقذ أخبار اليوم ــ اتهام الصحافة في اجتماعات الأمن القومي بأنها سبب الإثارة ــ اسماعيل فهمي يهاجم الإعلام ــ تحسين العلاقات مع موسكو ــ البرافدا تؤيد مظاهرات ١٨ و ١٩ يناير ــ الروس يخدعون اسماعيل فهمي ــ موقف صحافة روز اليوسف ــ السادات يفرق بين الماركسي المتصل بموسكو والماركسي الوطني ــ آمال السادات الديمقراطية بعد ١٥ مايو ــ حزب مصر أضعف ، محاور في ندوات التليفزيون ــ أزمة جمال العطيفي ــ خلاف السادات وممدوح سالم ــ خطاب أول مايو ١٩٧٩ ــ ضوابط للحريات السياسية نحو الجماعات الدينية ــ حسن أبو باشا يحذر ــ المد الشيوعي في الجامعات ــ أزمة هضبة الأهرام ــ السادات يقرر أخذ زمام المواجهة ــ فصل الشيخ عاشور من مجلس الشعب ــ تراجع حزب الوفد عن لوم الشيخ عاشور ــ كيف تدخل الجيش في أحداث يناير .

قضية الديمقراطية

أحداث مايو - أحداث ١٨ و ١٩ يناير

قبل أن أعرض لقضية الديمقراطية يجدر بى أن أستعرض الأوضاع الأمنية بداية بإجراءات القبض على مراكز القوى والأحداث الماسة بالأمن ، منذ ١٤ مايو ١٩٧١ .. حتى وقعت أحداث ١٨ و ١٩ يناير .. وكيف واجه حكم السادات كل ذلك .

١٤ مـايـــو

قرر أنور السادات حسم موضوع مراكز القوى . استعد فى صمت لكل احتمال . أعد خطة سرية مع قائد الحرس الجمهورى لتأمين القاهرة . كانت ساعة الصفر هى استماعه للأشرطة المسجلة التى تدين التآمر ثم القضاء تماما على المؤامرة . طلب السادات من سكرتيره فوزى عبد الحافظ أن يتصل بممدوح سالم محافظ الإسكندرية لكى يحضر مباشرة إلى منزل الرئيس بالجيزة دون أن يخطر أحدا . حضر ممدوح سالم شرح له السادات الموقف . أبلغه بقراره بتعيينه وزيرا للداخلية وترك له حرية الاختيار . قبل ممدوح سالم المسئولية . وقال إنه يساند الشرعية . أعلن السادات انتهاء الحكم البوليسى . قرر قفل المعتقلات والإفراج عن المسجونين السياسيين . ألغى كل الإجراءات الاستثنائية المقيدة للحريات . حرق أشرطة التجسس على حياة الناس ، أصدر الدستور الجديد الدائم الذى نص على أن جريمة التعذيب لا تسقط بالتقادم . ألغى الرقابة على الصحف .

ولكن كيف جرت الأحوال الأمنية فى البلاد منذ ١٤ مايو ١٩٧١ ؟ ..

بعد أن حلف ممدوح سالم اليمين الدستورية أمام الرئيس أنور السادات فى ١٤ مايو ١٩٧١ ، اتصل تليفونيا باللواء سيد فهمى مفتش المباحث العامة فى الإسكندرية ، وطلب إليه أن يحضر إلى القاهرة على الفور فى سيارة .. ثم قال له : « أرجوك أن تمر على منزلى ، وتأتى لى معك بعدد من البدل والملابس . »

وكان سيد فهمى قد سمع فى الراديو نبأ تعيين ممدوح سالم وزيرا للداخلية . وتربط الإثنين صداقة وثيقة غير علاقة العمل منذ عام ١٩٤٦ .. وكان ممدوح سالم رئيسا لمباحث الإسكندرية وكان مسئولا عن تأمين جمال عبد الناصر فى رحلاته الخارجية ، ثم عين محافظا لأسيوط بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ثم عين محافظا للإسكندرية بعد وفاة جمال عبد الناصر .

والإثنان يعملان بفلسفة مشتركة فيما يسميانه الأمن السياسى . وكان شعارهما فى العمل فى الإسكندرية .. الأمن السياسى قبل المواجهة السياسية .. وكانا يؤمنان بالاتصال المباشر بالناس ، والعمل على حل مشاكلهم .. ومناقشة أى شخص تحوم حوله شبهات سياسية ، وإقناعه ثم تحذيره .. وكانت المصالح الحكومية فى الإسكندرية على صلة بمباحث أمن الدولة للتشاور دائما فى حل مشاكل الأفراد والمجموعات .. وكان هناك اتصال مباشر بقيادات الطلبة فى الجامعات .. بل إن ممدوح سالم وسيد فهمى كانا يتدخلان لحل مشاكل أسرة جمال عبد الناصر وكان شقيقاه الليثى وعزّ العرب يقيمان فى الإسكندرية ..

ووصل سيد فهمى إلى القاهرة فى الحادية عشرة من المساء ، وقابل ممدوح سالم الذى قال له : أنت تتسلم من الآن مباحث أمن الدولة ..

وطلب إليه تنفيذ قرارات تحديد إقامة عدد من الأشخاص الذين كانوا يشكلون مراكز القوى .

واجتمع سيد فهمى بقيادات مباحث أمن الدولة .. وكانوا بالترتيب فى المسئولية .. اللواء حسن طلعت رئيس المباحث ثم اللواء زهدى ثم اللواء حسن أبو باشا .

وقال لهم .. إننا فى مباحث أمن الدولة جهاز (محترفين أمن سياسى لمصلحة مصر) .. لا ارتباط أبدا بأشخاص . ولن يمس أحد فى هذا الجهاز ..

ولكنه فوجىء بعد ذلك بتليفون من ممدوح سالم وزير الداخلية بأن أمرا قد صدر باعتقال حسن طلعت وزهدى .. وطلب منه إبلاغهما لكى يتوجها إلى كلية الشرطة .

واعتذر سيد فهمى عن عدم تنفيذ هذا الأمر لأنه يناقض تماما ما كان قد قاله فى الاجتماع الذى عقده .. وكان رد سيد فهمى : « هذا أمر لا أستطيع أن أنفذه . والعمل له تقاليده وقيمه .. وقسما بالله لو صممتم فإنى سأعود إلى الإسكندرية . »

وكلف ممدوح سالم شخصا آخر بتنفيذ الأمر .

وبعد منتصف الليل .. اتصل الرئيس السادات مباشرة بالرئيس الجديد لمباحث أمن الدولة .. وكان هذا أول اتصال .. وسأله عن رد الفعل فى الشارع .. وعن

الاستعداد لمواجهة أى تحرك فى الصباح التالى ، فقد كان يوم جمعه ، وكان يخشى حدوث أى تحرك فى الجوامع .. من خلال مراكز القوى .

وكان رد سيد فهمى على الرئيس السادات : إن الشعب متجاوب وسعيد ولا تقلق .. لا يوجد أى رد فعل فى الشارع ..

وكان هذا صحيحا ولم يحدث فى يوم الجمعة ما يكدر الأمن وخرجت مظاهرة صغيرة جدا من جامع يقع فى شارع الجمهورية وفضت المظاهرة فى دقائق .

وبدأ التفكير فى مصير الأشخاص الذين حددت إقامتهم . لم تكن هناك أى رقابة على تليفوناتهم . كما وصل إلى علم سيد فهمى أن كبير الخبراء الروس زار سامى شرف فى منزله .. كما أن الشرطة العسكرية ليست لديها أى تعليمات بالنسبة لما يجب أن يحدث بعد تحديد الإقامة .

وفى اليوم التالى اتصل الرئيس السادات للمرة الثانية بسيد فهمى .. وتقرر القبض على المحددة إقامتهم وإرسالهم إلى القلعة ، لكى يبدأ معهم تحقيق قانونى وسأله السادات : ماذا يكون رد الفعل فى تقديرك .. ؟

وأجاب سيد فهمى : لا شىء ..

وقال السادات : توكل على الله .. وابقى ادينى تمام .

وكان من رأى النائب العام محمد ماهر أن يعتبر خطاب الرئيس السادات عن المؤامرة بمثابة بلاغ إلى النيابة يوجب إجراء التحقيق القضائى ..

وفى صباح اليوم التالى اتصل سيد فهمى بالرئيس السادات .. وأبلغه « تمام » بلغة العسكريين .

واستعان التحقيق بعدد من ضباط مباحث أمن الدولة المشهود لهم بالكفاءة والذكاء والفهم السياسى وكانوا يعملون بمباحث الإسكندرية وكانت تعليمات سيد فهمى لهم .. تطبيق المبادىء التى أعلنها رئيس الدولة . إحترام حرية وآدمية من يحقق معهم . كل شىء يجرى بالحوار وبدون أدنى إهانة لأى أحد . وكان من رأى مراكز القوى الذين حقق معهم أن الموضوع كله هو صراع سلطة وليس مؤامرة لقلب نظام الحكم .. وقد ووجهوا جميعا بالأدلة المضبوطة ضدهم .. ثم جرت المحاكمة .

والتقى سيد فهمى بعد ذلك بأنور السادات فى دار التليفزيون حيث كان الرئيس يسجل خطابا .. وقال السادات له ولمن حوله : تريد أن نبدأ عهدا جديدا .. كفى أن الشعب ظل يعانى طويلا .. وأنا لا أرفع شعارات غير قابلة للتطبيق ..

وقال سيد فهمى : هذا يسعدنا يا سيادة الرئيس .. سنطبق الشعارات ، فى الشارع .. والناس مرتاحة .. وعندها أمل إيجابى فى مرحلة جديدة .

وقال السادات : طبقوا أسلوب الإسكندرية .. حل مشاكل الناس .. والحوار المستمر .

وجرى كل شىء هادئا ثم بدأت المتاعب ..

ظهرت الفيوم التى تحجب وضوح السياسة الخارجية .. أنور السادات يكرر أنه يستعد للمعركة وفى الوقت نفسه فإن الفريق صادق القائد العام للقوات المسلحة يخطب فى وحدات الجيش ويهاجم الإتحاد السوفيتى ويؤكد أنه من المستحيل أن نحارب ..

وكان التساؤل .. وإذا لم يوجد معنا السوفييت ــ فما هو البديل ؟

كما كانت كل أجهزة الإتحاد السوفيتى داخل مصر ، السرية والعلنية فى السفارة السوفيتية بالغة النشاط فى إشاعة جو عام بأن السادات لن يحارب لأنه لا يمكن أن ندخل فى تجربة حرب ثانية .. ومرت وفود سياسية سوفيتية على دور الصحف واجتمعت برؤساء التحرير وكانت كل مناقشات هذه الوفود أن الحرب لها أضرار ضخمة .. وأن روسيا واجهت هذه الأضرار الفادحة . وأن سبيل السلام هو السبيل الوحيد .. مهما طال الزمن .[1]

ولم يستطع السادات فى ذلك الوقت أن يحسم الموقف بسبب العقبات الضخمة التى وضعها السوفيت أمامه فى الإمداد بالأسلحة الحديثة سواء فى المواعيد أو فى كمية هذه الأسلحة .

كما كان السادات حريصا على عملية التمويه ، وكل ذلك .. استغلته العناصر الشيوعية فى جامعة القاهرة ، ونشط دور الطلبة الشيوعيين ، ووضح أن عددا منهم كان من أبناء رجال السياسة اليساريين ، مثلا ابنة خالد محيى الدين وابن أحمد حمروش ، وابن الدكتور إبراهيم سعد الدين ، كما نشط دور الطالبات بشراسة . واعتصمت الصحفية صافيناز كاظم فى جامعة عين شمس .

ونجحت التيارات الماركسية فى جذب عدد كبير من الطلبة .. وعقدوا اجتماعات اعتبروها مستمرة ليل نهار فى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة واستولوا على مكاتب رئيس الجامعة ووكيلها وكل جهازها الإدارى .. وكان يتزعم هذه الحركة طالب فى كلية

---

(١) حضر هذا الوفد للقائى فى أخبار اليوم مع خالد محيى الدين وعقدنا اجتماعا حضره عدد من المحررين . وكانت كل كلمات الوفد تعنى أننا لا نعرف ما هى الحرب .. ولابد من السلام والاتصال بالعناصر المطالبة بالسلام فى إسرائيل .

الإقتصاد اسمه أحمد عبد الله رزه ، يجيد الخطابة وله قدرة تأثيرية على مستمعيه .. وطلب إجراء انتخابات للجان تمثل الطلبة وإسقاط جميع الاتحادات الطلابية .. ثم أعلن طلب التفاوض مع الحكومة . وأرسل أحمد عبد الله رزه عددا من الطلبة والطالبات إلى منزل الرئيس السادات فى الجيزة طالبين مقابلة الرئيس .. وأحالهم مكتب الرئيس إلى وزارة الداخلية حيث استقبلهم سيد فهمى .. وبدأ يدخل معهم فى حوار منطقى عن مطالبهم ، وإذا بهم يتحدثون بأسلوب من هو قادر على الإستيلاء على السلطة .. وطلبوا تكوين جبهة وطنية تضم كل القوى (الأسلوب الشيوعى المعتاد) وإعلان الديمقراطية والحريات .. وقالوا إن السادات يعمل بيد مرتعشة لا تستطيع أن تحارب ..

ووجد سيد فهمى أن المناقشة غير مجدية .. وأن الأسلوب استفزازى .. وأنهم لم يحضروا إلا لكى يستعرضوا قوتهم .. وأخيرا فقد أعصابه وطردهم من مكتبه وطاردهم حتى نزلوا من سلم الوزارة ..

واستقر رأى السادات فى ذلك الوقت بالتشاور مع ممدوح سالم وزير الداخلية على إخراج الطلبة المعتصمين بالقوة من قاعة الاحتفالات (قاعة جمال عبد الناصر) .. ورأى ممدوح سالم أن قوات أمن الداخلية قادرة على هذه العملية .. دون الاستعانة بالشرطة العسكرية من القوات المسلحة .

وكان عدد المعتصمين يصل إلى حوالى الألف طالب وطالبة .. وكانت الخطة أن يحدث الاقتحام فى ساعة متأخرة من الليل .. والطلبة نيام .. وقد كانوا فعلا فى حالة إرهاق ..

وتم اعتقالهم جميعا ..

وهدأت الحالة . وقرر السادات الإفراج عنهم جميعا .. واتصل بسيد فهمى وسأله : هل تضيق لو قررت أنا الإفراج عنهم ..

ووافق سيد فهمى على الإفراج وأبلغ الرئيس أنه سيجتمع بهم مجموعات مجموعات ، للنقاش معهم ، وتوضيح كل الأمور لهم حتى لا يقعوا فريسة لأفكار خاطئة .. ولا يكونوا ضحية لأهواء سياسية ..

وامتدح السادات ذلك .. وبدأ سيد فهمى لقاءاته .. وكان اللقاء الواحد يستمر ست أو سبع ساعات .. وكثير من اللقاءات امتدت حتى الفجر وكان يبدأ معهم الحديث بكل صراحة ويقول : أعرف أن رصيدى لديكم من الثقة هو الصفر .. وأبدأ معكم من هذا الصفر ..

وانتهت اللقاءات مع الجميع ، وأفرج عن ألف طالب وطالبة ..

ولكن هذه اللقاءات أوضحت صورة جديدة لقيادات الأمن السياسى فى مصر .. وهى أن الأوضاع الاجتماعية لغالبية من الطلبة والطالبات تلعب الدور الأول فى ميولهم واتجاهاتهم السياسية .. كان التناقض الاجتماعى رهيبا بين الطلبة .. بعضهم يملك سيارات كبيرة وصغيرة ولا يرتدى إلا ملابس مستوردة ومن بيوت موضة فرنسية .. وبعضهم يرتدى حذاء بلا نعل .. وشرابا ممزقا .. وطالبات يرتدين تحت الفستان الرخيص بنطلون بيجامة .. وكان من بين المقبوض عليهم مثلا طالبة والدها يعمل « صولا » فى وزارة الداخلية .. وجرى حديث مع والدها لكى يكون مسئولا عن تصرفات ابنته .. واتضح أن له أربعة أبناء فى الجامعة وأنهم ينامون فى منزله على الأرض ..

وكتب سيد فهمى تقريرا بكل ذلك إلى الرئيس السادات . خلاصته .. أن الدور الاجتماعى يأتى أولا قبل الدور السياسى .

وبدأ التفكير فى أزمة الكتاب الجامعى وتهرب عديد من الأساتذة عن أداء دورهم الإنسانى مع الطلبة والطالبات .. وأن القرار يجب أن يترك لعميد الكلية لا لأى جهة أمن ..

وفى ذلك الوقت اقترح محمد عثمان (محافظ أسيوط بعد ذلك) التصدى للطلبة اليساريين بالعنف .. واستقطب مجموعة من الطلبة قاموا باعتداءات بالسكاكين .. وهنا بدأت تبرز الاتجاهات الدينية بين الطلبة واعترضت مباحث أمن الدولة على هذا الأسلوب . وسجل سيد فهمى اعتراضه أكثر من مرة .

وهنا يثور السؤال ..

كيف بدأت الاتجاهات الدينية تظهر بين شباب الجامعات ؟

لقد كان الاتجاه المسيطر حتى اعتصام الطلبة فى قاعة عبد الناصر .. هو الاتجاه اليسارى .. فكيف ظهر الاتجاه اليمينى ؟ ..

بدأت أجهزة الأمن تتنبه للاتجاهات الدينية عندما وقع فجأة وبغير مقدمات معلومة للأمن ، حادث الكلية الفنية العسكرية .

سمعت فى ساعة متأخرة من الليل طلقات نارية داخل الكلية الفنية العسكرية حدث اقتحام من الخارج . كانت الشرطة العسكرية تتولى الأمر تحت إشراف المخابرات الحربية .

تدخل أمن الداخلية فى متابعة الموقف وكان ممدوح سالم وسيد فهمى قريبين من الموقع فى ميدان العباسية . بدأت مباحث أمن الدولة على الفور تحصر أسماء أصحاب

الاتجاهات الدينية المتطرفة . برز اسم صالح سرية وهو فلسطيني يعمل في الجامعة العربية . تم ضبطه في منزله وكان يعد نفسه للسفر . كان هادئا جدا .

اعترف المقبوض عليهم من طلبة الفنية العسكرية بدور صالح سرية وأنه أمير الجماعة وأنه هو الذى نظم الاقتحام للحصول على سلاح .. ثم تجميع المقتحمين فى ميدان العباسية ، وكان فى يده « سندويتش » من الجبن . واحد منهم هرب وذهب إلى منزل السادات فى الجيزة للإبلاغ عنهم كان الاقتحام قد تم . توجه هذا الشاب إلى وزارة الداخلية . وكان له دور كبير فى كشف كل الحقائق . كانت الخطة هى التوجه فى مسيرة عسكرية إلى مجلس الوزراء واغتيال جميع المسئولين . وإعلان الحكم الإسلامى . وكانت الشعارات موجودة واللافتات والرايات معدة .. وهكذا استطاعت أجهزة الأمن أن تتيقن أن « حزب التحرير الإسلامى » الذى كان قد تكون فى الأردن ثم فى سوريا وبعض الدول العربية لم يمت ، كما كان متصورا .. وأنه بعث نشاطه من جديد .. وأن صالح سرية من قياداته الهامة ..

وتنبهت أجهزة الأمن للنشاط الدينى فى الجامعات .. وحذرت من استخدام الاتجاه الدينى لضرب الاتجاه الشيوعى ..

وفى الوقت نفسه برز نشاط مسيحى . اجتماعات . مطالب . وزار الأب متى المسكين سيد فهمى .. وحذر من ذلك . ولم يتخل الأب متى المسكين عن هذا الدور الإيجابى فى جميع مراحل أزمات الفتنة الطائفية . الكنيسة للعبادة لا لشئون الدين . وجرت لقاءات رسمية مع البابا شنودة .. لتهدئة الأجواء . وكانت قد وقعت مسيرة الخانكة من رجال الدين المسيحى ، بعد محاولة حرق المبنى الذى كان يستخدم ككنيسة .

وفى هذا الوقت أيضا زادت المطالب الفئوية ، وكان أسلوب أمن الداخلية هو التهدئة والحوار ، ولكن حتى ذلك الوقت لم تظهر جماعات دينية فى الجامعات بشكل واضح أو .. سافر كان كل ما يحدث أن عددا من الطلبة أطلقوا لحاهم ، أو أن يقف طالب فى المحاضرة ويطلب أداء الصلاة عندما يحين وقت الصلاة .. ولم تظهر أى صلة واضحة لجماعة الإخوان المسلمين بالنشاط الجامعى ..

وتقرر اختيار سيد فهمى وزيرا للداخلية فى أبريل ١٩٧٥ .. بعد أن عينه السادات نائبا لوزير الداخلية .. تقديرا لأسلوبه فى معالجة الأمن السياسى .

وجرت الانتخابات لمجلس الشعب فى عام ١٩٧٦ .. وأجمع المؤيدون والمعارضون أنها كانت فى عمومها حرة ونزيهة ..

ورأس ممدوح سالم حزب مصر .. وبدأت تحدث صراعات داخل الحزب مع ممدوح

سالم .. قادها محمود أبو وافية ، ومن ذلك أن ممدوح سالم رفض تعيين يوسف مكادى أمينا للحزب فى المنيا بعد سقوطه فى الانتخابات .

ويقول سيد فهمى إن الرئيس السادات كان وحتى ذلك الوقت يعتقد أن التيار الشيوعى هو التيار الخطر .. ولم يكن يرى خطورة التيار الدينى .. وجرى فى ذلك حديث بين الرئيس السادات وسيد فهمى .. وزير الداخلية . وكان سيد فهمى يرى العكس وله تجربة طويلة فى التعامل مع جماعة الإخوان عندما جنحت إلى الإرهاب .. وهو الذى أجرى القبض مع ممدوح سالم على « مالك » فى منزله بالإسكندرية وكان من قيادات الإرهاب .

وجاءت أحداث ١٨ و ١٩ يناير لكى تؤكد صدق نظرة السادات فى ذلك الوقت .. وهو أن الشيوعيين يشكلون خطرا حقيقيا على أمن البلاد .

١٨ و ١٩ ينـــاير

كان التشكيل الثانى لوزارة ممدوح سالم فى أبريل ١٩٧٥ .. الذى دخل فيه سيد فهمى وزيرا .

وكان خطاب رئيس الجمهورية بتكليف ممدوح سالم بالوزارة .. يتضمن أن تكون مسئولية الوزارة رفع المعاناة عن الجماهير وتثبيت الأسعار ومقاومة الفساد .

وفى إحدى جلسات مجلس الوزراء .. تحدث الدكتور القيسونى (رئيس ما سمى بالمجموعة الإقتصادية حينئذ) عن ضرورة رفع الدعم على بعض السلع استجابة لقرار من البنك الدولى بعدم إقراضنا ٢٠٠ مليون جنيه مالم يتم رفع الدعم .. وقال القيسونى أن المركب تميل الآن من الناحية الاقتصادية ويمكن أن تغرق وإنه لا مهرب من اتخاذ القرار .. وحدد القيسونى السلع ومنها سلع تموينية .

وفى جلسة أخرى ردد نفس الكلام وأضاف أن المشكلة أيضا مع الدول العربية التى قررت عدم دفع أية مساعدات إلا بعد استشارة خبراء من البنك الدولى .. وبدأ الوزراء يناقشون ، واعترضت الدكتورة عائشة راتب . وقال سيد فهمى إن الوزراة ألفت لكى تثبت الأسعار .. فكيف يفاجأ الناس بعد شهرين برفع الأسعار .. وقال إن هذا يؤثر على الوضع الأمنى ولم يتكلم ممدوح سالم رئيس الوزراء .

ثم أثير الموضوع فى جلسة ثالثة لمجلس الوزراء . ويقول سيد فهمى « شعرت بالقلق . وتوجهت الى مكتب ممدوح سالم رئيس الوزراء وصارحته بأننى أرى جوا غريبا

وخطرا .. وكيف يمكن أن نواجه الشعب بهذه القرارات ؟ » وأجابه ممدوح سالم : ألم تلاحظ أننى لم أتكلم !..

- ولماذا ؟..

- لأن القيسونى أقنع الرئيس بأنه لا مهرب من هذا القرار ..

ولم تنته المناقشة بينهما إلى شىء ..

وقد جرى كل ذلك بصفة سرية .. ولم تتسرب أخباره الى الصحف .. إلى أن التقيت مصادفة بممدوح سالم رئيس الوزراء ، فى فندق الميريديان على مائدة غداء أقيمت لتكريم وفد سودانى وقال لى ممدوح سالم رئيس الوزراء :

- نحن مضطرون لإعلان قرارات برفع بعض الأسعار .

قلت : متى ؟

قال : بعد أربعة أيام على الأكثر ..

وكان ذلك قبل أن يجلس المدعوون إلى مأدبة غداء .

وقلت لرئيس الوزراء :

- الوقت قصير جدا .. ويجب التمهيد فى الصحف لدواعى هذا القرار ..

قال :

- لامهرب .. رأى المجموعة الاقتصادية .. أنه ضرورة .. وقد اقتنع الرئيس السادات بذلك .

وقدرت صعوبة الموقف ، لأن الصحف كانت وعلى مدى أشهر طويلة تبشر بتثبيت الأسعار .

وعلمت بعد ذلك أن السادات قد عقد اجتماعا ، وتحدث فيه الدكتور السايح وزير الاقتصاد والاستثمارات حينئذ ، وقال إن رفع الأسعار إجراء لا مهرب منه .. وهو لازم اليوم قبل الغد .. وأى تأخير فى رفع الأسعار يمكن أن يعرضنا لكارثة اقتصادية ..

وقال السادات :

- إذا كان هذا الرأى الفنى .. وإذا كان التأخير يعرضنا لكارثة .. فإننى موافق .

ثم عقد ممدوح سالم اجتماعا للهيئة البرلمانية لحزب مصر . شرح لهم الموقف . وأوضح كل الظروف الاقتصادية المحيطة بقرار رفع أسعار بعض السلع ..

وكان ذلك يوم ١٢ ينــــاير .

وفى الساعة الثانية صباحا فوجىء سيد فهمى وزير الداخلية بمكالمة من أحمد رشدى مدير أمن القاهرة بأن سائقى وأصحاب التاكسيات قرروا الاضراب فى اليوم التالى طالبين رفع سعر البنديرة لأن سعر البنزين سوف يرتفع ..

- ومن قال لهم إن سعر البنزين سيرتفع ؟..

- سيادتك لم تسمع ؟.. إن رئيس الوزراء كان فى الاتحاد الاشتراكى مع الهيئة البرلمانية لحزب مصر وأبلغهم بالقرارات الاقتصادية وأنه سيعرضها على مجلس الشعب .

وانتهت المكالمة واتصل وزير الداخلية برئيس الوزراء الذى أبلغه بأنه سيعلن رفع الدعم فى اليوم التالى . ولما أبلغه بقرار سائقى التاكسيات وجاءت أنباء أيضا عن سيارات الأقاليم ، أصدر رئيس الوزراء قرارا برفع سعر البنديرة للتاكسى ورفع فئات عربات الأقاليم . وطلب من وزير الداخلية الاتصال بجميع المحافظين على الفور ليعلن ذلك فى لافتات كبيرة فى أماكن تجمع السيارات .

واستغرقت هذه المهمة حتى الرابعة صباحا .

وفى يوم ١٣ يناير كان ممدوح سالم رئيس الوزراء يعلن القرارات فى مجلس الشعب وإذا بأعضاء حزب مصر يهاجمون القرارات .. ويدافعون عن الشعب الكادح .. وفاجأ ذلك ممدوح سالم .. وفسره بأنهم يريدون أن يسجلوا هذا الموقف أمام دوائرهم الانتخابية مستنكرين موقف الحكومة .

واتفق رئيس الوزراء مع وزير الداخلية على اتخاذ احتياطات أمنية وعقد سيد فهمى اكثر من اجتماع واتصل بجميع مديرى الامن فى المحافظات ..

وخلال اجتماعه صباح ١٨ يناير بمجموعة من قيادات الأمن وصلت الأنباء بأن عمال مصانع حلوان يتحركون فى مسيرة بدأت فى الثامنة من الصباح متجهين إلى مجلس الشعب .. للاجتماع بأعضاء المجلس . وطبقا لأسلوب وزارة الداخلية تقرر ترك هذه المسيرة وعدم استخدام العنف .. أو وقف المواصلات .. خشية الاستفزاز وتحول المظاهرة إلى التخريب .. كما لوحظ أن عدد المتظاهرين كان كبيرا . وفى نفس الوقت تجمع طلبة فى جامعة عين شمس .. وجامعة القاهرة واتصل مدير أمن الاسكندرية وأبلغه بأن عمال الترسانة البحرية يتجمعون لعمل مسيرة فى المنشية .. وتوالت البلاغات من المنصورة وبور سعيد وغيرها كما حدثت تجمعات فى أسوان حيث كان الرئيس هناك يستعد لاستقبال المارشال تيتو رئيس يوغسلافيا .

وهكذا صح ما توقعه وزير الداخلية ..

وأصدر أوامره بمحاولة فض المسيرات دون التصادم مع الناس ، ودون إراقة اى دم .

أما أعضاء مجلس الشعب .. فقد تهربوا من مواجهة الموقف ولم يقابلوا أى مسيرة .

ويقول سيد فهمى : فى هذا الوقت ظهرت العناصر الماركسية فى الساحة لتركب الموجة .. وفجأة تنظمت الهتافات الواحدة فى كل مدن الجمهورية .. وبدأ التظاهر يتحول إلى شغب وتحطيم .. واتجهت التجمعات لمهاجمة مواقع السلطة .. مثل أقسام الشرطة والمطافىء .

وكانت تعليمات وزير الداخلية إلى المسئولين عن هذه المواقع : لو هوجم موقعك .. سأحاكمك عسكريا .

وقد هوجمت نقطة شريف ، فصدرت الأوامر بإطلاق النار .. لأن استيلاء أى تجمع على أى موقع أمن .. معناه انهيار السلطة تماما .

وبذلت الشرطة جهودا مستميتة لمنع المظاهرات .. وتشتيتها .. واستطاعت القيادات الماركسية (وهى محدودة تظهر وتختفى لتظهر فى مكان آخر) .. أن تستخدم أسلوبا معروفا لدى الماركسيين وهو إرهاق رجال الامن .. بمعنى أن المظاهرة تتفرق إلى شوارع عديدة جانبية وتختفى .. ثم تعود إلى الظهور مرة ثانية وهكذا طوال النهار ..

وكان النائب حسنى مبارك على اتصال مستمر بكل القيادات المسئولة .. وقد هاجمت المظاهرات الاستراحة المخصصة له فى الاسكندرية .. كما كان على اتصال مستمر بالرئيس السادات فى أسوان الذى قرر أن يحضر إلى القاهرة فى اليوم التالى .. ولكن قيادات الأمن بدأت تهتز .. وقال أحد كبار المسئولين عن الأمن فى القاهرة لوزير الداخلية .. « العملية راحت خلاص .. » .

وحل الليل .. وبدأت مناقشة فكرة الاستعانة بالقوات المسلحة بين رئيس الوزراء ووزير الداخلية .. وكانت هناك خشية أن ينضم أفراد من القوات المسلحة أو الشرطة إلى المتظاهرين ..

واتفق على أن يكون نزول القوات المسلحة محدودا جدا وأن تتمركز فى الميادين العامة حتى لا يحدث أى احتكاك .. مع إعلان حالة الطوارىء .

واتصل ممدوح سالم بالرئيس السادات فى أسوان الذى طلب من رئيس الوزراء .. الإعلان رسميا عن العدول عن قرارات رفع الأسعار ..

واستمرت مظاهرات ١٨ يناير حتى الساعة الثالثة من الصباح . وكانت قوات الأمن قد أنهكت تماما .. وتقررت لهم وجبة ساخنة فى مواقعهم على أن يستأنفوا عملهم فى الساعة الخامسة من الصباح ..

وكان سيد فهمى وزير الداخلية لا يزال عند رأيه أن يأخذ العملية بالنفس الطويل .. وأن يتحاشى إطلاق النار ..

واستمرت المظاهرة بحدة شديدة صباح يوم ١٩ يناير ..

وقلبت مظاهرة فى شارع صلاح سالم إحدى سيارات الجيش .. وتقرر نزول القوات المسلحة ..

أمكن فض جميع المظاهرات .. وكانت آخر مظاهرة فى حى زينهم فى الساعة التاسعة من المساء .

وأعطى وزير الداخلية التمام بعد فض هذه المظاهرة .

وعادت القاهرة إلى حالتها الطبيعية فى صباح ٢٠ يناير .

ودعا الرئيس السادات إلى اجتماعين لمجلس الأمن القومى الأول فى منزله بالجيزة ، والثانى باستراحة القناطر .

وشرح سيد فهمى الموقف كاملا .. وقال له الرئيس : معلهش يا سيد انت خدت حموة العملية كلها ..

وتحدث الفريق الجمصى .. وأثنى على دور الشرطة ..

وتحدث كمال حسن على رئيس المخابرات .

وكان كمال حسن على قد تقدم بتقرير إلى الرئيس السادات قبل أحداث يناير بحوالى الشهر .. يحذر فيه من تحركات شيوعية متوقعة يمكن أن تستثمر أى قرار مفاجىء .

وجرت اجتماعات بين المخابرات ومباحث أمن الدولة .. ونوقش التحرك الشيوعى المتوقع .. واستقر الرأى على ضرورة اتخاذ إجراءات وقائية باعتقال عدد من الشيوعيين ..

ورفع تقرير بذلك إلى الرئيس السادات .

ورفض السادات إجراء هذه الاعتقالات .. وفهم رجال المخابرات والداخلية أن هناك موقفا سياسيا مع الاتحاد السوفيتى ، يمنع اتخاذ هذا الإجراء .. وكان القرار « عدم ضرب الاتجاهات اليسارية » .. ولم تعرف قيادات الأمن السبب السياسى وراء ذلك .

وقد طلب السادات بيانا كاملا بتفصيلات الأحداث ، وبالهتافات فى المظاهرات ، ودرس الموقف من كل جوانبه ، وكان قراره أن الموضوع أعمق كثيرا من مظاهرات رفع الأسعار ، وأن مؤامرة كبرى كانت تدبر من القوى الشيوعية المحلية والخارجية ، وأن

الأمر يحتاج إلى علاج سياسى أيضا . ومن هنا نبتت فكرة الاستفتاء الشعبى لإصدار قوانين تضمن سلامة الاستقرار الداخلى .

وكان وزير الداخلية قد ألقى بيانا شاملا فى لجنة الامن القومى بمجلس الشعب ، وعرض الأمر بكل تفصيلاته ، وانتهى بتحليله السياسى بأنه مع الاعتراف بكل ما أدته ثورة ٢٣ يوليو للشعب .. فإنها لم تتبلور فى فكر سياسى محدد لمسيرة البلد . ويوم أن جرى التفكير فى تكوين كادرات سياسية .. لقنوا الشباب المبادىء الماركسية .

وعلق كمال الدين حسين على ذلك بقوله : مظبوط .. هذا كلام صحيح . ورد سيد فهمى : سيادتك مسئول ..

كمال الدين حسين : لست مسئولا .. أنا احتججت على ذلك .

وبعد أيام جرى تعديل وزارى وأخرج سيد فهمى وزير الداخلية .. وكان من الناحية السياسية هو كبش الفداء على حد تعبير رجال الأمن .

وكانت قد جرت محاولة إعلامية فى مساء ١٨ يناير للتخفيف من مشاعر الجماهير .. ودعى الدكتور عبد المنعم القيسونى الى ندوة تليفزيونية فى الساعة التاسعة والنصف مساء ، لكى يناقشه رؤساء تحرير الصحف فى هذه القرارات .. وجرت الندوة وأعلن فيها الدكتور القيسونى إلغاء رفع الأسعار عن عدد من السلع التى رأى الصحفيون أنها أساسية وشعبية مثل البوتاجاز .. ولكن هذه التصريحات الجديدة من الدكتور القيسونى لم تحدث أى أثر .

وقدم للندوة الإذاعى المعروف طاهر أبو زيد . وكانت كلماته ملتهبة .. وانتقد فيها مظاهر البذخ ، وحفلات الزواج فى الفنادق الكبرى .. واتهم بعد ذلك بأنه كان يحرض على الثورة . ولا أعتقد أن الاتهام صحيح ، لأن الرجل كان يتحدث بعواطفه .. ولكن الاتهام وجد له سندا من خلفيات سياسية كانت تحيط بإسم طاهر ابو زيد .

وعند انتهاء الندوة حوالى الساعة ١١ مساء أبلغنى أحد العاملين فى ستوديو التلفزيون بأنه علم بأن مبنى مؤسسة « أخبار اليوم » اشتعلت فيه النيران ! .. وأن المظاهرات تملأ شارع أبو العلا الموصل من مبنى التلفزيون الى مبنى أخبار اليوم .

وتركت السيارة .. وترجلت .. ووصلت إلى أخبار اليوم ، عن طريق « حوارى » جانبية .. وأدهشنى أن سكان المنطقة كلهم ساهرون .. وأن الصبية يملؤون هذه الحارات ..

كانت أخبار اليوم مظلمة ..

انقطع التيار الكهربائى ..

وعندما وصلت إلى الباب الخلفى للمطابع .. قال لى العمـال : كل شيء تمـام . لا تنزعج . النار فى مخازن الورق فقط ..

إن مخازن الورق مكشوفة بلا سقف . وهى تبعد عن « أخبـار اليوم » بحـوالى سبعمائه متر فقط .. وفى نفس الشارع ، على الناحية المقابلة ..

ووصلت الى مكتبى بفانوس كهربائى .. وفتحت النافذة التى تطل على المخازن ، ورأيت النار تشتعل .. ورأيت مئات الصبية الصغار الحفاة ، يقذفون « رولات الورق » بخرق ملتهبة ..

واتصلت برجال المطافىء . وعرفت أن سيارات المطافىء عاجزة عن الخروج من مبنى المطافىء الذى سدت أمامه الطريق بسيارات وأتوبسات وضعها المتظاهرون .. كما حاصروا قسم بوليس الموسكى بنفس الأسلوب ..

واستعنا بأجهزة الإطفاء المحدودة الموجودة فى المؤسسة ..

وكان علينا أن نصدر الجريدة .. وأن نتابع أخبار المظاهرات وأعمال التخريب .. وأن نعمل على وقف امتداد النيران من مخازن الورق الى مبنى المؤسسة ..

وصدر فى الصباح أسوأ عدد من صحيفة « الأخبار » . إن الحريق أربك العمل بالمؤسسة وانشغلت فى الاستعداد لمواجهة أية مظاهرات تتجه الى مبنى المؤسسة ، وكنا نتلقى أخبارا متناقضة علاوة على أن الكهرباء مقطوعة .

صدر عدد « الأخبار » خاليا من أى تغطية صحفية واجبة كما اعتادت « الأخبار » دائما فى الأحداث الكبرى .

كما أننا لم نكن نتوقع أن تتسع المظاهرات ، وأعمال التخريب ، بهذا الشكل المفزع الذى وصلت اليه فى اليوم التالى ١٩ يناير ..

وأمضيت ليلتى فى مكتبى ..

وكان وصول عدد كبير من المحررين إلى المؤسسة متعذراً فى اليوم التالى ..

ولـكن الأخبار بدأت تتوالى ..

المظاهرات فى جميع المدن الكبرى ، من اسكندرية الى أسوان .

ألغيت زيارة الرئيس اليوغسلافى تيتو إلى الرئيس السادات فى أسوان ، وعـاد الرئيس الى القاهرة .

الهتافات واحدة فى كل المدن التى بها مظاهرات ، كما أن أسلوب مقاومة رجال الأمن والتخريب واحد . وهو محاصرة أقسام الشرطة ، وأقسام المطافىء بـالسيارات

واللوريات ، ثم الهجوم على جميع المرافق العامة ، بالطوب والحجارة والنيران ، وإباحة أعمال السلب والنهب .

وكان واضحا ، ممن له أدنى خبرة سياسية ، بأن العملية مدبرة ، وكان كل شيء معدا من تنظيمات سرية ، لكي تنتهز أول فرصة لسخط جماهيرى ، حتى تركب الموجة وتوجه المظاهرات كيفما تريد ، وتلهبها بالشعارات والهتافات ، ثم يبدأ القادة بعمليات التخريب ، ثم يختفون ليظهروا فى مكان آخر ، وهكذا تتكرر العملية التى تحتاج الى قيادات محدوده .

وقد شبهها أنور السادات ، بأنها مثل عملية استيلاء لينين على موسكو . ووثوبه إلى السلطة فى عام ١٩١٧ .

وكان مستحيلا أن تكون كلمات الهتافات واحدة فى جميع المدن ، إلا إذا كان ذلك معداً من قبل . كما كان مستحيلا أن يكون أسلوب التخريب وحصار أقسام الشرطة واحدا ، وإلا إذا كان ذلك وفق خطة واحدة ، ينفذها أشخاص ينتمون الى تنظيم واحد .

وقد سبقت مظاهرات ١٨ يناير .. مظاهرات أخرى قامت من الجامعة واتجهت الى مجلس الشعب .. ثم الى ميدان التحرير .. وكانت خطة أجهزة الامن هو ترك هذه المظاهرات دون التعرض لها .. وفعلا وصل المتظاهرون الى ميدان التحرير وحوصروا وبقوا حتى ساعة متأخرة من الليل ثم تفرقوا ..

كانت هذه هى « البروفة » ..

واستمرت الحرائق فى مخازن الورق « بأخبار اليوم » لليوم التالى ولم تصل سيارات المطافىء .

وكنا نحاول جهدنا حصر النيران

وهددتنا بعض المظاهرات الصغيرة ، ولكن لم يحدث ، أى اعتداء على مبنى المؤسسة ، ولم أترك مكتبى فى أخبار اليوم .

وفجأة اتصل بى الفريق الجمصى وسألنى :

ماهو الحال عندكم ..

أعطيته صورة . فوعد بإرسال سيارة مصفحة لحماية المؤسسة ، وإبعاد الصبية عن مخزن الورق .. وكان ذلك حوالى الثامنة مساء ..

وبعد ربع ساعة . اتصل بى ثانية .. فأخبرته أن السيارة المصفحة لم تصل .. وانزعج . واتضح أن سيارتين مصفحتين خصصتا للأهرام ، وأخبار اليوم .. وصلتا إلى وزارة الداخلية ، ورئى بقاؤها هناك ..

ولكن بعد دقائق .. وصلت سيارتان مصفحتان .. وأمكن فى دقائق ابعاد آلاف الصبية عن مخازن الورق .. ثم وصلت سيارات الإطفاء ، التى عملت أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام متوالية .. حتى أمكن القضاء على النيران تماما ، مع خسائر كبيرة فى الورق . حصلنا على تعويض عنها ، لانه كان مؤمنا على الورق .

وخلال ذلك اتصلت بالرئيس السادات . مرة واحدة تليفونيا لأطمئنه بأن مؤسسة أخبار اليوم لم يمسها ضرر .. باستثناء حريق الورق ..

وقال لى بصوت هادىء : قل لزملائك ألا يهتزوا .. هذه زوبعة فى فنجان ..

قلت : لا أحد هنا مهتز على الإطلاق .. ولا تتصور سيادتك أننا سنهتز تحت أية ظروف ..

وأذكر أن وزير الداخلية ، سيد فهمى ، طلب لقاء على حمدى الجمال رئيس تحرير الأهرام ، ولقائى .. وذهبنا إليه فى مكتبه فى مساء ٢٠ يناير ، وكان معه حسن أبو باشا رئيس مباحث أمن الدولة حينئذ ، ووزير الداخلية بعد ذلك . وأطلعنا الوزير على المنشورات التى ضبطت .. وعلى عدد من المنشورات السرية التى كانت تصدرها التنظيمات الشيوعية تحت الأرض .

وفى هذا الاجتماع اكتشفت أن أحد أقطاب حزب (يسارى) كان على اتصال مستمر بوزارة الداخلية حينئذ وكان ينقل إليهم أخبار تحركات المظاهرات ، وهذا القطب من أصحاب الأقلام المتحمسة جدا بعد موت السادات فى التشهير بحكم السادات وأساليب وزارة الداخلية !! وهو من أبطال الحرية فى كل ما يكتب !.

تمت السيطرة على الموقف نهائيا فى مساء ٢٠ يناير ..

وخرجت القيادات العمالية إلى قصر عابدين لتحية السادات ..

وعقد الرئيس السادات إجتماعين طويلين ، على مدى يومين لأعضاء مجلس الآمن القومى ، كما ذكرت من قبل .

وبكل أسف ، فإن معظم من تحدثوا فى الاجتماعين ، وضعوا المسئولية كلها على أكتاف الأعلام .. والصحافة التى أثارت الناس بنشرها قصص محاكمات الفساد فى أبرز مكان .. وكان ذلك النقد منصبا على صحيفة « الأخبار » التى أرأس تحريرها ..

حتى الفريق الجمصى ، كان من أنصار هذا الرأى ، وقد صارحنى به ، عندما زرته فى مكتبه فى مناسبة لاحقة .. وتناقشنا فى أحداث ١٨ ، ١٩ يناير .

والواقع ، أن هذا الحكم كان ظلما للصحافة ..

.. لأنه كان من أهم مسئوليات الوزارة المعلنة فى قرارات تشكيلها تعقب المفسدين .. وكانت هناك أكثر من قضية تحقق فى ذلك الحين .. فابرزت نشرها فى الصفحة الأولى .. لأن ذلك يطمئن الجماهير إلى جدية محاربة الفساد . فالنشر عن القضايا لم يكن ترويجا للفساد ، بل إعلانا بأن الحكومة جادة فى هذا السبيل ..

وكان ممدوح سالم جادا فعلا فى مقاومة الفساد ..

وأذكر انى قابلته مرة وشكوت إليه ، أننا نعانى كثيرا ، ونحن نحقق أى قضية فساد . من أن الحصول على معلومات أو على وثائق ترضى ضمير الصحفى قبل أن يكتب .. هو من رابع المستحيلات ، لأن المسئولين فى جميع مرافق الدولة فى حالة خوف وخاصة إذا كانت المستندات تمس شخصا ، ويتصورون أنه من أصحاب النفوذ .. وكذلك الأمر بالنسبة للرقابة الإدارية .. فإن حصولنا منها على بعض تحقيقاتها ، يمثل صعوبة كبرى ، وبعض المسئولين فى الرقابة يخشى المسئولية إذا تسربت من مكتبه أية معلومات ، حتى لو كان فى نشرها تحقيق للصالح العام ، وهو مقاومة الفساد .

وقال لى ممدوح سالم رئيس الوزراء ، تأكد من مساعدتى لك فى الحصول على أية وثائق تثبت فسادا ، المهم أن يكون الاتهام له سند حقيقى ، وعندئذ اضمن مساعدتى كرئيس للوزارة . بالعكس ، فإن مسئوليتى أن أساعد الصحافة فى كشف أى فساد .

وإذا كانت مناقشات مجلس الأمن القومى ، قد حملت الصحافة مسئولية مظاهرات ١٨ و ١٩ يناير ، فإن إسماعيل فهمى وزير الخارجية هاجم بدوره ما تنشره الصحافة عن السياسة الخارجية وقال .. موسى صبرى ضرب سياسة وزارة الخارجية مع الاتحاد السوفيتى ..

فسأله الرئيس السادات : كيف :

وقال إسماعيل فهمى : إن خطة وزارة الخارجية منذ أشهر هى تحسين العلاقات مع موسكو ، ورئيس تحرير « الأخبار » يعلم ذلك ، ولكنى فوجئت منذ يومين بأنه هاجم الاتحاد السوفيتى وفى الصفحة الأولى .

وفوجىء إسماعيل فهمى عندما قال له الرئيس :

– لقد عرض علىَّ موسى صبرى ملابسات الموضوع ووافقت على هذا الهجوم ، بل طلبت منه ذلك !

وحقيقة ما حدث ، هو أن اسماعيل فهمى وزير الخارجية كان قد طلب منى قبل ذلك بشهرين أن أزوره فى مكتبه ، وفى هذا اللقاء قال لى إن سياسة الدولة هى تحسين

العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، « والمسئولون السوفييت ، يشكون من مقالاتك مر الشكوى ، لأنها تذاع فى راديو أوربا الحرة وتسىء اليهم .. »

وقال لى ، أنهم يتقبلون كلام الرئيس السادات وهو رئيس الدولة . ولذلك حسابات بين الدول . ولكن مقالاتك هى التى تزعجهم ..

وقلت لاسماعيل فهمى ، أننى ملتزم دائما فى السياسة ، الخارجيه بسياسة الدولة ، وسأحاول فى مقال مقبل ، أن أمهد لتحسين العلاقات ..

وكتبت مقالا بعد ذلك ، واتصل بى إسماعيل فهمى وقال لى أنه قرأ المقال أربع مرات ، وهو مقال وطنى ممتاز وليس فيه تراجع ، وفيه طرح للصداقة من موضع كرامة ..

وبعدها ، بدأت أحذف كل الأخبار أو المقالات التى تمس الاتحاد السوفيتى ، وسرنا على هذا الأسلوب ، حتى قامت أحداث ١٨ و ١٩ يناير ، وإذا بصحيفة البرافدا ، ووكالة تاس ، تذيعان مقالات كلها تهجم على السياسة المصرية ، وتأييد لمظاهرات ١٨ و ١٩ يناير .. واتصلت باسماعيل فهمى وزير الخارجية ولم أجده .

واتصلت بممدوح سالم رئيس الوزراء لأسأله الرأى فى هذا التحول من جانب الاتحاد السوفيتى فنصحنى بالاتصال بالرئيس .

واتصلت بالرئيس ، ورويت له اتفاقى مع إسماعيل فهمى .. فقال لى الرئيس أن الروس يخدعون اسماعيل فهمى .. وسيكتشف هو ذلك ، وهم لن يغيروا استراتيجيتهم .. ولذلك انتهزوا فرصة هذه المظاهرات للهجوم علينا .. يجب الرد عليهم وبقوة .

وكتبت فعلا تعليقا على مانشرته البرافدا .

واتصلت بعلى حمدى الجمال رئيس تحرير « الأهرام » ونبهته إلى ذلك واتصل هو أيضا بالرئيس السادات ، وسمع منه نفس ما سمعت وانتهت أحداث ١٨ و ١٩ يناير .

وظهرت القاهرة يوم ٢٠ يناير وكأن شيئا لم يحدث بها !

وسارت الحياة فى مجراها الطبيعى وقبضت النيابة العامة على أعداد كبيرة من المواطنين الذين اتهموا بالسلب و النهب والتخريب فى المظاهرات ، ولكن أحدا لم يصل إلى الفاعلين السياسيين ، وكلهم من تنظيمات سرية تحت الأرض ، ولم تصل النيابة العامة إلى أدلة دامغة ضد عدد من المقبوض عليهم ، وفشلت القضية من الناحية القانونية .

وفى ظل حرية الصحافة ، وبدون أى رقابة ، تناولت الصحف الأحداث كل من زاويتها .

واتخذ تحرير « روز اليوسف » برياسة عبد الرحمن الشرقاوى ، موقفا محددا[1] .. وهو أن ما حدث هو انتفاضة شعبية .. وأن وزارة ممدوح سالم هى المسئولة أولا وأخيرا عن هذه الأحداث التى لم تخرج عن كونها تعبيرا شعبيا ، لا دخل له بأية تيارات سياسية . وكتب فى هذا المعنى عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ ، وفتحى غانم وغيرهم وتوليت الرد على روز اليوسف ، فى أكثر من مقال « بالأخبار » وكان السجال طويلا بين صلاح حافظ (ماركسى) وبينى .

---

(١) استقال عبد الرحمن الشرقاوى بعد ذلك من رياسة مجلس إدارة روز اليوسف .. وحضر إلى مكتبى ، وكتب خطاب استقالته إلى الرئيس السادات ، وترك لى مهمة إيصالها إلى الرئيس :
وهذا نص استقالة عبد الرحمن الشرقاوى بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٧٧ :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس :

أرجو أن تقبلوا مع تهنئتى بسلامة الوصول بعد رحلة السلام المظفرة أعمق التحية والاجلال والتقدير لدوركم التاريخى العظيم فى السلم والحرب دفاعا عن شرف امتنا ومصيرها مما يجعلنا نشعر حقا بفخر الانتماء إلى وطن ينعم فيه المواطنون بالأمن والحرية والقدرة على صياغة مستقبل أفضل على نحو لا تعرفه بلاد أوفر غنى وأكثر تقدما ، وطن استطاع تحت قيادتكم الشجاعة ان يحقق انتصارات لم يعرفها العرب منذ قرون ، وطن استطاع بفضل من الله تحت رايتكم وحسن سياستكم لكل أموره ان يحقق فى المعركة مستوى من الأداء اشبه بالمعجزات ليفرض على العالم احترامه وليسترد للأمة العربية هيبتها وكرامتها وكبرياءها المهدرة ولينتزع لها مكانا بارزا تحت الشمس فى زحام القوى الكبرى وليجعل لها كلمة مسموعة خلال ضجيج المصالح المتناقضة المتصارعة وليفرض الاعتراف بحقوق فلسطين على كل الذين رفضوها من قبل وأزروا بها .

ولكم كنت أتمنى ياسيادة الرئيس ـ وأنا احمل لكم كل ما يسع القلب المحب من تقدير ـ أن استمر فى الموقع الذى أردتموه لى رئيسا لمجلس إدارة روز اليوسف لأؤدى دورى تحت قيادتكم كما فعلت خلال خمسة أعوام ونصف وصلت خلالها المؤسسة إلى ما شاء لها الله من توفيق غير أنى قد أصبحت فى حالة صحية لا تسمح لى بكل هذا القدر من المسئوليات الإدارية والصحفية حتى لقد صح عندى أن هذه المسئوليات الإدارية والصحفية تستنزف من الطاقة والوقت ، ما يمنعنى من أداء دورى الأساسى وهو الكتابة فى كثير من الأحايين . كما صح عند الأطباء أن هذه المسئوليات ضارة بى وإذ كانت الكتابة يا سيادة الرئيس هى قوام حياتى وسبب وجودى وهى سلاحى الذى أخوض به الغمرات والذى أدافع به عن بلادنا وثقافتنا وكل ما نتطلع إلى أن ينجزه الوطن تحت قيادتكم من آمال وأحلام .. وإذ كانت الكتابة لا المسئولية الإدارية أو الصحفية هى خير ما أستطيع أن أخدم به أمتى فهى أداتى للتعبير الأدبى والسياسى ، فلقد أرى ، أن ساعات العمل التى حذرنى الأطباء من تجاوز عددها ينبغى أن تخصص للكتابة وما تستلزمه من تأمل وانفعال وقراءة ودراسة وبحث ، وهذا خير من استهلاك الصحة والوقت والجهد فى النهوض بالمسئوليات الإدارية والصحفية بما يصاحبها من توترات ممزقة .

إن كل شىء فى أعماقى يلح على أن أنفق ما بقى لى من العمر فى ممارسة التعبير بدلا من استهلاك العمر فى المسئوليات الإدارية والصحفية التى يوجد عديدون ينهضون بها أفضل منى . =

كانت وجهة نظرى التى اقتنعت بها تماما ، هو أنه حدث خطأ من الحكومة ، فى إعلان قرار رفع الأسعار دون تمهيد إعلامى طويل ، لعدم مفاجأة الجماهير ، ولإقناعهم بالظروف التى أدت إلى ذلك وأن هناك تنظيمات سرية شيوعية ، كانت مستعدة لركوب أى موجة ، فى انتظار اللحظة المناسبة . وجاءت القرارات ، وجاءت معها لحظتهم المناسبة فركبوا الموجة ، وهكذا رأينا الهتافات واحدة فى كل مدينة وأسلوب مقاومة الأمن واحدا وأسلوب التخريب واحدا وهذا مالا يمكن أن يحدث بطريقة تلقائية أو عشوائية ..

وقد تدخلت فى ذلك بعض التنظيمات الدينية المتطرفة فهاجمت الملاهى فى شارع الهرم .

وعبر راديو موسكو بأنها انتفاضة شعبية

وكذلك وصفتها الألسنة المعبرة من الشيوعيين .

وكتب مصطفى أمين وأيد وصف الأحداث ، بأنها انتفاضة حرامية ، كما وصفها الرئيس السادات ..

وبعد ذلك ، تقرر طرد دافيد هيرست ، مراسل الجارديان بعد أن ثبت أن كل مقالاته التى كان يبعث بها من مصر ، تتخذ منهجا واحدا ، وهو التشهير بحكم أنور

= وإنكم ياسيادة الرئيس لتعرفون ماللأدب من جلال وخطر وتأثير خارق فى التوعية وفى صناعة التقدم والتطور الحضارى وتعرفون دور الأدب فى النهضة الاجتماعية ودوره فى حسن تمثيل بلادنا فى كل أقطار الأرض المتحضرة ، من أجل ذلك كله فإنى أتمنى على الله أن أجد عندكم يا سيادة الرئيس استجابة لرجائى أن أعفى من مسئولية العمل رئيسا لمجلس إدارة روز اليوسف وأن تساعدونى على التفرغ للكتابة وستضيفون بذلك إلى أياديكم على عارفة لا تنسى أبدا . فلو أذنتم لى باختيار المكان الذى اتفرغ فيه للكتابة فإنى أختار أن اعمل كاتبا بصحيفة ولتكن جريدة الأهرام . وتلك منة أخرى .. وهى فى الحق منة كبرى .

لقد كانت إحدى قصائدى يا سيادة الرئيس هى سبب تشرفى بالتعرف إلى سيادتكم منذ نحو خمسة وعشرين عاما .. وإنى إذ أعتز بهذه الذكرى التى يخفق لها القلب وتشرف بها النفس ، لواثق كل الثقة فى أنكم بجميل رعايتكم للآداب والثقافة والفكر وبعمق تقديركم لدور الكلمة فى إثراء الحياة والإنسان بالقيم الفاضلة وبطاقتها فى نضالنا الوطنى واليومى من أجل مستقبل أفضل ، إنى لواثق كل الثقة أنكم ستجيبون لما أتقدم به من رجاء .

عشت رائدا عزيزا علينا وقائدا شجاعا لأمتنا وزعيما جسورا وحكيما لوطننا .. عشت راعيا كريما للثقافة والفكر والآداب والفنون ولكل الطاقات المبدعة .. عشت أبا حنونا لشعبنا وإبنا بارا بهذا الشعب .

عبد الرحمن الشرقاوى

٤٨ شارع الجيزة - الدقى كاتب

السادات ، وكانت اتصالاته فى القاهرة بالماركسيين ومحمد حسنين هيكل ، ومرة زارنى فى مكتبى بناء على طلبه ، وكان ذلك فى أوائل حكم السادات . وقال لى أنه يرى نهاية السادات بعد ثلاثة أشهر . وناقشته موضوعيا ، وأكدت له أن معلوماته مصدرها الماركسيون . وجادلنى فى ذلك ، وقال اسم أحد مصادره من الصحفيين ، على أنه ليبرالى . وكان شيوعيا معروفا وصدرت ضده أحكام بالسجن فى قضايا شيوعية .

وكتب مصطفى أمين فى ذلك الوقت مؤيدا طرد دافيد هيرست ، وقال إن حرية الصحافة ليست معناها حرية نشر الأنباء الكاذبة ضد مصر .

وأعتقد أن أنور السادات بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير بدأ يفكر فى وضع ضوابط للديمقراطية التى أراد عندما بدأها بثورة ١٥ مايو أن تمضى إلى آخر مداها وخاصة أن عددا من المعارضين أراد أن يستثمر أحداث ١٨ و ١٩ يناير . وفى مقدمتهم الدكتور حلمى مراد .

وكان السادات فى قمة الألم مما جرى .

رأى فيه جحودا من الماركسيين ، الذين سمح لهم بحزب شرعى لأول مرة فى التاريخ السياسى لمصر ، ثم بصحيفة لا تخضع لأى نوع من الرقابة ، وأراد فعلا أن يوجد التوازن الديمقراطى بين اليمين واليسار والوسط .. والوسط هو الذى يشكل الغالبية من ناحية التيار الفكرى ، بغض النظر عن وجود حزب مصر أو عدم وجوده . فهذه التيارات الثلاث موجودة فى البلاد .

وعاد أنور السادات إلى رأيه الذى كان يردده كثيرا .. وهو أن تجربته فى الحياة السياسية علمته ألا يثق بشيوعى أو بإخوانى . « مهما عاملتهم بالخير ، فهم ينقضون عليك فى الوقت المناسب » .

وكان السادات يفرق بين الماركسيين الوطنيين ، والماركسيين أصدقاء موسكو . الأولون يعتنقون الماركسية عن إيمان بأنها سبيل التطور لمصر ، ولا يتلقون تعليمات من موسكو أو من أى دولة شيوعية ، وأصدقاء موسكو هم الملتزمون بخط موسكو فى السياسة الخارجية ، وباتجاهات المد الشيوعى العالمى .

وكان يضع عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ فى المجموعة الأولى .. وكان يرى فى عبد الرحمن الشرقاوى مفكرا إسلاميا يقرأ له كثيرا . وكان يجذبه إلى عبد الرحمن الشرقاوى طيبة الفلاح المصرى .

ولذلك لم يكن يضيق بأى نقد يكتبه عبد الرحمن الشرقاوى .

وحدث أن التقى السادات بالشرقاوى بعد كامب دافيد ، وقال له عبد الرحمن إنه لا يؤيد معاهدة السلام ..

وسأل السادات : لماذا ؟

وقال الشرقاوى إنه يرفض إنشاء سفارة إسرائيلية فى مصر ، قبل انسحاب آخر جندى إسرائيلى من سيناء .

ولم يعلق السادات . ولم يغضب . كان السادات يهتم دائما بمن يقول الرأى ، وخلفياته .. فإذا كان الرأى عن إخلاص ولو تعارض معه ، فإنه لا يضيق به . ولكنه كان لا يتقبل أبدا الآراء التى ينشرها بعض الكتاب ، وهو يعلم ما يختفى وراءها من مناورات ، وهو واثق أنها صادرة عن هوى ، وكان السادات لا يخفى ضيقه بهؤلاء .. وكان يهاجمهم فى اجتماعاته الخاصة وفى بعض الاجتماعات العامة إذا طفح الكيل ..

ولكن السادات بدأ حكمه بعد ١٥ مايو .. وبعد إلغاء الرقابة على الصحف .. بإقبال متحمس ، وعن اقتناع بأنه لا سبيل أمام استقرار مصر ونهضتها إلا الديمقراطية .(١)

وكان يريد الاتجاه بمصر إلى نظام الحزبين ..

وكان يريد تعديل الدستور ، ليكون اختيار رئيس الجمهورية ، بالانتخاب ، لا بالاستفتاء . وأذكر أننى قابلته مرة مع عديله محمود أبو وافية فى الإسكندرية ، وكان الحديث فى كل مكان عن الديمقراطية ، وعن احتمال عودة الأحزاب .

وقلت للرئيس : لابد من تعديل الدستور ليكون رئيس الجمهورية بالانتخاب .. فرد ساخرا : قديمة هذا أول تعديل قررت إجراءه .ثم قال : هاتوا ما عندكم .

وكان حديثنا كله عن تصورنا للتعديلات الدستورية التى تحقق الديمقراطية البرلمانية .. وأذهلنى أنه كان متفقا معى على كل ما أثرناه بل أضاف إليه الكثير ..

كان هذا اقتناعه ، وكان يرى أن الديمقراطية سوف تخفف على الجماهير أعباء الأزمة الاقتصادية . كثير من الحرية يعوض عن قليل من الطعام .

وكان متفائلا بأنه سيحقق أول ديمقراطية حقيقية فى دول الشرق الأوسط غير

(١) فى أول لقاء لى مع أنور السادات بعد أن رشح لرياسة الجمهورية ، وكان فى قصر العروبة ، جرى الحديث حول إعداد أول خطاب له أمام مجلس الشعب .. وسألته : « هل تعرف سيادتك ماذا يريد الشعب ؟ » .. وأجاب على الفور : أعرف .. الديمقراطية .. ولكن ذلك سيجىء تدريجيا .. نعم لا سبيل للعلاج إلا بالديمقراطية . وسأختار الوقت المناسب .

الديمقراطية المنظمة فى إسرائيل ، التى تخدع بها العالم ، وهى فى حقيقتها توازنـات ، ومناورات بين التجمعات السياسية ، والهدف واحد ، وهو التوسع وفرض التوسع بقوة السلاح .

ولذلك فاجأ أنور السادات البرلمان بإباحة تكوين الأحزاب ..

وبدأ التليفزيون يعرض ندوات سياسية تشترك فيها كل الأحزاب المعارضة مع حزب مصر ، ولكن المتحدثين من حزب مصر كانوا فى هـذه الندوات ، هم الجـانب الضعيف ، وكان السادات يتمنى أن يكون الحوار متوازنا ، ولكن احتراف الماركسيين للجدل وتمرسهم على ذلك كسب لهم جولات عديدة .

ولذلك أوقفت هذه الندوات .. وحملت كل أخطائها على كتفى الـدكتور جمـال العطيفى وزير الإعلام حينئذ ، وقد وقع جمال العطيفى ضحية لخلافات بين رئيس مجلس الشعب المهندس سيد مـرعى ، ورئيس الوزراء ممـدوح سالم .. رغم أن عـلاقاتهـما الشخصية على السطح كانت طيبة جدا . ولكن الرئيس السادات أبدى للمهندس سيد مرعى أكثر من ملاحظة ، بأنه يعطى المعارضة فرصة أكثر مما يعطيها للحكومة ولحزب الغالبية . وكان سيد مرعى يعتقد أن هناك من يدس له لدى الرئيس السادات ، لكى يقنعه بأن سيد مرعى يريد أن ينال شعبية على أساس أنه رجل الديمقراطية ، وذلك بمجاملة المعارضة على حساب الحكومة . وكان سيد مرعى يرى أنه بالجو الديمقراطى الذى أشاعه فى مجلس الشعب ، يعطى صمام أمان ، للنظام وللحكومة والأفضل أن يقال فى مجلس الشعب كل ما يقال فى الشارع .

أقول إن الدكتور جمال العطيفى كان ضحية سوء فهم ، طلب منه المهندس سيد مرعى عقد ندوة تلفزيونية لمناقشة الميزانية ، يحضرها ممثلو المعارضة .

وعقدت الندوة وكانت مفاجأة لممدوح سالم ، لأن مجلس الشعب انتهى من إقرار الميزانية ، وليس مفهوما مناقشة الميزانية فى ندوة يرأسها رئيس مجلس الشعب الذى أقر الميزانية ! ولم يخطر جمال العطيفى رئيس الوزراء بشىء مسبقا عن هذه الندوة .. وكانت أزمة .. وأخيرا خرج جمال العطيفى فى تعديل وزارى .

ولم يكن جمال العطيفى يضمر سوءا للنظام . بل كان وهو مغضوب عليه ، يراجع معظم التشريعات الهامة قبل صدورها وكان يسعى لكى يقنع انور السادات بسـلامة موقفه . وفى انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٧٩ لم يرشح نفسه فى دائرته (قصر النيل) وكان يأمل أن يعين فى مجلس الشورى . وتحدث الدكتور مصطفى خليل فى ذلك إلى الرئيس السادات ، ولكنه لم يقتنع . ثم تحسنت الأمور ، عندما حلت نقابة المحامين ،

وتألف مجلس نقابة مؤقت برياسة الدكتور جمال العطيفي ــ ثم رشح فى دائرة خلت بمجلس الشعب .. ولكن جمال العطيفى جنح بعد ذلك ، إلى مزيد من الاستقلال فى الرأى .

أعود فأقول إن أنور السادات شعر بخيبة أمل فى الماركسيين الذين أراد لهم حزبا شرعيا ، وكان لا يشك فى وجود صلات بين الحزب المعلن ، وبين التنظيمات السرية للحزب ، وهذا هو أسلوب التنظيمات الماركسية دائما . حزب معلن ، وحزب تحت الأرض ، صحيفة علنية ونشرات سرية . مناورات مستمرة للوصول إلى الهدف وهو إشاعة الفوضى .

وبدأت الحلقات تضيق بعض الشىء فيما ينشر وما لا ينشر فى الصحف القومية . كان السادات قبل ذلك يتقبل كل الآراء التى تنشر . وكان سعيدا بهذا الجو الصحى وكانت ملاحظاته محدودة جدا على بعض ما ينشر ، وبلا غضب . كان يريد فعلا للتجربة الديمقراطية أن تنجح .

وحاول بكل الأساليب أن يقوى حزب مصر ..

وكان ينصح ممدوح سالم ، بأن يبنى تنظيمات الحزب بمثل أسلوب تنظيمات الإخوان المسلمين .

كان يروى له كيف أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين وكيف زار كل قرية وزرع بذرة فيها واختار من يثق بهم ثم زاد العدد بالتدريج ، وهكذا حتى أصبح التنظيم قويا ومتماسكا .

وكان السادات مؤمنا أيضا ، بما كان يسميه جلسة الدوار ، أو جلسة المصطبة ، وكان يريد لمقر الحزب أن يكون « قعدة » مستمرة ، يتعارف فيها الأعضاء ، ويتبادلون الحديث عن المشكلات ، ويستقبلون أعضاء الحزب . وكان يريد لهذه الجلسة أن تعقد فى كل قرية .

ولكن لأسباب عديدة ، بدأ يضيق بأسلوب ممدوح سالم . ربما كانت أحداث ١٨ و ١٩ يناير ، راسبة فى قاع تفكيره ، لأن ممدوح سالم رئيس الوزراء هو رجل أمن فى المقام الأول ، وله خبرته الطويلة ، فكيف مرت المؤامرة من تحت أنفه ؟ ولم يكن ممكنا أن يقيل ممدوح سالم أو أن يطلب منه الاستقالة بعد الأحداث مباشرة وألا يكون قد استجاب للأصوات المعارضة التى كانت تطالب بذلك . وهذا هو أسلوب عبد الناصر منذ ثورة ٢٣ يوليو عدم الاستجابة للأصوات المعارضة ، حتى لا يظهر الحكم ضعيفا . ولذلك اكتفى بإبعاد سيد فهمى وزير الداخلية .

هذا السبب هو مجرد استنتاج منى .

ولكن كثيرين كانوا يتحدثون مع السادات ، على أن ممدوح سالم قد فشل .. وأنه قد أدى دوره .. ولابد من تتغير الوزارة . وأن ممدوح سالم يتصور أنه الرجل الثانى فى الدولة .

وكان السادات يقول : لقد ثبت لى أن منصب رئيس الوزارة منصب مرهق . كلهم يبدأون على أحسن ما يكون وبعد مضى وقت ترهق أعصابهم من كثرة المشكلات ويتصرفون بعصبية أو يسيئون التصرف . إنه منصب لعين .

وعندما اختار ممدوح سالم لرياسة الوزارة كان السادات يردد أن ممدوح سالم هو السياسى الوحيد من بين كل معاونيه رغم أنه أساسا رجل أمن . وكان سعيدا سه .

ولكن تطورات الأزمة الاقتصادية ، ثم ضيق السادات بما أثير فى الرأى العام ، حول عدم الانسجام بين مجموعات الوزراء ، وأزمة مشروع هضبة الأهرام ، وغير ذلك من المشكلات جعلت السادات يقتنع بأن التغيير ضرورى ، ثم ما كان من أمر حل حزب مصر ، وتكوين الحزب الجديد برياسة السادات ، وإصرار بعض أعضاء حزب مصر القريبى الصلة بممدوح سالم ، على الاستمرار فى حزب مصر ، كل ذلك أثار أكثر من أزمة فى العلاقات بين الرئيس السادات وممدوح سالم ..

وكان السادات يريد أن يعلن التغيير فى خطابه فى أول مايو ١٩٧٩ ..

وكان قد كلفنى بإعداد الخطاب .. وطلب منى فقرة عن الأسباب الداعية للتغيير .

وبينما كنت أكتب الخطاب فى منزلى ، صباح ٢٨ أبريل إذ دق جرس التليفون وكان المتحدث هو الرئيس الذى طلب منى إلغاء هذه الفقرة .

وبعد قليل تحدث إلى مرة ثانية وطلب الإبقاء على الفقرة .

ثم تحدث بعد ذلك للمرة الثالثة وطلب إلغاء الاتجاه إلى التغيير فى الخطاب .

والحقيقة أننى كنت حائرا ولم أعرف السبب ثم عرفت بعد ذلك أن الرئيس السادات فى ذلك الوقت كان مجتمعا مع النائب حسنى مبارك وممدوح سالم رئيس الوزراء . ودار النقاش حول بعض المسائل العامة وتحدث السادات عن التغيير وغضب ممدوح سالم وقال إنه مستقيل .

وكان من رأى السادات أن يؤلف وزارة جديدة من الكبار على أن يتولى ممدوح سالم رياسة مجلس الشعب ، ويشترك فى الوزارة كنواب للرئيس سيد مرعى ومصطفى خليل وعبد القادر حاتم ، ورفض ممدوح سالم وقال إنه رجل أمن وليس من الطبيعى أن

يرأس مجلسا نيابيا . كما أنه غير متمسك برياسة الوزارة . كما أنه سيقدم استقالته من مجلس الشعب وكان عضوا منتخبا ، ومن عضوية اللجنة المركزية أيضا .

وكانت مشادة كلامية عنيفة ، ارتفع فيها صوت السادات .. كما ارتفع صوت ممدوح سالم .. وتدخل مبارك لتهدئة الموقف .

واتصل به ممدوح سالم فى المساء ، وسويت الأزمة .. وقرر السادات تأجيل إجراء التغيير حتى يعود من مؤتمر كامب دافيد فى أمريكا .. وأبلغ ممدوح سالم بذلك .

وتوجه أنور السادات فى الصباح التالى صباح أول مايو ، وألقى خطابه فى شبرا الخيمه ، ولم يعلن أية نوايا للتغيير ، وأعلن إلغاء مشروع هضبة الاهرام .

وكان أنور السادات قد كلف الدكتور مصطفى خليل بدراسة موضوع هضبة الاهرام وما يوجه إليه من نقد . واستمر الدكتور خليل فى الدراسة إلى ساعة متأخرة من الليل وفى الصباح المبكر وقبل أن يتوجه الرئيس إلى سرادق الاحتفال اتصل به تليفونيا ونصحه بإعلان إلغاء المشروع لأنه فعلا ليس فى صالح مصر .

وهكذا أعلن السادات إلغاء المشروع وكانت صحيفة « الأخبار » هى التى بدأت الحملة على هذا المشروع وأفسحنا الأعمدة الطويلة لكل المقالات التى تلقيناها عن الموضوع وفى مقدمتها مقالات الدكتورة نعمات فؤاد وقاضتنا الشركة المتعاقدة على المشروع . وخسرت القضية .

وكان السادات بعد ذلك يستعد للسفر إلى أمريكا ، وأبلغ ممدوح سالم قبل سفره أنه سيجرى التغيير بعد عودته ، ثم تولى الدكتور مصطفى خليل ، وبعده تولى أنور السادات رياسة الوزارة إلى أن أصابته رصاصة الاغتيال .

ولكن السادات فى كل هذه المراحل ، كان حريصا على وضع مزيد من الضوابط للحريات السياسية .. حتى يتمكن من إنجاز معاهدة السلام ، وتحقيق الانسحاب الكامل من سيناء ، ولكن الضوابط لم تفلح ، لأن قوى التيارات الدينية المتطرفة بدأت تظهر على المسرح ، وكان تحالف الاحزاب المعارضة مع هذه القوى .. ومع القوى العربية الرافضة ..

وتكشفت للسادات أوضاع جديدة كان لا مفر أمامها من التدخل .. فكانت قرارات ٥ سبتمبر .

ولكن كيف تطور الوضع بالتيارات الدينية حتى وصلت إلى التطرف ؟ ..

ظهرت بوادر الاوضاع الجديدة مع الجماعات الدينية المتطرفة .. فى وزارة ممدوح سالم .

بعد ١٥ مايو .. بدأ الافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين بأحكام من جماعة الإخوان المسلمين ، حتى الذين كانت صدرت عليهم أحكام بالاعدام ، وهربوا إلى الخارج ، ألغيت هذه الأحكام ، وأبلغوا أنهم أحرار فى العودة إلى مصر ، وكان شعار أنور السادات فى ذلك الوقت : لا يمكن أن أحرم مصريا من حقه على أرضه ، كل مصرى حر أن يعود إلى وطنه ، وطبق هذا المبدأ على أعضاء أسرة محمد على .

بل نفذ أنور السادات وصية عدد من الامراء السابقين الذين أوصوا بأن يدفنوا فى مصر .

كما دعا السادات الملكة السابقة فريدة ، للعودة إلى مصر فى أى وقت تشاء . بل أنها كانت تلجأ إلى الرئيس السادات عندما تواجه أى مشكلة . وقد حدث أن على أمين ظهر فى برنامج تلفزيونى فى لندن ، عن الملك فاروق . وقال على أمين فى هذا البرنامج إن فاروق أصيب بالجنون بعد إصابته فى حادث القصاصين المشهور . وكتبت الملكة فريدة إلى الرئيس السادات ، تطلب منه التدخل ، لوقف هذا الحديث عن زوجها السابق لأنه ضد التقاليد ، ولأن فاروق له بنات على قيد الحياة ، ولا يليق أن يوصف أبوهم بالجنون . وأرسل لى الرئيس السادات هذه الرسالة ، وكتب عليها بخط يده « يخاطب الأستاذ على أمين فى هذا وأرجو أن يراعى رغبة السيدة فريدة » ..

كانت هذه هى الروح الجديدة التى أراد أن يبعثها الرئيس السادات . كل مصرى أحق بالإقامة فى وطنه .

ولم يظهر من الإخوان المسلمين المفرج عنهم أى نشاط سياسى معاد . واقتصر الأمر على بعض النشاط الاجتماعى .. ثم حصلوا على إذن شفهى بإصدار مجلة الدعوة .. ومجلة أخرى ..

ولكن بدأت تتكون جماعات من الشباب تحت قيادات مختلفة ، وكانت متعددة ، ولم يبد أن لها نشاطا سياسيا وكانت محدودة العدد إلى أن وقع حادث الفنية العسكرية .. ثم بدأت تبدو ظواهر مختلفة ..

جماعات تركت المدينة واستمرت فى الجبال بجوار مدينة المنيا ، ودعت الشباب والشابات الى ترك العمل والتفرغ للعبادة ، وجماعات أخرى ظهرت تحت أسماء عديدة فى الجامعات وبدأت تتدخل فى بعض المظاهر الجامعية كالحفلات الموسيقية أو الغنائية ، وتمنع هذه الحفلات ، ثم بدأت هذه الجماعات تتدخل فى الرحلات الجامعية ، وتمنع اشتراك الطالبات فيها بغير محرم ، وظهرت اللحى على عديد من الشباب وظهر الحجاب بين عديد من الطالبات على درجات متفاوتة ، وتفاقمت هذه الحالة فى أسيوط ،

وفى الاسكندرية ، وكان أسلوب حكومة ممدوح سالم ، هو التفاعل الديمقراطى مع هؤلاء الشباب .. فالحكومة لا تعترض على التنشئة الدينية .. أو الدعوة إلى فضائل الإسلام .. ولـكن الحكومة ترفض التدخل فى إدارة المؤسسات العامة ، وكان ممدوح سالم يعقد عشرات الإجتماعات مع هؤلاء الشباب وقياداتهم ويصل معهم إلى اتفاقات .

وخلال ذلك وقع حادث مقتل الشيخ الدهبى ، وكان قد أبدى رأيا مناهضا لفـكر بعض هذه الجماعات . وتمت محاكمة أمير التكفير والهجرة إبـراهيم شكرى ، وحكم بإعدامه ، مع إثنين من زملائه .

وهنا أدركت الحـكومة خطورة تنظيم الجماعات ، كما أدركت أن هناك تنظيمات سرية لم تصل إليها معلومات جهاز الأمن .. وبدأت الجماعات تستعرض قوتها فى صلاة العيد ، وفى الاعتصام بأحد المساجد فى منيل الروضة ، وبدأت تظهر الخطب العامة على أن مصر تحكم بغير الإسلام .. وكشفت الجماعات عن حقيقة دعوتها ..

وكان التصور الحـكومى أن هذه الجماعات انتشرت فروعها فى الأحياء والقرى ، وأن لهم قدرة تنظيمية ، بحيث يستطيعون التجمع بأعداد كبيرة تصل الى عشرة آلاف أو أكثر فى المناسبات العامة ، وكان هذا مظهر إستعراض القوة ، والتحدى للسلطة .

وفى هذا الوقت كتب حسن أبو باشا رئيس مباحث أمن الدولة تقريرا بخط يده حذر فيه من خطورة استعراضات القوة التى تجريها هـذه الجماعـات على هيبـة الحكم .. واحترام الدولة .. وطالب باتخاذ اجراء حاسم .

ولكن كانت هناك مواقف سلبية من إدارة بعض الجامعات . وحدث تصور ـــ له أسبابه ـــ لدى بعض الاساتذة أن الحكومة راضية عن هذا الأسلوب أو هى فى القليل لاتفضل أسلوب المواجهة .

وعلى كل فقد ترك ممدوح سالم رياسة الوزارة ، ولم يكن الأمر قد تفاقم ، ولم تكن هناك لدى انور السادات أو حكومته نوايا المواجهة العنيفة ، وكان هناك أمل مستمر ، بأن التفاهم بالحوار والابقاء على حدود النشاط الدينى البعيد عن السياسة يمكن أن ينجح ويستمر .

وكانت المشكلة الأولى حينئذ .. هى مشكلة المد الشيوعى فى الجامعات ، وانتشار صحافة الحائط ، بأسلوب الاثارة والتهييج والتطاول ، على رئيس الدولة وأسـرته .. ويكفى أن مجلات الحائط كانت ترسم وتكتب خارج الجامعـة من كتاب مـاركسيين ويشارك فيها بعض الشباب الماركسى .. وقبل حرب اكتوبر ، كانت هذه المجـلات تروج بأن السادات لن يحارب ، وأنه يعد للاستسـلام ، وعندما أقال الفريق صادق وزير

الدفاع خرجت صحف الحائط تدافع عن الفريق صادق ، وعندما زارنا السلطان قابوس ، تخصصت صحف الحائط الماركسية فى الهجوم على قابوس ووصفته بأنه عميل الاستعمار الى آخر هذه المناسبات السياسية حتى تمكنوا يوما من تسيير مظاهرات داخل وخارج الجامعة وكان الأسلوب خارج الجامعة هو ايقاف الاوتوبيسات وتوزيع المنشورات مع كلمات الاثارة عن الفساد والغلاء والاستسلام .

وتمكنوا داخل الجامعة من الاستيلاء على مكتب مدير الجامعة واعتصموا فى مبنى ادارة الجامعة وأعلنوا عن تكوين لجان ثورية ، وكان الهدف أن تمتد هذه الحركات الى المصانع ، ومن ثم تقوم الثورة الماركسية إلى أن تم أقتحام الجامعة ، والقبض عليهم ، ثم الافراج عنهم بعد ذلك .. كما رويت من قبل .

كما تعرضت وزارة ممدوح سالم لتحديات عنيفة من صحف المعارضة منها ما نشرته صحيفة الأحرار عن توزيع المساكن الشعبية على عدد من المحاسيب ومنها مشروع عبد المنعم الصاوى وزير الاعلام والثقافة بإنشاء شركة ضخمة برأس مال سعودى (الشيخ صالح) لإنشاء استوديوهات ودور سينما جديدة .

وكان فى توزيع الشقق بعض الأخطاء فعلا وتلافاها ممدوح سالم مع الوزير المختص الذى ارتكب هذه الأخطاء ولم تكن الحكومة متمسكة على الإطلاق بمشروع « الشيخ صالح » للسينما .. ودافع عنه عبد المنعم الصاوى فى مجلس الشعب .

ثم جاءت أزمة هضبة « الأهرام » .

ولم يكن المشروع مثاليا ولكن حقيقة الأمر ، أن أنور السادات كان متلهفا على أى مشروع استثمارى فى الداخل يشجع الشركات الأجنبية الكبرى على الدخول فى مشروعات استثمار مشتركة ، ولم تكن شروط مشروع هضبة « الأهرام » ممتازة أو جيدة ولكن الرغبة فى البدء بمشروع استثمارى ضخم فى مصر ، جعل السادات يشجع هذا المشروع لصالح مصر ولجذب استثمارات أخرى .

ولما ثارت الضجة ضد المشروع ، وأبلغ الدكتور مصطفى خليل الرئيس السادات بأن المشروع سيىء ويجب إلغاؤه ، كلف الرئيس السادات رئيس الوزارة ممدوح سالم بحث المشروع واتخاذ ما يراه بشأنه ، ورأى ممدوح سالم أن المشروع غير قابل للتعديل ، وأنه يجب إلغاؤه على أن يقوم مشروع ، مماثل جديد فى مكان آخر غير هضبة الأهرام وفعلا ألغى المشروع واشتدت حملات المعارضة ..

وقرر أنور السادات أن يأخذ هو زمام المواجهة ، وكان ممدوح سالم يعترض على ذلك ، وكان يطلب من الرئيس السادات أن يترك المواجهة للحكومة ، بحيث اذا

عجزت الحكومة ، أقالها . وبذلك يظل رئيس الدولة بعيدا عن المواجهة وعن التعرض لتهجم المعارضين وخاصة الماركسيين .

ولكن السادات كان يرى أن حزب مصر لم يكن قويا ، ولذلك فكر فى حله ، وفى أن يؤلف برياسته حزبا جديدا .

كما رأى السادات ، أن بعض أعضاء مجلس الشعب ، بدأوا يتطاولون على شخص رئيس الدولة ومنهم كمال الدين حسين الذى أرسل برقية الى الرئيس السادات ، كلها تهجم بما لا يليق معه مخاطبة رئيس الجمهورية ..

وقرر أنور السادات أن يفصل كمال الدين حسين من مجلس الشعب .

ثم تطاول الشيخ عاشور عضو مجلس الشعب على رئيس الجمهورية داخل القاعة ، وهتف بسقوطه ..[1]

---

(١) بدأت قصة المرحوم الشيخ عاشور ، عندما عرض فى مجلس الشعب برياسة المهندس سيد مرعى فى ٢٠ مارس ١٩٧٨ ، استجواب من العضو عادل عيد (متعاطف مع الأخوان المسلمين) إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ، حول اضطراب الأوضاع المالية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. وشرح عادل عيد استجوابه بذكر المخالفات فى هذا الجهاز ، وتصرفات محمد توفيق عويضه سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. واستمر عرضه ساعتين . ورد الشيخ الشعراوى ، وجاء فى رده « .. كم رأينا ورأى سوانا ، منكرا لم يغيره أحد حتى بقلبه . وما كان يخطر ببال إنسان أن يتوهم أمرا متناقضا لما كانت ترتضيه القمة ، أو من يمثلون مراكز القوى فى هذه القمة . إن الأحداث يجب أن تقاس بأجوائها فلا يؤخذ كل حدث بجوه .. » .

ثم تساءل الشيخ الشعراوى : « أهنا توجد البطولات الآن ؟ .. أين كانت البطولات التى تطن بالحديث اليوم على بعض أمواله أو بعض تعدى اختصاصاته وقت أن كانت تراق دماء الأبرياء ويعتقل الشرفاء ويتعدى على العرض دون أن تسمع همسة تنكر منكرا يحدث أمام الناس جميعا » (يقصد عهد عبد الناصر) .

وهنا دوت قاعة المجلس بتصفيق حاد ، وهتافات الله أكبر .. الله أكبر .

واستمر الشيخ الشعراوى فى خطابه وقال : « والذى نفسى بيده ، لو كان لى من الأمر شىء لحكمت الرجل الذى رفعنا تلك الرفعة ، وانتشلنا مما كنا فيه إلى قمة ألا يسأل عما يفعل » .. يقصد الرئيس السادات .

وهنا اعترض الشيخ عاشور على هذه العبارة ورد بانفعال شديد : « ما فيش حد فوق المساءلة .. لنرعى الله » .

وعلق الشيخ الشعراوى : أنا أعرف بالله منك .. أنا أعرف بالله منك .. إن الرجل الذى شجع هذه الشجاعات ، يجب أن نقدر كل قراراته وكل آرائه ، تقديراً فى مستوى ما وضعه الله فى أيدى البشر . (يقصد الرئيس السادات)

وانتهى نظر الاستجواب وتقرر الانتقال إلى جدول الأعمال .

- ثم جاءت الجلسة التالية .. ووقف مصطفى كامل مراد يشرح طلب إحاطة قدمه عن أزمة رغيف الخبز . وعرض تفصيلاً لقصة الأزمة وخلال ذلك أشار المرحوم زكريا توفيق عبد الفتاح وزير التجارة والتموين إلى أحد معاونيه فدخل إلى القاعة ومعه كميات من العيش الأبيض الممتاز الذى لا يمت بصلة إلى الرغيف الذى يباع فى الأسواق .

وهنا انفعل الشيخ عاشور محمد نصر وقال : إنى خارج ..

رئيس المجلس : مع السلامة ..

الشيخ عاشور : ده مش مجلس شعب .. ده مسرح مجلس شعب ..

رئيس المجلس : يحال اعتراض الشيخ عاشور والإهانة التى أهان بها المجلس إلى اللجنة المختصة لتقديم تقريرها عنه إلى المجلس .. وليتفضل الشيخ عاشور خارج الجلسة .

وأخذ رئيس المجلس موافقة الأعضاء على هذا الاقتراح ، وتم إخراج الشيخ عاشور .

وقال المهندس سيد مرعى : لقد قرر المجلس ألا يحضر الشيخ عاشور الجلسة ، ويجب أن يتعلم النظام ويحترم المجلس ..

وهنا صرخ الشيخ عاشور هاتفاً : يسقط أنور السادات ..

رئيس المجلس : ماذا تقول ؟

الشيخ عاشور : يسقط أنور السادات ..

رئيس المجلس : الموضوع الآن بعد الكلمة التى قالها الشيخ عاشور يحتاج إلى أن اللجنة المختصة تنعقد فوراً وتقدم تقريرها إلى المجلس للنظر فى عضوية عاشور محمد نصر .

وهنا علت هتافات النواب .. يعيش أنور السادات ، ويسقط كل المذبذبين .

العضو سماح صبيح : لابد أن يقوم المجلس الآن بمحاسبة الشيخ عاشور وإلا سأقوم بمحاسبته .

وقال رئيس المجلس أن الشيخ عاشور يجب أن يحاسب على إهانته للمجلس وإهانته لرئيس الجمهورية وطلب من اللجنة المختصة أن تنعقد على الفور . على أن تقدم اللجنة تقريرها فى هذا اليوم . وإذا تجرأ أحد الأعضاء واستغل الموقف الديمقراطى الكامل الذى يقفه السيد رئيس الجمهورية بالنسبة للمؤسسات الدستورية ، أقول أنه إذا .. تجرأ عضو أن يستغل هذا خارج إطار الدستور وخارج إطار القوانين واللائحة إنما يكون عضواً شاذاً لا يجوز أبداً أن ينتمى إلى المؤسسات الديمقراطية (تصفيق) .

وقدم تقرير اللجنة فى جلسة تالية (٢٧ مارس ١٩٧٨) الذى تناول اقتراحاً مقدماً من أكثر من خمس أعضاء المجلس ومنهم النائب عادل عيد . وانتهى تقرير اللجنة إلى إسقاط العضوية مع تسجيل اقتراح للجنة مقدم من النائب ممتاز نصار بالاكتفاء باستنكار ما وقع من العضو ، لم يوافق عليه أحد من أعضاء اللجنة . وسجلت اقتراحاً ثانياً من النائب حلمى مراد بالتجاوز عما بدر من الشيخ عاشور ووافق عليه ٥ أعضاء هم كمال سعد وأحمد ناصر وبهنساوى وزير بهنساوى وعويس عليوه وحسن عرفه . ورفضت اللجنة دفاع الشيخ عاشور عن نفسه بأن هتافه قصد به تنبيه وتحذير رئيس الجمهورية لمصلحته وأنه ممنوع من الكلام فى المجلس لأنه تبين أنه مارس حق الكلام فى جلسات عديدة .

وعند مناقشة تقرير اللجنة عدل العضو عادل عيد عن موقفه وقال ممدوح سالم رئيس الوزراء أن ما قام به الشيخ عاشور فعل شائن وطعنة للديمقراطية ، وهى ليست زلة لسان ، لأنه كرر ما قاله ورفض الاعتذار عنه .

وتم التصويت على اقتراح إسقاط العضوية فوافق ٢٧١ عضواً ورفض ١٦ عضواً ، عدا أعضاء حزب الوفد الجديد الذين انسحبوا من الجلسة .

وكان الرئيس السادات مستعدا فعلا ، لمعالجة موضوع الشيخ عاشور بعقوبة جزئية .. مثل وقفه بعض الوقت كما تنص لائحة المجلس .. وكان هناك رأى عام بين المثقفين المؤيدين للرئيس السادات بأنه اكبر من أن يكون طرفا مقابلا للشيخ عاشور .

واتصلت بالرئيس السادات ، وأبلغته هذا الرأى واقتنع وطلب منى أن أكتب رسالة قصيرة يبعث بها الرئيس إلى رئيس مجلس الشعب ، يقرر فيها ما يعنى عفوه عن هذه السقطة من الشيخ عاشور .. وكتبت هذه الرسالة ، ثم اتصلت به لكى أقرأها له ، ولكنه عدل عن رأيه اذ وجد أن الهدف المقصود من بعض فصائل المعارضة هو مجرد التطاول على شخص رئيس الجمهورية ، وأنهم فى ذلك تجاوزوا كل الحدود الدستورية والأخلاقية ..

كل هذه الظروف العامة يضاف إليها ، الهجوم المستمر على مباحثات السلام ، جعلت السادات يفكر فى أن يتولى رياسة الوزارة ، فى ٢٨ أبريل ١٩٧٨ وفى أن ينشىء حزباً جديداً بأسلوب مثالى يكون قاعدة شعبية حقيقية ، تواجه المعارضة ، وتواجه التنظيمات الدينية ، وما أحاط ذلك من مظاهر فتنة طائفية مما عرضت له فى فصل سابق .

ولكن السادات عدل بعد ذلك عن فكرة رياسة الوزارة ، ثم كلف مصطفى خليل برياسة الوزارة بعد عودته من كامب دافيد .. وبعد عشرين شهراً ، عاد إلى فكرته الأولى وقرر أن يتولى هو رياسة الوزارة .

كيف تدخـــل الجيش

عندما بدأت أحداث ١٨ يناير كان الفريق أول الجمصى وزير الدفاع فى زيارة ميدانية للسويس مع الفريق أحمد بدوى ، وكان قد قرأ ، فى الصحف قبل سفره قرارات

المؤلف :

سجلت هذه الخلاصة نقلاً عن كتاب « البرلمان المصرى » تأليف الأستاذين جلال السيد وسامى مهران .

وكان المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ، يؤيد فكرة تنازل الرئيس عن حقه الشخصى ولكن الرئيس السادات أصر . وكان قرار المجلس بفصل الشيخ عاشور .

وقد شجع الرئيس على أن يكون القرار بالفصل ، هو أن حزب الوفد الجديد ، تلاعب بالموقف . فبعد أن أعلن عبد الفتاح حسن قطب الوفد الجديد ، وعضو مجلس الشعب أن حزب الوفد الجديد يستنكر هذا التطاول وأنه لن يقبل استمرار عضوية الشيخ عاشور عاد حزب الوفد وعدل عن هذا الموقف ، بل قرر تقديم معونة مالية للشيخ عاشور توازى مكافأته عن المجلس فى حالة فصله .

رفع الأسعار . اتصل به رئيس العمليات وأبلغه بأن مظاهرة بدأت فى حلوان ، ثم تكرر الاتصال به عن تحركات أخرى فى مناطق مختلفة حسب معلومات المخابرات الحربية وما تتلقاه من أجهزة وزارة الداخلية .

عاد الجمصى بعد الظهر إلى القاهرة بعد أن اتصل به النائب حسنى مبارك . كانت الأنباء قد وصلت بأن عمال الترسانة البحرية فى الإسكندرية تجمهروا فى مظاهرة كبيرة . ثم استمر اتصال مستمر بين ممدوح سالم رئيس الوزراء وسيد فهمى وزير الداخلية وقيادة الجيش فى وزارة الدفاع .

قام الجمصى يرفع حالة الاستعداد فى القوات المسلحة . اتخذ اجراءات تأمينية داخل الوحدات . عندما حل الليل كان الموقف ينذر بالسوء . وكان المتوقع أن الأمور ستتطور إلى الاسوأ فى اليوم التالى . وكانت تقديرات وزارة الداخلية التى وصلت إلى الجمصى أن الأمور فى سبيلها إلى التحسن .

فى صباح ١٩ يناير اتصل النائب حسنى مبارك بوزير الدفاع وكذلك اتصل به ممدوح سالم رئيس الوزراء وجرى البحث حول نزول دوريات من الشرطة العسكرية أو الجيش داخل مدينة القاهرة كنوع من تأمين ودعم قوات الشرطة فى عملها . وكان الرأى أنه لا يجوز نزول القوات المسلحة لحفظ الأمن إلا إذا انهارت قوات الشرطة تماماً .. وبحكم القانون ، فإن القوات المسلحة فى حالة نزولها يجب أن تسيطر على الموقف كاملاً وتكون لها الكلمة الأولى والأخيرة وأن يكون تدخلها حاسماً لأنها آخر سلاح فى يد الدولة لحفظ النظام . أى أن القوات المسلحة لا تتدخل لدعم الشرطة ولكنها تتدخل لتكون مسئولة تماماً عن حفظ النظام .

تطور الموقف بعد ذلك إلى الأسوأ . تلقى وزير الدفاع إشارة رسمية من الرئيس السادات القائد الأعلى . قالت الإشارة ان وزير الدفاع والقائد العام يعتبر مسئولاً عن تأمين القاهرة وحفظ النظام ابتداء من الساعة (كذا) ..

وفى ذلك الوقت كانت الشرطة قد أنهكت تماماً وفقدت السيطرة على الموقف بسبب تعدد أمكنة المظاهرات فى وقت واحد .. وبسبب وجود عدد كبير من قوات الأمن المركزى فى اسوان لتأمين زيارة رئيس الدولة . وتقرر إرسال طائرات عسكرية إلى أسوان فى جسر جوى سريع لنقل قوات الأمن المركزى إلى القاهرة . وتم ذلك بالنسبة لقوات الحرس الجمهورى الموجودة فى أسوان .

طلب وزير الدفاع من رئيس الوزراء إعلان حظر التجول تمهيدا لنزول القوات المسلحة حتى لا تصطدم القوات المسلحة بالمدنيين فى الشوارع . وتم ذلك فعلا . ونزلت

القوات المسلحة بعد ساعتين من إعلان حظر التجول . وكانت هناك فرصة لدى الناس أن تعود إلى منازلها .

فى الساعة الرابعة من المساء نزلت القوات المسلحة لتأمين المواقع فى مختلف مدن الجمهورية . نزلت قوات القاهرة وصدرت الأوامر إلى مناطق أخرى أن تكون على أهبة الاستعداد . حدث ذلك بالنسبة للترسانة فى الاسكندرية .. وبالنسبة للسويس حيث جرى حرق دار الثقافة . ولم يحدث شىء فى الاسماعيلية .

كانت الأوامر صريحة :

- « إعادة النظام - السيطرة على الموقف تماما - دون إراقة دماء » ..

وتركز اهتمام قيادة الجيش على تأمين وسائل المواصلات وتأمين مبانى الصحف وبالذات « أخبار اليوم » و « الأهرام » .. وكانت النار تشتعل فى مخازن الورق التابعة لأخبار اليوم والقريبة جدا من مبنى المطبعة والتحرير .

طلبت قيادة الجيش عناوين مخازن وجراجات النقل العام للسيطرة عليها تم ذلك بعد وقت طويل لأن وجود مسئول يعرف هذه العناوين كان مشكلة .

وقد روعى تقليل وقت وجود القوات المسلحة داخل المدن إلى أقل مدى ممكن . كما روعى عدم دفع القوات المسلحة إلى شوارع فرعية حتى لا تصطدم بالناس وأن تتمركز فى الميادين العامة .

وثارت مشكلة ، وصل عدد كبير من المواطنين فى القطارات من بحرى وقبلى إلى محطة العاصمة ، وبسبب حظر التجول تجمعوا فى فناء المحطة وصدرت الأوامر إلى سيارات وأوتوبيسات القوات المسلحة بنقل هؤلاء المواطنين إلى مختلف أحياء القاهرة ، وتكرر ذلك فى أى ميدان بالقاهرة وجد به أشخاص لم يستطيعوا العودة إلى منازلهم بسبب حظر التجول .

جرى كل ذلك بدون إراقة نقطة دم واحدة . وقد تم إطلاق نار فى الهواء فى ميدان الجيزة . وتفرقت مظاهرة كبيرة بعد أن سمعوا دوى ٣٠٠ بندقية تطلق الرصاص فى الهواء .

وحدث أيضا إطلاق نار فى الهواء فى إمبابة ، ولكن بدرجة أقل .

وتمت السيطرة على الموقف تماما ، وعند منتصف الليل صدرت الأوامر بسحب القوات وخاصة الدبابات والعربات المدرعة والعودة إلى معسكراتها واستغرق تنفيذ ذلك ساعتين . ثم بدأ التعاون بين الجيش والشرطة فى إزالة آثار الحرائق بحيث بدت القاهرة فى الصباح وكأن شيئا لم يكن !

وعند عودة الرئيس السادات من أسوان بعد ظهر يوم ١٩ يناير كانت هناك مظاهرة فى العباسية متجهة إلى كوبرى القبة ، وكان هذا يعنى تهديد جامعة عين شمس .. ومبنى وزارة الدفاع ، وهناك منطقة أرصاد جوية عسكرية . وكان من الممكن أن يتطور الأمر إلى خطورة . وأصدار القائد العام أمرا بقفل الشارع ومدخليه عند العباسية وعند مصر الجديدة كما أقفل شارع صلاح سالم .

ووصل الرئيس إلى منزله بالجيزة ، وكانت الأمور أقرب إلى حالتها الطبيعية تماما .

وليس صحيحا أنه أعدت طائرة خاصة للرئيس لكى يغادر بها القاهرة مع أسرته فى حالة انهيار الموقف ، وهذه أشاعة كاذبة أطلقها محمد حسنين هيكل فى كتاب « خريف الغضب » للتشهير بشجاعة السادات وصرح لى المشير الجمصى بأن قائد القوات الجوية (محمود شاكر) كان على اتصال مستمر به لترتيب تدخل السلاح الجوى فى نقل الجنود من أسوان ، وفى كل تحرك طلب من القوات الجوية ، ولم يطلب أحد من اللواء محمود شاكر أى ترتيبات خاصة بالرئيس السادات الذى كان يشرف على الموقف إشرافا دقيقا وباتصال مستمر مع كل الجهات المعنية دون أن تهتز شعرة من رأسه . وذلك بشهادة الجميع .

الفصل الرابع عشر :

قضيــة الحـــرب

نصيحة بورقيبة بالتنازل عن شرم الشيخ لإسرائيل ! ــ إسرائيـل قادرة عـلى التمرد على أمريكا ــ خطط القذافى للقضاء على إسرائيل ! صحافة أمريكا لا تصدق السـادات باعتـزامه الحـرب ــ حسابـات السـادات ــ تكليفـات الإعـداد للقتـال ــ اجتماع ٢١ أكتوبر ١٩٧٢ ــ كلمات السادات فى الاجتماع السرى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ــ القصة الـكاملة للمباحثات مع قادة الـكرملين فى موسكـو على لسان السادات ــ موقف سوريا فى أكتوبر ١٩٧٢ ــ اجتماع أغسطس بالإسكندرية ــ قرار ساعة الصفر ــ قبل حرب أكتوبر بيومين ــ المخاطرة المحسوبة ــ احتمالات الخسارة ٣٠ ٪ ــ عرض الخطط النهائية فى اجتماع استمر ١٠ ساعات فى أول أكتوبر ١٩٧٣ ــ فى غرفة العمليات ــ تقييم دور السادات ــ لماذا نقامر ــ صحف أمريكا : السـادات حاكم أسمر يهدد بالحرب وهوايته وقف إطلاق النار ــ رفع معنويات المقاتل المصرى هو أهم تخـطيط ــ كوسيجن فى القـاهرة ــ كيسنجـر فى موسكـو ــ نداء السادات إلى موسكو وواشنطن ــ حقائق الثغرة ــ طائرة استطلاع أمريكية تحدد المواقع المصرية فى ١٣ أكتوبر ــ تطوير الهجوم فى ١٤ أكتوبر ــ خطأ تقدير القائد المحلى فى أول نشوء الثغرة ــ فى ١٧ أكتوبر أصبح عدد الدبابات الإسرائيلية ٢٠٠ دبابـة ــ اختلاف الآراء فى غرفة العمليات ــ السادات يعقد اجتماعا عاجلاً ــ السادات يحتد على الشاذلى ــ شهادة من الجمصى ــ لماذا تأخر تطوير الهجوم ــ جروميكو فى مصر يرفض منطق السادات فى الاتصال المباشر مع أمريكا ــ تقييم للمـوقف عن الثغرة .

الفصــل الرابع عشر

قضية الســــــلام

فى أغسطس ١٩٧٣ كنت فى تونس . لقيت الرئيس حبيب بورقيبـة فى مكتبه ، وبادرنى بالقول أنه متشائم . وكرر كلمة التشاؤم عشر مرات .

فقلت له : نحن نستعد للحرب ..

واعتبر قولى مجرد نكتة ، وقال لى : لقد نصحت الرئيس أنور السادات عندما كان يزورنا فى تونس أن يتخلى عن شرم الشيخ لاسرائيل ولا داعى لاستمرار هذه الأزمة الطاحنة إذا كانت قطعة أرض صغيرة ترضى إسرائيل .

وقد دعانى محمد المصمودى وزير خارجية تونس حينئذ إلى حوار فى منزله .. وكان رأيه مشابها لرأى رئيس تونس ، ولو أنه قال إنه ليس متشائما لأن المشكلة تعقدت إلى درجة لابد أن نصل فيها إلى حل ، ولكن الحل لن يكون هو الحرب لأن مصر عاجزة عن الحرب .

وسألته : ما هو الحل فى رأيك ؟

قال المصمودى : إن الرئيس السادات أجـرى تحولا جـذريا فى أسلوب الحكم الداخلى وأصبحت مصر تشعر فعلا بالديمقراطية ، إننى أرى أن الطريق الوحيد أمامه هو أن يعلن نبذ فكرة الحرب تماما ، ويترك الوضع عـلى ما هـو عليه ويتجـه إلى البناء الاقتصادى . وعندئذ ستساعده كل الدول ، وحتى تقوى مصر وتقاوم التخلف تستطيع إذن أن تحارب وتحرر الأرض .

وكان الرئيس بـورقيبة يبنى رأيـه بضرورة أن تتنـازل مصر عن شـرم الشيخ لإسرائيل على عدة حجج .

قال لى بورقيبه : « إننى أرى أن النفوذ السوفيتى يتدعم ويتسع فى مختلف بقاع العالم ، والحرب بين أمريكا والأتحاد السوفيتى مستحيلة ، والاتحاد السـوفيتى الآن يريد أن يستفيد من التقدم التكنولوجى الأمريكى لكى يدعم كيانه فى الداخل ويوسع نفوذه خارج أرضه . والنفوذ السوفيتى قائم الآن فى الشرق الأوسط . كما أن العون السـوفيتى العسكرى لمصر ، لن يحقق كل ما تريده مصر للقتال» .

وأضاف بورقيبة : «يجب أن يراعى السادات أن الموقف الأمريكى واضح فى المساندة الكاملة لاسرائيل . وأصبح معروفا أن الاتحاد السوفيتى لا يؤيد نشوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط ، ومصر لم تحصل على ما تريده من أسلحة ، والميزان العسكرى لا يزال فى صالح إسرائيل ، وقد أصبحت إسرائيل الآن تشكل خطراً على الواقع العربى كله ، وسوف تحقق حلمها من النيل إلى الفرات» .

ولذلك فإن بورقيبة يقدم للسادات هذه النصيحة :

.. «السياسة الناجحة هى الترهيب والترغيب بمعنى أن تكون لدينا القوة لضرب إسرائيل ضربة جزئية ، وبعدها يكون الترغيب بالتفاوض ، ولكن بكل أسف ليست لدينا القدرة على الترهيب ، لأن المقاومة الفلسطينية غير قادرة على مباشرة نشاطها بسبب ما فرض عليها من قيود ، خوفا من رد الفعل الإسرائيلى ، كما أن مصر لا تستطيع أن تبدأ حرب استنزاف لأنها ستتحول إلى حرب شاملة ، والميزان العسكرى فى صالح إسرائيل» .

إذن فإن السادات لا يستطيع حتى اتباع سياسة الترهيب والترغيب ..

ثم يضيف بورقيبة أسبابا أخرى تدعم تشاؤمه وتدعو السادات إلى التنازل عن شرم الشيخ ويقول :

- «ألا يعلم السادات أن إسرائيل أعدت نفسها عسكريا واقتصاديا بحيث تستطيع التمرد على أمريكا إذا باشرت ضغطا عليها لصالح العرب إذا هم استخدموا سلاح البترول وهذا غير وارد أبدا» !!

ويؤكد بورقيبة أن العرب لن يستخدموا سلاح البترول .

- لماذا ؟

- لأن الواقع العربى مؤلم ومؤسف ، خلافات ، اضطرابات ، تناحر صراعات حزبية ومذهبية ، تقسيمات للدول العربية بأن هذه رجعية وهذه تقدمية وهذه ثورية ، والأمة العربية تغط فى نوم التخلف وليس من السهل استخدام سلاح البترول العربى . وأمريكا سوف تنفذ تهديدها بالاستيلاء بالقوة العسكرية على منابع البترول إذا حرمت من حاجتها إليه» .

- والحل ؟

قال لى بورقيبة : لا أمل عندى على الإطلاق .. وعلى السادات أن يسلم شرم الشيخ لإسرائيل وأن تنصرف جهوده وبسرعة لمقاومة التخلف .

أما القذافى ــ صديق مصر قبل حرب أكتوبر ، فقد أعلن أن الاستراتيجية المشتركة بين مصر وسوريا استراتيجية فاشلة ، وقال إنه عرض أكثر من خطة عسكرية ناجحة للقضاء على إسرائيل ورفضتها مصر .

فماذا كانت خطط القذافى .. ؟

كان القذافى يرى بعد حادث نسف الإسرائيليين للطائرة المدنية الليبية أن تجرى ضربة إنتقامية داخل إسرائيل ، ثلاث طائرات تنطلق من دمشق إلى إسرائيل وتضرب وتعود إلى القاهرة .

ولم يقتنع القذافى عندما قالت له كل من القاهرة ودمشق أن الحرب هى الحرب الشاملة ، ولن نبدأ إلا عندما نكون قادرين على المواجهة الشاملة فعلا . وأن أى جهد جزئى هو شىء ضائع .

ثم عرض القذافى خطة أخرى .

طلب أن تضرب البحرية المصرية باخرة كبيرة للركاب ، هى الباخرة « كوين اليزابث » التى كانت تنقل سائحين من أصحاب الملايين إلى إسرائيل .

وقد رفض أيضا هذا الطلب لأن الحرب ليست ضرب مدنيين سائحين . وكان القذافى قد أصدر أوامره فعلا إلى غواصة حربية مصرية كانت فى المياه الإقليمية الليبية بالتحرك !..

وأنقذت القاهرة الموقف !

ثم أعلن القذافى فى حديث صحفى نشر فى بيروت أن السادات يتحدث عن المعركة والحقيقة انه لا توجد معركة .

بل إن القذافى عندما بدأت الحرب فى ٦ أكتوبر أعلن أنه يتوقع الفشل المصرى ، وقال إنه برىء من هذه الحرب لأن مصر لم تستمع إلى وجهة نظره .

وبعد ذلك دعا القذافى إلى مؤتمر صحفى فى باريس وصف فيه نصر أكتوبر بأنه الهزيمة الكبرى !

***

وكان السادات قد اتخذ قرار الحرب مع حافظ الأسد فى ابريل ١٩٧٣ ولم يكن باقيا إلا التوقيت النهائى واللمسات الأخيرة فى استكمال بعض أنواع السلاح الناقص وبعض معدات الجسور . وقد اجريت آخر تجربة عسكرية للعبور فى شهر مايو ، ولكن كانت تنقصها بعض المعدات وكانت الآراء العسكرية متفقة على أننا أصبحنا قادرين

فعلا على نجاح العبور، وهذا ما صرح لى به الفريق سعد الشاذلى فى نوفمبر بعد الحرب.

وفى أبريل قال السادات لأفراد أسرته فى منزله بالجيزة :

– عليكم من الآن أن تبحثوا عن منزل آخر، المعركة يمكن أن تبدأ فى أية لحظة وسيكون منزلنا هدفا لطائرات إسرائيل وأنا لن أكون معكم.

ورفضت السيدة جيهان السادات وقالت أن ما يجرى عليها يجرى على أية أسرة مصرية.

وتلاعب السادات بأعصاب العالم .. ولم يصدقه أحد عندما أدلى بحديث فى هذه الفترة إلى بورجريف كبير محررى مجلة «نيوزويك» الأمريكية قال فيه :

– إن الحرب على الأبواب، انتظروا وسترون ان هذا سيحدث فى وقت أقرب مما تتصورون.

وكان من رأى هذا الصحفى الكبير – صديق كيسنجر – أن السادات يفرقع كلاماً لأن السادات أول من يعلم أنه سيصاب بأكبر هزيمة لو دخل الحرب، ونشر بورجريف فى نفس عدد النيوزويك مع تصريحات السادات، تحليلا سياسيا بأن مصر عاجزة. كما نشر ان طائرة هليوكبتر اسرائيلية هبطت فى موقع مصرى على الضفة الغربية للقناة وأسرت عددا من الجنود والضباط المصريين وعادت بهم دون ان تتعرض لطلقة واحدة مصرية. وكان هذا الخبر من مصدر اسرائيلى.

وفى هذا الوقت اتصلت بالرئيس السادات وجرى الحديث عن الحرب .. وأذكر أنى قلت له .. ولماذا نتعجل القرار ولا نأخذ الوقت الكافى للاستعداد حتى نضمن كسب المعركة ؟.

وقال لى السادات :

– كل الحسابات الدقيقة قد عملت حتى فى أدق التفصيلات التى لا تخطر على بال .. وهذه الحسابات تؤكد أنه لا مفر أمامنا من القتال قبل نهاية ٧٣ وإلا تغير الموقف العسكرى فى غير صالحنا ونحن نعرف ما تملكه اسرائيل الآن من سلاح.

وعن المشاركة العربية قال السادات أنه واثق أنه عندما تدوى الطلقة الأولى فإن الموقف العربى كله سيتغير.

وفى حديث خاص للرئيس السادات معى قال لى : «لقد كان قرارى بإنهاء خدمات الخبراء السوفيت هو أول خطوة عملية لدخول الحرب، لأنه لم يكن من الطبيعى ان

أدخل الحرب وعلى ارضى خبراء عسكريون سوفيت ، كما أننى أسقطت حجة إسرائيل التى كانت تضلل بها وهى أنها ستواجه الحرب مع السوفييت لا مع المصريين» .

ثم قال السادات :

- وبعد ان أصدرت هذا القرار استدعيت أربعة اشخاص : حافظ إسماعيل ، بوصفه المستشار لشئون الأمن القومى ، المهندس سيد مرعى بوصفه أمين أول الاتحاد الاشتراكى ، الفريق صادق بوصفه وزير الحربية ، ممدوح سالم بوصفه الوزير المسئول عن الدفاع المدنى ، وطلبت من كل منهم تكليفات معينة للإعداد للقتال .. دون أن أحدد لهم اى وقت .

وقال لهم السادات حينئذ إن قرارات إنهاء خدمات السوفييت لن تكون لها قيمة فى نوفمبر المقبل وهو شهر الانتخابات الامريكية . ويجب أن نكون مستعدين سياسيا وعسكريا . والاتصال السياسى لا جدوى منه إلا إذا اعتمد على استعداد عسكرى جاد . فماذا يطلب منى وانا ضعيف إلا الاستسلام ؟

وبالنسبة للفريق صادق طلب منه السادات ان تكون القوات المسلحة جاهزة فى ١٥ نوفمبر (١٩٧٢) .

ثم يقول السادات :

- وفى ٢١ اكتوبر عقدت المجلس الأعلى للقوات المسلحة لأراجع مع القيادات استعدادهم واستمع منهم إلى ما أنجزوه ، وفوجئت فى هذا الاجتماع بأن الفريق صادق لم يبلغ تكليفى إلى المجلس الأعلى ، وفوجئت بمن يتحدث عن نقص فى نوع معين من السلاح ويعلق التجهيز العسكرى على وجود هذا السلاح ، وهل إذا لم نحصل على هذا السلاح نقف ونستسلم ؟

كان المعارضون على عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية وعبد القادر حسن نائب وزير الحربية .

وقلت لهم وجهة نظرى وهى التى طبقناها فى حرب اكتوبر المهم أن نعد أنفسنا للقتال بما نملكه من سلاح فعلا وفى حدود امكانياتنا فقط . ونكمل النقص بالتخطيط العلمى الدقيق وبقدرة المقاتل المصرى على القتال . السلاح شرط واجب طبعا ولكن إذا لم يتيسر لنا كل انواع السلاح هل نقف ؟.. لابد ان نفكر ونخطط ونعوض هذا النقص .

وقد سمح لى السادات بشريط مسجل عن هذا الإجتماع التاريخى الذى استمر ٤ ساعات واقتطع منه هذه الفقرات التى تؤكد أن قرار السادات بالحرب فى ٢١ أكتوبر ١٩٧٢ كان قرارا نهائيا .

قال السادات فى هذا الاجتماع التاريخى السرى ، شارحا بتفصيل دقيق موقف السوفييت والأمريكان .. واستعدادنا العسكرى للمعركة :

الرئيس : فى سلسلة الاجتماعات اللى بأعملها علشان الموقف النهاردة . الحقيقة . كان لابد أن اجتمع بيكم ، لأننى أعتقد أن المرحلة تحتم أن نقعد ونستعرض الظروف والموقف بالكامل ، وخصوصا وأن السنة الماضية منذ اجتماعنا فى أكتوبر الماضى لغاية اليوم حصلت تطورات كثيرة جدا تؤثر على الموقف ، ونكاد نرسم خط السير الذى لا مناص منه ، فى أكتوبر الماضى (١٩٧١) لما جمعتكم فى الواقع كان بعد زيارتى للإتحاد السوفيتى وكان فيه لو تذكروا وقفة بيننا وبين الإتحاد السوفيتى طول صيف ٧١ ، وانتهت بأن احنا اتفقنا على النقاط فى موسكو ١١ و ١٢ أكتوبر ، وبعد اجتماعى فى موسكو جمعتكم وقعدنا اتكلمنا وشرحنا الموقف كله ، ولم أكن سعيدا فى ذلك الوقت . هذه هى الحقيقة . ولكن كما قلت لكم كان فيه نقطة خلاف أساسية مع السوفيت منذ رحلتى الأولى فى مارس ١٩٧١ إلى موسكو ، ولو عدنا إلى محاضر اجتماعات ١ و ٢ مارس مع الزعماء السوفيت نجد أننا لم نتحرك فى نقطة الخلاف الأساسية ، كانت النقطة الأساسية فى الخلاف ، كما قلت لهم : أنتم حاطينى وراء إسرائيل بخطوتين ، ومع أنه المفروض أن أكون متفوقا على إسرائيل ، فإننى لا أطلب هذا ، أطلب أن أكون متساويا معها .

وساعة ما بنيجى للنقطة دى ، دائما بنقع فى خلاف وبيجى جريتشكو ويطلع النوتة ويقول عندكم كذا دبابة وكام طيارة ، الكلام اللى بيلجأوا ليه دائما .. وندخل برضه فى مناقشات وعلى خصائص الطيارات اللى عندنا ، يعنى دائما كنا نيجى فى النقطة الأساسية دى ويطلعوا كشف السلاح ، زى ما قلت لكم فى ١ و ٢ مارس ١٩٧١ . واضح تماما فى المحضر نحن مختلفون . قلت لهم مش معنى هذا أننا نكتب كده فى المحضر ، أو إننى هأرجع مصر وها أقول أنا مختلف مع الإتحاد السوفيتى ، لا قلت لهم إن احنا أصدقاء . وممكن نختلف وممكن بعد فترة نتفق سوا . المهم إن كل واحد منا يفهم موقف الثانى وجيت فعلا أنا بعد الرحلة دى بتاعة ١ و ٢ مارس جمعت اللجنة التنفيذية العليا فى ذلك الوقت وبعديها اجتمعت بيكم وكان معايا منهم محمد فوزى وشعراوى جمعة ، كانوا معايا فى الوفد ، حضروا المباحثات كلها ، وقلت لهم اللى جرى بصراحة ، وقلت لهم . ولكن ليس معنى هذا إن إحنا بنقطع أو أن الخلاف نطلعوا على السطح دلوقتى لأ ما جاش أبدا هذا الأوان ومش مصلحتنا ، ومش مصلحة لا شعبنا ولا قواتنا المسلحة إن احنا نطلع الخلاف على السطح النهاردة ، لأن ده خلاف يكفى إن احنا بنحطه قدامنا فى اتصالاتنا الجارية مرة واثنين وثلاثة ، يا إما بنعدى هذا الخلاف يا إما .. ولكن أنا باعتبر انه بالحاجات اللى أعطوها لنا فى ذلك الوقت ١ و ٢ مارس انه من الممكن نخش جولة أخرى وجولة أخرى لصالح المعركةولصالح البلد ، فى أكتوبر كانت أحداث السودان وقعت فى الصيف زى ما انتم فاكرين . وكان فيه وقفة تماما بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ، وبعدين اختلفنا فى أكتوبر وواضح فى المحضر

ولكن جه بريجنيف وقال إنه حوالى ٨٠٪ من الصفقة يسلم قبل نهاية ٧١ .. وأنا قلت لكم فى ذلك الوقت على الحاجات اللى وافقوا عليها والحاجات اللى ها تجيلنا قبل نهاية ٧١ والحاجات اللى هاتجينا فى ٧٢ وقلت لكم (exactly) (بالضبط) جهزوا أنفسكم علشان زى ما أنا كنت بنادى إن ٧١ لابد أن نحسم فيها وكانت محل مناقشة معاهم برضه فى اجتماع أكتوبر وفى

اجتماع مارس أيضا . وبقول لهم منطقى أن شعبنا لا يستطيع الانتظار . ولا شعوبنا أكثر من كده والنتيجة وخيمة عليكم وعلينا . كانوا بياخدوا الحاجات دى بشيء من الاستخفاف شوية يعنى هما متصورين كانوا أنه ممكن الأمور تمشى بالطريقة اللى هم بيفكروا بيها .

فات أكتوبر ونوفمبر ودخلنا فى ديسمبر وجاءت وقعت معركة الهند وكان واضح لى يوم ما حصلت معركة الهند يوم ٨ أو ٩ ديسمبر ٧١ كان واضح لى تماما أنه مش ممكن نقدر نعمل أى عملية فى سنة ٧١ خاصة وأن الصفقة اللى اتفقنا إنها جاية لنا هتيجى قبل نهاية ٧١ وكنا ساعتها فى ٩ ديسمبر . وحتى التعاقد لم يتم عليها . أنا تصورت إنه مش هايستنوا التعاقد زى ما حصل فى سنة ٦٧ .. هايبعتوا على طول وبعدين نبقى نتعاقد فكان واضح فى ديسمبر وساعة ما ابتدت معركة الهند . كان واضح أن الموقف مش ممكن هانقدر نواجهه . وهو إنه حايحصل حاجة قبل نهاية ٧١ . ويوم ١٠ ديسمبر مباشرة استدعيت السفير السوفييتى عندى وقلت له واضح تماما إن ٧١ انتهى خلاص ، احنا النهاردة ١٠ ديسمبر . ابتدأت امبارح معركة الهند عمليا انتهى ٧١ .. طيب وبعدين ؟ .. أرسلت للقادة السوفييت كل ده وأنا فى حسابى بأحسب انه احنا أصدقاء .. وممكن أن نختلف ولكن الخلاف ممكن ان احنا نحصره بقدر الإمكان ونكمل المشوار .. فقلت له ابعت للقادة السوفييت وقلهم أنا عايز أجى لكم موسكو قبل نهاية ٧١ .. ليه ؟ علشان نحاول نعالج الموقف فى بيان نطلعه . فى إجراء نتخذه علشان نعدى سنة ٧١ لأنى ارتبطت بذلك .. وأنا كنت عندكم فى موسكو مرتين .. بل فى أكتوبر السنة دى . وبأعلن وأنتم سامعين كلامى . واتناقشنا فى هذا إن ٧١ حسم ومحصلش حسم .. افترضت بقيام معركة الهند مافيش حسم .. مش هاأقدر أعمل حاجة فى ٧١ وأنتم داخلين فيها طرف .. قل لهم قبل نهاية ديسمبر ٧١ وأنا عايز ألتقى بهم فى موسكو وما كنش عندى حرج أبدا إنى أسافر لثالث مرة موسكو مع إنى كنت قبلها فى أكتوبر . جانى الرد من هناك فى آخر ديسمبر . أواخر ديسمبر أن الاجتماع فى ١ ، ٢ فبراير ٧٢ لأنه جدول مواعيد القادة السوفييت من هنا لغاية ١ ، ٢ فبراير كذا وكذا وجاب لى جدول المواعيد و .... و .... و .... و .... و .... الخ . الكلام ده كان فى أواخر ديسمبر ، الحقيقة أنا كدت فى أواخر ديسمبر أن أصدر القرارات اللى طلعتها فى ٨ يوليو ، كدت فى أواخر ديسمبر إنى أقول للسفير طيب شكرا وأعلنه بالقرارات . لكنى يعنى الواقع زى ما قلت لكم ، أنا حريص على المعركة من ناحية ، وحريص على صداقة الاتحاد السوفيتى من ناحية تانية ، لسه فيه أمل يعنى ماقطعتش الأمل ، الحقيقة ليه ؟ أنا فى تفكيرى قلت الناس دول مستنين اجتماع موسكو بتاع عشرين مايو ٧٢ وأنا عارف أسلوبهم فى هذا وأنا طول الخمس سنين اللى بعد العدوان من ٦٧ باتعامل أنا شخصيا معاهم فى قضيتنا لكن فى أثناء وجود عبد الناصر كنت أنا متولى المسألة وماكنتش بتخرج عنا احنا الاتنين بس فأنا عارف أسلوبهم . يعنى لعلمكم برضه علشان ، تكونوا على بينه لما عملت المبادرة أنا فى فبراير ٧١ عملت المبادرة الحقيقة أساسا لعدة عوامل العامل الأول فيها كان إنى عارف أن الإتحاد السوفيتى مش هيسعفنى مش هايدينى فى الوقت الكافى وكان أيامها احنا بنتكلم على وقف إطلاق النار من عدمه فى فبراير .. وكان مؤتمر الحزب الشيوعى بتاع موسكو سينعقد فى ٣١ مارس ٧١ فأنا عارف ببساطة وبحساب عارفه بقالى أربع خمس سنين معاهم أن قبل انعقاد هذا المؤتمر مش هيدينى حتى من اللى احنا متفقين عليه وكان فى ذلك الوقت القسم الرئيسى من الاتفاقات هى بطاريات الصواريخ علشان

الصعيد ومش ممكن ابتدى اكسر وقف اطلاق النار وسدود الصعيد ما جاتش لسه بطاريات اصواريخ عشان أدافع عنها ومعروف عمقنا فى الصعيد . ؟

فوزى جانى يوم وقال لى خلاص يافندم الروس بعتوا لنا . قالوا أن المركبين اللى جايين بالبطاريات واحدة فى ١٨ فبراير وواحدة فى ٢٢ فبراير .. قلت له « لا .. أسف مش هايجى قبل مؤتمر الحزب الشيوعى اللى هايعقد فى ٣١ مارس وقبل ما ينتهى المؤتمر فى أبريل بعد ذلك تيجى البطاريات قبل كدة مفيش حاجة أبدا » قال لى ياأفندم ده أخطرونى رسميا بميعاد ١٨ و ٢٢ فبراير . قلت له « ولا حاجة جاية وده أسلوبهم أنا عارفه . وهذه طريقة تعاملهم » فالحقيقة كانت مبادرتى أساسا تهدف إلى أنه طيب أنا إيه اللى تاعبنى ؟ أنا اللى تاعبنى إن أنا مش عايز خسائر فى العبور وعشان كده عملت المبادرة . انه إذا إسرائيل انسحبت مرحلة أولى بتعبر قواتنا بعد الـ ٦ أشهر إذا إسرائيل مانتهتش إلى حل معانا قواتنا التى عبرت تقاتل وتكمل واجبها ، اللى أنا بأقصده من هذا انه كارت ناجح مع أوربا الغربية وللعالم كله بالنسبة لفتح قناة السويس .. الحاجة الثانية أنا عايز أخلص من عملية السيف اللى محطوط على رقبتى فى العبور وأرى أننا سنتعرض لخسائر ضخمة إذا كان لابد أنى أعبر قبل الروس ما يدونى الحاجات اللى أنا عايزها وقلت يعنى تانى الأمريكان يسعوا و ...... و ...... و ...... لولا أنهم بعد ذلك ضحكوا عليهم اليهود وأنا بعت لنيكسون هذا الكلام وقلت له ضحكوا عليك اليهود لأنهم قالوا للأمريكان أن المبادرة ليست إلا بدء التنازلات المصرية استنوا عليهم هايكملوا باقى التنازلات قلت لنيكسون أنا بعت لك قلت لك أن المبادرة ارتباط كلام وماصدقتنيش وعليه النهاردة أنا مش مستعد أبدا أتكلم فى هذا الموضوع . الحقيقة أنا أيامها عملت هذه المبادرة علشان فى العبور أتجنب الخسائر الضخمة اللى لازم تحدث نتيجة عدم إمدادى بما أريد ، الشيء الثانى كان أو السبب الثانى للمبادرة الحقيقية إنه ضاق الوقت أنا عارف إنه زى ماقلت لكم إنه فى ٣١ مارس كان مؤتمر الحزب الشيوعى قبل هذا التاريخ مفيش حاجة حتى من اللى اتفقنا عليها هاتيجى بطاريات الصعيد وغير بطاريات الصعيد حتى أى قطع غيار أوأى ، حاجة مش هاتيجى قبل ماينتهى المؤتمر بتاعهم فى أبريل وده اللى حصل فعلا البطاريات ماجتش إلا فى أبريل أظن .

أحد الأعضاء : أبريل .

الرئيس : آه ماجاتش إلا فى أبريل مع انه زى ما قلت لكم أخطروا فوزى بأن مركبين واحدة فى ١٨ وواحدة ٢٢ فبراير فأنا قلت باكسب وقت شوية برضه منها بتغير الصورة السياسية للقضية كلها وإسرائيل بتقول أإه مفيش حد فى العرب يقبل اتفاق سلام حقيقى .

لو قالت معاهدة سلام كانت تبقى خطر لكن لما تقول اتفاق سلام .. طيب ماهو اتفاق الهدنة بتاع ٤٩ لما تقروه تلاقوه اتفاق سلام . ولذلك أنا قلت اتفاق سلام مفيش مانع ..

قلت أيضا أكسب الوقت برضه مجاملة لصديقنا الإتحاد السوفيتى انه ياخد وقته معلش أنا عارف ساعة الحزب الشيوعى ما يعمل مؤتمر فى ٣١ مارس وياخد راحته هو واقرص عليهم شوية معلش فرعت المشكلة شوية واهية ماشية وفعلا المبادرة مشيت وغيرت شكل القضية السياسية بره فى العالم و .... إلخ وحركت شوية لكن كان تأثيرها على الروس عكسى أروح لهم يقولوا مافى حل إلا حل سلمى ولازم تتصل بالأمريكان طيب مااحنا عرضنا المبادرة وبناء على

مبادرى الأمريكان ، هم اللى جم وأنا مارحتلهمش بعتوا لى روجرز الأولاد المتآمرين اللى كانوا هنا فى اللجنة العليا راحوا للإتحاد السوفيتى وقالوا لهم أنور السادات باع البلد للأمريكان خلاص واتفق معاهم وصفى القضية والناس دول يفكروا بطريقة غريبة .

أنا لم أطلب من الأمريكان دول همه اللى جم وقالوا وزير خارجيتنا يجيلك قلت لهم ييجى ماعندى مانع أبدا يعنى بس ييجى يقولى عايز إيه هايجينا ليه أو هايعمل إيه فضلنا بعد المبادرة فى الموقف اللى برضه المايع إلى أن حصلت أحداث السودان فى صيف ٧١ وقلت لكم فى زيارة أكتوبر بعد كده يرجع لحديثى الأصلى الحقيقة كدت فى أواخر ديسمبر ٧١ لما جالى السفير السوفيتى يقولى على الموعد فى ١ ، ٢ فبراير كدت آخد موقف معاهم لكن فى الحقيقة ماكنتش أنا فى هذا الوقت جاهز لأى حاجة . ليه لأن مقدرش أخد المسائل لا بعاطفة ولا بانفعال ولا بغضب ولا حاجة أبدا لأنها مسائل مصيرية .. وأنا إلى ذلك الوقت زى ما حكيت لكم عارض انى أروح موسكو لثالث مرة فى ديسمبر مع أنى كنت لسه فى أكتوبر عندهم .. أنا اللى عارض .. وقلت للسفير قلتهم أنا عايز أدرس الأمر على طول علشان نقدر نطلع حاجة نغطى بيها الموقف بتاع ٧١ . ونخش على ٧٢ لأن واضح بعد معركة الهند مفيش حاجة .. حتى ده مش قادرين يفهموه ان احنا لازم نغطى موقفنا .. وانا بغطى موقفهم هم . لأن أنا ممكن زى ماحصل وقلت باطلع وباحكى القصة كلها . وبأقول إن الناس دول اتفقوا معايا على انه يدونى صفقة قبل نهاية ٧١ على أساس أنا كنت عايز أخطط واشتغل ما أدونيش .. مضطر أقف مش عايزه مناقشة .. ولكن محبتش ألقى اللوم عليهم ولا حاجة فى ذلك الوقت وقلت لهم عليها كأصدقاء وأنا عارف ماذا سيحدث فى موسكو بينهم وبين نيكسون .. هم عايزين يهدئوا كل شىء .. وهم .. الشىء المؤسف اللى اتصوروه إن احنا جماعة مجانين أو ناس ما بنفكرش متصورين انه يوم ما ان نحصل على الأسلحة التى نريدها نروح راكبين راسنا ونقول اضرب ياجدع ! .. مش قادرين يفهموا .. أو يعنى متخاذلين .. بيقولك لأ .. طريقة تفكيرهم عنا .. حقيقة لغاية النهاردة مانيش ، عارف أوصل لها كويس .. إنما فيه شىء واحد لازم نعرفه انه ده قوة كبرى وله سياسته كقوة كبرى وله مصالحه وله أوضاعه .. بيفكر على هذا الأساس .. صبرت على مضض حتى اجتماع ١ ، ٢ فبراير وسافرت . وقامت الدنيا كلها خلال هذا .. الطلبة قاموا .. الجماعة الحاقدين كلهم اتحركوا .. وفاهمين انه دى فرصة وزى مانتم شفتم .. انا تركت الطلبة ٧ أيام .

واجهت البلد كلها وواجهت العرب كلهم . ودافعت عن الاتحاد السوفيتى .. على أمل ان احنا هنتقابل فى فبراير .. فعلا .. فى فبراير اتقابلنا وشرحت لهم صورتهم وحالتهم وقلت لهم ان الوضع خطر عليكم دلوقتى فى المنطقة وعلى العرب كمان يعنى احسبوا معايا .. طيب امتى الحاجات دى ستنفذ .. طبعا حاسين البلد كانت بتغلى ازاى .. وكان فيها إيه .. قلت لهم ده كان نتيجة لكل التصرفات اللى فاتت واللى حكيت لكم عنها واللى قلت لكم عنها من مارس ٧١ .. فى محضر مارس ٧١ تلاقوا الكلام ده كله .. وقلت لهم لا يمكن شعوبنا تستنى ولايمكن المنطقة تستنى .. مش ممكن بالأسلوب ده وبالشكل ده هاتمشى الأمور .. ردوا على بكلام عن الرجعية واليسار .. قلت برضه هانرجع للكلام .. الرجعية واليسار .. مفيش عندى لا يسار ولا يمين فى البلد بالنسبة لتحرير الأرض أبدا .. مفيش خلاف إطلاقا .. ويسار إيه ويمين إيه

النهاردة .. سيبوا الكلام ده كله احنا في معركة مجروحين . كل إنسان يمني يسارى رجعى تقدمى كل واحد مجروح عشان الأرض .. اللى محتلة .. مانفرعش المسائل ونفسرها غير تفسيرها الحقيقى ..

جيت من اجتماع فبراير .. فات مارس ، أبريل ، أواخر أبريل لقيتهم جايين .. جاه السفير فى أواخر أبريل وقال القادة السوفييت بيلحوا ويترجوك إنك تسافر لهم .. بس ماأنا كنت عندكم فى فبراير .. أنا الثلاث مرات السابقة .. مارس — أكتوبر — فبراير أنا اللى طلبت .. أبريل أنا مطلبتش .. ليه يعنى ماأنا كنت عندهم فى فبراير وانتهينا .. واتفقنا حتى فى فبراير إن احنا مستنين نتيجة اجتماع موسكو فى ٢٠ مايو .. وانهم يخطرونى بنتيجة الاجتماع ونتصرف على أساس النتيجة بعد ذلك .. جاءنى فى أواخر فبراير وقالى بأى ثمن .. ياخبر .. أنا كنت عندهم ثلاث مرات فى أقل من سنة .. بيترجوك .. مش ممكن فى ٤٨ ساعة . كانوا محددين ومجهزين لأنهم هم اللى عاوزين . والطيارة تحت أمرك وكذا وكذا .. ورحت فى أواخر أبريل .. عيدنا الكلام كله من الأول .. هم كانوا تعبانين جدا من الوضع فى المنطقة والوضع فى بلدنا بالذات .. طيب ماأنا من مارس ٧١ من سنة وشوية وأنا بقول لكم هذا الكلام هايحصل .. طيب هاتكلم فى حل .. الحل مفيش حل .... الحل انكم تدونا اللى احنا عايزينه .. بس .. واللى أنا طالبه منكم من مارس ٧١ .. وكان الكلام بيننا انه احنا عايزين نتساوى مع إسرائيل . ماتخلوناش .. ورا إسرائيل النهاردة يمضى وقت من سنة ٧١ لغاية النهاردة .. إسرائيل بدل ماابقى وراها ، خطوتين بقيت وراها بعشرة دلوقتى .. طيب ليه ؟ .. ده شعر به شعبنا وحسه الناس .. طيب إيه هو سبب اللى بيجرى ده .. قالوا التحرك اليمينى .. ياناس مفيش لا يمين ولا يسار عندنا فى تحرير الأرض .. ومع ذلك قلت لهم واقه أنا مستنى اجتماع موسكو .. فى الشهر الجاى مايو .. واتكلمت مع بريجنيف فى الجلسة دى بالذات بتاعة أبريل ٧٢ عن الخط الاستراتيجى .. قلت له حصل حاجتين : « حصل معركة الهند فى ديسمبر ٧١ وحصل الهجوم الكبير بتاع فيتنام وكان ابتداء منذ شهر تقريبا قلت له معلوماتى عن الهجوم بتاع فيتنام انه بيتجهز له قبلها بست أشهر .. بدليل انه بتقولوا حصار هايفونج وتلغيم الميناء قلت له أنا قعدت أضحك لما قرأت هذا الكلام لأن بتلغموا الميناء عشان اللى جاى ؟ طيب ماهى المعركة متجهزة من قبلها بست أشهر وكل شىء متشون جوه .. والهجوم الكبير لم يبدأ فى فيتنام إلا بعد تشوين كامل لكل حاجة فيه أطقم سوفيتية على الصواريخ وعلى مدفعية .. وأطقم سوفيتية أخرى على باقى الأسلحة .. قلت له طيب ما ناخد درس فى هذه العملية ونطلع بالخلاصة الآتية :

أولا : هل تعتقدوا أنتم أن القضية تتحرك سياسيا مالم تتحرك عسكريا .. قالوا لا . قلت لهم مثلا عندنا فيتنام .. نيكسون جاى لكم الشهر الجاى .. قلت له نيكسون جاى لكم بعد عشرين يوم .. وأنتم عاملين هجوم كبير عليه وسايجون مهددة .. وأيامها طلع خبر إن فيه ٦٠ ألف عسكرى أمريكى مهددين انهم يتمسكوا فى سايجون .. ومع ذلك نيكسون جاى لكم .. برغم هذا كله نيكسون جاى لكم لغاية موسكو .. ليه لأن القضية اتحركت عسكريا فسياسيا بيحصل استجابة على طول .. مالم نحرك قضيتنا عسكريا مش هايحصل استجابة ، بريجنيف قال ١٠٠٪ موافقك على هذا التحليل ..

قلت له طيب معاك .. طيب نأخذ درس من فيتنام زى ما شفتم قبلها بست اشهر للهجوم الكبير .. بعد اجتماعكم فى عشرين مايو اللى جاى وإلى ٣١ اكتوبر قبل انتخابات الرئاسة بخمس ست ايام ها يكون باقى خمس اشهر . قلت لهم مش صعب اننا نتكهن بنتيجة اجتماعكم فى موسكو بالنسبة لقضية الشرق الاوسط .. بالنسبة للامن الاوربى ما بيهمنيش كتير ومابيعنينيش وجايز توصلوا فيه لحلول مع بعضكم .. بالنسبة لقضيتنا فى الشرق الاوسط قلت له .. لن يحصل تقدم كتير ومن دلوقتى وانا قاعد معاكم فى ابريل اهوه ممكن اقول ايه اللى هاتسفر عنه المباحثات لماذا ؟ .. لانه بحساب سياسى بسيط السنة دى سنة انتخابات فى امريكا سنة ٧٢ .. امريكا ان ماكانش موقفها هايكون للاسوأ هايفضل سيء زى ما هوه لان دى سنة انتخابات سنة المزايدات ، بين الحزبين الاثنين .. وهى (all ready) .. من الاول أمريكا متورطة متعهدة لاسرائيل .. طيب يبقى لن يتغير الموقف بالنسبة لنا . يعنى احسن موقف هايكون هو السيء اللى احنا فيه النهارده .. ده الخوف انه يروح للأسوأ . ليه ؟ لان اسرائيل قاعده مستنياهم بعد اجتماعكم هاتحاسبهم .. ايه اللى عمله نيكسون عشان تؤيده او متأيدوش .. وهوه واخد فى حسابه هذا .. وقلت لهم مش صعب التكهن بنتيجة اجتماعكم الشهر ، الجارى مع نيكسون .. فقالوا نشتغل باستراتيجية بعقل شوية .. والخمس ، اشهر اللى باقية بعد اجتماع موسكو تنتهى فى ٣١ اكتوبر تشوفوا لى فيها الحاجات بتاعتى اللى انا عايزها للمعركة زى ما حصل فى فيتنام بالضبط .. بحيث انتم عارفين نيكسون وعاملين حسابه .. وانتم طالبين ان احنا من هنا لغاية ٧ نوفمبر وانتخابات نيكسون مانعملش حاجة .. انا معاكم .. قلت لهم انا موافق .. لان احنا من مصلحتنا ايضا ان .. نيكسون يعاد انتخابه بدل مايبجى واحد ديمقراطى جديد .. ونيكسون هايبقى له اربع سنين بس .. ومافيش تجديد فيمكن يعمل حاجة .. ماعملش هايكون اقل سوء من اى رئيس تانى .. انا معاكم .. مقرر اننا مانتحركش مانعملش حاجة ابدا قبل الانتخابات .. وقلت لهم عمليا من مصلحتى هذا ليه ؟ .. لان انا لسه لازم احصل على العمليات اللى انا عايزها .. الدعم كله اللى انا طالبه لازم يوصل لى .. وتعالوا نعمل زى فيتنام .. ناخد الخمس تشهر من بعد اجتماع موسكو ٣١ اكتوبر لسه خمس اشهر كل يوم مركب بتجيني بتجيب كل الحاجات المطلوبة للمعركة بتشون وبتستنى الانتخابات الامريكية بينتهى الكلام ده كله فى ٣١ اكتوبر .. الانتخابات الامريكية فى ٧ نوفمبر بنيجى بعد ٧ نوفمبر . اسرائيل وامريكا هايعرفوا ايه اللى وصلنا لانه ماعدش حاجة بتتدارى .. اللى عندنا واللى عند اسرائيل . كل واحد عارف ايه اللى عند الثانى . سيعرفوا ان احنا داخلين الجولة الثانية اللى انتم بتقولوا عليها بعد الانتخابات من ارض صلبة فى الحل السياسى .. فيه سؤال هل ممكن يكون فيه حل سياسى من غير اليهود والامريكان ما يحسوا ان احنا واقفين على ارض صلبة ؟ قالوا لا مش ممكن .

خلاص يبقى انفقنا .. يبقى اذن من هنا لحد ٣١ أكتوبر نخلى الارض صلبه بانه يجينا امدادكم .. خلاص .. خلاص . ده الكلام اللى اتفقنا عليه فى ابريل .. واجتماع ابريل ٧٢ .. فى مايو قبل الاجتماع بايام بسيطه جاء جريتشكو هنا وجابوا الطيارة اللى كانت عندنا والكلام .. ده كله .. وجايب معاه بيان من اللجنة المركزية من موسكو بشأن زيارته عشان اذاعته .. طبعا واضح ان البيان مكتوب مخصوص علشان عملية سياسية لانجاح اطماعهم هناك .. مع نيكسون

يعني .. ويكونوا في موقف قوة .. قلت لا مانع من نشر نص البيان ومنعدلوش ولا كلمة .. يطلع البيان .. وجريتشكو كمان بياخذ نياشين هو والناس اللي معاه مش مشكلة .. سياسيا اصدقاؤنا وعايزين يقفوا وعايزين يتكلموا من مركز قوة ، انا من مصلحتي يتكلموا من مركز قوة في عشرين مايو .. بس لما خلصت مع جريتشكو .. وكان عندى في البيت هنا وقلت له يعني يمكن انت حضرت معايا الكلام مع بريجنيف على التجهيز في الخمس اشهر التالية .. خذ بقى مني .. مش التجهيز مجرد كلام بقى لا . خد ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - .. ابتداء بالميج ٢٣ او القاذفة اللي كانت هنا دى اللي هي الطيارة القاذفة الجديدة .. فيه عقد بالموتورات ، ايضا . وعرضت عليهم مبلغ بالعملة الصعبة كمان علشان يبقوا بسرعة يجيبولى العدد والآلات ونلحق نخلص الموتورات عندنا بتاعة الطيارات كلها .. بقيت الحاجات اللي ناقصة في فروع كثيرة من القوات المسلحة .. حاجات من هذا القبيل .. حاجات عشان البحرية عشان معدات وغيره .. وانتهت بالبند نمرة ٦ «القيادة والسيطرة» وقلت في هذا البند انا لا اسمح مستقبلا ولا في المعركة ان يكون فيه وحدات سوفيتية هنا ليست تحت القيادة المصرية .. كده صريح .. هذه رسالتي مع جريتشكو في اوائل مايو ٧٢ قال لي حاضر هابلغ كل هذا لبريجنيف وكان سعيد جدا ان زيارته نجحت وادت الغرض اللي مطلوب منه من موسكو . والبيان بتاعه اذيع وخد نياشين وعملنا له ده كله وكان سعيد وراح .. جه عشرين مايو الزيارة .. زى ماحكيت لكم هنا واضح ان انا ابتداء من انتهاء زياراتهم في ٢٥ مايو .. كل يوم بحسبه لانه خمس اشهر عصيبة .. يدوبك زى انا مابعت لهم على الطيارة الجديدة يدوبك الخمس اشهر يكونوا على قد الطيارين مايتدربوا .. بقيت الحاجة الالكترونية .. مثلا .. عمرة الموتورات و .. و .. و .. كل الحاجات التفصيلية اللي انا بعتها في البنود المحددة يدوبك الخمس اشهر ل ٣١ اكتوبر بالعافية هاتكفى وهازنق في العملية قوى .. فانا بعدما انتهى اجتماعهم في ٢٥ مايو .. الحقيقة قعدت مستنى يجيني التحليل بتاعهم زى ما احنا متفقين .. واللي بناء عليه سوف اتلقى التواريخ . ابتداء من كذا هاتجيلك الحاجات اللي انت طلبتها بالشكل الفلاني لغاية ٣١ اكتوبر آخر مركب تقوم من عندى .. وحتى ضربت لهم على سبيل المثال قلت مثلا من ناحية موضوع زى الذخيرة مانصفي المشكلة ونخلص وتبعتوا خمس ست مراكب عشر مراكب مرة واحدة يفضوا المشكلة .. بس مرة واحدة وتنتهي مشكلة الذخيرة نهائيا .. قعدت بعد ٢٥ مايو مستنى يجي لي التحليل .. زى ما حكيت لكم وانا بتكلم مع بريجنيف في ابريل ومتكلم مع جريتشكو وبعت رسالة لبريجنيف في مايو محددة بنقاط محددة .. وقاعد مستنى عشان يحددوا لي التواريخ .. ونحط احنا برامجنا هنا على اننا نكمل نفسنا بحيث ٣١ اكتوبر نبقى جاهزين .. فات ٢٥ مايو وفات مايو كله وفات يونيه .. دخلنا في يونيه .. يوم ٦ يونيه جالي التحليل رسالة منه .. طيب .. ٦ يونيو .. بعد التحليلات بتاعة الرجعية والاستعمار والكلام ده كله و .. و .. في الآخر ظل موقف امريكا كما هو تماما .. طيب ما هو ده اللي انا قلته في ابريل ، قبل الاجتماع مش هايحصل حاجة .. مش هايحصل تغيير في الموقف الأمريكي ولو إنهم ضغطوا وقالوا إحنا ضغطنا وقرار ٢٤٢ ومهمة يارنج .. ده كله كلام شكلي .. لأن مااحنا عارفين مين اللي واقف في القرار ٢٤٢ والا في مهمة يارنج والا في اجتماعات الأربعة الكبار .. مين اللي واقف ؟ ماهي أمريكا .. المهم لما اراني السفير الرسالة قعد ويايا في الجلسة دى يوم ٦ يونيو أربع ساعات وكان حافظ اسماعيل موجود .. قال لي يعني

هل فيه رد على الرسالة .. قلت له الصبر .. لأن انتم تأخرتم على .. دحنا النهارده دخلنا يونيه مع إن يونيه ده شهر من الشهور اللى كان من أوله لازم نبدأ عملية التشوين وكان لازم يجيني الكلام ده فى أواخر مايو مباشرة بعد الاجتماع . إنما ــ دلوقتى نبحث . قلت له طبعا فيه رد منى . التحليل بتاعكم ده أنا موافق عليه فى كذا وكذا وكذا . يفضل بقه أطلع من نتيجة تحليلكم ووجهات نظرنا إحنا الإتنين وكلامنا فى أبريل اللى قلناه بالآتى حكيت لكم القصة اللى قلتها لكم دلوقتى عن إن القضية لن تتحرك سياسيا . مالم نكون جاهزين عسكريا . وإن ده اتفاقنا إحنا الإتنين إنه بناخد درس من حرب فيتنام .. والقادة السوفيت وبريجنيف على رأسهم كان متحمس أكثر منى إنه لابد نعمل عملية استراتيجية . نعملها بأن نشوف كل حاجة محتاجينها .. بعد الانتخابات الأمريكية بندخل من أرض صلبة كررت اللى أنا حكيت لكم هنا ده كله لأنه لازم التكرار . وبعدين رسالة محددة من سبع نقط اللى اديتها لجريتشكو .. تانى قلت له باكد رسالتى لجريتشكو .. وبابعتها لك محددة .. ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ وهذه مسائل لازم ننتهى فيها قبل ٣١ اكتوبر فردوا على وقولوا لى المواعيد ايه ؟ وهاتتنفذ ازاى راحت الرسالة فى ٦ يونيو . انا متصور انهم مثلا اربع خمس ايام ونتيجة انهم اتأخروا على فى التحليل ودخلنا فى يونيو هايلحقوا بسرعة يردوا .. لان الكلام ده زى ماحكيت لكم كده متفق عليه مع بريجنيف . من ابريل متفقين انه فعلا لازم نخش من ارض صلبه وأرض صلبة يعنى معناها كل حاجة بقدر الامكان يعنى مش ١٠٠ ٪ لكن على الاقل الحاجات الاساسية لازم تكون عندنا قبل ٣١ اكتوبر بحيث تتم الانتخابات الامريكية .. جولة ثانية حل سلمى .. ونخش كلنا . لكن نخش من ارض صلبة . فات ١٠ يونيو . فات ٢٠ يونيو جاه ٢٥ يونيو مش تمام .. فى الوقت ده كنت فى مرسى مطروح وكان مجلس رياسة اتحاد الجمهوريات منعقد هناك .. اما جه ٢٥ يونيو الحقيقة معناها ان يونيو فات خلاص راح .. ولسه ماجاش رد والمفروض إنه كان يجيني رد يقول لى .. ده أنا مستنى تواريخ المركب وإيه الحكاية ؟.. مفيش رد خالص .. وانا فى مرسى مطروح قلت لعزيز صدقى اول ماينزل مصر .. هات السفير السوفيتى وقول له ليه الرد السوفيتى ماجاش وعملين ايه .. فنزل عزيز وجاب السفير السوفيتى فعلا .. وقال السفير ماجانيش رد من القادة السوفيت لسه .. وانا بعت استعجل و .. و .. و .. بعدها باربع خمس ايام .. انا مستعجل بعدها لما رجعت انا هنا القاهرة .. ندهت مراد غالب وزير الخارجية : قلت له اطلب السفير السوفيتى وعنفه .. جاب مراد غالب السفير واتكلم وياه .. حاضر .. حاضر .. انا باعت استعجل لموسكو . و .. و .. دخلنا على يوليو .. فات الخمس ايام الاولى من يوليو وضح تماما ان العملية مش ماشية .. انا الحقيقة حاطط فى ذهنى زى ماقلت لكم من نهاية ٧١ انه موقف الفصل بينى وبينهم هو اجتماع موسكو مع نيكسون .. انا عارف انهم بيجهزوا له .. وبيهدئوا الدنيا كلها .. ومتصورين ان احنا مجانين ما عاقلين مانا عارف بيفكروا ازاى او هم خايفين اى سبب .. على اى حال هم بيهدئوا الموقف .. قلت فليكن . انا كصديق باديهم لغاية اجتماع مايو ولهم على هذا الحق .. ولكن بعد ذلك لازم يكون موقف .. اما جه ٥ يوليو المسألة ماكنتش جديدة بالنسبة لى .. المسألة زى ماقلت لكم من نهاية ٧١ وهى بتتفاعل جوه .. العملية كانت فى راسى الحقيقة .. جاهزة زى ماقلت لكم مش اواخر ٧١ لكن شكل القرارات ماكنتش انتهيت اليه لسه .. يمكن الجمسى ادانى مفتاح فى مايو .. لما كان عندى فى القناطر وماكانش فيه المجلس .. كان جزء منكم وذكرت

فى الاجتماع ده موضوع «القيادة والسيطرة» . كان فى مايو عندى فى القناطر .. كان شكل القرارات لسه .. فى العقل الباطن عندى . فى ٥ يوليو كنت جاهز بالقرارات بشكلها الكامل ومعرفش .. فات ٥ يوليو هايجولى امق .. الحقيقة انا جهـزت بقه وقلت خـلاص ده موقف وبانتهى منه وخصوصا زى مـاحكيت لكم «القيادة والسيطرة» .. فى رسالتى لبـريجنيف مع جريتشكو فى مايو وفى رسالتى ايضا فى ٦ يوليو وفى بند محدد .. واشرت لها فى رسالة ٣١ اغسطس الأخيرة اللى بعتها لبريجنيف قلت له احب انك تراجع رسالة ٦ يونيو تلاقى فيها «القيادة والسيطرة» مش جديدة . الكلام ده مش جديد .. دنا قايل لهم عليه من رسالة ٦ يونيو .. ده مبدأ اساسى لانى لن اسمح بوجود قوات سوفيتيه هنا .. ولا تكون تحت القيادة المصرية لا يمكن ، فى ٥ يوليو انا كنت جاهز بالقرارات وعارف الرد اللى هيجينى بعد المطوحة دى كلها . الرد اللى هايجينى ايه .. اصبح عادى عندى جدا لان زى ماحكيت لكم أنا باستنتج خطواتهم زى ماحصل واستنتجت خطواتهم بالنسبة لبطاريات الصواريخ بتاعة الصعيد .. وغيره فى اول مادخلنا فى يونيه قلت خلاص يونيو معوليه واغسطس وسبتمبر شهور القرم عند القادة السوفيت .. ودول دائما بياخدوهم احتياطى كل سنة ... القادة السوفيت فى القرم ويرحلك لاكتوبر .. تقوم تيجى لاكتوبر تتكلم معاهم يبقى فاضل على السنة شهرين تعدى السنة .. خلاص .. عايز يدخلنى فى ٧٣ .. بنفس الصورة والوضع اللى احنـا فيه .. وبغض النـظر بقه عن الكـلام اللى احنـا اتكلمناه .. فقلت يعنى هو ده الرد اللى هايجينى .. وقدامه انا بكون جاهز بقراراتى كذا وكذا وكذا .. وماقلتش لحد .. ماتكلمت مع حد الحقيقة يوم ٦ يوليو كان يوم خميس قالوا السفير السوفيتى جاب رسالة وطلب ميعاد اقابله .. مرضتش اقابله فى هذا اليوم الحقيقة .. قلت أجلوه للسبت .. (٨) .. والحقيقة كنت مشدود جدا وعصبى جدا جدا .. ومنفعل جدا انا رسيت على القرارات ولكن اللى تاعبنى كان هذا الاهمال .. وعدم الاهتمام يصل إلى هذا الحد .. اخذت الخميس والجمعة راحة .. علشان اكون احسن شوية ماكنش عصبى .. يعنى انا كنت فى شدة الانفعال من الاهمال وعدم الاكتراث اللى واضح تماما يعنى .. يوم الجمعة .. الكلام ده الخميس . (٧) يوليو ندهت لصادق عندى .. وقلت له يا صادق بكره أنا هـاشوف السفـير السوفيتى وقراراتى هى كذا .. مش عايز حد من القوات المسلحة يحس بهذه القرارات إلا الاثنين . قائد الطيران وقائد الدفاع الجوى .. ليه لان دول .. اللى عندهم مشكلة .. قائد الطيران .. الطيارين ال ٦٤ طيار اللى موجودين عندنا فى بنى سويف وفى جاناكليس وفى غيرها اللى كانوا بيساعدوا فى الدفاع الجوى .. علشان مايحصلش فراغ .. وبتاع الصواريخ علشان استلام المواقع .. بحيث ايضا مايحصلش فراغ او فجوه يدخل منها لينا .. الاثنين دول اللى فى القوات المسلحة اللى يعرفوا ولان بكره ٨ يوليو هاقول للسفير وابلغه .. لن اعلنها إلا بعد ان ينفذ فى ١٧ يوليو .. وعليه مش عايز القوات المسلحة تعرف بيها وقلت له حتى تقول لقائد الطيران والصواريخ أنا مش عايز كلام اطلاقا فى هذا الموضوع إلى ان اعلنه فى ١٧ بعد الانتهاء .. يوم السبت ٨ يوليو شفت السفير السوفيتى .. سمعت الرسالة . زى ماقلت لكم ماكنتش جديدة على حتى لدرجة لما الرسالة خلصت انا كنت قاعد باسمعها .. لما الرسالة خلصت اندهشت حتى ماجبوش سيرة رسالة ٦ يونيو اللى انا باعتها ورسالة جريتشكو اللى فيها ٧ نقط محددة . الاتفاق اللى احنا عملناه على الاستراتيجية .. ماكنش فيه حاجة ابدا .. كلام عام وعارف أنا طريقتهم وان الهدف

ن .حنا نخش فى عمليه الصيف لغاية مايخلص سبتمبر ونخش على أكتوبر ونوفمبر وديسمبر خلصت الرسالة .. وانا ذهلت وسألت السفير . الرسالة خلصت .. قال لى آه .. هى كده قال لى آه .. قلت له مرفوضة شكلا وموضوعا بالكامل .. واسلوبكم مرفوض وانتم .. وماخلتلوش فى النهاية قلت له قراراتى هى كذا . المستشارين والخبراء .. من ١٧ انتهت مهمتهم .. وكنا فى ٨ كنت مديهم لغاية الاثنين .. الوحدات السوفيتية اللى هنا تحت القيادة المصرية من يوم ١٧ أو تتفضل تروح .. أملاك الحكومة السوفيتية اللى هنا .. ياتبيعوا لنا اللى عايزين تبيعوه .. اللى مش عايزين تبيعوه اتفضلوا اسحبوه .. انما كله ينتهى يوم ١٧ الصبح .. النقطة الثالثة قلت له بناء على معاهدة التحالف .. معاهدة الصداقة اللى بيننا يحصل جولة مفاوضات جاية بقه لانه عايزين نشوف المرحلة اللى جاية فيها ايه .. فالراجل افتكر إن القرارات بتاعة المستشارين والخبراء تخضع للمفاوضات قلت له لا . دى قرارات للتنفيذ صباح ١٧ كله ينتهى يوم ١٧ الصبح . ووزير الحربية هااخطره بيها للتنفيذ بكره ان شاء الله .. اما جولة المباحثات اللى جاية بناء على المعاهدة واللى انا طلبتها فى البند نمرة ٣ بتاع قراراتى فهى للمستقبل فى المرحلة اللى جاية هانعمل ايه .. لكن دى قرارات انتهى أمرها يوم ١٧ ووقعوا فى ذهول وحيص بيص .. وحاجات . قلت لعزيز يا عزيز مفيش مانع روح لهم .. وقول لهم بدل ماندى فرصة لتأويلات نطلع بيان سوا قبل ما اعلن أنا يوم ١٨ فى اللجنة المركزية .. نطلع بيان سوا ونقول كلمة فيه ان بمناسبة انتهاء مهمة المستشارين والخبراء فحكومة جمهورية مصر العربية تشكر الاتحاد السوفيتى .. شىء من هذا القبيل .. يفهم منه العالم ان العملية متفق عليها ونغطى موقفهم وانا لغاية اللحظة دى برضه عايز موقفهم .. اللى احنا عايزين نعمله عملناه .. انتهت خلاص .. يعنى ماحناش عاجزين .. بنعمل اللى احنا عايزين نعمله .. مافيش داعى للقطع .. راح لهم عزيز ماقدروش يفهموا بطريقة تفكيرهم رفضوا قالوا لا دى قرارات مانقدرش نطلعها احنا الاثنين دى تصدر من جانب واحد .. خلاص .. عزيز قال لهم والله دى نهاية الكلام اللى عندى السلام عليكم .. ورجع لى .. وقال لى مارضيوش .. خلاص .. قلت له خلاص انتهى صادق بلغته قلت له يوم الاحد .. هى كانت القرارات تنفذ يوم الاثنين قلت له يوم الاحد يا صادق تعلن كبير الخبراء وفى الوقت نفسه تكون جامع القادة علشان ياخدوا للتنفيذ صباح الاثنين .. وقلت لعزيز يا عزيز برضه ادى خبر للسفير السوفيتى ان وزير الحربية هايكلم كبير الخبراء يوم الأحد بالليل للتنفيذ صباح الاثنين وهايكلم القادة المصريين .. إلى هذا التاريخ يظهر كانوا فاهمين انها تهويش .. ويظهر السفير السوفيتى هنا بعت لهم وقال لهم دى عملية يظهر للضغط — والقرارات مش هتتنفذ ويعنى طمنهم شوية فى موسكو .. ولما راح لهم الخبر من عزيز ان صادق هيتكلم مع الخبراء يوم الأحد بالليل وبعدها هايكلم القادة .. جم هم يوم الاحد الظهر وعملوها منهم وبعتوا .. بعتوا لكم اظن فى الوحدات المستشارين كلهم بلغوا القادة ان مهمتهم انتهت يوم الأحد الظهر قبل صادق ما يشوف السفير .. حتى صادق حب يغطيها يعنى .. لأن يوم ما انت سافرت المحلة يا محمد ..

الفريق صادق – أيوه ..

الرئيس :

حب يغطيها .. ولكنه لقى أن المستشارين راحوا بلغوا القادة .. فضلوا فى ذهول تام بعد

ذلك .. الحقيقة أنا يعنى بصدور هذه القرارات اكملت حسبتى .. زى ما قلت فى اللجنة المركزية لأول مرة الحقيقة فى الخمس سنين بعد عدوان ٦٧ حسيت أنى باتنفس بسهولة .. حقيقى يعنى ليه .. الصورة عندى فى يونيو ويوليو قبل ما يجينى ردهم كانت الآتى : —

« احنا واقفين فى رمال ناعمة من اللى بتشفط .. وايدينا متكتفة .. والمعسكرين الاثنين الكبار الروس والامريكان الأثنين الروس بيقولوا دول خلاص فى جيبنا ، الأمريكان بيقولوا لا دول فى جيب الروس خلاص وانتهت .. والروس ولى امرهم ..

بالنسبة لنا احنا متكتفين والرملة الناعمة تشفط فينا واحنا مش عارفين نتحرك .. طيب صورتنا أية بعد انتخابات أمريكا اللى جايه بالوضع .. اللى احنا فيه .. الروس هيفضلوا برضه يؤجلونى كمان على طريقتهم لغاية أكتوبر وتيجى لأكتوبر يقولوا طيب يعنى الانتخابات الأمريكية يتفقوا على صفقة زى بتاعة ٧١ اللى حصلت فى أكتوبر ويقولوا هاتوصلك بعد ١٥ يوم ولا عشرين يوم ولا شهر .. ولا توصل ولا حاجة ويستنوا الانتخابات الأمريكية وتعدى السنة برضه .. نفس الحكاية .. مؤكد هانقف الموقف ده .. غرقانين فيه .. وفى نفس الوقت اللى احنا موقفنا كده اسرائيل تتلقى بالكامل امداد من أمريكا بتعربد فى المنطقة .. والتعبير انا استعملته من قبل اسرائيل ما تعربد بسنة .. وقلته للروس قلت لهم هاتعربد وده فيه اهانة لنا ليه .. ليه تسمحوا لهم انا أفهم أن الأمريكان عايزين يعملوا لنا اذلال .. طيب انتم ليه ؟ .. ليه عايزين تذلونا زى الأمريكان ؟ قالوا .. ازاى احنا قلت لهم لا الواقع يقول هذا .. العدو يقدر يدخل عمقى فى أى حته وأنا ما بطولوش طيب ما انا حتى الردع .. انا ما بقلش امحو اسرائيل .. اشيلها واوديها البحر انا عارف انكم معترفين بها والأمريكان معترفين بيها .. لكن ليه حاططينا فى موقف الدفاع . انضرب .. اتلقى الضربات وما أقدرش أرد عليها .. ليه ؟ .. فقلت لهم الكلام ده أنا مستنيه من زمان .. وقايل لكم من سنة ان اسرائيل هاتعربد وتقول مفيش فى المنطقة غيرى ولا حد هايرفع راسه .. وده لا نقبله ولا يقبله أحد أبداً ..

وهكذا كانت الصورة فى يوليو كده زى ما حكيت لكم صورة كئيبة .. المعسكرين .. الامريكان خلاص .. داخلين على مراحل الانتخابات بتاعتهم .. وراحوا اتفقوا فى موسكو مع الروس .. الروس على طريقتهم تخدير وتهدئة و .. و .. و .. و .. لغاية ما يعدى الصيف كله ونخش على أواخر ٧٢ ونعدى على ٧٣ بنفس الأسلوب اللى اتبعوه معايا فى ٧١ .. فى نفس الوقت أمريكا طلعت من أجتماع موسكو بتقول للعالم وبعتوا لى أنا شخصياً أنه ريح نفسك .. الحل عندنا احنا ده بعد اجتماع موسكو .. الدعاية الأمريكية عمالة تزن .. وبعدين الصفقة والكلام اللى احنا اتكلمناه عن الاستراتيجية السليمة توصلنا فى ٣١ أكتوبر لموقف أو أرض صلبة ننطلق منها ؟ .. مفيش .. مردوش علينا خالص .. ومش جاى بحسابى انا بقى وزى ما ظهر لكن وزى ما شفتم مش جايه خالص .. ده أنا مؤجل إلى بعد الانتخابات وإلى انتهاء ٧٢ .. وده الكلام عن ٧٣كله .. ده كمان غير انه وضح ان سياسة الحرب الباردة اللى موجودة بين الكتلتين اللى هم أمريكا وروسيا دخلوا فى سياسة وفاق .. مش منافسة حتى .. ليه .. زى ماجانى من موسكو اخيراً من قلب اللجنة المركزية بتاعة الحزب الشيوعى ثبت ان الزراعة السوفيتية بعد ٥٥ سنة فاشلة مفيش حبوب فى الاتحاد السوفيتى .. السنة دى واخدين حبوبهم

كلها من أمريكا .. ميادين كثيرة فى التكنولوجيا اتفقوا عليها حيخدوها من الامريكان .. صحيح هم سابقين الأمريكان فى بعض الميادين وطلعوا القمر زى الامريكان وودوا لونوخود فوق القمر .. وغيره.. ميادين سابقين لكن فيه ميادين كثيرة اتفقوا انهم يتعاونوا هم والامريكان سوا لأنه زى ما قال مدير معهد فى لينتجراد لواحد كان بيزورهم انا أعرفه قالوا احنا سابقين فى ميادين لكن فيه ميادين مافتحناش فيها واتفقنا معاهم الدور ده ان احنا هناخذ الحاجة دى منهم .. سياسة الوفاق دى لمدة ٢٠ أو ٢٥ سنة مقبلة .. انتهت الحرب الباردة نهائيا بين الكتلتين .. ودخلوا فى سياسة وفاق طيب واقه لو دخلوا فى سياسة وفاق الصغيرين اللى زينا احنا تحت الرجلين هاننده س .

كل دى كانت الصورة أمامى فى يونيه ويوليو وده السبب انى اتخذت القرارات عشان ناخذ حرية حركة كاملة .. بالنسبة ليهم .. وقد كان مباشرة بعد قراراتى هم ولو انهم فى حالة ذهول الا انهم بيحاولوا بكل الطرق كى يتصلوا بى وقلت انا واخد أغسطس (قرم) عملت (قرم) زيهم مرة . قلت انا فى القرم مابردش على حد وفعلا مردتش الا فى ٣١ .. الامريكان ماضيعوش الوقت اتصلوا بى فورا .. الانجليز اتصلوا فورا .. الفرنسيون اتصلوا فورا .. الطليان اتصلوا فورا .. حركنا القضية .. طلعنا من الرمال اللى بتشفطنا ووقفنا على أرض سليمة والناس كلها بتتكلم معانا وبيتكلموا معانا بالمفهوم السليم ان احنا اولياء أمر أنفسنا محدش ولى امرنا .. واتحركت القضية يعنى لغاية هذه اللحظة القضية بتتحرك .. سواء بالنسبة لهم هم فى زيارة عزيز صدقى الأخيرة .. سواء بالنسبة للأمريكان وطالبين يتكلموا وآخر كلام للامريكان بيعرضوا المبادرة بتاعتى بس بوجه آخر عايزين يعملوها حل جزئى .. لكن إذا كان ده اللى بيبتدوا بيه كويس .. كابتداء أنا مش مستعد اتنازل عن حاجة .. الانجليز حسنوا موقفهم وحاولوا وعمالين بيشوفوا الأسلوب اللى بيستطيعوا بيه يعاونونا ازاى .. ولسه الأسبوع الماضى كان عندى ناس من عندهم وفى الصيف .. وفى اغسطس بالذات بعت لى هيث رسالة وبعث مع الرسالة وكيل وزارة الانتاج الحربى بتاعه علشان ينافش معايا المواضيع كلها .. الدنيا اتحركت .. القضية مشيت .. جه بريجنيف فى ٣١ يوليو بعث لى رسالة تجاهلتها تمام التجاهل لأنه يعنى إذا كنت عايز اقطع معاهم كان ممكن أعملها محل نقاش واقطع لأنها تساوى انى اقطعها .. انما اعتبرت انهم لسه بيفكروا بعقلية ما قبل ٨ يوليو وعلى ذلك قلت ؟ .. أنا باتجاهل دى ما بردش عليها خالص .. وجيت فى ٣١ اغسطس بعث بعدها بشهر كامل زى ما هو عمل شهر بالضبط جيت فى ٣١ أغسطس وبعت له رد .. بعت له جواب شخصى منى لبريجنيف شخصياً ومن عشر نقط حطيت له فيه الموقف كاملاً وراعيت فيه ان ده يبقى وثيقة للمستقبل .. بنحط كل شىء بوضوح ومن غير لا عصبية ولا حاجة ابدا .. يعنى .. يعنى قد كده يظهر كان الخطاب عنيف عليهم .. انه ماقدروش يردوا عليه ابدا .. واشتكوا لحافظ الاسد .. واشتكوا لكل الناس اللى راحوا لهم أن ده ما يتردش عليه .. الجواب فى الحقيقة .. بعد ذلك زى ما قلت لكن يعنى أنا لغاية ما بلغتهم بالقرارات فى ٨ يوليو .. وبعت لهم عزيز صدقى عشان نغطى العملية وانا عايز اغطيهم برضه .. ووقفه مع صديق .. فعلا وقفه مش أكتر .. الا اذا هم حبوا يقطعوا . أما جات فى الرسالة اللى قلت لكم عليها فى ٣١ يوليو اهملتها على أساس أنه أنا مش عايز اقطع لأن دى رسالة ممكن يعنى إذا كنت عايز اقطع اتخذ منها سبيل . مجرد ان اعلنها بس وأقول جات لى

الرسالة دى كفيه ن نقطع وننتهى .. انهم تجاهلته وبعت رسالتى فى ٣١ اغسطس رسالة شخصية منى لبريجنيف .. وقلت ، له إنت راجل مشاعرك كويسه وعشان كده أنا ببعت لك انت شخصيا هذه الرسالة علشان تعمل على وقف هذا الكلام كله .. وادى عشر نقط وضحت له فيها بمنتهى الهدوء والشرح والبساطة .. وضحت له الموقف كاملاً .. مش ممكن نتراجع عن الرسالة .. فلجأوا لحافظ الأسد .. علشان يخش فى النص . جانى حافظ الأسد .. طلب أنه يجى .. يوم قالوا لى اشارة جاية من موسكو ان الأسد هايوصل والاشارة جاية من موسكو .. حتى لما حافظ إسماعيل بلغنى فى بيتى .. أنا ما كنتش أعرف أنه فى موسكو .. ولا قلش حافظ الأسد .. أنا افتكرت أن الرسالة جاية عن طريق موسكو لأنى فى مرة حاولت أتكلم بالتليفون مع سوريا ما أمكنش إلا عن طريق موسكو .. فكانت الخطوط مش تمام وعن طريق موسكو أتكلمت .. أنا افتكرت أن الأشارة جاية عن طريق موسكو وحافظ جاى من سوريا .. فحافظ إسماعيل قال لى لا .. ده الرئيس حافظ بعث الاشارة وهو فى موسكو فى زيارة خاصة غير معلنة .. وجاى هنا على طول بكره الصبح قلت له مفيش مانع يعنى .. وجه الراجل وحكى لى القصة .. وإن رسالة ٣١ أغسطس اللى قلت لكم عليها اللى بعتها لبريجنيف تانى يوم أو ثالث يوم كنت باعت صورتها لحافظ الأسد .. فحافظ على علم بالعملية كلها وماشى يتابع الموقف .. وحافظ له ظرف بيدولوّا معونات ومساعدات ورحلته الأخيرة خد فيها ٧٠٠ مليون دولار وكذا .. يعنى له ظروف .. وأنا حتى لما كلمنى هنا لأنه جانى بعد عملية أكتوبر يوم ٩ بعد أنا ما أديت قراراتى لهم يوم ٨ فجانى وقال لى طيب موقفى هيكون أيه ؟ .. قلت له ولا حاجة أنت بتأخذ منهم ٧٠٠ مليون دولار وواقفين وياك وماله .. ما فيهاش حاجة يعنى .. استمر فى علاقتك معاهم ولكن .. قلت له خد بالك من لعبة سوريا والعراق كبديل لمصر يعنى .. مش هاتنفع قلت له حتى يعنى إذا تمت مش هاتنفع بديل لمصر .. فقال لنا .. بالنسبة لى مش ممكن ها يحصل محور ومش ممكن ها عمل معاهدة معاهم إطلاقا .. قال أنا رفضت هذا الكلام أحنا هاجمنا معاهدة العراق وجم يطلبوا منى معاهدة بعد ذلك أنا رفضت بالكامل وده موقفى الأساسى مبدئى لنا .. ومالم يتفاهموا هنا مع مصر أنا مش مستعد يعنى أخشّ معاهم فى أى حاجة .. وسافر على هذا الأساس وكان يتابع الموقف .. يظهر أنهم لقوا أن الحل الوحيد يوسطوا حافظ الأسد اتفقوا معاه على الزيارة .. وهو قال لى أن المبادرة جات منه هو شخصيا .. وإن هو اللى طلب يسافر موسكو .. المهم راح وأتفقوا وجالى وحددوا ١٦ للعرض على أنا . وجالى وأتكلم معايا قلت ماعنديش مانع .. لأنه أصله يوم أنا ما عملت قرارات ٨ يوليو .. بناء على المعاهدة اللى موجودة بيننا بيحصل تفاهم ومفاوضات على المرحلة اللى جايه .. أنا معنديش مانع ابداً .. قلت له بس أوعه يكون عندهم شبهة .. سألت حافظ الأسد .. قلت له أوعى بس أوعى يكون عندهم شبهة .. بالنسبة للقرارات أو بالنسبة للمستشارين والخبراء قال لى لا .. لا .. أطلاقا ده انته حتى لو طلبت خبراء ومستشارين ها يقولوا لك لا .. كفاية اللى فات . إنما هو الكلام بالنسبة للمرحلة اللى جايه .. قلت له لا معنديش مانع إطلاقاً .. يعنى .. ده موجود فى البند نمره ٣ وأنا معنديش مانع أبدا وأتفقت مع عزيز على الكلام ده كله وقلت لعزيز تروح الدور دى مانيش عايز كلام لا فى سلاح ولا غيره احنا بنتكلم فى مبادىء هل أنتم مستعدين تقفوا معانا وتعادلوا اللى بتاخده أسرائيل .. بالنسبة لنا وإلا لا .. ده نمرة واحد .. نمرة أثنين هل أنتم على التحليل اللى

عملناه فى أبريل اللى فات لازلتم معنا فى أنه ما لم نكون على أرض صلبه يعنى نكون جاهزين عسكريا .. مش ها يحصل أى تطور سياسى وإلا لا .. فراح عزيز .. وأتكلم وياهم دخلوا فى مناقشات عنيفة .. فالسؤال الملح اللى كانوا بيسألوه .. فيه الشكل (form) اللى تمت بيه العملية .. العملية فى ذاتها أمر يخصنا .. سيادتكم وأنتم أحرار تتخذوا القرارات اللى أنتم عايزنها . لكل الشكل (form) الأخراج اللى أخرجت بيه ليه .. فرد عليهم عزيز قال لهم .. طيب ويعنى الشكل اللى أنتم عملتوه لما بعت لكم وتؤجلوه وتسيبوه شهر وهو قاعد يسحب باليوم وبعدين حتى الرد بعد شهر ما يذكرش فيه شيء عن الموقف .. هل ده (form) كمان يعنى مردوش فى هذه النقطة .. وهوه ده اللى مزعلهم كله (form) هم حريصين كل الحرص زى ما قال لى حافظ الأسد .. أن يحافظوا على علاقتهم بمصر وقد ثبت لهم أنه ضياع مصر مش مصر بس .. ضياع مصر .. معناها المنطقة كلها ولا بديل لمصر . لا سوريا والعراق حتى لو تمت المعاهدة ... و ... و ... ولا أى شيء تانى ممكن يكون البديل .. وخصوصاً وأنه حصل حاجه عمرهم ما حسبوها ابداً .. لأول مرة فى التاريخ من أيام القياصرة تحصل روسيا على أعتراف من أمريكا فى إجتماع عشرين مايو بوجودها ومصالحها فى الشرق الأوسط .. بدل ما كانت سياسة الأحتواء والحصار لحلف جنوب شرق آسيا والأطلنطى .. الرابطة اللى عملها دالاس زمان عشان يكتف السوفييت لا .. نيكسون وهو هناك رسمياً .. الكلام ده رسمى مش تكهنات أعترف للاتحاد السوفيتى بوجود مصالح له فى منطقة الشرق الأوسط واتفقوا أكثر . إنه كل منهم يحترم وجود الآخر طيب .. الحلم ما تمش إلا فى اليومين دول وخدوا هذا .. أقوم أنا آجى أروح قايل لهم لا وجود ولا مصالح لكم فى الشرق الأوسط . فده تعبهم جداً .. بس مش قادرين يقولوها .. من هنا حرصهم الشديد على الرد أو على ابقاء العلاقات مع مصر .. وقالوا لعزيز بصراحة سياستنا لم تتغير .. سياستنا هى المساندة الكاملة لمصر .. القرارات لم تغير من موقفنا بالنسبة لمصر .. احنا حريصين على مصر .. كل هذه التأكيدات قالوها وسجلوا على نفسهم وبالأسلوب الجديد اللى احنا عاوزينه .. وهو أنه زى ما قلت لكم أنا كان دائماً فى الأربع مرات اللى قلت لكم فيهم وزى ما أعلنت فى اللجنة المركزية وأعلنت فى كل مكان أنه فى الأربع مرات اللى رحت فيهم كنت زى ما بقول لكم فيه مبدأين .. أرجو أن أحنا ماننساهمش .. نمرة ١ أنا مش عايز عسكرى سوفيتى يحارب لى فى معركتى ولن يحاربها غير العسكرى المصرى .. الحاجة التانية أحنا لا نسعى لمواجهة بين الكتلتين لأن اللى يسعى إلى هذا مجنون بلا شك .. مش عايزين مواجهة بينهم وبين الأمريكان .. فعلى أساس المبدأين دول علاقاتنا قائمة .. همه ما كانتش الصورة واضحة فى ذهنهم شوية .. وأحنا من جانبنا كان حصل أنه خليناهم تجاوزوا الحد اللى لازم يقفوا عنده .. نتيجة الفترة السابقة ما بعد ٦٧ .. ونتيجة التصرفات أو الفهم اللى كان موجود فى ذلك الوقت الحقيقة من ناحية القوات المسلحة أنها محتاجة لخبراء ومستشارين ومعاونة وكذا وكذا .. وحجم الهزيمة وحجم النكسة .. كل هذه كانت عوامل هى التى أدت إلى تواجد الخبراء والمستشارين لغاية المستويات اللى تواجدوا فيها وبعد ذلك حدث تجاوز أيضاً فى مهمة المستشارين والخبراء وكان التجاوز بيتم حته بحته .. على فترات طويلة إلى أن وصلنا للوضع اللى احنا فيه .. النهاردة خلاص خلصنا من الكلام ده كله .. وهم داخلين المرحلة اللى معانا وواضح تماماً لأن عزيز كان حريص فى المحضر وأنا قرأت المحضر كله بالكامل .. كان

حريص أن يقول لهم فضونا بقه من الكلام في اليمين واليسار .. وكل حاجة نعملها تقولوا اليمين واليسار وتقدمية ورجعية .. واستعمار .. والحاجات دي احنا عندنا معركة وتحرير أرض بس .. معندناش لا يمين ولا يسار ولا أي حد خالص اطلاقاً .. ولا في داعي .. واحنا كده بوضعنا اشتراكيين مش عشان خاطركم أحنا أشتراكيتنا عملناها لأن ده لصالح بلدنا ولصالح شعبنا وحل حتمي لظروفنا اللي أحنا فيها .. كنا بنحارب الاستعمار من قبل ما يكون لنا صلة بالاتحاد السوفيتي .. يوم ما ضربنا حلف بغداد ٥٤ , ٥٥ كنا لسه ما عملناش صفقة أسلحة مع الأتحاد السوفيتي ولا دخلنا في تعامل ولا نعرفه ولا يعرفنا وهدينا حلف بغداد وشرح لهم كل هذا الكلام وقال لهم لا احنا مستعدين للكلام في اشتراكيتنا ولا كلام في وضعنا ولا نظامنا ولا حاجة .. عايزين .. تساعدونا على كده أهلا وسهلاً .. مش عايزين أنتم أحرار .. معاكم وأصدقاء و .. و .. وفي تقديري أنا أن النقطتين الإيجابيتين اللي طلعوا من زيارة عزيز هه النقطة الأولى هي : الأتحاد السوفيتي دخلناه الفورمة والقالب اللي احنا عايزينه . وهو أنه تعاون أصدقاء ، على قدم المساواة .. اللي بيعجبنا بنقول آه .. واللي ما بيعجبناش بنقول له .. لا .. وعملية الأوضاع السابقة اللي كانت موجودة بالنسبة لقواتنا المسلحة أو بالنسبة حتى للداخل هنا كل ده انتهى بالقرارات بتاعة ٨ يوليو وإلى غير رجعه .. وفهم الاتحاد السوفيتي هذا .. وسعيد ان أحنا بنقبل انه يخش معانا على أساس من هذا الفهم للمرحلة دي .. دي النقطة الإيجابية الأولى .. الحقيقة .. النقطة الإيجابية الثانية أنه عشان يثبت انه فعلاً متجاوب دخل في تعاقدات في المرحلة اللي جاية بناء على هذا الكلام .. بقى أنا قلت لعزيز أنه لإثبات حسن النية إذا كان صحيح حريصين أنهم يثبتوا حسن النية للمرحلة اللي جايه .. أحنا ما بنتكلمش عن القديم لأنه زى ما قلت لكم عزيز ما كانش رايح عشان يناقش القديم أبداً .. حتى ابتدى جلسة المفاوضات معاهم قال لهم مفيش داعي نتكلم على القديم .. نتكلم عن المرحلة الجديدة .. نشوف هاتم على ايه .. فقلت أنه لاثبات حسن النيه واقه الكلام اللي طلبناه قبل كده وبالحاح ولا جاشي رد عليه عايزين رد عليه .. إذا كان صحيح ، يثبت أنكم ناس عايزين تتعاونوا معانا بالنسبة للمرحلة اللي جايه . فبالتحديد الميج (.....) اللي هي القاذفة يعني ... و ... وسرعة التوريد والتدريب هنا في مصر لأن ، خلاص مش مستعد تاني أخش في عمليات مجهلة ، بالنسبة للتدريب هناك اتأخر فحلفوا أغلظ الإيمان انه الطياره لسه فيها اخطاء وكذا .. ولسه ما هيش جاهزة .. و .. و .. وسيبدأ الانتاج في مايو اللي جاي .. وأنهم من الربع الثالث من ٧٣ مش كده .

عضو ــ الثالث ..

الرئيس : الثالث .. يعني سبتمبر .. الربع الثالث من ٧٣ بيدوا سرب وسرب وأنا كنت قايل لمبارك .. فمبارك معطاشي كلمة عن حاجة .. لأنه قال لهم ابعتوا لي المواصفات بتاعتها قبل ما نتكلم في أي حاجة لازم تيجي المواصفات كاملة ونشوف الطيارة ، وكان هذا موقف حافظ الأسد لأنهم عرضوها عليه وحافظ برضه تراجع الحقيقة ما استعجلش في هذا الكلام معاهم ، على أساس أنه قال لهم لازم أشوفها الأول .. لأنه هو طيار حافظ .. قال لهم نشوفها الأول لأننا مش مستعدين نخش في حاجة لسه ما شفنهاش .. في الربع الثالث قالوا سرب قام

عزيز قال لهم طيب سر بين .. قالوا طيب يعنى ده أول كلام بس لأنهم كانوا بيتكلموا من الورقة زى العادة المكتوبة فى المكتب السياسى .. يعنى سرب من سر بين الحكاية مش مشكلة .. إنما التحديد الربع الثالث من ٧٣ على أن الطيارين يسافروا فى مايو ٧٢ وعشان يخلصوا تدريب ويجيبوا الطيارات ويجوا .. ليه لأن التدريب فى مصر زى ما طلب عزيز قالوا له مستحيل لأن مفيش ميادين تدريب ولا فيش تجهيزات تدريب ولا حاجة لازم فى الاتحاد السوفيتى .. ومايو بالذات ليه لأنه طيارة التدريب مش ها تكون جاهزة عندهم قبل مايو . ففى مايو يقوم الطيارين بتوعنا يتدربوا هناك ويجيبوا الطيارات ويجوا .. حاجة تانية قالوها .. احنا كنا وعدنا بصاروخ (أرض ــ أرض) وكنا قلنا أن الصاروخ الأرض ــ أرض بنعمل عليه تجارب .. والتجارب دى خدت وقت .. التجارب خلصت ونجحت واحنا جاهزين وفى أوائل سنة ٧٣ هانخطركم بمواعيد استلام صاروخ (أرض ــ أرض) . طيب .. نلاحظ هنا بقى اية .. زى ما قلت لكم النقطتين الإيجابيتين فى الزيارة كانت نمرة ١ دخل الاتحاد السوفيتى الفورمه اللى أحنا عايزينها بالكامل بالشروط اللى احنا عايزينها . النقطة الثانية دخل فى تعاقد جديد .. ما بيهمنيش التواريخ دى كلها لأن ما عولتش كثير عليها .. أنا بيهمنى بس الشكل أنه قبل أن يدخل فى تعهد جديد أثباتاً لحسن نيته أنه عايز يتعاون معانا .. ليه لأن أنا كنت محدد ٣١ أكتوبر فى رسالتى لبريجنيف اللى راحت فى ٣١ أغسطس قلت له .. بالتحديد وبالنص .. قلت له فى ٣١ أكتوبر موقف فاصل بيننا .. فهل بيتفادى هذا الموقف الفاصل عشان لأن كانوا فاهمين هم كويس أن المعاهدة والتسهيلات وكل ما هو ، باقى لهم يعنى لما هانخش فى سياسة القطع .. ها يبقى المعاهدة والتسهيلات تخلص وينتهى وخلاص هم مش عايزين هذا . اللى بيهمنى بقول الشكل انه دخل فى تعهد جديد .. طبيعى الأمر ببساطة كده لما نحلله نلاقى أنهم برضه بياخد الأسراع فى أيديه مرة أخرى أنه لسه فى أول ٧٣ يقولك امتى هايديلك الصاروخ ويمكن يقولك على الربع الثالث أو الرابع ولو أنه بيقول أن الصاروخ خلص ما بيقولش أن .. الطيارة خلصت .. بيقول أن الصاروخ انتهى خلاص وكامل وجاهز .. أما مواعيد التوريد أديها لكم فى أول .. برضه بيحتفظ فى أيده بالاسراع سواء بالنسبة للصاروخ أو بالنسبة للطيارة وأنا ما كنتش باعت عزيز علشان يتفق لى على سرب أو سر بين مش دى النقطة الجوهرية .. النقطة الجوهرية اللى هى محل نقاش بينى وبينهم هتكون فى المرحلة اللى جايه .. قبل اجتماعى ببرجنيف هتكون أنه ما بعتش عزيز علشان سرب أو سر بين .. كويس أنك تعهدت بسرب أو سر بين كويس .. أنا ما ارفضش هذا .. وهى مش مشكلة يعنى .. لكن لا التاريخ يناسبنى ولا هو ده اللى طلبه .. دنا عايز أعرف هل أنت مستعد لتقف معايا وتخلينى .. كل سلاح بيجى عند اللى قدامى بيجيل زيه .. مثلاً الصاروخ بتاع الطيارات اللى هو (شرايك) .. جه الشرايك .. بكره الصبح فوجئت بسلاح جديد .. هل أنت جاهز أنك تقف معايا وكل ما تيجى حاجة قدامى بتقف معايا فيها وتعوضنى أو نوجد لها حل ولا لا .. بس هو ده .. الأساس اللى أنا عايز اتكلم معاهم فيه .. أنما أنا باعتبر أن زيارة عزيز نجحت للنقطتين الإيجابيتين دول .. ولشىء أساسى متفرع عن النقطتين الإيجابيتين .. أنه الـ (flow) الامداد .. معدش مقطوع لأن أنا كنت باجهز نفسى على ٣١ أكتوبر أن أواجه بظرف أن الامداد الـ (flow) العادى بتاع القوات المسلحة العادى يقف .. ليه نتيجة المقاطعة نتيجة للنقطتين الإيجابيتين .. أنا باعتبر

السيء الأساسي اللي أنا حصلت عليه هو الـ (flow) العادي بتاعكم ماسي وماسي بقه بطريقة غير بتاعة زمان اظن انتم لمستوها هناك يا مبارك ..

قائد القوات الجوية : أيـــوه ..

الرئيس ..

ماشي غير طريقة زمان .. لأنه دلوقتي خايف جداً أنه يتعهد بشيء وما يبعتوشي في وقته اقوم أعلنها أنا زي ما حصل وكشفت الموقف ومقدروش لغاية النهاردة ينفوها أمام العالم ولا أمام أي حد .. لأن الوعود والتعهدات كلها التي أعطوها لي هم أن كان بريجنيف وبودجورني وكوسيجين معاهم .. لم تنفذ . أدى نتيجة زيارة عزيز .. نيجي بقى للموقف النهاردة أنا جامعكم علشانه . وأنا اتكلمت ويا صادق .. وكلامي مع الفريق صادق كان أنه ما أقدرشي أخش أبدا الجولة التالية اللي هي المضادة بعد الانتخابات الأمريكية .. ما أقدرشي أخش أبدا الجولة اللي جايه واحنا في الموقف اللي احنا فيه بدون تحريك الموقف عسكريا .

طيب ليه ؟ .. ببساطة وأنا داخل الجولة التالية لأزم أكسبها .. ليه السر في أمريكا فعلاً روجرز راح للزيات وزير خارجيتنا وهو هناك وقعد معاه وكاد يرتمي في أحضانه .. أنه موافق على كلام السادات احنا ما بنقولشي حاجة .. كلامه مهتمين بيه جدا .. وكل ما قاله بنفذة بالحرف .. يبقى أية اعتراضكم بقى .. لكن ده مجرد كلام زي ما حكيت لكم المبادرة أمريكا بتلويها علشان بتعمل منها حل جزئي .. مش زي ما أنا قلتها .. أنا بأقول المبادرة لما عرضتها .. وباقولها وقلتها ومتمسك بها .. أنه انسحاب مرحلة أولى ٦ أشهر ايقاف اطلاق نار رسمي يعلن من جانبنا . عبور قواتنا بلا قيد ولا شرط .. في نهاية ٥ أشهر إذا لم يتم الحل النهائي يبقى على قواتنا أن تكمل واجبها لتحرير الأرض واحنا لا يبقى لينا أي وقف اطلاق نار .. وكمان القناة تنفتح .. والكلام ده كله .. يبقى الكلام بتاعنا .

كلام أمريكا اية النهاردة اللي ابتدأت بيه ؟ . كلام أمريكا المبادرة احنا جهزناها .. فتح قناة السويس .. عبور قواتكم .. واسرائيل جاهزة لعبور قواتكم .. بس بيجي بقه يقول ايه ؟ .. وقف اطلاق النار وتحديده طيب مادام حنخش في جو السلام .. والاسرائيليين داخلين مسافة كبيرة جوه سيناء ــ وده الاغراء وحتفتحوا قناة السويس .. طيب ما يعني نخلي العملية بتاعة الحل النهائي لمفاوضات في المرحلة الثانية .. اللي هي ممكن تقعد سنين و ١٠ سنين و ١٥ سنة و ٢٠ سنة .. ونبقى فقدنا فلسطين وفتحنا قناة السويس وراحت القضية على طول .. يقلبوا المبادرة علشان يعملوها حل جزئي . والكلام ده حيلاقي أذن صاغية في أوروبا الغربية .. ليه ؟ .. لما يقولوا لأوربا الغربية فتح قناة السويس .. وعبور القوات المصرية أوربا الغربية حتقول أنت مش موافق ليه .. ولو عبرنا فعلا وفتحنا قناة السويس فعلاً .. ووقفنا في نص سيناء فعلاً .. يبقى انتهى نص سيناء التأني .. والقضية ماتت .. وفي الرأي العام العالمي خلاص فقدت اهميتها نهائي .. وتيجي تتكلم .. يقولوا لك أنت بتتكلم في ايه ؟ ما أنتم خلاص ابتديتم في العملية مع بعض خلاص .. يعني مشوا وخلاص وتفقد أهميتها .. ده التحايل الجديد اللي داخله بيه أمريكا وده اللي أنا أتنبأت به في أغسطس الماضي حتى حافظ وهو عندي ! قلت له ياحافظ الأمريكان حيثيروا المبادرة بتاعتي بعد التطورات الأخيرة . نكون صاحيين وجاهزين لهذا الكلام .. لأنهم

عايزين يقلبوها .. أنا الحقيقة فى أغسطس اتكلمت مع الفريق صادق ، وقلت له ما اقدرسى أخش فى نوفمبر اللى جاى الجولة التالية اللى بيتقال عنها ديه .. **يعنى نكون واضحين مع نفسنا .. ونكون صرحاء مع نفسنا .. ما فيش حاجة اسمها حل ..** ده احنا بس علشان عايزين نكسب وقت نستنى لما تيجى الفرصة وكمان عايزين ضغط عالمى .

ولكن من بكره من بعده من النهاردة فى كل وقت .. ما فيش حاجة اسمها حل سلمى والحل السلمى معناه .. الاستسلام على طول . ليه .. لأن .. الشىء ، الشىء المؤسف ، اللى لازم تعرفوه أنه بعد دراسة سياسة الوفاق اللى تمت وانتهت ومعروفة فى العالم .. انتهاء الحرب الباردة وسياسة الوفاق بين الكتلتين مين اللى فى ايده مفتاح القضية ؟ الكتلتين .. أمريكا هى اللى بتدى اسرائيل كل حاجة .. وهى اللى متعهدة بكل شىء .. وهى اللى واقفة .. وهى اللى حتحل .. وهى اللى بتحل .. الاتحاد السوفيتى لا دور له فى هذه العملية .. عملية اجتماع موسكو اللى حصل فى ٢٠ مايو .. المصيبة كبيرة .. ان الحلول اللى هاتيجى من أمريكا بعد الوفاق حتكون بمباركة الاتحاد السوفيتى . ويستنى لما نقبل احنا .. وعلى ذلك أنا قلت للفريق صادق فى أغسطس الماضى .. القرارات ما تكملش إلا باننا فى الجولة اللى جاية بعد الانتخابات الأمريكية ما ندخلش ابدا من موقف السكون اللى احنا فيه ده لأنه موقف الضعف . لابد ان تتحرك القضية عسكريا .. الصورة ايه ؟ بما نستطيع .. بما نملك بالمناورة اللى نستطيع نعملها بما لدينا .

أنا قلت هذا الكلام وأنا فى يقينى التام فى ذلك الوقت أن الاتحاد السوفيتى أنا هاقطع معاه فى ٣١ أكتوبر .. وماكنتش متصور أنه حيلقط ويفهم ان مصر معناها المنطقة مش مصر لوحدها . لكن لقط وفهم .. ووفر على أو على الأقل حط نفسه فى الوضع اللى استطيع أنا النهاردة أن أبلغه فيه أكثر ما بلغته فى المرة اللى فاتت . أنه ما يقدرش يقطع الأمداد عنى .. دلوقتى فيه تعهد جديد .. وداخل فى تعهد جديد غير (Flow) .. العادى بتاعنا . برغم أنى أنا ما كنتش متوقع هذا من الاتحاد السوفيتى وأنا باتكلم مع الفريق صادق فى نقطة البدء الا أن كمالة القرارات . طيب عملت أنا القرارات وخلصنا من المستشارين والخبراء .. وأخذنا حريتنا فى كل شىء .. وانتهى و .. و .. لكن ماذا بعد .. وضعنا اللى احنا فيه طب ما هو أمريكا حتعرض عليك المبادرة زى ما حكيت لكم كده بالشروط اللى هيه بتقولها دى .. وتلاقى أذن صاغية فى العالم . نقطة ضعف . أزاى .. ما أنتوش قابلين والعالم يقول واضح أن القوات عبرت . واضح ما بتقبلش ليه .. والعملية مفاوضات .. ومناقشات بينكم بقه .. و .. والكلام ده كله .. وبعدين طيب ما أقدرتش طيب نحيى مهمة يارنج .. طب ٧٣ فاتت .. ٧٤ تفوت .. المهم أن كل هذا سيتم لأنى أنا ما حركتشى شىء .. وقاعد . طيب وهو يتحرك ليه الأمريكان واسرائيل ياخذوا فى بالهم . طيب خلاص ما قبلتش عنك ما قبلت . خلاص .. اهى تفضل رايحه جاية فى كلام .. والاتحاد السوفيتى اللى هو واقف معانا .. موقف الصديق زى ما قلتلكم يهمه جداً أن هذه القضية تنتهى بحل سلمى ..لأن دى استراتيجيته لكن بس ما عندوش الشجاعة علشان يقولها .. حتى ولو بتنازلات من جانبنا .. ليه .. لأنه واقه بدل وجع الراس .. لأنه ما يعرفش حنورطه فى اية على حسب تفكيرهم وهو عمل سياسة وفاق ده اتفق خلاص فى فيتنام .. اتفق فى الأمن الأوربى .. اتفق .. فى الأسلحة الأستراتيجية .. اتفق فى كل شىء أتفق .. وعمل سياسة وفاق .. وحبوب

أخذ .. واستثمارات لسيبيريا أخذ كله خلاص .. ورتب نفسه لعشرين سنة جاية مع أمريكا .. طيب وجع الرأس بيجى له مننا ليه .. أدى خطورة المرحلة دى اللى احنا داخلين فيها ..

من هنا زى ما قلت لكم .. فى تصورى الكامل .. والأحداث تثبت هذا الكلام .. كمالة هذا أن أحنا ما نخششى الجولة الثانية اللى جاية من موقف السكون اللى احنا فيه .. ما خدش هذا الأمر أنا بأعرضه أو باقوله علشان أخذ رأيكم فيه .. ده أمر حتمى لمصير هذا البلد خلاص .. ماعدش أمامنا فكاك .. وادى انتم شايفين النهاردة .. العربدة اللى بتعملها إسرائيل فى المنطقة .. بهدف حملة نفسية شرسة علشان تقول اياسوا ياعرب لا فائدة منكم فى شيء نحن متفوقون إلى الأبد .. ونستطيع أن نضرب اينما نشاء .. وقتما نشاء .. ولا تستطيعوا أن تعملوا شيء لنا أبدا .. واحنا قاعدين كان اسرائيل دى طلسم أمامنا .. وما فيش حركة أبدا .. وإذا قبلنا هذا الوضع يبقى ما فيش ما يدعو للتكاليف اللى احنا بنتكبدها ونختصر الطريق .. ويعنى نلم نفسنا ونقبل حل أمريكى .. ومبادرة .. وبحل مقلوب وحل معوج ونروح نعمر مدن القناة .. ونفتح القناة ونخش سيناء وتعبر قواتنا وندجل زى ما بعض السياسيين العرب ما بيدجلوا أنا لا ألجأ لهذا الأسلوب ..

إن جيتوا للصراحة .. نحن اليوم امام امتحان كقوات مسلحة .. فى الفترة الماضية أنا عملت كل ما أستطيع صبرت على الاتحاد السوفيتى بالكامل . وغطيت موقفهم . وفى يناير وفبراير ومارس من ٧٢ اللى أحنا فيها دى النهاردة لما كانت البلد كلها .. المنطقة كلها قايمة — كنت أنا واقف فى ١٤ مايو فى البرلمان تذكروا .. ١٤ مايو وبادافع عن الاتحاد السوفيتى بشراسة .. وكنت مستعدا اخش معركة كمان مع اللى عايز يخش علشان اغطيه أملا فى أن احنا كنا عاملين استراتيجية اللى حكيت لكم عنها بتاعة ٥ أشهر . وحنيجى ونجهز نفسنا ونقف .

ده ما حصلش وضع تانى .. قلت له لا .. زى ما دافعت عنه بشراسة .. ووقفت معاه لآخر الشوط . قلت له قف مكانك مهما كان . الموقف مع الأمريكان . خدت ٧١ كلها . شفت روجرز قابلته هنا واتقال علىّ من المتآمرين إنى بابيع القضية وبابيع البلد للأمريكان .. ماهيش مشكلة يعنى .. الهدف كله هو المصلحة .. مصلحة هذا البلد قبل كل شيء مجردة من أى حاجة . وأنا عملت مع الأمريكان كل ما يمكن عمله . وقدمت المبادرة بتاعتى وأنا كنت مخلصا فيها . هم يتصلون بى الآن .. قلت لهم أنا معتمد على حاجة إسمها سياسة الباب المفتوح .. اللى عنده حاجة يتفضل .. لو كان عند الروس حاجة بيجوا .. الأمريكان عندهم حاجة تعالوا قولوا لى الإنجليز عندكو حاجة اتفضلوا قولوا . وأنا أول ما القى أنه ممكن بالنسبة لى ولبلدنا ولشرفنا بأقبله .. اللى ماهوش مناسب ما باقبلوش .. فأنا معتمد على سياسة الباب المفتوح .. لكن تذكروا فى هذه القاعة .. وفى القيادة فى كوبرى القبة كنت بقعد معاكم .. تذكروا كويس إنى أنا كنت كل مرة باجتمع فيها مع القادة السوفيت باقرا فى عينهم تساؤل ؟ بيقولوا متى حتحاربوا .. متى حتبقوا رجالة ، بس مش قادرين يقولوها الدور ده قالوا بصراحة لعزيز صدقى . عزيز صدقى سأل سؤال لكسيجين وبودجورنى فى الجلسة أمام الوفدين .. فى المناقشة وهى محتدمة .. طيب لو فيه حتة عندكم محتلة زى سينا ماهى عندنا محتلة تعملوا إيه ؟.. قالوا نحارب ولو بالبندقية . هو عايز يقول أكثر من هذا . لأنى أنا عارف الكلام اللى بودجورنى شتمنا بيه

كعسكريين فى تركيا نتيجة الهزيمة بتاعة ٥ يونية بأبعادها المؤلمة اللى احنا كنا عارفينها كعسكريين ماهياش ، تايهة عنا .

النتيجة أن المعسكرين شرقا وغربا صديقنا وعدونا الاثنين لا ثقة لهم فينا إن احنا نقدر نتحرك .. أو نعمل عمل اطلاقا .. أو نتقبل تضحيات أو نناضل علشان نحرر ارضنا .. ونأخذ حقنا .. علشان كده باقول لكم ما فيش حاجة اسمها حل سلمى إلا إذا كنا عايزين نستسلم .. كل العروض اللى جاية مبنية من منطق واحد .. هو انك خلاص القيت السلاح .. وعليه فاستعد إنك انت أى حاجة لأنك ألقيت السلاح ومافيش معركة تانية . هذه الحقيقة عند الاثنين عند الأمريكان وغرب أوربا كله .. وعند أصدقائنا الروس .. عبر عنها الروس وقالوا : العرب مافيش فايدة منهم .. مهما اديتهم سلاح مش حيحاربوا دول مش بتوع حرب .. وقالوا ما هو أكثر من هذا فينا وده يمكن من الأسباب اللى خلتنى عجلت الآن .

لعلمكم برضه كان لا يمكن نبتدى نعمل اى حاجة والمستشارين السوفيت فى وسطنا .. فى وسط قواتنا .. ابدا ده مستحيل .. ده كان مبدأ اساسى عندى ..

من ضمن الحاجات اللى خلتنى الحقيقة اتخذت قرارى وأنا سعيد .. أن معركتنا نعملها احنا .. ونتقبل كل ماهو مقدر علينا .. لأن هذه هى الحقيقة والفشل والنجاح علينا احنا مش على حد تانى اطلاقا .. يعنى نحط الأوضاع السليمة فى محلها .. ونقف فى الخندق السليم بتاعنا .. احنا بنحارب معركتنا .. بس .

النهاردة زى ما قلت لكم .. نتيجة هذا .. نتيجة الموقف اللى احنا وصلنا إليه .. اسرائيل تعربد فى المنطقة كما تشاء .. وبلا أى رادع من أى جهة كانت .. النهاردة اعتدت على لبنان وبتكسر حاجز الصوت فوق المدن اللبنانية كلها . بتكسر لهم القزاز .. قبلها كانت فى سوريا منتهى الوقاحة .. برضه الروس سألوا الأسد وهو عندهم ؟ طب لما ضربوك اليهود فى ٧ أماكن فى سوريا .. مصر لماذا لم ترد ؟ الأسد قال لهم حترد فين ؟ توصل لعمق إسرائيل ازاى ؟ هو انتم اديتوهم اللى يوصلوا بيه عمق إسرائيل والناس اتأخروا ؟ يعنى انضح لى أنا نوضع اليوم أمام مسؤليتنا وأمام الامتحان .

زى ما قلت لكم أنا غير مستعد أنى اقبل حلول الاستسلام . مش أنا اللى اقبلها أبدا . ولا أتكلم فيها مع أى فرد من الأفراد .. لأن الجلوس على طاولة مع إسرائيل معناه وأنا فى هذا الوضع المهين معناه أنى بسلم ماذا يبقى أمامنا ؟.. يجب أن نثبت للعدو والصديق أننا نستطيع أن نناضل وأن نتقبل التضحيات .. وحرك الموقف بالتخطيط .. مش بنرفزة ولا بعصبية ولا بانفعال .. بالتخطيط تمام .

وده ميعادنا .. حتى فى كلامى مع الروس فى المرحلة اللى جاية ، أو كلامى مع الأمريكان فى المرحلة اللى جاية .. أو كلامى مع العرب فى المرحلة اللى جاية أو كلامى مع الشعب هنا فى المرحلة اللى جاية .. لن يكون له قيمة مع أى جهة من الجهات دى واحنا قاعدين فى السكون اللى احنا قاعدين فيه . الكلام انتهى وقته ووصلنا إلى نقطة التشبع بما لدينا يجب أن نحكم امرنا خطط لغاية ما نحرك القضية .. بمعنى نولع حريقة .. عندئذ الكلام له معناه الكامل وله قيمة

وسيظل الموقف العربي كما هو واقع الآن تماما طالما أن احنا زى ما أحنا فى موقف السكون لن يتحرك بل سيسوء أكثر مع العرب .. مع الأمريكان .. مع الروس .. مع شعبنا .. وفى تقديرى أن القضية بتنتهى إلى السكون والموت .. انتهت .. انتهت .

أنا قلت مرارا وحاقول لا أمريكا ولا روسيا ولا أى حد حيحارب لنا معركتنا . أوحيدينا اللى احنا عايزينه .. أبدا احنا اللى لازم نحرك لازم نحرك الروس علشان يدوا ولازم نحرك الأمريكان علشان يحلوا .. احنا قوة الدفع . وصلنا إلى المرحلة اللى القضية فيها مهددة .

لقد اتخذت القرارات .. وقلت للفريق صادق على الجولة اللى جايه .. ماتدخلش الجولة اللى جايه من موقف السكون اللى احنا فيه .. وإلا القضية تنتهى .. وإذا القضية انتهت على جبهتنا فانها تنتهى على الأمة العربية كلها .. وعلى الجبهات كلها .. لأنه مافيش هنا جبهة لها قيمة عسكرية غيرنا احنا . اسرائيل عارفة اذا صمتت جبهتنا انتهت القضية .. وانتهت الثقة اللى فى شعبنا بالتدريج حتنتهى .. النهاردة بيننا وضع وثقة .. وبيننا أوضاع .. كل ده حينتهى كله . التدريج للتاريخ .. أنا باعتبر أن هذه جلسة تاريخ .. لازم نفكر أيضا فى المستقبل .. واحنا بنفكر فى الحاضر .. والتجارب لازم تتحضر .. المعركة تنتهى على أى وضع .. وبإرادة الله وبإرادة هذا الشعب لن نخسر .. ولن يكون الوضع أسوأ . من ذلك أبدا على أى وضع وعلى أى ظروف كانت .. أبدا .. ستنتهى المعركة .. طب ما هو الحل بالنسبة للمستقبل .. أنا بيهمنى .. فى قيادة القوات المسلحة بتاعتنا أنا جامعكم النهاردة .. لأنه مثل ما بيشغلنا المستقبل دائما ، يهمنا الحاضر كمان .. ونشتغل بقى بتخطيط وبعقل ما نشتغلش زى .. زمان ما حصل فى معركة ٥٦ .. وطلعنا من معركة ٥٦ وقلنا انتصرنا صحيح انتصرنا سياسا .. عبد الناصر قلب الهزيمة العسكرية إلى نصر سياسى بس ما كانش لازم نقوله لقواتنا المسلحة .. ولا أحنا فى تخطيطنا يجرى لنا اللى جرى ونسيب العملية مثل ما حدث بعد ٥٦ بالشكل اللى جرى لأنه اللى حصل بعد ٥٦ .. انتصرنا .. انتصرنا .. وقيادة القوات المسلحة صدقت اننا انتصرنا .. انتصرنا . وقيادة القوات المسلحة صدقت اننا انتصرنا عسكريا فى ٥٦ وناموا وسابوا العدو .. فى نفس الوقت اللى اليهود قعدوا يحضروا من أول ٥٧ عشر سنين بالكامل العدو لفى وغير كل تكتيكاته .. وغير كل شيء .. والنص جنزير وراح فيتنام وطور وجدد .. واشتغل ليل نهار ..

واحنا هنا ما فيش مابنعملش أى حاجة .. إلا أن صدقى محمود الله يكرمه .. كل نوفمبر يقول .. أكبر قوة جوية فى الشرق الأوسط .. وقعدنا عايشين على التهريج ده .. لازم نفكر بأسلوب علمى للمرحلة الجاية بالنسبة للمستقبل .. علشان تكونوا أمناء على هذه الرسالة .. للتاريخ .. لازم يكون لنا استراتيجية ونستطيع أن احنا نعمل على ٤ أسس بالنسبة للجو وهى الأساس .. ليه .. صحيح ليس هو الحاسم فى المعركة .. لأنه زى ما أحنا عارفين وكلنا وعلمنا على عامر الله يرحمه فى الكلية الحربية .. أنه فى النهاية المشاة (ضحك) والدبابة علشانك (ضحك) .. لكن وضح من الاستراتيجية اللى قدامنا .. ما أحنا كمان لازم نتعلم .. هى كل المشكلة اللى احنا فيها النهاردة أيه .. أن أمريكا عاملة من إسرائيل حاملة طيران .. بعيدة المدى .. وكمان جايبة لها طيارات من اللى تمون من الجو علشان تدى مدى كمان فوق ٢٠٠٠ كيلو متر وهى مدى الطيارة .. كمان ألفين زيادة .. علشان توصل زى ما بنقول لآبار البترول

ولا جنوب السودان ولا لطرابلس وتونس يعنى يوصل لأى حته .. أدى المشكلة بالنسبه لنجو عندنا .. معمول من اسرائيل حاملة طائرات فى المنطقة .. وده مصدر التهديد الوحيد النهاردة .. هو التفوق الوحيد .. أنا ما باعترفش لإسرائيل بأى تفوق على الأرض .. أنتم أكثر ناس تقدروا تقرروا على الأرض ، العسكرى الإسرائيلى شكله إيه واجتهوهم .. كثير منكم واجهوا هذا الكلام .. لكن التفوق الوحيد هو فى الجو . يبقى بالنسبة للمستقبل فى المرحلة اللى جاية .. القاذفة المقاتلة والهيلوكبتر .. تصنيع وليس شراء . كفاية بقى .. لأن إسرائيل بتعمر .. (الفوجا) ماشية اللى بتشتغل من ٢٠ سنة بتشغلها إسرائيل لغاية النهاردة .. لأنها بتعمر .. بتعمل كل شيء جوه عندها فى إسرائيل .. ووقت اللزوم .. هنا بعد ما ضربوا طيرانا فى ٦٧ لو تذكروا دخلت الفوجا ماشية فوق القاهرة .. كانت الفوجا ماشية .. بس تدريب .. دخلت فوق القاهرة . مالم يكن لنا صناعة عسكرية .. ما فيش .. بنحرت فى البحر .. ومانكررش غلطة ٥٦ . قاذفة مقاتلة وهيلكبتر .. ده بالنسبة للجو . بالنسبة للبحر . بندور نشوف محمود فهمى بيعمل إيه .. استراتيجية العالم بعد ضرب إيلات كلها اتغيرت ..محمود فهمى بيعمل زورق يعطيه قوة نيران مدمرة بالكامل . العالم كله بيتجه لهذا مفيش داعى للقطع الكبيرة الضخمة دى اللى بتضرب وعليها أطقم كذا .. وكذا فيه زورق عنده (عملت فيه تجديدات عسكرية فنية) .. زورق .. ده بالأسلوب اللى ماشى فى العالم كله .. ونتيجة الخبرة والدراسة ونتيجة معركة احنا عملناها .. معركة إيلات .. تغيرت استراتيجية البحرية فى العالم الآن .

ده بالنسبة للبحر .. وبالنسبة للجو :

بالنسبة للأرض .. الجنزير والنصف جنزير لا بد يصنع هنا .. لازم ..مايبقاش مسرح العمليات عندى فى الشرق صحراء فى الجنوب .. صحرا فى الغرب صحراء وفى الشمال بحر .. كله صحرا .. واشتغل بالكاوتش .. كان نوع من السفه الحقيقة مش عارف سره أنا مش فاهم . ما كانتش عايزه ذكاء .. فى الفترة الماضية – وكانت بعد الحرب الثانية كان النص جنزير فى أوروبا معروف . مرمى بتراب الفلوس بالتراب مرمى – وخدته اسرائيل – واحنا ما خدناش اشترينا الكاوتش علشان الصحراء .

ويبقى البند الرابع وهو الحرب الألكترونية اللى هى سمة العصر الجديد اللى احنا فيه .. وبدخولنا الحرب جهات كثير ممكن تعاونا فى هذا .. مش الاتحاد السوفيتى .. يعنى انجلترا جايز تعاونا فيه فرنسا جايز تعاونا فيه ..

باعتقد إننا إذا غطينا الأربع بنود دول كاستراتيجية لنا فى البر والبحر والجو والحرب الألكترونية نستطيع إن أحنا نقف فى بلدنا على رجلين ثابتة ، وتواجه أى حاجة – وعلى أرض ثابتة – وبعد ذلك بنتطور مع العالم فى كل مايتطور ومش حنقف أبدا .. ده بالنسبة للحاضر وبالنسبة للمستقبل .. ودى كل الصورة اللى حبيت أقولها لكم ..

هذه هى بعض الفقرات التى أخذتها من ذلك الاجتماع العسكرى التاريخى ، الذى تم قبل الحرب بعام .. وواضح من كل ماقيل فيه ، أن أنور السادات اتخذ قرار الحرب ولا رجعة فيه . الحرب بالإمكانيات المتاحة حتى لو حررنا شبرا واحدا من شرق القناة .

ودارت بعد ذلك عجلة الاستعداد الشامل .

موقف ســـــوريا

أما عن موقف سوريا فى ذلك التاريخ (اكتوبر) ١٩٧٢ فقد صرح الرئيس السادات بأن أحاديث جرت بينه وبين الرئيس حافظ الأسد فى اجتماعات مجلس الرياسة وأن الأسد يزداد كل يوم اقتناعا بأنه لا بد أن تتحد الجبهتان المصرية والسورية وبأن أى تحرك أفضل من الوضع القائم مهما كانت التضحيات التى نتكبدها . وقد ألح الأسد على السادات فى ذلك الوقت أن يسافر وزير الدفاع المصرى إلى سوريا لإجراء التنسيق بين الجبهتين .

وتطورت الأمور ..

وجرى التنسيق وأعدت العدة لكى تكون ساعة الصفر فى مايو ١٩٧٢ ثم تقرر تأجيل الموعد إلى سبتمبر أو أكتوبر .. لأنه جرى فى مايو لقاء الوفاق بين نيكسون وبريجنيف فى موسكو .

وبعد ذلك عقد اجتماع المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية فى أغسطس بالأسكندرية ودار النقاش حول تحديدات المعركة .. وقام السادات برحلة إلى السعودية وقطر وسوريا . وفى دمشق جرى اجتماع مع الأسد ضم أحمد اسماعيل وزير الدفاع المصرى وطلاس وزير الدفاع السورى .. وتقرر بالاتفاق أن تكون ساعة الصفر ٦ أكتوبر .

قبل حرب أكتوبر بيومين

وفى ٤ رمضان دعا السادات مجلس الأمن القومى إلى الاجتماع وتحدث اليهم الرئيس السادات عن ضرورة المعركة بصفة عامة .. ولم يحدد أنها بعد يومين .. وكان السادات يريد أن يستمع إلى وجهة نظر أعضاء المجلس . وما قاله لهم الرئيس فى هذا الاجتماع السرى أن الحرب ليست مجازفة قدرية . لابد أن يكون كل شىء محسوبا . ولكن هناك ما يسمى بالمخاطرة المحسوبة ولو حسبنا بأسلوب اننا سنكسب حربا مائه فى المائه فى كل شىء .. فإننا لن ندخل حربا أبدا .. هناك موازين وحسابات وتعويضات واحلالات وإبدالات . قرار الحرب يعتمد على صورة عامة محسوبة .

والطريف أنه أثناء اجتماع مجلس الأمن فى ٤ أكتوبر كان تنفيذ العمليات قد بدأ فعلا . وكانت القوات البحرية قد تحركت فى هدوء إلى المواقع التى حددتها الخطة فى ٣١ سبتمبر .. وكانت العجلة قد دارت بحيث لا يمكن أن تعود .

وكان السادات ينام الليل فى تلك الأيام هادئا مستريحا .. وكأنه غير مقدم على أخطر مسؤلية أمام الشعب .. وأمام العالم كله .. كان قلقا قبل الوصول إلى القرار . لا حرب ولا سلم . كان قلقا قبل اتخاذ قرار طرد الخبراء السوفييت وعندما نفذ القرار عاد إليه الهدوء .

وكانت احتمالات الخسارة المقدرة هى ٣٠ ٪ أو أكثر . وكانت الاستراتيجية العربية قائمة على أربع نقاط :

* أن تحارب إسرائيل على جبهتين .
* أن تصاب إسرائيل بخسائر لا تتحملها .
* أن تستمر إسرائيل تحت التعبئة لأطول مدة ممكنة لاتقوى عليها .
* أن يتحقق التضامن العربى وتستخدم الأسلحة العربية الاقتصادية والعسكرية .

وكان الاتفاق مع سوريا .. هو أن تصل القوات المصرية إلى مضايق سيناء وتحتلها .. وبذلك تكون قد احتلت سيناء كلها .. وأن تستولى القوات السورية على الجولان وتؤمن خلفها .

وأهم اجتماع عقده السادات قبل الحرب كان فى أول أكتوبر ١٩٧٣ مع قيادات القوات المسلحة وقد استمر ١٠ ساعات . وعرض فيه القادة خططهم النهائية التى سينفذها كل واحد منهم على أرض المعركة .

وفى هذا الاجتماع قال لهم أنور السادات إننى أتحمل المسئولية أمام التاريخ .. وصدق على الخطة كتابة بالتاريخ ١٠ رمضان « خطة الشرارة » .

وفى يوم ٥ أكتوبر لم ينم السادات فى بيته . كان قد اختار قصر الطاهرة لإقامته وقت المعركة . وأعدت غرفة عمليات كاملة تحت الأرض بديلة لغرفة العمليات القريبة من قصر الطاهرة .. ومنها كان يتابع العمليات دقيقة بدقيقة مثل الغرفة الأصلية تماما . ولم يكن أحد يدرى أن قصر الطاهرة يشكل مركز قيادة .

كان يوم ٥ أكتوبر يوم جمعه . وأمضاه السادات يوما عاديا وصلى الجمعة فى كوبرى القبة فى زاوية تعلم فيها الصلاة منذ خمسين عاما .. وعاد إلى قصر الطاهرة .. واتصل به أحمد إسماعيل وزير الدفاع . فطلب إليه السادات أن يمر عليه فى الساعة الواحدة والربع بعد ظهر اليوم التالى (٦ أكتوبر) أى قبل ساعة الصفر بـ ٤٥ دقيقة .

ونام السادات ملء جفونه .

استيقظ فى الصباح كالمعتاد الثامنة بدأ بقراءة الصحف . لعب التمرينات

السويدى . أخذ حماما . ارتدى ملابسه العسكرية . حضر أحمد إسماعيل فى الموعد المحدد . بعد عشر دقائق كان فى غرفة العمليات .

فى الساعة الواحدة والنصف صدر البيان المفتعل الخاص باعتداء اسرائيل على مصر .. فى الساعة الثانية تماما صدر أول بيان عسكرى . أبلغت جميع قوات الخط على مسافة ١٧٥ كيلومترا من بور سعيد ، إلى السويس بعبور الطيران ٢٤٠ طائرة على موجات ، وعلى ارتفاع منخفض . انقضت مثل الوحوش المفترسة . استمرت الطلعة ٢٠ دقيقة كانت رائعة بشكل خارق . بأكثر مما كان متوقعا . بعد ١٥ دقيقة طلب السادات تكرار الضربة مرة أخرى .. أربعة آلاف موجة انطلقت تزمجر وتدمر منشآت العدو وبدأ «النمل» آلاف وراء آلاف .. وجاء أول بيان عن غرس العلم المصرى على الضفة الشرقية ــ اللواء السابع توالت البيانات ــ عملت المدفعية بعد ٥ ساعات أدركت إسرائيل أنها تعانى ضربة قاضية .. العبور الأول من المشاة والقوات الخاصة بالصواريخ المضادة للدبابات وقدموا أشجع معركة فى تاريخ الحروب وهم يتصدون للواءات مدرعة كاملة من العدو يبيدونها .. فرقة لواء ١٩٠ الإسرائيلى (١٢٠ دبابة) أبيدت فى ٢٠ دقيقة !!.. ثم بدأ عبور المدرعات .

إذا أردنا أن نقيم دور أنور السادات فى حرب أكتوبر تقييما موضوعيا .. فإننا نقول إنه استعد للحرب وبدأها فى ظل أصعب ظروف داخلية وخارجية يمكن أن تواجه حاكما مصريا ..

فى الداخل كانت مظاهرات الطلبة الماركسيين الذين استطاعوا فعلا أن يؤثروا فى مشاعر الطلبة العاديين .. لأن أحدا لا يتصور أننا قادرون على تحدى إسرائيل ..

الكتاب الماركسيون الذين استخدموا نقابة الصحفيين للإعلان بأن السادات لن يحارب وهو يعد وثائق الاستسلام .. والصحف العربية تتلقف كل ما يجرى .. وصحف الحائط فى الجامعة تقدم أسوأ صورة تدعو إلى اليأس ...

وكانت صحافة العالم ، واثقة أن السادات لن يحارب وتوقعت صحف غربية عديدة انهيار حكم السادات من الداخل .. وراهن دبلوماسيون غربيون وشرقيون أن نظام السادات لن يبقى وقالت صحيفة أمريكية كبرى ان السادات حاكم أسمر يهدد بالحرب وهوايته وقف اطلاق النار .. كما كانت الشكوك تنهش قلوب المؤيدين للسادات .. والمواطنين العاديين حول إمكانية كسب المعركة .. وانتشر رأى يقول : مادمنا غير واثقين من أننا سنكسب المعركة ١٠٠٪ فلماذا نغامر ؟

خلاصة القول أن السادات اتخذ قرار الحرب فى صمت .. وتحمل بأعصاب حديدية كل هذه الأجواء القاتمة واليائسة والمتشككة .

ولعل أقوى عنصر التخطيط لحرب اكتوبر غير التخطيط العسكرى كان رفع معنويات المقاتل المصرى .. إن هزيمة ١٩٦٧ .. والانسحاب المهين الذى جرى .. والحرب النفسية العنيفة التى شنتها اسرائيل بأن الاسرائيلى هو المقاتل الذى لا يهزم ولن يهزم .. وأن عبور القناة هو المستحيل .. كان ذلك لا شك له تأثيره على المقاتل المصرى وهو يفكر فى أنه سيواجه هذا العملاق الإسرائيلى المخيف .. وقد نجح المسئولون فى القوات المسلحة فعلا .. فى رفع الروح المعنوية بإثارة الإيمان بالله فى النفوس .. ولذلك كانت صيحة العبور هى «الله أكبر» وقد نصحت أمريكا فى لقاء كيسنجر بحافظ إسماعيل أن يفهم السادات أن مصر منهزمة وعليه ألا يطلب ما يطلبه القائد المنتصر .

وكانت نصيحة الاتحاد السوفيتى المستمرة .. هى عدم المغامرة بالحرب ..

وهكذا بدأت حرب أكتوبر على غير إرادة القوتين الكبيرتين .

وفى الساعة الثالثة من مساء ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ حضر كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى إلى القاهرة كما حضر إلى القاهرة فجأة ، وعلى طائرة خاصة لم يعلن عنها إلا فور وصولها إلى مطار القاهرة وزير خارجية يوغسلافيا ومعه سفيرنا سعد عفره .

وكان الاتحاد السوفيتى يلح على وقف إطلاق النار . وكان بريجنيف قد اتصل بالرئيس تيتو وطلب إليه أن تقدم يوغسلافيا إلى مجلس الأمن على وجه الاستعجال مشروع قرار يوغسلافى بوقف النار . وأكد بريجنيف أن الاتحاد السوفيتى وأمريكا متفقان على ذلك لكن الهدف هو أن يقدم من دولة أخرى .

واجتمع الرئيس السادات بالرفيق كوسجين أكثر من مرة .. وكان كوسيجن يجرى اتصالات يومية مع موسكو وكان كيسنجر فى موسكو حينئذ ورفض السادات وقف إطلاق النار وقواتنا منتصرة إلا إذا تعهدت القوتان الكبيرتان بتطبيق قرار مجلس الأمن فورا وضمنتا الانسحاب الإسرائيلى الكامل . وتدخل رئيس وزراء بريطانيا برسالة خاصة إلى الرئيس السادات قدمها له السفير البريطانى فى ساعة متأخرة من الليل . وكان ذلك بناء على طلب كيسنجر من الحكومة البريطانية .

ولكن الثغرة كانت قد بدأت ..

وهنا تغير الموقف تماما ..

وقبل السادات وقف إطلاق النار بضمان موسكو وواشنطن .

ولم تحترم اسرائيل وقف النار واستخدمت الأسلحة الأمريكية المتدفقة فى توسيع الثغرة ومحاولة احتلال السويس .

ووجه الرئيس السادات نداء إلى الاتحاد السوفيتى وأمريكا بالتدخل لتنفيذ وقف النار من جانب إسرئيل .

تحركت قوات سوفيتية من البحر الأسود .. وأعلنت امريكا حالة الطوارىء الذرية ..

وتم وقف النار الفعلى فى ٢٦ أكتوبر ..

وقبل أن نستعرض ماذا تم بعد وقف النار .. يجدر بنا أن نجيب على سؤال هام .. ما هى حقائق الثغرة ؟.. إن الإجابة الشافية على هذا السؤال لا تزال غير واضحة لدى الكثيرين .. خاصة أن إسرائيل أرادت أن تصور حدوث الثغرة للعالم وكأنه هزيمة لمصر ، تبدد نصر أكتوبر العظيم ..

وأعود إلى السؤال الهام .. ماذا أدى إلى قيام هذه الثغرة ؟..

« حقائق الثغرة »

فى يوم ١٣ أكتوبر كانت هناك طائرة استطلاع أمريكية من طراز معروف عسكريا ؛ تتجسس على المواقع المصرية من بور سعيد إلى السويس .. وتتجه جنوبا إلى البحر الأحمر وشرقا إلى الدلتا .. ومن شمال الدلتا عادت فى اتجاه إسرائيل عبر البحر الأبيض . كانت هذه الطائرة فوق أى مدى للصواريخ ولا تصل إليها أى طائرة مصرية بسبب ارتفاعها وسرعتها .

كشفت هذه الطائرة أوضاع القوات المصرية بالكامل . المطارات وسائل الدفاع الجوى . وكشفت أيضا الشىء الخطير الذى تسبب فى الثغرة .. إن الفرقة المدرعة المصرية ٢١ كانت فى منطقة الدفرسوار فى الضفة الغربية وكانت تعبر فى يوم ١٣ أكتوبر إلى الضفة الشرقية لاستئناف الهجوم يوم ١٤ وهو ما سمى بتطوير الهجوم .

لقد بدأ تطوير الهجوم يوم ١٤ اكتوبر لتخفيف الضغط على سوريا وللوصول إلى شرق المضايق .. لم ينجح الهجوم المصرى . كانت اسرائيل واقفة فى دفاع مستميت بأسلحة أمريكية جديدة وأمكن وقف الهجوم .

ذهب السادات إلى مركز العمليات وأبلغ بذلك . أصبحت الضفة الغربية فى هذه المنطقة بلا قوات تحميها ..

وفى اليوم التالى مباشرة ليلة ١٥ ، ١٦ بدأت عملية الثغرة من جانب إسرائيل .
ودارت ثلاث معارك : الأولى اسمها معركة المزرعة الصينية فى الضفة الشرقية . الثانية قام بها شارون بفرقته لكى يزحزح جنب الجيش الثانى شمالا بفتح الثغرة . المعركة الثالثة على الضفة الشرقية مباشرة لعمل (Gap)لفتح ممر .

وفى هذه الليلة استطاعت كتيبة مظلات اسرائيلية أن تعبر من منطقة الدفرسوار إلى الضفة الغربية واحتمت بالأشجار .. وقد أرسل شارون عددا من الدبابات لتدعيم المظلات .

قدر القائد المحلى عدد هذه الدبابات بأنها سبعة فقط .

أبلغ القائد المحلى القيادة العامة بهذا التقدير للموقف . قال إنها ٧ دبابات . وأنها فى حالة إغارة وليس عبورا . وقال إنه سيتعامل معها ويدمرها ..

وهنا بدأ الخطأ ..

هذه المعلومات لم تكن دقيقة . وكان سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان والجمصى رئيس العمليات فى مركز العمليات .. وكان أحمد إسماعيل القائد العام ووزير الدفاع فى مجلس الشعب يستمع إلى خطاب السادات .

عاد أحمد اسماعيل إلى مركز العمليات . عرف الموقف . تابعه مع معاونيه . تقرر إنزال قوات من الاحتياطى الموجودة فى القاهرة استعدادا للتحرك شرقا . كما تقرر الانتظار حتى تظهر نتيجة معركة قوة الصاعقة لتدمير هذه الدبابات السبع .

ويوم ١٦ أكتوبر .. زاد عدد دبابات العدو .

ويوم ١٧ أكتوبر .. زاد العدد أكثر وأكثر .

وصل العدد إلى لواءين مدرعين أى مائتى (٢٠٠) دبابة !

صدر الأمر بإقحام الاحتياطى .. ولم يفلح الاحتياطى فى تدمير هذه الدبابات .

وهنا تكونت الثغرة .

أصبح الموقف .. أنهم فتحوا طريقا فى الضفة الشرقية طوله ميلان يعبرون منه .. وأن لديهم قوات فى الضفة الغربية .

وكان أمام القيادة المصرية .. إما أن تقفل الثغرة شرق القناة .. وإما أن تدمر قوات العدو غرب القناة .. وإما أن تفعل الاثنين معا .

وبدأت المناقشات فى غرفة العمليات .. واختلفت الآراء بين أحمد إسماعيل وسعد الشاذلى والجمصى ..

وكان من رأى سعد الشاذلى وجوب سحب جزء من قوات الضفة الشرقية لتعود إلى الضفة الغربية للاشتراك فى تدمير قوات الثغرة . وكان من رأى أحمد اسماعيل والجمصى أن تقفل الثغرة فى الضفة الشرقية مع محاولة احتوائها فى الضفة الغربية .

وتأزم الموقف وطلب الشاذلى حضور القائد الأعلى : السادات . وكان حسنى مبارك قائد القوات الجوية ومحمد على فهمى قائد الدفاع الجوى قد توجها إلى أنور السادات فى قصر الطاهرة وأبلغاه بأن الموقف فى القيادة يواجه انهيارا نفسيا وإن هناك عجزا عن تدمير الثغرة .

عقد السادات فى المساء اجتماعا عاما حضره كل القيادات ومدير المخابرات .
عرض مدير المخابرات معلوماته عن الموقف .
ثم تحدث مدير العمليات عن تقديره .
ثم شرح سعد الشاذلى رئيس الاركان رأيه فيما يجب أن يفعل ..
وكان على القائد الأعلى أن يتخذ القرار بعد ذلك ..
طالب الشاذلى بسحب قوات من شرق القناة لكى تواجه الثغرة فى الغرب ..

قال الجمصى إن لدينا قوات فى الشرق لايخشى عليها وتستطيع أن تثبت فى مواقعها وأسلحتها تكفى وتفيض . وصفها بأنها صخرة لاتتحرك .. أما أن نسحب قوات من الشرق إلى الغرب فهذا يترتب عليه تأثير خطير فى الروح المعنوية للقوات المصرية ـ إن اللواء يتكون من ٣ كتائب .. إذا سحبت منه كتيبة معنى ذلك .. شعور الكتيبة بالإحباط .

وقال أحمد إسماعيل وزير الدفاع أنه يؤيد هذا الرأى .
غضب السادات من ترديد سعد الشاذلى لفكرة الانسحاب .. وقال له محتدا :
ــ لاتتكلم عن الإنسحاب إطلاقا .. لا أقبل منك هذا الكلام .

أعلن السادات إقراره للخطة التى عرضها أحمد إسماعيل .. وطلب السادات من الشاذلى أن يتوجه إلى منطقة الإسماعيلية للإشراف على عملية تدمير الثغرة .

إنتقل الشاذلى إلى أرض المعركة ليلة ١٨/١٩ إلى الإسماعلية .

كان الأمر أن يبقى هناك ليرى الموقف بنفسه ولكى يمنع توسع القوات الإسرائيلية وانتشارها مع تدمير القوات الإسرائيلية فى الثغرة ..

كان الشاذلى على اتصال مستمر بالجمصى لإبلاغه تطور الموقف .. لم يمكن وقف الثغرة ولم يمكن تدميرها ..

وعاد الشاذلى .. وحمله أحمد إسماعيل مسئولية عدم وقف الثغرة . نشب بينهما خلاف عنيف .. والخلاف بين الإثنين له جذوره الطويلة[1] .. ويشهد الجمصى للتاريخ أن سعد الشاذلى لم يكن منهارا وأنه أدى واجبه بشجاعة وأنه يمتاز بالجرأة والاندفاع .

---

(١) الخلاف قديم مع أحمد إسماعيل . بدأ فى الكونغو . الشاذلى كان برتبة عقيد وكان قائدا لقوات الأمم المتحدة . فوجىء بمجىء بعثة برئاسة العميد أحمد إسماعيل . رفض أن يتعاون معه . كان يرسل تقاريره للسفير مراد غالب . ويتجاهل أحمد إسماعيل . ذات يوم قال له أحمد إسماعيل أنت تريد أن تدعم موقفك فى الأمم المتحدة لكى تضمن عملا مجزيا . ثار الشاذلى . وسبّه وشرع فى الاعتداء عليه ضربا . أرسل برقية إلى شمس بدران . أحضروا فورا لأمر هام . حضر شمس بدران لتسوية الموقف .

وعندما عين أحمد إسماعيل رئيسا للأركان . قدم الشاذلى استقالة مسببة وبقى فى البيت . طلب منه الفريق فوزى التواجد فى انشاص لأن الوزير سيزورها . رفض لأنه مستقيل . بعد ٤ أيام أرسل له عبد الناصر أشرف مروان وطلب إليه العدول عن الاستقالة . ونفذ هذا فعلا . ذهب الشاذلى إلى وزير الحربية فوزى الذى قال له بسخرية : كان يجب أن تخصم منك هذه الأيام الأربعة .

وجاء الفريق صادق وزيرا . بدأ الخلاف مع الشاذلى رئيس الأركان . حجب عنه تقارير المخابرات الحربية ، وتنقلات الضباط . ثار الخلاف على الخطة . هناك ٦ خطط . صادق كان يريد خطة لهجوم كامل . طلب معدات كثيرة غير متوفرة وكان هذا يعنى التفجير وعدم شن أى حرب .

وكان الخلاف مع صادق أيضا على دبابات جديدة من نوع معين . هل يخصص لها لواء جديد أو توزع على الألوية . كان رأى الشاذلى تخصيص لواء جديد . رأى صادق التوزيع . فى اليوم التالى عقد إجتماع مع الخبراء الروس الذين أشاروا بوجوب إنشاء لواء جديد . وقال الشاذلى نفس الرأى وتصور صادق أنه متفق مع الروس من وراء ظهره .

والفكرة العامة لدى الفريق صادق أن السوفييت يريدون لنا ضربة قاضية تنتشر بعدها الشيوعية .

وأقيل الفريق صادق . استدعى الرئيس السادات الشاذلى وقال له : « سأعين احمد إسماعيل وزيرا » . فكر الشاذلى لحظات فى الاستقالة . كان هذا مستحيلا وإلا كأنه متضامن مع صادق . قال للرئيس سأعمل مع أى شخص تختاره وزيرا . أجابه الرئيس : أنا عارف إنك مختلف مع أحمد إسماعيل ، لكن تأكد إنه سيعاملك كويس . استمر فعلا شهر العسل ٦ أشهر بعد تعيين أحمد إسماعيل وزيرا ، كان الشاذلى مسافرا . ظهرت قضية الضباط المؤيدين لفكرة استحالة الحرب ، والشك فى الروس . أبلغها الشاذلى للرئيس فى حفل نادى الضباط . استدعاه الرئيس إلى المنزل بعد ذلك وطلب إليه دراسة هذه الظاهرة .

والواضح أن المشير أحمد إسماعيل أوغر صدر السادات بسبب كراهيته للشاذلى .. وكان السادات قد تطور الى وضع نفسىّ سيىء .. لأنه كان فى الصباح يعلن للعالم كله أمام مجلس الشعب انتصار قوات جيش مصر .. ويقول العبارة المشهورة « أصبح للامة درع وسيف » .. بينما كانت الثغرة قد بدأت وهو على منصة مجلس الشعب .. ومن هنا صور أحمد اسماعيل لأنور السادات أن الشاذلى منهار .. وأنه فشل .. وأنه السبب فى عدم القضاء على الثغرة .. واتفق سرا فى ذلك اليوم بين السادات وأحمد اسماعيل على نقل سعد الشاذلى الى وزارة الخارجية .. وتعيين الجمصى رئيسا للاركان .. ولم يعلن القرار ولم يوضع موضع التطبيق الا بعد بدء مفاوضات فك الاشتباك .

وكان الأمل فى ذلك الوقت ألا تتوسع الثغرة ولا تصل الى طريق مصر السويس .

ولكن الثغرة تضاعفت .. وبقيت البحيرات المرة مفتوحة .. ونشط الطيران الاسرائيلى وسيطر على الموقف وساعد على ذلك أن جزءا من صواريخ الدفاع الجوى دمر بواسطة دبابات شارون .. وجزءا آخر اضطر أن يعود إلى الخلف .. فبعد مداها عن الوصول إلى أهدافه فى الغرب .

وواجه أنور السادات الواقع ..

وقرر أن يطلب وقف اطلاق النار ..

وأخطر مركز العمليات بهذا القرار .. بعد إعلانه عالميا .. وأجمع المحللون ان قرار السادات بوقف النار كان قرارا يتطلب شجاعة بالغة .. وقدرة على التكيف مع الواقع ..

وبقى الشاذلى فى غرفة العمليات لايفعل شيئا ..

وكان الجمصى يعرض عليه قرارات وأوامر القائد العام أحمد اسماعيل .. وكان يرفض أن يقرأها .. بل كان يتسلى بقراءة الصحف ويقول للجمصى .. « مش هوه القائد العام .. يعمل اللى هوه عاوزه » .. كما أن أحمد إسماعيل لم يطلب شيئا مباشرا من الشاذلى رئيس الأركان ..

وفى فترة الحرب ، اشتدت الخلافات ، كان الشاذلى يرى أن قرارات ، أحمد اسماعيل بطيئة وكان غاضبا مما قيل بعد الحرب ، إن عمليات القوات الخاصة ضحت بأرواح كثيرة وقال الشاذلى إن محك هذا الكلام الكاذب الموجه إليه هو السجل العسكرى اليومى الذى يسجل أعمال القوات الخاصة . وكان الشاذلى فى قمة الألم بعد انتهاء الحرب لأنه لم يمنح وساما من مصر بينما منحته سوريا وساما .

هذه المعلومات أدلى بها الشاذلى ، فى لقاء خاص ، فى منزله بمصر الجديدة بعد انتهاء الحرب .

ويبقى السؤال ..

لماذا تقرر تطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر .. ولماذا صدر الأمر للفرقة المدرعة ٢١ أن تعبر من الدفرسوار إلى غرب القناة .. ؟

كان الهدف من تطوير الهجوم هو الوصول الى الخط شرق المضايق وبذلك تكون القوات المصرية مسيطرة تماما على سيناء كلها .. وكانت هذه الخطة هي المتفق عليها مع القوات السورية . كما أن القوات السورية أصيبت بنكسة بالغة وتراجعت بعد التقدم السريع يوم ١١ أكتوبر .. وأمكن للقوات الإسرائيلية أن تجاوزها في تراجعها .. ولذلك كان أيضا لابد من تخفيف الضغط على سوريا .. ولكن الخطأ .. كان في أن تطوير الهجوم تأخر عن موعده .. كان المفروض ان يتم تطوير الهجوم ابتداء من يوم ٩ أكتوبر وكانت القوات المصرية قد وصلت الى مواقع داخل الشرق الى ١٥ و ٢٠ كيلو مترا ولكن أحمد اسماعيل كان بالغ الحذر من اتمام التطوير بهذه السرعة وكان يريد أن يطمئن إلى تمركز القوات في المواقع التى حصلت عليها .. وهذا التأجيل لمدة أربعة أيام .. أتاح الفرصة للقوات الإسرائيلية لمزيد شامل من الاستعداد .. وبمعاونة التجسس الامريكي والاسلحة الحديثة التى وصلت من امريكا مستعدة للنزول الى المعركة فورا .. أمكن إيجاد الطريق من الجنب الأيمن من الجيش الثانى .. والعبور إلى الدفرسوار ..

وقد حدث عندما بدأت عملية التطوير المتأخر .. ان وصلت بعض القوات المصرية الى قرب المضايق .. ولكن الطيران الاسرائيلي تعامل معها بشدة وأوقفها ..

خلاصة الموقف :

* أن التطوير كان ضرورة متفقا عليها ..

* أن مسئولية الفشل في مقاومة الثغرة تبدأ من المعلومات غير الدقيقة التى أرسلها القائد المحلى ..

* أن رأى الشاذلى بالانسحاب الى الغرب كان من الممكن ان يسبب كارثة انهيار في معنويات القوات المصرية التى انسحبت مرتين قبل ذلك في ٥٦ وفي ١٩٦٧ .

ولإنقاذ ذلك كله .. كان القرار الشجاع من أنور السادات بطلب وقف النار عالميا ..

وتم وقف النار الفعلى في ٢٦ أكتوبر كما ذكرت .

وبدأت مباحثات الكيلو ١٠١ باتصال مباشر بين القاهرة وواشنطن .. إلى آخر ما جرى وحضر كيسنجر الى مصر وبدأت العلاقات تسوء بين مصر والاتحاد السوفيتى الذى اختط سياسة فرض الضغوط على مصر .. امتنع عن تعويضنا عن الاسلحة التى

خسرناها فى القتال .. ثم أعطانا بعض الاسلحة ولكنه امتنع عن تعويض الطائرات مطالبا بسداد اقساط الديون والفوائد بالعملة الصعبة رغم ان الاتحاد السوفيتى تنازل عن نصف ثمن الأسلحة السوفيتية لفيتنام بعد اتفاق السلام . ثم بدأ حملة دعائية ضد مصر بأنها تصفى الاشتراكية لأنها بدأت الانفتاح ..

وحضر جروميكو إلى مصر واجتمع به السادات ٤ ساعات فى استراحة الهرم بغير مترجم .. وفشل السادات فى إقناعه إن علاقتنا الجديدة مع أمريكا لا تعنى إسقاط علاقتنا بالاتحاد السوفيتى ..

وكان ما أوضحه السادات :ـ

١ - أننا نعطى تسهيلات بحرية للاتحاد السوفيتى لانعطيها لأمريكا .

١ - الدور الامريكى من أجل السلام لايتناقض مع ما كان يطبق فى الاتحاد السوفيتى .. بعد سياسة الوفاق ..

وتصادف أن التقيت بالرئيس السادات بعد هذا الاجتماع بيومين وقال لى : طبعا الاتحاد السوفيتى فى موقف غاضب : ولا يمكن إلا أن يغضب وهم لا يتصورون أن التفاوض مع أمريكا يمكن أن يتم بغير وساطتهم أن هذا يبقى اتجاهاً إلى الغرب وإذا اتجهت مصر إلى الغرب ، فهذا له تأثيره على المنطقة كلها .. وهذا هو محك الخلاف الآن . ولا أتصور أن الاتحاد السوفيتى يتجه إلى علاقات حسنة معنا . إنهم يرون فينا تحولاً من الشرق الى الغرب(١) .

---

(١) قال لى السادات ايضا ما يلى :ـ

ــ « قلت لجروميكو ان ما تقوله عن اننا نهدم القطاع العام او نعتزم ذلك غير صحيح لان القطاع العام قيمته ٥ آلاف مليون جنية . فكيف نبدده ؟..

وقلت له .. أنتم لم تقدموا لى دبابة واحدة ، عندما « اتزنقت » فى الثغرة .. ولم تعوضونى عن فقد اى طائرة .. ولا طائرة واحدة ارسلتوها . بينما اسرائيل عوضت بالطيارات والطيارين .

وهل من اللائق الآن أن تطالبونا لا بالديون فقط .. ولكن بفوائد الديون ايضا ؟.. هل المقصور ان نركع ؟

وقد سأل جروميكو الرئيس السادات : هل تقصد من الوضع الجديد فى مصر أن علاقة مصر أصبحت « نص نص » بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟..

وأجاب السادات : لو كانت كذلك .. لما كان لكم تسهيلات فى البحر كما أنه توجد معاهدة بيننا وبينكم .. هل تريد أن نجعلها « نص نص » ونلغى المعاهدة ؟

ثم قال له السادات : انتم تبنون قراراتكم على معلومات كاذبة وخاطئة يمدكم بها « بياعين البطاطا » ـ يقصد الشيوعيين المصريين ـ وأنتم لم تنفذوا عقود ١٩٧٣ حتى الآن .. وأنتم

٣ - الانفتاح لايعنى العدول عن البناء الاشتراكى ومقومات القطاع العام تقدر بالبلايين ويستحيل إلغاؤه .

٤ - الاتحاد السوفيتى لم يسدد ديونه لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .

واستمرت الازمات السياسية وفشلت رحلات اسماعيل فهمى الى موسكو .. وكان السادات واثقا مقدما من فشلها .. وقال لى السادات أكثر من مرة : « أنهم يضحكون على اسماعيل فهمى وإذا تصور أنه سيحصل منهم على شىء فهو واهم .. »

واستمر تدهور العلاقات حتى قرار السادات فى سبتمبر ١٩٨١ بسحب السفير المصرى وإبعاد السفير السوفيتى ..

وإذا إردنا إن نتحدث عن الأخطاء فى حرب إكتوبر فيمكن القول ..

١ - خطأ تعيين أحمد اسماعيل وزيرا للدفاع وسعد الشاذلى رئيسا للأركان فى وقت واحد لأن العداوة كانت بينهما قديمة وشرسة وكان التعاون بينهما صعبا .. وسقط هذا التعاون عند أول ... خلاف على الثغرة .

٢ - كان لابد أن يستمر تطوير الهجوم بقوة الاندفاع بعد النصر المذهل الذى حققته القوات المصرية فى الأيام الأربعة الأولى للقتال .. ولكن تأخير تطويره إلى يوم ١٤ أكتوبر .. جعل احتلالنا للمضايق - كما كان موضوعا فى الخطة - مستحيلا ..

٣ - خطأ القائد المحلى فى منطقة الدفرسوار .. إذ صور وصول الدبابات على أنه حرب قوات خاصة .. ولم يفهم أنه عبور .. حتى ساء الموقف .

ولكن النصر الخطير الذى حققته القوات المصرية كان بكل المقاييس معجزة عسكرية .

تأخذون القمح من أمريكا بسعر ٦٣ دولارا وأنا أشتريه منكم بسعر ٢٢٠ دولارا . ولماذا الخوف من إنشاء بنوك أجنبية فى مصر . إن بنك مانهاتن الأمريكى له فرع فى موسكو . فهل أنتم حلال .. وأنا حرام ؟..

الفصل الخامس عشر :

شهادتان للتاريخ

السادات يسمح لى بالاطلاع على شهادة الفريق محمد فوزى امام لجنة تسجيل التاريخ فى اجتماعها المغلق ــ الشهادة استمرت ٩ ساعات ــ اذا عرفنا اسباب هزيمة ٦٧ ، عرفنا اسباب نصر ٧٣ ــ وجهان للنكسة ــ بعد الانفصال عن سوريا ــ اختفاء عامر ــ القائد الأعلى للقوات المسلحة من غير سلطات دستورية لـ تفتيت أجهزة القيادة وازدواج السيطرة ــ التنظيم « س » ــ الصراع على القيادة ــ مؤتمرات القمة الفاشلة ــ لاسلطة للقيادة العربية الموحدة ــ الإعداد للحرب مجرد عنوان ــ كلام على الورق ــ اين الدولة ؟ مفاجأة للقوات المسلحة ــ معلومات عن موسكو ودولة أخرى عن حشود اسرائيلية كاذبة على حدود سوريا ــ قوات الطوارىء ــ حديث شخصى مع عبد الناصر ــ حكاية المظاهرة ــ بين عبد الناصر وأوثانت ــ سر القرار بالتحرك فى ١٤ مايو ــ جنود بالجلاليب ــ لاحساب لاى شىء ــ عامر داخل المعركة .. وهو لايعرف كفاءة قواته ــ دور الاتحاد السوفيتى وبولندا ــ المعلومات الكاذبة ــ شمس بدران فى موسكو .

الشهادة الثانية

الشهادة الثانية من قائد القوات الجوية بعد الهزيمة ــ لولا طرد الجهاز الروسى ما تحقق نصر أكتوبر ــ الاتحاد السوفيتى أحد الاسباب الرئيسية لهزيمة ١٩٦٧ .

شهاتان للتاريخ

(١)

الشهادة الأولى من وثيقة رسمية

من أسباب الهزيمة

نعرف أسباب النصر

فى يونيو عام ١٩٧٧ ، وكنت فى لقاء مع الرئيس السادات فى استراحة القناطر ، جرنا الحديث الى حرب اكتوبر ، وسألته : ما هى العوامل الأساسية التى حققت هذا النصر المعجزة ، وخاصة فى عملية العبور ؟

وأجاب السادات : لعلى تحدثت اليك كثيرا ، عن إيمانى قبل اتخاذ قرار الحرب بأن المقاتل المصرى سيعوضنا عن نقص السلاح ، هذا عنصر هام ، بل بالغ الاهمية ، ولكن إذا أردت أن تعرف حقا أسباب النصر فعليك أن تعرف أسباب الهزيمة ، وفى هذا فاننى أحيلك الى الأقوال التى أدلى بها الفريق محمد فوزى أمام لجنة تسجيل التاريخ ، لقد قرأت أقواله التى استغرقت ٩ ساعات ، والحق أننى أعتبرها شهادة صادقة للتاريخ .

قلت : وكيف أحصل ياريس على هذه الشهادة ، ومحاضر اجتماع هذه اللجنة سرية !!

قال : سأصرح لك بالاطلاع على هذه الشهادة ، إنها الرد الكامل على سؤالك لماذا تحقق النصر فى اكتوبر ؟ ان كل ما سجله الفريق فوزى من « بلاوى » كانت قائمة هو الذى عالجناه ، وتخلصنا من كل أوجه القصور ، إنها عملية سياسية وعسكرية فى وقت واحد . وحصلت على المحضر السرى ..

واننى أوجز بعض صفحات من هذه الشهادة للتاريخ ، لأن فيها الإنصاف الحقيقى للرجل الذى اتخذ قرار حرب أكتوبر ، بعد أن كانت الصورة مفزعة داخل القوات المسلحة ؛ وعلى قمة المسئولية العسكرية والسياسية ، كانت هذه الصورة تكفى لأن يتردد اى قائد مصرى فى اتخاذ قرار الحرب ..

ان شهادة الفريق اول متقاعد محمد فوزى لها أهميتها التاريخية لسببين :

أولها : أن الفريق محمد فوزى كان رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة .. ثم تولى مسئولية إعادة بناء القوات المسلحة حتى ترك منصبه كوزير للحربية فى عام ١٩٧١ .

والسبب الثانى لأهمية هذه الشهادة أن الفريق محمد فوزى لم يعرف عنه أبدا أنه من هواة الكلام . ولم يسبق له طوال حياته العسكرية أن أدلى حتى بتصريح صحفى او عقد مؤتمرا صحفيا .

ومن المعروف أن الرئيس أنور السادات أصدر أمرا بالعفو عن العقوبة التى حكم بها عليه فى قضية مؤامرة مايو قبل انتهاء مدة العقوبة تقديرا للدور الذى أداه فى إعادة بناء القوات المسلحة .

الجذور التاريخية

وهذه نصوص من شهادة محمد فوزى :

السؤال : بوصف سيادتك كنت رئيس أركان حرب القوات المسلحة خلال حرب يونيو ١٩٦٧ كيف اتخذ القرار السياسى والعسكرى لحرب يونيو ، وهل كان القرار العسكرى فرديا أم جماعيا ، ومن اشترك فى اتخاذ القرار ؟

الفريق فوزى : للإجابة على هذا السؤال يجب أن أبدأ من جذور تاريخية قبل النكسة بسنوات . وأرى أن أبدأ من عام ١٩٦٢ . والنكسة لها وجهان :

النكسة هى هزيمة عسكرية وسياسية ، والوجه الثانى لها هو مدى عمق هذه الهزيمة العسكرية السياسية الذى جعلها نكسة ، وللبحث عن أسباب النكسة علينا أن نعود إلى الموقف فى مصر عام ١٩٦٢ .

ولكن علينا أن نسجل أن أحداث النكسة ومسبباتها من ناحية الحكم ومن ناحية الموضوع فى القوات المسلحة خالية من وثائق رسمية كبيرة فهناك موضوعات بالغة الأهمية تعتبر تاريخية أو مصيرية ، بعض هذه الموضوعات الخطيرة كانت تصدر من فرد .. أو كانت تصدر شفهية !!

وأقرر أن قادة القوات المسلحة — وأنا منهم كرئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة — كانوا بعيدين كل البعد عن الأمور السياسية التى لها علاقة بتحديد الاستراتيجية العسكرية للقوات المسلحة .

وسبب هذا البعد الكامل هو قمة الحكم السياسى والعسكرى ، وهذا أدى إلى وجود ابتعاد فكرى بين القيادة السياسية والعسكرية وبين القوات المسلحة كجهاز من أجهزة الدولة .

بعد الانفصال :

ثم بدأ الفريق فوزى يتحدث عن الجذور التاريخية ابتداء من عام ١٩٦٢ فقال :

- بعد الانفصال عن سوريا فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٦١ ، حصلت أحداث لها تأثيرها القوى على ما وقع بعد ذلك على حدوث النكسة .

نشأ صراع كبير . لقد حمل الرئيس جمال عبد الناصر مسئولية الانفصال الأدبية والعسكرية للمشير عبد الحكيم عامر ، وحصل لوم أدبى ، ولم يظهر هذا الموضوع على السطح ، ولم يكن معروفا . ومن هنا نشأت عقدة بين الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ، كما حدثت عقدة أخرى .

كيف تأتى ظروف مواتية تزيل هذا اللوم وذلك بأن تقوم القوات المسلحة بعمل ما فى نطاق مهمتها الأصلية العسكرية يظهر فيه نصر ، وتظهر فيه كفاءة ويؤكد للشعب أن القوات المسلحة قائمة بمهمتها بكفاءة لتحقيق آمال الشعب من وجهة نظر الثورة .

ولكننى أريد أن أركز أولا على العقدة النفسية التى نشأت فى رأس المشير عبد الحكيم عامر نتيجة للوم الأدبى الذى وجهه إليه عبد الناصر من أنه ساعد على عملية الانفصال ، وزاد الموقف تعقيدا أن الإمبريالية الإستعمارية انتهزت فرصة الانفصال لحصار الجمهورية العربية المتحدة وسنرى بعد ذلك رد فعل هذا الحصار .

كما أن زعامة جمال عبد الناصر تأثرت بعد الانفصال وأقول أنه حدث انحسار لهذه الزعامة نتيجة الانفصال ، سببه أن الانفصال هو فشل للجمهورية العربية المتحدة فى تحقيق أول هدف قومى وهو الوحدة .

اختفاء عامر :

ولذلك فقد صدر اقتراح من الرئيس عبد الناصر ، بإعادة تنظيم الهيكل القيادى والتنظيمى للدولة على أساس ثلاث نقط :

* النقطة الأولى : يتكون مجلس قيادة الثورة القديم بشكل جديد هو مجلس آخر يسمى مجلس الرئاسة وتكون وظيفته التخطيط والمتابعة فقط .
* النقطة الثانية : تعتمد السلطة التنفيذية على كفاءات مسئولة أمام مجلس الرياسة .
* النقطة الثالثة : تكون القوات المسلحة داخل الإطار الطبيعى لأجهزة الدولة .

وهذه النقطة الثالثة حساسة لأن معناها الصريح هو أن الأعضاء القدامى فى مجلس قيادة الثورة (يطلعوا فوق) ولا يتولون أى سلطة تنفيذية على الإطلاق ويقتصر عملهم على التخطيط والمتابعة فقط .

وقد يعتقد البعض أن هذه القرارات بعيدة عن موضوع النكسة .لا. إن تسلسل الأحداث سيوضح آثارها لأن معناها أن المشير عبد الحكيم عامر يترك القوات المسلحة لأنها جهاز من أجهزة الدولة التنفيذية .

وقد طرح الرئيس عبد الناصر هذا الموضوع فى أول جلسة ووافق المشير عامر وانفضت هذه الجلسة ، ولكن بعد ثلاثة أيام حضر شمس بدران إلى الرئيس عبد الناصر وقال له : موضوع مجلس الرياسة الذى وافق عليه المشير ، لقد عاد المشير وقرر رفضه ، وهو يبلغك أنه رجع فى كلامه وغير موافق .

وسأله عبد الناصر : وأين المشير ؟

وأجاب شمس : المشير ترك القاهرة . وهو فى حالة نفسية سيئة ولذلك فهو يستريح فى مكان لم يخطر به أحدا .

ولقد اعتقد المشير أن الرئيس عبد الناصر يريد أن يسيطر ويريد أن يقود القوات المسلحة وهى أداة الثورة للتغيير . لأن المشير عامر ليس فى الكفاءة أو القدرة على هذه القيادة .

حبر على ورق :

ثم حدثت اجتماعات من زملاء عبد الحكيم عامر أعضاء مجلس الثورة القديم معه وفشلوا فى إقناع المشير وكانت حجتهم أن جمال عبد الناصر له سلطات دستورية وتشريعية بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة ويجب أن يباشرها ولكن المشير عبد الحكيم عامر رفض .

ولكم أن تتصوروا آثار أن يكون القائد الأعلى للقوات المسلحة من غير سلطاته التى يخولها له الدستور .

لكم أن تتصوروا آثار ذلك على القوات المسلحة نفسها . لقد كان لذلك نتيجتان :

(١) قرارات مجلس الدفاع الوطنى برياسة رئيس الجمهورية كانت حبرا على ورق . مع أنه الجهاز الوحيد المسئول دستوريا عن إصدار قرارات شئون الدفاع عن الدولة .

(٢) الجهاز التالى لمجلس الدفاع الوطنى وهو وزارة الحربية على قمته المشير عبد الحكيم عامر وزير الحربية . وأضيف إلى اسمه تسمية لم تجىء فى أى هيكل تنظيمى فى أى دولة . وهى « نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة » لم ينشىء عبد الحكيم عامر جهازا يعمل معه لكى يتابع وينفذ القرارات الصادرة من مجلس الدفاع الوطنى ، لم تصدر أى وثيقة تقرر أى شكل تنظيمى اسمه القيادة العامة للقوات المسلحة أصبح العمل كله عمل فرد واحد .

ماذا جرى بعد ذلك ..

مجلس الدفاع الوطنى لم يجتمع ولم يقرر أى شىء وأصبح جهازا على الورق فقط .

انفصل المشير عبد الحكيم عامر بالقوات المسلحة وأخذ كل سلطاتها بدون أن يكون لديه على قمة الدولة جهاز مسئول عن التخطيط والمتابعة لشئون الدفاع عن الدولة ، ولذلك لم توضع استراتيجية عليا عسكرية أو سياسية للدولة ، لأن مجلس الرياسة المختص بوضع هذه الإستراتيجية غير موجود ، ولأن مجلس الدفاع الوطنى المختص بتنفيذ هذه الاستراتيجية ووضعها على الورق غير موجود أيضا !

ومن الناحية العملية ترك اختصاص مجلس الدفاع الوطنى لجهاز آخر اسمه المخابرات .

ومع عدم وجود مجلس الدفاع الوطنى فإن رئيس الجمهورية وهو القائد الأعلى مبعد عن القوات المسلحة !

وهنا أقرر أن التقارير التى كانت ترفع إلى رئيس الجمهورية عن القوات المسلحة كانت تقارير موجهة ومقيدة وكانت تقدم إليه خالية من أى معلومات عن القوات المسلحة !!

كما أن رئيس الجمهورية كان محروما من سلطاته فى الترقيات ، كان يوقع ويصدق فقط على الترقية إلى رتبة الفريق والفريق أول .

وانتهى هذا الوضع إلى نتيجته الطبيعية وهى ما أسميه بخروج القوات المسلحة عن الإطار الطبيعى لأجهزة الدولة . (خرجت بره) .

وهكذا بدأت السيطرة الفردية والجبرية على القوات المسلحة .

بين المشير والوزير :

ثم يمضى الفريق أول فوزى قائلا :

.. وظهر بعد ذلك مكتب اسمه مكتب المشير للشئون العامة .. لقد تطور هذا المكتب من ناحية الفعل ومن ناحية السلطات ليكون هو وزير الحربية ثم صدرت تشريعات توزعت فيها السيطرة والسلطات بين المشير وبين الوزير . شمس بدران ونتج عن توزيع هذه السلطات تفتيت أجهزة القيادة وازدواج السيطرة .

لقد تفتت أجهزة القيادة لأن الاختصاصات كلها الخاصة بقدرة وكفاءة القوات المسلحة انحصرت فى جهتين : المشير أخذ التدريب والعمليات ، والوزير شمس بدران أخذ جميع الاختصاصات التى تخص المشير فى القوات المسلحة مما يحقق لشمس الولاء البشرى من ضباط وجنود القوات المسلحة فقد كانت بيد شمس بدران سلطات الترقيات والاجازات والعلاج والشئون القضائية والشرطة العسكرية والمخابرات والتوجيه المعنوى والشئون المالية ، والإنسان كبشر يهتم بأحواله المادية وترقياته قبل مهنته ، هذه طبيعة البشر ، وكان كل ذلك مركزا فى شخص واحد هو شمس بدران ومن هنا نشأ ما أسميه بالولاء البشرى .

أما المشير المختص بالتدريب والعمليات وهو الشىء المهم بالنسبة للقوات المسلحة فقد أصبح غير متفرغ بعض الشىء لهذه المهمة ، والتدريب والعمليات تحتاج إلى تخطيط طويل المدى ومباشرة وتفكير كبير .

أما عن القيادات وهى أفرع القوات المسلحة (وكانت ثلاث فى ذلك الوقت) فإن الربط قد تم بين هذه القيادات وبين المشير — وشمس عن طريق المخابرات الحربية إلى الوحدات والقيادات .

ولاشك أن هذا الهيكل التنظيمى بهذه السلطات والمسئوليات الموزعة قد أثر كل التأثير على كفاءة وقدرة القوات المسلحة على أداء واجباتها القتالية .

وهنا أسأل أين مسئولية المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى المسيطر على القمة فى القوات المسلحة أمام رئيس الجمهورية القائد الأعلى ؟

الإجابة : لا توجد أية مسئولية !

بل أين مسئولية عبد الحكيم عامر أمام السلطة التشريعية (مجلس الأمة) ؟

الإجابة ، لا توجد أية مسئولية !

إذن لا أحد فى الدولة يستطيع أن يسأل عبد الحكيم عامر .. رئيس الجمهورية لا يسائله والسلطة التشريعية لا تستطيع أن تدعو قمة القوات المسلحة أن يجلس على المقعد التنفيذى فى مجلس الأمة وتوجه إليه سؤالا أو استجوابا وهذا طبعا لم يحدث أبدا !!

وقد كان السبب فى تعيين شمس بدران وزيراً للحربية هو أن يغطى مركز القمة التنفيذية فى القوات المسلحة (المشير) أمام السلطة التشريعية . كما أن شمس بدران كان هو المسيطر الفعلى فبدلا من أن يكون اسمه صغيرا أعطى سلطاته كوزير .

ثم يقول الفريق أول فوزى :

– هكذا تركزت المسئولية عن القيادة والسيطرة فى القوات المسلحة فى فرد غير مسئول أمام أحد .

وأراد هذا الفرد (المشير) أن يقود وأن تكون القوات المسلحة أداة مضمونة فى يده لا يحدث فيها ما يعكر صفوه ، فظهر على السطح شىء اسمه « اجراءات الأمن التعسفية لضمان أمن القوات المسلحة » وصدرت التوجيهات الشفهية الكثيرة لكى تضمن أمن الدولة ، يجب أن نضمن أمن الثورة .

وهذا يعنى أنه يجب أن نضمن أمن القوات المسلحة .

وأصبح أمن القوات المسلحة هو الموضوع الأول الذى يشغل بال قمة القوات المسلحة (المشير وشمس) ودخلت أجهزة أمن ضخمة .

إدارة المخابرات الحربية اشتغلت أمن قوات مسلحة فقط .

الشرطة العسكرية اشتغلت أمن قوات مسلحة فقط .

إدارة المباحث الجنائية العسكرية اشتغلت أمن قوات مسلحة فقط .

إدارة المخابرات العامة تعاونت مع الوزير .

ورأت قمة القوات المسلحة نفسها بهذه القدرة وهذه السلطة فبدأت تمد جذورها إلى مختلف شئون الدولة أيضا !

وكان خطاب وزير الحربية له سلطته وله نفوذه فى جميع أجهزة الدولة فلان الفلانى يعين فى الحتة الفلانية . مثل هذه التأشيرات كانت قرارا ينفذ على الفور بدون أدنى مناقشة .

ودخول القوات المسلحة فى شئون الدولة اتخذ شكلين :

أحيانا كان يتم بالقسر ، بمعنى العنف .

وأحيانا كان التدخل يلغى سلطات القانون .

والأمثلة على ذلك كثيرة .

دخول القوات المسلحة فى الإصلاح الزراعى والإسكان والنقل الداخلى وأعمال مباحث أمن الدولة والسد العالى وأشياء أخرى كثيرة ، وكان للقوات المسلحة مندوبون فى هذه الجهات يمثلون القمة ، أى يمثلون المشير وشمس هذا الشخص يصلح أن يقود النقل الداخلى ، يعين فورا وهو معتمد على سلطة القمة فى القوات المسلحة ، وهذه الوظائف المدنية طبعا أصبحت مغرية من النواحى المادية .. مرتب رئيس مجلس إدارة أكبر من مرتبه فى القوات المسلحة ، وانتشرت وزادت هذه القرارات .

ويهمنى فى هذه النقطة من الناحية التاريخية أن انتشار سلطة القوات المسلحة فى مختلف نشاطات الدولة أخرج القوات المسلحة أو قلل اهتمامها بمسئوليتها الأساسية وهى إعداد القوات المسلحة للقتال

التنظيم « س » :

ثم قال الفريق فوزى :

– وأعود إلى موضوع أمن القوات المسلحة وأقول أن قمة القوات المسلحة لم تكتف بالأجهزة وكون الوزير شمس بدران تنظيما سمى فيما بعد بإسم التنظيم « س » ..

هذا التنظيم « س » يضم الضباط المقربين والمتصلين والداخلين وهم المحتم ولاؤهم للمشير ولشمس بدران . وقد وزعوا على القوات المسلحة كلها استكمالا لأجهزة الأمن .

وبحكم وظيفتهم فى أمن القوات المسلحة كانوا يستطيعون الاتصال المباشر بالمشير وشمس ، وإذا حللنا هذا الوضع وضح لنا أثره فى أن صلب القوات المسلحة هو القائد فى الوحدة فإذا وجد قائد لواء مثلا ووجد فيه ضابط ممن تقول سمعته إن هذا الضابط مقرب ، وهذه الوحدة فيها جنود لهم طلبات دنيوية عادية ، فإذا كان للجندى طلب فلماذا يذهب إلى القائد ؟ إنه يذهب إلى الضابط المقرب الذى يستطيع أن ينفذ له طلبه وهذا يضعف القيادة الفعلية فى القوات المسلحة ، قيادة التشكيل أو الوحدة وهى صلب القوات المسلحة وهذا ما حدث .

كل قائد أراد أن يقود ويسيطر بالمعنى العلمى الفنى الذى نعرفه فى القوات المسلحة لم يستطع ، لأنه يصطدم باتجاهات أخرى تصل إليه من قمة القوات المسلحة إلى الضابط غير المنظور المسئول عن الأمن الذى يستطيع أن يصل إلى القمة مباشرة ، إلى المشير أو شمس بدران ، إن هذا الضابط غير المنظور رسميا له وجود حقيقى ، مثل هذا الضابط عندما يقول لقائده « لا بلاش يا افندم نستعمل الذخيرة الحية لحسن كذا .. لا بلاش ياافندم » أو « نحط اللواء فى التدريب المشترك لحسن كفاءة اللواء تظهر وحشة وينكتب عليك تقرير وحش » كان هذا له أثره فى الكفاءة القتالية إن الكفاءة القتالية تنتج عن التدريب الجدى فى القتال قبل المعركة . ولكن ما كان حادثا هو أن كلمة توجيه المشير أو المشير ، رغبة المشير كانت هذه الكلمة هى صاحبة التأثير النفسانى داخل القوات المسلحة .

تصوروا القائد المباشر عندما يتقدم له الضابط المعروف باتصاله بقمة القيادة ويقول له لا ياافندم المشير عاوز كده ..

هذا قضاء على الانضباط العسكرى ، هذا كان موجوداً زائد خوف زائد سعى للوصول وهذا سبب أن القيادات الوسيطة فى صلب القوات المسلحة قائد الفرقة ، قائد اللواء ، قائد الكتيبة على جميع المستويات لم تكن ثقتهم فى أنفسهم وقدرتهم على القيادة منطلقة بحيث أنه يأخذ وحدته ويرفعها الرفع الكامل إلى الكفاءة والقدرة . هذه ناحية ثم برزت ناحية أخرى وهى الميزات المادية والمعنوية الإضافية التى كانت تعطى للضباط المقربين ، النتيجة الحتمية بالنسبة للعدد الكبير فى القوات المسلحة والقادة والضباط الذين لم يكونوا متمتعين بهذه الميزات أنهم تحولوا إلى سلبية . إلى لا مبالاة ويمكن استخدام تعبير أصبحوا منفذين آليا .

فكيف كان للقمة التى تصنع التخطيط أن تطمئن إلى سلامته ؟ إن جهاز المتابعة المفروض أن يقوم بذلك فى القوات المسلحة لم يكن موجودا وكان منحصرا فى إدارة المخابرات الحربية أو أجهزة الأمن . وكان هذا الجهاز متخصصا فى زاوية واحدة فقط تطمئن قمة القيادة على « أمن » القوات المسلحة فقط .

وأخلص من هذا أن أجهزة المتابعة على جميع المستويات لم تكن مضبوطة نتيجة السيطرة على القوات المسلحة ، والسيطرة هنا معناها سيطرة الحكم لا بالمعنى الفنى العلمى للسيطرة العسكرية ، وهذا ماأسميه البيروقراطية العسكرية ويضاف إليها الجهل أو أخفف التعبير وأقول عدم المعرفة وهذه أحد الأسس الضخمة التى أثرت التأثير الكامل فى هزيمتنا العسكرية السياسية عام ١٩٦٧ .

إن عدم وجود متابعة ومراقبة فنية من أجهزة أمينة جعل المشير يطمئن على زاوية أمن القوات المسلحة فقط .

وانتهى به هذا الإطمئنان إلى عدم التفرغ وهو المسئول الأول عن أهم عملية فى القوات المسلحة وهى التدريب والعمليات الحربية .

الصراع على القيادة :

فإذا قلنا أن الشخصية المسئولة فى الدولة سياسيا وهى الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر متفقان عاطفيا ووطنيا ، متفقان على تحقيق أهداف الثورة ، فإننا نقول إن الاثنين كانا متصارعين على قيادة القوات المسلحة صاحبة الثورة وأداة التغيير فى الدولة فى ذلك الوقت .

لقد أصبحت البيروقراطية العسكرية هى الإطار فى التخطيط والتنفيذ والمتابعة داخل القوات المسلحة .

ونتيجة هذا :

* لا أجهزة تخطيطية قيادية فى شئون الدفاع عن الدولة .
* لا أجهزة تخطيطية قيادية فى شئون القوات المسلحة .

وخلت الدولة من استراتيجية عليا .

ثم قال الفريق فوزى وهو يدلى بشهادة التاريخ :

وأنتقل إلى موضوع آخر .. وهو الإستراتيجية العليا القومية وهى خاصة بالوطن العربى .

كان شعار الدولة هو الحرية والإشتراكية والوحدة ..

ثم قال :

وكانت هناك خلافات فى نظم الحكم السياسية والخارجية لكل دولة عربية ، وانقسم العالم العربى إلى دول تقدمية تحررية ودول رجعية وأقرر أن جميع مؤتمرات القمة العربية التى حضرتها كانت فاشلة .

وهذه هى النتائج :

لا تضامن عربى فى الناحية السياسية وبالتالى لا تحديد لهدف بالنسبة للعدو وأذكر هنا أن بعض الدول كانت تريد تدمير إسرائيل . وبعضها كان هدفها صد إسرائيل من التوسع . وكلا

المجموعتين تعارضا فى الرأى وهم جالسون على منضدة واحدة ممثلين لقمة السلطة فى الدول العربية وبالتالى لم يخرجوا أبدا بشىء موحد بالنسبة لعدونا التقليدى وهو إسرائيل .

ومادام أنه لا يوجد توحيد الفكر والرأى والهدف ، فمن أين تأتى الإستراتيجية العليا القومية ؟

وأضيف إلى هذا ، أنه لو حصل لقاء فكرى بين دولتين اثنين فقط فلم يكن ينتهى الأمر إلى توحيد ، كان ينتهى إلى اتفاقية ثنائية كما حدث بين مصر وسوريا ، ومصر والعراق ، ومصر والأردن ، ومصر واليمن .

كلمة الإتفاقية الثنائية لم تكن تأخذ قوتها فى الوصول إلى شعار الأمة العربية وهو الوحدة . كانت تقف عند كلمة تنسيق ..

وهنا أقول إن تنسيق + لا ثقة = صفرا .

والتطبيق العملى لهذا أنه فى عام ١٩٦٦ وقعت اتفاقية دفاع مشترك مع سوريا والثقة بين القوات المسلحة فى مصر والقوات المسلحة فى سوريا كانت معدومة ، لم نكن نسينا ما حدث فى الانفصال لضباط القوات المسلحة المصرية عند خروجهم من سوريا بعد الانفصال وبالرغم من ذلك حصلت الإتفاقية وهى من وجهة نظرى لم تكن اتفاقية عسكرية ، بل سياسية عاطفية أكثر منها سياسية .

وعندما بدأنا ننفذ هذه الإتفاقية دخلت كممثل مصر رئيس هيئة أركان حرب مع رئيس أركان حرب الجيش السورى فى ذلك الوقت وأنا لست واثقا فيه وهو أيضا غير واثق فى ، وجلسنا كقائدين ننسق عمليات حربية .

وأقرر هنا للتاريخ أنى لم أوضح صراحة ماهو موجود لدينا داخل الدولة من الناحية العسكرية ، لم أصارحه بخططنا رسمت له رسمة أخرى غير ماهو موجود عندنا ، وهو أيضا عمل معى نفس الشىء ، أنا متأكد . ووضعنا خططا عسكرية عامة وليست مدروسة الدرس الكافى بغرض أنه لو حصل شىء ثنائى موجود بين الدولتين كل منها تساعد الأخرى .. مش خارج المفهوم العسكرى ... ده بس يعنى كلمة لغرض .. كلمة تنسيق ليست مبنية على ثقة بين اثنين .. يصف الحالة كما كانت موجودة تماما ، وأنتهى من هذا إلى أن الإتفاقات الثنائية الدفاعية هى سياسية أكثر منها عسكرية وأنه لم تكن هناك ثقة متبادلة بين الطرفين ولم تكن هناك قيادة موحدة لها سلطة على الإثنين . كل واحد بيشتغل لوحده والاثنين فاقدين الثقة ببعض وماهى النتيجة .. ؟ إن احنا الإثنين بنخدع بعضنا .

وبالنسبة للناحية القومية وهى القيادة العربية الموحدة .. ماهى ؟ كان فيه جهاز ممكن يعمل شىء قومى من الناحية العسكرية .. وأنا أقرر للتاريخ بأن القيادة العربية الموحدة هى أحد الأجهزة التى تخص القمة العربية من الناحية العسكرية . لا سلطة قيادية لها ولا اجتماعات قيادية . هى عبارة عن هيكل تنظيمى لقمة القيادة وكان غير كامل .. وانتهى به الأمر أن يكون جهاز اقتراح وتقديم نصيحة لمؤتمر القمة وليس أكثر من ذلك .. ولم تكن فى القيادة العربية الموحدة أى إمكانيات لا للقيادة ولا للسيطرة العسكرية على جيوش الدول العربية التى كانت موضوعة أمامهم كعناصر يبنى عليها .

لم يكن يبنى عليها شىء من التخطيط . وبالرغم من ذلك قدم مشروع ، مقترح للتنسيق العسكرى . كانت خطة دفاعية هدفها منع إسرائيل من التوسع . هذه الخطة وافق عليها مجلس الدفاع المشترك فى ذلك الوقت . عرضت على مؤتمر القمة بشكلها المالى .. المالى فقط حتى لا تعرض خطط على مؤتمر قمة . فترجمت مطالب هذه الخطة من الناحية المالية ووافق عليها وانقلب الموضوع إلى إنشاء صندوق دعم مالى لدى القيادة العربية الموحدة . صندوق الدعم المالى أوجد طمعا وتكالبا من الدول اللى عايزه فلوس والكم الذى جمع لا يكفى مطالب هذه الدول .

وعلى سبيل المثال نصف السرب الميراج فى لبنان من أموال هذا الدعم . مواصلات سلكية اشتريت بواسطة القيادة العربية المتحدة لوضع أجهزة فى القيادات لأغراض الاتصال . الأردن . دخلت بمطالب أهمها إنشاء مطارات لأن الجبهة فى الأردن كان ينقصها هذا البند من ناحية إعداد مسرح العمليات بشكل بارز .. ثم دخلت سوريا تريد أسلحة .. وهكذا تحول الأمر إلى تسابق على الناحية المالية .. أكثر .. ومن ناحية أخرى نفسية .. لم يكن ممكنا مثلا أن الفريق على عامر .. يقود المشير عبد الحكيم عامر .. ثم كانت هناك عدم الثقة .. سوريا تريد أن القيادة الشرقية تقود .. المجهود الرئيسى من هناك .. إذن .. مادام المجهود الرئيسى من الناحية الشرقية يبقى إذن القيادة الموحدة يجب أن تكون فى دمشق لا فى القاهرة .. العراق أى شىء تقوله سوريا لازم العراق تقول ضدها .. العراق يريد أن تتمركز القوات العراقية فى سوريا وتتمركز فى الأردن ، سوريا منعت هذا من الناحية السياسية .. فالتركيز حصل على دخول القوات العراقية فى الأردن .. وأصبح الأمر مخيفا بالنسبة للأردن .. لعدم الثقة المتوفرة فى أنه ربما تعمل هذه القوات فى يوم من الأيام شيئا آخر فأصبح التمركز محدودا ومقيدا .. ودخول الناحية السياسية هنا حد من حرية العمل العسكرى وانتهى الأمر كله إلى خوف على الحكم .. وعدم جدية .. وخداع .. وإلى مظهر فقط فى أن كلمة القيادة العربية الموحدة أمكنها التنسيق بين جيوش الدول العربية .. وليس قيادة .. والمسألة .. مسألة نظرية ..

وأصبحت هذه القيادة رمزية فقط .. كما أنه حتى التنسيق بين الجيوش العربية لم يتم .

الإعداد للحرب .. مجرد عنوان !

ثم تناول الفريق اول محمد فوزى موضوع إعداد الدولة للحرب فقال :

اعداد الدولة للحرب من مسئولية واختصاص مجلس الدفاع الوطنى الذى يرأسه رئيس الجمهورية بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة .. دستوريا .. وهذا لم يكن موجودا .. والجهاز الآخر الذى أشرت اليه بعد وزير الدفاع زائد (+) مجلس أعلى يرأسه الوزير عبارة عن مجلس جماعى يشرف وينفذ ويتابع قرارات مجلس الدفاع الوطنى .. وهذا لم يكن موجودا ايضا .

الاتفاق غير موجود بالنسبة لعنوان اسمه إعداد الدولة للحرب .. فكيف نتكلم بعد ذلك عن إعداد الدولة للحرب اذا كان الجهازان المسئولان ، فى أى دولة .. ليسا موجودين عندنا ؟ .. فاذا كان أهم أساس دستورى وشرعى وتنظيمى لإعداد الدولة للحرب .. لاعداد الدولة لصراع مسلح مع أى دولة أخرى غير موجود فكيف تجرؤ قيادة هذه الدولة على أن تبدأ وتهدد أو حتى تتظاهر بالقيام بأعمال عدوانية ضد دولة أخرى ؟ إذا كان الأساس غير موجود فى إعداد

الدولة للحرب .. دستوريا وتنظيميا فكيف يتسنى لقيادة هذه الدولة أن تبدأ وتعلن او تتظاهر لتهدد بأعمال عدوانية ؟ .

الناحية التنظيمية فى الموضوع لها تأثير كبير جدا .. والنتيجة لابد أن تكون معروفة وهى الفشل .. توقع الهزيمة .

إن إعداد الدولة للحرب يتطلب ٤ أشياء :

١ - إعداد الشعب للحرب .

٢ - إعداد اقتصاد الدولة للحرب .

٣ - إعداد القوات المسلحة للحرب .

٤ - إعداد مسرح العمليات للحرب .

ومن الناحية التنظيمية والتشريعية الموجودة فى قمة الدولة لم تكن هناك مسئولية عن هذه الاشياء الاربعة .

وبالرغم من ذلك ولأغراض التاريخ سأتكلم فى إعداد القوات المسلحة للحرب واعداد مسرح العمليات فقط لارتباطهما بالموضوع .

التاريخ هو المعلم الأول لكل شعوب الدنيا ، إعداد القوات المسلحة بدأ بإعادة تنظيم وتسليح وتدريب القوات المسلحة على الأسلوب الشرقى سنة ١٩٥٨ . وهذا الاعداد لم يستكمل حتى بداية الصراع فى يونيو سنة ١٩٦٧ .

فى الفترة ماقبل الهزيمة اعتبر الاعداد تحويل المجهود الرئيسى الذهنى فكريا وماديا ومتابعة إلى مسرح آخر بعيد عن المسرح الأساسى وهو اليمن ، أنا اقول هنا « الذهنى » لأن الربع كان فى اليمن والثلاث ارباع كان متمركزا فى الوطن الأم . وبالرغم من هذا أقول حدث تحويل مجهود رئيسى ذهنى فكرى ومادى لقمة القوات المسلحة وقادتها وضباطها وجنودها ولقد كانوا متجهين ذهنيا وماديا إلى اليمن من سنة ١٩٦٢ حتى سنة ١٩٦٧ ونقطة أخرى . لم يكن هناك اهتمام بالاحتياطى البشرى وأفسر أعداد القوات المسلحة فى بنود رئيسية فقط بدون الدخول ، فى تفصيلات كثيرة حجم القوات المسلحة جزء من الإعداد الحجم كان كبيرا جدا معتمدا على توفير العامل البشرى الغير مثقف فى بلدنا الأصول فى حجم القوات المسلحة فى اى دولة ان يكون العامل « الثلث » والاحتياطى « الثلثين » من ناحية الحجم .. ويمثلونها كالجبل الثلجى الموجود فى المحيط .. البارز فوقه .. الربع او الثلث والغاطس تحت الماء الباقى .

لقد ادخل شيء اسمه الحرس الوطنى ضمن هذا الحجم ، وهو فى نظرى لا يعتمد عليه قتاليا . وكان انشاؤه وتنظيمه وتسليحه داخلا تحت شعار عاطفى اسمه الشعبية العسكرية فقط .. وليس القتال .. وهذا كان له أثره فى نقط حساسة سأعرضها فيما بعد ..

الاعلام العسكرى فى بلدنا فى ذلك الوقت اذكركم به . وهو قدرة مصر فى انها تضع اثنين مليون شاب تحت السلاح .. كان هذا له جذور فى فكر القائد العسكرى المشير عبد الحكيم عامر ، كذا الرئيس جمال عبد الناصر فيما بعد .. امكانية مصر فى انها تضع اثنين مليون فرد مصرى تحت السلاح وللاسف لم تذكر اعلاميا فقط وانما قيلت ايضا فى قياس قدرة ، مصر البشرية على موائد المفاوضات الرسمية .

وهذا الحجم لم يبن على خطة عسكرية نابعة من خطة استراتيجية سياسية عسكرية لسبب بسيط .. لعدم وجودها . والغريب فى الموضوع ان هذه الطاقة البشرية الضخمة كان سهلا تجنيدها من ناحية الحجم فقط ..وكان التسليح يأتى بعد الانشاء !

قدرة الانشاء البشرى كانت سهلة لواءات تنشأ .. تلبس .. تأخذ التعليم الاساسى . تستهلك .. والتسليح اتى باستمرار خطوة متاخرة زمنية بعد الانشاء .. هنا نرى الزاوية الاقتصادية والزاوية المعنوية الناتجة عن هذا العمل .. ثم أقول انه لم يكن هناك توازن تعبوى داخل فروع القوات المسلحة بين مختلف احجام الاسلحة والافراد العاملين فيها . وكان عدم التوازن واضحا على مستوى التشكيلات المقاتلة فى كل فروع القوات المسلحة الرئيسية .

اشياء كثيرة هامة بالنسبة للقوات المسلحة كلها سواء ناقصة أو غير متوازنة مثل الواحدات الفنية والمهنية .. الوحدات الطبية سواء فى القاعدة أو التشكيلات الميدانية ، وحدات الإخلاء سواء للمعدات أو للافراد وحدات النقل سواء للافراد او للاحتياجات ، وحدات التشوين والتخزين سواء بالنسبة للقاعدة او بالنسبة للميدان .

ثم يبرز شيء هام بالنسبة للقوات المسلحة عموما داخل القوات الجوية إعداد الطيارين المقاتلين والطيارين الفنيين والفنيين فى القوات الجوية والدفاع الجوى ، وإذا قارنا بيننا وبين قوات العدو نجد الفرق الواضح بين عدد الطيارين لكل طائرة عندنا وعدد الطيارين لكل طائرة فى اسرائيل .

وكان التسليح فى الطيران فى ذلك الوقت بعكس القوات الأخرى ، كان تسليح الطائرات يسبق التشكيل وكانت توجد طائرات مقاتلة تصل وتخزن ثم يتم إعداد وإنشاء الإسراب بعد هذا .

عكس الحالة التى كانت موجودة بالنسبة للقوات البرية .

أسلحة موجودة ولا تدريب :

ثم تناول الفريق أول فوزى موضوع التسليح فى القوات المسلحة فقال : التسليح بند أساسى فى إعداد القوات المسلحة للحرب . الكم كان جيدا جدا إذا قورن بفترة الإنشاء والإعداد وإذا قورن بالنوع فهو جيدا جدا ، ولكن تطويره صعب بسبب عدم وجود الجندى المثقف أو القاعدة الفنية العلمية .. استغلال استخدام السلاح . لم يتم بسبب قلة التدريب العلمى لا احتياطى استراتيجى من التسليح بالنسبة لحجم القوات المسلحة العاملة والاحتياطية ، وبصفة خاصة الأسلحة المعاونة النيرانية وأسلحة قوة الصد . تصنيع السلاح المحلى ، فشل بالنسبة للصواريخ بعيدة المدى ، كذا بالنسبة لمحركات الطائرات النفاثة ، ونجح بالنسبة للأسلحة الصغيرة ، والغريب فى الموضوع أن التخطيط كان يركز على الصواريخ بعيدة المدى ونسى الصواريخ التعبوية والتكتيكية الصغيرة وهى فى نظرى كانت أسهل صنعا وأنفع .

والتنظيم هو وضع الهيكل التنظيمى للقوات المسلحة كان على أسس سليمة بالنسبة للتشكيلات والوحدات المقاتلة والإدارية فقط .. أما رأس القوات المسلحة وهو القيادة العامة فلم يعتن بها تنظيميا ؛ فولد الجسم بدون رأس، ولم يمارس التطبيق العلمى لهذا التنظيم حتى

يونيو سنة ١٩٦٧ !! ولم توضع التشريعات التى تحدد السلطات والمسئوليات بالنسبة للقيادات فى هذا الهيكل التنظيمى والسلطات والمسئوليات فى نظرى هى محور القيادة .

ونشأت صراعات على المسئوليات والسلطات كانت القوات المسلحة هى الخاسرة فيها ، ولابد أن أذكر غياب عنصر الاستطلاع على جميع المستويات أو عدم الاهتمام به . وما يتبع ذلك من فرعيات مثل غياب الاستطلاع الالكترونى وغياب الاستطلاع الفوتوغرافى الجوى ، ضعف وسائل وأجهزة المواصلات الخطية واللاسلكية ووسائل الاتصال والسيطرة الآلية والألكترونية . وحتى أجهزة المعلومات الاستراتيجية التعبوية التى توفرت فى ذلك الوقت كانت تتبع وزير الحربية فى كوبرى القبة .. بينما وضعها الأصلى لابد أن تكون داخل القيادة العامة للقوات المسلحة فى هيئة العمليات . وكانت المعلومات الاستراتيجية التعبوية تصب فى كوبرى القبة يعنى معناها أن الأجهزة كانت هناك وكان يسيطر عليها وزير الحربية الذى ليس له اختصاص بإدارة العمليات أو العمليات عموما . وبالتفصيل لغرض الإيضاح أضرب مثلا بجهاز انذار بعيد استراتيجى فى الأردن يصب فى وزارة الحربية بكوبرى القبة التابعة للوزير يعنى الإنذار عندما يجيء أو الإشارة أى أشارة لا تبلغ للقيادة العامة للقوات المسلحة إلا إذا هو قال .. وأشياء كثيرة أخرى غير متوازنة مثل كثرة القاذفات نسبيا وقلة المقاتلات .. والمقاتلات القاذفة .. وعدم توازن من الناحية التنظيمية فى المدفعية المضادة للطائرات على الارتفاع المتوسط موجودة ولكن المنخفضة وبالتالى الإنذار عن المستوى المنخفض غير موجودة ومن ناحية تنظيمية أخرى عندنا أحدث الدبابات .. ولم يكن عندنا مدفعية ذاتية الحركة تتمشى مع قدرة الحركة بالنسبة لإعادة التنظيم الجديد ثم ضعف الاجهزة الادارية والفنية .

والتدريب .. بند أساسى جدا فى إعداد القوات المسلحة للحرب .. التدريب فى ذلك الوقت كانت تغلبه المظهرية على الجدية .. المسئولية القيادية فى التدريب عموما فى القوات المسلحة كانت من اختصاص المشير عبد الحكيم عامر وكان هو من الناحية العملية غير مهتم .. وغير متفرغ .. عدم الاهتمام نزل إلى المستويات الأدنى بكلمة المظهرية وبكلمة اللامبالاة ، كما أن المتابعة المسئولة لضمان تنفيذ التخطيط فى التدريب لم تكن معطاة لجهاز ولا حتى لقادة أصغر .. انما كانت متروكة كالمعتاد لإدارة المخابرات الحربية التى كانت تشاهد غير منظورة أعمال القوات المسلحة التدريبية وتكتب عنها التقارير إلى المشير أو إلى الوزير شمس .. وهنا تظهر الازدواجية فى المسئولية لتدخل الوزير شمس فى نواحى تدريبية علما بأن هذا ليس من اختصاصه .

ثم مستوى التدريب ..

كان ضعيفا على أى مستوى من المستويات حتى مستوى اللواء بالقوات البرية .. تدريب الدبابات .. التعاون الوثيق مع المشاة .. لم يتم تعديل خطط التدريب ..

أقولها الآن لأن هذه ذكرى تاريخية لا أنساها وأنا موجود فى الصورة فى ذلك الوقت .. الخطة التدريبية كان يصدق عليها بعد جهد من هيئة التدريب .. وتوضع وثيقة كبيرة تشمل القوات البرية أكثر مما تشمل القوات البحرية والجوية ، كان يصدق عليها المشير ويبدأ تنفيذها ، نمشى فى الأشهر من شهر سبتمبر حتى شهر فبراير ثم أفاجأ بأن المشير يتصل بى

ويقول لى .. توقف خطة التدريب ويعاد التدريب الانفرادى بسبب أنه لم يحدث اهتمام جدى بالجندى .. وأبحث عن السبب فى الموضوع فأجد أن بعض قادة اللواءات « المقربين » وصلوا للسيد المشير وأقنعوه بهذه الفكرة . وأبحث عن السبب الحقيقى فأجد أن قائد اللواء لا يريد أن يدخل فى مرحلة تدريب اللواء خوفا من كشفه . فننتهى المسألة إلى أن المستوى يقف عند هذا الحد واللواء لا يتدرب ومن ناحية التدريب أذكر أيضا أن الفرد غير المؤهل داخل القوات المسلحة كان حجر عثرة فى اتمام التدريب .

كما أن المعلومات التى كانت موجودة والمقدمة من إدارة المخابرات ، عن أسلوب قتال العدو كانت مضللة لهيئة التدريب . لدرجة أن قواتنا المسلحة عند دخولها الصراع فى يونيو ١٩٦٧ .. لم تكن تعلم ولم يكن هناك تدريب عملى على واجبات العمليات . وكان الهدف فقط القيام بأعمال قتالية نشطة ، لصد هجوم مفاجىء للعدو وباستمرار لصد هجوم مفاجىء للعدو . التدريب القتالى والفنى فى الأسلحة والقوات البحرية .. القوات البرية . لا أتدخل فيه أو أظهره ، لعدم معرفتى به فى ذلك الوقت . البيانات العملية كانت كلها تأخذ الطابع المظهرى فقط ..

كلام على الورق :

وهذا مثلا تقرير نهائى عن السنة التدريبية ٦٥ ، ٦٦ من الوثائق الموجودة « نتائج التدريب حققت القوات البرية كل المهام التى كلفت بها داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها . بروح عالية وتصميم أكيد للوصول الى المستوى الرفيع المأمول لقواتنا هادفة فى تحمل الجهد والتضحيات التى تتطلبها الأحداث لتحقيق آمال الأمة العربية فى الحياة الكريمة .. »

وقفة فى آخر التقرير أن معظم أوجه النقص ونقط الضعف فى العام الماضى لها ظروفها الموضوعية التى فرضها التطوير الشامل للقوات المسلحة وهى فى مجموعها لا تؤثر على الكفاءة القتالية للقوات .

وأمثلة صغيرة نجدها ولابد من ضرورة تدوينها الآن ، مثل واحد بالنسبة لدبابات التعاون الوثيق الموجودة داخل التشكيل . لا طلقة واحدة فى عام ٦٥ ــ ٦٦ ضربت بواسطة دبابات ، الوقود المصرح به للتدريب .. لقد استهلك فى سنة ٦٥/٦٦ نسبة ١١ ٪ فقط من الوقود المصدق به لأغراض التدريب .

وكانت هناك سلبيات بالنسبة للانضباط مما أثر فى الروح المعنوية .. وقد تحدثت من قبل عن موقف الضباط المقربين الذين كانوا فى قلب الهيكل التنظيمى داخل الوحدات والتشكيلات .. لقد تسببوا فى كسر التسلسل القيادى المشروع داخل الوحدة وداخل التشكيل .. وترتب على ذلك عدم المساواة وعدم العدالة فى الميزات المادية والمعنوية .

والتوجيه المعنوى فى ذلك الوقت يساوى أمن الثورة ، وأمن القوات المسلحة ، وأنا سمعت خلال مدة وجودى بعض أسئلة كثيرة ، خصوصا فى فترة اليمن ــ جاء سؤال من الضابط الصغير ومن الجندى لماذا نحارب ؟ ومن نحارب ؟ هذا السؤال من الناحية التاريخية سمعته كضابط صغير فى بدء حياتى العسكرية فى فلسطين سنة ١٩٤٨ .. وهذا طبعا يعطى الانطباع عن الفراغ الذهنى والمعنوى لدى الجندى والضابط المقاتل .

أين الدولة ؟

ثم تحدث الفريق أول فوزى عن إعداد الدولة للحرب فقال :

الجزء الثانى هو إعداد الدولة للحرب .. مفهوم الإعداد لم يكن متيسراً فى ذلك الوقت ، فيما عدا الناحية النظرية فيه ، إن بعد القوات المسلحة تنظيميا عن الدولة لم يؤد إلى الارتباط فى أننا نجهز الدولة التى هى مسرح العمليات للحرب ، وأقصد هنا بمسرح العمليات ، أقصد الدولة بالكامل ، أراضى الدولة بالكامل ، لاوجود للموضوع استراتيجيا على أى مستوى سياسى وعسكرى .. المسألة اقتصرت على إعداد النطاق الاول فى سيناء وكانت تشغلها فى ذلك الوقت فرقةمشاة ، ولواء ميكانيكى ولواء مدرع لم تستكمل باقى الموضوعات الخاصة بسيناء من ناحية مسرح العمليات ، كما لم يراع أى استكمال بالنسبة للحجم المنتظر للعمليات بينما كلنا نعلم أن هذا الإعداد يحتاج إلى زمن ويحتاج إلى مال ، لقد بدأ القتال فى يونية والخط التليفونى الموجود بين القاهرة وأسوان خط هوائى . ليس هناك بالقاهرة وأسوان كابل محورى حتى بدأ القتال . الكوابل المحورية التى أنشئت فى سيناء لم تصل الى العمق المطلوب حسب خطة ما ، لم تنشأ خطوط المواصلات ولا الكبارى التى تخدم اى جهد عسكرى ، كما لم يتم أى توزيع إستراتيجى للمواد مثل البترول .. والنحاس الكهربى والبارود الأسود .. وخامات التموين ونقصد بالذات هذه الاشياء لتأثيرها على الانتاج العسكرى بالنسبة لمواد مطلوبة .. كما لم تجهز الدولة مطالب حساسة للقوات المسلحة مثل المطارات ..مخابىء الطائرات .. ممرات إضافية فى قلب المطارات .. خطوط محورية لكابلات المواصلات . مثلا كان عندنا ١٢ مطارا بينما العدو كان لدية ٥٤ مطارا فى ذلك الوقت .

وأعتقد أنه بعدما أعلنت هذه الحقائق فى شتى الموضوعات وكذلك الحقيقة الموجودة فى قمة السلطة سواء فيها او صراعا التى شرحتها . وتأثير ذلك على إعداد الدولة للحرب . فإنه يمكن تصور النتيجة فى أى صراع مسلح قبل وقوعها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ .

هنا يأتى السؤال الهام : كيف يمكن للقيادة السياسية وهى تعلم هذه الحقائق المرة ان تتجرأ فى نفس الوقت على المغامرة بإقحام القوات المسلحة وهى فى هذه الحالة فى صراع مسلح مع عدو جهز قواته وشعبه على مستوى عشر سنوات قبل ١٩٦٧ ؟

الجواب : القائد لايعرف قواته تماما كما لايعلم قدرة عدوه تماما ..

ثم يأتى سؤال سريع آخر : .. لماذا وصلت الهزيمة الى حجمها ومداها الذى وقع فى يونيو سنة ١٩٦٧ ؟

يأتى الرد بسرعة .. الانهيار السريع للقائد فى أول ضربة فى هذا الصراع .. فانهارت القوات المسلحة سريعا

وندخل على مرحلة الموقف العسكرى .. قبل ١٤ مايو مباشرة .. الاتجاه الرئيسى فى الدولة كان هو مسرح العمليات فى سينا .. كانت تشغله فرقة مشاة .. لواء ميكانيكى .. لواء مدرع غير معتنى به .. قصور فى إعداد المسرح . ثلاث زيارات فى المدة من ٦٢ الى ٦٧ . أى المسئول الأول عن القوات المسلحة قام فقط بثلاث زيارات تفتيشية معنوية طوال ٥ سنوات . كانت هناك فى هذا المسرح خطة دفاعيةموضوعة من سنة ٦٦ اسمها الخطة قاهر ..

وفى اليمن عند بدء القتال « فى ١٤ مايو » كانت هناك ٦ لواءات .. القتال هناك أخذ الصفة البوليسية ضد عدو هيكلى .. ولهذا دخلت مفاهيم خاطئة أذهان القوات المسلحة عن القتال نتيجة وجودهم فى اليمن .. هذه المفاهيم الخاطئة أدت إلى مفـاجأة ذهنيـة حادة عنـد وقوع الصّراع . والغريب أن الاحتياطى سرح قبل بدء العمليات وقبل ميعاده بغرض توفير فلوس دفعة الاحتياطى . وبعد المعركة ظهرت المقارنة للقوات أن الأغلبية كانت للعدو وهذا عكس المفهوم الذى دخلت به القوات المسلحة الصراع .. كما كان عكس ما هو مفهوم عن قدرة وحجم العدو .. لدى القيادة السياسية والعسكرية . المشاة إحنا واحد وللعدو واحد وثلاثة .. الدبابات إحنا واحد والعدو واحد واربعة .. المدفعية الميدان احنا واحد وواحد والعدو واحد الى آخره .. العدو كان يتمتع بمعلومات كثيرة عن قواتنا بالاستطلاع وبالمعلومات الاخرى .. والعكس كان موجوداً ، لدينا عدم وجود معلومات حقيقية عن العدو ولعدم قدرة أجهزتنا المتخصصة فى هذا الموضوع والضعف الذى قلته بالنسبة لعناصر الاستطلاع بالنسبة لقواتنا المسلحة .

مفاجأة للقوات المسلحة :

وفى بداية الصراع حصلت مفاجأة للقوات المسلحة وأنا أقول عنها إنها مفاجأة بما يتفق مع بعض الوثائق التى رأيتها .

لقد أصدر المشير توجيهات بثلاثة أشياء :

(١) رفع الاستعداد الكامل للقوات المسلحة .

(٢) التعبئة العامة .

(٣) حشد القوات فى سيناء .

صدرت بذلك توجيهات متتالية يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ .

وأقول عنها مفاجأة لأنه لم يكن فى ذهن أى قائد أو ضابط أو جندى تأهيل مسبق فى أن يوم ١٤ أو أى يوم قريب منه سيحدث هذا .. وهذه التوجيهات جاءت بلغة الأمر للتنفيذ مباشرة .. وقيل فى نفس المناسبة يوم ١٤ إن السبب هو الوقوف بجانب سوريا .. تنفيذا لاتفاقية دفاع مشترك معها سنة ١٩٦٦ ، لأن اسرائيل تهدد سوريا وتنوى غزوها .. والدليل على ذلك الحشود العسكرية الاسرائيلية على الحدود السورية .. ولم يكن هناك حشود !!

وتحليلى لهذه الأوامر الثلاثة أنها صدرت من المشير .. أى أنه مصدر القرار ..

.. وبعد يوم توضح لى القرار الثانى الخاص بالتعبئة العامة بصدور قرار جمهورى يؤيد التعبئة العامة .

إن رفع درجة الاستعداد الكامل للقوات صدر من المشير عبد الحكيم عامر وقرار التعبئة العامة صدر بقرار جمهورى .. موقع من رئيس الجمهورية .. حشد القوات فى سيناء صادر من المشير عبد الحكيم عامر ورفع درجة الاستعداد الكامل تحدد له ٤٨ ساعة .. التعبئة العـامة بدأت .. حشد القوات بدأ .. وقد أوضحت أن القوات المسلحة كانت فى حالة سلم منخفض ورفع درجة استعدادها الكامل يقتضى إجراءات كبيرة .. كبيرة جدا .. والأمر نص على ٤٨ ساعة فقط .. ناحية زمنية قصيرة جدا .. حشد القوات فى سيناء كلمة واحدة .. صدرت فى ظل عدم وجود خطة استراتيجية عسكرية فى ذلك الوقت .

وقد أدى ذلك إلى عدم وضوح رؤية عسكرية لحشد قوات فى مسرح العمليات فى سيناء ، وأدى هذا الى أهم نقطة وهى عدم إعطاء مهام وواجبات للقوات التى صدر اليها أمر الحشد .

لم تكن هناك خطة استراتيجية سياسية .. لم تكن هناك خطة استراتيجية عسكرية .. الأمر الذى أدى الى إعطاء القوات أمر حشد فى سيناء .. بدون إعطاء مهام قتالية وواجبات لها طبقا للمفهوم والمعروف .. ولهذا توجهت القوات الى مواقعها فى سيناء بلا تخطيط مسبق .. راحت مناطق تجمع ولم تذهب الى خطوط مثلا مسبقة مجهزة .. ومن هنا جاء التساؤل : ما هى مهمتنا ؟.. تروحوا أماكنكم اللى محطوطة ثم ستأتى لكم المهام والواجبات .. ولهذا فإن القوات ذهبت الى أماكن تجمع فقط .. وأوضح أكثر أن السبب السياسى والعسكرى لم يكن فى اقتناع القادة والأفراد ، ولذلك ظهرت كلمة لها تأثير هنا .. ولها معنى .. لقد قيل إن المسألة مسألة تظاهر عسكرى فى سيناء بغرض تهديد العدو لإجباره على عدم غزو سوريا .. مجرد مظاهرة عسكرية .

يجوز أنه كان فى ذهن القائد السياسى فى ذلك الوقت إتمامها بهذا الشكل التظاهرى والوصول إلى هدفه السياسى ولكن كأصول عسكرية وأنت طالع من مركزك فى وقت السلم الى مسرح ما .. لابد أن يكون لذلك مهمة محددة تحرك نفسك لها .. والذى حدث أن المهمة العسكرية للتشكيل من وقت صدور أمر التحرك والحشد فى سيناء لم تحدد بالتفصيل .. وهذه نقطة من نقط الضعف فى بداية التحرك .. نقطة أساسية ..

من موسكو ودولة أخرى :

وأقول هنا إنه من ناحية الفكر .. من ناحية الذهن .. كان هناك بعض تصريحات فعلا موجودة فى الجرائد وفى الإعلام جاءت من اسرائيل عن سوريا ثم جاءت معلومات ذكرت كسبب للحشد أن اسرائيل تهدد سوريا .. وهذه المعلومات وصلت من الاتحاد السوفيتى .. ومن دولة أخرى .. أى أن الخبر تلقته القيادة فى مصر من عدة أماكن ..

وهنا كان لابد من إجراء روتينى وهو أن نتأكد من وجود أو عدم وجود الحشود .. فحصل تكليف لى بالقيام الى سوريا لغرضين :

الغرض الأول : التأكد من وجود الحشود ..

والغرض الثانى : الربط والتنسيق مع القيادة السورية بالنسبة للخطط المنسقة سابقا .. لغرض توحيد الجهد العسكرى ..

سافرت الى سوريا .. المهمة الاولى تبين لى عدم وجودها .. والتفصيلات سألت عليها حتى أتأكد بنفسى .. فقدموا لى كل ما طلبته .. طلبت الأفلام .. آخر تقارير الاستطلاع الموجودة على الجبهة السورية .. وشاهدت فيلم تصوير جوى عن الجبهة .. لم أجد فيه أى حشد سألت عناصر الاستطلاع الموجودة وعناصر المعلومات الموجودة على مستوى القيادة وعلى مستوى قيادة الجبهة فى سوريا فلم أتبين أن هذا الحشد العسكرى حقيقى .

الناحية الثانية : وأنا اضطررت ألمسها قبل كده فى أننى أكدت على رئيس الاركان هناك الاشياء التى كنا قد نسقناها سويا .. هل التنسيق قائم أم لا ؟ .. قال لى : « قائم فى حالة كذا .. عليك كذا .. وفى حالة كذا عليك كذا .. وهى الموضوعات السابق ذكرها من ناحية التنسيق العسكرى »

وأنا شخصيا أقرر الآن أن هذا الموضوع كله كان هيكليا وخداعيا وذلك لفقد الثقة العامة العسكرية بيننا وبين القوات السورية ..

والمهم فإننى أؤكد هنا عدم إعطاء مهام جديدة قتالية للقوات التى أخذت طريقها إلى الحشد فى سيناء يوم ١٤ ويوم ١٥ مايو .. كان هناك خطة « قاهر » الدفاعية .. ولم تذكر لا فى التوجيه العام لحشد القوات .. ولا فى أى توجيه آخر . اى قائد مثلا يقول .. يتم حشد القوات لغرض تنفيذ الخطة « قاهر » .. لم تذكر هذه الخطة فى أى توجيه ابتدائى يوم ١٤ ويوم ١٥ مايو كانت الفرقة المشاة واللواء الميكانيكى واللواء المدرع متمركزين ومغطيين جزءا من النطاق الدفاعى الأول فى الخطة قاهر .. ولكن لم يكن هناك ــ وأقولها مرة أخرى ــ لم يكن هناك أى مهام قتالية للقوات التى تحركت كما لم يشر الى شىء يخص الخطة قاهر .

كانوا يتساءلون :

وأكمل هذه النقطة لأن هذا التساؤل لم يبعد عن ذهن القادة الذين بدأوا بوحداتهم عملية الحشد .. لقد سألوا هذا السؤال وجاء الرد مكملا للفكرة طبيعياً ومن غير كلام سوف تكون المهمة تعرضية محدودة .

وأتذكر بعض ألفاظ قيلت فى ذلك الوقت .. اقه .. اذا كان الحشد .. سيتم بسبب تهديد اسرائيل والضغط عليها لإقناعها بعدم عمل شىء بالنسبة لسوريا فان الضغط لن يتأتى الا بعمل تعرض محدود . بدليل أن أول تخطيط وضع ــ طبيعى كان متأخرا ــ جاء على فكرة الأعمال التعرضية المحدودة .

واستمرت هذه المرحلة حتى يوم ٢٩ مايو حيث تطور الموضوع الى مرحلة أخرى ، بتفكير آخر ، بتخطيط آخر .. ومن هنا حصلت التساؤلات فى القاعدة .. فى التشكيلات والوحدات .. أنهم راحوا فى أماكن تجمع غير مجهزة ودفعت قوات للحشد من غير بيان حجم معين . ويجب أن يهتم بتحديد الحجم لأن القوات التى حشدت هى الإطار الخاص لحجم القوات كانت فى الخطة « قاهر » اكثر من هذا الحجم .

هذا الوضع مضافا اليه عدم وجود مهام يعطى فكرة عما كان فى ذهن القائد .. لا « قاهر » ملتزم بيها . ولا الحجم الذى نعرفه فى « قاهر » موجود .. كما أن حجم القوات التى استمرت فى الحشد من يوم ١٥ مايو لغاية بداية العمليات يوم ٥ يونيو لم يتوقف .. القوات الموجودة العاملة المنظمة .. القوات المستدعاة . القوات المطلوب إنشاؤها من جديد فى فترة حشد تمهيدا لقبول صراع مسلح .. إنشاء وحدات جديدة .. وكل هذا تم بلا أى مناقشة !

قوات الطوارىء :

وقبل الصراع المسلح (فى ٥ يونيو) جاء قرار آخر بالتبعية اسمه .. سحب قوات الطوارىء .. على الحدود الشرقية .. كلفت بهذا الموضوع وأرسلت خطابا الى الجنرال ريكى وانكسفت .. جامرد الجنرال ريكى بأن حضرتك .. الموضوع ده مش بتاعك .. وأن الموضوع ده سياسى وأن الوحيد المختص به هو مستر اوثانت السكرتير العام ، فارتد الاجراء الذى كلفت به كرئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وكان اختيارى فى اللحظة لهذا التكليف لان رتبتى

مناسبة تقابل رتبة الجنرال ريكى .. كان الرد على ذلك ان الموضوع سياسى فقد تحول الى وزارة الخارجية حيث تقدمت بالطلب الى أوثانت .. وافق عليه أوثانت من ناحية المبدأ إذ أن السلطة كانت مركزه فى يده حسب الاتفاقية التى تمت سنة ١٩٥٦ .

وهنا يبرز سؤال .. ما هو موقف شرم الشيخ .. هل هى الحدود الشرقية ؟ لقد وقع خلاف فى شيء اسمه السيطرة على الخليج و« قفل الخليج » .. الخلاف حدث بين رئيس الجمهورية والمشير عبد الحكيم عامر كل منهما عنده مفهوم وعنده هدف سياسى فى الموضوع وسأبين ذلك فى موقع مقبل .

وكان المفهوم العسكرى فى ذلك الوقت أن قوات شرم الشيخ .. أى قوة طوارىء فى شرم الشيخ ليست هى الحدود الشرقية للجمهورية العربية المتحدة .. ولهذا عندما حصل الحشد لم تدخل القوات التى كانت مخصصة لشرم الشيخ مع الحشد الاول وراحت مكانها وكان المفهوم أن قوة الطوارىء لو ذهبت فلا دخل لها بالجنوب . فلما أعلن اوثانت القرار ، قرار مبدأ على كل قوة الطوارىء الدولية وليس على جزء منها .. حصل جدل فى هذا الموضوع لمدة يومين أدى آخر الامر إلى قرار اوثانت الخاص بسحب كل قوات الطوارىء الدولية .. هنا نشأ موقف جديد بالنسبة للتخطيط السياسى والعسكرى فى مصر ..

حديث شخصى مع عبد الناصر :

ثم يقول الفريق أول محمد فوزى :

وفى موضوع غلق المضيق جرى لى حديث مع الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٨ .

إن قرار غلق المضيق هو أول قرار سياسى جماعى صدر من اجتماع طلبه الرئيس عبد الناصر ودعا إليه أعضاء مجلس الثورة القديم ورئيس الوزراء .. فى ذلك الوقت المهندس صدقى سليمان ، تم الاجتماع فى منزل الرئيس جمال عبد الناصر ، وحصلت مناقشة فى الموضوع سياسيا وعسكريا من تقرير تقدم به المشير عبد الحكيم عامر وقد أوضحت المناقشة وحددت موضوعين منفصلين ، الفصل ما بين « السيطرة » على الخليج و « غلق » الخليج موضوعان منفصلان ، حدث عنهما مناقشة ، وأوضح أن معنى السيطرة على الخليج هو أنه من الممكن وضع قوات مع استمرار الملاحة الإسرائيلية ، أما غلق المضيق فمعناه الغلق ضد الملاحة الإسرائيلية وسيتبعها تأمين عملية الغلق بالسيطرة على الخليج فى مواقع شرم الشيخ المختلفة ، تمت هذه المناقشة وصمم المشير عبد الحكيم عامر على الغلق ، وقال كلمة نقلت إلى فى هذا الحديث ، لا يمكن لقواتنا المسلحة أن تشاهد العلم الإسرائيلى يعبر أمامها .

وصدر القرار بغلق المضيق وأخذ التصويت لأول مرة وجاءت عدم موافقة وحيدة من المهندس صدقى سليمان وهذا تم بالتحديد فى مساء يوم ١٧ مايو سنة ١٩٦٧ .

والسؤال : الآن لماذا دعا جمال عبد الناصر إلى اجتماع ؟

والجواب : فى استنتاجى لكى يتجنب الخلاف مع عبد الحكيم عامر كما حدث عام ١٩٦٢ .

وقصة هذا الاجتماع سمعتها من الرئيس جمال عبد الناصر بعد ذلك فى عام ١٩٦٨ .

أقول ان موقفا دوليا جديدا ظهر أمام القيادة السياسية فى مصر بعد هذا القرار . إعترافات دولية .. المناداة دوليا بفكرة تجمع بحرى ضد مصر لضمان كذا وكذا ، المهم حدثت تطورات دولية ، واستمر الجدل من يوم ١٨ لغاية يوم ٢٢ عندما صدرت التعليمات النهائية الفنية بأسلوب غلق الخليج ، والقائد العسكرى هناك من يوم أن ذهب فى ٢٠ مايو استمر يتساءل : المركب الفلانية دى ، الحالة الفلانية ، أعمل فيها إيه ، الحالة الفلانية أعمل فيها إيه ، وسأل عن التصرف الواجب أمام ٨ حالات أو ٧ حالات كانت موجودة وراء بعضها وتلقى الإجابة الأخيرة فى توجيهات نائب القائد الأعلى التى صدرت بإشارة لاسلكية بأسلوب غلق الخليج يوم ٢٢ مساء وأعلن قفل الخليج الساعة ١٢٠٠ يوم ٢٣ .

وهنا أفرق ما بين القرار السياسى والغلق لأنها عبارة واحدة « قررت » ج.ع.م. غلق المضيق فى وجه الملاحة الإسرائيلية اعتبارا من الساعة ١٢٠٠ يوم ٢٣ .

هذا قرار سياسى .. أما التعليمات الفنية التفصيلية بالغلق فهى منفصلة .. القرار الأول صدر قبل وصول أوثانت للقاهرة بساعات .. قبل أن ينزل أوثانت بطائرته فى القاهرة كان القرار صدر ونشر فى الصحف ، صباح نفس اليوم .. صدر قرار غلق المضيق والقائد الموجود فى شرم الشيخ يتساءل عن الأسلوب .. واستمر يتساءل حتى يوم ٢٢ .

إننى أقول : هذا الموضوع لم يدخل فى الاعتبار التحضيرى فى الدولة ولم توضع الاحتمالات الممكن أن تقع على المستوى الدولى فى حالة غلق المضيق .

حكاية المظاهرة :

ثم قال الفريق أول محمد فوزى :

وأحب أن أثير هنا نقطة عسكرية صرفة خاصة بحجم قواتنا .. إن حجم قواتنا لم يسمح بفتح محور جديد وبتكبير المهمة العسكرية أمام القوات المسلحة فى ذلك الوقت . وقد عقدت جلسة استمرت ٤ ساعات فى ١٨ مايو سنة ١٩٦٧ .. وكان موضوع الجلسة توفير وتدبير القوات المطلوبة .. لأن العمليات مشتركة بحرية وجوية وبرية . وكان كل جهد القادة فى هذه الجلسة مقصورا على تدبير القوات فقط .. ولم تشمل الجلسة باقى الواجبات المفروض أن تناقش !!

كان يجب أن نكون جاهزين .. بمعنى إذا أردت أن أرجع العدو فيجب أولا أن أطمئن على عضلاتى .. وأطمئن على مقدرتى .. وأطمئن على إمكانياتى .. لا أن تكون المسألة مجرد تهويش .. التهويش يضر ولا ينفع .

وهنا يجب أن نسأل : أين التخطيط السياسى الذى أبنى عليه حجم القوات حتى تدرب وتؤهل وتسلح لتحقيق الهدف ؟.

وهذا ما جرى فى موضوع « الغلق » الذى أعتبره السبب المباشر الذى دفع اسرائيل إلى الحرب الوقائية التى بدأتها يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

والمطبوع فى ذهنى أن حسابات الرئيس جمال عبد الناصر كانت تتجه إلى أن لا يتم شىء فى موضوع الخليج أى لا يغلق ولا يسيطر ولا حاجة أبدا .

السؤال : يعنى هذا أن عبد الناصر كان يريد مظاهرة كما قلت من قبل ؟

الفريق أول محمد فوزى : أقول أن اللعبة السياسية كانت ربما فى رأس القائد السياسى .. إن المظاهرة تتم فى شمال سيناء فقط فلا تحققت المظاهرة ولا تحقق التجمع .

السؤال : كان يقال ان الرئيس عبد الناصر كان يعانى من الضغط الذى تقوم به بعض إذاعات الدول بالنسبة لعملية قفل المضيق وبالنسبة لمرور الملاحة فيه وإنه لم تكن لمصر سيادة على أرضها ؟

الفريق أول فوزى : هذا صحيح . . وفى رأيى أن الأهداف السياسية الحقيقية وراء هذا الموضوع تنحصر فى نقطتين إزالة قوات الطوارىء الدولية والسيطرة على خليج العقبة لا غلق المضيق .

ولم يكن غلق المضيق هدفا لغاية تاريخية .

السؤال : من فى رأيك صاحب فكرة هذه الأهداف ؟

الفريق محمد فوزى : استنباطا منى أن الدافع السياسى كان فى رأس الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر والاثنين معا .

السؤال : ولكن من صاحب الفكرة منهما ؟

الفريق أول فوزى : فى تحليلى للشخصيتين الاثنين أقول أن الاثنين متفقان عاطفيا ووطنيا ، متفقان على تحقيق أهداف الثورة ، متفقان على تحقيق أهداف قومية ، مختلفان ومتصارعان فى قيادة القوات المسلحة صاحبة الثورة وباقى أجهزة الدولة ، والسؤال هو : لو كان قد حدث زوال قوات الطوارىء الدولية وحدثت السيطرة على الخليج فقط فهل كان الهدف السياسى يتحقق أم لا ؟

كانت إذاعات الدول العربية فى ذلك الوقت عام ١٩٦٧ فى السعودية وفى عمان توجهان ضغطا على كلمة السيادة المصرية بأنها ناقصة وكانت معايرة إعلامية بأن قوة الطوارىء الدولية هى التى تحمى القوات المصرية ولا سيادة ولا سيطرة لمصر على الخليج .

فإذا ذهبت القوات الدولية من شرم الشيخ لكان هذا يحقق هدفا سياسيا موجودا فى رأس كل من الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر وبمعنى آخر أنه لو كانت المظاهرة العسكرية وصلت إلى هذا الحد فقط فقد كان هذا ما يرجى أن تنتهى عنده .

لأنه حدث بعد ذلك تراجع عسكرى فى التخطيط ..

لقد ابتدأ بتصرف محدود حتى يوم ٢٨ ثم بدأ يتراجع .. واننى أسميه تراجع .. لأن الهدف السياسى منه كان هو إيقاف الصراع وانتهائه لهذا الحد ..

وإذا حللت الموقف الآن كتاريخ .. أقول إنه ما دامت قد تمت السيطرة على الخليج دون غلق كان ممكنا إصدار إعلان دولى .. استجابة للمنطق العالمى بأن مضيق تيران يصبح ممرا دوليا وربما – بعد ذلك – أن إسرائيل لم تكن تبدأ الصراع بضربة جوية مفاجئة .

وأخيرا أقول إن أى تحرك يجب أن يكون معدا له وجاهزا .. واختيار التوقيت كان غير موفق وخاصة أننى « غارز » فى اليمن .

بين عبد الناصر وأوثانت :

السؤال : يقال ان الرئيس جمال عبد الناصر أبلغ أوثانت بأنه موافق على مرور الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة ولكن بدون إعلان رسمى . ويقال ان أوثانت ذهب إلى إسرائيل وعرض هذا الاقتراح ولكن إسرائيل اشترطت إعلان ذلك رسميا ، فعاد أوثانت وأبلغ الرئيس جمال عبد الناصر الذى رفض ما طلبته إسرائيل .

الفريق فوزى : لا أعرف أن هذا حدث . وأشك فى وقوعه لأن القرار المصرى كان واضحا وأعلن للعالم . والقرار يقطع على أوثانت أن يفتح الموضوع ، فكون الرئيس عبد الناصر يعلن دوليا ، معنى هذا حرق هدف الزيارة الذى أتى من أجله . وقيل فى هذا انه حاضر لكى يقلل التوتر الموجود فى الصراع حول الخليج طبعا .

وكان هناك اتجاه أن اسرائيل فوجئت بوقف الجمهورية العربية المتحدة قبل يوم ١٤ مايو وهو التصريح الذى أعلناه بأننا سوف نتدخل لو حدث أى اعتداء على سوريا . وأنا فى اعتقادى أن اسرائيل لم تكن واصلة بفكرها إلى أن مصر سوف تأخذ هذه الخطوات الإيجابية العسكرية إلى هذا الحد بدليل أن الإجراءات الداخلية فى إسرائيل .. مثل تشكيل وزارة الحرب .. وتعيين موشى ديان لم تجىء إلا فى فترة متأخرة جدا ..

وكان من مصلحة إسرائيل عالميا التأخير على قدر الإمكان لبدء الصراع حتى تكمل هى إجراءاتها الداخلية . وكل ما جرى من أمريكا – مثل اقتراح إرسال نائب الرئيس الأمريكى للمنطقة كان مناورات سياسية الغرض منها تطويل فترة التوتر لغرض إعطاء الفرصة لإسرائيل لكى تستعد ..

وأريد أن أقول هنا إننا فى مصر هيأنا الظروف السياسية والعسكرية بتطبيق دستورها أو عرفها أو هدفها فى إتمام الحرب الوقائية . نعم هيأنا لها الظروف .. أعطيناها الوقت اللازم للاستعداد ولهذا فإننى أقول ان قرارات يوم ١٤ مايو كانت مفاجأة للقوات المسلحة المصرية بدون مقدمات .

سر القـــرار :

السؤال : ما رأيك فى السر فى اختيار هذا التوقيت بالذات لكى تبدأ القاهرة تحركها ؟

الفريق فوزى : أستطيع القول .. انه صراع سياسى وإعلامى تم من إسرائيل ... وأرجع بالفكر إلى موقفنا بعد الانفصال .. لقد حصل انحسار لزعامة الرئيس جمال عبد الناصر عربيا .. هيبة القاهرة .. زعامة القاهرة .. القومية العربية .. كلها انحسرت بعد عملية الانفصال .. وكانت هناك رغبة فى إعادتها ..

إذن كل مناسبة تأتى لإعادة هذا الوضع إلى ما كان عليه بالقاهرة كانت مصر تستثمرها لكسر الحصار السياسى والاقتصادى . لقد دفعنا قوات جنوبا كذا ميل إلى اليمن لكسر الحصار وكان هذا معناه .. يا أمريكا مصر قادرة على كسر حصاركم .. وكان هذا يوضح أيضا أن مصر قادرة على نقل جهد كبير بإمكانيات كبيرة من مصر إلى اليمن .. وهذا ما أظهرته السياسة الإعلامية المصرية عن مقدرة مصر فى التحرك خارج النطاق المضروب حولهابعد عملية الانفصال .

وتذكرنا مانشتات الصحف الكبيرة عن قدرة مصر .. علما بأن مسرح اليمن لم يكن فى حاجة إلى هذا المجهود وإلى هذا الحجم .

وعندما بدأ الصراع مع دمشق .. كانت القاهرة تريد إثبات حضورها .. يبقى إذن لازم ندخل فى الموضوع حتى تعيد مصر سيطرتها القومية مرة أخرى على الوطن العربى . قطر شقيق يتهدد يبقى لازم مصر تدخل فى الموضوع ، وقد أعلنت مصر فى أوائل مايو قبل ١٤ مايو بكثير .. تصريحا كبيرا بأن مصر لن تتأخر عن مساندة سوريا ضد التهديدات الصادرة من إسرائيل .

ومن هنا جاءت الخطوة السياسية الأولى وهى رغبة الجمهورية العربية المتحدة فى التدخل .. وسبب هذا واضح .. وهو إعادة وضع القاهرة بعد حدوث الانفصال ..

السؤال : يمكن القول إذن أنه استغلال أى فرصة متاحة لاستعادة موقف مصر قبل الانفصال .

الفريق فوزى : بصرف النظر عن أى أسس علمية سليمة .

ثم يعود الفريق أول متقاعد محمد فوزى إلى الحديث عن تعبئة القوات فى سيناء فيقول ..

أريد أن أشير إلى الاستمرار فى طلب قوات بخلاف القوات المنصوص عنها فى خطة التعبئة . الخطة كانت وضعت وصدق عليها المشير فى ديسمبر سنة١٩٦٥ . وكانت تدل على حجم معين . صحيح أن هذا الحجم لم يعتن به من ناحية الاستدعاء لأغراض التدريب أو التطوير لكن كان هناك حجم معين .

وجاءت المفاجأة فى استمرار طلب تشكيل وإنشاء وحدات أكثر من هذا الحجم . وهذا الطلب يعتبر مفاجأة لأجهزة التخطيط فى الدولة .. هيئة التنظيم وهيئة العمليات وهيئة التدريب فى القوات المسلحة كلها نظرت إلى هذا الموضوع نظرة تشكك لأنه يطلب إنشاء وحدات ليس محسوبا لها إمكانيات فى التسليح والمهمات والمعدات والتموين والوقود وأهمها بالذات التسليح .

وكثرة هذه الاستدعاءات جاءت أيضا مفاجأة للشعب .. ووصلت المسألة لاستدعاء أفراد الاحتياطى من سنة ١٩٥٦ وما قبل ذلك .. إن استدعاء فرد مضى عليه ١١ سنة أو ١٠ سنوات لم يسمع فيها شيئا عن القوات المسلحة وبالتالى ليس له محل فى الخطة .. أمر غريب .. فعلاوة على المفاجأة فى كبر حجم المستدعين .. هناك النوعية والتأهيل . وكان خطأ كبيراً أن يطلب ذلك .. وقد قيل ان بعض الجنود الاحتياط كانوا بالملابس المدنية . والصحيح أنهم اصطحبوا معهم الملابس المدنية .. وهنا تنشأ علامة استفهام .. لماذا أتوا ومعهم الملابس المدنية إلى الميدان ؟..

جنود بالجلاليب :

السؤال : يقال إنهم كانوا يرتدون الجلاليب ..؟

الفريق فوزى : لا .. اصطحبوا معهم الملابس المدنية .. وهنا أذكر بوقت لم يكن فيه أسهل على الدولة من وجود القميص والبنطلون التيل الكاكى .. وهكذا أعطى لكل فرد قميص وبنطلون وبندقية وجاءوا ومعهم الجلاليب .. وبعد ذلك استخدموا هذه الجلاليب (يقصد استخدموها فى الانسحاب) .. وهذا يعنى أن من استدعوا من الاحتياط لم يكونوا راغبين فى القتال أو مؤهلين للقتال وأن لديهم فكرة أن هذه الملابس المدنية قد يحتاجون إليها فى وقت من الأوقات .. لم تكن هناك معنويات للقتال .

وانتهى الامر بان قوة المسرح نفسها كانت ٤٠ ٪ احتياط و ٦٠ ٪ عامل . والمؤسف ان الوحدات التى كنا معتقدين انها استدعيت جديا بالأمر . هذه الوحدات لسوء الحظ اخذت مهام كبيرة جدا تؤثر على أمن الدولة ..!!

وموجود فى الوثائق ان بدء التخطيط للعمليات فى المسرح .. بدأت تعرضيه هجومية ممثلة فى الخطة « فجر » و « سهم » مع عدم وجود تنسيق وتعاون بين القوات المسلحة لضمان السيطرة على القوات .. نعم هذا لم يتم ..

وقد وضع فى برنامج زيارة المشير يوم ٥ يونيو من ضمن الواجبات تنسيق التعاون بين الوحدات وتحديد مهمة القوة الاحتياطية .. وزع هذا يوم ٣ يونيو على القادة الموجودين فى مؤتمر الفريق صلاح محسن .. وان هذه الواجبات هى برنامج المشير عندما يصل إلى سيناء يوم ٥ يونيو .

وأقول هنا إنه لا وجود لخطة عامة مسبقا مادمنا لم نذكر كلمة « الخطة قاهر » فى التوجيهات الابتدائية للحشد والفتح التعبوى وهذا نتج عن غموض الهدف الاستراتيجى .

القوات تمركزت فى مناطق تجمع ثم جاء أول تخطيط كما قلت لتخصيص مهام لبعض تجميع تشكيلات حددت بلفظ « فجر » الغرض منها عزل منطقة النقب الجنوبى .. وكان هذا التوجيه ظهر يوم ٥/٢٣ ومثيلها موجود فى الخطة « سهم » خطة تعرضية محدودة الغرض منها القيام بضربة مفاجئة ضد قوات العدو الموجودة فى كوم أبو سالم رفح بعد ٤٨ ساعة من « فجر » فعلامة زمنية موجودة بين الاثنين ولكن هذا كان الاتجاه لغاية يوم ٢٨ ..

أقف هنا وأقول إنه إذا كان التخطيط بدأ فى هذه المرحلة المتأخرة من حشد وتجميع القوات فى سيناء .. فكل رجل عسكرى يعلم الزمن المطلوب للمختصين فى تجهيز وتخطيط خطة .. ثم التصديق عليها . ثم الاستماع إلى قرارات القادة المرءوسين ، ثم الدخول فى تفصيلات صغيرة . ثم نزول هذه الخطة إلى التفصيلات وإلى الوحدات الأصغر ، ثم يبدأ تنظيم تعاون بالنسبة للمجموعة أو التشكيل القائم بهذه العملية .. وكل هذا يقتضى زمنا ..

لا حساب لأى شىء :

فى الحالة العادية ، أو حتى فى حالة الحرب هناك التزام لهيئة ما ولقادة بهيئاتهم فى أنهم يأخذوا وقتهم من ناحية شىء اسمه « إعداد الخطة » وتسويتها واتباع الخطوات المشروعة حتى تنزل

هذه الخطة إلى حيز الفهم والتنفيذ بالنسبة للوحدات .. اقول هذا بفرض اننا عندما نحسب الوقت الذى ظهرت فيه هذه الخطط كفكر ثم تنقلب إلى تخطيط ثم تنقلب إلى تنفيذ .. هذا عمل كبير جدا يحتاج إلى زمن طويل .. إن القوات المسلحة باجهزتها المتخصصة فى هذا الموضوع قامت بجهد جبار لكى تضع هذا الموضوع فى وضعه السليم إلا ان الوقت لم يعطها الفرصة للتسوية المضبوطة .. علما بأن الخطة يجب أن تكون كاملة بتفصيلاتها .. كما أنه لم تنزل مع الخطة العامة خطط أخرى فرعية مثل خطة الاشارة . خطة المدفعية . خطة كذا .. خطة شئون ادارية .. خطة كذا .. خطة كذا .. كل هذا لم يتم وكان يلقى العبء فى استكماله على الوحدات نفسها . على التشكيلات نفسها ..

ثم عقدت مؤتمرات .. وهذه المؤتمرات ظهر فيها موضوع حساس جدا لقد قال قائد الجيش للمشير عبد الحكيم عامر .. « إن قواتى لا تعرف شيئا عن الهجوم ».

ورد المشير بقوله : « يتدربوا » !.

وصدرت تعليمات فى وسط الجيش للوحدات بالتدريب على الأعمال الهجومية .. متى ؟ بعد أن صدرت الخطط !

هذا مع ملاحظة أن أعمال التدريب فى القوات المسلحة كلها خلال السنوات السابقة لم تأت فيها كلمة اطلاقا عن أى شكل من أشكال التعرض الهجومى .

كما حدثت ظاهرة أخرى خلال هذه الفترة .. وهى المطالب الكثيرة جدا من القادة التى كان يستغرق عرضها على المشير ساعات فى هذا الوقت بالذات .

ولا أغالى إذا قلت إن المشير بدا كما لو كان قد فوجىء بمثل هذه المطالب .

وكلها تخص التسليح .. وتخص أجهزة لاسلكية ، وظهر كأن هذه المطالب جديدة على المشير عبد الحكيم عامر .. كانت تسبب له ازعاجا نفسيا .. والجميع أمامه جلوس ومستمعون .. مما جعل الفرد يحس بأن حالة القوات المسلحة متأخرة ليس فقط من ناحية التدريب ولكن من ناحية استكمال مطالب تسليح ليست موجودة .

وفى آخر المدة كان الحشد كبيرا فى سيناء . وخط المساعدات فى الشئون الادارية لايتفق مع حجم الحشد لدرجة أنه نقلت مياه وألغام بواسطة جميع وسائل النقل الجوية مما أخذ مجهودا رئيسيا بالنسبة لوسائل النقل كلها .. الانتينوف ١٤ والهليوكوبتر .. كلها استخدمت فى القطاع الجنوبى ..

وأعود وأقول فى ذلك الوقت ٢٨ مايو إننى أتصور « ديالوج » حصل فى رأس المشير .

هل زال التهديد بغزو سوريا ؟ .. جوابى أنا نعم .

هل نزعت قوة الطوارىء الدولية ؟ الجواب نعم .

هل تمت السيطرة على شرم الشيخ ؟ .. الجواب نعم ..

هل أعادت القاهرة زعامتها عربيا ؟ .. الجواب نعم .. الجواب نعم .. وقد حضر الملك حسين إلى القاهرة ووقع اتفاقية دفاع مشترك يوم ٣ يونيو . والعراق أيضا تقدم وأراد أن يعمل شيئا وحضر رئيس وزراء العراق ..

أى أنه حدث جذب للدول العربية إلى القاهرة .. تغير التوازن .. لقد حصل الحشد وتحققت هذه المكاسب .

وهنا نسأل .. هل عادت لنا المبادرة السياسية والعسكرية لتهديد اسرائيل ! .. أجيب فأقول : إعلاميا فى وسط المحيط العربى .

لقد أحس المحيط العربى بذلك .. ولهذا حضروا إلى مصر ..

وأقول هذا لكى نعرف التطور الذى حدث فى التخطيط من تعرض هجومى محدود كما رأينا إلى دفاع .

فجاء السؤال الآتى فى رأس المشير عبد الحكيم عامر .. لماذا إذن ، التورط فى الأعمال التعرضية وخصوصا ، بعد أن علم المشير وأنا مضطر أن أقول « علم » بالنسبة لإحساسى ورؤيتى له ولظروف سابقة علم المشير بعدم قدرة القوات لتحقيق مثل هذه العمليات التعرضية الهجومية خاصة القوات البرية .

وقلت من قبل إنه أصدر خلال أحد المؤتمرات توجيهات بضرورة تدريب القوات على الهجوم . لأن قائد الجيش يومها قال له إن قواته لاتعلم شيئا عن موضوع الهجوم إطلاقا ؟

ولكن كيف وأين ومتى ؟ ..لا أعرف ..

وهذا حدث خلال الفترة السابقة ليوم ٢٨ مايو ..

كان لايعرف :

السؤال : هذا يؤكد أن المشير عامر دخل المعركة وهو لا يعرف كفاءة قواته ؟

الفريق فوزى .. طبعا لم يعرف إلا بعد ١٥ يوما !!

ولكن لماذا تم غلق مضيق العقبة ؟

ـــ لسبب واضح لنا جميعا فى معرفتنا بالعدو وهو أن قفل خليج العقبة هو أحد المسببات الثلاثة التى تجبر اسرائيل على بدء اعمالها الوقائية « كما سمتها » فالقائد وضع هذه النقطة بعد النقاط السابقة التى اشرت اليها وانتهى إلى الاقتناع بانه إذا كان تصميم اسرائيل على بدء الهجوم واضحا نتيجة غلق خليج العقبة فالافضل إذن ان نتبع الأسلوب الآخر وهو الدفاع .

السؤال : هل كان للاتحاد السوفييتى دور فى عملية اقناعنا بوجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا ؟.

الفريق فوزى : الاتحاد السوفيتى قدم المعلومات هو وغيره .

السؤال : هل هناك دور لبولندا ؟

الفريق فوزى : وغيرها .. أنا لا أذكر .. وكان يجب علينا ان نحلل المعلومات ونتأكد منها ونضع بدائل وعندنا الوسائل المختلفة .

ثم قال **الفريق فوزى :** ومن هنا تحول المفهوم لدى الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر كلاهما إلى ضرورة التمسك بالدفاع .

ولهذا السبب ولهذا المفهوم جاء الجدل فى اللقاء السياسى الذى تم يوم ٢ يونيو بين الرئيس عبد الناصر وبين الفريق اول صدقى محمود .

الخلل والارتباك :

ثم شيء آخر حدث .. القوات الكبيرة التى كانت موجودة فى سيناء يوم ٢٨ ويوم ٢٩ مايو .. حدث فيها خلل وارتباك ذهنى ، نتج من هذا التطوير او التغيير .. من التعرض الهجومى الى الدفاع .

تغيرات أوضاع قوات ..

وبعد ذلك حوالى ٣٠ مايو أى قبل الحرب بأربعة ايام .. نجد قائدا مسئولا .. رئيس أركان يحضر إلى القاهرة ويسأل أسئلة محرجة لرئيس هيئة العمليات ، يتضح منها أنه لا يفهم مهمة القوات كلها الموجودة فى سيناء وهو محق فى هذا .. ولم يتلق أى جواب لسبب بسيط انه ذهب لمن لا يملك الجواب .. ولا غيره ايضا كان يملك الجواب ..

المعلومات الكاذبة :

ثم انتقل الفريق فوزى الى حديث خطير عن دور المخابرات الحربية فى هزيمة قواتنا ..

قال :لقد كانت المخابرات الحربية هى موضع الثقة الأولى والأكيدة لدى المشير عبد الحكيم عامر وذلك على الرغم من أن قدرات إدارة المخابرات الحربية فى ذلك الوقت الذهنية والمادية لا تؤهلها للعمل كعنصر استطلاع لا على المستوى الاستراتيجى ولا على المستوى التعبوى .

وقد كانت المخابرات الحربية قبل يونيو ١٩٦٧ فى واجب واحد فقط اسمه « أمن القوات المسلحة » كما سبق أن شرحت ..

وأقرر للتاريخ أنه ابتداء من يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ وجميع معلومات ادارة المخابرات عن العدو كانت خاطئة ومضللة !!

وهنا يجب أن نلاحظ ملاحظة هامة :

إن تقرير المخابرات الحربية موضع الثقة الكاملة من المشير يقول فى ٢ يونيو إن اسرائيل لن تهجم .. هذا فى نفس الوقت الذى كان فيه تحذير من الرئيس جمال عبد الناصر على أن الهجوم سيتم !!

مهمة فى موسكو :

وفاتنى أن أذكر أنه قبل اجتماع يوم الجمعة ٢ يونيو كان الوزير شمس بدران قد كلف بمهمة للسفر الى موسكو فى الاسبوع الاخير من شهر مايو ومعه وكيل وزارة الخارجية فى ذلك الوقت السيد احمد حسن الفقى ، انضم اليهما فى موسكو سفيرنا الدكتور مراد غالب وتم لقاء كالمعتاد الهدف هو دعم جديد لأسلحة القوات المسلحة لمهمة انتهت سريعا مثل باقى المهام الاخرى واثناء عودة الوزير شمس كان وزير الدفاع جريتشكو يودعه .. حصلت لفتة تقليدية بكلمة مجاملة خبط على كتفه للمجاملة وشدوا حيلكم احنا وياكم .. حاجة من هذا القبيل ..

وعاد الوزير شمس ومعه زميله وكيل وزارة الخارجية ومعهما المظروف الذى به محضر اجتماع الجلسة .. الوزير شمس بدران اتجه رأسا من المطار إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال له جملة .. ما معناه إن الحكومة السوفيتية والقوات المسلحة السوفيتية معنا ..

لقد فهم شمس هذا من اللمحة العاطفية التقليدية .. لمحة المجاملة التى جاءت من وزير الدفاع فى التوديع فى المطار .. هذه الكلمة .. هذه الجملة خدعت بعض الشىء فى الفكر أوالذهن لدى الرئيس جمال عبد الناصر وكان رد فعلها هو تشديد الإعلام فقط .. الإعلام يعنى كان ساعتها وراها فيه خطبة للرئيس عبد الناصر مع أحد التجمعات الشعبية .. فالخط الإعلامى زاد فى لهجته نتيجة لتأثير هذه الجملة ..

ثم اتضح بعد ذلك أن الظرف الرسمى الذى يحتوى جلسة موسكو لم يطلع عليه الرئيس جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو سنة ١٩٦٧ .

لم يقرأه جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو الظرف فضل مقفول .. واتسلم من وكيل الوزارة احمد حسن الفقى لمكتب جمال عبد الناصر وفيه محضر جلسات الوزير شمس مع القيادة السوفيتية ومكتوب على الظرف « عاجل جدا ويسلم » ولم يفتح الظرف . ولما فتح الظرف وقرىء لم يوجد فى المحضر الرسمى أى اشارة سياسية اومعنوية اوادبية عن المساعدة او التأييد فى الصراع اللى حاصل فى ذلك الوقت إطلاقا .. كله كلام على التسليح حتاخدوا كذا حيدونا كذا .. حاجة زى كده ..

وأقول هذا للتدليل على الارتجال الشفوى غير الدقيق وتأثيره على الذهن وعلى الفكر .

السؤال : والقرارات ايضا ؟

الفريق فوزى : « ثم دعى مجلس الوزراء الى الاجتماع .. وحضر الوزير شمس بدران وكان فيه تساؤل عن احتمال دخول امريكا مع اسرائيل كمساعدة مباشرة فى الصراع اللى موجود وخاصة أن الاسطول السادس موجود فى البحر الابيض .. رد شمس على الوزراء ردا تهكميا اسقط النقاش .. اسقط النقاش يعنى الترجمة اللى وصلت لى منقولة عن هذه الحالة أنه « اوقف النقاش .. » يعنى معناها إيه هوه « الاسطول السادس » ؟ يعنى يطلع ايه الاسطول السادس ؟ وذكر التفصيل .. وقال : داه احنا بطيارتين تى ١٦ اس وزورقين لنشات صواريخ قال نعمل مش عارف ايه ..

وهكذا توقفت المناقشة فى مجلس الوزراء . وهذه يمكن أن نضعها تحت عنوان المبالغة المضللة فى قدرتنا العسكرية بالنسبة للحقيقة تشابها مع الخط الإعلامى عن القوات المسلحة .

وبعد .. إن شهادة الفريق فوزى للتاريخ تتضمن عديدا من المعلومات الخطيرة التى استرسل فيها امام لجنة كتابة التاريخ .. ولا يتسع لها مجال هذا الكتاب .. وخلاصتها عبارة واحدة ..

الهزيمة سببها .. الفوضى .. والارتجال وانعدام الخطة .. وغياب ، القيادة .. والتهريج السياسى الذى لم يقدر العواقب .

الشهادة الثانية من قائد القوات الجوية بعد الهزيمة :
« لولا طرد الخبراء الروس لما تحقق نصر أكتوبر »

وتلقيت شهادة مكتوبة مطولة من الفريق مدكور ابو العز الذى عين بعد حرب ٦٧ (فى ١١ يونيه) قائداً عاما للقوات الجوية والدفاع الجوى .. ومن رأيه أن الاتحاد السوفيتى هو أحد الأسباب الرئيسية لهزيمتنا فى ١٩٦٧ .. وانه لولا قرار السادات بطرد الخبراء الروس وقراره بتنويع مصادر السلاح بحيث لا يكون الاعتماد على الاتحاد السوفيتى وحده .. لما تحقق نصر اكتوبر المجيد ..

وإنى أختصر شهادته المطولة فى السطور التالية :-

(١) نشأ جو الحرب فى مصر بسبب معلومات كاذبة قدمها السوفييت إلى مصر بأن هناك حشودا عسكرية اسرائيلية على حدود سوريا . وهذا موقف ممتد من الروس تبعه طلب السفير السوفيتى مقابلة الرئيس عبد الناصر فى الثالثة صباحا وطلب اليه ضبط النفس والتأكيد من أن مصر لن تبدأ بالهجوم .

(٢) من المؤكد أن الاتحاد السوفيتى بأقماره الصناعية وبأجهزته التى تستكشف داخل اسرائيل كان يعلم أن اسرائيل أعدت للحرب والهجوم . فكيف يبلغ الاتحاد السوفيتى مصر عن حشود على سوريا لا وجود لها ! ولا يبلغ مصر عن حشود حقيقية للهجوم على مصر صباح ٥ يونيو .

(٣) ان الاتحاد السوفيتى يعلم اننا لن نحتمل الضربة الأولى لان مطاراتنا كانت محدودة العدد مما تسبب عنه اكتظاظ الطائرات بها فيسهل على العدو مهاجمتها فى وقت واحد دون عناء كبير ودون حاجة لعدد كبير من الطائرات لتدميرها . كما أن اجهزة الرادار المتاحة لدينا فى ذلك الوقت ـ وهى الوسيلة الوحيدة التى تنبىء عن أى هجوم جوى معاد فى وقت مبكر كانت محدودة العمل . فهى غير كافية لكى تغطى مواجهة فى المناطق الجوية . وهى قصيرة المدى لا تكشف الطيران المعادى إلا فى وقت متأخر . وقدرتها على الكشف الرأسى لا يغطى الارتفاعات المنخفضة . وهى غير مجهزة بالاجهزة المضادة للتشويش .

وهكذا تمكنت اسرائيل من ضرب الطائرات والمنشآت والطائرات على الارض .. وبقيت قواتنا المسلحة عارية دون غطاء جوى .

وهذا يؤكد تواطؤ الاتحاد السوفيتى فى هزيمة يونيو .

ويضرب الفريق مدكور أبو العز أمثلة عديدة وقعت وهو فى موقع المسئولية الأولى كقائد للقوات الجوية والدفاع الجوى بعد هزيمة يونيو وهى من تعامله مع القادة السوفييت ومن ذلك :-

(١) لم يكن للقيادة المصرية رأى فى تحديد نوع السلاح الذى تزود به أو كميته . كان ذلك متروكا للاتحاد السوفيتى محتكر السلاح . يعطى ما يشاء وبأى قدر وفى الوقت الذى يشاء .

(٢) جميع طائراتنا المقاتلة كانت ذات مدى قصير لا يغطى الأهداف الحيوية للعدو .

(٣) الطائرات القاذفة ذات المدى الطويل كانت بطيئة السرعة يسهل اصطيادها بوسائل الدفاع الجوى للعدو . وقد رفض السوفييت تزويد هذه الطائرات بصواريخ جو - أرض بعيدة المدى التى تمكن هذه الطائرات من اصابة أهدافها دون أن تتعرض إلى دفاعات العدو .

(٤) رفض المارشال زخاروف رئيس اركان حرب القوات المسلحة السوفيتية تزويدنا بهذه الطائرات بحجة أنهم لا يصنعونها.

(٥) قال له الجنرال استافستكى نائب قائد الدفاع الجوى السوفيتى ، أن الاتحاد السوفيتى دولة عظمى ولديه كل شيء ... ولكنه يرفض إعطاءها لمصر حتى لا تقع فى يد العدو . وكان رد الفريق مدكور أبو العز أن هذه حجة مرفوضة لأن اسلحة من العدو تقع فى ايدينا . كما أن هذه الطائرات لن تستخدم فى حرب عالمية .

وكان إصرار السوفيت فى كل المباحثات العسكرية أننا يجب أن نأخذ موقعا دفاعيا فقط وما لدينا يكفى . وقال الضباط السوفييت فى اجتماع رسمى للضباط المصريين : ولماذا تريدون طائرات مقاتلة طويلة المدى ..؟

اتركوا اسرائيل تعيش . وكأن اسرائيل لم تكن مستعدة لضربنا فى العمق .

زعم المارشال زخاروف فى جلسة مباحثات أن الطائرات التى لدينا قادرة على الوصول إلى عمق إسرائيل .. وتصدى له مدكور أبو العز وطلب تأليف لجنة فنية للتحقق من ذلك واتضح أن أقوال المارشال زخاروف غير صحيحة . وأثبت ذلك رسميا فى جلسة المباحثات .

(٦)بعد هزيمة يونيو وفى ظل إعادة البناء من جديد رفض السوفييت ، تزويدنا بأسلحة للدفاع عن الطائرات ضد الهجوم الجوى المعادى المنخفض مثل مدافع هذه الطائرات وصواريخ خفيفة أرض جو : ورفضوا إعطاءنا نماذج تصميم دشم الطائرات لايوائها ووقايتها . ولما سألناهم ماذا تفعلون لحماية طائراتكم على الأرض : قالوا « احفروا فى الأرض وغطوها بالخيش المموه » !.. واستطاع المصريون القيام بهذه التصميمات وتنفيذها .

ثم قال الفريق مدكور أبو العز فى بيانه الخطير :

إن سياسة الاتحاد السوفيتى فى تمويل الطائرات بقطع الغيار كانت ترمى إلى خنق القوات الجوية وإحجازها اذا ما تدهور الموقف السياسى بهدف اخضاعنا لما يريدون والتحكم فيه . لقد كانوا يكثرون من قطع الغيار التى لا تستهلك عادة . ويقللون من قطع الغيار الهامة التى تستهلك بسرعة وكان تزويد الطائرات بالقطع الهامة يأخذ وقتا طويلا ..وعندما صدمهم الموقف المصرى من عدم تأييد الانقلاب الشيوعى فى السودان ، امتنع الاتحاد السوفيتى عن إمدادنا بكاوتش عجلات لنوع من الطائرات .. كان الاحتياطى منه فى مخازننا لا يتعدى أصابع اليد .

ومعنى عدم توافر إطارات لعجل الطائرات بقاء الطائرات على الأرض . وهذا النوع من الطائرات كان عدده ضخما (عدة اسراب) ومن المستحيل أن تطير طائرة بدون اطارات .

ثم امتنعوا بعد ذلك عن تزويدنا بقطع غيار أخرى . وحرضوا الهند على عدم تزويدنا بها .

ويضيف الفريق مدكور أبو العز فى بيانه أسبابا أخرى تؤكد تواطؤ الاتحاد السوفيتى منها :

١ - إصرار السوفييت على إجراء عمرات محركات الطائرات فى الاتحاد السوفيتى حتى نكون تحت رحمتهم . مع أن الدول الأخرى التى اشترينا منها الطائرات زودتنا بورش عمره .

٢ - رفض تزويد مصانعنا الحربية بنوع من البدره لغاز الصواريخ التى تستخدمها الطائرات وذلك بعد الهزيمة مباشرة .. والسبب .. هو تعجيزنا عن صناعة هذه الصواريخ وحتمية اللجوء اليهم .

٣ - وضع الاتحاد السوفيتى العراقيل أمام تدريب الطيارين المصريين فى الوقت القصير الذى نريده لمواجهة العدو لتحرير الأرض . وأصروا ، على إجراء التدريب فى الاتحاد السوفيتى وعلى مدد طويلة .. ولما عادوا من هذا التدريب كانوا متوسطى الكفاءة لقلة عدد الطلعات ، وتعمد السوفييت ذلك .

٤ - الخبراء السوفييت الذين كانوا مكلفين بتدريب طيارينا فى مصر كانوا على مستوى ضعيف وقد اصطدم طياران سوفيتيان بالأرض عند هبوطهما بطائرة انتيوف ١٢ فى مطار الماظه .

ثم اخيرا .. ماذا فعل السوفييت .. طلبوا إبعاد القيادات العسكرية المصرية عن قواتها.. وتم بناء على طلب السوفييت إبعاد الفريق مدكور أبو العز القائد العام للقوات الجوية وعشرين قائدا من رتبة اللواء طيار والعميد طيار .

الفصل السادس عشر :

قضية السلام

١ - رسالة موسكو أثناء إعلان عبد الناصر التنحي ــ أزمة بسبب سطور محمد التابعي ــ عدم الهجوم على الشرق أو الغرب ــ بيان ٣٠ مارس ــ المحاكمات وفساد الحكم ــ هيكل رسول عبد الناصر لدى الغرب ــ اتصال السادات بنيكسون ــ كسينجر يقول : مصر المهزومة تطالب بشروط ــ السادات يستعد في صمت للحرب ــ وقف إطلاق النار ــ اتصالات سوريا بموسكو دون علم السادات ــ بدء مباحثات السلام .

٢ - فض الاشتباك الأول :
تكليف الجمصي بمقابلة الجانب الإسرائيلي ــ أول جلسة مع الجانب الإسرائيلي ــ انتقال المباحثات بعد ٣ اجتماعات إلى الكيلو ١٠١ ــ الجمصي لا يذكر إسمه ــ خط ٢٢ أكتوبر ــ تموين الجيش الثالث وموقف الأسرى الإسرائيليين ــ الاتصال مستمر مع اللواء أحمد بدوى ــ اعلان النقاط الست بعد وصول كسينجر ــ اصطلاح كسينجرى غير مفهوم ــ رفض اقتراح إسرائيلي بإجراء التفاوض بين كسينجر والجمصي في حضور إسماعيل فهمي ــ السادات يقنع الجمسي ــ التأمين ضد أي غدر إسرائيلي ــ مؤتمر جنيف .

٣ - التفكير في زيارة إسرائيل :
رسالة سرية إلى السادات مع مبعوث خاص ــ إسماعيل فهمي في أمريكا ــ إسرائيل ترفض البيان الأمريكي السوفيتي ــ تراجع كارتر ــ رسالة منه إلى السادات بتجميد الموقف ــ السادات في رومانيا ــ أول تفكير في زيارة اسرائيل ــ اقتراح بديل من إسماعيل فهمي وأسامة الباز ــ السادات يوافق ويشك في إمكانية عقد مؤتمر دولي ــ إخطار كارتر بواسطة سفير أمريكا في رومانيا ــ كارتر يرفض ــ السادات يصرح بفكرة الاتصال المباشر بإسرائيل في اجتماع مجلس الأمن القومي ــ الأسباب الموضوعية والداخلية لاتخاذ السادات لقراره دون إخطار الدول العربية باستثناء سوريا ــ قرار باعتقال السادات في دمشق ــ إعداد خطاب السادات في الكنيست الإسرائيلي ــ خطاب من الملك خالد ــ رد الرئيس السادات ــ خطاب ثان من الملك خالد ــ رد الرئيس السادات ــ زيارة القدس ــ ترجمة خطاب السادات وطلب الحصول على نسخة من التوراة ــ صدى سيىء في نفوسنا لخطاب بيجن ــ اجتماع السادات بالمجموعات البرلمانية في الكنيست ــ استقالة إسماعيل فهمي ــ بدأت المفاوضات في فندق الملك داود ــ بيجن يعرض مسودة اتفاق ــ لقاءات حسن التهامي السرية مع ديان في المغرب ــ اجتماعات مينا هاوس .

٤ - بعد رحلة القدس :
كمال حسن علي في لندن وواشنطن ــ السادات لم يتوقع التأييد العالمي الجارف

ــ بدأت إجراءات الاتصالات المباشرة مع إسرائيل ــ اجتماع عصمت عبد المجيد بسفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة في بيت سفير هولندا ــ اجتماعات مينا هاوس ــ صدمة عصبية لصحفي إسرائيلي ــ مواجهة قاسية بين الوفدين المصري والإسرائيلي ــ دعوة بيجن لزيارة الاسماعيلية ــ صدام بين عصمت عبد المجيد وبيجن ــ تدخل القاضي الإسرائيلي براك ــ فشل المباحثات ــ رحلة ابراهيم كامل للقدس ــ السادات يقرر عودة الوفد المصري فورا ــ تجربة شخصية مع بيجن ومع رئيس تحرير صحيفة ها آرتس .

٥ - مباحثات جاناكليس :

وايزمان في القاهرة ــ أول لقاء مع الجمصي في جاناكليس ــ طلب الاحتفاظ بالمستوطنات ــ تقييم الجمصي لشخصية وايزمان ــ وقف الاجتماعات ــ الجمصي في واشنطن .

٦ - ماذا جرى في كامب ديفيد :

اجتماع يوليو في « ليدز كاسل » بانجلترا ــ أسامة الباز يحدد الموقف العربي ورؤية مصر للصراع العربي الاسرائيلي ــ لا نتائج ــ ساندرز مساعد وزير الخارجية الامريكية يضع عناصر اقتراح امريكي لتسوية شاملة ــ قرار كارتر بعقد مؤتمرات كامب ديفيد ــ السادات يضع خطة تنفذ اذا فشلت مباحثات كامب ديفيد ــ ديستان يوافق ــ اول صدام بين السادات وبيجن امام كارتر ــ السادات يقدم المشروع المصري ــ لقاءات ثنائية يعقدها كارتر ــ قرار السادات بالانسحاب من كامب ديفيد ــ قصة الازمة ــ ديان رجل كذاب ــ مشادة عنيفة بين السادات وديان ــ السادات أبلغ قراره لفانس ــ كارتر يتدخل ويطلب فرصة ٣ أيام ــ السادات يختار اسامة الباز للتحدث باسمه في اجتماع كارتر الثلاثي ــ الاجتماع يستمر ١٤ ساعة و٢٠ دقيقة ــ أزمة عنيفة بين كارتر وأسامة الباز ــ السادات يناور كارتر ــ صياغة جديدة ــ كارتر يعد خطابين أمام الكونجرس .. في حالة النجاح وفي حالة الفشل . انتهت الازمات في اللحظات الاخيرة من استقالة محمد ابراهيم ــ السادات يستفيد من الاستقالة في الضغط على الجانب الامريكي ــ اتصال الملك حسين بالسادات في كامب ديفيد ــ موقف مفاجيء من ملك المغرب .

٧ - مباحثات بلير هاوس وماديسون :

تكليف كمال حسن علي برياسة وفد التفاوض ــ توجيه السادات له ــ أهداف المفاوض المصري ــ حسني مبارك يحمل رسالة الى كارتر ــ مصطفى خليل في واشنطن ــ اجتماع بروكسل ــ كامب ديفيد اخرى بين مصطفى خليل وديان ــ لماذا فشلت مباحثات بلير هاوس ؟ ــ كمال حسن علي قطع المفاوضات ــ أعنف مشادة بين اسامة الباز وديان ..

٨ - مباحثات بروكسل :

نص التقرير السري الذي قدمه الدكتور مصطفى خليل الى الرئيس السادات عن مباحثاته في بروكسل مع موشي ديان ، بحضور سيروز فانس وزير خارجية امريكا (٢٣ و٢٤ ديسمبر ١٩٧٨) .

٩ - تمهيد لخطوة اخرى بعد بروكسل :
خطاب من مصطفى خليل الى سيروز فانس يقترح فيه الخطوه التالية التى يجب ان تخطوها امريكا ــ مصطفى خليل يسجل فى خطابه المواقف المصرية التى ابدتها امريكا ــ نص الخطاب (يناير ١٩٧٩)

١٠ - كامب ديفيد مرة اخرى :
مذكرة من فانس الى السادات ــ اعتراض مصطفى خليل على بعض النصوص ــ الاتفاق على الاجتماع فى كامب ديفيد ــ أزمة مصطفى خليل مع بيجن ــ مصطفى خليل ينهى المفاوضات ويعود الى مصر ــ نص تقرير مصطفى خليل الى الرئيس السادات (من ٢٠ الى ٢٥ فبراير ١٩٧٥) ..

١١ - وتم توقيع المعاهدة :
حضور بيجن الى مصر ــ الاعتذار لمصطفى خليل ــ استمر الخلاف ــ كارتر يحضر الى مصر لتسوية الخلاف ــ الاتفاق فى مطار القاهرة ــ كارتر يتصل ببيجن ــ اعتراض مصطفى خليل ــ توقيع المعاهدة ــ ازمة سببها اتفاق امريكى اسرائيلى يحتج عليه مصطفى خليل ــ السادات يقول لمصطفى خليل « عفارم عليك » .

١٢ - أزمة البترول :
خطاب من كارتر الى بيجن لا تعترف به مصر ــ حوار عنيف مع وزير الطاقة الاسرائيلى ــ أخذ ورد يستمر ٣ أشهر ــ أزمة بين مصطفى خليل ووايزمان ــ خليل يرفض لقاء وايزمان ويتهمه بالإيقاع بينه وبين السادات ــ تهديد اسرائيلى بعدم الانسحاب من منطقة البترول .

١٣ - حكاية مياه النيل :
الحديث عن مياه النيل بدأ فى حيفا ــ عدول السادات بعد عرض الموضوع فى اجتماع المكتب السياسى ــ استغلال المعارضة للموقف
ــ ماذا قال السادات لرؤساء تحرير الصحف عن موضوع مياه النيل ؟
ــ القدس مقابل الماء .

١٤ - .. وفشلت مباحثات الحكم الذاتى :
خطاب من السادات الى بيجن عن الاجراءات غير الشرعية التى يتخذها لوضع العقبات وتسميم الاجواء ــ سلبية الموقف الامريكى ــ نص خطاب السادات الى بيجن ــ التركيز على موضوع القدس فى الاسكندرية وحيفا واسوان ــ احتجاج عنيف على اجراءات اسرائيل فى القدس ــ السادات يقول لبيجن : ننصحك الا تحارب معركة خاسرة ــ استحالة الاستمرار فى التفاوض اذا استمر مسلك بيجن .

١٥ - أزمة سموم الافاعى :
مقال لى بعنوان سموم الافاعى يثير ازمة ــ الوفد الاسرائيلى يهدد بقطع المفاوضات فى الاسكندرية ــ رد عنيف من مصطفى خليل ــ الأزمة فى صحافة العالم واذاعات العالم ــ السادات لا يهتم .

الفصل السادس عشر

« قضية السلام »

١

عندما كان جمال عبد الناصر يعلن خطاب تنحيته أمام التليفزيون بعد هزيمة ١٩٦٧ ، تلقى خلال الخطاب ، إشارة مكتوبة عاجلة من الإتحاد السوفيتى ، تطالبه بعدم التنحى ، وتعلن استعداد موسكو لكل مساعدة له .

وبالرغم مما قيل ، من أن تنحى عبد الناصر بعد الهزيمة وإعلانه أنه يتحمل كل المسئولية كان تكتيكا سياسيا مدبرا ، لأن الأناشيد الوطنية أذيعت بعد خطابه مباشرة .. كما خرجت تنظيمات الإتحاد الإشتراكى فى مظاهرات ليلية تطالبه بالبقاء ، بالرغم من ذلك ، فإن الشعور الشعبى العام ، كان يؤيد بقاء عبد الناصر ، فلم يكن أحد من الشعب ليعرف حجم الهزيمة المرة ، أو أسبابها الخطيرة ، ولم يكن أحد يعرف أننا فقدنا سلاح الطيران المصرى ، وأن الحرب انتهت فى ست ساعات . كانت كل البلاغات العسكرية كاذبة ومزورة ، الحلقة الضيقة جدا حول عبد الناصر كانت تعرف الحقيقة الدامية ، ومدى خطورة الكارثة ، وقليلون ممن كانوا يستمعون إلى الإذاعات الخارجية كانوا يعرفون بعض الحقيقة ، وإن كانوا يتشككون فى مبالغات إسرائيل .

وفى اليوم التالى للتنحى ، كانت المظاهرات العمالية تملأ شوارع القاهرة واجتمع مجلس الأمة برياسة أنور السادات الذى كان متحمسا بكل مشاعره لإستمرار عبد الناصر ، وكان من رأى السادات أن جميع لافتات الثورة قد سقطت بهذه الهزيمة المنكرة ولم يبق إلا ثقة الجماهير بشخص عبد الناصر وقيادته ، وأن ذهاب عبد الناصر معناه انتهاء كل شىء ، وقد تعم الفوضى ، ولا أحد يدرى ماهى العواقب ، واتخذ مجلس الأمة قرارا برفض تنحى عبد الناصر ومطالبته بالعدول واتصل به أنور السادات ، وأبلغه هذا القرار ، ثم أبلغ عبد الناصر السادات بعدوله ، وأعلن السادات ذلك فى مجلس الأمة ، ورقص أحد النواب طربا لذلك فى الوقت الذى كانت أرض سيناء مغطاة بآلاف من جثث الشهداء !!!

ن من مصلحة الإتحاد السوفيتي الإبقاء على عبد الناصر ، ووعدوا بتعويض مصر عما فقدته من أسلحة ضخمة ، استولى الجيش الإسرائيلي على جزء كبير منها ، وكانت الدولة في حالة ارتباك شامل .

أذكر أن الكاتب الكبير المرحوم محمد التابعي كتب سطورا في الأخبار يوجه فيها اللوم للإتحاد السوفيتي الذى خاننا ويحمله أسباب الهزيمة ، وكان هيكل في ذلك الوقت رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم واتصل بي وسأل عن مقال التابعي وقرأته له ، وحذف منه عبارات كثيرة فيها هجوم على السوفييت ، ومع ذلك فإن الإتحاد السوفيتي آثار أزمة بسبب هذا المقال وأذكر — في المقابل — أن محمد فائق وزير الإعلام اتصل بي وقال لي إن المصلحة الوطنية تقتضى أن نهاجم الدول الغربية التي ساعدت إسرائيل ، وضرب لي مثلا بموقف الحكومة الإيطالية التي ساعدت إسرائيل عسكريا بتطوير بعض أنواع الأسلحة في مصانعها ، وقدم لي معلومات عن هذه الواقعة ، وكتبت مقالا هاجمت فيه الحكومة الإيطالية وثار عبد الناصر بسبب هذا المقال ولم يكن يعرف أن وزير الإعلام هو الذى أمدني بمعلومات المقال وأبلغ هيكل عبد الناصر بهذه الحقيقة .

خلاصة القول ، أن الدولة كانت في ارتباك كامل — وحدد عبد الناصر اتجاها جديدا هو عدم الهجوم على الشرق أو الغرب .

وبدأ تفكير عبد الناصر بعد ذلك — بالنسبة للداخل ، في وسائل امتصاص الآثار النفسية للهزيمة المنكرة على الجماهير وخاصة بعد مظاهرات طلبة الجامعات واعتصام طلبة بعض الكليات والشعارات العنيفة التي أعلنت ضد عبد الناصر وضد الثورة والمطالبة الملتهبة بالحرية .

وبذل أنور السادات مجهودا ضخما ليل نهار في محاولات احتواء آثار هذا الموقف في الجامعات ودعا الطلبة المعتصمين إلى اجتماع عقد في التاسعة من المساء بقاعة مجلس الشيوخ (الشورى الآن) ولكن الاجتماع انتهى إلى الفشل الكامل وكانت المطالبة بالحرية هي شعار الطلبة .

ولكن عبد الناصر استطاع السيطرة الداخلية على الموقف . وكان الإستفتاء الشعبي على ماسمى ببيان ٣٠ مارس وهو وعود بالديمقراطية عندما تنتهى آثار العدوان ، وكانت محاكمة قائد الطيران الذى كان كبش الفداء ثم محاكمات قضية المؤامرة وكان المتهمون الأول فيها شمس بدران وزير الحربية السابق وصلاح نصر رئيس المخابرات السابق ، وكشفت هذه المحاكمات عن الفساد الداخلي في أجهزة الحكم ، عبر الصراع العنيف على السلطة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أقرب

الناس إليه الذى كان قد انتحر بعد القبض عليه لتدبيره محاولة انقلاب اعتمادا على شعبيته فى الجيش . وظهر من أقوال صلاح نصر فى التحقيق والمحاكمة السرية لأول مرة أنه كان هناك اتصال مستمر بين مصر وأمريكا عن طريق ممثل المخابرات الأمريكية فى مصر وكان يقيم فى القاهرة .

ومات عبد الناصر بعد أن كان قد وجه نداء فى خطاب علنى إلى الرئيس الأمريكى نيكسون بأن تحدد أمريكا موقفها .. وبعد أن كان قد أعلن قبوله لمشروع روجرز .. إثر مباحثات فاشلة له مع زعماء الكرملين فى موسكو ..

وكان عبد الناصر يجرى اتصالات سرية مستمرة مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان رسوله فى هذه الاتصالات محمد حسنين هيكل ولم يكن أنور السادات حتى بعد تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية ليدرى شيئا عن هذه الاتصالات ، ولكن السادات كان على يقين تام بأن عبد الناصر يتحين الفرصة للاتجاه إلى الغرب ، وخاصة بعد غضب عبد الناصر لأن السادات اتخذ قرارا فى الاتحاد الاشتراكى برفض مبادرة روجرز بينما كان عبد الناصر يعلن لزعماء الكرملين قبوله للمبادرة وهو فى موسكو ولم تكن أمريكا مستعدة لمعاونة عبد الناصر كما نشأت فكرة إجراء اتصالات بين عبد الناصر وإسرائيل ولكن عبد الناصر كان يخشى الاجتماع مع أى من القيادات الإسرائيلية حتى لا يفقد شعبيته فى العالم العربى ، وقام بعدد من الاتصالات مع المصادر الإسرائيلية كل من ثروت عكاشة عندما كان سفيراً فى فرنسا والصحفى أحمد حمروش .

وهكذا تولى أنور السادات المسئولية الأولى وهو يواجه موقفا بالغ الصعوبة فى علاقات مصر بالشرق والغرب ، وفى الطريق المسدود لإنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأرض المصرية فى سيناء .

وعندما حضر مبعوث أمريكى للمشاركة فى تشييع جنازة عبد الناصر اجتمع به الرئيس السادات وكان مجمل ماقاله له أنه يريد مباحثات مصرية أمريكية بعقل مفتوح وقلب مفتوح .(١)

وعندما تلقى السادات برقية تهنئة بعيد ميلاده أرسلت إلى وزارة الخارجية المصرية على لسان الرئيس الأمريكى نيكسون ، انتهز السادات هذه الفرصة لكى يبدأ اتصالاته مع واشنطن أساسها تبادل حسن النوايا .

---

(١) تفصيلات ذلك فى الفصل الثانى والعشرين .

وكان الخط السياسى الذى أراده السادات هو أن يؤكد أن الشعب المصرى يريد الحرب لأنه لا سبيل إلا الحرب مادامت أبواب السلام موصدة وحرص السادات أن يعلن ذلك شعبيا فى أول خطاب جماهيرى له عندما سافر إلى طنطا لأول مرة وسأل الجماهير التى استقبلته أحسن استقبال فى خطابه . هل تريدون الاستسلام ؟ وعلت الأصوات . لا . هل تريدون القتال دفاعا عن التراب المقدس ، وعلت الأصوات .. نعم ..

واستمرت الاتصالات بأمريكا بواسطة السادات مباشرة وبواسطة محمد حسنين هيكل مكلفاً من السادات مع ممثل رعاية المصالح الأمريكية فى مصر « بيرجسن » فقد كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة .

وحضر روجرز وزير الخارجية الأمريكية إلى القاهرة واجتمع به السادات ، ولم يجد روجرز شيئا يعيب به موقف مصر ، التى قبلت المبادرة وقال روجرز للسادات أنه لا يستطيع أن يطلب من مصر شيئا . وغادر روجرز القاهرة بأطيب المشاعر عن تحضر الشعب المصرى عندما حياه بعض الأفراد ، فى الطريق أمام الفندق ، بكل المودة ، رغم الموقف الأمريكى المساند لإسرائيل وعبر عن ذلك لأنور السادات .

وانتقلت الكرة إلى اسرائيل التى أفشلت المبادرة كما أفشلت مباحثات « يارنج » مبعوث الأمم المتحدة . وقد أظهر السادات فى مناسبات خاصة عديدة بعد ذلك عدم احترامه لروجرز لأنه تراجع بأسلوب مخجل أمام الضغط الصهيونى وأدلى بتصريحات اعتبرها السادات مهينة له إذا كان يحترم نفسه .

وأسفر اللقاءان السريان اللذان تم تدبيرهما بين حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى للرئيس وهنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الأمن القومى عن لا شىء . وكانت خلاصة أقوال كيسنجر أن السادات يطالب بشروط المنتصر وينسى أن مصر مهزومة .

وكان السادات يتبادل الرسائل مع جميع رؤساء حكومات العالم لكى يشرح الموقف المصرى المطالب بالسلام ويحمل العالم كله مسئولية الاضطرار إلى الحرب وسفك الدماء .

ولكن السادات خلال ذلك كله كان يستعد للحرب فعلا استعدادا جادا وقد لاقى الأمرين فى سبيل الحصول على الأسلحة المتطورة من الإتحاد السوفيتى وواجه فى سبيل ذلك عنتا وإرهاقا فوق طاقة البشر . وكان يلاقى فى أول أشهر حكمه ضغطا عنيفا من مراكز القوى التى كانت ترتدى ثوب الناصرية للتعجيل بالحرب رغم أنهم كانوا

يعلمون أننا لم نستكمل الاستعداد العسكرى لحماية الصعيد ، وكانت إسرائيل تهدد بضرب السد العالى وإغراق مصر .

ولكن السادات لم يهتم بضغط مراكز القوى وأعلن رسميا أنه لن يسمح بالتفريط فى حياة جندى واحد مالم نستكمل الاستعداد العسكرى المتطور .

وأعاد السادات إلى القوات المسلحة عددا من القيادات التى كانت قد أحيلت إلى الاستيداع أو اعتقلت فى حياة عبد الناصر وعين الفريق أحمد إسماعيل وزيرا للدفاع وقائدا عاما للقوات المسلحة ، وأقال وزير الدفاع الأسبق الفريق أحمد صادق رغم دوره الإيجابى خلال محاولة انقلاب ١٥ مايو لأنه كان يشيع فى وحدات القوات المسلحة أننا غير قادرين على الحرب ، وتلقى السادات أكثر من تقرير بذلك . كما زار عدد من ضباط الجيش ، محمد عبد السلام الزيات أقرب مسئول إلى السادات حينئذ فى منزله وأبلغوه بما كان يردده الفريق صادق .

وكان السادات يشرف على الإستعداد العسكرى خطوة بخطوة ويوما بيوم وزار جميع وحدات القوات المسلحة أكثر من مرة . وكان يباشر الخطط العسكرية على الطبيعة . وكان النهج الذى اتفق عليه مع أحمد إسماعيل هو أن كل قائد فى موقعه يشارك فى وضع الخطة ويبحث مدى إمكانياته ويصارح بما يستطيع تنفيذه ومالا يستطيع .

وقد استكملت معدات كثيرة وتم تطويرها بأجهزة متقدمة من دول غربية بينها فرنسا وانجلترا .

وكان كل ذلك يجرى فى صمت رغم الدعاوات التى أطلقها الشيوعيون والناصريون فى الداخل أن السادات يستعد للاستسلام وأن الحديث عن الحرب هو مجرد « كلام » للاستهلاك المحلى والعربى .

إننى لا أريد أن أستطرد فى حديث الحرب .. ولكن هذه السطور هى مقدمة سريعة لحديث السلام بعد أن هدأت المدافع فى حرب أكتوبر .

لقد رفض السادات وقف إطلاق النار عندما طلبه الإتحاد السوفيتى بناء على اتفاق سرى مسبق بين موسكو ودمشق فى اليوم التالى للقتال . ولم يصدق السادات موسكو لأن حافظ الأسد أبلغه بأن ذلك غير صحيح . وتأكد إسماعيل فهمى وزير الخارجية من صحة ما أبلغه السوفييت للقاهرة ، فقد أطلعه السوفيت فى موسكو على الوثائق المثبتة للطلب السورى .

كما رفض السادات وقف إطلاق النار عندما أبلغه به السفير البريطانى عند الفجر عندما نقل إليه رسالة عاجلة جدا من رئيس وزراء بريطانيا الذى لجأ إليه كيسنجر وزير

الخارجية الأمريكى لكى يتصل بالرئيس السادات لأن العلاقات كانت مقطوعة بين مصر وأمريكا .

ولكن السادات اضطر إلى قبول وقف إطلاق النار[1] بعد التدفق العسكرى الأمريكى إلى أرض سيناء مباشرة وبعد أن وجد نفسه أنه فى مواجهة عسكرية مباشرة مع أمريكا لا مع إسرائيل وكانت الثغرة قد اتسعت ووصلت قوات إسرائيلية إلى مشارف السويس .

وكان هذا الموقف فى قمة الشجاعة من الرئيس السادات .

وكان السادات يعرف أن إسرائيل لن تحترم وقف إطلاق النار . وفى آخر الدقائق المحددة لوقف إطلاق النار تحولت أرض المعركة إلى قطعة من جهنم من إطلاق الصواريخ المصرية بعيدة المدى .

وبعث السادات برسالة إلى حافظ الأسد بذلك .

وكانت سوريا تريد أن تستمر بعد أن تلقت إمدادات ضخمة من المدرعات من الإتحاد السوفيتى .

ولكن سوريا كانت قد خسرت المعركة من اليوم الثانى .

المهم .. أن مباحثات السلام .. بدأت بعد ذلك ..

فماذا جرى ؟ ..

---

(١) روى لى الدكتور عبد العزيز حجازى نائب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت أنه فى يوم إعلان السادات موافقته على وقف إطلاق النار ، طلب من الدكتور عبد القادر حاتم وحجازى وممدوح سالم وحافظ إسماعيل ورئيس المخابرات العامة ، الاجتماع لمناقشة الموقف بعد تغلغل الثغرة . واستمر النقاش طويلا حتى ساعة متأخرة من الليل . واقترح رئيس المخابرات نقل العاصمة إلى أسيوط . ورأى ممدوح سالم أن تقوم المقاومة الشعبية فى السويس .. ثم تلقوا مكالمة تليفونية من الرئيس السادات بوقف الاجتماع . وأعلن السادات أنه قرر قبول وقف إطلاق النار .

- ٢ -

« فض الاشتباك الأول »

المكان مركز العمليات السرى . الزمان أواخر أكتوبر ١٩٧٣ . الوقت السادسة صباحا . طلب الفريق أحمد إسماعيل القائد العام ، الفريق الجمصى رئيس غرفة العمليات . توجه إليه فى غرفة نومه . قال له أحمد إسماعيل وهو بملابس النوم ، جالسا على سريره السفرى الصغير ..

– ستتوجه اليوم لمقابلة الجانب الإسرائيلى لإجراء مباحثات فض اشتباك ، وإبعاد قوات الطرفين عن بعضها ، وسيكون ذلك تحت إشراف الأمم المتحدة . وقد حضر فعلا الجنرال سلازفو .

قال الجمصى : ولماذا أنا بالذات فى هذه المهمة وأنا رئيس العمليات ؟

وأجاب أحمد إسماعيل : إن مؤتمرا عقد بقصر العروبة برئاسة السادات واستمر حتى الرابعة صباحا وقد قرر الرئيس أنك أنت بالذات الذى تؤدى هذه المهمة لأنك بوصفك رئيسا للعمليات تعلم أوضاع القوات المسلحة تماما وتعرف كل جوانب الموقف العسكرى وبذلك تعالج الموضوع معالجة صحيحة .

حدد له أحمد إسماعيل المكان ، وهو على طريق مصر – السويس ، عند الكيلو ٩٥ . وحدد له الموعد بأنه الساعة الخامسة من المساء . وقال له إن ذلك تم بالاتفاق مع الحكومة الأمريكية ، وقد أبلغنا إسماعيل فهمى وزير الخارجية الموجود الآن فى أمريكا بذلك .

ذهب الجمصى فى الموعد المحدد إلى المكان المحدد ومعه مندوب من الأمم المتحدة برتبة نقيب ، والعميد فؤاد هريدى وعمر سرى الوزير المفوض بوزارة الخارجية .

قابله سلازفو فى المكان المحدد . قال له إن إسرائيل لم ترسل لجنة عسكرية .

عاد الجمصى وفريقه واتضح أنه حدث خطأ فى تحديد الموعد بسبب فرق التوقيت بين مصر ونيويورك (٧ ساعات) . وكان عليه أن يعود فى منتصف الليل ، وهو الموعد الصحيح .

دخل الوفد المصرى إلى خطوط الإسرائيليين حوالى ١٠ كيلو مترات . وجد فى انتظاره جنرالا إسرائيليا . وكان المكان هو مركز القيادة ، وهو عبارة عن دبابة وعربة مدرعة مغطاة بقماش مشمع . جلسوا تحت هذا القماش .

كان التساؤل بين أعضاء الوفد المصرى .. هل نسلم على الإسرائيليين ؟ هل نحييهم ؟ وكان قرار الجمصى أن يسلموا عليهم إذا أدوا التحية العسكرية ، أما إذا لم يؤدوا التحية فلا سلام . وحدث أن الضباط الإسرائيليين أدوا التحية العسكرية للوفد المصرى وتقدموا بأيديهم للسلام . أصر الوزير المفوض عمر سرى على وضع علم الأمم المتحدة على المكان . وتم ذلك .

جلس الوفدان إلى منضدة خشبية ميدانية حولها مقاعد ميدانية كان الوفد الإسرائيلى يتألف من الجنرال ياريف و ٨ ضباط . عرض ياريف أن يقدم شايا أو قهوة للوفد المصرى . رفض المصريون .

كانت مهمة الجمصى هى الحديث عن إبعاد القوات ، ثم إمداد الجيش الثالث الميدانى بالتموين والمياه ى ٩٠ سيارة لورى .

بدأ الإجتماع . قال رئيس الوفد الإسرائيلى :

- اسمى الجنرال ياريف ، وأريد أن أعرف أسماء الوفد المصرى . قال الجمصى ــ اسمى الجنرال محمد عبد الغنى (وتعمد ألا يذكر اسم الجمصى)

كان الجمصى يعرف أن أمامه الجنرال ياريف رئيس أركان القوات الإسرائيلية ، وذلك من الصور المحفوظة للقواد الإسرائيليين فى القوات المسلحة ، ولكنه وجده يضع نظارة على عينيه . واشتبه الجمصى فى الأمر .

تكرر هذا الإجتماع ٣ مرات . فى نفس المكان ، قبل أن تنتقل المباحثات إلى الكيلو ١٠١ ، ويعلن عن ذلك .

فى الإجتماع الثانى قال ياريف .. عرفت أنك الجنرال الجمصى رئيس هيئة العمليات ، وأنت صاحب المفاجأة فى الحرب ، لماذا لم تقل اسمك ..

ورد الجمصى . بأننا فى مصر لا نهتم باسم العائلة مثل التقليد الأوربى . وأنا أعرف أنك الجنرال ياريف رئيس المخابرات الحربية السابق فى حرب ٦٧ ، وأنت الآن مساعد رئيس الأركان ، والمستشار السياسى لجولدا مائير .

بدأ ياريف حديثا عاما عن السلام بين مصر وإسرائيل .

قال الجمصى لم أحضر إلى هنا للحديث عن السلام . هذا موضوع سياسى ، نحن عسكريون ومهمتنا عسكرية . إننى أطلب عودة القوات الإسرائيلية إلى خط وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر وإبعاد القوات عن بعضها بالاتفاق مع الأمم المتحدة .

لم يثر الجمصى فى الإجتماع الأول موضوع إمداد الجيش الثالث بالتموين ، حتى لا يشعر الجانب الإسرائيلى بقلقنا على هذا الموضوع .

ورد ياريف : أين هو خط ٢٢ أكتوبر ؟ ، هذه مشكلة كبيرة ، ومن الصعب التحديد وليس معنا أو معكم خرائط ..

استمر الإجتماع من الثانية صباحا حتى الرابعة ، دون جدوى .

خرج الوفد المصرى من الإجتماع وترك أرض الجانب الإسرائيلى إلى مواقع القوات المصرية . كانت العربة تتوقف ليقول الجمصى كلمة سر الليل ، ليسمح له بالسير .

أثار الجانب المصرى فى الجلسة الثانية موضوع التموين .

حاول ياريف أن يغير الموضوع . قال الجمصى : أنت تعلم أن حديثنا سيكون عن ذلك وهذا ما أبلغتم به وأبلغنا به من الحكومة الأمريكية .

ولكن ياريف سأل : ماهو موقف الأسرى الإسرائيليين لديكم ؟

أجاب الجمصى : إنهم فى رعاية صحية كاملة ويعاملون أحسن معاملة طبقا لمعاهدة جنيف . ويمكن أن نخصص جلسة أخرى لموضوع الأسرى بعد الانتهاء من بحث تموين الجيش الثالث .

انتهت المناقشات إلى اتفاق .

ثم انتقلت المباحثات إلى الكيلو ١٠١ . حيث وضعت خيمة للأمم المتحدة وخيمة لمصر وخيمة لإسرائيل . كانت هذه المباحثات عن إجراءات التنفيذ : كيف تدخل اللوريات ؟ من يقودها ؟ ماهو الضمان لعدم نقل أسلحة وذخائر ومفرقعات ؟ كان الجانب الإسرائيلى فى غاية التشكيك ، حتى إنهم خشوا أن يكون بداخل « لفات » الصحف مواد مفرقعة . لم يهتم الجانب المصرى بموضوع الأسلحة . كان الاتصال مستمرا بين اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث والقيادة المصرية . كان لدى الجيش الثالث كميات كافية جدا من الأسلحة والذخائر والوقود . كما أنهم لم يعانوا من مشكلة الماء .. لقد وجدوا أكثر من بئر ماء وخزان مياه . قديم . لم يكن الجانب الإسرائيلى يعلم هذه الحقائق ، ولذلك اندهش الإسرائيليون عندما بدأ التنفيذ ورأوا أن اللوريات لا تنقل ماء مع مواد التموين .

أعاد الجنرال ياريف الحديث مرة أخرى عن موضوع الأسرى وكان يريد أن يطمئن إلى أن هناك مجالا لتبادل الأسرى . وكان رد الجمصى أن الموضوع سيناقش ولكنه مرتبط بفصل القوات . والعودة إلى خط ٢٢ أكتوبر (مع ملاحظة أن الرسالة التى تلقتها مصر من الحكومة الأمريكية لم تتضمن شيئا عن الأسرى أو العودة إلى خط ٢٢ أكتوبر يوم وقف إطلاق النار) .

ثم وصل هنرى كيسنجر إلى مصر فى ٦ نوفمبر . قابله أنور السادات . تم الاتفاق على إعلان الست نقاط لتنفيذ فض الاشتباك . استدعى السادات بحضور أحمد إسماعيل اللواء الجمصى شرح له النقاط الست وأوضح الهدف من كل مادة ورأينا فى تنفيذها ..

وعاود الجمصى المفاوضات عند الكيلو ١٠١ . كانت النقاط الست تشمل فصل القوات وتبادل الأسرى وإمداد قوات الجيش الثالث ومدينة السويس بالتموين وإجلاء الجرحى من السويس والجيش الثالث .

وتم الاتفاق على كل شىء ، وبقى فض الاشتباك . فقد عبر عنه اتفاق النقاط الست أنه يتم فى إطار اتفاق فض الاشتباك ! والنص : in the frame work of the disengagement agreement

كان التفاهم فى ذلك مشكلة لأنه لم تكن توجد خرائط تحدد تماما تواجد القوات ، كانت أمريكا والإتحاد السوفيتى يملكان هذه الصور ، وأصر الإسرائيليون على أن مواقعهم فى خط السويس ، وأصر الجانب المصرى على أن مواقعهم فى الدرفسوار . ولذلك فإن ياريف أعلن فى المباحثات أنه لن يستطيع إبعاد القوات الإسرائيلية ، إلا بعد أن يعرف ماهو الإطار الذى أشار إليه اتفاق النقاط الست .

وجرت مناقشات طويلة حول تفسير هذا الإصطلاح « الكيسنجرى » غير القابل للتفسير .

وكان مقررا أن تسافر جولدا مائير ومعها ياريف إلى أمريكا ولذلك أجلت المباحثات حتى عودة ياريف ..

ولكن اللواء الجمصى استطاع أن يستشف من حديث جانبى فى إحدى الجلسات مع الجنرال الإسرائيلى « تال » أنهم يتقبلون فكرة الانسحاب الكامل إلى الضفة الشرقية للقناة .. قال له « تال » بدل هذا الخلاف على الخطوط ، لماذا لا نقوم بتحرك كبير إلى الضفة الشرقية .

رحب الجمصى بالفكرة ، وأبلغها إلى الرئيس السادات ، الذى اندهش لصدورها من إسرائيلى . وإن كان « تال » قد تحفظ بقوله للجمصى أنها مجرد فكرة شخصية .

عاد ياريف من أمريكا وأذا به يطرح فى الاجتماع اقتراحا بأن تتم المفاوضة على فك الاشتباك بين أحمد إسماعيل وموشى ديان باعتبارهما وزيرى الدفاع ، وقال الجمصى أن مصر ترفض هذا الاقتراح لأن هذا أمر سياسى ، والوزير منصبه سياسى حتى لو كان وزيرا للدفاع .

وكانت مفاوضات صعبة ..

بدأ ياريف بالقول أن القوات من الجانبين ترجع إلى أوضاعها السابقة لحرب أكتوبر ! ، أى أن تنسحب كل القوات المصرية من شرق القناة إلى غربها !

رد عليه الجمصى باقتراح مضاد وهو أن تعود القوات الإسرائيلية إلى الحدود الدولية داخل فلسطين .

ووصلت المناقشات إلى طريق مسدود .

ثم جرى اتفاق على مبادىء رئيسية بالنسبة للأوضاع فى سيناء وعاد ياريف ليمسح الاتفاق حتى على المبادىء ، وقال إن اسرائيل دولة ديمقراطية ، وقد رفضت الحكومة هذه الاقتراحات رغم أنها صادرة منه ..

وهنا قال الجمصى :

– اننى أرفض استكمال الحديث إلى أكثر من هذا الحد ، وأترك الجنرال سيلازفو ليتحدث فى الموضوع بما رأى أمامه .

وكان حديث سيلازفو موضوعيا تماما ..

وتقرر تأجيل الاجتماع ..

وصرح الجمصى للصحفى الأمريكى بور جريف (كبير محررى مجلة الـ نيوزويك الأمريكية) بقوله : « وصلنا إلى طريق مسدود » ..

وعرض الأمر على الرئيس .. فقرر وقف الاتصالات حتى يحضر كيسنجر إلى مصر للمرة الثانية .

حضر كيسنجر فى الأسبوع الأول من يناير وقام برحلات المكوك بين أسوان والقدس .. ووصل إلى اتفاق .. وكان الجمصى قد رقى إلى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة .

وتم توقيع الاتفاق عند الكليو ١٠١ .

كانت المشكلة الرئيسية الخلافية هى حجم القوات المصرية فى شرق القناة . كان لدينا جيشان و ٦ فرق .. وطالبت اسرائيل بتخفيض القوات وإلغاء وجود الدبابات تماماً .

وقد ناقش كيسنجر الفريق الجمصى فى هذا الموضوع وقال له : « سيكون لكم ٣٠ دبابة فقط » .

وأجاب الجمصى « هذا موضوع لا يمكن قبوله ، ولا يمكننى أن أدافع عنه أمام القوات المسلحة . لسنا منهزمين حتى يكون لنا ٣٠ دبابه . أنت تعطى الفرصة لاسرائيل لتكون أكثر تفوقاً عسكرياً فى الشرق وهذا ما أرفضه .. » .

وتم هذا الحوار فى حضور إسماعيل فهمى وزير الخارجية حينئذ .

وقال كيسنجر : « ياجنرالى العزيز .. انظر إلى الموضوع من الناحية السياسية ، هذه خطوة كبيرة جداً نحو السلام .. » .

الجمصى : « أنا لا أتحدث فى السياسة ، هذا اختصاص الوزير إسماعيل فهمى ، أما من الناحية العسكرية فانى أرفض .. » .

وترك المنضدة وانصرف ، وكان الجمصى فى رفضه يخشى أى غدر إسرائيلى كما فعلوا فى عام ١٩٤٨ .

وذهب إلى دورة المياة ومسح دمعة على عينيه لم يستطع أن يقاومها .

ولكنه عاد إلى حجرة المفاوضات ثانية ..

كان أحمد إسماعيل يتصل تليفونياً بالجمصى ليطمئن على سير المباحثات ، وأظهر دهشة بالغة عندما أبلغه الجمصى بعدد الدبابات المطلوب بقاؤه فى الشرق .

واستدعى الرئيس السادات الفريق الجمصى للقائه فى استراحة أسوان . وقال له السادات إنه سمع عن اعتراضه ويقدر دوافعه ولكن الموضوع هو أساساً اتفاق سلام ، وهذا اقتراح أمريكى ، وبضمان أمريكى فى التنفيذ ، أما عن حجم القوات ، فهـذه مسئوليتك يا جمصى فى تأمين هذه القوات ، وتأمين أى غدر ، وأنا واثق أنكم قادرون على ذلك ، وقد وافقت أنا على ٣٠ دبابة . هذه خطوه شكلية جداً لأننا نتحدث عن الانسحاب الكامل ، فماذا يهم وجود ٣٠ دبابة أو أكثر ، إننى أنظر نظرة واسعة إلى الأمام ..

ووافق الجمصى .. واستطاع أن يتفادى احتمالات الغدر الاسرائيلى بأن زاد من عدد الصواريخ المضادة للدبابات ، واختار المدفعية ١٢٢ ملم من المدى الطويل ٣١ كيلو متراً (المدى القصير ٢٠ كيلو متراً فقط) وإن كان الإسرائيليون فطنوا إلى موضوع المدفعية وأبلغوا كيسنجر الذى قال بدوره للجمصى ، إنك حاولت ان « تخمنى » ! .. كما أجرى الجمصى تأميناً كاملاً بالألغام والخنادق والدفاعات الجوية وأنشأ قواعد أرضية فى الضفة الغربية تصلح لاحتلالها فوراً بصواريخ وتتحول إلى قواعد صاروخيـة ، وقد أنشأها تحت ستار أنها منطقة شئون إدارية . وقد كشفت طائرات الاستطلاع الأمريكية هذه الحيلة لأن شكل القاعدة الصاروخية معروف دوليا ..

وقال لى المشير الجمصى : كان الرئيس السادات يتابع هذه العمليات التى أجريناها بسرية مطلقة يومياً ، واطمأن السادات تماماً إلى أننا مؤمنون من أى غدر اسرائيلى يمكن أن يقع .

وقال الجمصى : كسبنا من هذا الاتفاق ، إمداد الجيش الثالث ومدينة السويس بالتموين . فككنا حصار السويس . احتفظنا بكل خطوطنا فى شرق القناة التى انتهت إليها الحرب . كنا متقدمين فى مواقع كثيره إلى ٢٠ و ١٥ كيلو مترا ، لم نتزحزح عن هذه المواقع .

وكان السادات سعيداً بهذه النتائج ، وقال للجمصى .. برافو .. لقد احتفظنا بمكاسبنا فى الحرب ، ونحن نخطو الآن بسرعة نحو السلام ..

ثم جرى توقيع اتفاق فض الاشتباك الثانى فى الأسكندرية بحضور ممدوح سالم رئيس الوزراء وإسماعيل فهمى وزير الخارجية ..

وأصبحت القناة مؤمنة ..

وأظهرت مصر صدق رغبتها فى السلام عندما قررت تعمير مدن القناة وانتهت الصورة العسكرية ، بان تمركزت القوات المصرية غرب المضايق ، وتمركزت القوات الأسرائيلية شرق المضايق ، وأنشئت المحطة الألكترونية التى يديرها مدنيون أمريكيون بين القوات المصرية والاسرائيلية وذلك لمراقبة أى مخالفة للاتفاق .

وجرت بعد ذلك الاتصالات التى قامت بها أمريكا مع الاتحاد السوفييتى ، لعقد مؤتمر جنيف للسلام ، لكى يحضره جميع الأطراف برياسة متناوبة من أمريكا والاتحاد السوفييتى وحضر هذا المؤتمر وفد أردنى وانتهى إلى الفشل .

وبدأت محاولات متجددة لإحياء مؤتمر جنيف وكان السادات قد أرسل إسماعيل فهمى إلى أمريكا لحث الجهود الأمريكية لإعادة أنعقاد مؤتمر جنييف .

- ٣ -
التفكير فى زيارة اسرائيل

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧٧ . استقبل الرئيس السادات فى حجرة نومه بمنزله فى الجيزة ، مبعوثاً خاصاً جاء من واشنطن يحمل رسالة خطية بالغة الأهمية .

الرسالة من إسماعيل فهمي وزير الخارجية الذى كان فى أمريكا موفداً من الرئيس السادات لكي يلتقى بالرئيس الأمريكي كارتر ورجال الادارة الأمريكية وأعضاء الكونجرس المؤثرين ، للعمل على إحياء مؤتمر جنيف الذى تحول فى ذلك الحين ، إلى فكرة ميتة .

اختار إسماعيل فهمى سكرتيراً ثانياً بالسفارة المصرية فى واشنطن ليحمل الرسالة الهامة ، لأنه موضع ثقة وهو محمد أحمد إسماعيل ، ابن المشير أحمد إسماعيل ، وكان السادات يعتبره فى مقام أبنه .

قرأ السادات الرسالة ، بدقة شديدة وصدم من الموقف الأمريكي . قال إسماعيل فهمى فى رسالته ، إنه لا أمل فى عقد مؤتمر جنيف كما أن الموقف الأمريكى فى غاية الضعف ، وهم يدورون حول الموضوعات دون أن يكون لهم رأى حاسم .

ولم تفلح كل الحجج التى استخدمتها مصر فى تحريك الموقف الأمريكى .

ثم حدث بعد ذلك بأيام ما يؤكد ضعف الموقف الأمريكى . كان قد صدر بيان أمريكى سوفيتى مشترك يمكن اعتباره خطوة أولى نحو إعادة مؤتمر جنيف .

أخطر الرئيس الأمريكى إسماعيل فهمى بنص البيان فى الصباح ثم أذيع البيان فى الخامسة مساء زار أسامة الباز ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فاروق قدومى فى فندق بلازا ، ليتبادل الرأى والمعلومات فى موضوع البيان ، اعتبر البيان مرضياً بصفة عامة رغم أن لنا تحفظات عليه . ومع ذلك وبعد يومين فقط تراجع الأمريكيون ، وصدرت ورقة عمل ، بعد اجتماع بين كارتر وديان فى أحد فنادق نيويورك استمر حتى الساعة الثالثة صباحاً . هذه الورقة نسفت تماماً البيان الأمريكى السوفيتى وأصبح كأن لم يكن[1] .

وهكذا أصبح الطريق مسدوداً ، أمام خطوة جديدة نحو مباحثات السلام ..

ثم ضاعف من صدمة السادات خطاب خطى تلقاه بعد ذلك من الرئيس كارتر .. يقول له فيه ، أن الموقف متجمد .. وأنه ينشد مساعدة السادات فى إيجاد مخرج نحو

---

(١) رفضت اسرائيل البيان الأمريكي السوفيتى وأوضح فانس فى كتابه « اختيارات صعبة أنه حضر اجتماع الرئيس كارتر وموشى ديان فى أكتوبر لنعرف أسباب الرفض الاسرائيلى . ولم يقتنعا بهذه الأسباب لأن الروس تنازلوا فى البيان عن أى أشارة إلى منظمة التحرير . كما أنهم وافقوا على الالتزام بانشاء علاقات طبيعية بين اسرائيل والعرب ووافقوا على النص على « الحقوق المشروعة » للشعب الفلسطينى وكانوا يصرون على عبارة « الحقوق الوطنية المشروعة » .

ومع ذلك فقد تراجع كارتر أمام الأصرار الأسرائيلى على رفض البيان .

تحرك . وذكر كارتر السادات بوعد التزم به السادات معه عندما قال له فى اجتماع سابق « تستطيع أن تعتمد على مساعدتى » .. وقال كارتر فى رسالته الخطية ، إنه اتضح له أن الخلافات بين الدول العربية أقسى وأشد من الخلافات بين العرب واسرائيل ..[١] .

وجاء هذا الخطاب ليؤكد للسادات أن الأمل أصبح صفرا .. فى فتح أى طريق لمباحات السلام .

وسافر السادات إلى رومانيا ، وذهنه مثقل بالتفكير فى خطوة إيجابية يجب أن تتخذ وقال لمعاونيه أكثر من مرة : « لابد أن نفكر فى تحرك جذرى drastic يغير الصورة تماما . العرب لن يقدموا على أية خطوة . وهذا هو موقف الأمريكان والروس ، هذا التحرك يجب أن يجىء من جانبنا .. » .

وطلب من معاونيه أن يفكروا معه ..

وأقام السادات بعد وصوله إلى رومانيا فى منطقة اسمها « سينايا » وهى منطقة جبلية تبعد عن بوخارست مسيرة ساعتين بالقطار ويقيم بها زعماء رومانيا فى فترات أجازاتهم للاستجمام . وبها ١٢ استراحة صغيرة وقد بناها الرهبان الارثوذكس على نمط دير سانت كاترين .. وسميت سينايا نسبة إلى سيناء .

واجتمع السادات بالرئيس شاوشيسكو فى لقاءات طويلة . وكان بيجن قد زار رومانيا قبل وصول السادات . وصارح شاوشيسكو ضيفه السادات بما سمعه من بيجن .. وبأنه مقتنع ان بيجن يريد أن يصل فعلاً إلى سلام .. رغم تمكسه بمعتقدات دينيه باليه عن الحق الآلهى لاسرائيل فى الضفة الغربية ، ورغم أنه محافظ جداً كما أن استيعابه التاريخى للموضوع العربى الاسرائيلى غير كاف . ولكنه مع جموده ـ رجل قوى ويستطيع أن يلتزم باشياء لا يلتزم بها أحد غيره . وهو زعيم شعبى مؤثر . وأقوى الأسرائيليين قدرة على المفاوضات . وقال شاوشيسكو أن المفاوضات وأجواء الثقة يمكن أن تزحزح هذه المواقف . وعندما كان بيجن فى المعارضة كان قادراً على تعويق أى شىء .

وفى اليوم التالى لإقامة السادات فى رومانيا ، استدعى إسماعيل فهمى للقائة فى الساعة التاسعة من المساء ..

---

(١) كانت الخلافات حول إجراءات عقد مؤتمر جنيف . وطريقه تشكيل الوفود العربيه فى مؤتمر . وفد عربى واحد . أم وفود مختلفة وكذلك طريقة تمثيل الفلسطينيين فى المؤتمر . وكان فانس قد وصل فى اتفاق مع مختلف الدول العربية على وفد عربى موحد . ثم تأليف لجان ثنائية للتفاوض حول معاهدات سلام ثنائية . على أن .. تشكل مجموعة عمل خاصة للتباحث فى موضوع الضفه الغربية وغزة .

وقال له السادات : « عندى فكرة ، ربما تبدو لك غريبة ولكننى أعتقد أنها ستحرك الموقف الميت الجامد ما رأيك فى أن أذهب إلى الاسرائيليين فى عقر دراهم وأعلن شروطنا للسلام » ؟

وأصيب إسماعيل فهمى بالذهول وهو يسأل الرئيس : تروح فين ياريس ؟ اسرائيل ! ..

وقال السادات : ولم لا ؟ احنا منتصرين ، ومعندناش عقد ، ولن نتنازل عن أى حق عربى ، ولكننى بذلك أضعهم فى موقف محرج أمام العالم كله ، ولن يستطيعوا التملص من فكرة السلام .

وسأل إسماعيل فهمى للمرة الثانية . ولا يزال فى حالة ذهوله : سيادتك بتتكلم جد ياريس ؟

وأكد الرئيس .. بنعم ..

ثم قال : « وعلى أى حال .. الفكرة قابلة للنقاش .. فكر معى .. وأعطنى رأيك » .

وعاد إسماعيل فهمى إلى مقره .. وكان أسامة الباز فى انتظاره ومعه محمد البرادعى المستشار بالخارجية ، وقال لهما إسماعيل فهمى : « تصوروا الراجل عنده فكرة حشاشى وباين انه واخدها جد .. » .

وروى لهما ما سمعه من الرئيس ، وهو يؤكد رفضه للفكرة تماما . وكانت وجهة نظر أسامة الباز هى مناقشة الفكرة إيجابياً بعيوبها ومزاياها وإذا انتهينا إلى رفضها فعلينا أن نقدم بديلاً .. لتحريك الموقف .

وخرجوا بعد النقاش الطويل بالبديل ، وهو أن يدعو الرئيس السادات إلى مؤتمر قمة ، يشترك فيه الرؤساء الخمسة للدول الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن (أمريكا — انجلترا — فرنسا — الاتحاد السوفيتى — الصين) ومعهم أطراف المشكلة اسرائيل — الملك حسين — عرفات — سوريا — لبنان ، على أن ينعقد المؤتمر فى مدينة القدس ، فى مبنى الأمم المتحدة بها وتحت علمها ، فاذا طرحنا الدعوة فلابد أن ترد اسرائيل وستكون فى موقف الدفاع .. وإذا رفضت الدعوة فسيكون ذلك إحراجا لها وإسقاطا لدعاويها أمام العالم ..

وتوجه إسماعيل فهمى إلى لقاء السادات .. وعرض عليه هذا البديل ووافق السادات . وقال إنه يشك فى أن يتم عقد مثل هذا المؤتمر .. لكن لا بأس .. أى نتيجة .. يمكن أن تعطى دفعة لجهود الحل ..

وقال السادات إنه يجب إخطار أمريكا بذلك حتى لا نفاجئهم ، وطلب السادات إعداد خطاب منه إلى الرئيس كارتر ، وأعد أسامه الباز الخطاب وعرضه على السادات الذى أجرى تعديلاً فى بعض عباراته ، ثم توجه إلى بوخارست حيث قابل السفير الأمريكى ، وطلب منه إرسال هذه الرسالة العاجلة جدا إلى الرئيس كارتر مع مبعوث خاص ، وفعلاً سافر بها عضو من السفارة الأمريكية . وبعد مغادرة السادات لرومانيا تلقى الرد العاجل من الرئيس كارتر ، وفيه يلح فى الرجاء بالعدول عن هذه الدعوة ، وكانت وجهة نظر الرئيس الأمريكى أن هذه الدعوة ستحدث ارتباكاً فى كل الجهود التى تبذلها أمريكا لعقد مؤتمر جنيف ، كما أن كثرة الاقتراحات ستمنع الرئيس الأمريكى من التركيز على خط واحد ، وطلب كارتر من السادات فى ختام رسالته أن يعطيه فرصة أخرى لمحاولة استئناف مؤتمر جنيف .

وبدأ السادات يزداد اقتناعا بفكرة زيارة إسرائيل .

وأذكر أن السادات استدعانى إلى لقائه فى القناطر وناقشنى فى موضوع خطاب سيلقيه فى مجلس الشعب .. وأملى على نقاط الخطاب .. ثم قال لى : « وهناك مفاجأة هامة فى الخطاب .. اترك لها مكانا .. وسأصرح لك بها عند مراجعة الخطاب معك .. قبل القائه » .

وراجعت معه الخطاب .. ولكنه لم يصرح لى بالمفاجأة ! .

وقال لى الدكتور مصطفى خليل إن الرئيس السادات عرض لموضوع زيارته للقدس فى اجتماع لمجلس الأمن القومى . كان السادات يفكر بصوت مسموع فى هذا الاجتماع وزوى للمجلس عرضاً لمباحثاته مع الرئيس الرومانى شاوسيسكو .. وتأكيد شاوسيسكو أن بيجن يريد السلام وأنه رجل قوى يحترم كلمته .. ووصلت المباحثات مع شاوسيسكو إلى استخدام الخرائط . والتحدث فى أن اسرائيل يمكن ان تبادل قطاع غزة بمنطقة فى الشمال توصل الضفة الغربية بالبحر الأبيض .. وقد استبعد السادات هذا الاقتراح .. وقال إنه لا يتصرف فى حقوق الفلسطينيين وهذا يخصهم وحدهم ..

وقال السادات فى هذا الاجتماع ــ كما روى لى مصطفى خليل : لقد حاولنا طول الوقت حل قضيتنا عن طريق وسيط ثالث ، وإذا كنت صاحب قضية فلماذا لا أحلها أنا مباشرة ؟ ..

أنا مستعد أن ألتقى بهم فى أى مكان ، ولو كان فى القدس .

وكان إسماعيل فهمى حاضراً لهذا الاجتماع بوصفه وزيراً للخارجية .

ولكن السادات لم يحدد أى توقيت لذلك .. وتحدث السادات عن استعداده لعقد اتفاق سلام على أن يجرى التطبيع وتبادل السفراء بعد فترة زمنية مدتها خمس سنوات من الاتفاق .

ويذكر الدكتور مصطفى خليل أن السادات قال فى اجتماع آخر .. أنا لو لم أطبع العلاقات وأبادل السفراء ، يجوز أن يأتى شخص آخر من بعدى ولا يستطيع أن يقدم على ذلك وإذا نحن اعترفنا باسرائيل فان التبادل الدبلوماسى أمر عادى ..

وعندما أعلن السادات فى مجلس الشعب أنه مستعد أن يذهب إلى العدو فى عقر داره .. وأن يسافر إلى القدس .. كان قد استقر تماماً على هذا التفكير . وكان ممدوح سالم رئيس الوزراء وسيد مرعى رئيس مجلس الشعب يتصوران أن السادات يلقى قنبلة سياسية كبالون اختبار لا أكثر ولا أقل .

وقال لى سيد مرعى إنه توجه إلى مكتب ممدوح سالم فى مبنى رياسة الوزراء (المقابل لمجلس الشعب) بعد الخطاب مباشرة واتصل ببعض رؤساء تحرير الصحف ورجاهم إلا يبرزوا هذه الفقرة من الخطاب .. وعلم السادات بذلك من أحدهم فاتصل بسيد مرعى وقال له .. إن إعلان زيارته للقدس قرار جاد وحقيقى وليس للمناورة .

وحدث مثل هذا مع سعد زغلول نصار السكرتير الصحفى للرئيس السادات . لقد اتصل به المراسلون الأجانب بعد الخطاب يستوضحونه الأمر وكان هو فى شك من الأمر . ولم يستطع أن يجيب المراسلين على أسئلتهم . واتصل بالرئيس السادات ليسأله ماذا يقول لصحافة العالم التى تطارده . وقال له السادات بكل ثقة نعم سأزور إسرائيل .. هذا خبر حقيقى .

وكان منطق السادات فى ذلك تعاملاً عميقاً وذكياً من الواقع لأسباب عديدة فكر فيها طويلاً :

● إن خيار الحرب لم يعد متاحاً وعندما طلب السادات وقف إطلاق النار كانت أسلحة حلف الأطلنطى الحديثة قد وصلت من أمريكا إلى أرض المعركة فى سيناء ، وهى أسلحة لم تتعامل معها القوات المصرية من قبل ، وكانت قد حدثت الثغرة وحوصر الجيش الثالث وفشل الاسرائيليون فى احتلال السويس وكان ذلك أشجع قرار للسادات عندما واجه الواقع وقال إنه لن يستطيع أن يحارب أمريكا وقد اعترف نيكسون بتدخل أسلحة الأطلنطى .

● صحيح أن مصر ضحت بمائة ألف شهيد ، وخسرت دخلها القومى لسنوات ، وانهارت مرافقها الداخلية ، ولكن البلاد كانت ستستمر فى وضع خطير عسكريا لأن

كيان مصر أصبح مرتبطا بسلامة السد العالى ، ولا يوجد بلد فى العالم يرتبط كيانه كله بسلامة خزان واحد ، وهذا ما لاحظه خبراء الزلازل العالميين وفى أمريكا ينهار خزان كل ٤ سنوات . ولكن أمريكا كلها لا تغرق .. والحال فى مصر مختلف . إذا ضرب السد العالى غرقت مصر . وكان عبد الناصر من قبل قلقا أشد القلق كلما تحدث عن الدفاع عن السد العالى وعندما طلب عبد الناصر من الروس أن يتحملوا كاملاً وبقيادة روسية — مهمة الدفاع الجوى عن مصر لم يكن يبيع سيادة مصر واستقلالها . ولكنه كان يريد حماية مصر من الانهيار الكامل ، إذا ضرب السد العالى .

وهكذا اتجه عبد الناصر إلى مبادرات السلام .. وقبل مبادرة روجرز .. التى رفضها السادات فى المكتب السياسى للاتحاد الأشتراكى عندما كان عبد الناصر فى موسكو وأعلن قبوله المبادرة لأن الاعتماد على الروس أصبح صفراً .. وقال عبد الناصر : Useless case .

● امتيازات اسرائيل فى تدعيم جيشها كبيرة ، ولا يمكن أن نجاريها ويكفى أن نعرف أن الطيارين الاسرائيليين يدربون فى أمريكا وفرنسا مجاناً ، وتكلفة الطيار الواحد تساوى مبالغ طائلة واحتفاظ مصر بالتفوق الاستراتيجى مهمة بالغة الصعوبة وتستغرق سنوات ، وهى سباق غير متكافىء مرهق لمصر ، كل الارهاق .

● مصر لا تستطيع الاعتماد على مواردها فقط ، فى تدعيم الجيش وعندما قدم العرب معونة مالية لمصر قبل فتح قناة السويس وقبل معركة أكتوبر كان الشرط العربى أن بنكا أمريكيا يقدم قرضاً لمصر قيمته ٦٠ مليون جنيه .. بضمان السعودية ! ورفضت السعودية أن يكون قرضها لمصر بضمان البنك المركزى المصرى .

وعندما طلبت مصر زيادة المعونة من الكويت .. أعلنت الكويت فى نشرات رسمية أن احتياطى البترول ينضب فيها أو هو فى طريقه إلى ذلك . كان ذلك فى أواخر الستينات .. ثم ثبت أن العكس هو الصحيح وزاد وزاد الاحتياطى وأصبح بالبلايين [1] .

وكان السؤال الملح فى ذهن السادات هل أتصرف وحدى أو أضع مصر تحت وصاية الدول العربية ولا حل لديهم للقضية لا صلح ولا حرب وكلهم بعيدون عن الاكتواء بآثارها باستثناء سوريا ولا تستطيع مصر أن تتخلى عن سوريا ولا تستطيع أيضاً أن تدخل حرباً جديدة .

---

(١) تدل آخر الاحصائيات العلمية أن الكويت يحتفظ بالاحتيطى لمدة ٢٥٠ سنة قادمة إذا استمر ضخ البترول على ما هو عليه .

* والتقدير الصحيح للوضع العربي مع مصر ، أن الدول العربية لا تقبل على مساعدة مصر . إذا قويت فإن ليبيا والسعودية تشعران بإن مصر مهددة لها . وقوة مصر ضد الأماني السورية . أما العراق فيرى في مصر محوراً يتصدى له باستمرار .

* وكان مفروضاً إذن أن تبقى مصر مثل الرجل المريض الذى لا يموت ، لا حرب ، صعوبات داخليه ، مواردنا لا نستطيع تنميتها لأنها تحت سيطرة اسرائيل .

* فإذا كان أمام مصر أن تصل بالسلام إلى نتائج التحرير بدون مخاطر حرب أخرى ، فهل تضع مصر هذا القرار تحت سيطرة الدول العربية ؟ الجواب الطبيعي بالنفى . إن قرار مصر فى حدود سيادتها . ولسنا فى اتحاد فيدرالى مع الدول العربية يلزمنا بذلك . كما أن ميثاق الدول العربية لا ينص على ذلك .

* وقد وضح بعد ذلك أن سوريا رفضت قرار مصر . سافر السادات إلى سوريا وأمضى مع الأسد ساعات طويلة حتى الفجر .. وفشل فى إقناعه . فهل ستوافق السعودية بعد أن رفضت سوريا ؟ وبالنسبة لباقى الدول العربية فالوضع ليس أكثر من مزايدات على القضية .

* لم يفكر السادات فى صلح منفرد ، وكان الهدف الأساسى سلاماً شاملاً ودائماً وعادلاً ، ولا قيود على علاقة مصر باسرائيل .. العلاقات وفقاً لمصالح مصر ، ولا يوجد أى تفضيل لاسرائيل وهذا ما حدث بعد ذلك وما هو مستمر حتى الآن ..[١]

* فكرة الأمن للبلدين ، لا يمكن أن يحققها إلا قوات دولية . وفى عهد عبد الناصر كانت هناك قوات دولية فى شرم الشيخ . وسمح عبد الناصر للبضائع الاسرائيلية أن تمر فى قناة السويس على بواخر لا تحمل علم اسرائيل . كما أن السفن الاسرائيلية كانت تمر من شرم الشيخ .

* وهكذا قرر السادات أن يتخذ الطريق الذى يتفق مع مصالح مصر .

وقرر أيضاً ألا يحرج أحداً من الرؤساء والملوك العرب ، فقد قدر أنهم سيرفضون أو يتملصون كما قرر بالنسبة للوفد المصرى الذى يرافقه ألا يضم أحداً من الرسميين إلا وزير الخارجية . ثم قرر ضم سعد محمد أحمد وزير العمل بوصفه رئيساً لاتحاد النقابات العمالية .

---

(١) كل ما نشر من مذكرات عن أسرار مباحثات السلام . يؤكد أن أنور السادات كان مصراً فى كل الخطوات على أن يربط معاهدة السلام بين مصر واسرائيل بخطوات تحقيق الحكم الذاتى . حدث ذلك فى كل اتصالات جرت قبل كامب دافيد وخلالها وبعدها وقد تعقدت مباحثات المعاهدة مع اسرائيل طويلاً بسبب هذا الإصرار من الرئيس السادات .

أما بالنسبة للرئيس حافظ الأسد ، فقد اختار السادات أن يزور دمشق لابلاغه باعتباره شريك سلاح وشريكاً فى مباحثات السلام التى جرت فى مؤتمر جنيف . وسافر رؤساء تحرير الصحف المصرية مع السادات فى زيارته لدمشق التى استمرت ليلة واحدة ، واستمر اجتماعه مع حافظ الأسد حتى الرابعة من الصباح . وكانت وجهة نظر السادات أنه يقوم بهذه الخطوة على مسئوليته الشخصية باعتباره رئيس مصر ولا يطلب من حافظ الأسد تأييداً . ولكنه يطلب منه عدم الخصومة فليكن مختلفاً معه وليعلن عن هذا الخلاف ولكن لا مبرر للخصومة لأن هذه مسئولية السادات ، إذا نجحت الخطوة فنتائجها ستعم على الجميع وخاصة أنه لا تنازل على الاطلاق عن الحقوق العربية ، وإذا فشلت فإن السادات هو وحده الذى يتحمل مسئولية الفشل وقال السادات وعندئذ فإن عندى الشجاعة الكافية أن أعلن لشعب مصر أننى فشلت وأننى أترك مقعدى ..

وانتهى اجتماع دمشق .. وعاد السادات إلى القاهرة ، وهو يتوقع أن الأسد لن يأخذ موقف خصومة .. ولكن ما أن وصلنا حتى كان راديو دمشق وصحافة البعث تطالب برأس كل من سيذهب إلى اسرائيل ..

وقد لمس الصحفيون المصريون — خلال يوم زيارة دمشق ، من رجل الشارع فى سوريا حماسة لموقف السادات الشجاع ، كما أن نقيب الصحفيين السوريين تحدث الى أحد رؤساء التحرير المصريين وأيد خطوة السادات ، ووصفها بأنها خطوة عملية لايجرؤ عليها الا السادات . ولكن هذا النقيب هو الذى قاد حملة بعد ذلك للمطالبة برقاب الصحفيين المصريين الذين يزورون اسرائيل .

وأثناء اجتماع السادات والأسد حتى ساعة مبكرة من الصباح ، كانت قيادة حزب البعث فى اجتماع طويل بغير وجود الأسد معهم . وقد قرروا فى هذا الاجتماع ، اعتقال الرئيس السادات قبل مغادرته دمشق .. وإعلان محاكمته سياسياً وشعبياً بتهمة الخيانة !... وكانوا قد قرروا اعتقاله فى مطار دمشق قبل أن يركب الطائرة . وخلال مراسم التوديع . ذهب رسول من القيادة القطرية إلى المطار لكى يحصل على موافقة حافظ الأسد على القرار .. ولم يستطع الرسول أن يقابل الأسد .. إلا بعد أن ركب السادات الطائرة !

وعلى الطائرة ، وخلال العودة إلى مطار أبو صوير حيث نزل الرئيس وأمضى ليلته فى الاسماعيلية ، طلبنى الرئيس السادات وكلفنى بإعداد خطابه الذى سوف يلقيه فى الكنيست الاسرائيلى بعد ٤٨ ساعة وركز الرئيس على أن يكون الخطاب إنسانياً ، يخاطب به وجدان الإنسان المحب للسلام وعلى أن يكون الخطاب واضحاً فى المطالبة بالحقوق العربية كاملة ..

وأقلتنا الطائرة من أبو صوير إلى القاهرة وتوجهت إلى منزلى وتمكنت من إعداد الخطاب . واتصلت بالمرحوم الانبا صموئيل أسقف الخدمات ببطريركية الأقباط ، وطلبت إليه إمدادى بآيات من التوراة تتحدث عن السلام ، وبعد نصف ساعة اتصل بى وأملانى أربع أو خمس آيات ، ليس منها إلا آية واحدة تعبر عن السلام تعبيراً مباشراً ..

وفى الصباح المبكر توجهت إلى الاسماعيلية ، حيث قابلت الرئيس ومعه النائب حسنى مبارك وأسامة الباز وكانوا فى الحديقة الصغيرة ثم طلب الرئيس أن ننتقل إلى الدور الثانى من مبنى الاستراحة وقعدنا وقرأت الخطاب وأعجب به السادات وكان أسامة الباز قد أعد خطاباً عن الجانب السياسى فى المطالب العربية وطلب السادات إدماج ما كتبته مع ما كتبه اسامة الباز .. وترجمته إلى الانجليزية ..

وخلال جلستنا تلقى السادات خطاباً عاجلاً من الملك خالد ملك السعودية .. وقرأه على عجل .. وقال بهدوء : كلهم خائفون .. وكلف النائب حسنى مبارك بإعداد رد على رسالة الملك خالد . وهذا هو النص الرسمى للبرقيات المتبادلة .

فى ١٩٧٧/١١/١٦

من نائب الرئيس

إلى سمو الأمير تركى الفيصل

تحياتى

إيماء إلى برقيتكم مساء أمس ونظراً لضيق الوقت فأكون شاكراً لو تفضلتم بالحضور إلينا لشرح جوانب الموضوع تفصيلياً مع إفادتنا موعد حضوركم أطيب تحياتى .

حسنى مبارك

فى ١٩٧٧/١١/١٧

من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز

إلى فخامة الأخ الرئيس محمد أنور السادات

تعلم فخامتكم تقديرى واحترامى لكل ما بدر من فخامتكم من مساع لايجاد الحل السلمى للمشكلة الفلسطينية . وأنا واثق من أن صراحتى مع فخامتكم فى السراء والضراء أدت إلى خدمة مصلحة شعبينا خاصة وأمتنا الإسلامية عامة . ولما أكنه لفخامة أخى من معزة وإخلاص فاننى مؤمن بأن سفر فخامتكم لاسرائيل سيعيق مساعيكم الحميدة من أجل ايجاد حل سلمى للمشكلة الفلسطينية وذلك لسببين :

أولاً : ان الشعوب العربية شرعت فى ابداء عدم تقبلها لهذه الزيارة .

ثانياً : صرح رئيس وزراء اسرائيل بأنه لن يقبل بالانسحاب من الأراضى المحتلة أو اقامة دولة فلسطينية . وهما المبدآن اللذان يصر عليهما فخامة أخى قبل غيره من الزعماء العرب .

ولذلك ولتمنياتى لفخامتكم دائماً بالتوفيق والنجاح فاننى أقترح على أخى إرجاء هذه الزيارة .

وتقبلوا فخامتكم من أخيكم دعواتى لكم بالتوفيق .

خالد عبد العزيز

وفى ١٣٩٧/١٢/٨ هـ الموافق ١٩٧٧/١١/١٨ م صدر البيان التالى من الديوان الملكى السعودى :

« مرت القضية العربية فى الوقت الحاضر بمرحلة صعبة ، ويزيد من صعوبتها ، ما اتسمت به هذه المرحلة من جمود وسكون ومن تصرفات غير مؤكدة فى نتائجها وغير متناسقة فى وسائلها مع الموقف العربى العام .

والمملكة العربية السعودية ، إذ تحدد موقفها تجاه القضية العربية فى مرحلتها الراهنة انما تحدده انطلاقاً من سياستها الإسلامية والعربية الواضحة ، ومواقفها التاريخية المعروفة والمرتكزة على مقررات مؤتمرى القمة العربى فى الجزائر والرباط . الهادفة إلى الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة بما فيها القدس ، والاعتراف للشعب الفلسطينى بحقوقه المشروعة بما فيها حقه فى العودة إلى وطنه وانشاء دولة مستقلة له على ارضه .

ولقد فوجئت المملكة العربية السعودية بعزم فخامة الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية على زيارة اسرائيل . وقد بادر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز فى حينه ، ببعث رسالة إلى فخامته ، وضح موقف المملكة العربية السعودية ، انطلاقاً من قدرات القمة العربية التى لم تحدد الأهداف فحسب وانما حددت الوسائل الرامية إلى تحقيق هذه الأهداف لتعتبر مبادىء التضامن العربى هى الأساس السليم والمنطلق الواجب الاتباع لأى جهد مبذول فى سبيل حل القضية العربية .

ومن هنا فإن المملكة العربية السعودية تؤمن بأن أية مبادىء عربية فى هذا الشأن يجب أن تنطلق من موقف عربى موحد .

وفقنا الله جميعاً لما فيه خير الأمة العربية وهدانا سواء السبيل »

وفى نفس اليوم صرح جميل باردوى سفير المملكة العربية السعودية فى الأمم المتحدة بأنه يعتقد بأن الرئيس السادات يهدف من وراء زيارته غير المتوقعة — إلى اسرائيل — إلى تحويل الانتباه عن المشاكل الداخلية التى يواجهها .

وفى ١٩٧٧/١١/١٩ أرسل الرئيس أنور السادات الرسالة التالية إلى الملك خالد :

جلالة الأخ العزيز الملك خالد

تحية طيبة وبعد :

فأحب أولاً أن أوجه إليكم والأخوة وجميع الأشقاء فى المملكة هناك التهنئة وأطيب تمنيات بمناسبة حلول وقفة عيد الأضحى المبارك . أعاده الله عليكم وعلى أمتنا الإسلامية بالخير والسعادة والتوفيق .

وقد تلقيت رسالتكم الكريمة التى تحدثتم فيها عن إرجاء زيارتى لبيت المقدس بالنظر إلى أن الشعوب العربية قد شرعت فى عدم تقبل الزيارة وإلى التصريحات المتشددة التى لازالت تصدر من حكام اسرائيل متضمنة عدم استعدادهم للإنسحاب من الأرض العربية المحتلة أوقيام دولة فلسطينية

وإذ أعبر لكم عن تقديرى الكامل للاعتبارات الأخوية الصادقة التى حدت بكم إلى الكتابة إلى فى هذا الشأن ، الذى يهمنا جميعاً ، فإننى أود أن أضع نصب أعينكم الحقائق التالية :

أولاً : إننى حرصت على أن أعلن على الملأ ، وأكرر أكثر من مرة أن هذه المبادرة التى طرحتها هى اجتهاد منى وليست محصلة اتفاق مع اشقائى القادة العرب . وكنت أقصد من هذا أن أتحمل وحدى مسئوليتها كاملة فى نظر امتنا وفى صحف التاريخ .

ثانياً : إننى منذ اللحظة الأولى كنت أعلم جيداً ان الأمر لن يخلو من انتقادات توجه إلى المبادرة سواء عن سوء قصد أو بحسن نيه ، فهى خطوة تجاوزت حدود المألوف الذى درجنا على أخذه كقضية مسلمة ، ينحصر أمامها تفكيرنا ويعجز عن الانطلاق إلى ما وراءها . وليست هذه هى المرة الأولى ولن تكون الأخيرة التى تتعرض فيها مصر للنقد .

ثالثاً : ولكننى قبل كل هذا ومن منطلق شعورى بجسامة المسئولية التاريخية التى أتحملها أجد لزاماً على أن أفكر فى أمرين :

الأول : معاناة الشعب الفلسطينى فى الحاضر والمستقبل .

والثانى : مستقبل القضية القومية .

ويدعونى هذا الايمان إلى التصميم على عمل شىء كفيل بهذا الموقف لصالحنا جميعاً وبالذات لصالح جماهير الشعب الفلسطينى التى ترزخ تحت الاحتلال وربما بدأ اليأس ينتابها من المستقبل إزاء جمود الموقف . وليس أسهل على إنسان من أن يأخذ موقف المتفرج أو يكتفى بتسجيل المواقف بالكلمات التى لا تجدى نفعاً ولكن ليس هكذا تتحقق الأهداف .

رابعاً : إننى لا أتوقف كثيراً عند تصريحات الساسة الاسرائيليين لأننى لم أتخذ قرارى هذا على أساس اعتدالهم وإنما رغبة منى فى الضغط عليهم . ومن هنا فإن هذا يكون مدعاة لإصرارنا على تعبئة مزيد من الضغط عليهم . ولو كنت أعلم أنهم قوم يمكن ان نتوقع منهم الاعتدال لتركت الأمور تجرى فى مجراها الطبيعى فى مؤتمر جنيف أو غيره من المحافل الدولية .

خامساً : ويهمنى أن تكونوا على بينة من أننى لا أقصد بهذه الزيارة أن أعود منها باتفاق على شىء وكل ما أقصده هو أن أهز المجتمع الإسرائيلى من أعماقه وأن أضع المجتمع الدولى أمام وضع لا يملك إزاءه سوى القيام بمزيد من الضغط على اسرائيل .

وغنى عن البيان أننى لن ألزم أى شعب عربى بشىء اثناء هذه الزيارة كما أنى لن أمس أى حق من حقوقنا التاريخيه بل إننى على العكس ، ذاهب لحماية هذه الحقوق وتأكيدها . ومن ثم فليس هناك ما يخيفنا من مواجهة الاسرائيليين فى أى ساعة وتحت أى ظروف فقد كسرنا حاجز الخوف منهم فى حرب رمضان المجيدة إلى غير رجعة بحمد الله .

وإزاء هذه الاعتبارات أرجو أن تتفقوا معى على أن من الأهمية بمكان أن يأخذ نعم كلامى بجدية وأن ينظر إلينا بالاحترام الذى يتناسب مع تراثنا وحضارتنا وأن أتوجه كما التزمت إلى القدس حيث ألتقى بالشعب الفلسطينى .. أصلى معه ومن أجله وأشد من أزره وأكرر له اننا جميعاً معه نفكر فيه ونكترث ونهتم لكل ما يصيبه .

ومن المهم أيضاً ألا أفوت هذه الفرصة السانحة للضغط على حكام إسرائيل وحرمانهم من جمع الأسلحة التى دأبوا على استخدامها ضدنا وشهرها فى وجوهنا أيا توجهنا .

وقد فكرت فى مفاتحتكم فى أمر بيان نقلته بعض الوكالات منسوباً إلى المملكة حول هذا الموضوع غير أننى فضلت التجاوز عنه وخير لنا جميعاً أن ننتظر ونقيم نتائج هذه الخطوة فيما بعد .

ختاماً : أكرر لكم تحيتى وتمنياتى الطيبة

الله الموفق والمستعان .

أخوكم : محمد أنور السادات

وفى ١٩٧٧/١١/٢١

تلقى الرئيس السادات الرسالة التالية من جلالة الملك خالد :

فخامة الأخ الرئيس محمد أنور السادات

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ..

لقد تلقيت رسالتكم الكريمة التى حملت إلى تهنئتكم الأخوية بمناسبة عيد الأضحى المبارك والتى يسرنى مبادلتكم اياها متمنياً لكم ولأمتنا الإسلامية كل خير وتوفيق .

وأود أن أعرب لفخامتكم عن تقديرى لما تضمنته رسالتكم من ايضاح للاعتبارات التى حدت بكم إلى تحبيذ زيارة اسرائيل والآثار الايجابية لها على الصعيد الدولى ، بما يخدم القضية العربية ويحث خطاها نحو الحل المنشود . كما أود أن أعبر عن يقينى بأن الآثار السلبية لهذه المبادرة على الصعيد العربى قد كانت أيضاً محل اعتباركم كما هى دائماً محل اعتبارى .

وهذه الآثار السلبية بالاضافة إلى عنصر المفاجأة الذى صاحب المبادرة التى وصفتموها فخامتكم بحق بأنها خطوة تجاوزت حدود القانون .. لم تدفعنى إلى حكم مسبق عليها بل حدت بى إلى الاتصال بفخامتكم فى نطاق التشاور المستمر بين بلدينا .

ولقد كانت المملكة العربية السعودية حريصة كل الحرص على هذا التشاور وتبادل الرأى مع شقيقاتها من الدول العربية وفى مقدمتها جمهورية مصر العربية ايماناً منها بمسئوليتها المشتركة تجاه أمتنا وقضاياها .

وهذه المسئولية لابد لنا ـــ شئنا أم أبينا ـــ من تحملها سوياً . انطلاقاً من وحدة المصير وحتمية امتداد آثار اية مبادرة على أمتنا العربية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . والمملكة العربية السعودية انطلاقاً من ذلك وفى إطار هذه المفاهيم الثابتة لسياسة المملكة العربية السعودية والتى تحرص المملكة على امتدادها إلى مقتبل الأيام فقد كنت أشعر أنه من الطبيعى

من المألوف ألا تفاجئني وكالات الأنباء بعزمكم على القيام بزيارة اسرائيل لا سيما وقد تم بعد فترة وجيزة من آخر لقاء لى مع فخامتكم ومع ذلك فقد تجاوزت هذا الشعور وبعثنا إليكم برسالة وكنت اطمع إلى تلقى إجابتها فى وقت مناسب فى نطاق تبادل الرأى المعهود بيننا .

ولقد لفت نظرى فى برقية فخامتكم كلمتان كنت أود لو أنهما لم تردا وهما كلمة « منسوباً إلى المملكة » فيما يختص بالبيان الرسمى الذى أصدرناه من ديواننا بمناسبة اعتزام فخامتكم زيارة اسرائيل . وكلمة « فضلت التجاوز عنه » مع أنه لا يعدو كونه تبياناً لموقفنا واقتناعاً منا بضرورة وحدة الصف العربى ، أمام قضيته التاريخية .

وأخيراً أحب أن أعبر عن تقديرى للصراحة المتبادلة التى يتسم بها الرأى بيننا وإنى لست فى حاجة إلى أن أؤكد لكم ، أنها تنطلق من مرتكزات الأخوة الصادقة العميقة التى كانت ولا تزال .. وستظل دائماً تهدف إلى زيادة الوشائج بيننا دعماً والروابط بين بلدينا الشقيقين قوة . والعمل على ما فيه خير أمتنا العربية .

مع أصدق تحياتى وأخلص تمنياتى والله يحفظكم ويحفظ مصر والأمة العربية .

أخوكم : خالد بن عبد العزيز آل سعود

وبعد ظهر اليوم التالى ، ركبنا الطائرة إلى اسرائيل .(١)

وكان معنا على الطائرة ، والتر كرونكايت أكبر معلق فى التليفزيون الأمريكى ، وكان قد أجرى حديثين من نيويورك عبر الوسائل العلمية الحديثة ، مع السادات ومع بيجن وفيهما قال السادات إنه مستعد لزيارة اسرائيل إذا تلقى الدعوة من بيجن وقال رئيس حكومة اسرائيل إنه مستعد لتوجيه الدعوة .

كما كان معنا بربارة والترز المشهورة وقد جلسوا بعض الوقت مع السادات وأذهلتهم أعصابه الهادئه .

وكان المشهد رهيباً عند النزول من الطائرة .

وكان الظلام قد خيم ، وسلطت الأضواء على أرض المطار . وعلى مدرج به كل قيادات اسرائيل ، وممثلى جميع الهيئات بها ، ونزل السادات درجات السلم بخطوات ثابته وسلم على بيجن الذى صاحبه وهو يقدمه لكبار المستقبلين ، ولم يترك السادات شخصية اسرائيلية واحدة دون ان يداعبها بحوار الواثق ، مع ديان ، وجولدا مائير وشارون وبيريز وقال لشارون كنت سأقضى عليك فى الثغرة . ورد شارون : السلام حسن . وكانت جولدا مائير فى أمريكا وقطعت رحلتها وحضرت لاستقبال السادات ..

---

(١) لم يصرح السادات لأحد بأنه أخطر الرئيس كارتر بزيارته للقدس . ولكن سيروس فانس وزير خارجية كارتر سجل فى كتابه العبارة الآتيه « وكانت الرحلة مفاجأة لكارتر لقد جعل السادات الرئيس كارتر يعلم قبل يوم . انه سوف يعيد تفكيره فى الزيارة . ولكننا فوجئنا بالقرار » .

وكان الاستقبال الشعبى للسادات على طول الطريق من المطار حتى فندق الملك داود يفوق كل تصور ، وبكت النساء ، وحمل الآباء أطفالهم على أكتافهم ساعات وهم ينتظرون رؤية موكب السادات .

وأعد اتوبيس صغير للصحفيين المصريين ، ولاحظت وجود سيدة جميلة معنا ، قالت إنها صحفية أمريكية ، كما وجد معنا أكثر من اسرائيلى قالوا إنهم للترحيب بنا من هيئة الاستعلامات ، ولكن أسئلتهم كانت تدور جميعاً حول مدى تمسك مصر بحقوق الشعب الفلسطينى وأعتقد أنهم كانوا يجمعون معلومات عما فى ذهن السادات وسمعوا منا كلاماً واضحاً أنه لا سلام بغير إنشاء دولة فلسطين ..

وقد سافر مع الوفد المصرى سليم رزق الله من رياسة الجمهورية لكى يقوم بالترجمة الفورية لخطاب السادات ، وكذلك تصريحاته فى المؤتمرات الصحفيه ، وهو حجة فى اللغة الانجليزية ، ولم يرض عن ترجمة وزارة الخارجية للخطاب ، واستمر يعيد ترجمة الخطاب فى حجرته بالفندق حتى ساعة متأخرة من الليل ، واستعان بكاتبة على الآلة الكاتبه من السفارة الامريكية . وأذكر أنه فى الساعة الواحدة من الصباح احتاج إلى نسخة من الكتاب المقدس (العهد القديم) باللغة الانجليزية لكى يسجل نص الآية المشار اليها فى الخطاب ، وطلب منى ذلك ، ونزلت إلى ادارة الفندق ، وسألت موظف الاستقبال ، وتقدمت سيدة اسرائيليه موظفة بالفندق فى الستين من عمرها لتستفسر عن المطلوب ، وزعمت لها أن السادات هو الذى يطلب ذلك . فبكت حتى اهتزت ، وغابت نصف ساعة .. ذهبت خلالها إلى منزلها وأتت بكتاب العهد القديم ..

وقبل توجه السادات إلى الكنيست لإلقاء خطابه ، كان رؤساء تحرير الصحف المصريه قد تسلموا نسخا من الخطاب ، واستخدمت المخابرات الاسرائيلية عددا من الصحفيين الاسرائيليين لكى يحصلوا منا على نسخة بحجة العمل الصحفى ، ورفضنا جميعا ، وكان هدف المخابرات الاسرائيليه دراسة الخطاب قبل إلقائه ، وإعطاء ملاحظاتها إلى أعضاء الحكومة ..

والتقيت بزوجة رئيس اسرائيل فى شرفة كبار الزوار ، ولما علمت أننى صحفى مصرى ، طلبت لقائى فى اليوم التالى وحددت موعدا فى منزلها ولكن قبل الموعد سمعت من تحدث إلى وألغى الموعد وفهمت من صحفى إسرائيلى أنه قد خشى أن ينفلت لسانها بأقوال غير مسئولة .

وكان انفعالنا بخطاب بيجن فى منتهى السوء . وبهذا صرحنا لصحافة اسرائيل .

ولكن ولعل من أهم الاجتماعات التى عقدها السادات ، تلك التى تمت مع

المجموعات السياسية المختلفة فى الكنيست الاسرائيلى فى صباح اليوم الثانى للزياره .

عقد السادات اجتماعات منفصلة مع أعضاء حزب العمل ومجموعة ليكود والنواب الشيوعيين واستمع السادات طويلا إلى المتطرفين والمعتدلين الذين تناولوا فى كلماتهم مشكلات تفصيلية وأظهروا وتشددوا فى المطالب وخاصة النائبة جيئولا كوهين التى مزقت معاهدة السلام بعد ذلك فى الكنيست .

وتركهم السادات يتكلمون كما يشاءون ثم علق بجملة واحدة ..

ــ يمكن أن نتحدث فى هذه المشكلات المختلف عليها ساعات وساعات ولكن عليكم أن تنظروا إلى الأمام لا إلى الخلف . عليكم ان تتخذوا القرار الصعب كما اتخذت انا القرار الصعب . أمن إسرائيل لا اعتراض عليه ولكن لا سلام مع التوسع والاستيلاء على أرض الغير .

وقد سافر مع السادات من وزارة الخارجية الدكتور بطرس غالى وزير الدولة . كان اسماعيل فهمى قد اعتذر عن عدم السفر مع الرئيس إلى دمشق . ولاحظ السادات عدم وجوده قبل أن يستقل الطائرة وقال له النائب حسنى مبارك إن اسماعيل فهمى متوعك بعد عودته من مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى تونس ولكن السادات فهم .

وخلال وجود الرئيس فى دمشق توجه سيد مرعى إلى منزل اسماعيل فهمى للسؤال عن صحته . ولكنه علم منه أنه قرر الاستقالة . وأبلغ سيد مرعى ذلك إلى النائب حسنى مبارك الذى اتصل بدوره بالرئيس السادات فى دمشق . وطلب منه الرئيس أن يقبل الاستقالة على الفور . وصدر قرار بأن يتولى محمود رياض عمل وزير الخارجية ولكنه تحت تأثير اسماعيل فهمى توجه لمقابلة النائب وأبدى رغبة فى الاستقالة وعبر عن ذلك بأنه لا يستطيع أن يتحمل هذه المسئولية الكبيرة . وكان خبر تعيينه قد أبلغ إلى الصحف ثم رفع الخبر ومرت أشهر بعد ذلك وتوسط محمود رياض فى أن يعود إلى عمله بحجة أنه لم يقدم استقالته وأن موقفه فهم خطأ ولم يكن ذلك صحيحا .

وكانت نصيحة أسامة الباز لاسماعيل فهمى أن يسافر مع الرئيس وأن يؤجل استقالته حتى يعود إلى القاهرة . وهنا يتجنب إحراج الرئيس وفى الوقت نفسه يكون قد عبر عن رأيه بالاستقاله . وأظهر اسماعيل فهمى اقتناعه بهذه الفكرة . ولما تحدث اليه النائب حسنى مبارك نفى أنه أتفق مع أسامة الباز على ذلك . وهنا اتصل حسنى مبارك بالرئيس فى دمشق . وبعد حديث سيد مرعى معه وأبلغه باستقالة اسماعيل فهمى .

وكان اسماعيل فهمي يتصور أن المظاهرات ستقوم فى مصر ، ضد السادات وضد هذه الزيارة وكان تقديره خاطئا لأن الشعب المصرى رحب بهذه الخطوة فى صورة جماعية حماسية مذهلة .

وقد حاول اسماعيل فهمي بعد ذلك ، أن يستعيد مكانته لدى السادات ، وتوسط له السفير أحمد عبد الغفار لكى يعينه السادات مستشارا له ، أو فى أى موضع يختاره السادات بجواره وكان بذلك يعبر عن اسماعيل فهمي . ولكن السادات اعتذر عن عدم التعاون مع اسماعيل فهمي بعد ذلك واتصل اسماعيل فهمي بمكتب الرئيس السادات لكى يتحدث إليه ، ولكن السادات لم يستجب إلى طلب المكالمة .

وكانت حجة اسماعيل فهمي التى رواها بعد ذلك أنه كان قد توصل فى اجتماعات وزراء الخارجية العرب فى تونس إلى قرارات ايجابية ، وهى حجة باطلة ، لأن اسماعيل فهمي كان يصرح عشرات المرات فى أحاديثه الخاصة أنه لا يثق فى عربى واحد وأنه مستعد للتفاوض مع أى أجنبى ساعات وساعات ولا يحتمل المناقشة مع دبلوماسى عربى نصف ساعة وكان المحيط العربى لا يثق فى اسماعيل فهمي ..

وبعد أن اعلن السادات عن زيارته للقدس وقبل أن يستقيل اسماعيل فهمي اتصل مصطفى خليل تليفونيا بالرئيس السادات ودار الحوار التالى :

خليل : أريد أن أسافر مع سيادتك إلى القدس .

السادات : ولماذا تعرض نفسك للمخاطرة يا مصطفى ؟

خليل : إننى مؤمن بأن ما تفعله هو لصالح مصر ، وأنا لم أطلب منك فى حياتى اى Favour ورجائى ألا ترفض طلبى ، وإذا رفضت ، فاسمح لى أن اقول انى سأسافر .

ورحب السادات بسفره معه ، وكلفه بأن يجتمع بممدوح سالم وسيد مرعى ليضعا أسماء الوفد المسافر مع الرئيس .

وتمت زيارة القدس . وفى الليلة الثانية أقام بيجن مأدبة عشاء للوفد المصرى .

كان الرئيس السادات يجلس على يمين بيجن ، وجلس مصطفى خليل إلى يساره ، وأمامهم عزرا وايزمان وحسن تهامى وعثمان احمد عثمان وإيجال يادين وبطرس غالى .

اقترح حسن التهامى إصدار بيان مشترك عن الزيارة . كتب نص البيان العام وجرى تعديله ثم أعلن .

واتفق على أن يجتمع عزرا وايزمان ويادين مع مصطفى خليل فى جناحه ومعه بطرس غالى فى الدور الثالث واستمرت هذه الجلسة حتى الثانية من الصباح .

وجرى فى هذا الاجتماع حديث من جانب مصر عن أن خطاب بيجن فى الكنيست كان صدمة وأن كلام السادات واضح بإنهاء الحروب والدخول فى عصر السلام وقد وضح أن الحرب لن تجدى وأن التفوق العسكرى لا يعتمد عليه . وقد اثبتت حرب اكتوبر هذه الحقيقة ، كما أن سيناء لم تكن أبدا جزءا من اسرائيل . وان قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، أساس صالح لمباحثات السلام .

وكان حديث الجانب الاسرائيلى أن السلام لا يعنى مجرد الانسحاب بل يعنى سلاما كاملا وتطبيع علاقات وتبادل سفراء وقال مصطفى خليل إن الرئيس السادات سوف لا يمانع فى ذلك ولكن لا يعنى التطبيع أنكم دولة أكثر رعاية .. العلاقات ستكون عادية كما ان مصر لن تقبل مفاوضات عن الضفة الغربية على أساس الحق الالهى الذى يزعمه بيجن . ورد وايزمان بأن هذا هو أسلوب بيجن الذى اعتاد عليه منذ أربعين عاما ولكن المفاوضات بطبيعة الحال ستكون على أساس سياسى .

وتحدث الجانب المصرى عن وضع الفلسطينيين داخل اسرائيل وأن الرئيس السادات يريد ان يفعل لهم شيئا .. بعد أن سمع استنجاد الأمهات به بالنسبة للمسجونين والمعتقلين وقال الجانب الاسرائيلى هذا ممكن .

واتصل مصطفى خليل بالرئيس السادات فى الساعة السادسة من الصباح وأبلغه بما جرى ، ثم اصطحب مصطفى خليل معه عزرا وايزمان وزار الرئيس .. وأكد له الرئيس نوايا السلام والتطبيع .

وطلب السادات منهما استمرار الاجتماع للاتفاق على الخطوات القادمة ولذلك لم يحضرا اجتماعات الرئيس بالمجموعات السياسية فى الكنيست .

ثم جاء بيجن وتناول الغداء مع الرئيس السادات .. وجاء معه ديان وفى يده حقيبة سوداء وبدأ بيجن الكلام وقال إن لديه مسودة اتفاق يرجو مناقشتها إذا وافق الرئيس على ذلك واعترض السادات بأن هذا ليس الوقت المناسب للبحث فى تفصيلات ، والح بيجن على السادات أن يتم بحث المسودة بين ديان ويادين من جهة ومصطفى خليل وبطرس غالى من ناحية أخرى . وقال مصطفى خليل إن الوقت لا يسمح .

وقد رفض السادات كل ذلك لأنه قبل الزيارة كانت وصلته عن طريق الرئيس الرومانى مذكرة بنص يقترحه الاسرائيليون خاصا بالمستوطنات ووجده مطاطا وكان لديه تحفظات عديدة كما أن ما أبلغه تهامى إلى الرئيس عن مقابلاته لديان فى المغرب جعل الرئيس يتردد فى مناقشة متعجلة لأى مشروع خلال زيارته وإن كان تهامى قد عاد من المغرب ليؤكد للرئيس ان الانسحاب بالكامل سيتم بدون أى تحفظات وثبت بعد ذلك أنه كلام تنقصه الدقة .

لقد كانت لقاءات حسن تهامى السرية مع موشى ديان فى المغرب بناء على طلب الملك الحسن ، وقد وافق السادات على الفكرة ، لأنه كان يريد أن يستكشف إلى أى مدى يمكن أن تنجح المفاوضات المباشرة مع اسرائيل . واختار السادات لهذه المهمة حسن تهامى لأنه قادر على مثل هذه الاعمال المغامرة السرية ، وسبق أن قام قبل الثورة وبعدها بمهام خطيرة .

ولكن ثبت أن ما قدمه إلى السادات عن نتائج اجتماعاته مع ديان كان بعيدا عن الصحة ، ربما لمراوغات موشى ديان فى أسلوب الكلام ، من ذلك مثلا قول ديان عندما أتى الحديث عن القدس :- القدس ليست مشكلة !.. أنتم يهمكم المسجد الأقصى ويمكن الاتفاق على أن تضعوا عليه علما إسلاميا وأن تكون إدارته اسلامية .

وقول ديان أن القدس ليست مشكلة ، يعنى من وجهة نظره أنها غير قابلة للتفاوض ، كما أنه لم يقصد علم دولة إسلامية ، وإنما قصد علما إسلاميا ، أى علم عليه رمز إسلامى !

وكان ديان يكرر لحسن تهامى أن كل مشكلة لها حل ، ولا شىء يستعصى على المفاوضات ، جلوس الطرفين كاف للوصول إلى نتائج ، كما كان يؤكد أن موقف إسرائيل سيكون مرنا ، ولا التزام بموقف محدد ..

وجرت مناقشة طريفة مع الوفد المصرى خلال زيارة السادات للقدس .

كان عزرا وايزمان يعتقد — هو والقيادات الاسرائيلية — أن السادات يموه بهذه الزيارة وبإعلان الرغبة فى السلام وأنه يستعد الآن لمعركة أخرى بدليل أن القوات المصرية بدأت فى إجراء مناورات ، ولكنهم سمعوا ما يطمئنهم وتأكدوا من أنه لا توجد أى نوايا عدوانيه وأن إعلان المناورات المصرية جاء ردا على إعلان إسرائيل بالتعبئة قبل الزيارة .

وهكذا كانت الشكوك تختفى وراء كل تصرف من أى جانب وهذا ما دعا السادات إلى ان يؤكد أكثر من مرة أن الجانبين فى حاجة إلى تحطيم جدار عدم الثقة ، وانتهت الزيارة التاريخية التى غيرت جميع الموازين العالمية .

وبدأت اجتماعات مينا هاوس التى لم تبشر بأى امل .

بعد رحلة القدس

انتهت رحلة القدس التاريخية التى قام بها السادات على مسئوليته الشخصية .. وكان قد أوفد كمال حسن على مدير ادارة المخابرات العامة بعد أن أعلن عن الرحلة وقبل سفره ، فى مهمة استطلاعية إلى أمريكا وانجلترا ، لكى يتحسس أثر قراره بزيارة اسرائيل . وعاد كمال حسن على بنتيجتين : الأولى من أمريكا ، وهى قول الرئيس الامريكى كارتر إن السادات اتخذ قراره على مسئوليته وأنه لا يستطيع أن يتوقع ماذا ستكون عليه آثار هذه الزيارة . والثانية من انجلترا وهى قول الحكومة البريطانية إنها خطوة عملاقة . Giant Step.

وتقدم كمال حسن على بتقرير بذلك إلى السادات .

كما أجريت استطلاعات رأى داخل مصر من مختلف أجهزة الدولة عن أثر القرار على الرأى العام المصرى وكانت نتيجة الاستطلاع تأييدا إجماعيا ملتهبا مع الخوف على حياة الرئيس من خدعة اسرائيلية .

وكان السادات يتوقع أن زيارته ستحرك الموقف الجامد نحو مفاوضات السلام فى مؤتمر جنيف . . أو بأى اسلوب . . ولكنه لم يكن يتوقع على الاطلاق هذا التأييد العالمى الجارف للزيارة الذى فاق كل الحدود وظهر فى الصحافة العالمية وفى كل الهيئات الدولية .

كما لم يكن السادات ليتوقع هذا الأثر السحرى داخل الشعب الاسرائيلى الذى فوجىء بخطوة كأنها الحلم ، وبدأ الرأى العام الاسرائيلى يهتز بآراء جديدة وعديدة ، عن احتمالات كيفية التعايش السلمى مع العرب ، وأن ذلك أصبح ممكنا .

وبدأت عبارة « الخصومة » تتردد بدلا من «العداوة»[1] .

وهكذا يمكن القول أن نتائج رحلة القدس تبرز فى الحقائق الآتية :-

١ - أحدثت الزيارة دويا سياسيا عالميا ، لم يحدث مثله فى التاريخ المعاصر فى هذا القرن ، وبين عشية وضحاها ، ارتفع اسم مصر إلى أعلى سماء ، واحتل السادات مكانة دولية عارمة كرجل سلام ، وكزعيم عالمى شجاع .

---

(١) استخدم السادات فى خطابه أمام الكنيست عبارة «الخصوم» بدلا من « الأعداء » .

٢ - كان لخطاب السادات فى الكنيست ، وخاصة الجانب الانسانى من الخطاب أثر عميق فى الشعب الاسرائيلى .. إن رئيس أكبر دولة عربية نشبت بينها وبين اسرائيل أربع حروب يدعو إلى أن تكون حرب أكتوبر آخر الحروب وليس إذن هو الغول الذى يريد أن يأكل اسرائيل وأن يرمى بشعبها فى البحر .

٣ - وجدت صلة قوية بين السادات والشعب الاسرائيلى ، وكان استقباله الشعبى فى اليوم التالى مروعا ، من الرجال والنساء والأطفال . واحتل مكانته فى قلوب الاسرائيليين كرجل يدعو إلى الثقه والاحترام .

٤ - اقتنع السادات بأن التعامل مع بيجن مهما كانت سخافة خطابه فى الكنيست ، هو الأجدى ، لأنه زعيم وليس رئيس حزب ، وهو زعيم قوى يمكن أن ينفذ ما يلتزم به ، ولو كان فى المعارضة فإنه قادر على تحطيم أى اتفاق يصل إليه السادات .

وقرر السادات أن يتولى بنفسه قضية السلام ، والاتصالات مع اسرائيل وأمريكا ، وزاد اقتناعه بالتعامل المباشر مع العدو ، بدلا من أن تتحدث باسمنا دولة كبرى .

التعامل بغير وسيط ، ولا خوف من المفاوضات مادامت الرؤية واضحة وقد حدد السادات أمام الكنيست المطالب العربية بدون تفريط فى أى حق .

وكانت رؤية السادات أن الهدف هو .. الجلاء الكامل عن الارض المحتلة . عدم المساس بالسيادة المصرية . تطبيع العلاقات لا يصنع قيدا على القرار المصرى . لا معاملة ممتازة لإسرائيل عن أى دولة عادية لنا معها علاقات دبلوماسية ، الاعتراف بالمتطلبات الشرعية للأمن للطرفين ، الاعتراف باسرائيل هو تحصيل حاصل ، لان اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٨ فيها اعتراف باسرائيل وكذلك قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . لا مستوطنات على الاطلاق . القوات الموجودة فى سيناء ، وحرية حركتها لا تكون بأقل مما هو مطلوب للدفاع عن مصر إذا حدث ما يهدد السلام فى الجبهة الشرقية .

وعاد السادات إلى مصر ، واستقبل من الملايين استقبالا أسطوريا لم يحدث لزعيم من قبل .

وبدأت اجراءات الاتصالات المباشرة مع اسرائيل .

واتصل الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية بالسفير الدكتور عصمت عبد المجيد سفيرنا فى الأمم المتحده ومقره نيويورك . أبلغه برسالة تسلم إلى ممثل اسرائيل فى الامم المتحدة ، لكى يرسلها إلى بيجن رئيس وزراء اسرائيل . والرسالة هى دعوة من مصر للاشتراك فى المؤتمر التحضيرى الذى يعقد فى القاهرة فى فندق ميناهاوس يوم ١٣ ديسمبر . كان ذلك فى الساعة الحادية عشرة من الصباح .

طلب بطرس غالى تسليمها بأسرع ما يمكن . لأن نص الرسالة سيذاع من القاهرة فى نشرة الاخبار الساعة ٨,٣٠ مساء ، أى الساعه ٢,٣٠ بتوقيت نيويورك . وسوف تذيع القاهرة نص الرسالة بمجرد تسليمها .

لجأ عصمت عبد المجيد إلى صديقه سفير هولندا فى الأمم المتحدة « كاولتمان » . قام سفير هولندا بإبلاغ هيرتزوج سفير اسرائيل (رئيس اسرائيل حاليا) بأنه يدعوه إلى الاجتماع فى بيته لكى يتسلم رسالة من السفير المصرى . اتفق على اللقاء عند الظهر .

كان ذلك أول لقاء بين السفيرين المصرى والاسرائيلى ، تسلم سفير اسرائيل الرسالة جرى خلال ذلك حديث اجتماعى . قال هيرتزوج أن زوجته مولودة فى الاسماعيلية وهى شقيقة زوجة ابا ايبان . وأنه عقد خطبته عليها فى الاسكندرية .

قال هيرتزوج لعصمت عبد المجيد : أين أسلمك رد حكومتى .

أجابه سفيرنا : هنا .. فى نفس المكان ..

وحضر سفير هولندا الاجتماع الاول ، والاجتماع الثانى بناء على طلب عصمت عبد المجيد .

تلقى عصمت عبد المجيد بعد ذلك من القاهرة قرارا باستدعائه لكى يرأس الوفد المصرى فى اجتماعات ميناهاوس يوم ١٥ ديسمبر . وكانت الدعوة ، قد وجهت إلى كل أطراف المؤتمر . أمريكا . الاتحاد السوفيتى . الأمم المتحدة . سوريا . الأردن . لبنان . منظمة التحرير .

أعلنت منظمة التحرير والدول العربية مقاطعة الاجتماع . وقد عرف ، بعد ذلك أن أمريكا بذلت جهدا لدى سوريا والأردن ولبنان لحضور الاجتماع .

حضر عصمت عبد المجيد إلى القاهرة ، استقبله الرئيس السادات بحضور ممدوح سالم رئيس الوزراء ، شرح له خلفية الموقف . قال السادات : أنتم تمهدون لبداية عملية السلام ، وبعد ذلك سيجرى اجتماع يحضره بيجن . وكان بيجن قد أبدى للسادات رغبته فى أن يرد زيارته لاسرائيل بزيارة منه إلى مصر وقال السادات انه موافق من ناحية المبدأ وسوف يحدد موعد الزيارة فى الوقت الذى يراه مناسبا .

رأى فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة أن يكون ممثلو الأمم المتحدة على مستوى عال .

اختار جمس جون مساعده . والجنرال بيلازينو كبير مراقبى الهدنة . وكانت

التعليمات لهما أن يحضرا كمراقبين فقط دون الاشتراك فى المناقشات . وحضر عن الجانب الامريكى السفير أثرتون .

وصل الوفد الإسرائيلى برياسة بن أليسار إلى مطار القاهرة . نقل بطائرة هليوكوبتر إلى نادى الرماية ، ثم توجه إلى فندق ميناهاوس وكان عصمت عبد المجيد فى استقباله عند باب الفندق ، تحول فندق ميناهاوس إلى مدينة صغيرة مزدحمة ، حضر أكثر من ١٥٠٠ صحفى من جميع أنحاء العالم ، كان الصحفيون الإسرائيليون فى قمة النشوة . لقد استقبلوا من المصريين بحفاوة بالغة وترحيب كريم لم يكونوا يتصورونه أو يحلموا به . أصيب المراسل العسكرى لصيحفة هاآرتس بانهيار عصبى بعد أن فوجىء بروح المودة ، من المصريين . صرخ .. كيف إذن كانوا يقولون لنا منذ طفولتنا إن المصريين وحوش . وبقى فى غرفته ثلاثة أيام بلياليها من آثار هذه الصدمة .

رفعت جميع الأعلام على فندق ميناهاوس . وكان من بينها علم فلسطين ثم أزيلت الأعلام بعد ساعة .

عقدت جلسة تمهيدية من عصمت عبد المجيد وأسامة الباز مع كل من بن أليسار ومايير أوزين (سفير إسرائيل فى واشنطن حالياً) اتفق على ترتيبات الانعقاد ، وتنظيم المقاعد . يبدأ عصمت عبد المجيد بكلمة افتتاحية ويرد عليه ممثل إسرائيل . وكانت الكلمتان على طرفى نقيض .

حاول الوفد الإسرائيلى أن يثير موضوع مشروع السلام الذى أعدته إسرائيل . قدمه أوزين إلى الدكتور عصمت عبد المجيد . لم يمد السفير المصرى يده ليتسلمه . قال له أعد هذا المشروع إلى حقيبتك . قال اوزين : « عندى تعليمات من موشى ديان وزير الخارجية بتسليم هذا المشروع » رد عصمت : « وليس عندى تعليمات من وزير الخارجية المصرى بتسلم المشروع » عاد المشروع إلى حقيبة ممثل اسرائيل . وكان بن اليسار يراقب هذا المشهد ، ويدقق فى متابعة انفعالات الدكتور عصمت عبد المجيد .

وكانت مناقشات الوفد المصرى فى اجتماع ميناهاوس تركز على مبادىء المفاوضات وهى الانسحاب الكامل بدون قيد ولا شرط وأن الأرض مقدسة وأنه لا مساس بالسيادة المصرية ولا مساس بالحدود الدولية . وإقرار حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .

وكانت كلمات الوفد الاسرائيلى تدور حول أن الانسحاب يجرى إلى حدود يتفق عليها الطرفان . وهذا ما جاء فى المشروع الذى رفض مندوب مصر أن يتسلمه .

وهنا كانت المواجهة بين الوفدين المصرى والاسرائيلى قاسية ومتوترة .

لقد تحدث بن اليسار من نفس المنطلقات الصهيونية التقليدية ، كان استهلالا سيئا لأول مفاوضات مباشرة . وغطى بن اليسار موقفه بقوله إن هذه المباحثات تجرى لكى يتكلم كل طرف . بكل صراحة وبدون أية حساسيات . وقال إنه عندما يقول إن الانسحاب يجرى إلى حدود يتفق عليها الطرفان لا يرى فى ذلك أية حساسية لأن الحدود هى حدود إسرائيل ايضا !!

وتوتر الموقف وأبلغ الرئيس السادات بما جرى وأيد موقف عصمت عبد المجيد وأسامه الباز تماما .

وهنا فكر السادات فى وعده لبيجن بأن يزور القاهرة . لقد رأى أن المباحثات على المستوى الفنى لن تجدى . فلماذا لا يحضر بيجن إلى مصر ، وتجرى المباحثات على أعلى مستوى سياسى ، حتى يمكن أن يتحقق التقدم .

ووجه السادات الدعوة إلى بيجن لزيارة الاسماعيلية لا القاهرة . ولم يعامل كرئيس وزراء ، واستقبل بغير أية مراسم رسمية وأزيل العلم الاسرائيلى من مطار ابو صوير بمجرد خروج بيجن من المطار .

وحضر بيجن ومعه موشى ديان يوم ٢٥ ديسمبر .

وكان السادات مقيما فى استراحة شركة قناة السويس .

وكان الوفد المصرى برياسة السادات وعضوية ممدوح سالم ومحمد كامل وزير الخارجية الذى أقسم اليمين فى ذلك اليوم وليس صحيحا على الاطلاق أنه اعترض على أن يحلف اليمين وبيجن موجود ، كما زعم فى كتابه . وباقى أعضاء الوفد هم الفريق الجمصى وبطرس غالى والدكتور عصمت عبد المجيد وأسامه الباز .

دعا الرئيس السادات السيدة عزيزه حسين حرم الدكتور أحمد حسين سفيرنا الاسبق فى واشنطن للحضور إلى الإسماعيلية لكى تلتقى بزوجة ابا ايبان — بناء على طلبها — التى حضرت مع بيجن . وتم لقاؤهما فى حديقة الاستراحة . كانتا زميلتى دراسة فى الجامعة الامريكية بالقاهرة .

بدأت جلسة المباحثات . رحب الرئيس بالوفد الاسرائيلى وتحدث عن السلام كهدف استراتيجى ثابت . بدأ بيجن الكلام . عرض مشروعه . قال إنه حصل على موافقة الرئيس الامريكى كارتر على المشروع ، وكذلك على موافقة رئيس حكومة بريطانيا . ثبت بعد ذلك انه كذب . لقد قال كارتر فقط إن المشروع يصلح أساسا للمفاوضات . وهذا ما أكده للرئيس السادات بعد ذلك .

وقد طلب السادات من بيجن فى هذا الاجتماع أن يعلن الانسحاب الكامل من الارض المحتلة وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، ورد بيجن بأن هذا معناه إقامة دولة مستقلة فلسطينية وهذا تعبير مغلف لتحطيم اسرائيل وإزالة اسرائيل هو هدف معلن من منظمة التحرير فى ميثاق المنظمة . كما كرر بيجن تفسيره لقرار ٢٤٢ وهو أنه لايعنى الانسحاب الكامل .

وعندما تحدث بيجن فى مشروعه عن الحكم الذاتى بدأ بمجرد الحكم الذاتى من حق تقرير المصير . وكان يستخدم عبارة .Self Rule بدلا من .Self Determination وهنا تصدى له الدكتور عصمت عبد المجيد .

قال له : أنت أدليت بحديث الى التلفزيون الامريكى ، وعندما سئلت : ماذا تقصد بـ Self Rule قلت إنها مشابهة تماما لعبارة Self Determination

قال بيجن : لم أقل هذا ..

عصمت : نص الحديث أمامى .. وهذا ما قلته أنت بالحرف الواحد .

غضب بيجن : أنا اعرف ماذا قلته ..

عصمت : النص هو الحكم بيننا ..

وكان هذا هو الصدام الأول .

ثم تحدث بيجن عن الفلسطينيين العرب palestenian Arabs واعترض عصمت عبد المجيد : هذا ليس اسمهم انهم فلسطينيون فقط

قال بيجين : أنا فلسطينى يهودى ؟..

عصمت : كيف تكون فلسطينيا وأنت مولود فى بولندا

بيجين : جدودى ولدوا فى فلسطين

عصمت : هذه حجة لاتناقش . لأننا لو طبقناها لتغير وجه العالم كله . وكان هذا هو الصدام الثانى .

ثم تحدث بيجن عن قرار ٢٤٢ . ولاحظ الدكتور عصمت عبد المجيد أنه لا يتلو نص القرار بأمانة .

ولفت نظر بيجن إلى ذلك ، وقال هذا هو نص القرار إن ما قلته لم يرد فى القرار . تأزم بيجن ، وتدخل القاضى براك Brak عضو الوفد الاسرائيلى وقال إن رئيس الوزراء يقصد تفسيره لقرار ٢٤٢ لا النص (هذا القاضى هو الذى اختير عضوا بعد ذلك فى اللجنة القضائية التى حققت مذابح صبرا وشاتيلا) وكان هذا هو الصدام الثالث .

ووضح من المناقشات أن المباحثات لم تصل إلى اية نتيجة ، أصر الوفد المصرى على الانسحاب الكامل ، لا مستوطنات ، حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وقف الممارسات الاسرائيلية العسكرية فى الضفة الغربية .

تقرر استمرار زيارة بيجن يوما آخر ، أملا فى الوصول إلى انقاذ للمباحثات التى بدأت فاشلة .

فكر أنور السادات فى إنقاذ الموقف وايجاد مخرج فاقترح تأليف لجنة سياسية ولجنة عسكرية من الجانبين لبحث موضوعات المباحثات السياسية والعسكرية وكان عزرا وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى قد أبدى رغبة ملحة فى زيارة مصر والالتقاء بقيادات الجيش المصرى . وكان السادات قد أبدى موافقته فى القدس وطلب من معاونيه أن تجرى الاتصالات علنا وتذاع فى الصحف وكان تعبيره « كل شىء يجب أن يجرى فى وضح النهار » .

واتفق على إصدار بيان بأن كل جانب متمسك بوجهة نظره ، أصر بيجن على أن يذكر فى البيان الاسرائيلى « جوديا » و « سماريا » بدلا من الضفة الغربية .

كان بيجن فى قمة السخف والصلف فى المؤتمر الصحفى الذى عقد بعد ذلك . زعم أن الرئيس السادات أيده فى أننا كنا نريد أن نرمى اسرائيل فى البحر ! هذا لم يحدث . كان السادات يستمع « والبيبه » فى يده ومن عادته أن يتابع محدثه بهز رأسه قليلا ، فسر بيجن ذلك على هواه واعتبره موافقه .

ورغم أن بيجن كان متصلبا فى هذه المفاوضات ، ورفض إزالة المستوطنات من سيناء وخاصة مستوطنة ياميت التى كان قد أعلن أنه يريد أن يمضى فيها سنوات اعتزاله ويدفن فيها . كما أصر على ان القدس هى عاصمة اسرائيل بغير منازع .

رغم كل ذلك فإن السادات قدر أن هذه أول جلسة مباحثات وليس من المعقول أن يتنازل بيجن مرة واحدة عن كل آرائه المتخلفة القديمة التى استمر يدعو لها أربعين عاما .

سافر الوفد الاسرائيلى ، وعامل السادات ضيفه معاملة شخصية كريمة وكظم غيظه وهنأ عصمت عبد المجيد على ردوده الحاسمة على بيجن . وتألفت اللجنة المصرية للمباحثات من محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية رئيسا وبطرس غالى والسفير عصمت عبد المجيد وأعضاء آخرين . تقرر اجتماع اللجنة المصرية الاسرائيلية فى القدس ، سافر سيروس فانس وزير الخارجية الامريكية للاشتراك فى المباحثات . وكان معه كوانت عضو مجلس الأمن الامريكى الذى استقال بعد ذلك وهو يعد من أكبر الخبراء الامريكيين فى أزمة الشرق الاوسط .

أحاط موشى ديان أجواء المفاوضات فى القدس — وكانت تجرى فى فندق هيلتون — بزوابع من الشكوك .. عقد مؤتمرا صحفيا .. قال فيه إنه لا يقبل أن يتفاوض والخنجر المصرى فى ظهره .. ولا مفاوضات بشروط مسبقة وذلك رداً على البيان الذى ألقاه محمد ابراهيم كامل عند وصوله إلى المطار وأكد فيه على تمسك مصر بكل الحقوق العربية . لم تسفر جلسة المباحثات الطويلة عن أى تقدم . حاول فانس بكل قدراته أن يوصل الطرفين إلى نقط اتفاق ثم دعا بيجن الوفود إلى عشاء كبير . جاء فى الدعوة أنه عشاء اجتماعى . ولكن بيجن ألقى خطابا سياسيا على مائدة العشاء . سخر فيه من حق تقرير المصير . قال إن هذه العبارة لها تاريخ فى الحرب العالمية .. ربما لا يدركه وزير الخارجية المصرى . فقد كان صغيرا فى السن ولكن فانس المخضرم مثلى — يعرف هذا التاريخ .

كانت العبارة جارحة ..

وهنا وقف إبراهيم كامل . وتحدث فى عنف وبجملة واحدة . قال كنت أظن أن هذه مناسبة اجتماعية . وما قاله بيجن لن أرد عليه إلا على مائدة المباحثات وجلس وصفق له الحاضرون .

وكثير من الاسرائيليين المدعوين اعتبروا كلمات بيجن « جليطة » وأذكر أننى خرجت من العشاء وسألنى الصحفيون الاسرائيليون ما رأيك ؟ وأجبت لقد حاول بيجن أن يأكل الوزير المصرى . ولكن الوزير المصرى ابتلعه .

صعدنا إلى جناح ابراهيم كامل . أدرنا الراديو بصوت مرتفع حتى نتحدث بحرية رغم أجهزة التصنت . هنأنا ابراهيم كامل على موقفه . وفجأة وردت برقية سريعة من القاهرة تطلب من الوفد المصرى مغادرة اسرائيل فورا والعودة إلى القاهرة . لم يتشاور السادات لاسلكيا مع أعضاء الوفد فى هذا القرار . كان إبراهيم كامل قد أبلغ السادات بتطور المباحثات . وأدرك السادات أنها تدور فى حلقة مفرغة . وقرر على الفور سحب الوفد المصرى . أراد السادات أن يحمل اسرائيل مسئولية فشل هذه المباحثات . ولم يمنع وجود فانس فى اسرائيل واشتراكه فى المباحثات السادات من اتخاذه قراره واعلانه من راديو القاهرة . بل كان السادات يريد أن يشعر أمريكا . أن الموقف يتطلب تدخلا أمريكيا مثمراً مع اسرائيل .

جاء فانس لزيارة الوفد المصرى . اعتذرر له ابراهيم كامل بان القرار مفاجأة وسكر له كل جهوده ..

نطلقت الطائرة من مطار القدس فى الساعة الثالثة من الصباح وقام موشى ديان

بمهمة توديع الوفد .. وأمضيا ساعات طويلة فى المطار فى أحاديث بعيدة عن السياسة .. قال فيها ديان ان ابنته تكسب من التأليف أكثر من مرتبه من الوزارة . وتناولنا جميعا بعض السندويتشات من بوفيه المطار وأصر ديان على أن يأكل عجة بيض .

تجمع عدد ضخم من الاسرائيليين والاسرائيليات فى صالة الفندق عند خروج الوفد المصرى إلى المطار . كانت مظاهر الألم تكسو وجوههم . وبكت بعض السيدات لان المباحثات فشلت . كان المشهد مؤثرا للغاية .

فى صباح اليوم التالى طلبنى الرئيس السادات للقائه فى استراحة القناطر لإعداد خطاب يلقيه فى مجلس الشعب عن قطع المفاوضات . وجدت ممدوح سالم رئيس الوزراء وابراهيم كامل وزير الخارجية معه . امتدح ابراهيم كامل قرار السادات .

وفى هذه الزيارة القصيرة للقدس جلست مع بيجن لأول مرة . طلبت باسم زملائى الصحفيين المصريين موعدا لإجراء حوار مغلق مع بيجن . كان هدفى ان نتبين وجهات نظره بوضوح وألا نعطيه فرصه لكى ينشر آراءه . حدد الاجتماع فى مكتبه . فوجئت بوجود التليفزيون الاسرائيلى . رفضت بدء الاجتماع حتى خرج الإعلام الاسرائيلى ..

سألت بيجن : « ماذا تقدم للسلام بعد كل ما قدمته مصر ، سوف نعترف باسرائيل ، سوف نعترف بحقها فى التعايش فى سلام مع جيرانها العرب ، أبدينا استعدادنا لتطبيع العلاقات ، فماذا فعلت أنت ؟»

فأجابنى بيجن بإجابة فظة ..

قال وهو يضع يده على كتفى : « يا صديقى .. نحن لم نطلب منكم الاعتراف باسرائيل لسنا فى حاجة إلى هذا الاعتراف ، اسرائيل حقيقة دولية » .

وتكهرب جو الاجتماع ، وامتنع عدد من زملائنا عن توجيه أى سؤال إلى بيجن .

وفوجئت بأن راديو اسرائيل يذيع كل ما دار فى الاجتماع بعد ساعة واحدة !..

واقعة أخرى تحدث لى فى هذه الزيارة كان لها مدلولها . كنت قد انتويت أن أتعرف إلى الصحفيين والكتاب فى مختلف صحف اسرائيل وطلب منى مندوب صحيفة « هآرتس » المستقلة أن أكتب مقالا للصحيفة .

كتبت المقال باللغة العربية وترجم إلى العبرية ، وكان المقال يخاطب العاطفة الانسانية فى قلب كل أب إسرائيلى وأم اسرائيلية فقدت ابنها أو زوجها فى الحرب ، وتناولت فى مقالى الشعار الذى رفعه السادات « فلتكن حرب أكتوبر هى آخر الحروب » وفوجئت أن المقال نشر فى نصف صفحة ويقابله فى النصف الآخر مقال بقلم

رئيس تحرير « هاآرتس » وصاحبها . وهو من أصل ألمانى . وكان مقاله بالغ العنف وندد بأننى استخدم الأسلوب العاطفى للتأثير على الرأى العام الاسرائيلى وأتجاهل الحقائق ، وهى أن العرب يريدون القاء اسرائيل فى البحر .

وقال لى مدير مكتب موشى ديان فى ذلك اليوم ونحن على مائدة العشاء الذى دعا إليه بيجن : من الغريب أن يكتب صاحب هاآرتس وهو يندر أن ينشر مقالا واحدا بقلمه طوال العام والغريب أكثر أنه فقد ذوق التعبير لأن المقال امتلأ بكلمات الهجوم العنيف .

كان لهذا دلالته فى نفسى وهى أن الصحف الاسرائيلية بدأت تخشى من تأثير السادات السحرى على الشعب الاسرائيلى إذن هم يخشون أن ينهزموا فى مباحثات السلام ..

وقد زرت صحيفة « عاليمشار » وهى تعبر عن حزب تقدمى ، وتطالب بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، ولكننى لما توغلت معهم فى المناقشة عن إزالة المستوطنات ، كان موقفهم متحجرا واعتبروه موقفا مبدئيا ، لأنهم يتبنون سياسة المستوطنات ، وعلى مدى ثلاثة أجيال قامت اسرائيل على بناء المستوطنات !

وعندما زرت صحيفة « يديعوت احرونوت » وهى صحيفة يمينية كان الحوار مع صاحبيها غير مجد فيما يتعلق بأمن اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطينى رغم أن هذه الصحيفة تصدر ملحقا اسبوعيا فيه صفحات حرة تنشر كل الآراء .

ولم أجد موقفا مختلفا مع المسئولين فى صحيفة « جوروزاليم بوست » التى اجتمعت مع أسرة تحريرها ثلاث ساعات .

وهكذا عدت من اسرائيل فى هذه الرحلة وأنا فى قمة التشاؤم .

– ٥ –

« مباحثات جاناكليس »

فى اجتماعات القدس مع الرئيس السادات أبدى عيزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى رغبة ملحة فى رؤية قيادات الجيش المصرى .. ووافق السادات بشرط أن تتم جميع اللقاءات علنا .

وتقرر أن يحضر وايزمان مع وفد عسكرى بالملابس المدنية إلى القاهرة . وأخطر الفريق أول محمد عبد الغنى الجمصى بموعد حضوره وتم ترتيب ذلك عن طريق السفارة الأمريكية فى القاهرة .

استقبله الجمصى فى مطار القاهرة الدولى «الجزء العسكرى ـ شرق القاهرة» .. ثم استقلا طائرة هليوكبتر إلى الإسماعيلية للقاء الرئيس السادات .. ثم طارا إلى استراحة رياسة الجمهورية فى جاناكليس .. واختار الجمصى هذا المكان . حتى تتم اللقاءات بعيدا عن الإعلام المحلى والعالمى .

كان ذلك أول لقاء بين القائدين المصرى والإسرائيلى .. وعندما صعد إليه الجمصى فى الطائرة .. قال له : أهلا وسهلا .. أنت وايزمان .. من الصور ..

وقال وايزمان : شكرا .. أنت الجمصى من الصور .. سعيد بلقائك .

ولم يخرج الحديث بينهما فى طائرة الهليوكبتر إلى الإسماعيلية ثم إلى جانكليس عن كلمات المجاملة العادية .. وعن التعبير عن سعادتهما بأن السلام سيحل بعد الحروب .. كما أن السادات عندما التقى بهما .. اقتصرت كلماته على هذه المعانى .. وحضر حسنى مبارك لقاءهما بالسادات .

وفى نشرة أخبار الإذاعة المسائية (٨,٣٠ مساء) أذيع خبر وصول وايزمان والمباحثات العسكرية فى جانكليس .. واتصل عبد المنعم الصاوى وزير الإعلام بالفريق الجمصى طالبا سفر وفد إعلامى إلى جاناكليس .. ورفض الجمصى لأن طبيعة المباحثات العسكرية ، لا تحتمل الإعلام عنها .

وجرت مناقشات فى هذه المباحثات اتخذت طابع العمومية . تحدث الجمصى عن الانسحاب الإسرائيلى إلى الحدود الدولية . حجم القوات المصرية التى تبقى فى سيناء . وتحدث وايزمان عن الانسحاب إلى حدود يتفق عليها مع الاحتفاظ بالمستوطنات وعن تقليل حجم القوات المصرية فى سيناء وكان يدافع عن بقاء المستوطنات تحت شعار « الأمن » وقال أن .. سكان هذه المستوطنات سيكونون يهودا يقيمون فى مصر تحت سلطان السيادة المصرية والقانون المصرى .

ولم يصلا إلى نتيجة .. كل طرف طلب أقصى المطالب .. وهذه هى طبيعة المفاوضات فى أول مراحلها .

وقال الجمصى لوايزمان أن موضوع المستوطنات هو موضوع سياسى ومن الناحية العسكرية فإن بقاء مستوطنة يعنى وجود حراسة إسرائيلية عليها وهذا مستحيل . كما

حدث الخلاف الجذرى على حجم القوات وخطوط تمركزها .. وطالب الجانب المصرى بأن تبقى القوات ممتدة حتى الحدود الشرقية لسيناء .. وخط العريش جنوبا يكون أساسا هو خط الدفاع الأول .

وبعد يومين من المباحثات الفاشلة استقبلهما الرئيس السادات بحضور النائب حسنى مبارك .. وعرضا عليه موجزا لما دار من مناقشات .

ويقول الفريق الجمصى : بعد سلسلة من الاجتماعات مع وايزمان وضعت له تقييما فى نفسى . إنه ملتزم باستراتيجية وسياسة اسرائيل . وهو يردد نفس آراء بيجين ويتمسك بها .. ولكن طريقة مناقشته تتسم بالذكاء .. والمرونة والكياسة وهو عندما يصطدم التفاوض معه برفض شىء .. فإنه يحاول أن يحقق هدفه بطريقة أخرى .

وقد قال له الفريق الجمصى خلال المباحثات مداعبا : انت لست وايزمان .. أنت وايز ..مان..Wise Man

ومن أمثلة أسلوب وايزمان فى الحديث .. كلامه مثلا عن شرم الشيخ .. أنه يبدأ بأنه يقدر تماما وجهة النظر المصرية .. ولكن موشى ديان أعلن أن شرم الشيخ بدون سلام .. أفضل من السلام بدون شرم الشيخ وهذه العبارة انتشرت فى اسرائيل وتكون لها رأى عام .. وهذا يصعب الأمور علينا كمفاوضين عن اسرائيل .. إننا لا نستطيع أن نتحدى الرأى العام !!

وجرى حوار طويل فى هذه المباحثات عن المطارات الموجودة فى سيناء .. لقد أنشأ الاسرائيليون بعد هزيمتنا فى ١٩٦٧ مطارين باسماء يهودية .. واحد جنوب رفح والثانى بالقرب من ايلات . ولمصر اصلا مطارات فى سيناء (تمادا ــ المليز ــ العريش ــ رأس نصر) .

وطالب وايزمان بالابقاء على المطارين الاسرائيليين .. وشفع طلبه للاقناع بأنهما سوف يستخدمان استخداما مدنيا .

وكل هذا رفضته مصر بطبيعة الحال .. وأصر الجانب المصرى فى هذه المباحثات بتعليمات مباشرة من الرئيس السادات على أن كل ما هو على أرض سيناء مصرى مائة فى المائة .. وألا قيود على حجم القوات البرية أو الصواريخ .. ومصر تؤمن أرضها بالطريقة التى تراها .

ثم جرى اجتماع الاسماعيلية .. واخذت اجتماعات اللجنة العسكرية من الطرفين الطابع الرسمى وتمت فى قصر الطاهرة .. ولما فشلت اجتماعات اللجنة السياسية .. تقرر أيضا وقف الاجتماعات العسكرية .. وسافر وايزمان .. وبقى الفريق

الاسرائيلى .. ولم يطلب الاسرائيليون أن يسافروا .. ولم يطلب منهم ذلك .. وكانوا مزودين بجهاز لاسلكى للاتصال باسرائيل خلال المباحثات ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا .. وطلبت منهم مصر مغادرة أرضها وعادوا إلى اسرائيل .

ولم يشترك الفريق الجمصى فى أية مباحثات عسكرية بعد ذلك حتى خرج من منصب وزير الدفاع قبيل ٦ أكتوبر وتولى وزارة الدفاع كمال حسن على الذى قام بالمباحثات السياسية والعسكرية ، حتى تولى الدكتور مصطفى خليل رياسة الوزارة ووزارة الخارجية وقام بالمباحثات السياسية .

حدث ــ قبل خروج الجمصى ــ لقاء عسكرى واحد فقط فى سالزبورج (النمسا) كان السادات عائدا من رحلته إلى أمريكا وتوقف فى سالزبورج .. بعد أن اجتمع بالمستشار كرايسكى مستشار النمسا وبيريز رئيس حزب العمل الاسرائيلى وزعيم المعارضة فى مدينة فيينا خلال اجتماعات مؤتمر الاشتراكية الدولية . وكان السادات يحاول جذب بيريز للوصول إلى تقارب بناء على نصيحة كرايسكى على أساس أن بيريز يمثل النظر الأقل تطرفا من بيجن . وفى اجتماعه مع بيريز أوحى له السادات بأنه يمكن أن يكون أكثر مرونة معه فى المباحثات المقبلة إذا وصل حزب العمل إلى الحكم .. وفى نفس الوقت أراد السادات أن يقابل وايزمان لكى يحثه على تغييرات فى موقف بيجن .. على أساس أن وايزمان هو اللسان المرن لبيجن . ولذلك استدعاه فى سالزبورج .. كما استدعى الفريق أول محمد عبد الغنى الجمصى من القاهرة .. والتقى الجمصى بوايزمان .. وصعدا معا إلى جناح الرئيس السادات فى الفندق .. وادى الجمصى التحيه العسكرية للرئيس .. وقال له الرئيس إنه سوف ينفرد بوايزمان وانسحب الجمصى .. ولم يعرف احد ما دار بين الرئيس ووايزمان .. وكان فى سالزبورج محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية .. وحسن التهامى مستشار الرئيس .

ولم يحدث اجتماع منفرد بين الجمصى ووايزمان .. ودعا وايزمان الجمصى على العشاء .. فاعتذر وكان هناك كاهان الزعيم اليهودى الكبير فى اوربا وصديق كرايسكى ودعا الطرفين على العشاء .. على مائدته .. ولم يجر أى حديث عسكرى .

وفى جلسة أمام إحدى بحيرات سالزبورج .. تحدث السادات إلى معاونيه .. ابراهيم كامل والتهامى والجمصى .. وكان حديثه عاما عن «تليين» الجانب الاسرائيلى .. وكان متفقا من قبل أن يجرى ابراهيم كامل مباحثات فى لندن مع الجانب الأسرائيلى وقال له الرئيس السادات : سوف تذهب إلى لندن وترى تحولا فى الموقف .. الإسرائيلى ..

كان السادات يبذل جهودا متكاملة .. مع الحكومة الاسرائيلية ومع المعارضة .. وفى اتصالاته بقادة أوربا .. وبالبيت الابيض ، كل ذلك لكى يهيىء أجواء ناجحة لمباحثات السلام ولكى يضع الضغوط على الجانب الأسرائيلى ..

وخلال ذلك سافر الفريق أول محمد الجمصى بوصفه وزيرا للدفاع إلى واشنطن . وكانت مهمته بتكليف من الرئيس السادات فى ٥ يونيو ١٩٧٨ هى تمهيد الأجواء للحصول على أسلحة من أمريكا .. ولم نكن قد حصلنا من أمريكا إلا على عدد من طائرات النقل .. وكانت لنا مطالب عسكرية حملها معه كيسنجر إلى امريكا .. واجتمع الجمصى بوزير الدفاع الامريكى (براون) .. ووزير الخارجية (فانس) ومستشار الأمن القومى (برجنسكى) .. ثم بالرئيس كارتر .. وعاد بعد هذه الاجتماعات بنتيجة واضحة .. وهى موافقة الإدارة الأمريكية على المطالب المصرية ووعد بتحديد موعد للتنفيذ .. حتى يتم التفاهم مع الكونجرس .. وكانت اجتماعات الجمصى تتم بحضور السفير المصرى الدكتور أشرف غربال والملحق العسكرى محمد عبد الحليم أبو غزالة ..

وقد عومل فى الاستقبالات الرسمية بمثل معاملة وايزمان تماما الذى كان قد زار واشنطن قبله بوقت قصير .. حتى الهدية الروتينية التى تقدم للضيوف .. كانت نفس الهدية التى قدمت إلى وايزمان وهى طقم شوك وسكاكين (رخيص الثمن) من الصلب .

وبعد ذلك انقطعت كل صلة للجمصى بالمباحثات العسكرية حتى خرج من منصبه فى الخامس من أكتوبر ١٩٨١ .

- ٦ -

ماذا جرى فى كامب دافيد ؟

رأت أمريكا أنها فى موقف محرج ، أصبح السادات قوة لها احترامها أمام الرأى العام الأمريكى . العالم الغربى يرى أن السادات جاد فى طريق السلام . ولكن إسرائيل لا تريد أن تتقدم خطوه تحقق تجاوبا حقيقيا مع الحق العربى رغم أن الرأى العام الشعبى فى إسرائيل بدأ يفكر فى السادات فعلا كزعيم عربى يمكن التعايش معه ..

وقال السادات لمعاونيه . لقد قطعنا الآن ربع المسافة وعلينا أن نعطى أمريكا فرصة جديدة لكى يتحركوا .

وفى أبريل أرسل الرئيس كارتر مبعوثا إلى مصر هو آثرتون (السفير فى مصر بعد

ذلك) لكى يلتقى بالسادات . تم اللقاء فى الغردقة . قال للسادات إنهم يفكرون فى بعض صيغ لتحريك الموقف . لقد وضح أنه من الصعب الآن . بالنسبة لإسرائيل وللعرب . التوصل إلى حل نهائى للمشكلة الفلسطينية .. فلماذا لا تقدم صيغة تمهيدية .. تعبر عن مرحلة انتقالية بعدها يمكن الوصول إلى اتفاق نهائى بعد دخول الفلسطينيين والأردن للتفاوض .. وعرض أثرتون هذه الصيغة الجديدة على السادات .

طلب السادات من وزارة الخارجية بحث هذه الصيغة الجديدة وتألفت لجنة لذلك تبحث المزايا والمضار . الخلاصة هى حل مرحلى لا يؤثر على الحقوق الفلسطينية والعربية .

ثم وجهت أمريكا دعوة إلى الطرفين المصرى والإسرائيلى للاجتماع فى «ليدز كاسل» فى يوليو بانجلترا . اختير المكان لكى تجرى المباحثات بعيدا عن الإعلام ولكى لا تكون هناك فرصة لتصريحات متعنتة من الجانبين . حضر محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية ومعه أسامه الباز عن مصر . وحضر موشى ديان ومعه دون باراك عن إسرائيل ، اقترح فانس أن يستخدم الطرفان هذا الاجتماع أحسن استخدام بأن يوضح كل طرف موقفه بطريقه واضحة وهادئة وعاقلة .

تكلم ديان نصف ساعة . تبعه باراك بتفصيل أكثر . عرض محمد إبراهيم كامل وجهة النظر المصرية بشكل عام . تكلم بعده أسامة الباز طويلا جدا بالتحديد عن الموقف العربى ورؤية مصر للصراع العربى الإسرائيلى وأسلوب حله مع التركيز على المشكلة الفلسطينية .

استمر الاجتماع ثلاث ساعات .. وكانت المساجلة هى نعم ولا بوضوح فى كل النقاط .

خرج موشى ديان من هذه المفاوضات بانطباع بأن مصر جادة وصادقة فى الرغبة فى إقرار السلام ، كما أن لها رؤية متكاملة ، ولكنها رؤية متشددة . كما تأكد الوفد الإسرائيلى أن المشكلة الفلسطينية لها نفس الأهمية التى لدى مصر للانسحاب الكامل من سيناء .

وكانت مناورة موشى ديان هى أن مصر تقول إنها لا تستطيع أن تتكلم باسم الفلسطينيين .. فكيف تطالبون إسرائيل بتنازلات فى المشكلة الفلسطينية ؟.. لماذا لا نركز الآن على المباحثات الثنائية بيننا ، فإذا نجحنا انتقلنا إلى مرحلة مقبلة . والتجربة مع مصر ستسهل الأمر على الإسرائيليين .. لأنهم كانوا قد اعتادوا على التعايش مع المصريين .. وهذا هو الأمر المعقول مادامت مصر لا تريد أن توقع شيئا يخص الفلسطينيين .

وكان رد أسامه الباز أن مصر تتحدث عن القضية الفلسطينية من واقع التزامها الأخلاقى .. ومن واقع الالتزام العربى العام بالحقوق الفلسطينية وخاصة أن المطروح الآن هو من أجل السلام .. كما أن هناك التزاماً قانونيا على مصر بقرار الأمم المتحدة فى إدارة قطاع غزة .

وأكدت مصر فى هذه المباحثات على أن مربط الفرس فى الحل الفلسطينى هو هل سيمارس الفلسطينيون حقهم فى تقرير المصير أم لا ؟.. إذا حدث اعتراف بذلك من اسرائيل .. هنا سوف يتشجع الفلسطينيون ويشاركون فى مباحثات السلام .

ولم يصل اجتماع «ليدز كاسل» إلى أية نتيجة .

وناقشت الإدارة الأمريكية كل ما جرى ووضح لهم أن كل اجتماع ينتهى إلى لا شيء .. وأن استمرار مثل هذه الاجتماعات معناه البداية من الصفر فى كل اجتماع .. وذلك يضيع قوة الدفع التى خلقتها زيارة السادات لإسرائيل ، ومن هنا بدأت لدى الإدارة الأمريكية فكرة إيجاد عناصر اقتراح أمريكى لتسوية شاملة .. وقد وضع ساندرز (مساعد وزير الخارجية) مسودة لهذه العناصر .. وبذلك استجابت أمريكا ــ بعد ما رأت ضياع الوقت ــ لهدف السادات وهو أن تدخل أمريكا شريكا كاملا فى المفاوضات .

وانتهى كارتر إلى اقتراح بعقد مؤتمر قمة ثلاثى مع السادات وبيجن فى « كامب ديفيد » (وهى استراحة مخصصة للرئيس الأمريكى عبارة عن أكواخ من الخشب بأثاث بسيط ، وفى مكان منعزل قريبا من واشنطن) .

وتحمس السادات للفكرة التى حملها فانس إلى القدس والاسكندرية فى ٦ و١٣ أغسطس لأن كارتر بذلك يكون قد وضع مستقبله السياسى رهنا بنجاح مثل هذا الاجتماع . كما سعد السادات بأن كارتر التزم بأن تكون أمريكا شريكا كاملا فى المباحثات .. وكان السادات مقتنعا بأن ٩٩٪ من « كروت » الحل فى يد أمريكا وتعبير الشريك الكامل وهو تعبير سا!اتى أعلنته أمريكا بعد ذلك فى كل المراحل .

واجتمع السادات مع معاونيه فى القاهرة ، وشرح لهم لماذا وافق على كامب دافيد . كما عرض تقديره أن احتمال النجاح يستوى مع احتمال الفشل . وقال السادات إنه يريد أن يصل إلى موقف أمريكى قريب من الموقف المصرى .. وبذلك تقف اسرائيل وحدها أمام موقفين متقاربين..

وقال السادات لأسامة الباز : خطتى هى أن نعد مشروعا مصريا معتدل الصياغة ولكنه لا يحمل أى تنازل عن جميع المطالب العربية وبالنسبة لمشكلة القدس نصل إلى

صياغة لحلها تنسجل الانسحاب الاسرائيلى من القدس وتصبح القدس جزءا من الضفة الغربية ولا تقسيم للمدينة من ناحية المرافق .

وطلب السادات إعداد هذا المشروع فى سرية كاملة .

وأعد أسامة الباز المشروع وعرضه على الرئيس وأقره وأعجب بـه وقد نص المشروع على حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .. وطرح فكرة الاتحاد الكونفيدر إلى أو الفيدرالى بين الفلسطينيين والأردن حسبما يقرر الشعبان ، نوع الاتحاد .

ولكن السادات فكر أيضا فى احتمال فشل هذا المشروع .. رغم أنه كان يأمل فى موافقة كارتر .. لأن مبدأ عدم التوسع مع ضمان الأمن قريب إلى التفهم الأمريكى . وبذلك يدفع السادات أمريكا إلى مواجهة حاسمة مع اسرائيل فى كامب دافيد . وقال السادات لأسامه الباز .. علينا أن نكون مستعدين لاحتمال الفشل .. وعلينا أن نواجه الموقف إعلاميا .. لأن بيجن سيستغل فشل كامب دافيد لكى يمارس ضغطا على أمريكا بالقوى الصهيونية داخل أمريكا ويلقى تبعة الفشل على مصر .

وتوقف السادات فى باريس قبل أن يتوجه إلى أمريكا .. وفى باريس تم اختيار السفير تحسين بشير . ليؤدى المواجهة الإعلامية فى أمريكا وتم اختيار الدكتور على السمان ليقوم بنفس الدور فى غرب أوربا .

ووضعت كل خطوط الهجمة الإعلامية ..

وقد عرض السادات المشروع المصرى على الرئيس ديستان فى باريس الذى أعجب به واقترح تعديلا لفظيا فى صياغة واحدة .. وهو أن يكون الاتحاد الفيدرالى أو الكونفيدر الى « إذا قرر الشعبان ذلك » بدلا من أن يكون الاتحاد فرضا على الشعب الفلسطينى والشعب الأردنى .

والتزم ديستان بإعلان تأييده للمشروع المصرى تأييدا كاملا فى حالة رفض بيجن له .

وبهذا التخطيط وصل أنور السادات الى كامب ديفيد .

وكانت أيام « كامب ديفيد » التى استمرت ١٣ يوما لم يباشر فيها الرئيس كارتر أى مهام فى شئون امريكا الداخلية .. كانت أياما عاصفة منذ لحظاتها الأولى !

فى أول اجتماع عقده كارتر لكل من السادات وبيجن .. رأى السادات أن بيجن لا يزال يعيد الاسطوانة عن حق تقرير المصير فانفجر السادات ، فى غضب وقال له بلهجة حاسمة .. ليكن فى علمك أنه ليس من حقك ولا من حقى .. ولا من حق كارتر

أن يتحدث عما إذا كان الفلسطينيون لهم حق أم لا . حق تقرير المصير هذا حق طبيعى .. ولست أنت الذى تقرره أو لا تقرره .

ورد بيجن : هذا حق تدمير إسرائيل ..

وانفعل السادات : والسلب والنهب الذى تقوم به منذ عام ١٩٦٧ فى الاستيلاء على البترول المصرى .. هل هذا حق لك ؟

ولقد أراد السادات أن يكشف أمام كارتر موقف إسرائيل .. لكى تتحمل أمريكا المسئولية .. وانتهى هذا الاجتماع العاصف .. وقال السادات لكارتر : « من مسئوليتك أن تدفع الموقف الإسرائيلى .. لأن المنطقة ستنفجر .. وأمريكا هى أول المضرورين من الإنفجار » ..

ثم قدم السادات لكارتر المشروع المصرى وطلب منه دراسته . وعاد كارتر بعد ذلك إلى السادات ، وقال له إنه قرأ المشروع المصرى .. وهو معتدل فى صياغته فقط .. أى فى الشكل فقط .. ولكن المشكلة أننا لو أخذنا مشروعا منك .. فإنهم سيتقدمون بمشروع مضاد .. وبذلك نعود إلى الحلقة المفرغة ونبدأ من الصفر .

السادات : اعرض عليهم المشروع .. ولنرى اعتراضاتهم .

كارتـــر : أنا وأثق أنهم لن يناقشوا المشروع .. ولكنهم سيتقدمون بمشروع آخر متشدد .. ولن تلتقى أية أفكار ..

وأدرك كارتر أن اللقاءات الثلاثية فى هذا الجو المتوتر لن تجدى .. كما قرر أن تجتمع الوفود على مستوى ثنائى .

ولكن كارتر بدأ يفكر فيما طالب به السادات بدور أمريكى وكانت إسرائيل قد شنت حملة دعائية ضخمة فى الأشهر الفائتة بأنه لا داعى للتدخل الأمريكى .. وأن مفاوضات السلام تجرى بين مصر وإسرائيل مباشرة .. وكانوا يلوحون بأن إسرائيل ستكون مرنة .. وقابلة للتفاهم .. وكل ذلك بقصد أن يبتعدوا عن التعرض لأى ضغط أمريكى ..

وكان السادات أيضا يقوم بحملة إعلامية ضخمة عن مسئولية أمريكا كشريك فى قضية السلام .. وأكد لمعاونيه فى الاجتماعات التى عقدها لهم بأن الأساس فى الخط المصرى ، هو استخدام أمريكا الآن ومستقبلا للحصول على الحق العربى ..

وبدأ كارتر سلسلة لقاءاته الثنائية .. ثم كان يعقد لقاءات مع أعضاء الوفد الإسرائيلى منفردين .. باراك وديان ووايزمان .. للتأثير على بيجن من خلالهم .. كما

قابل مرة السادات ومعه حسن تهامى ومحمد إبراهيم كامل .. وقابل محمد إبراهيم كامل منفردا .. وكان السادات يداوم الاجتماع باعضاء الوفد المصرى لاطلاعهم على كل جديد .. ولكنه كان يختص أسامة الباز بالمسائل الفنية والصياغة .. وفى بعض الأحيان كان يأتمن أسامه الباز على بعض الأخبار ذات الأهمية الخاصة .

ثم وقعت أزمة كبرى هددت بفشل كامب دافيد .. وذلك فى اليوم الرابع !.

لقد قرر السادات الانسحاب من كامب دافيد .. وأمر السكرتارية الخاصة بإعداد حقائبه .. وطلب من السفير أشرف غربال إعداد بيته لكى ينتقل إليه !..

وكان الصحفيون المصريون يقيمون فى ذلك الوقت بفندق فى واشنطون ، مع رجال أمن رياسة الجمهورية . وسمعت من أحدهم ـ وقد كانوا يتناوبون فى التردد على كامب ديفيد من أن هناك أزمة .. فقد وصل إليه أن السادات غضب وعلا صوته وقال لحسن كامل : جهز نفسك يا حسن هنمشى فورا .. وقال أسامة الباز : معلهش .. ننتظر قليلا .. وقال السادات : ولا دقيقة !

وسمعت من جانب آخر أن نجل أشرف غربال كان قد دعا أحد أصدقائه للإقامة معه فى بيت السفير .. ولكنه اتصل به وطلب منه عدم الحضور لأن المنزل يعد لإقامة الرئيس السادات .

ولما تأكدت من ذلك اتصلت تليفونيا بالأخبار وأمليتهم خبر الأزمة ونشر فى برواز بارز فى الصفحة الأولى .. ولم أكن أعرف سبب هذه الأزمة !

ونقلت وكالات الأنباء الخبر الهام .. عن « الأخبار » وفوجئت بالمكالمات التليفونية منذ الساعة السادسة صباحا من كبار الصحفيين الأمريكيين يستوضحوننى عن الخبر الذى نشر باسمى !

وكنت أجيب إجابات غامضة .. وقد خشيت أن يكون الخبر غير دقيق .. وإننى أكون السبب فى أزمة دولية !

وعندما ذهبت إلى المؤتمر الصحفى الذى كان يعقد يوميا فى قرية قريبة من كامب دافيد أصبت بالرعب !.. لقد كانت كل أسئلة صحافة العالم عن مدى صحة هذا الخبر .. ونفاه السكرتير الصحفى لكارتر الذى كان يقدم كل صباح تقريرا عن أعمال المؤتمر .. هو فى الواقع تقرير إنشائى .. ولكنه بالنسبة لهذا الخبر قطع بأنه غير صحيح ! وأدركت أننى وقعت فى خبر كاذب !

وأحاط بى والتر كرونكايت وبربارا والترز وحشد من كبار الصحفيين الأجانب .. وأنهالوا على بالأسئلة عن مدى ثقتى بما نشرت .. فأكدت لهم بدورى أننى لم أكن متأكدا !

وإذا بالسكرتير الصحفى لوزارة الخارجية الأمريكية وكنت أعرفه يحاول أن يستدرجنى لكى يعرف من أين حصلت على هذا الخبر الخطير ..

ولم أسترح إلا بعد أن استطعت الاتصال بأحد أعضاء الوفد المصرى الذى أكد لى صحة الخبر .. ولكنه أكد لى فى الوقت نفسه أن الأزمة انتهت .. وقد قيل للرئيس السادات داخل كامب دافيد إن « الأخبار » نشرت أنه قرر ترك كامب دافيد .. وكانت إجابة السادات « أحسن » . وهنا أطمأننت أننى لن أكون سببا فى أزمة .. ولكن ما هى قصة هذه الأزمة ؟..

حدث أن وايزمان قابل الرئيس السادات وقال له : إن ديان متأزم جدا .. وقد سمع أنك تردد بأنك لا تثق به ، لأنه كاذب .. وقال السادات : هذا صحيح .. إنه رجل كذاب ..

وقال وايزمان : أرجوك يا سيادة الرئيس أن تقابل ديان .. وأن تريحه نفسيا .. لأن له تأثيرا على بيجن .. ونحن نريد أن نخرج باتفاق .

ووافق السادات .

واستدعى موشى ديان للقائه .. وتحدثا فى عدة نقاط حتى وصلا الى الحديث عن المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء :

وهنا قال ديان : « سأقول لك الحقيقة حتى لا تقول عنى إننى كاذب .. إن أى حكومة إسرائيلية لن تقبل فى الوقت الحاضر أن تنسحب عن شريط المستوطنات « ياميت » وغيرها وامتداد ذلك من ١٠ إلى ١٤ كيلو مترا داخل الحدود المصرية .. إننى آسف أننا انشأنا هذه المستوطنات فى حكومة حزب العمل .. وإنما هذه هى الحقيقة .. لكن من الممكن الانسحاب بعد فترة زمنية .

السادات : ولماذا إذن تتكلمون فى هذا الموضوع فى هذه المباحثات دون أن تفصحوا عن حقيقة نواياكم !..

ديان : « بيجن يتحاور .. ولكنه فى النهاية لن يوافق .. وهو لايريد أن يحدث أزمة فى المؤتمر الآن !

السادات : بعد كل ماتحدثنا فيه عن إجراءات الامن التى تطلبونها ، وبعد كل

تصورنا أنكم جادون فى إقرار سلام دائم .. أسمع منك الآن أنكم لن تنسحبوا الآن من المستوطنات ؟ »

ديان : من الأفضل التفكير فى حلول وسط .. يمكن أن يكون للاسرائيليين فى هذه المستوطنات جنسية مزدوجة مثلا .. أو يمكن الاتفاق على سيادة مصرية إسرائيلية مشتركة « أو من الممكن النص على خضوع سكان المستوطنات للسيادة المصرية » ..

السادات : كل هذا مرفوض شكلا وموضوعا .. ولا أقبل الكلام فيه على الإطلاق .. الانسحاب الكامل إلى الحدود الدولية .. موضوع غير قابل للمناقشة ..

ديان : « إننى اقترح حلولا .. حتى لاتفشل المباحثات .. »

السادات : هل هذا رأيك الشخصى .. أم رأى الوفد الاسرائيلى ..

ديان : « هذا رأى الوفد الاسرائيلى .. وهذا هو الموقف الحقيقى .»

السادات : « أفهم من هذا أن بيجن غير جاد وهو يتحدث معنا فى الحدود الدولية .. يعنى أنه جاء إلى هنا لكى يناور .

ديان : لا أريد أن أقول إنه يناور .. ولكنه يستكشف المواقف .

السادات : يعنى هذا بوضوح إنكم لستم جادين ..

وانصرف ديان .. وقرر السادات الانسحاب فورا من كامب دافيد .. وحاول محمد ابراهيم ان يثنى السادات عن عزمه .. وأصيب بالفزع من هذا القرار .. وقال للسادات : « سيادتك بهذا ستخسر الأمريكان .. وأنت تريد الأمريكان فى صفك .. »

السادات : هذا قرار غير قابل للجدل ..

إبراهيم كامل : طيب على الأقل نخطر الأمريكان قبل تنفيذ قرارك .

السادات : لا مانع .

وأستدعى السادت وزير الخارجية الامريكى فانس .. واخطره بقراره .. وأصيب فانس بذهول وهو يردد أمام السادت : هذه كارثة ياسيادة الرئيس .. هذه كارثة

وكانت إجابة السادات : هذا قرار .

فانس : أرجوك ياسيادة الرئيس .. أنت ستنسف كل شىء ..

السادات : هذا قرار ..

وأسرع فانس إلى الرئيس كارتر وأخطره بما جرى .. وجاء كارتر على عجل إلى مقر السادات لكى يحاول أقناعه بالعدول عن قراره .

قال كارتر : أرجوك أن تفكر معى فى نتائج هذا القرار . إن سطوة إسرائيل داخل الإعلام الأمريكى .. ستصورك بأنك تريد إملاء شروط مصر .. وهنا .. الشعب الأمريكى لا يفهم قطع المفاوضات ولا يقره .. وهنا سينقلب الموقف ضد مصر ..

السادات : ولكننا هنا نضيع وقتنا مع هذا الرجل (يقصد بيجن) الذى جاء لينا ولا يريد سلاما ..

كارتر : أنت تتعامل معى .. وأنا فاهم هدفك .. أنت تريد أن تكسبنى ضد بيجن ..

السادات : أنا أريد أن تؤدى أمريكا دورها لإقرار السلام ..

كارتر : أعطنى فرصة .. وأعدك أننا إذا لم نتوصل إلى حل يحقق ما نعتقد أنه ما يجب أن يكون (The Must) بالنسبة للضرورات العربية للسلام .. فإنا لن نقبل حلولا أخرى ..

السادات : لا .. الذى أطلبه فى هذه الحالة ، هو أنك تعلن للشعب الأمريكى .. أنكم فعلتم كذا وكذا .. وأن إسرائيل رفضت كذا وكذا .. وعندئذ فإننى سأعلن المشروع المصرى وأكشف الموقف الإسرائيلى .. وأنا أعددت حملة إعلامية للمشروع المصرى ..

كارتر : « أعطنى فرصة ثلاثة أيام .. سأقابل الوفود .. ونصل إلى تحديد حجم نقط الأتفاق ونقط الخلاف .. وسأعلن ذلك فى حالة عدم التوصل إلى أتفاق .. وسأناشد الشعب الإسرائيلى نفسه أن يعمل على إقرار السلام سأعلن مناشدة . appeal للشعب الإسرائيلى .

ثم قال كارتر إنه سيسرع فى عمل مراجعة للموقف كله .. وسأل الرئيس :

ـ « هل تقبل أن اجتمع أنا وأنت وبيجن لعمل هذه المراجعة ؟.. ولكنك غاضب من بيجن .. فهل تقبل أن تختار من يمثلك ليجتمع معى .. أنا سأختار عضوا من الوفد الإسرائيلى .. ونجلس معا لعمل هذه المراجعة لكل النصوص المتفق والمختلف عليها وسأعقد الاجتماع فى الثامنة صباحا .

وقال **السادات :** إننى أختار أسامه الباز ليتكلم بالنيابة عنى وأنا أثق فيه تماما ..

كارتر : وأنا أفضل بارك من الاسرائيليين فهو معتدل وقانونى وله تأثير على بيجن . »

وقد وافق السادات على هذا الاقتراح حتى يعطى لنفسه فرصة للاعتراض بعد ذلك لو أن ثمة موافقة على شىء لايقره .

وتوجه أسامه الباز للقاء كارتر فى الساعة الثامنة صباحا ووجد كارتر جالسا مع زوجته روزالين يشرح لها ما جرى .. فقد كان يشركها فى كل صغيرة وكبيرة . وحضر بارك أيضا .

واستمر هذا الاجتماع الثلاثى : كارتر ـ أسامه ـ بارك : ١٤ ساعة و٢٠ دقيقة . أى من الثامنة صباحا حتى الساعة العاشرة وعشرين دقيقة فى المساء .. ولم تتخلله الا استراحة قصيرة تناولوا فيها شوربة الدجاج وسندويتشات الجبن .. وحضرت روزالين مع فانس هذا الغذاء الخفيف .. ثم انصرفا .

ولم يقطع هذا الاجتماع سوى مكالمة تليفونية لكارتر من أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذى طلب من كارتر الاتصال بأربعة أعضاء لشكرهم على موقفهم من تشريع كان معروضا على الكونجرس وتحدث اليهم كارتر تليفونيا وشكرهم ولم يستغرق ذلك خمس دقائق .. وكان كارتر متفرغا كل الوقت لمراجعة الصياغات المتفق والمختلف عليها مع أسامه وبارك .

وقبيل نهاية هذا الاجتماع الطويل .. حدثت أزمة ! كان هناك نص معروض عن عودة الفلسطينيين اللاجئين . وقال النص أنه يلزم موافقة الحكومة الإسرائيلية على عودة أى فلسطينى حتى يكون هناك ضمان بعدم تسلل ارهابيين .

أسامه : هذا النص مرفوض .. ويتعارض مع قرارات الأمم المتحدة .

كارتر : ولكن ، هذا النص معقول لحماية إسرائيل من الارهاب .

أسامه : معنى هذا أن إسرائيل تستطيع أن تعترض على عودة اى لاجىء فلسطينى وفق هواها بحجة إنه إرهابى .

كارتر : أرجوك أن تخطر الرئيس السادات .. وأنا متأكد إنه سيوافق ..

أسامة : الرئيس السادات لا يوافق مطلقا على هذا النص ..

كارتر : أنا متأكد أنه يوافق

أسامه : كيف تتأكد أنت .. وأنا الذى أمثل السادات فى هذا الإجتماع . »

كارتر : لقد تحدثت مرة فى القاهرة مع الرئيس السادات فى هذا ..

أسامه : أنا أعرف ما يوافق عليه السادات وما يرفضه .. وأنا الذى أمثله ..

وهنا وضع كارتر قلمه على المائدة وقال لأسامه الباز :

كارتر : التفاهم معك أصبح مستحيلا .. إننى أريد أن أتحدث إلى الرئيس السادات .. هل تسمح ؟..

وأجاب أسامه : تحدث إليه ..

كارتر : أريد أن أتحدث إليه بصفة شخصية (وكان يقصد أن ينصرف أسامه) .

(وفطن أسامه لما يقصده .. فجمع أوراقه وغادر الحجرة فى غضب .. ورآه فانس خارج الحجرة وسأله : ماذا جرى ؟..

وأجاب أسامه : « فى عصبية : هذا الرجل .. يريد منا أن نوافق على شىء .. مستحيل أن نوافق عليه ..

واستمع فانس من أسامه إلى ما جرى .. وسأله : وماذا ستفعل الآن ؟..

وقال أسامه : سأعرض الأمر على الرئيس السادات ..

وتوجه أسامه إلى مقر السادات حيث كان يشاهد التلفزيون وروى له ما جرى وقال له

السادات : أنت على حق .. وأنا مستحيل أوافق على نص مثل هذا .. ولكن أنت تعرف إستراتيجيتي يا أسامه . نريد أن نكسب كارتر في صفنا .. وأنا أعرف إنه رجل ضعيف .. لكن دعنا نكون صبورين .

أسامه : أنا معك ياريس .. لكن ليس من حقه أن يتحدث باسمك .. أنا الذى أمثلك .

السادات : « هذا صحيح .. ولكن يجب أن نتصرف .. ماذا سيفعل كارتر الآن ؟..

أسامه : سيتصل بسيادتك ..

السادات : لا .. لن اتحدث إليه الآن .. أريد أن أفكر .. ستخرج أنت الآن وأنا سأطفىء النور على الفور . أنا طبعا لن أنام سأفكر .. وأبلغ السكرتارية إننى نائم ولا أحد يتصل بى على الإطلاق وتيجى لى من النجمة .. أكون استقريت على قرار .

وخرج أسامه . وطلب من سكرتارية الرئيس عدم إتصال أحد به لأنه نائم .

وحدث فعلا أن اتصل كارتر تليفونيا وأبلغه السكرتير أن الرئيس نائم . وقال كارتر : « أريد أن أراه دقيقة واحدة » . وكان الرد : « متأسف جدا .. الرئيس السادات نام منذ وقت . »

ولم ينم كارتر وخطرت له هواجس غريبة !.. تصور أن شيئا ما سيئا حدث للسادات نتيجة خلافه مع أعضاء الوفد المصرى ! واستدعى برجنسكى فى الساعة الرابعة من الصباح وقال له إنه قلق على حياة السادات .. ولا يدرى ماذا جرى ؟! فماذا نفعل الآن ؟..

وقال له برجنسكى : أنت السبب .. لقد طلبنا منك أن تضع أجهزة تجسس فى مقار الوفود ولكنك رفضت .. على أية حال فأنا لا أتصور أن يكون حدث له أى شىء .. مادام نائما .

وعند الفجر .. كان أسامه الباز فى مقر الرئيس السادات . وصارحه السادات بما أنتهى إليه تفكيره .. قال له : أنتم كنتم تتحدثون فى موضوع الفلسطينيين الأفضل أن نؤجله اليوم .. وعلينا أن نعيد كارتر إلى موضوع المستوطنات فى سيناء .. وما ذكره لى موشى ديان من هنا نضع كارتر فى المأزق الذى يجب أن يخرج منه بحل لن نقبل غيره وهو الإنسحاب الكامل من المستوطنات . »

وانصرف أسامه الباز .

وجاء كارتر إلى مقر السادات ووجده مرتديا ملابس الرياضة وبدأ يستعد للمشى ..

وكان كارتر سعيدا أنه وجد السادات هادىء الأعصاب .. وسأله :

كارتر : هل عرفت ما حصل بالأمس ؟

السادات : لا .. ليست لدى أى فكرة . »

كارتر : (روى الحوار مع أسامه) ثم أضاف : « بارك كان متفهما أما أسامه فإنه متشدد ومتصلب .. وقد أعطانى محاضرات عن قرارات الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية .

السادات : الموضوع الفلسطيني موضوع معقد جدا .. وأسامه يفهمه جيدا .. وأنا أثق فيه ثقة كاملة .. والمهم هو الجوهر والمسألة تحتاج إلى ضغط على بيجن .. وهناك داخل إسرائيل من يتفهمون الحقوق الفلسطينية .»

كارتر : أريد منك ان تعطى تعليماتك لكى ننتهى من هذا الموضوع . »

السادات : أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى موضوع مصر .. والانسحاب الكامل من المستوطنات .. »

كارتر : كيف تريد أن نناقشها ؟.. هل تفضل أن نجلس معا .. مع بيجن ..

السادات : لا .. أفضل أن تجلس أنت معه وتتفاهم .. وبعد ذلك أجلس معك ومعنا أسامه ..

وأمضى كارتر صباح اليوم التالى حتى الظهر مع بيجن وبراك وأمضى النصف الثانى من اليوم مع السادات وأسامه بحضور فانس وأخذ كارتر يتلو صياغة مواد الاتفاق مادة مادة لمدة أربع ساعات حتى وصل إلى موضوع المستوطنات ..

وكانت الصياغة الأمريكية هى أن يبقى الإسرائيليون فى المستوطنات بعض الوقت .. مدة معينة يحددها الاتفاق .. ثم بعد ذلك يتقرر الوضع فى نهاية المدة ..

وقال كارتر : وبهذه الصياغة .. نكون قد أرضينا الإسرائيليين وحققنا الانسحاب الكامل بعد مدة معينة ..

وهنا قال السادات : « مستحيل .. مستحيل .. إنسحابهم يتفق عليه من الآن وفورا .. من الممكن أن أعطى لهم وقتا قصيرا لتصفية أموالهم .. أو لنقل المفاسل وأدوات الكهرباء .. إلى آخره . لكن الانسحاب الكامل يتقرر من الآن .. »

ووجد السادات من كارتر ترددا .. وعرضا لصياغات أخرى ، لاتختلف فى جوهرها عن حقيقة تأخير الانسحاب من المستوطنات فقال السادات فى عبارات حاسمة : « هذا يعنى أن إسرائيل لا تريد السلام .. وهنا من حقى أن أطالبك بالموقف الذى وعدتنى به واتفقنا عليه .. وهو أن تخرج إلى الشعب الأمريكى وتتكلم وتعلن الحقائق وتكشف موقف الرفض الاسرائيلى . »

كارتر : أرجوك .. دعنا نتمهل ..

السادات : لا .. آسف .. آسف جدا ..

كارتر : طيب .. اعطنى فرصة ...

ومر يومان ..

ولاجديد ..

كان كارتر قد توصل إلى صياغة وضعها فانس وكوانت وسوندرز .. وهى أن يعرض الأمر على الكنيست الإسرائيلى بعد أسبوعين .. فإذا وافق على الانسحاب من المستوطنات تكون الاتفاقية سارية المفعول .

واستطاع كارتر أن يقنع بارك بهذه الصياغة ..

ولما عرضها كارتر على بيجن . رفض رفضا كاملا . استعان كارتر بكل من بارك ووايزمان للتأثير على بيجن . ولكن بيجن أصر على الرفض .

وكان الموقف الأمريكى قد استقر على هذا الرأى .

وأبلغ الرئيس السادات فى الصباح .. بهذه الصياغة المنفصلة عن النص ..

وجمع السادات وفد المفاوضات المصرى وأطلعهم على ما جرى ، وجرت مناقشات حول النص على الرجوع إلى الكنيست أو إلى مؤسساتهم الدستورية .. واعترض السفير نبيل العربى من أعضاء الوفد المصرى على هذا النص .. وكانت حجته أن فى ذلك قبولا منا لاتفاق منفصل وكانت وجهة نظر أسامه الباز أنه لا اتفاق منفصل لأن المضمون واحد وهو الانسحاب الكامل .. كما أن النصين مرتبطان بخطاب متبادل بين الطرفين ..

وخرج أعضاء الوفد المصرى ـ وحضر وايزمان باستدعاء من السادات الذى استعان به للضغط على بيجن .. وبعد انصراف وايزمان طلب نبيل العربى لقاء الرئيس .. وعرض وجهة نظره للمرة الثانية .. وهو رفض الصياغة .. أو أن يسجل الرئيس النص الثانى ما جاء فى نص الاتفاقية .

واستمع إليه الرئيس السادات طويلا وقال له : يا ابنى ده تفكير موظفين .. ده كلام تقوله فى الجامعة .. لكن أنا مسئول عن شعب .. قضية شعب أحقق له الانسحاب الكامل من أرضه المحتلة .. وأنا لا أحب لكم أن تكونوا فى مثل هذه الهيافة !.. ما دام المضمون واحدا ؟.. يبقى إيه الخلاف ؟ على الشكل .. ما يهمنيش .. »

ولكن بيجن أصر على الرفض ..

واستدعى كارتر كلا من كوانت وسوندرز وكلفهما بكتابة خطابين يلقى أحدهما أمام الكونجرس فى حالة الاتفاق .. والثانى فى حالة عدم الاتفاق .

وطلب منهما أن يكون الخطاب الثانى فى حالة عدم الاتفاق عارضا لنقط الاتفاق ونقط الخلاف .. وأن يسجل أنه حدث تقدم كبير ولكن انتهى الأمر إلى عدم الاتفاق .. وعلى الشعب الإسرائيلى أن يعرف الفرصة الذهبية التى ضاعت ..

وتعمد كارتر أن يسرب هذه الواقعة إلى الوفد الإسرائيلى عن طريق سكرتيرة فى الوفد . كانت على علاقة غرامية مع مدير مكتب كارتر !

وقامت السكرتيرة بمهمتها .. وطلب بيجن لقاء كارتر .. وراوغ طويلا ولكن كارتر أصر على موقفه . وتلا على بيجن النص الأمريكى .. وسأله عن اقتراحاته ؟.. وكان رد بيجن هو الاعتراض الكامل ...

والتقى كارتر بالسادات وأسامه الباز .. وروى ما استقر عليه رأيه .. وكان السادات سعيدا أن كارتر أصبح حاسما للدرجة التى كان يريدها السادات .

وفى نفس اليوم وافق بيجن على النص الأمريكى .. وكان السادات قد أجرى به بعض التعديلات فى الصياغة بخط يده .

وانتهت كل الأزمات فى اللحظة الأخيرة .. وتوجه الجميع بطائرات الهلوكبتر إلى مبنى البيت الأبيض .. حيث احتفل بالتوقيع على الاتفاق .. ثم توجهوا إلى الكونجرس .. حيث ألقى كارتر خطابه بإعلان إتمام الاتفاق ..

وعندما كنا فى البيت الأبيض .. تسربت أنباء بأن محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية قدم استقالته . وتأكد ذلك بأنه لم يحضر حفل البيت الأبيض . وقال لى الدكتور أشرف غربال أنه ذهب إليه فى الفندق وحاول إقناعه بحضور الحفل ، ولكنه أصر على الرفض . ثم علمت أنه وقبل الوصول إلى الاتفاق النهائى قابل الرئيس السادات فى مقره فى كامب دافيد .. وقال إنه مضطر إلى تقديم استقالته لأنه يرى أن الاتفاق لم يصل إلى ما نريده بالنسبة للقضية الفلسطينية .. وتقبل السادات الأمر بهدوء ، وقال له هذا حقك .

وكان محمد ابراهيم كامل يتصور أنه سيحرج السادات باستقالته وبذلك لا يستمر فى مباحثات كامب دافيد .. إذ أنه فكر فى الاستقالة والمفاوضات فى قمتها .. وقال إن كارتر ضعيف وهو يضغط علينا للحصول على تنازلات فى القضية الفلسطينية بينما لا يباشر نفس الضغط على اسرائيل واستشار محمد ابراهيم كامل صديقه ومدير مكتبه السفير أحمد ماهر وأقره على وجهة نظره .

ولكنه عندما قابل السادات وفاتحه برغبته فى الاستقاله ، لم يجد منه أى غضب أو اعتراض .

وقال له : من غير زعل يا سيادة الرئيس .

السادات : من غير زعل ..

إبراهيم كامل : سأعلن الاستقالة فى مصر ..

السادات : أنت حر ..

ولكن السادات لم يهمه أمر إعلان الاستقالة أو عدم إعلانها . بل إنه أراد أن يستفيد من

هذه الاستقالة فى الضغط على كارتر خلال المباحثات . وتعمد السادات أن يتحدث عن استقالة وزير الخارجية فى لقاء له مع فانس .. إذ قال له خلال الحديث إن ابراهيم كامل قدم استقالته .. وسأل فانس : ولكن لماذا ؟ .. فأجابه السادات بأن ابراهيم كامل يرى أنكم لا تمارسون ضغطا كافيا على إسرائيل ..

ولما علم كارتر بذلك . خشى من تدهور الموقف واستدعى ديان . وأبلغه بأمر الاستقالة . وألح عليه بالتعجيل فى أمر قبول بيجن الانسحاب الكامل من المستوطنات .. وإلا فقد انهدم كل شىء !

وهكذا استخدم السادات استقالة ابراهيم كامل لصالح إتمام الاتفاق !

وكان السادات مهتما بالصدى العربى للاتفاق ..

وطمأنه كارتر بقوله إنه ضامن لموافقة السعودية والأردن ..

ولكن الحقيقة أن كارتر لم يحصل على موافقة صريحة وواضحة من السعودية أو من الأردن .. وكان قد طلب من سندروز نائب وزير الخارجية أن يتصل تليفونيا بالأمير فهد وبالملك حسين .. لإبلاغهما عن مضمون الاتفاق . واتصل سندرز بهما فعلا .. وكان حديثه معهما عاما .. بأن الاتفاق جيد .. وأنه سيرسل لهما نصوص الاتفاق . وسمع منهما إجابات تحمل التمنيات الطيبة .. ولكن لم يكن حديثهما موافقة على الاتفاق ..

وقد سألت « وليم كوانت » فى هذا فقال لى إن كارتر تصور أن هذا الحديث من الأمير فهد والملك حسين . إقرار للاتفاق .. وذلك لجهله بأعماق الموقف العربى .. ولأخذه الأمور بسطحية شديدة .

وقد استقال وليم كوانت بعد ذلك من منصبه كعضو فى مجلس الأمن القومى الأمريكى وعمل خبيرا متخصصا فى شئون الشرق الأوسط فى أحد معاهد الأبحاث .. وهو من الشخصيات الأمريكية القليلة المتفهمة تماما لأعماق مشكلات الشرق الاوسط ..

وقد توجه فانس بعد الاتفاق إلى السعودية والأردن .. وشرح لقيادات البلدين كل نصوص الاتفاق .. ولكن لم يحصل على موافقتهما .. وكان السادات قبل رحلة فانس مقتنعا بأن الموافقة ستتم .. وكان تعليقه : « هم كده لما تيجى من الخواجات يوافقوا ... »

وكان قد تردد أن الملك حسين قد أبلغ الرئيس السادات فى حديث تليفونى من لندن أنه يقر اتفاق كامب دافيد .. والحقيقة أن الملك حسين كان يقيم فى لندن فى نفس الفندق الذى يقيم به أشرف مروان . وقد زار أشرف مروان فى جناحه بناء على طلبه .. وسأله عن تطورات الموقف فى

كامب دافيد .. وقال له أشرف مروان إن الإتفاق لم يتم بعد .. وكان تعليق الملك حسين : « أرجو أن تبلغ الرئيس السادات أننا نسانده مساندة كاملة » .

واتصل أشرف مروان بالرئيس السادات فى كامب دافيد تليفونيا .. وأبلغه بزيارة الملك حسين له .. واقترح على الرئيس السادات أن يتصل بالملك حسين .. وفعلا اتصل السادات بالملك حسين فى لندن .. وقال له إن المفاوضات لا تزال مستمرة وإن الاتفاق لم يتم بعد .. وشرح له الموقف بصفة عامة . وكان رد الملك حسين بعبارات تعنى : « انك تمثلنا كلنا يا سيادة الرئيس .. وثقتنا فيك بلا تحفظات» .. ولما سمع من الرئيس السادات أنه ينوى التوقف فى الرباط بعد انتهاء كامب دافيد .. قال له الملك حسين : إن شاء الله نلتقى هناك .

ولم يحضر الملك حسين إلى المغرب ..

وفى الساعة الحادية عشرة مساء .. وبعد أن وصل الرئيس السادات إلى مقر اقامته فى منزل السفير أشرف غربال طلب لقاء رؤساء تحرير الصحف المصرية واستقبلنا وهو فى قمة الإرهاق .. وكان يرتدى بيجامة من الصوف وعليها «روب من الصوف» .

وتحدث السادات عن مضمون الاتفاق . وقال إننى لا أخدع أحدا .. هذا ما استطعنا التوصل إليه .. ولكننا لم نصل إلى حل لموضوع القدس وسجلنا رأينا المتطابق مع الرأى الأمريكى فى خطابات متبادلة .. كما أننا لم نصل إلى إنشاء دولة فلسطين .. ولكننا وصلنا إلى ما يؤدى إلى حق تقرير المصير للفلسطينيين .

وعدد السادات مزايا الاتفاق ..

ولما تحدث على حمدى الجمال رئيس تحرير الاهرام عن استقالة محمد ابراهيم كامل .. وأنه يحسن التحدث معه لسحب استقالته غضب السادات .. وعلا صوته .. وهو يقول : هذه تفاهة .. وهذا موضوع انتهى تماما .

وتحدث السادات عن عضو الوفد المصرى ، الذى كان يتكلم بأسلوب الموظفين .. لا الساسة وقال .. دول لازم يتعلموا سياسة ..

وطلب السادات من أسامه الباز أن يحدد للصحافة المصرية مزايا الاتفاق ..

وقال : أهه معاكم أسامه يشرح لكم كل شىء بالتفصيل .. هوه عارف كل حاجة أكتر منى ..

وفى اليوم التالى كانت طائرة الرئيس تتجه إلى المغرب .. بناء على دعوة مرحبة من الملك الحسن .

موقف مفاجيء من الملك الحسن ..

توجه السادات إلى الرباط بناء على دعوة مرحبة من الملك الحسن . شرح السادات للملك الحسن . كل ما أحاط بالمفاوضات من أزمات . وكيف أن هذا الاتفاق هو أقصى ما يمكن الوصول إليه . وكان السادات واثقا من أن الملك الحسن سيقر الاتفاق . وخاصة أنه صاحب فكرة اللقاء السرى بين التهامى وموسى ديان فى المغرب .

فوجيء السادات بموقف متردد من الملك الحسن .

وفى اجتماع بين الوفدين المصرى والمغربى بغير حضور الملك والسادات هاجم وزير خارجية المغرب الاتفاق واعتبره صلحا منفردا .. وتحدث فى ذلك أكثر من ساعة ..

لم يستطع السادات إقناع الملك الحسن الذى كان تغيره مفاجأة . طلب السادات من الدكتور بطرس غالى العدول عن إعداد بيان مشترك . عقد السادات مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن مزايا الاتفاق ، وعن ربط القضية المصرية بالقضية الفلسطينية .. وسبيل ذلك أن تكون مراحل التطبيع فى العلاقات بين مصر وإسرائيل مرتبطة زمنيا بمراحل التقدم فى مفاوضات القضية الفلسطينية فى إطار كامب ديفيد .

لم يحضر الملك حسين كما وعد .

أدرك السادات أنه حدث شبه اتفاق ضمنى بين الدول العربية على رفض الاتفاق ..

استعد لهذا الموقف .. وقرر الاستمرار فى المفاوضات لعقد المعاهدة المصرية الإسرائيلية .. مع الاستمرار فى مفاوضات الحكم الذاتى .. وأعلن بعد ذلك أن مصر مستمرة فى مفاوضات الحكم الذاتى ولو لم يشترك الاردن أو الفلسطينيون .. وليس معنى ذلك أن مصر تتحدث باسم الفلسطينيين ولكنها تقوم بمسئوليتها التاريخية لكى يصل الفلسطينيون إلى أول الطريق .. وعليهم هم أن يكملوا الطريق لأنها قضيتهم ومسئوليتهم ..

ولم يكن الاتفاق المصرى الإسرائيلى على الانسحاب سهلا .. كان مليئا بالعقبات . كانت هناك قضية المطارات الثلاث التى أرادت إسرائيل استبقاءها . واتفق على أن تبنى أمريكا مطارات مقابلة لها داخل إسرائيل . كانت إسرائيل تطالب بقاعدة فى إيلات .. وبطريق برى بين إيلات وشرم الشيخ يؤجر إلى إسرائيل على أن يكون لإسرائيل وجود فى شرم الشيخ . ثم كانت مشكلة إزالة المستوطنات التى شرحتها من

قبل . وفى كل ذلك أصر السادات على موقف الرفض الكامل لما يمس الارض والسيادة . وحقق ما أراد .

ولا شك أن الموقف العربى المفكك .. ثم السيطرة الصهيونية داخل امريكا .. لم تمكن أنور السادات من الوصول إلى اتفاق بالنسبة لإطار القضية الفلسطينية أكثر مما وصل إليه .. ولولا تفرغ كارتر الكامل لمدة ١٣ يوما .. ولولا الجهود التى بذلت ليل نهار .. لما أمكن الوصول إلى إتفاق من أى نوع .. حتى بالنسبة لبعض المسائل المتفق عليها حاول بيجن أن يتملص منها .. ومنها التزامه فى كامب دافيد مع الرئيس كارتر بوقف بناء المستوطنات فى الضفة الغربية لمدة ثلاثة أشهر حتى تتم مفاوضات الحكم الذاتى .. خرج بيجن فى اليوم التالى مباشرة لتوقيع الاتفاق وأعلن أنه لم يلتزم بذلك وايده موشى ديان الذى أعلن أنه لم يسمع مثل هذا الالتزام .. رغم ردود كارتر الرسمية وتأكيده بأن بيجن التزم بذلك ..

وقد حدث فى كامب ديفيد هذا الحوار بين كارتر وأسامه الباز حول حق تقرير المصير :-

أسامه : هل أنت مقتنع بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .. مع وجود ضمانات الأمن والتعايش مع إسرائيل .. وعدم استخدام العنف .. ووضع قيود على تسليح الدولة الجديدة بضمان من الدول العربيه ؟..

كارتر : بهذا المعنى أنا موافق على حق تقرير المصير ..

أسامه : لماذا لا تصر على ذلك ؟..

كارتر : لان الفلسطينين أعطوا انطباعا فى الرأى العام العالمى بأنهم يريدون إزالة دولة إسرائيل .. وهذا يشكل ضغطا يهوديا داخل امريكا .

أسامه : أيزنهاور .. لم يهتم بالضغط الصهيونى .. وطالب إسرائيل بالانسحاب فى ٢٤ ساعة بعد عدوان ١٩٥٦ ورضخت إسرائيل .

كارتر : الظروف مختلفة تماما .. ولا أنا ايزنهاور .. ولا موضوع ٥٦ هو موضوع اليوم .. وإذا فعلت أنا ما تشير به فاننى أفقد وظيفتى .

وعاد السادات إلى مصر مندهشا من موقف الملك الحسن .. عارفا بأنه سيواجه تحديا عربيا .. وكان استقبال الشعب المصرى له اروع استقبال تاريخى لزعيم مصرى .. وألقى خطابه فى مجلس الشعب الذى شرح فيه الاتفاق .. وقال جملته المشهوره : (هذا ما حصلنا عليه .. ومن يستطع أن يحصل على ما هو أكثر .. فاننى اضع يدى فى يده) ..

وتفرغت الدول العربية بعد ذلك لا فى محاولات استثمار كامب ديفيد إلى ما هو أفضل .. ولكن فى محاربة مصر .

وتدور الايام .. ويذهب كمال حسن على إلى المغرب فى عام ١٩٨٤ ويقول له وزير خارجية المغرب .. « لقد كونا أربع مجموعات فنية ودبلوماسية وسياسية .. لدراسة اتفاق كامب ديفيد .. كل مجموعة منها على حدة .. وخرجت كل هذه المجموعات بإجماع واحد على أن هذا الاتفاق هو أول وثيقة دولية .. كان من الممكن استثمارها لتحقيق المطالب العربية » !!

وسوف يسجل التاريخ لأنور السادات أنه استخدم كل الأوراق التى فى يده حتى آخرها .. بل استخدم مع بيجن كل مناورات الترغيب والطمأنة حتى يصل إلى تحقيق الأهداف المصرية والعربية من ذلك أنه أفهم بيجن أن التعاون بين مصر وإسرائيل سيكون فى كافة المجالات ، وفى آفاق عديدة .. وعندما سأله بيجن : يجدر بنا أن نتعاون فى افريقيا . وكان رد السادات : طبعا ..

بل كان السادات يوحى لبيجن أن المستقبل يمكن أن يحمل أساليب إيجابية للتعاون بين مصر وإسرائيل فى استراتيجية موحدة .. كأنها حلف ..

ثم حاول إغراءه بمياه النيل .. لكى تتحرر القدس .. إلى آخر أساليب التناور الدبلوماسى لصالح مصر والقضية العربية ولكن السادات كان يتصلب فى موقفه بما لا يقبل المناقشة عندما يرى ما يمس الأرض والسيادة المصرية .

وفى مباحثات المعاهدة المصرية الاسرائيلية ومباحثات الحكم الذاتى .. كان التشدد المصرى واضحا وعنيفا وحاولت مصر أن تعوض فى هذه المباحثات ما لم تستطع النص عليه فى كامب دافيد وركزت مصر على الربط بين تنفيذ معاهدة السلام وإقرار الحكم الذاتى .

وكانت هذه هى توجيهات السادات للمفاوض المصرى بكل الوضوح .

- ٧ -

مباحثات بلير هاوس وماديسون

مباحثات معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل . بدأها كمال حسن على فور أن عين وزيرا للدفاع فى ٥ أكتوبر ١٩٧٩ . لقد استدعاه النائب حسنى مبارك فى ٤ أكتوبر وأبلغه بالقرار ، ثم كان عليه أن يسافر على الفور إلى صحراء التل الكبير لإجراء تجربة ميدانية على العرض العسكرى فى ٦ أكتوبر . وحلف اليمين صباح العرض .

وفى يوم السبت ٧ أكتوبر استدعاه الرئيس السادات فى استراحة الهرم وفاجأه بقرار اختياره رئيسا لوفد التفاوض . وكان توجيه السادات له فى جملة واحدة كررها عدة مرات : « يا كمال .. اعمل على أن تصل إلى اتفاق .. ولكن لا تفريط مطلقا فى الأرض والسيادة . » .

وفهم أن مهمته هى أن يصل إلى معاهدة .. وألا يترك فرصة للجانب الإسرائيلى للتسويف ، أو قطع المفاوضات .. ولا تفريط مطلقا فى الأرض والسيادة .

وفى اليوم التاسع من أكتوبر ، كان كمال حسن على مع وفد المفاوضات المكون من الدكتور بطرس غالى والدكتور أسامه الباز فى واشنطن .. حيث بدأت المفاوضات فى ١٢ أكتوبر مع الجانب الإسرائيلى برياسة موشى ديان .. وبحضور الجانب الأمريكى برياسة سيروس فانس .. فى بلير هاوس (بيت الضيافة الرسمى) ثم فى فندق ماديسون .

وكان أمام المفاوض المصرى عدة أهداف :

الأول .. هو الربط بين المعاهدة .. وبين الحل الشامل ، ودعوة الأردن والفلسطينيين للإشتراك فى مراحل لاحقة .

الثانى .. أن تقدم إسرائيل ما يوجد أجواء الثقة لدى الفلسطينيين .. وقد أعد الجانب المصرى ورقة منفصلة سجلت عشرين بندا لإيجاد الثقة .. عن معاملة الفلسطينيين فى الأرض المحتلة .. ومن ذلك الإفراج عن المسجونين ، ولم شمل العائلات ، والتوقف عن هدم المنازل والحفاظ على أراضى الدولة باعتبارها أرضا فلسطينية .

والهدف الثالث هو أسبقية الالتزامات .. بمعنى أن يكون واضحا أن هذه المعاهدة لا تسقط التزامات مصر تجاه الدول العربية المسجلة فى مواثيق تحترمها مصر .. وكان

الوفد الإسرائيلى يريد أن تكون للمعاهدة الأفضلية على التزامات مصر الأخرى ، وهذا ما رفضته مصر تماما ، ورفضت أى مساومة عليه .

وواكب ذلك أيضا ، المفاوضات العسكرية .. وقد تولاها كمال حسن على مع عزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى .. وكان الهدف المصرى ، هو إدخال تعديلات تحقق أكثر مما جاء فى كامب دافيد .. خاصة بحجم القوات فى المنطقة (أ) والمنطقة (ب) ، والتجهيزات الهندسية .. واستمرت المباحثات من ١٠ أكتوبر حتى ٢٢ نوفمبر ولم يصل الطرفان إلى اتفاق . ونقط الخلاف كانت جوهرية .

مصر تريد أن تحدد العلاقة فى المعاهدة ، بين المعاهدة والسلام الشامل . وذلك بالربط بين تنفيذ المعاهدة والتقدم فى ترتيبات الضفة الغربية وغزة .

كما لا تريد مصر أن تكون هذه المعاهدة معطلة لإلتزاماتها العربية فى شأن الدفاع المشترك العربى .

واشترطت مصر أن تكون خطوات تطبيع العلاقات مع إسرائيل مرتبطة بمراحل الانسحاب ويدخل فى ذلك توقيت تبادل السفراء .

وبالنسبة لإسرائيل فقد كانت تريد التزاما مصريا ببيع البترول إليها بعد أن تسلم مصادر البترول . وكانت لا تريد أن تتخلى عن توسيع المستوطنات فى الضفة أو إقامة مستوطنات جديدة رغم التزامها المسبق بذلك .

وخلال ذلك عقد مؤتمر القمة العربى فى بغداد فى ٥ نوفمبر الذى طالب مصر بعدم عقد معاهدة مع إسرائيل وقرر قطع المعونات الاقتصادية عنها .

وبعث السادات برسالة إلى كارتر طلب فيها التزاما مكتوبا حول ما سيحدث فى الضفة الغربية وغزة قبل توقيع معاهدة السلام .

كما أرسل السادات النائب حسنى مبارك فى ١٦ نوفمبر وقابل كارتر وطلب منه ضرورة الربط بين المعاهدة والحكم الذاتى .

وفى ٢٥ نوفمبر تلقى كارتر رسالة أخرى من السادات طلب فيها تحديد تاريخ مستهدف لإقامة الحكم الذاتى يتفق مع إتمام الانسحاب .

كما سافر الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى واشنطن وقابل الرئيس كارتر لتحديد الموقف الأمريكى بكل وضوح .

وعاد سيروز فانس إلى الشرق الأوسط فى رحلات مكوكية خلال شهر ديسمبر . وتلقى السادات من كارتر فى ١٠ ديسمبر خطابا يؤكد فيه التزامه الشخصى بالتسوية السلمية الشاملة .

ثم عقد اجتماع اتفق عليه فى بروكسل فى ٢٢ ديسمبر ، ضم فانس والدكتور مصطفى خليل وموشى ديان .

ثم جرت جولة مباحثات أخرى بين مصطفى خليل وديان فى كامب ديفيد فى ٢١ فبراير .

وقام كارتر برحلة أخرى إلى الشرق الأوسط بين القدس والقاهرة (من ٧ ــ ١٠ مارس) . ثم استؤنفت المباحثات فى ٢٥ مارس فى واشنطن بعد أن كان قد تم الإتفاق على عناصر المعاهدة ، التى حدث فيها تنازلات من الجانبين .. وكان السادات قد هدد بالانسحاب من المفاوضات نهائيا .

وقبل التعرض لما جرى فى اجتماعات بروكسل وكامب ديفيد بين مصطفى خليل وديان ، أعود لأعطى بعض اللمحات السريعة عن مباحثات بلير هاوس التى انتهت إلى الفشل الكامل .

ويرى كمال حسن على أن المباحثات الأولى فى بلير هاوس .. وماديسون .. كانت مثيرة للأعصاب واستمرت أجواؤها الساخنة ٤٢ يوما كاملة .. وانتهت بالفشل كما ذكرت . وعندما دعا مونديل نائب الرئيس الأمريكى الوفدين إلى حفل عشاء .. قال لهم ضاحكا : إذا لم تنتهوا من المباحثات هنا سنرسلكم إلى كامب دافيد .. ورد عليه كمال حسن على : نحن هنا فى كامب ماديسون !

وكان الوفد الإسرائيلى يتبع أسلوبا معوقا .. عندما يصل الطرفان إلى اتفاق على نقطة ما .. يقول موشى ديان أو وايزمان .. إنهما غير مفوضين بالاتفاق .. ولابد من الرجوع إلى حكومة إسرائيل لعرض الأمر على مجلس الوزراء .. أما الوفد المصرى فقد كان يرسل ما اتفق عليه إلى لجنة قانونية تألفت فى وزارة الخارجية لمراجعة الصياغة من الناحية القانونية وبما يتفق مع المواثيق الدولية .

وتسبب هذا الأسلوب الإسرائيلى فى أكثر من أزمة .. وقد حدث فى أول جلسة للمباحثات حول الملحق العسكرى للمعاهدة .. أن بدأ ديان الحديث بقوله إنه ليس مفوضا بصلاحيات الاتفاق لأن وايزمان وزير الدفاع كان قد عاد إلى تل أبيب .. وهنا ــ وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر ــ قال كمال حسن على : إذن نقطع المفاوضات .

وترك القاعة فعلاً .. ولكن ديان عاد واتصل به فى الثامنة من المساء وأبلغه أنه حصل على التفويض .. وبدأت المباحثات واستمرت الجلسة الأولى حتى الرابعة صباحا .

ولكن كمال حسن على يرى أن ديان كان راغبا فى الوصول إلى سلام .. وهو الذى فتح الجسور بين الضفة الغربية والأردن بعد حرب ٦٧ .. كما أن عزرا وايزمان كان متفهما للعقلية العربية .. وله علاقات عديدة مع فلسطينيين يقيمون فى إسرائيل .. وقد ولد ونشأ فى حيفا التى تضم أكبر عدد منهم وكان والده ضابطا فى الجيش التركى .. ويرى كمال حسن على أن وايزمان كان أيضا يريد السلام وهذا ما دعاه إلى الاستقالة من وزارة بيجن .. ولكن الإثنين بطبيعة الحال كانا فى غاية التشبث بالمطالب الإسرائيلية .

وقد حدث عندما سافر الرئيس السادات إلى حيفا .. وكان السادات يريد طمأنة بيجين أن أوهمه السادات بإمكان مناقشة اقتراح من بيجن ، بإنشاء دورية مشتركة مصرية إسرائيلية فى المنطقة ب .. لمتابعة تنفيذ المعاهدة .

وجاء عزرا وايزمان إلى كمال حسن على وقال له :

- أرجوك أن توقع ؟
- على ماذا ؟ ..
- على اقتراح موافق عليه بدورية مشتركة فى المنطقة ب .

ورفض كمال حسن على التوقيع . وقال له : on my dedd body أى « على جثتى »

ولما سمع بيجن بذلك . سحب الاقتراح . وكان كمال حسن على قد قال لوايزمان : لو كنت مكانى ، هل كنت توافق على هذا الاقتراح ؟..

وأجابه وايزمان : لا ..

وكان من أحرج أيام المباحثات فى واشنطن .. المشادة العنيفة التى قامت بين موشى ديان وروزين المستشار القانونى الإسرائيلى .. والدكتور أسامه الباز . وكان الحديث عن الربط بين المعاهدة المصرية والسلام الشامل العادل .. وكان هذا خط الوفد المصرى .. وتطرق الحديث إلى حقوق الشعب الفلسطينى .. رفض روزين أن هناك شيئا اسمه الحق الفلسطينى .. ماداموا يرفضون الدخول فى مفاوضات ..

وهنا ثار أسامه الباز وضرب المائدة وقال لهما فى غضب : هل تفهمون أن حقوق الفلسطينيين .. وكأنها اشتراك فى نادى ! .. لا .. إنهم أصحاب الأرض ويجب أن تعوا هذه الحقيقة .. ولا مفاوضات معكم وأنتم بهذا التفكير ..

تدخل سيروس فانس .. وأيد وجهة النظر المصرية ..

ورفعت الجلسة على الفور .. إلى أن تمت مشاورات جانبية .. واستؤنفت بعدها المباحثات ..

وقد وضع الرئيس الأمريكي كارتر نفسه تحت تصرف وفدى المباحثات .. و ستقبلهم فعلا أكثر من مرة .. واشترك فى الوصول إلى صياغات كان مختلفا عليها ..

وفى مباحثات البلير هاوس ــ ماديسون ، التى فشلت بعد استمرارها ٤٢ يوما .. جرى التفاوض بشأن البترول المصرى فى الأرض المحتلة .. وكان موداعى وزير النفط الإسرائيلى يريد استمرار الشركة التى تستخرج البترول فى عملها .. ويطلب ضمانا من مصر بأن يصدر كل إنتاج البترول المصرى إلى إسرائيل ..

ورفضت مصر تماما .. وسأل كمال حسن على ، مقابله المفاوض الإسرائيلى :

ــ هل هذا يتفق مع أى مبدأ قانونى ؟..

وكانت الإجابة الباردة :

ــ ليس بالمبادىء وحدها تعيش الدول ..

كمال حسن على :

ــ خير لكم أن تتعاملوا مع دولة تحترم المبادىء .. والمبادىء لا تتشكل على كل الأحجام ..Streches to all sizes

ــ ٨ ــ

مباحثات بروكسل

جرت هذه المباحثات بحضور سيروز فانس وزير الخارجية الأمريكية بين الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية وموشى ديان وزير خارجية إسرائيل . وكان قد اتفق مسبقا على أن تجرى فى بروكسل بعد أن ينتهى فانس من مباحثاته مع جروميكو وزير خارجية الإتحاد السوفيتى حول الحد من الأسلحة النووية .

وأكتفى من هذه المباحثات بأن أنشر نص التقرير السرى الذى قدمه الدكتور مصطفى خليل إلى الرئيس أنور السادات عن هذه المباحثات وهذا التقرير يحدد كل المواقف بكل الوضوح .

قال التقرير السرى :

سرى للغاية

مذكرة
للعرض على السيد الرئيس
بشأن محادثات مع ديان وفانس فى بروكسل
(يومى ٢٣ ، ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨)

(١) كان مقررا أن يصل فانس إلى بروكسل فى الرابعة بعد ظهر السبت ٢٣ عقب الإنتهاء من مباحثاته مع جروميكو حول الحد من الأسلحة النووية ، فيجتمع مع ديان فى الخامسة ومعى فى السادسة ، ثم تلتقى الوفود الثلاثة على عشاء عمل هذا وقد حرصت على أن ننزل بنفس الفندق الذى يقيم به فانس تسهيلا للاتصال بيننا ، أما ديان فنزل فى فندق آخر .

(٢) غير أن مفاوضات فانس وجروميكو تعثرت فى اللحظة الأخيرة نتيجة إثارة وزير الخارجية السوفييتى لنقطة جديدة حسبما رواه لنا الجانب الأمريكى فيما بعد ، مما أدى إلى تأخر وصول فانس إلى العاشرة مساء ، وقد حرص فانس على تكليف سوندرز وكوانت بالاتصال بنا وإبلاغنا بخبر تأخر وصولهم ، وبالفعل اتصلا بأسامة الباز وأبلغاه رسالة لى من فانس ، مؤداها أن الموقف الأمريكى كما هو لم يتغير وأنهم يأملون أن نتفهم سبب مقابلته لديان أولا ، وكان ردنا عليهم هو أننا لسنا حساسين ولا معقدين إزاء هذه الأمور الفرعية ، والمهم هو الحفاظ على وحدة الموقف بما يتفق مع وحدة الرؤية الإستراتيجية وبذلك تم الاتفاق على أن يجتمع فانس مع ديان فى الحادية عشرة مساء ، وأن ألتقى به فى منتصف الليل .

(٣) اجتماعى مع ديان على مائدة العشاء :

وفى ساعة مبكرة بعد ظهر نفس اليوم اتصلت صحفية إسرائيلية بأسامة الباز وأخبرته أن ديان متأزم بسبب احجامنا عن الاتصال به وتفضيلنا أشخاصا آخرين غيره . واقترحت أن يتم لقاء بيننا قبل حضور فانس ، ولم أجد مانعا من الإستجابة لتلك الفكرة ، فقمت بدعوته للعشاء هو ومستشارهم القانونى روزين وسفيرهم فى بروكسل ، مع إبراز الطبيعة الإجتماعية البحتة لهذه المناسبة وبعدها عن إطار المفاوضات ولاحظت أنه تلقى الدعوة بارتياح واضح وحضر هو وزميلاه لتناول العشاء فى مطعم الفندق الذى أقيم به .

(٤) وبعد أن تبادلنا حديثا اجتماعيا لمدة نصف ساعة بدأ ديان يثير موضوع المفاوضات واستأذننى فى حصر النقاط المختلف عليها من وجهة نظرهم ، سواء تلك المتعلقة بتفسير بعض بنود المعاهدة أو المتصلة بالخطاب الخاص بتبادل السفراء ، أو فيما يتعلق بالخطاب المتبادل حول إقامة الحكومة الذاتية فى الضفة الغربية وغزة .

(٥) تحاشيت الرد عليه أو الدخول معه فى مناقشة حول الموضوع وقلت له إن الأهم من هذا هو أننا يجب أن ننظر إلى المعاهدة وكل الوثائق المتصلة بها فى ضوء التطورات الدولية الأخيرة فى المنطقة وليس من فراغ . فالموقف فى إيران يقتضى كثيرا من التفكير ، وحتى إذا

ذهب الشاه وجاء مجلس وصاية فإن عدم الاستقرار سيستمر ويمتد إلى المنطقة كلها خصوصا إذا قدرنا أن أى اهتزاز فى الوضع الإيرانى سوف يؤثر حتما فى الوضع الإستراتيجى فى منطقة الخليج وربما أدى إلى امتداد النفوذ السوفيتى وعلى أحسن الفروض فسوف يختفى دور القوة العسكرية الإيرانية كضمان لحماية الخليج ومنابع البترول . وبذلك تتأثر درجة استقرار الوضع بالنسبة لإمدادات البترول للدول الغربية ، مما يؤدى إلى زيادة اعتماد الولايات المتحدة على البترول العربى وهو ما يتطلب دون أدنى شك اجتذاب الدول العربية المنتجة للبترول لاتخاذ موقف سياسى يتيح لها زيادة الإنتاج .

(٦) ومن جهة أخرى فإن أى اهتزاز للوضع فى إيران يطلق يد العراق فى التصرف تجاه سوريا ويعطى قوى الرفض الفرصة لتصعيد معارضتها لتحركنا .

(٧) وأشرت كذلك إلى أن المستوى الجديد للعلاقات بين الولايات المتحدة والصين قد يؤدى إلى زيادة نشاط السوفييت فى المنطقة ومحاولة تدبير انقلابات داخلية تعصف بالحكومات الضعيفة ، وقد بدأ السوفييت فعلا بعقد معاهدة مع اليمن الجنوبية بما يهدد اليمن الشمالية والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ومنطقة الخليج كلها .

(٨) وإذا نظرنا إلى الوضع فى أفريقيا فإننا نجد أن التهديد الذى يشكله نظام منجستو للسودان والصومال وغيرهما يخلق وضعا جديدا فى المنطقة مما يضاعف الحاجة إلى تحقيق الاستقرار فى المنطقة العربية ، وخصوصا بالنسبة للدول المعتدلة التى يتعين تشجيعها على اتخاذ مواقف بعيدة عن التطرف .

(٩) وخلصت من هذا كله إلى أن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل يجب ألا يترتب عليها عزل مصر عن الدول العربية ، وبخاصة الدول المعتدلة منها . ويجب كذلك أن تؤدى المعاهدة إلى استقرار السلام فى المنطقة ، ولكى يتم هذا لابد أن يكون السلام عادلا وشاملا ، وهو ما يتطلب مراعاة تحقيق حقوق الفلسطينيين .

(١٠) ومن جهة أخرى ، فيجب أن تكون المعاهدة ، سواء من حيث نصوصها أو أسلوب تنفيذها من جانب إسرائيل جذابة للأطراف العربية المترددة مثل سوريا والفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة للمشاركة فى جهود الحل السلمى فى المستقبل القريب .

(١١) وأضفت أن موقف الدول التى تؤيد مصر — وبخاصة السودان — قائم على أساس فهم موضوعى لسياسة الرئيس السادات التى أعلنها على الأمة العربية والعالم أجمع ، ومن ثم يتعين أن تتمسك مصر بهذا الخط السياسى كما أعلنه الرئيس .

(١٢) وفى نهاية الحديث ، ذكرت لديان أنه لو كان قد حضر لمقابلتى هو وفايتسمان فى أى مدينة أوروبية عقب زيارتى لواشنطن لكنا قد تمكنا من حل بعض النقاط المختلف عليها وتوفير كثير من الوقت ، فعلق ديان بأن فايتسمان لم يخبره شيئا عن هذا الموضوع ، ولو كان قد أبلغه لوافق على اللقاء ، ولاحظت أنه حرص على ذكر أنه وزير الخارجية ورئيس وفد المفاوضات الإسرائيلى .

(١٣) الاجتماع الأول مع فانس :

وبعد أن اجتمع فانس بديان اجتمعت به فى منتصف الليل لمدة أربعين دقيقة واتضح على الفور أن فانس لم يأت بأى خطة معينة أو بأسلوب محدد لإيجاد حل للموقف .

(١٤) وأعرب فانس عن سروره لأننى دعوت ديان للعشاء لأن مثل هذه اللفتة يمكن أن تحدث أثرا طيبا فى نفس ديان بما هو معروف عن شخصيته وحساسيته . وأضاف أن وزير الخارجية الإسرائيلى حضر إلى بروكسل وليس فى ذهنه فكرة محددة عن كيفية الخروج من المأزق القائم .

(١٥) وذكر أن ديان ركز فى حديثه معه على الخطاب الخاص بتبادل السفراء ويميل ديان إلى أنه قد يكون من الأفضل ألا يوجه خطاب مكتوب بهذا الصدد ، والاكتفاء بوعد شفهى من السيد الرئيس إلى الرئيس كارتر .

(١٦) اتفقنا على مواصلة الحديث فى الصباح ، واقترحت على فانس أن يكون الاجتماع الثلاثى مغلقا بحيث لا يحضره معى سوى فانس وديان ، وذلك لأن روزين كان بصحبة الأخير ، وربما كان لوجوده تأثير سلبى على ديان . كذلك ذكرت لفانس أنه يحسن أن نبدأ المناقشة ببحث الوضع الإستراتيجى الدولى فى ضوء التطورات الأخيرة التى شرحتها لفانس . وشاركنى وزير الخارجية الأمريكى الرأى أن الوضع أصبح يزيد من ضرورة أن يكون السلام شاملا ، وأن يكون الاتفاق الذى نتوصل إليه مع إسرائيل جذابا للأطراف العربية الأخرى ، وأكد فانس تأييد بلاده لموقف مصر الحالى ، خصوصا بعد التطورات الأخيرة فى الموقف الدولى التى تسبب لهم قلقا شديدا .

(١٧) ثم سألنى فانس عما إذا كان يمكن ايجاد حل لمسألة البترول التى تقلق الإسرائيليين كثيرا ، فأجبته بأننى أعتقد أنه يمكن التوصل إلى حل مرض بعد توقيع المعاهدة وقيام الحكومة الذاتية الفلسطينية بحيث يتفق على أن تتقدم إسرائيل لشراء أى كمية متاحة من البترول المصرى طبقا للشروط والأسعار القائمة غير أن مصر لا تستطيع أن .. ترتبط بأى تعهد بإمداد إسرائيل بأى كمية .

(١٨) وبعد ذلك اتفقنا على أن يقتصر الحديث فى اجتماع اليوم التالى على طرح كل طرف لوجهة نظره ، دون الدخول فى مفاوضة حول نقاط الخلاف .

(١٩) الاجتماع الثلاثى المغلق صباح الأحد ٢٤ ديسمبر :

وعندما عقد الاجتماع الذى استمر ثلاث ساعات بدأ حديثنا عن الموقف الاستراتيجى العالمى ثم أوضح فانس ضرورة أن يكون السلام شاملا فى المنطقة وشرح المخاطر التى ستتعرض لها جميع دول المنطقة مالم يحدث استقرار ينتج عن السلام الشامل .

بدأ ديان يعرض وجهة نظر حكومته بالنسبة للنقاط المختلف عليها ، وتتلخص فيما يلى :

أ - أنه سبق الاتفاق على مشروع المعاهدة .

ب - أن ماتطلبه مصر يعتبر مطالب جديدة .

جـ - أنه ليس هناك اعتراض حقيقى على ما تطلبه مصر من إعادة النظر فى ترتيبات الأمن ، وهو يوافق على أن يكون هذا التعديل بعد خمس سنوات ، وفى أى وقت بعد ذلك كلما طلب أحد الطرفين ذلك وبدأ يتم ما تطلبه مصر بالنسبة للمادة الرابعة .

د - أما بالنسبة للمادة السادسة ، فقد ركز على الفقرة الخامسة منها وكانت وجهة نظره هى أن إسرائيل لن تكون هى المعتدية على أى بلد عربى ، بل إنهم يخشون أن تقوم سوريا بالاعتداء عليهم ، أو أن تقوم بذلك منظمة التحرير الفلسطينية بإيعاز من سوريا أو العراق وتساءل عما يكون عليه موقف مصر فى هذه الحالة .

هـ - أنكر ديان أنه أدلى بتصريح يقول فيه أن للالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة أولوية على التزامات مصر تجاه الدول العربية .

(٢٠) كان ردى على النقاط التى أثارها ما يلى :

أ - أن مصر لا تستطيع ولا تقبل أن ترتبط فى معاهدة بإعطاء أولوية لإلتزاماتها تجاه أى دولة بل أنها ترتبط بتعهدات مع كثير من الدول على قدم المساواة .

ب - أن النص على أولوية الإلتزامات لن ينصب أثره على ميثاق الضمان الجماعى العربى بل إنه ــ بالصياغة الواردة فى مشروع المعاهدة ــ سيمتد إلى كافة الالتزامات الناشئة عن الاتفاقيات الأخرى المعقودة مع الدول العربية ، سواء أكانت اتفاقيات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية .

جـ - أن هذا النص لا داعى لوجوده من الناحية العملية إذ أن سوريا أعلنت عن رغبتها فى إقامة السلام ، بل إنها لم تحرك ساكنا عندما غزت إسرائيل جنوب لبنان ، ولو كانت تريد الحرب فعلا لانتهزت تلك الفرصة السانحة . وأضفت أن سوريا تنتظر ما ستنتهى إليه المفاوضات الحالية حتى تقرر موقفها على ضوء ماتم الاتفاق عليه ، وهو نفس المسلك الذى اتبعته فى الماضى .

د - أن حق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى مكفول طبقا لجميع المواثيق الدولية ، ولذلك فإن أى نص يرد فى المعاهدة لا يمكن أن يقيد حق مصر فى مساعدة أى دولة عربية عسكريا ضد إسرائيل أو غيرها .

هـ - أن هذا النص بوضعه الحالى يسبب أضراراً سياسية بالغة . إذ أن قوى الرفض تستخدمه للدلالة على أن مصر قد تخلت عن العرب وعن التزاماتها تجاههم ، بل زعم بعض المضللين والمتهوسين أن مشروع المعاهدة يضع التزامات مصر نحو اسرائيل فى مرتبة أعلى من التزاماتها تجاه الدول العربية ، وكان هذا من أسباب تخاذل الدول العربية المعتدلة .

و - أنه لو فرض وقبلت اسرائيل مثل هذا النص فان هذا سيؤدى إلى عزل مصر عن باقى الدول العربية وهذا وضع يهدد المنطقة كلها فيجب الا ننسى إن اتفاقية الضمان الجماعى واتفاقيات الدفاع المشترك الأخرى ليست موجهة بالضرورة ضد إسرائيل بل هى معقودة لحماية أمن الدول العربية ووقايتها من أى عدوان خارجى وطرحت التساؤلات الآتية : ــ

١ - ماذا يحدث إذا تعرضت اليمن الشمالية إلى عدوان وكانت مصر عاجزة عن تقديم المعونة لها بسبب انقضاء معاهدة الضمان الجماعى ؟ .

إن المقطوع به فى هذه الحالة أن يغلق البحر الأحمر أمام الملاحة ، وهو ما يعنى أن تفقد قناة السويس قيمتها كممر مائى ، مما سيؤثر تأثيراً ضاراً على التجارة العالمية فضلاً عن خسارة مصر لدخلها السنوى من رسوم المرور ويبلغ نحو خمسمائة مليون دولار .

٢ - ماذا يحدث إذا تعرض السودان لعدوان من أثيوبيا بتأييد من السوفييت وكوبا ؟ .

إن مصر لا تستطيع أطلاقاً أن تقف موقف المتفرج فى حالة تهديد موارد مياه النيل ، أو فى حالة وجود نظام معاد لمصر يثير مشاكل فيها يتعلق باستخدام مياه النيل بين مصر والسودان .

٣ - ماذا يحدث إذا تعرضت الكويت أو السعودية أو الإمارات العربية لعدوان من نظام معاد فى حالة تغير الموقف فى ايران أو فى حالة قيام نظام فى العراق يهدد الكويت كما حدث فى الماضى أيام عبد الكريم قاسم حين أرسلت مصر قوات للدفاع عن الكويت ؟ .

٤ - إن كثيراً من الدوائر العربية يعتقد أن هذا النص سيشجع إسرائيل على فتح معركة مع سوريا فى لبنان ، وهذه ليست مجرد تكنهات فقد أشارت جريدة الهيرالد تريبيون إلى هذا صراحة فى عددها الصادر يوم ٨ ديسمبر . أما التخوف الإسرائيلى من قيام سوريا بالاعتداء على اسرائيل فهو تخوف لا أساس له ، لأن سوريا لا تدخل المعركة إلا إذا دخلتها مصر .

٥ - إنه إذا كان هدف اسرائيل هو عزل مصر والغاء اتفاقية الدفاع المشترك فإننى أرى أن هذا لا يحقق مصلحة أى طرف بما فى ذلك إسرائيل نفسها ، وإذا كانت إسرائيل تبغى السلام حقاً فإن عليها أن تدرك أن من صالح جميع دول المنطقة أن تكون مصر قادرة على مساعدة أى دولة عربية تتعرض لعدوان خارجى .

أما ما يفكر فيه بعض الاسرائيليين من إقامة تعاون عسكرى مشترك بينهم وبين مصر ليحل محل التعاون العسكرى بين مصر وباقى الدول العربية ، فلن يكون لمثل هذا التعاون أى جدوى على الإطلاق ، إذ أن إسرائيل لن تستطيع أن تقف إلى جانب أى دولة عربية يقع عليها هذا العدوان ، ولذا فإن مصر لا تستطيع قبول هذه الفكرة قط .

٦ - أن وجود مثل هذا النص قد يعطى إسرائيل الحق فى الزعم بان مصر خالفت أحكام الاتفاقية إذا قامت بمساعدة دولة عربية تتعرض للعدوان ، وهذا وضع لا يمكن أن تقبله مصر لأنه يمس سيادتها .

٧ - إن هذا النص قد يعطى إسرائيل الفرصة لأن تدعى فى المستقبل أن الاتفاقيات التجارية والثقافية التى ستعقد بين البلدين مستقبلاً يجب أن يكون لها أولوية على الاتفاقيات الأخرى التى ترتبط بها مصر ، وهذا بدوره وضع لا يمكن أن تقبله مصر .

ولكل هذه الأسباب فان وجود هذا النص يعتبر ضاراً بأمن المنطقة كلها ، فضلاً عن أنه سيدفع الدول العربية المعتدلة إلى التطرف ويمكن أن نتصور النتائج الوخيمة التى ستنجم عن هذا الوضع ، ويجب النظر إلى كل هذا فى ضوء التطورات الأخيرة التى تحدث فى المنطقة وحولها .

(٢١) اتفق فانس معى تماما فى هذا التحليل للوضع الإستراتيجى العالمى والتطورات التى تمر بها المنطقة فى هذه المرحلة الدقيقة .

(٢٢) وعندئذ سألنى ديان عما سيكون عليه موقف مصر إذا ما قامت سوريا بشن حرب لتحرير الجولان وادعت أنها حرب دفاعية فكان ردى عليه :

أ - إن هذا الاحتمال غير وارد مادامت سوريا أعلنت مراراً قبولها للحل السلمى .

ب - إن الرئيس السادات أعلن أن ما يسرى على مصر يسرى على سوريا وهذا يعنى أن سوريا يمكن أن تقبل الارتباط بترتيبات أمن مشابهة للأجراءات المتفق عليها بين مصر واسرائيل ، وذلك بشرط ألا تطالب اسرائيل بضم أى أرض سورية أو بالابقاء على مستوطناتها فى الجولان أو تحاول أن تنكر على سوريا حقها فى ممارسة سيادتها الكاملة على الأرض التى تنسحب منها إسرائيل .

وهنا سألنى ديان : نفرض أن سوريا رفضت تطبيق ترتيبات الأمن المنصوص عليها فى مشروع المعاهدة فماذا يحدث ؟ فأجبته بأن هذه مسألة ترجع للحكومتين السورية والإسرائيلية يتفقان عليها وكل ما يهمنا هو الا يتطور الوضع إلى قيام حرب بين البلدين .

(٢٣) ثم استطرد ديان فسألنى عما يحدث إذا ما أغلقت مصر مضيق تيران مرة أخرى فكان ردى أن هذا أمر مستبعد تماماً فقد أصبح فتح مضيق تيران وخليج العقبة للملاحة الدولية التزاما ترتبط به مصر ومن ثم فلا يتصور أن تقدم على هذه الخطوة إلا إذا كنا نفترض أن مصر ستشن حربا على إسرائيل وهذا الافتراض متناقض مع روح السلام التى أذكاها الرئيس السادات بسياسته الثابتة وخطواته التاريخية الجريئة .

(٢٤) وتساءل وزير الخارجية الاسرائيلى أيضاً عما يحدث إذا تم الانسحاب الكامل من سيناء ومع ذلك يتم الاتفاق مع سوريا ، ووقع عدوان من جانب سوريا على إسرائيل فكان ردى عليه أن مصر مرتبطة بالتزامات توضحها الاتفاقية . وكما ذكرت له سابقاً فانه من الناحية العملية لن تشن سوريا بمفردها حرباً ضد اسرائيل بل إن ما نخشاه هو أن يكون هدف إسرائيل هو التقاعس عن تنفيذ الاتفاق الشامل واختلاق ذريعة لمعركة ضد طرف عربى إما فى جنوب لبنان أو غيرها ، إما وقوع هجوم عربى على اسرائيل فأمر غير وارد .

(٢٥) ثم تطرق ديان إلى الفقرة الثانية من المادة السادسة . وقال إنه يصعب عليه فهم السبب الذى يدفع مصر إلى الأصرار على تعديلها ، فقلت له إن هناك نصاً فى هذه الفقرة على أن الطرفين ملزمان بتنفيذ التزاماتها الناشئة عن المعاهدة دون أعتبار لأى فعل أو إمتناع من طرف آخر ، ومعنى هذا أن اسرائيل لن تكون مسئولة إذا ما احجم طرف آخر عن التجاوب والتعاون فى تنفيذ صيغة كامب ديفيد ، ولذلك فإن ما تدعيه اسرائيل من أن مصر تريد أن تتحلل من التزاماتها إذا لم يتعاون الفلسطينيون مع مشروع الحكم الذاتى فى الضفة الغربية هو إدعاء ليس له ما يبرره ولكن ما نخشاه هو إن تتخذ إسرائيل مواقف أو تصدر عنها تصريحات تكون سبباً فى أحجام وعند هذه النقطة تساءل ديان عما يكون عليه الموقف إذا بدأت المفاوضات حول الضفة الغربية وغزة ولم يتمكن الطرفان (مصر وإسرائيل) من التوصل إلى اتفاق . فكان ردى أن إسرائيل قد التزمت بإجراء الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة وإقامة الحكم الذاتى ليحل محل الحكومة العسكرية ، ولذلك فإن عدم التوصل إلى اتفاق سيكون سببه هو إسرائيل ومن ثم فإنها تكون مسئولة عن هذا الوضع ، ومن هنا قبلت مصر أن تحل محل الأردن إذا لم يستجب الملك حسين إلى الدعوة الموجهة إليه للاشتراك ، ومن هنا أيضاً طالبت مصر بالبدء فى إقامة الحكم الذاتى فى غزة ، أولا حتى يطمئن سكان الضفة الغربية إلى جدية الاتفاق وإلى المزايا التى

تعود عليهم إذا هم اشتركوا فى عملية السلام ، وأوضحت جيدا أننا لا نقصد وضع مبادىء أو قواعد خاصة بغزة تختلف عن تلك التى تطبق فى الضفة الغربية ، بل كل ما هناك أنه ستكون هناك مبادىء وأحكام واحدة يجرى تطبيقها على الاقليمين ، مع جواز الاختلاف فى توقيت التنفيذ فقط .

(٢٦) ثم انتقل ديان إلى الحديث عن موضوع المستوطنات فسألنى عما يكون عليه موقف مصر إذا أصرت اسرائيل على أقامة المستوطنات وامتنع الفلسطينيون ــ نتيجة لهذا ــ عن الانتخابات وإقامة الحكم الذاتى ، فكان ردى أن مصر لا يمكن أن تتقبل إقامة المستوطنات الاسرائيلية ، وإذا أصرت اسرائيل على هذه السياسة فان هذا لن يكون عامل جذب للأطراف العربية الأخرى حتى تؤيد الاتفاقية أو تشترك فى المفاوضات فى المستقبل .

(٢٧) ثم نبهته إلى حقيقة أن عقد اتفاق سلام بين مصر وإسرائيل لا يعنى وجوب اتفاق مصر مع السياسة الإسرائيلية فى أى مشكلة محلية أو دولية . فمصر تربطها بالولايات المتحدة علاقة طيبة ولكن هذا لا يعنى أن تلتزم مصر بمواقف الولايات المتحدة فى كل ما تتخذه من قرارات خاصة بسياستها الخارجية وبنفس المنطق فان توقيع معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل لا يعنى إطلاقاً أن تتطابق السياسة الخارجية للبلدين ، أو أن تمتنع مصر عن إدانة تصرف إسرائيلى معين ، وضربت مثلاً بما حدث أخيرا فى جنوب لبنان ، وبعبارة أخرى فإن الهدف من المعاهدة ليس هو القضاء على الخلاف بين البلدين أو إيجاد تطابق فى الاتجاهات السياسية بينهما بل الهدف هو حل هذه الخلافات بالوسائل السلمية وعدم اللجوء إلى الحرب . ولذلك فإن العلاقات المستقبلة بين البلدين ستحكمها نفس القواعد التى تحكم علاقات كل منها بالدول الأخرى بما فى ذلك احتمال قطع العلاقات الدبلوماسية . ويجب أن يكون هذا مفهوما جيداً من الحكومة الإسرائيلية .

(٢٨) ثم قرأت لديان الفقرة التى نطلب تعديلها بالذات ، وهى تلك التى تنص على أن هذه المعاهدة مستقلة عن أى وثيقة أخرى تعتبر خارجية عنها ، فقال ديان إنه يصعب عليه فهم موقف مصر ، فعلقت بأن موقفنا واضح ، وكل ما نطلبه هو تصحيح هذا الفهم الخاطىء ، وتسجيل حقيقة أن المعاهدة معقودة فى نطاق الحل الشامل طبقاً لإطار كامب ديفيد ، وهذا هو كل ما نصت عليه المذكرة التفسيرية التى قدمناها لفانس فوجدناها منطقية ومقبولة ، وحتى لا يكون هناك أى مجال للقول أن هذه الاتفاقية تشكل سلاماً منفصلاً .

(٢٩) قال ديان أن مصر تقصد بذلك الربط بين ما يتم من إجراءات طبقاً لهذه المعاهدة وما يتم من تطورات فى الضفة الغربية وغزة . فى حين أن وجهة نظر إسرائيل هى أن هذه الاتفاقية تقف على قدميها بذاتها STANDS ON ITS OWN FEET فكان ردى على كلامه أن هذه المعاهدة تعقد فى إطار اتفاق كامب ديفيد . وإذا كانت اسرائيل تعترض على هذه الصيغة التى تقترحها مصر لتفسير الفقرة الثانية من المادة السادسة فمعنى هذا أنها تريد أن تكون المعاهدة اتفاقية منفصلة وهو ما ترفضه مصر تماماً ، لأنه يتعارض مع الأساس الذى قامت عليه وثيقتا كامب ديفيد فإذا كانت إسرائيل تفسر النص القائم فى هذه الفقرة بأنه يعنى أن المعاهدة المصرية الاسرائيلية مستقلة عن أى اتفاق آخر بما فى ذلك وثائق كامب ديفيد أو مستقله عما سيتم الاتفاق عليه من إجراءات متعلقة بالضفة

الغربية وغزة فإن هذا سيؤكد للعرب وغيرهم أن هذه المعاهدة هي في جوهرها اتفاقية منفصلة ونحن لسنا على استعداد لقبول هذا االوضع .

عندئذ قال ديان إنهم يرون أن هذه المعاهدة خطوة نحو الاتفاق الشامل الذى يقيم سلاماً فى الشرق الأوسط ، ومعنى هذا أنها تقف على قدميها كخطوة نحو الوصول إلى اتفاق شامل ، وكان تعليقى على حديثه أن هذه المعاهدة معقودة فى نطاق اتفاق كامب ديفيد الذى ينص على وجوب التوصل إلى تسوية شاملة وليس صلحاً منفرداً .

(٣٠) بعد هذه المناقشة ، قال ديان : لنفرض جدلا ــ بعد الاستماع إلى وجهة نظر مصر ــ أننا أردنا أن نضع تفسيراً لهذه المادة يرضى الطرفين فما هى أحسن وسيلة لذلك ؟ فأجبته بأننا كنا نصر ــ قبل حضور فانس إلى القاهرة ــ على وجوب تحقيق هذا التصحيح فى المفهوم بواسطة تعديل النص فى صلب مشروع المعاهدة ، الا أنه بعد مناقشة الموضوع مع وزير الخارجية الأمريكى وحسما للخلاف فان مصر قبلت أن يتحقق هذا بواسطة مذكرات تفسيرية تلحق بالمعاهدة وتكون لها قوتها الإلزامية خاصة وأن هناك مذكرة تفسيرية أخرى قبلها الطرفان بالفعل وتم إرفاقها بالاتفاقية .

ولسنا نجد مبررا لرفض اسرائيل اتباع هذا الأسلوب بالنسبة لهذه النقطة .

(٣١) قال ديان إنه لا يجد صعوبة فى اللجوء لهذه الوسيلة فيما يتعلق بالمادة الرابعة ، حيث يمكن إضافة مذكرة فى أسفل المعاهدة ، أما بالنسبة للمادة السادسة بفقرتيها فيمكن التفكير فى التوفيق بين وجهتى النظر على النحو التالى :

تتقدم الولايات المتحدة بعدة أسئلة لكل من الطرفين ، ويتفق على كيفية الإجابة على هذه الأسئلة إجابة يقبلها الطرفان .

ذكرت له أننى من ناحية المبدأ أفضل أن يتم التفسير عن طريق مذكرات تفسيرية تلحق بالمعاهدة ، وذلك حتى لا يفتح الباب للخلافات فى المستقبل ، وحتى يكون واضحاً للرأى العام المصرى والعربى والدولى أن المعاهدة ليست اتفاقا منفصلاً أو أنها ترتب أولوية لالتزامات أى من الطرفين بالنسبة لالتزاماته الأخرى .

وأضفت أننى ــ مثل ديان ــ غير مفوض بإجراء مفاوضات فى أى من الموضوعات وتقتصر مهمتنا على تبادل وجهات النظر فيما يمكن عمله وسوف أقوم بنقل كل ما دار فى هذه الجلسة للرئيس السادات ، مع علمى برأى سيادته فى هذا الشأن .

(٣٢) ثم انتقلنا إلى موضوع تبادل السفراء فقال ديان ما يلى :

أ - إنهم يرفضون تماماً الخطاب الذى عرضه عليهم فانس لأنه يربط تبادل السفراء بالتطورات التى تقع فى الضفة الغربية وغزة ، وهذا أمر يتعارض مع ما ورد فى وثائق كامب ديفيد .

ب - إن فكرة الإسراع بتبادل السفراء لم تقدم منهم بل أن الرئيس السادات هو الذى قدمها .

جـ - إن السليم هو ربط تبادل السفراء بإتمام الانسحاب الأول من سيناء لابما يحدث فى الضفة الغربية وغزة .

عندئذ تدخل فانس فى الحديث وقال إن الرئيس السادات لم يتقدم بهذا الاقتراح بل إن ما حدث

هو أن الرئيس كارتر تقدم به لحث إسرائيل على الإسراع فى تنفيذ الانسحاب الأول . وثانياً كتقدير لموافقتها على الانسحاب من العريش خلال شهرين ومن منطقة البترول خلال أربعة أشهر . وقد قبل الرئيس السادات هذه الفكرة ، استجابة لرجاء الرئيس كارتر ، وحتى يطمئن الاسرائيليين إلى أنه يعنى جديا دفع عملية السلام قدما .

(٣٣) - قال ديان إنه لم يكن يعلم هذا فقلت إن ما ذكره فانس صحيح تماما وهو متطابق مع ما سمعته من الرئيس السادات ولكن طالما أن إسرائيل قد تراجعت فى موقفها وسحبت موافقتها على المراحل الفرعية للانسحاب وعلى تقصير مدة الانسحاب الأول ، وهو ما يعنى أنها تريد أن تستمر فى استغلال حقول البترول أطول مدة ممكنة فإن موافقتنا بصفة مبدئية على تبادل السفراء بعد إنتهاء الانسحاب الأول تكون غير قائمة لزوال الأساس الذى بنيت عليه وأضفت أننى ذكرت هذا للرئيس كارتر فوافقنى على ذلك ومن ثم فإن تبادل السفراء لم يعد مرتبطاً بالانسحاب الأول فى سيناء ، فعلق ديان بأن وفدهم فى المفاوضات تحفظ بموافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى على المراحل الفرعية للانسحاب الأول وقد تولى فايتسمان بالفعل عرض الموضوع على مجلس الوزراء ولكن المجلس رفض ولذلك سحبت اسرائيل موافقتها السابقة على توقيتات الانسحاب الأول فذكرت له أننى لا أناقش هذه النقطة من زاوية حق أى طرف فى تغيير موقفه قبل التوصل إلى الاتفاق بصفة نهائية ، وإنما كل ما أقوله هو أن من حقنا أن نأخذ المواقف التى تتناسب مع الموقف الاسرائيلى ، فقال ديان أن ما يقلقهم هو أن تبادل السفراء ــ وهو أمر هام بالنسبة لاسرائيل سيصبح متوقفاً على ما يحدث فى الضفة الغربية وغزة وهذا مخالف لنص اتفاقية كامب ديفيد فعلقت بأن الخطاب الذى اتفق على تبادله بشأن أقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة يقضى بأن تقوم هذه الحكومة قبل نهاية ١٩٧٩ وهو موعد يتفق مع انتهاء الانسحاب الأول ، فقال ديان إن الصيغة المقترحة للخطاب المتبادل لا تذكر موعدا محددا لقيام الحكومة الذاتية ، بل ذكرت تاريخاً مستهدفاً TARGET DATE فقلت له إن هذا لا يعنى إطلاقا أننا سنترك الأمر مفتوحا دون ضابط بحيث يكون احتمال عدم اقامة الحكومة الذاتية قائما بنفس درجة احتمال قيامها . وإلا كان معنى هذا أننا نجيز لإسرائيل أن تتباطأ فى إقامة الحكم الذاتى لمدة خمسة أعوام أو أكثر ، بل يجب أن يكون واضحاً هو أن المفروض أن تقوم الحكومة الذاتية فعلاً فى الموعد المحدد وبينت أن مفهومنا لعدم عقد اتفاق منفصل بيننا وبين اسرائيل هو أن تتم إقامة الحكم الذاتى فى غزة والضفة الغربية (أو فى غزة أولا إذا تعذر إقامتها فى الأقليمين فى وقت واحد) فى نفس الوقت الذى يتم فيه الانسحاب الأول من سيناء .

وانتهى الأمر عند هذا التفسير .

(٣٤) - ومن الجدير بالذكر أن فانس كان قد أخبرنى فى اجتماعى المنفرد معه مساء السبت ٢٣ ديسمبر أن ديان ركز فى مقابلاته على هذه النقطة بالذات وأنه (أى ديان) يرى ــ حلاً لهذا الخلاف ــ عدم تبادل خطابات على الإطلاق فى هذا الشأن وبدلا من ذلك تتم تصفية الموضوع عن طريق وعد شفوى من الرئيس السادات للرئيس كارتر ، غير أن وزير الخارجية الإسرائيلى لم يطرح هذه الفكرة فى الاجتماع الثلاثى .

(٣٥) - ثم انتقلنا إلى مناقشة الموضوع الثالث ، وهو مضمون الخطاب الخاص بقيام الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة ، وهنا قال ديان إن اسرائيل هى صاحبة فكرة إقامة الحكم الذاتى فى الضفة

والقطاع ، وقد نادت بها منذ عامين ، وهي مقتنعة بانها في مصلحتها كما أنها في مصلحة الفلسطينيين ومن ثم فهي لا تعترض عليها أو تحاول التهرب منها ، ولكنها تعترض على التوقيتات التي تربط بين التطورات في الضفة والقطاع وبين الانسحاب من سيناء وتطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية .

عندئذ تساءلت عن الضمان لأن تلتزم إسرائيل باقامة الحكم الذاتي إذا ما ترك الأمر دون تحديد مدة ، وأضفت أن من الواجب الالتزام بما يلي على وجه التحديد :

أ - الاتفاق على أسلوب إجراء الانتخابات .

ب - اختصاصات الحكومة الذاتية .

حـ - موعد قيام الحكم الذاتي .

وهنا قال ديان إن الاتفاق على أسلوب إجراء الانتخابات سيتضمن موعد إجرائها فأجبت بأن هذا ليس مقطوعا به ولذلك فإن من الضروري الاتفاق منذ الآن — سدا لذرائع الخلاف في المستقبل — على تحديد أسلوب إجراء الانتخابات — وسلطات الحكومة الذاتية ، وموعد قيام هذه الحكومة .

وأضفت أن أسرائيل إذا كانت جادة في موضوع قيام الحكم الذاتي فلا يصح أن تعترض على التوقيتات الزمنية .

علق ديان أن المفاوضات الخاصة بتحديد سلطات الحكومة الذاتية قد تستغرق وقتاً طويلاً فقلت إن هذا غير ضروري مادام كان مفهوم الحكم الذاتي واضحاً وراسخاً .

هنا تساءل ديان عما يحدث إذا ما أحجم الفلسطينيون عن إقامة الحكومة الذاتية فقلت له إن أحد الخطابات الذي وقعه الرئيس في كامب ديفيد ينص على أن مصر مستعدة لممارسة الدور العربي إذا تخلف الأردن ، أو أي طرف آخر عن الاشتراك في المفاوضات ، ومعنى هذا أن مصر مستعدة لتحمل المسئولية والسير في العملية دون أنتظار موافقة الأردن ، أو الفلسطينيين لأننا نؤمن بأن قيام الحكم الذاتي في صالح الفلسطينيين وجميع الأطراف ومن هنا فإنني لا أستطيع أن أفهم موقف إسرائيل من هذه النقطة بالذات .

وأوضحت أن معارضة إسرائيل للارتباط بمواعيد معينة لإجراءات .. الانتخابات وقيام الحكم الذاتي هي من الأسباب الرئيسية وراء إحجام الفلسطينيين وبعض الأطراف العربية الأخرى عن تأييد الاتفاقية ولو عدلت إسرائيل موقفها لكان هذا حافزا للعناصر الفلسطينية المعتدلة على المشاركة في إقامة الحكم الذاتي ، وإذا كانت الأطراف الثلاثة (مصر وإسرائيل والولايات المتحدة) جادة في جعل هذه الاتفاقية جذابة للأطراف العربية الأخرى ومقبولة من العناصر المعتدلة ، فيجب ، أن تأخذ في حسابها اعتراض كل دولة وتخوفاتها ، فالسعودية مثلاً تتحفظ لعدم إحتواء الاتفاقية على أي شيء خاص بالقدس الشرقية ، وتقوم وجهة نظرنا على أساس أن القدس الشرقية جزء من الضفة الغربية وغزة لابد ان يشمل القدس الشرقية ، ومن جهة أخرى فان الأردن يتحفظ بدعوى أن صيغة كامب ديفيد لم تتضمن أي نص على ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره ، ووجهة نظرنا أن قيام الحكم الذاتي سوف يؤدي حتما بعد خمسة أعوام إلى حق تقرير المصير .

ورغم هذا يبقى علينا جميعا أن نعمل على التوصل إلى صيغة تكون أكثر جاذبية للدول العربية .

علق ديان على هذا بأنهم لا يعترضون على هذه المبادىء . ولكن اعتراضهم مبني على أننا لم نجلس معا للاتفاق على صيغة الخطاب المتبادل بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة وإنما تم وضع الصيغة ، المقترحة

للخطاب ، باتفاق بين مصر والولايات المتحدة ، دون أخذ رأى اسرائيل أو اشتراكها فى الصياغة وهو أمر لا يستطيعون أن ... يقبلوه .

أجبته بأن هذه الصياغة انبثقت عن مسودات عديدة للخطاب المتبادل اشتركت إسرائيل فى وضعها ، ولذلك فان الخطاب بصيغته الأخيرة لا يصح أن يعتبر عنصراً جديداً بالنسبة لهم ، فهو مجرد بلورة لما تم الاتفاق عليه بالفعل ، وكررت أن من الضرورى ذكر القدس الشرقية إذا كانت إسرائيل توافق معى فعلاً على أن من المهم لنا جميعا اجتذاب الدول العربية المعتدلة لعملية السلام .

عندئذ قال ديان إنه يوافق على وجهة النظر التى أبديتها وأنه يريد أن يتوصل إلى صيغة تنص على القدس الشرقية وانطباق الحكم الذاتى عليها . وأضاف أنه سيعرض الأمر على الحكومة ويوصى بقبوله إذا كان سيؤدى إلى اجتذاب السعودية والدول العربية الأخرى .

وقد حرصت على أن أسجل هذه الموافقة من جانبه على الاقتراح الذى تقدمت به وقلت إنها تعتبر خطوة إيجابية بناءة .

وبذلك انتهت مناقشة وجهات النظر حول هذه النقاط .

(٣٦) - وهنا تساءل فانس عن الأسلوب الذى نقترحه للانتقال إلى المرحلة التالية بعد أن ثبت أنه يمكن أن يكون هناك تلاق فى وجهات النظر وأن الخلاف يتركز حول الأسلوب .

(٣٧) أجبته بأننى غير مخول أن أقترح أسلوباً معيناً ، ولابد من عرض الموضوع على السيد الرئيس لدراسته والبت فيه .

وقال ديان نفس الشيء بالنسبة لوجوب رجوعه إلى حكومته .

(٣٨) وقبل نهاية الاجتماع حرصت على تنبيه ديان إلى أن التصريحات التى تصدر منه ومن غيره من المسئولين الإسرائيليين لا تخدم أى غرض بناء بل أنها تشعل الموقف وتجعل من الصعب التوصل فيها بعد إلى صيغة يرضى بها الطرفان . تعهد ديان بأنهم سيراعون ذلك .

(٣٩) عاد فانس وتساءل عن الخطوات التى يجب أن تتبع بعد ذلك ، فقلت له إننا قد حضرنا إلى بروكسل استجابة لدعوة منه بهدف التعرف على وجهات نظر الطرفين وحيث أن الأمر سيتطلب الرجوع للحكومتين فالمنطقى أن تكون الخطوة التالية هى أن يقوم كل طرف بعد ذلك بإبلاغ وزير الخارجية الأمريكى بوجهة نظرة فى النقاط التى أثيرت ، ومادامت الولايات المتحدة شريكا كاملا فى عملية السلام فلابد من أن تواصل القيام بدورها .

(٤٠) كذلك تساءل فانس عن المستوى الذى يمكن أن تتم به الاتصالات مستقبلاً فكان ردى أن مستوى القمة هو مستوى نهائى ، ومن ناحية أخرى فإن المستوى الفنى لا يجعل من المتيسر التوصل إلى اتخاذ القرارات المطلوبة ولذلك فإن المستوى المتوسط يعتبر فى رأيى أكثر المستويات ملاءمة لمثل هذه المهمة وتم الاتفاق فعلاً على أن أتصل بفانس وأن .. يفعل ديان نفس الشيء .

(٤١) وفى نهاية الاجتماع تم الاتفاق على إذاعة البيان التالى :

« تبادل المجتمعون وجهات النظر المفيدة والشاملة حول جميع المسائل المعلقة . وتم الاتفاق على أن يقدم كل طرف تقريراً إلى حكومته بما دار فى الاجتماع وسيبقى الطرفان على اتصال بوزير الخارجية

الأمريكى لإبلاغه بوجهة نظرهما حول الخطوات التالية التى يمكن اتخاذها باتفاق الطرفين » .

(٤٢) فى حديث دار بين فانس وأسامة الباز بعد الاجتماع ذكر وزير الخارجية الأمريكى أنه مرتاح لما أسفر عنه الاجتماع وهو يعتقد أنه يمكن أن نتحرك معا فى الأسابيع المقبلة لتحقيق الأهداف المشتركة وأكد أنهم سوف يظلون ثابتين فى موقفهم من كافة الموضوعات المعلقة .

الخـــلاصة

أولاً : يمكن القول أن الخلاف فيما يتعلق بنصوص المعاهدة أصبح محصوراً فى أسلوب معالجة النقاط الخلافية ولم يعد قائماً حول المبدأ .

ثانياً : بالنسبة للخطاب المتبادل بشأن إقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة . يتجه الرأى إلى الاتفاق على صيغته فى مباحثات يجريها الطرفان .

وهناك احتمال للنص فى هذا الخطاب على وضع خاص بالقدس الشرقية .

ثالثاً : فيما يتعلق بالخطاب الخاص بتبادل السفراء ، يمكن أن يكون هذا التبادل مرتبطاً بالانسحاب الأول وبقيام الحكم الذاتى معا .

الرأى : فى ضوء ما تقدم أرى أن الوضع العربى والدولى يجعلان من الأفضل عدم الإسراع بالرد على الجانب الأمريكى وعدم إظهار تلهفنا أو استعدادنا للتراجع فى موقفنا .

أما بالنسبة للوضع الاسرائيلى الداخلى ومدى تأثره بتأخير التوصل إلى اتفاق حول النقاط المختلف عليها فمن الصعب أن أجرى له تقييما دقيقا لعدم توفر المعلومات الكافية .

وبالنسبة للوضع فى الولايات المتحدة . فلا بد أنها تشعر بالقلق حالياً بالنسبة لأحداث إيران واحتمالات تطور الوضع البترولى ولذلك فان من الممكن التفكير فى تحرك رشيد تقوم به الدول العربية المنتجة للبترول للضغط على الولايات المتحدة بأسلوب متزن ليس بقصد منع أى إمداد ولكن بالتلويح بإمكان زيادة الطاقة الإنتاجية لمواجهة النقص الناشىء عن الوضع فى إيران بحيث تكون هذه النقطة عنصراً للمساومة الذكية .

٢٥ ديسمبر ١٩٧٨ (مصطفى خليل)

- ٩ -

تمهيد لخطوة أخرى بعد بروكسل

ورأى الدكتور مصطفى خليل بعد عودته من بروكسل . أن يرسل خطابا رسميا إلى سيروس فانس وزير الخارجية يقترح فيه الخطوة التالية التى يجب أن تخطوها أمريكا ، لكى تصل المباحثات حول صيغة المعاهدة المقترحة إلى غايتها .

وحرص فى هذا الخطاب أن يسجل المواقف المصرية التى أيدتها أمريكا ورأى أن الموقف يستدعى اجتماعا جديدا يشترك فيه وزير الخارجية الأمريكية أو أن يستأنف فانس دبلوماسية المكوك .

وهذا هو نص خطاب مصطفى خليل إلى فانس :

مكتب رئيس الوزراء ـ يناير ١٩٧٩

عزيزى الوزير فانس

مع بالغ السعادة نعرب عن تقديرنا العميق للجهود الدءوبة التى تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية فى قضية السلام .

إنى أعتقد أن مناقشاتنا فى بروكسل كانت مفيدة للغاية فى تحديد نقاط الخلاف وفى توضيح المنطق الذى يحكم وجهات نظرنا ازاء هذه الخلافات .

ولقد أتاح الاجتماع لنا أيضا فرصة مناقشة آخر التطورات العالمية فى الشرق الأوسط مع تركيز خاص على إيران وتركيا ، وأفغانستان ودول عربية وأفريقية عديدة . ولقد شرحت لكم ولديان بما فيه الكفاية الآهمية القصوى لتحقيق سلام شامل ، بين إسرائيل وجيرانها كعامل لتأمين العالم العربى ضد العدوان الخارجى أو زعزعة الاستقرار الداخلى . وأكدت أيضا أهمية ربط مسألة التسوية فى الضفة الغربية وغزة بتوقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وأوضحت زيادة على ذلك أنه لن يكون فى مصلحة السلام فى العالم وخاصة فى الشرق الأوسط عزل مصر عن الدول العربية والأفريقية الأخرى كنتيجة لعقد السلام بين مصر وإسرائيل . ومثل هذا الموقف سوف يكون ضد مصلحة الآمن فى المنطقة ككل . وسوف يؤدى ذلك أيضا إلى زيادة الصعوبات أمام مصر فى قيامها بدورها الطبيعى الضرورى كمدافع عن الدول العربية الأخرى لدى تعرضها للتهديد بالعدوان أو محاولات زعزعة الاستقرار .

ولقد أشرت خلال اجتماعنا أيضا إلى حقيقة أن الدول العربية الأخرى بما فيها الدول المتشددة أيضا لم ترفض مبدأ حل المواجهة العربية ـ الإسرائيلية بالطرق السلمية . ومن الجدير بالذكر أيضا أن ميثاق الجامعة العربية الموقع فى عام ١٩٤٥ ، قبل أن تقوم إسرائيل ،

لا يتضمن أى بند يمكن تفسيره بأنه موجه ضد إسرائيل . وأكثر من ذلك أن ميثاق الدفاع العربى المشترك للجامعة العربية الذى تم التوقيع عليه فى عام ١٩٥٠ وأصبح نافذ المفعول فى عام ١٩٥٢ ، لا يتضمن كلمة واحدة ضد اسرائيل . ولهذا فانه إذا قام السلام فإن هذا الميثاق لن يمكن تفسيره بأنه موجه ضد إسرائيل . وخلال ذلك فإنه سيكون الآداة التى تمكن مصر من التعاون مع الدول العربية الأخرى من أجل الدفاع المشترك ، وصيانة السلام والاستقرار فى أرجاء المنطقة .

ولقد أكدت أيضا أن المعاهدة بين مصر وإسرائيل ، جنبا إلى جنب مع حل القضية الفلسطينية من كافة جوانبها وفقا لاطار كامب ديفيد ، لابد أن تكون ذات طبيعة تجذب الفلسطينيين والدول العربية الأخرى إلى قبولها والمشاركة فى عملية السلام وليس عزل مصر ، ودفع الدول العربية المتشددة إلى التشدد واظهار موقف سلبى من الدور البناء للولايات المتحدة فى عملية السلام .

وأود أيضا أن أقرر أن الإصرار الإسرائيلى على إقحام المفاهيم الدينيه كذريعة لمخططاتها التوسعية فى غزة والضفة الغربية شجع الحركات الإسلامية المتطرفة فى إيران وتركيا . وأنه لاشك يعطى قوة دفع للحركات المتطرفة المماثلة فى الدول العربية والإسلامية الأخرى إذا فشلنا فى التوصل إلى تسوية سلمية شاملة .

ولسوء الحظ فإن البيان الأخير لمجلس الوزراء الإسرائيلى لا يتفق والملاحظات والاقتراحات المتفائلة للسيد ديان . وخلاف ذلك فإن البيان لم يعكس تقدما كافيا ، وهذه حقيقة تولد شكوكا خطيرة فى قيمة عقد اجتماعات جديدة مثل اجتماع بروكسل ما دامت الحكومة الإسرائيلية تصمم على إعادة تأكيد قراراتها الصادرة يوم : ١٥ ديسمبر عام ١٩٧٨ فى مجملها ، وترفض تماما التفسير الأمريكى للمادة ٦ من معاهدة السلام . وترفض إسرائيل أيضا تحديد تاريخ مستهدف لتحقيق الحكم الذاتى الكامل فى غزة والضفة الغربية ، وفقا اتفق عليه سابقا فى واشنطن .

عزيزى الوزير فانس :

سوف أحاول الآن شرح الموقف المصرى كما عبر عنه بيان مجلس وزرائنا الصادر يوم ٣ يناير عام ١٩٧٩ والذى ألحقناه بهذا الخطاب ، ثم أحاول بعدئذ اقتراح إجراء نسير عليه من أجل الخطوات القادمة ، ولكم قبول أو ادخال تعديلات عليه .

(أ) فيما يتصل بالرفض الإسرائيلى لتحديد تاريخ أو تاريخ مستهدف لإقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة ، فإننا مع الرأى القائل بأن الاتفاق المصرى ــ الأمريكى تم التوصل إليه فى هذه الناحية أثناء زيارتكم الأخيرة للقاهرة هو الطريق الصحيح لحل هذه المشكلة لما يلى من أسباب :

١ - أنه الطريق الوحيد لجعل معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل تقع فى إطار تسوية سلمية وفقا لاطار كامب ديفيد .

٢ - جاء فى هذا الإطار « يعبر الطرفان عن تصميمها على التوصل إلى تسوية عادلة وشاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط من خلال عقد معاهدات سلام .. الخ » .. ولكى يكون السلام مستديما فمن الضرورى أن يشمل كل الذين تأثروا بشدة أكثر من غيرهم بالنزاع » . ويشير هذا بوضوح إلى الفسلطينيين . وأكثر من ذلك فإن إطار كامب ديفيد مقسم إلى ٣ أجزاء رئيسية :

(أ) الضفة الغربية وغزة .

(ب) مصر وإسرائيل .

(جـ) مبادىء مرتبطة بالمعاهدة .

وفى رأينا فإن هذا الترتيب للأولويات مؤشر قوى على الأهمية التى يعزوها الإطار إلى حل مشكلة الضفة الغربية وغزة التى لابد من حلها قبل قضية السلام بين مصر واسرائيل .

وسوف تلاحظ أيضا أن كل العناصر الهامة للتسوية الواردة فى الإطار تضمنها الاقتراح المصرى ــ الأمريكى الأخير .

ولقد جاء فى الإطار أيضا أن الترتيب للفترة الانتقالية سيكون خلال مدة لا تتجاوز خمسة أعوام وأنه يبدأ عندما تقام سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة وتوليها مسئوليتها . وجاء فى الإطار أيضا أن المفاوضات التى يتقرر من خلالها الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة تتم فى موعد لا يتجاوز ٣ سنوات من بدء الفترة الانتقالية .

ولهذا ، فإن تحديد موعد لإقامة وتولية سلطة الحكم الذاتى مسئوليتها ذو أهمية قصوى ، وهو مكمل للجدول الزمنى الوارد فى اتفاق كامب ديفيد لأنه مالم يكن قد ورد هذا الموعد لكان تولية سلطة الحكم الذاتى لمسئوليتها متروكة للإرادة الإسرائيلية منفردة . وسوف يكون معنى ذلك أيضا أنها قد تبدأ بعد عدد غير محدود من السنين مما يجعل المعاهدة بين مصر وإسرائيل من الناحية العملية حلا منفردا . وفى مثل هذه الحالة فإنه لن يجذب الفسلطينيين ، ولا الدول العربية الأخرى بقبوله والمشاركة فيه ، وسوف يلقى أيضا شكوكا بالغة على النوايا الإسرائيلية فيما يختص بمستقبل الضفة الغربية وغزة . ومثل هذه الشكوك تدعمها يوميا التصريحات الرسمية الصادرة من إسرائيل .

إن المجادلات الإسرائيلية بخصوص تحمل الإسرائيليين للمسئولية فى حالة رفض الأطراف الأخرى المعنية المشاركة ليست شرعية بحال .

ومثل هذه المسألة عولجت فى الفقرة الثانية من المادة ٦ فى مشروع المعاهدة التى تقضى بما يلى « يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما بمقتضى هذه المعاهدة دون اعتبار بأى فعل أو امتناع عن فعل من جانب الأطراف الأخرى .

ونفس النقطة يوضحها إطار كامب ديفيد فى الفقرة ج من المبادىء المرتبطة . وتقضى المادة الخامسة بما يلى « تدعى الولايات المتحدة للمشاركة فى المحادثات حول المسائل المتصلة بوسائل تطبيق الاتفاقات وتحديد الجدول الزمنى لتنفيذ التزامات الطرفين .

(ب) فيما يختص بالملاحظة التفسيرية الملحقة بالمعاهدة :

كما تعلمون فإن الموقف المصرى فيما يختص بالمادة الرابعة والمادة السادسة من مشروع معاهدة السلام ظل ثابتا على الدوام ولقد قبلت مصر الاقتراح الأمريكى الخاص بالملاحظة التفسيرية كوسيلة للتغلب على الخلافات بين مصر وإسرائيل . ومازلنا نعتقد أنها تمثل أكثر الحلول الوسط معقولية وأن تأييدكم فى هذه الناحية هو الطريقة الوحيدة لإقناع إسرائيل بقبول مثل هذا التفسير .

ولقد اقترح السيد ديان فى بروكسل كحل أن يطرح كل طرف أسئلته على الولايات المتحدة التى تقدم بدورها إجابات يقبلها الطرفان وأن تلحق بالمعاهدة وأن تشكل جزءاً لا يتجزأ منها . ولكن كان استياؤنا شديدا أن مجلس الوزراء الإسرائيلى رفض أى تفسير للمادة ٦ .

إن وجهة نظرنا فيما يتصل بالفقرة الثانية من المادة ٦ ، معروفة جيدا لكم . ونحن نقبل تفسيركم القائل بأن نصوص هذه الفقرة لا يجب أن تؤول بطريقة تتعارض مع الحقيقة القائلة بأن هذه المعاهدة معقودة فى إطار التسوية الشاملة وفقا لنصوص إطار للسلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد .

إن لدينا اعتقادا ثابتا بأن هذا التفسير هو التفسير الوحيد الصحيح والذى يتفق مع ما أكده الرئيس كارتر فى اجتماعى معه .

إن الرفض الاسرائيلى لقبول هذا يعزز ما يتردد بأن المقصود هو معاهدة سلام منفردة . وعندما تقول إسرائيل إن المعاهدة مع مصر يجب أن تنهض بنفسها فإنه من الضرورى ألا يفسر هذا بأن المعاهدة لابد أن تكون معاهدة منفردة . وأكثر من ذلك فإنه يعنى أن .. التزامات الطرفين لابد من احترامها وإحلالها فى إطار تسوية سلمية شاملة .

ولكل الأسباب المذكورة سابقا فإن تفسيرا مشتركا مقبولا لهذه الفقرة جنبا إلى جنب مع الخطوط التى اتفقت عليها مصر والولايات المتحدة ذات أهمية قصوى .

وبالنسبة للفقرة ٥ من المادة ٦ فإن وجهة نظرنا معروفة أيضا جيدا لكم . وإسرائيل لو كانت حقا تريد السلام فمن الضرورى ألا تحاول منعنا من الوفاء بالتزاماتنا بالدفاع عن الدول العربية الأخرى ضد العدوان الخارجى . وكما قلت للسيد ديان فى بروكسل فان الدول العربية لن تبدأ الحرب ضد إسرائيل وأننا لن نقبل أن نرى إسرائيل تشن حربا جانبية ضد سوريا فى لبنان .

إن مصر لا يمكنها أن تقبل أى حل وسط فى هذه الناحية . وعلى العكس من ذلك فإننا سيكون تصرفنا ضد مصالحنا وضد مصالح العالم كله .

عزيزى سيادة الوزير :

فيما يتصل بالفقرة ٤ من المادة ٤ يبدو لنا أن الإسرائيليين قبلوا من حيث المبدأ تفسيرنا المتفق عليه أثناء زيارتكم الأخيرة لمصر . وتحفظهم الوحيد هو أنهم لا يريدون أن يحددوا تاريخا معينا لمراجعة ترتيبات الأمن . وفى رأينا أنه من الممكن إيجاد حل فى هذه الناحية .

(جـ) فيما يتعلق بتبادل السفراء :

لم يذكر البيان الأخير لمجلس الوزراء الإسرائيلى هذه النقطة بالمرة . ونحن نعتبر نص الخطاب المتفق عليه بينكم وبيننا أثناء زيارتكم الأخيرة لمصر ما يزال صالحا .

عزيزى الوزير فانس

سأحاول الآن اقتراح منهاج عمل للمستقبل للتغلب على الموقف الراهن . وفى هذا الخصوص سوف تتفق معى على أنه من الصعوبة بمكان الدخول فى أى مفاوضات فى وجود كل الشروط المسبقة التى وضعتها الحكومة الإسرائيلية . ولو قبلنا بدء المفاوضات فى هذه الظروف فإن ذلك سوف يعفى إسرائيل من مسئوليتها عن عدم قبول الملاحظات التفسيرية ، والخطاب المشترك فى ١٧ ديسمبر عام ١٩٧٨ ، وسوف تنتهز إسرائيل هذه الفرصة فى محاولة حمل العالم على الاعتقاد بأن مصر تتحمل المسئولية عن فشل المفاوضات . إن تأييدكم ضرورى للتغلب على الجمود الحالى من أجل مصلحة السلام العالمى إن إسرائيل لابد أن تدرك الأخطاء التى يولدها موقفها على العالم كله . ويجب توجيه العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل نحو إقامة السلام والأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط . ونحن لا نطالب بالضغط على إسرائيل ولكن بأن تفتحوا عيون إسرائيل على هذه الأخطار الهائلة من موقف تتعرض فيه مصر للعزلة وفقدان القدرة فى القيام بدورها فى الدفاع عن العالم العربى واستقراره . إن الأمريكيين كشركاء كاملين فى عملية السلام يجب أيضا أن يقنعوا إسرائيل بأن ، إصرار الجماعات الدينية المتطرفة على إنشاء مستوطنات جديدة ، أو ، توسيع المستوطنات القائمة مسألة فى غاية الخطورة كان لها حتى الآن أثرها فى الدول الإسلامية وتغذى عداء الحركات المتطرفة المعادية لإسرائيل والولايات المتحدة .

وفى رأينا أن الجانبين لابد أن يتفقا على المبادىء الرئيسية التى تتصل بحل نقاط الخلاف . ويمكن إنجاز هذا من خلالكم إما بعقد اجتماع مع السيد ديان منفردا أو اجتماع بين ثلاثتنا . ولا أظن أن اجتماعا على المستوى الفنى سيكون مفيدا . وعلى العكس إنه قد يزيد تعقيد المسائل .

وهناك اقتراح آخر هو أن تستأنفوا دبلوماسية المكوك . وإنى أعرف جيدا مسئولياتكم وارتباطاتكم الصارمة للغاية . ولكنى أعرف أيضا أنكم الشخص الوحيد الذى يمكن أن يتحمل عبء مثل هذه المهمة الشاقة .

ويمكن أيضا أن تفكروا فى دعوة الطرفين إلى أن يقدما اقتراحاتهما لكم أو كما اقترح السيد ديان أن تطرح أسئلة تتعلق بنقاط الخلاف على أن تقدم أمريكا إجابات يوافق عليها الطرفان وأعتقد أننا حينئذ سنكون جاهزين لجولة جديدة من المفاوضات .

وسوف أكون مقدرا لكم كثيرا إذا استمعت إلى رد على الاقتراحات المذكورة عاليه . وأود أن أعرب عن ثقة حكومتى بأن الولايات المتحدة ستكون قادرة على المساعدة بالموضوعية وحسن تقديركم .

المخلص

الدكتور مصطفى خليل

بيان الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء

قدم الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء تقريرا إلى الحكومة اليوم عن نتائج مباحثاته فى بروكسل يومى ٢٣ و ٢٤ ديسمبر مع وزير الخارجية الأمريكية ووزير الخارجية الإسرائيلية .

وقد استعرض مجلس الوزراء تطورات الموقف فى ضوء جهود مصر المستمرة لتحقيق تسوية عادلة وشاملة ودائمة فى الشرق الأوسط .

وقد أعاد مجلس الوزراء تأكيد اهتمام مصر المستمر بالعمل من أجل سلام مستقر فى منطقة الشرق الأوسط خاصة فى ضوء التطورات والمتغيرات العالمية الأخيرة .

ويكرر مجلس الوزراء ما أكدته مصر على الدوام من أنه لكى يكون السلام فى الشرق الأوسط دائما وراسخا لابد أن يكون شاملا وعادلا . ولهذا فإن مصر لن توقع أى اتفاق منفرد مادام هذا سوف يشكل انحرافا عن روح اتفاقات كامب ديفيد التى جسدت أيضا تسوية عالمية .

ولتحقيق ذلك تصمم مصر على ربط توقيع اتفاق يتعلق باجراءات عقد انتخابات وإقامة سلطة فلسطينية للحكم الذاتى الكامل فى غزة والضفة الغربية بتوقيع الاتفاق بين مصر وإسرائيل بشكل يؤدى إلى إقامة حكم ذاتى فلسطينى كامل وإلغاء الحكم العسكرى الإسرائيلى وفقا لجدول زمنى يتفق عليه الطرفان فى خطابات متبادلة يوقعها الطرفان وتشهد عليها الولايات المتحدة وتضم إلى معاهدة السلام .

وأكد مجلس الوزراء أيضا على أن معاهدة السلام بين مصر واسرائيل يجب أن تؤدى إلى إقامة علاقات طبيعية بينهما مماثلة لعلاقاتها بالدول الأخرى على قدم المساواة حيث لا تعطى أى امتيازات أو أفضليات فى هذا الخصوص .

ولهذا فمن غير المقبول أن يكون لهذه المعاهدة أى أولوية على المعاهدات الأخرى وأعرب مجلس الوزراء أيضا عن تقديره لدور الولايات المتحدة كشريك كامل فى عملية السلام . وأشار أيضا بالرضا إلى التأييد الذى سيكون له صداه فى تمهيد الطريق نحو السلام العادل والشامل الذى تتطلع إليه شعوب العالم العربى والعالم كله .

وقد أكد مجلس الوزراء رغبة مصر الملحة واستعدادها لمواصلة بذل كل الجهود الممكنة لعقد معاهدة سلام مع إسرائيل وفقا للمبادىء المذكورة عاليه والتى سوف تتضمن دوام واستقرار السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط . وقد استعرض مجلس الوزراء أيضا الخطوات الدبلوماسية المصرية القادمة فى كافة الاتجاهات لإبلاغ كل الدول بتطورات الموقف .

ـ ١٠ ـ

كامب ديفيد .. مرة أخرى

كان المفروض أن تعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل بعد ٣ أشهر من اتفاق كامب دافيد . ومرت الأشهر الثلاثة ولم يتم الاتفاق .

واستجاب فانس وزير الخارجية الأمريكى إلى اقتراح الدكتور مصطفى خليل . وحضر إلى مصر . وتقدم إلى الرئيس السادات فى اجتماع بالقناطر ، بمشروع مسودة اتفاق ، قال إن براون وزير الدفاع الأمريكى وافق عليها وكذلك برجنسكى مستشار الأمن القومى واستطلع الرئيس السادات رأى معاونيه . وقال مصطفى خليل إن المسودة نص فيها على مبدأ أولوية الالتزامات بمعنى أن التزام السلام يسبق أى التزام آخر .. وهذا مقصود به إلتزامات مصر قبل الدول العربية . ومؤدى هذا تحييد موقف مصر وعزلها .

كما أن المسودة لا يوجد بها نص على إعادة النظر فى ترتيبات الأمن بعد فترة زمنية محدده وهذا يعنى أنها أبدية ..

رفضت مصر المسودة الأمريكية ..

وتم الاتفاق على الدخول فى مرحلة جديدة وهى إجراء مفاوضات فى كامب دافيد . وفد مصرى برياسة مصطفى خليل ووفد إسرائيلى برياسة موشى ديان مع وجود الوفد الأمريكى برياسة فانس .

واستقبل الرئيس كارتر مصطفى خليل وقدم كارتر عدة صياغات وكان مصطفى خليل يتصل بالرئيس السادات فى القاهرة لأخذ رأيه فى كل صياغة وأعطاه الرئيس حرية مطلقة فى التفاوض .. وكان يكرر له : أنا مطمئن تماما يا مصطفى إنك لن تفرط فى شىء ولك Free hand

وبعد ٥ أيام من الأخذ والرد .. قال ديان : أشعر أننى غير قادر على استمرار المفاوضات .

وكان النقاش قد بدأ حول الورقة المرفقة بالاتفاقية المصرية الإسرائيليه الخاصة بمفاوضات الضفة الغربية وغزة .

وقال مصطفى خليل .. أننى لا أتدخل فى تشكيل الوفد الإسرائيلى .. لقد حضرت أنت لتفاوض ..

وقال ديان .. إنه سيتصل ببيجن رئيس الوزراء ليحضر ليكمل المفاوضات .. وكان بيجن فى مدينة نيويورك حينئـذ .. وأبلغ مصطفى خليـل أن بيجن سيحضر . ولكن مصطفى خليل فوجىء فى الصباح التالى بتصريح من بيجن يقول فيه إنه رئيس وزراء منتخب ، ولا يتفاوض مع رئيس وزراء معين .

وغضب مصطفى خليل واتصل تليفونيا بموشى ديان .. وقال له : أبلغ بيجن إننى رئيس وزراء مصر .. ومصر دولة أهم من إسرائيل عشرين مرة .. ومصر هى أعرق دولة .. ولا وجه للمقارنة .. وليعلم أنه ليس له الحق أن يتدخل فى نظامنا الدستورى . وإذا أراد أن يحضـر فليحضر .. وإذا لم يـرد .. هوه حـر .. (وما معنـاه .. إنشا الله ماجه) ..

وأنهى مصطفى خليل المفاوضات وعاد إلى مصر .

وأنشر فيما يلى نص التقرير السرى الذى قدمه الدكتور مصطفى إلى الرئيس بعد العودة من كامب دافيد :

تقرير عن مفاوضات كامب ديفيد الوزارية
« من ٢٠ إلى ٢٥ فبراير »

نتائج المباحثات الوزارية

مقدمة

منذ وصلنا إلى كامب ديفيد بعد ظهر الثلاثاء ٢٠ فبراير كلف الجانب الأمريكى هارولد سوندرز لمعرفة موقفنا بالنسبة لتصورهم لكيفية التحرك فى هذه الجولة من المباحثات بهدف تحقيق التقدم . كما تولى اثرتون هذه المهمة مع الجانب الإسرائيلى .

وفى صباح الاربعاء ٢١ عقد فانس اجتماعا تمهيديا معى فى الساعة العاشرة صباحا ثم اجتمع مع ديان فى الحادية عشرة والنصف . وتم اجتماع ثلاثى بعد ظهر نفس اليوم على مستوى رؤساء الوفود ، واستمر سوندرز يقوم ببعض الاتصالات مع الوفد المصرى وأثرتون مع الوفد الاسرائيلى .

وفى اليوم التالى للمباحثات بدأ الجانب الامريكى يقدم صياغات مكتوبة للنقاط التى لازلت محل خلاف بدءا بالخطاب المتبادل بشأن الضفة الغربية وغزة وكان الجانب الامريكى يقدم هذه الصياغات إلى كل وفد على حدة ويتلقى تعليقاته واقتراحاته ، ثم يعيد صيـاغة هـذه المقترحـات وبذلـك بلغ عدد لمشروعات الامريكية التى أعدت حول الخطاب المتبادل سبعة ، قدم آخرها صباح يوم الاحد ٢٥ فبراير قبيل مغادرتنا لكامب ديفيد .

وقد حرصنا من جانبنا على الرد على جميع المقترحات الامريكية فورا وكتابة .. كما أننا قدمنا صياغات مضادة Counter por posals لمعالجة النواحى التى كان موقف الجانب الامريكى فيها عرضة للاهتزاز أو الغموض .

المدخل الذى استخدمته فى حديثى الافتتاحى مع فانس حرصت على معالجة الموضوع من زاوية واسعة ، يطرح فيها الوضع فى المنطقة كمنطلق أساسى ، فى إطار الاستراتيجية الشاملة ، وتطرقت فى الحديث إلى النقاط التالية :

١ - المحادثات التى دارت مع براون فى القاهرة .

٢ - إن الموقف فى الشرق الاوسط ازداد خطورة وتعقيدا عما كان عليه عندما تحدثت مع فانس فى بروكسل حول وجوب أخذ الموقف فى المنطقة بعين الاعتبار وضرورة التوصل إلى تسوية تقوى موقفنا ولا تضعفه .

٣ - الإشارة إلى أننى مفوض من السيد الرئيس فى الاتفاق على النقاط التى لازالت محل خلاف ، فى حين أن ديان ليس مفوضا من بيجن أو من مجلس الوزراء كما أخبرنا هو بذلك وكما أوضح بتفصيل أكبر للمسئولين الامريكيين .

٤ - التأكيد على سلامة الوضع الداخلى فى مصر ، وأنها ليست معرضة لحركات مثل تلك التى قامت فى ايران .

٥ - إن الأحداث الأيرانية لن تغير موقف مصر ، بل إنها جعلت السلام فى الشرق الأوسط أكثر إلحاحاً

٦ - إن مصر هى عنصر الاستقرار الأساسى فى المنطقة .

٧ - إن مصر لن تغير سياستها من أمريكا

٨ - إن إسرائيل غير جادة فى السلام على ما يبدو ، وسيؤدى موقفها إلى انفجار .

٩ - التركيز على أن مصر لن توقع على شىء أقل مما أتفق عليه مع الولايات المتحدة أثناء زيارة فانس للقاهرة فى ١١ ديسمبر ١٩٧٨ ... لاننا نعتبر ان هذا هو الحد الادنى .

١٠ - أن الموقف يستلزم ضغطا أمريكيا حقيقيا على إسرائيل .

١١ - إن الخلافات التى مازلت قائمة ليست عميقة ولا تفسير للموقف الاسرائيلى المتعصب .

١٢ - أن التصريحات الاسرائيلية الأخيرة تؤدى إلى تفاقم فى الموقف بدلا من أن تهدف إلى تحسنه . يصدق هذا على التصريحات فيما يختص بـ :

(أ) ما يذاع عن المفهوم الاسرائيلى لاختصاصات الحكومة الذاتية الفلسطينية .

(ب) ما قاله ديان أخيرا من اعتزام اسرائيل زيادة حجم القوات الموجودة فى الضفة والقطاع .

(حـ) المستوطنات وإصرار اسرائيل على الاستمرار فى بناء مستوطنات جديدة والتوسع فى المستوطنات القائمة .

١٣ - إن كل الظروف القائمة تحتم الحرص على أن تكون المعاهدة صالحة لاجتذاب الفلسطينيين والدول العربية الأخرى .

١٤ - إن فكرة الجدول الزمنى واردة فى كامب ديفيد ولا يمكن إغفالها فى الخطاب المتبادل .

١٥ - تثبيت موافقة الولايات المتحدة على ما اقترحناه أثناء مهمة اثرتون الاخيرة للمنطقة ، أى إصدار مذكرة تفسيرية للمادة ٦ فقرة ٥ تكون ملزمة للطرفين .

وقد أيد فانس حديثى تماما ، واستعرض معى الموقف العالمى كما يرونه وتأثيره على مستقبل الأحداث فى المنطقة . وأبدى إدراكه لأهمية قيام تصور مصرى أمريكى مشترك بحيث تكون المنطلقات واحدة .. وتطرق إلى تأثير كل هذا على المفاوضات .. وسجل رفض بلاده لما جاء فى تقرير اللجنة الاسرائيلية المكلفة ببحث اختصاصات ومسئوليات الحكومة الذاتية فى الضفة الغربية وغزة .

الصيغ الأمريكية التى قدمت فى المباحثات

أولا : الخطاب المتبادل بشأن الضفة الغربية وغزة :

١ - قدم لنا الجانب الامريكى تباعا خمس صيغ لهذا الخطاب أولها ، فى يوم ٢٢ فبراير وآخرها يوم ٢٥ ، وهناك صيغتان آخريان لم تعرضا علينا . وكان سبب تقدم الولايات المتحدة بهذه الصيغ المتتالية هو رفضنا للصيغة الاولى وإصرارنا على ادخال تعديلات عديدة عليها بعضها جوهرى .

وبالمقارنة بين هذه الصيغ المختلفة ، يمكن القول أن الصيغة الأخيرة أتت بأفضل المواقف الامريكية حتى الآن فيما يتعلق بالخطاب المتبادل . وإن كان لنا عليها بعض الملاحظات التى سجلناها كتابة وسلمناها للجانب الامريكى يوم ٢٥ فبراير .

وأهم ما تضمنه مشروع الخطاب المتبادل فى صيغته ما يلى :

١ - أصبح ثابتا أن هذه الوثيقة ستكون متبادلة بين مصر واسرائيل بصيغة واحدة توقع فى نفس الوقت مع المعاهدة .

٢ - أن النص أبرز الطبيعة الشاملة أكثر من الصيغ السابقة .

٣ - إنه كلما وردت فيه اشارة للحكومة الذاتية أضيفت اليها عبارة With full autonomy

٤ - إن عبارة administrative council قد استبعدت .

٥ - إن المشروع نص على جدول زمنى لبدء المفاوضات بعد شهر واحد من توقيع المعاهدة بحيث تنتهى المفاوضات وتجرى الانتخابات خلال عام (قمنا بإبلاغ الجانب الامريكى بوجوب إجراء الانتخابات قبل نهاية ١٩٧٩) .

٦ - وبقيام الحكومة الذاتية تنسحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية التابعة لها لتحل محلها الحكومة الذاتية ويتم سحب بعض القوات الاسرائيلية وإعادة توزيع الباقى منها فى مراكز أمنية محددة .

٧ - نص مشروع الخطاب على أن المفاوضات ستتناول المسائل المتعلقة بإجراء الانتخابات وكذلك اختصاصات ومسئوليات الحكومة الذاتية فى الضفة الغربية وغزة ، وذلك لتأكيد عدم فصل غزة عن الضفة الغربية .

٨ - ولتيسير عملية انتقال السلطة إلى الحكومة الذاتية ، نص على جواز البدء بالتنفيذ فى قطاع غزة ، على أن تظل الدعوة ، موجهة للاردن والفلسطينيين للاتفاق على تطبيق الحكم الذاتى فى الضفة الغربية ، أما بقبول ماتم الاتفاق عليه بالنسبة لغزة كما هو أو بطلب إدخال بعض التعديلات التى تمليها طبيعة الاوضاع فى الضفة الغربية .

٩ - كانت النصوص الامريكية السابقة تتطلب موافقة اسرائيل على قيام مصر بدور الاردن ،

غير أننا أصررنا على تعديل هذه النصوص بحيث لم يعد هذا الحل متوقفا على رضى اسرائيل .

١٠ - نص المشروع على أن من حق مصر أن توفد ضباط اتصال إلى غزة حالما تبدأ المفاوضات .

١١ - نص مشروع الخطاب كذلك على بدء الفترة الانتقالية بقيام السلطة الذاتية في غزة ، وهي نقطة هامة تم تحقيقها ، فحتى إذا تأخر قيام الحكم الذاتي في الضفة الغربية فان تاريخ بدء الفترة الانتقالية يبدأ في السريان .

١٢ - تعهدت الولايات المتحدة بالمشاركة في جميع مراحل المفاوضات . وبعد أن توصل الجانب الامريكي إلى هذه الصياغة للخطاب المتبادل ، التزم بتبني المشروع كما هو وهو مشروع لا بأس به كما قدمنا ، وإن كنا قد لاحظنا عليه الملاحظتين التاليتين وأبلغنا ذلك لوزير الخارجية فانس :

(أ) نقطة الالتزام بالتاريخ المستهدف ، فالصيغة الامريكية تقول : The Parties set for themselves the goal of completing the negotiations so that elections can be held within one year .

وهذه الصياغة تجعل الالتزام بالتاريخ المستهدف ضعيفا للغاية ولهذا السبب نبهنا الامريكان إلى ضرورة تعديل الصياغة بحيث يكون واضحا التزام الطرفين بالانتهاء من المفاوضات ، لاجراء الانتخابات قبل التاريخ المحدد ، واقترحنا ان يكون هذا التاريخ المحدد هو ما سبق اقتراحه (نهاية ١٩٧٩) .

(ب) وهناك نقطة ضعف أخرى متعلقة بصياغة الفقرة الخاصة ببدء الفترة الانتقالية ، ولذلك نبهنا الجانب الامريكي في خطابنا يوم ٢٥ على أن يكون بدء الفترة الانتقالية مرتبطا بقيام الحكم الذاتي ولو في غزة فقط .

ثانيا : تفسير مواد المعاهدة :

١ - استقر الآن أن تفسير جميع المواد المختلف عليها سيتم عن طريق مذكرات تفسيرية متفق عليها بين الطرفين ، بما في ذلك الفقرة الخامسة من المادة ٦ والتي كان الجانب الامريكي متجها في وقت ما إلى تفسيرها عن طريق « فتوى قانونية » من الحكومة الامريكية لا تكون ملزمة للأطراف .

٢ - كما اتفق على أن توضع المذكرات التفسيرية في وثيقة واحدة .

٣ - بالنسبة لتفسير المادة ٤ فقرة ٤ (الخاصة بترتيبات الامن) وضع الجانب الامريكي صيغة تنص على بدء التفاوض حول أي تعديل لهذه الترتيبات خلال ثلاثة اشهر من تقدم اى من الطرفين بطلب في هذا الشأن .

ويميل الجانب الامريكي إلى حذف النص على وجوب إعادة النظر في ترتيبات الأمن بعد انقضاء خمس سنوات وذلك باعتبار أن النص القائم يسمح بإعادة النظر في أى وقت ولازال هذا هو الوضع في آخر مشروع أمريكي قدم لنا في يوم ٢٥ فبراير .

٤ - هذا وقد تضمن المشروع الامريكي الاخير نصا لتفسير الفقرة الثانية من المادة الخامسة في مشروع المعاهدة وتنص على ما يلي :

« يعتبر الطرفان مضيق تيران وخليج العقبة مائيين دوليين مفتوحين أمام جميع الدول للملاحة والمرور الجوى لا يمكن اعاقتها أو وقفها ، وسوف يحترم كل من الطرفين حق الطرف الآخر في الملاحة والمرور الجوى للوصول إلى اقليمه عن طريق مضيق تيران وخليج العقبة .

« وينص التفسير الامريكي المقترح على أن الجملة الثانية لا تعتبر مقيدة لما جاء في الجملة الأولى وبمعنى آخر فان الجملة الأولى تجعل الخليج مفتوحا لجميع الدول ، ولكن الجملة الثانية تشير إلى تعهد متبادل بين الطرفين فهل يكون مثل هذا التعهد شرطا لاعتبار الخليج والمضيق مفتوحين بالنسبة لكل دولة .؟

وقد اعترضنا فى ٢٣ فبراير على هذا النص المقترح ، ولكن الجانب الامريكى عاد فأورده فى مشروعه الاخير للمذكرات التفسيرية الذى قدمه يوم ٢٥ فبراير وقمنا بالاعتراض عليه كتابة وإن لم يكن ذا أهمية كبيرة .

٥ - أما بالنسبة للمادة ٦ فقرة ٢ (الخاصة بوجوب وفاء الأطراف .. بالتزاماتهم بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع من أى طرف آخر واستقلالا عن أى وثيقة دولية اخرى خارجة عن نطاق المعاهدة) . حاول الجانب الامريكى أن يبحث عن صيغة بديلة لتلك التى تم الاتفاق عليها أثناء زيارة فانس للقاهرة ١١ ديسمبر ١٩٧٨) وذلك على اعتبار أن ، مجلس الوزراء الاسرائيلى رفض هذه الصيغة ومن الأسهل التقدم للجانب الاسرائيلى بصيغة أخرى غير أننا قدمنا للجانب الامريكى صيغة أكثر تشددا فلم يجد الجانب الامريكى بدا من التمسك بالصيغة التى اتفق عليها معنا فى القاهرة .

٦ - وبالنسبة للمادة ٦ فقرة ٥ (الخاصة بأولوية الالتزامات) تقدمنا للجانب الامريكى بمشروع مذكرة تفسيرية يتفق عليها الطرفان ، ورأى الجانب الامريكى التقدم بصيغة أخرى يكون من الأسهل الضغط على الجانب الاسرائيلى لقبولها وتنص الصيغة الامريكية المقترحة على أن :

الالتزامات التى تتضمنها المعاهدة تخضع للأولوية الوحيدة . unique priority المقررة بمقتضى المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة وليس فى هذه المعاهدة ما ينتقص من هذا المبدأ أو .. يعترف بأى اولوية أخرى . or acknowledge any other priority

٧ - تقترح الولايات المتحدة مذكرة تفسيرية للمادة ٦ من الملحق الأول ، (العسكرى) وتقضى بأنه فى حالة الخلاف بين الطرفين على الدول التى تشكل منها القوات الدولية ووحدات المراقبين فانهما سيقبلان ماتقترحه الولايات المتحدة فى هذا الشأن . وقد أخطرنا الجانب الامريكى كتابة بأن نص هذه المادة لا يصح أن يفسر بأنه ينتقص من حق كل طرف فى أن يوافق أو يعترض على الدول التى تتشكل منها القوات وبعبارة أخرى فإن رضاء كل طرف لازم لدخول وحدات من أى دولة فى القوات الدولية التى تعمل على ارض هذا الطرف .

ثالثا : فيما يتعلق بتبادل السفراء :

كان نص المادة الأولى من الملحق الثالث (الخاص بالعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية) يقضى بأن يتم تبادل السفراء عند اكتمال الانسحاب الاول أو المؤقت وكنت قد أثرت هذا الموضوع مع الرئيس كارتر فى ديسمبر الماضى على أساس أننا لا نستطيع أن نرتبط بتبادل السفراء فى تاريخ معين مادامت إسرائيل قد سحبت موافقتها على المراحل الفرعية للانسحاب وكل ما يمكن أن نرتبط به هو تبادل التمثيل الدبلوماسى دون تحديد للمستوى . وتأكيداً لهذا وجهت خطابا إلى فانس بتاريخ ٢٤ فبراير مؤكدا هذا الموقف متمسكا بحذف العبارة الخاصة بتبادل السفراء من المادة اكتفاء بالنص العام على تبادل العلاقات الدبلوماسية .

ومما يذكر أن الجانب الاسرائيلى يعلق أهمية كبيرة على هذا الموضوع وقد سألنى ديان عما إذا كنا على استعداد لاعادة النظر فى موقفنا إذا ما عدل مجلس الوزراء الاسرائيلى موقفه من مسألة المراحل الفرعية فأجبته بأننى سأطلب - فى هذه الحالة - تطبيق نفس المبدأ على فكرة ، فتح باب نص مشروع المعاهدة للتعديل ، أى أننى سأطلب عندئذ تعديل قرار مجلس الوزراء الاسرائيلى الخاص بعدم الموافقة على إدخال أى تعديل على مشروع المعاهدة وبذلك نتمكن من تصحيح مواد المشروع عن طريق تعديلها بدلا من المذكرات التفسيرية التى قد تزيد الوضع تعقيدا ، وهو مالم يوافق عليه ديان .

رابعا : بالنسبة للبترول :

فى أول اجتماع لى مع ديان (بحضور فانس) ، أثار الوزير الاسرائيلى موضوع البترول متسائلا عما يمكن عمله فى هذا الصدد لإزالة مخاوف الاسرائيليين من انقطاع البترول عنهم خاصة بعد موقف ايران الاخير . وقد أجبته بأنه يمكن بحث هذا المشروع بعد الانتهاء من الاتفاق على كافة النقاط المعلقة (الخطاب المتبادل والمذكرات التفسيرية) وقبل التوقيع بشرط عدم الارتباط كتابة على كميات محددة أو أى التزام مماثل ، على أن يبدأ البيع لاسرائيل بعد قيام الحكم الذاتى فى غزة .

ومما يذكر فى هذا الشأن ، أن فانس تساءل عن مدى استعدادنا لقبول فكرة ايجاد ترتيب بين شركة اموكو وبين الحكومة الامريكية أو احدى الشركات الامريكية ثم تقوم هذه من جانبها ببيعه لاسرائيل ، غير أننى ذكرت له أن هذا الاقتراح يحتاج إلى دراسة .

خامسا : الخطابات التى وجهتها لوزير الخارجية الامريكى :

رأيت أثناء المفاوضات أن أوجه عدة خطابات لفانس لتحقيق هدفين :

(أ) إما لتسجيل موقفنا بوضوح من بعض المسائل .

(ب) أو لمطالبة الولايات المتحدة بالتحرك واتخاذ موقف معين .

وفيما يلى بيان بهذه الخطابات :

١ - خطاب خاص بالمستوطنات فى الضفة الغربية وغزة :

أكدت فيه الموقف المصرى وطلبت فيه إبلاغنا بما قامت به أمريكا من خطوات فى هذا الشأن انطلاقا من موقفها المعارض لإقامة هذه المستوطنات أو التوسع فيها .

٢ - خطاب خاص بالاجراءات التى تتخذها اسرائيل من جانبها لتحسين المناخ السياسى فى الضفة الغربية وغزة دون انتظار لقيام الحكومة الذاتية .

٣ - تسجيل رفض مصر القاطع للأفكار التى نشر أنها تمثل التفكير الاسرائيلى بالنسبة لاختصاصات الحكومة الذاتية (لجنة بن اليسار) .

٤ - الخطاب الخاص بتبادل السفراء : طلبنا فيه حذف النص على التزام الطرفين بتبادل السفراء فى تاريخ معين .

٥ - الخطاب الخاص باشتراط قبول كل طرف (كل من مصر واسرائيل) للدول التى تتشكل منها الوحدات الدولية التى ستباشر مهمتها على أرضها .

تقدير للموقف

أولا : بالنسبة لموقف الولايات المتحدة :

١ - فى الحديث الذى دار اثناء مقابلة الرئيس كارتر لى ولديان ، (بحضور فانس) يوم الأحد ٢٥ فبراير بعد انتهاء المباحثات الوزارية ركز الرئيس الامريكى على الموقف الاستراتيجى العالمى وأشار إلى ان مرور الوقت اصبح فى غير صالح الاتفاق وهو ما يدعو الطرفين إلى الإسراع بالتوصل إلى اتفاق .

وانطباعى ان كارتر يرى ان ما تبلورت عنه اتصالاتنا مع الجانب الامريكى سواء فيما يتعلق

بالخطاب المتبادل حول الضفة الغربية وغزة او فيما يختص بتفسير بعض مواد المعاهدة يعتبر أساسا صالحا لإبرام الاتفاق .

٢ - أثار ديان فى هذا الاجتماع موضوع تبادل السفراء . وادعى إن مصر غيرت موقفها ، ولكن الرئيس كارتر صححه وقال ان الحقيقة هى ان اسرائيل سحبت موافقتها على التوقيتات الزمنية للانسحاب الأول : sud - phases of the interim withdrawal

ولما كانت هذه التوقيتات التى وافقت عليها اسرائيل هى الأساس الذى دفعه إلى أن يرجو من السيد الرئيس أن يوافق على تبادل السفراء بعد الانسحاب الأول فمعنى هذا أن مصر اصبحت فى حل من سحب موافقتها على تبادل السفراء فى هذا التاريخ بعد زوال الاساس الذى بنى عليه القبول المصرى واوضح كارتر انه لا يرى فى هذا الموقف رجوعا من مصر فيما قبلته بل إنه مجرد رد فعل مشروع وطبيعى للموقف الاسرائيلى .

٣ - اثناء مغادرتى لمكان الاجتماع فى البيت الابيض ذكر الرئيس كارتر أنه سيطلب من الرئيس السادات فى نهاية الامر تنازلا بسيطا لم يفصح عنه ، وأعتقد أن هذا التنازل سيكون خاصا بتبادل السفراء ولكنى رجوت الرئيس كارتر ألا يطلب من السيد الرئيس أى تنازل ، حيث أن السيد الرئيس لن يقبل ذلك ، ونحن نعتبر موقفنا الحالى ، هو الموقف النهائى الذى لا يمكن أن نتزحزح عنه .

٤ - وأرى ضرورة تمسك المفاوض المصرى بهذا الموقف الذى انتهينا إلى بلورتـه مع الجـانب الامريكى ، حتى إذا ادى هذا إلى رفض الجانب الاسرائيلى أو إلى تأخير التوصل إلى اتفاق .

٥ - وأوصى بأن تحرص مصر فى هذه الحالة على بيان أنها لم تتخل عن السلام أو اتفاقيات كامب ديفيد . وتعلن أنها مستعدة للتوقيع عندما يكون الجانب الاسرائيلى مستعدا لقبول الـ package كما تمت بلورتها مع الجانب الامريكى .

٦ - ويلاحظ أن موقف الرئيس كارتر داخليا يتسم بالضعف ، وذلك لهبوط شعبيته واتهامه بأنه ليس حاسما وغير قادر على اتخاذ مواقف قوية وتبدو أهمية هذا الاعتبار إذا قدرنا أن الرئيس الامريكى سيبدأ فى الانشغال بالمعركة الانتخابية فى مطلع صيف هذا العام ، مما يجعله أكثر عرضة للخضوع للضغط من الجماعات النشطة .

٧ - ويتصل بهذا أن قدرة الجانب الامريكى على الضغط ستكون محدودة وتتناقص كلما اقترب موعد اجراء الانتخابات بل إن الوفد الامريكى فى المباحثات الوزارية فى كامب ديفيد حرص على أن يقرر انه لا يفعل سوى إعادة صياغة reformulating آراء الطرفين بهدف التوصل إلى تفاهم مشترك ، وأضاف ان الصياغات التى يقدمها لا يصح اعتبارها صياغات امريكية ولكل جانب الحق فى المطالبة بتعديلها إلى أن يتم التوصل إلى اتفاق نهائى .

٨ - ورغم أننى ألححت فى حديثى مع فانس على وجوب ممارسة بلاده ضغطا فعالا على اسرائيل وطلبت منه نقل هذا للرئيس كارتر ، فان الواضح حتى الآن ان واشنطن لم تمارس ضغطا كافيا على اسرائيل لحملها على اتخاذ موقف أكثر ايجابية .

٩ - هذا وقد اكدت لفانس وطلبت منه أن ينقل للرئيس كارتر ، أنه فى حالة عدم اتمام الاتفاق بسبب احجام اسرائيل عن قبول ما تراه مصر وامريكا عادلا ومعقولا ، فيجب أن يحرص البلدان على

استمرار وتطوير العلاقات الوثيقة القائمة بينها ، وزيادة المعونات الاقتصادية وتكثيف التعاون فى مجال الاسلحة ضمانا للامن والاستقرار فى المنطقة .

ثانيا : موقف اسرائيل :

١ - حرص ديان على ذكر أنه ليس مفوضا للاتفاق على شيء ، ورغم هذا فقد كان اثرتون يجتمع بالوفد الاسرائيلى عقب تلقى الجانب الامريكى لملاحظاتنا وتعليقاتنا على الصيغ المطروحة من أمريكا وحدث أكثر من مرة أن عدل الجانب الامريكى صياغاته طبقا لوجهة النظر الاسرائيلية .

٢ - كذلك حرص ديان على أن يسجل ان اسرائيل لم تبد وجهة نظرها ، وأن الأمر يتطلب الرجوع لمجلس الوزراء ويجن شخصيا ، ومن هنا طرح ديان فكرة دعوة بيجن إلى واشنطن لتولى التفاوض عن اسرائيل وتقديرى أن هذا كان موقفا تكتيكيا من جانب المفاوض الاسرائيلى للاحتفاظ بمجال أوسع للمناورة .

٣ - أصر الجانب الاسرائيلى على موقفه من موضوع المستوطنات ، مما دعانى إلى المبادرة بتوجيه خطاب للولايات المتحدة حول المستوطنات .

٤ - لدى شعور قوى بأن المفاوضات المتعلقة بتحديد سلطات وصلاحيات ... الحكومة الذاتية فى الضفة الغربية وغزة ستكون شاقة وعسيرة للغاية ، وقد لا يكتب لها النجاح ، لأن اسرائيل تريد تطبيق نظام الحكم الذاتى على السكان وليس على الاقليم .

٥ - وواضح أيضا أن الجانب الاسرائيلى يصر على اشتراك الملك حسين فى المفاوضات وحتى اذا قبل الفلسطينيون فى الضفة الغربية الدخول فى العملية (سواء تم هذا القبول من البداية أو بعد التفاوض على اقامة الحكم الذاتى فى غزة) فان اسرائيل تريد أن تجعل دخول الفلسطينيين فى المفاوضات مرهونا بوجود الملك حسين ، نظرا للعلاقة الخاصة بين الضفة الغربية والاردن ، ومن صورها أن سكان الضفة الغربية لازالوا — نظريا على الاقل — يختارون ممثلين لهم فى المجلس النيابى الاردنى ، وهو وضع ناتج عن تمتع سكان الضفة بالجنسية الاردنية ، وكان ردى على هذا هو أنه يمكن التفكير فى منح من يرغب من الفلسطينيين فى الضفة والقطاع الحق فى الاحتفاظ بجنسية مزدوجة كما هو متبع فى بعض الدول .

وأوضحنا أنه لايصح أن يكون دخول الفلسطينيين فى عملية التفاوض مرهونا بموافقة الاردن أو اسرائيل .

٦ - وفى ضوء هذا الموقف الاسرائيلى ، ارى أن من الضرورى أن نحصل من الجانب الامريكى على اتفاق حول الحد الادنى لمفهوم الحكم الذاتى واختصاصات وصلاحيات الحكومة الفلسطينية الذاتية ، بحيث يتم هذا التفاهم مع امريكا قبل اجراء المفاوضات المقبلة (الخاصة بالضفة الغربية وغزة) ، فيا لم يحدث هذا فإن الغالب أن تبوء المفاوضات بالفشل نتيجة الموقف الاسرائيلى المتعنت ، وذلك بعد أن تكون مصر قد بدأت فى تطبيع العلاقات مع اسرائيل ، وعندئذ تنحصر مجالات ضغط مصر على اسرائيل فى موضوعين فقط :

* تبادل السفراء .
* بيع البترول .

ومن هنا فاننى أرى عدم إعطاء اسرائيل أى وعد أو تعهد فى هاتين النقطتين إلا بعد انتهاء المفاوضات الخاصة بإقامة الحكم الذاتى .

ثالثا : الموقف الدولى بصفة عامة :

من الواضح أن دول غرب أوروبا كلها أخذت بمبدأ الحل الشامل للمشكلة وواضح أيضا إن الأوروبيين أصبحوا ميالين لقبول مفهوم الدول العربية الأخرى للحل الشامل ، بل واصبح بعض كبار المسئولين الأوروبيين ينادى بضرورة قيام مصر بالاتصال بالدول العربية قبل توقيع المعاهدة ، وهم يرون انه يمكن عقد مؤتمر قمة عربى آخر قبل التوصل إلى اتفاق نهائى مع إسرائيل .

ومن هنا تأتى ضرورة تكثيف الاتصالات بدول غرب أوروبا التى عدلت من موقفها بعض الشىء فى ضوء مصالحها الاقتصادية ومن واقع خشيتها من تدهور الوضع فى المنطقة ، خاصة بعد أحداث إيران .

رابعا : الموقف العربى :

(١) واضح ان السعودية أخذت موقفا متشددا مناهضا للاتفاق ، ويتضح هذا من مضمون الرسالة التى وجهها الرئيس غيرى للسيد الرئيس ، ومن الانطباعات التى خرج بها كبار المسئولين الإنجليز الذين رافقوا الملكة فى زيارتها لدول المنطقة .

(٢) وليس من المستبعد أن يتأثر موقف السودان بما سمعه الرئيس غيرى من الامير فهد وغيره من المسئولين السعوديين .

(٣) ويتصور ان تستمر عمان واليمن الشمالية فى تأييد تحركنا بسبب أوضاعها الخاصة من الناحية الاستراتيجية .

(٤) أما المغرب ففى موقفه بعض التذبذب ، وبالرغم من أن بعض المسئولين المغاربة يكررون لنا وقوف بلادهم معنا ، فإن مسئولين غيرهم يتخذون مواقف فيها تقارب كثير من دول الرفض مثل التصريحات التى أدلى بها وزير الإعلام المغربى (وهو مقرب من الملك) فى بغداد فى مؤتمر الاعلام العربى ، وذكر فيها انه لايمكن أن يوافق المغرب على أى حل فيه خروج على مقررات الرباط .

(٥) فى اعتقادنا أن الدول العربية الأخرى والفلسطينيين قد يزدادون تشددا وخاصة بعد أحداث إيران وتأييد الخمينى لمنظمة التحرير الفلسطينية .

(٦) وفى ضوء هذه الاعتبارات ، يكون من المفيد أن نخطط من الآن .. لكيفية التعامل العربى ومواجهة كافة الاحتمالات ، بحيث نحتفظ بعنصر المبادأة فى جميع الأحوال ، ونضع الفئات السلبية المعوقة فى موقف الدفاع .

(٧) ومن المفيد كذلك استمرار الاتصال مع الدول العربية الصديقة والمؤيدة ووضعها فى الصورة اولا بأول بحيث نقلل من احتمالات تعرضها للضغط والتأثير من المعسكر المضاد ، واعتقد ان السودان يجب أن يحظى باهتمام خاص .

وباختصار فإن الخيارات المتاحة امامنا لاتخرج عما يلى :

(١) التمسك بوقفنا بالنسبة للمعاهدة والوثائق الاخرى الملحقة بها فى ال package وعدم إعطاء أى تنازلات أو تساهلات .

(٢) وإذا أدى هذا الموقف إلى امتناع إسرائيل عن التوقيع ، فيجب رفض أى ضغط أمريكى علينا يهدف إلى اقناعنا بقبول إجراء تعديلات أخرى للحصول على موافقة إسرائيل .

(٣) ويجب أن نحرص على ألا يؤدى هذا إلى الإخلال بالعلاقات المصرية الامريكية القائمة حاليا وامكانيات تطويرها فى المستقبل وبخاصة فى المجالين الاقتصادى والعسكرى .

(٤) وكما ذكرنا سلفا فمن الضرورى أن نعلن استمرار التزامنا بالسلام وباطار كامب ديفيد للحل الشامل .

(٥) ويمكن هنا إعادة الاتصال بدول غرب أوربا والتفكير فى كيفية اجراء الحوار مع الدول العربية .

(٦) أما إذا تم التوصل الى اتفاق مع اسرائيل ، فينبغى التفكير فى الاتصال بالدول العربية المعتدلة فى الوقت المناسب لتوضيح الموقف لها ، ومحاولة تمهيد من يمتنع عن التأييد .

(٧) وازاء تقديرنا لصعوبة المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة ، فإن الوضع يكون أفضل كلما اشتركت معنا فى التفاوض عناصر فلسطينية ، وبالذات من سكان الضفة والقطاع وذلك حتى يتحمل الفلسطينيون جانبا من المسئولية ، فضلا عن قيامهم بمساعدتنا فى تقديم كثير من البيانات والمعلومات والتصدى لما يطرحه الوفد الإسرائيلى .

(مصطفى خليل)

- ١١ -

« وتم توقيع المعاهدة »

بعد ذلك .. حضر بيجن إلى مصر ولم يشترك مصطفى خليل فى استقباله . واتصل بيجن به تليفونيا وقال له : إننى أخطأت فى حقك .. وأريد الاعتذار لك .

وسوى الموقف على مائدة عشاء .

وعندما سافر مصطفى خليل إلى إسرائيل بعد ذلك ، انتظره بيجن عند باب الطائرة . وبعدها حضر بيجن مرة أخرى ورافقه مصطفى خليل إلى أسوان .

ولكن نقط الخلاف استمرت باقية حول الورقة الملحقة بالاتفاقية والخاصة بمفاوضات الضفة وغزه .

وحضر كارتر الى مصر مع فانس لتسوية هذا الخلاف بعد أن زار القدس واجتمع

بالمسئولين فى إسرائيل وعلى رأسهم بيجن . لقد ركز الإسرائيليون على أن الحكم الذاتى عبارة عن : .administration counsel أى ما يقـرب من (المجلس البلدى) وكانت وجهة نظر مصر هى الإصرار على أن تعبير full Autonomy يعنى -Self gavernment au thority. وهذا يقتضى انتخاباً لمجلس تشريعى يختار حكومتـه ، وتكون هنـاك سلطة قضائية . كان هذا هو الخلاف الجوهرى ولا يزال .

واستطاع كارتر أن يصل إلى حل مساوم مع الرئيس السادات فى مطار القاهرة .. واتصل من المطار ببيجن وأبلغه موافقة السادات .

واعترض مصطفى خليل ..

ولكن مصر فى كل المباحثات التى جرت بعد ذلك تمسكت بوجهة نظرها .. وقد نصت الاتفاقية ٩ مرات على الحكم الذاتى الكامل .. ونصت مرة واحدة على تعبير المجلس البلدى . وكانت هذه هى حجة مصر كما ذكرت من قبل .

وتمسك اليهود بنص المجلس البلدى ..

وعند توقيع الاتفاقية فى واشنطن وقع خلاف آخر ..

لقد فاجأ فانس الدكتور مصطفى خليل وهـو يقدم لـه مسودة اتفـاق أمريكى اسرائيلى ينص على أنه فى حالة حدوث خلاف فى تنفيذ الاتفاق فإن أمريكا تتدخل لحسم الخلاف . وطلب فانس إجراء اتفاق مماثل مع مصر .

ورفض مصطفى خليل المبدأ .. وأرسل خطابا الى فانس بهذا الرفض . ولم ينم طول الليل وكتب خطابا ثانيا إلى فانس بأسباب الرفض . وكانت الأسباب أن علاقة أمريكا بإسرائيل قوية جدا وهذا يعنى انه اذا اختلفت مصر مع إسرائيل فإنها تخضع علاقتها (مصر) بأمريكا .. لعلاقة إسرائيل بأمريكا .. كما أن الاتفاقية تحتوى على بند لأسلوب حل الخلافات ، وهى وثيقة كاملة بذاتها . كما أنه ستجرى مفاوضات بعد ٦ أشهر لعقد اتفاقيات تطبيع العلاقات بدون تحديد وقت للوصول إلى هذه الاتفاقيات .. وستحدث خلافات عديدة .. ومعنى ذلك الرجوع إلى أمريكا .. وكأن إسرائيل أصبحت وصية على علاقة مصر بأمريكا ..

وطلب فانس لقاء مصطفى خليل . وتم اللقـاء فى فندق « مـادسون » بحضـور السفير أشرف غربال . وقال فانس أنه لايجد مبرراً لهذا الموقف . وأجاب مصـطفى خليل أن المبرر قوى جدا .. لأن أمريكا ستأخذ جانب إسرائيل عمليا فى أى خلاف وليس لدى مصر أى ضمان لموقف الكونجرس .. وقال فانس إنه سيرد على خطاب مصطفى خليل .

وأبلغ الدكتور مصطفى خليل كل ما جرى للرئيس السادات وقال له الرئيس : عملت طيب يامصطفى .

وعند توقيع الاتفاق .. كان الاسرائيليون يريدون اضافة كلمتى « جوديا وسماريا » فى التسمية العربية والانجليزيه بجوار الضفه الغربية والقطاع .. ورفض الجانب المصرى .. وجود هاتين الكلمتين على النص العبرى للاتفاقية . وقد تمت مراجعة النص العربى والإنجليزى بدقة كاملة .

أما بالنسبة لما كانت تطالب به مصر ، بأن يربط بين اتمام الانسحاب واتفاق الضفة وغزه .. على أساس إن الالتزام بالانسحاب فى الموعد المحدد يعجل بالاتفاق .. فقد كانت هناك وجهة النظر الاخرى .. وهى ان فشل مفاوضات الضفة وغزه .. يمكن أن يعطل الانسحاب وعرض الرأيان على الرئيس السادات وأيد الرأى القائل بعدم الربط .. وكان مصطفى خليل يؤيد هذا الرأى أيضا .

وناور مصطفى خليل فى ذلك .. وإفهم الإسرائيليين أنه مصر مصرة على الربط .. وكان يعلم مقدما انهم سيرفضون .. ورفضوا فعلا . واخذ بوجهة نظرهم . وفهموا هذه المناورة بعد ذلك .

ثم ثارت مشكلة حول تبادل وثائق الاتفاق .. وصرح بيجن بعد اجتماع بالسادات فى قصر الطاهرة ان تبادل الوثائق سيتم فى القدس وأراد بهذا التصريح أن يحرج السادات .

وقد أبلغ الدكتور مصطفى خليل عن طريق اليسار مستر بيجن أنه سيقدم استقالته لو أصرت إسرائيل على ذلك .

عدل بيجن ، وتقرر تبادل الوثائق عند نقطة الإنذار الأمريكى فى سيناء .

سعد الرئيس السادات بذلك وقال لمصطفى خليل : « عفارم عليك » .. وكان السفير سعد عفره هو مندوب مصر فى حفل تبادل الوثائق . وفوجىء بأن المندوب الاسرائيلى يطلب إعادة عرض الاتفاق على مجلس الشعب المصرى لكى يلغى التحفظ السابق من المجلس على الورقة الخاصة بالضفة وغزة . ابلغ ذلك إلى الدكتور مصطفى خليل الذى أبلغه بدوره أن ينسحب من الاحتفال وأمر بتبليغهم إننا لن نغير قرارا لمجلس الشعب . وتراجع الإسرائيليون وتم تبادل الوثائق .

- ١٢ -
أزمة البترول

بعد توقيع معاهدة السلام .. بدأت المباحثات بين مصر واسرائيل بشأن بيع البترول المصرى الى اسرائيل . فوجىء الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء بوزير الطاقة الاسرائيلى يقدم له خطابا من الرئيس الأمريكى كارتر يسجل فيه تعهدا من الرئيس السادات بإمدادهم المستمر بالبترول . ونص عبارة التعهد « on going bases .. وهذا يعنى التزام مصرى بتقديم ٢ مليون طن سنويا لاسرائيل .. وكان الاسرائيليون قد رفعوا الانتاج إلى هذا الرقم لاستنزاف حقل البترول الذى كان تحت سيطرتهم .

والخطاب عبارة عن رسالة من كارتر الى بيجن .

وقال مصطفى خليل : هذا الخطاب ليس له أية قيمة عندى على الإطلاق ..

وقال الوزير الاسرائيلى « موداعيه » اننا لم نوقع اتفاق السلام الا بعد ان حصلنا على هذا الخطاب من كارتر .

ورد مصطفى خليل هذا تعهد من كارتر ولا أعرف إذا كان السادات قد قاله أم لا .. ويمكن أن يكون كلاما عارضا خلال المباحثات . وعدد رئيس وزراء مصر أسباب رفضه الالتزام بهذا التعهد ..

أولا .. لايمكن ان تعطى مصر التزاما بالمد المستمر بصرف النظر عن قدرتنا على الانتاج التى يمكن ان تتعرض للهبوط .. وقد حدث هذا فى أحد آبار خليج السويس مع شركة : AMACo

ثانيا .. الاستهلاك المحلى فى مصر يزيد بمعدل ١٢٪ سنويا أو أكثر ..

ثالثا .. الجانب الإسرائيلى وقع اتفاقا مع أمريكا بأن تلتزم أمريكا فى حالة حدوث نقص فى موارد إسرائيل من البترول أن تعطى له أمريكا بترولا من الإنتاج الأمريكى لمدة ١٥ سنة رغم أن أمريكا تستورد بترولا ..

وقال الوزير الإسرائيلى : هذا الاتفاق الأمريكى لكى اعدد مصادرى من الطاقة .. ومن حقى أن أؤمن نفسى ..

وقال مصطفى خليل : ونحن لدينا أيضا التزامات .. ونحن نعد زبائننا فى شراء البترول .. كما اننى لن التزم معك بالبيع بالسعر العالمى .. لايوجد شىء اسمه سعر

عالمى للبترول .. السعر يتحدد طبقا لقرارات الاوبك .. ونحن خارج الاوبك .. وهناك سوق البضاعة الحاضرة Spot Market

الوزير الاسرائيلى : نأخذ بسعر ليبيا (قال هذا لأن سعر ليبيا أقل) .

مصطفى خليل : ليس لنا دخل بليبيا .. والبترول المصرى مختلف فى كثافتـه .. وأضيف أيضا إننى ملتزم مع الشركات بأن ادفع لها بالبترول .. ونحن لانعطى أى شركة أكثر من ٢/١ مليون طن .. كما إننى طبقا للقانون المصرى لا أتعامل مع حكومات ..

وتناول الحوار نقاطا عديدة أخرى .. ومنها أن قانون المقاطعة يمنع مصر من البيع لحكومة إسرائيل .. ويمكن البيع فقط لشركة مسجلة خارج إسرائيل . وكما إننا عندما نشترى شيئا من اسرائيل لانطلب أى امتياز .. فاننا لن نعطى أى امتياز لاسرائيل عندما تشترى منا البترول .. وعلى الشركة المشترية أن تتقدم بمظاريفها فى مزاد مغلق كما هو متبع مع كل من يشترى منا ..

واستمر الأخذ والرد فى هذا الموضوع أكثر من ثلاثة اشهر .. ولجأ عيزرا وايزمان الى الرئيس السادات الذى تحدث بدوره الى مصطفى خليل .. وشرح مصطفى خليل وجهة نظره للسادات .. كما أوضح أن الشركات المشترية من مصر ستطالب بامتيازات إذا اعطينا امتيازا لاسرائيل .. وكان هذا يسبب لنا خسارة ٧٠٠ مليون جنيه سنويا .. كما قدرها المهندس عز الدين هلال وزير البترول .

وقابل الدكتور مصطفى خليل الرئيس السادات .. وتحدث معه بشأن خطاب كارتر .. وافق الرئيس على ان يتصرف رئيس الوزراء وفق ما يرى فيه صالح مصر . وتعمد الاسرائيليون أن يسربوا أخبارا إلى صحفهم بأن مصر أعطتهم امتيازات خاصة فى شراء البترول كوسيلة للضغط .. ولكن مصر لم تتأثر بهذا الأسلوب .

وأبلغهم مصطفى خليل ان اعطاءهم ٢ مليون طن هو من ضرب المستحيل . وانه يمكن ان يعطيهم مليونا واحدا فقط . وجعل مصطفى خليل من الكمية نقطة مساومة . وحضر وايزمان مرة أخرى ومعه وزير الطاقة ووفد اسرائيلى .. واصر عزرا وايزمان على أن تكون الكمية مليون ونصف مليون طن . وقال انه سيتحدث إلى الرئيس السادات فى هذا .. وقال له مصطفى خليل انه سيرفض . وذهب وايزمان إلى السادات الذى تحدث بدوره إلى الدكتور مصطفى خليل فى مكالمة تليفونية طويلة .. وقـال له ان وايـزمان سيحضر إليك .. وهنا ترك مصطفى خليل مكتبه وتوجه إلى بيته وحضر وايزمان إلى مكتب رئيس الوزراء ولم يجده . وتحدث وايزمان إلى مصطفى خليل فى منزله تليفونيا .. وكان مصطفى خليل فى منتهى الجفاف معه واتهمه بأنه يريد ان يوجد وقيعه بينه وبين

رئيس الدولة .. ورفض مصطفى خليل أن يقابله .. وعاد وايزمان إلى اسرائيل دون الوصول إلى أى نتيجة .

وبقى موداعيه وزير الطاقة الاسرائيلى فى مصر .. وابلغه مصطفى خليل بكل الوضوح أن الحكومة المصرية لن تتعهد بشىء .. وقال : إذا لم تدخل المزاد المصرى الذى سيقفل اليوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر وشركاتك تكون أعلى سعر .. فلن تحصل على نقطة بترول .

وقال وزير الطاقة : فى هذه الحالة فإننا لن ننسحب من منطقة البترول .. وهذا ما ابلغنى به وايزمان .

ورد مصطفى خليل بلا مبالاه : افعلوا ما شئتم .. ولكنى سأفضحكم أمام العالم كله .. ولن ننفذ الاتفاق ..

وتراجع الوزير الاسرائيلى .. وقال .. إننى أسحب كلامى ..

وقال مصطفى خليل : اعلموا اننى لاأقبل ولن اقبل اى تهديد ..

ووافق الاسرائيليون على وجهة النظر المصرية .. وتقدمت شركات سويسرية فى المزاد .

وبدأ التعامل معهم فى البترول .

وحدث أن مصر رفعت كمية البيع لاسرائيل عندما حصل هبوط فى السعر .. ازاء العرض والطلب .. وكانت الزيادة حوالى ½ مليون طن .

وقد تم جلاؤهم عن آبار البترول .. ولم يحدثوا أى تدمير .. واشترت مصر المنشآت التى أقاموها بثمن معقول . كما قدموا الرسومات الجيولوجية الخاصة بعمليات الكشف .. وكنا اخذناها من الشركات التى قامت بالكشوف .

- ١٣ -

« حكاية مياه النيل »

تعثرت مباحثات الحكم الذاتى بعد ذلك . تم الاتفاق فى الاجتماعات المتصلة التى جرت على بعض تفصيلات فرعيه ولكن نقط الخلاف الجوهرية بقيت كما هى .

سيطر السادات على صبره باعصاب فولاذية ولكنه كان يحاول دائماً أن يجد مخرجاً . وقد عرف عنه جميع المفاوضين أنه قادر بخياله السياسى على إيجاد بديل ثالث .

وفى رحلة السادات إلى حيفا .. أراد السادات اغراء بيجن بفكرة مد صحراء النقب بمياه النيل . عرضها السادات كفكرة عامة .. وترك لبيجن أن يفكر فى هذا الاغراء .. وكانت فكرة السادات . أن إسرائيل لن تتزحزح عن الضفة الغربية .. فلماذا لا يعطيهم سبباً للتراجع ؟.. شىء مقابل شىء . وكان السادات يدور بفكره .. حول ازمة مدينة القدس . وعندما انتهى اجتماع السادات وبيجن فى فندق الهيلتون عقد السادات مؤتمراً صحفياً فى حديقة الفندق اشار فيه بطريق غير مباشر إلى أن هناك موضوعات مشتركة كثيرة للتعاون بين مصر وإسرائيل .. ومنها مد إسرائيل بالمياه ..

وكان السادات قد صارح الدكتور مصطفى خليل بفكرته .. ولخصها بأن هذه الفكره « كارت » فى يد مصر .. أننا نرمى فى البحر مليارات الأمتار من مياه النيل .. لو اعطيناهم ٣٦٠ مليارا بعد مد خط أنابيب .. يمكن أن نقنعهم ببناء المستوطنات فى النقب بدلاً من الضفة الغربية ..

وطلب السادات من رئيس الوزراء أن يبحث الموضوع ..

وتم بحث اتفاق مياه النيل . واتضح أن القانون الدولى يعطى لإسرائيل حق الاتفاق على المياه بعد مرور سنة . ولا يمكن انتزاع هذا الحق منها . كما أن اتفاقنا الدولى مع الدول الإفريقية لا يبيح لمصر أن تعطى المياه لدولة اخرى . ويمكن لهذه الدول أن تطلب إعادة النظر فى هذا الاتفاق وخاصة أن علاقتنا مع اثيوبيا ليست على ما يرام . كما أن شعور الفلاح المصرى بأن إسرائيل تأخذ مياه النيل حتى لو لم يكن فى حاجة إليها أو أن الحكومة تسىء التصرف فيها .. سيولد احساساً بالمرارة ، وسيكون له اثره السياسى الداخلى السيىء ..

وفكر السادات فى تعديل اقتراحه بتقديم مياه الشرب فى القدس الشرقيه . وبحث هذا الاقتراح . لتقدير ما إذا كانت إسرائيل فى حاجة إلى هذه المياه أم لا . واستعين فى ذلك ببحوث دقيقة عن جميع الآبار فى الضفة الغربية اجرتها إدارة المخابرات الاردنية .

وتبين عدم جدوى الفكرة ..

كما أن موشى ديان أبلغ الجانب المصرى فى أحاديث جانبيه أن بيجن لن يبيع عقيدته التى عاش من اجلها مقابل الماء ، وأنه لن يقتنع ببناء المستوطنات فى النقب .. ومن قبل فشلت تجربة بن جوريون فى تعمير النقب ..

ولكن السادات استمر مؤملاً أن يقنع بيجن بالفكرة .. حتى يحقق تقدماً فى مباحثات الضفة الغربية .. وبالذات الوصول إلى حل فى موضوع القدس .

وبعد ذلك جاء بيجن لزيارة مصر .. وكان مقرراً أن يتم اجتماعه بالرئيس السادات فى أسوان .

وقبل حضور بيجن .. عقد الرئيس السادات اجتماعاً للمكتب السياسى للحزب الوطنى .. وعرض الموضوع وكان متأثراً بأن عزرا وايزمان أبلغه أن بيجن حاضر إلى مصر بتفكير مختلف .

وعرض السادات موضوعين .. الغاء جامعة الدول العربية وإنشاء جامعة الشعوب الإسلامية .. وموضوع مياه النيل ..

وأعطى السادات الكلمة للدكتور مصطفى خليل الذى رفض فكرة مياه النيل .. وقال للرئيس : أؤكد لسيادتك على شيئين .. تقديرى الكامل واحترامى لآرائك والباعث عليها . كما أن سيادتك بصفتك رئيساً للجمهورية لك الحق الدستورى فى اتخاذ القرار وإذا ما اتخذت القرار فإننى سأدافع عنه وأتبناه .. ولذلك فإننى أعبر عن رأيى لأننى تعودت منك احترام حرية الرأى .

واقتنع السادات فى موضوع المياه .. كما اقتنع بعدم إلغاء الجامعة العربية مع إنشاء جامعة شعوب معها . وطلب من منصور حسن أن يجلس مع مصطفى خليل لإعداد بيان عام عن الاجتماع لا ذكر فيه لموضوع المياه ..

وانتهى موضوع مياه النيل تماماً .. ولكن المعارضة أرادت أن تستغله ضد السادات .. وجعلت منه مادة يومية للهجوم بل التهجم عليه وقد كان مصطفى خليل رئيس الوزراء صادقاً عندما أعلن فى مجلس الشعب .. أن هذا الموضوع لم يعرض للتنفيذ على الإطلاق .

(رواية أنور السادات)

روى أنور السادات فى إجتماع مغلق مع رؤساء تحرير الصحف فى استراحة المعمورة ، موضوع المياه فقال :

– يوم رفع العلم المصرى على العريش فى مايو ١٩٧٩ .. جاء بيجن فى اليوم التالى ، زرنا المحاربين القدماء المشوهين من الجانبين .. وكان مشهدا مؤثرا عاطفيا .. ثم عدنا إلى الاستراحة . فقلت لبيجن : دعنى أقول لك أن رفع العلم المصرى على العريش خطوة إيجابية . هذا هو السلام الحقيقى . بدون هذا تكون عمليات شكلية . وكلامك أن حبة رمل فى سيناء ، لازم تاخذ قصادها على أرض الغير انتهى أمره .. ليتك فهمتنى عندما قلت لك ، انته من هذه العملية

فى واشنطن ، كنت كسبت ستة اشهر ضاعت فى لا شيء . مارأيك ؟ .. تبقى من الآن سنة على الحكم الذاتى الفلسطينى .. الجزء الثانى من كامب دافيد . ومن الحكمة أن نتفق من الآن على المبدأ .. لماذا ننتظر عاما لكى تبدأ المباحثات ؟

بيجن : نعم ..

السادات : بس .. لما نتفق .. على الصورة بأكملها ويبقى على رأسها موضوع القدس . ما رأيك مليون متر مكعب من ماء يومى اعطيها لك ؟ .. إننى أعطيك كل إجراءات الأمن فى سيناء .. أطلب ما تشاء خارج الأرض والسيادة . الأرض والسيادة ، مقدسان .

أنا اليوم أعطيك الحياة .. وعندنا فى القرآن « وجعلنا من الماء كل شيء حى » .. أنا أعطيك الحياة ، مقابل القدس ، وهذه العملية لن أدخل فيها بدون التسوية الشاملة . أخذنا شيئا .. نعم .. ولكن لا يعنى هذا أننى أعطيك مقابلها ماء موضوع سيناء انتهى .

ثم قال السادات لرؤساء تحرير الصحف :

ــ لماذا قلت هذا لبيجن ؟.. انى بذلك أضع إسرائيل فى ركن (Corner) مع اليهود خليك عملى . لا شيء بلا ثمن والعالم كله الآن يسير على هذه القاعدة . لقد تسلمت سيناء وهى أرض .. بس ارض شيء وتسليمها بعدما احتلها بالقوة العسكرية شيء آخر . فى ٢٥ يناير كان هناك مأتم فى إسرائيل مع أن ٩٠ ٪ من الشعب الإسرائيلى مع السلام .. لكن هذه طبيعتهم . وأنتم لاحظتم البكاء من الإسرائيليين الصحفيين وغيرهم .. يوم ما نزل علمهم وارتفع علم مصر ..

ولكى تطاع .. سل ما يستطاع . اخذنا حتى خط عريش ــ رأس محمد ٨٠ ٪ من سيناء غير مئات الآلاف من الافدنه ..

كسرت حجة بيجن .

إننى أضع دائماً الثمن الذى يفهمه العالم الخارجى . ولكن لا تفريط فى ارض أوسيادة . نزع سلاح سيناء بالكامل .. لا انزع الجزء اللى جنبك .. واخفف لغاية المضايق . وطول عمرنا ما حطينا فى سيناء فرقه مدرعة . الحد الأقصى فى أشد الأزمات وضعنا على المضايق فرقه . ومن عندى للمضايق على كيفى . وعندما حسبوا العسكريون مع بعض علشان القوة المصرية لا تهدد إسرائيل بحرب مباشرة .. بعد أن انتهى بحثهم .. قالوا .. لا حرب أكتوبر حسابها شيء مختلف تماماً لأنه كان أمامكم قناة وخط بارليف وعديتوه .. من المضايق لإسرائيل قواتنا تكون فى ٦ ساعات داخل إسرائيل .

أنا استطردت لكى تعرفوا أنه لا تفريط أبداً فى أرض أو سيادة خلال مباحثاتنا .. كانوا دائماً يقولون لى .. ازمة الماء فى إسرائيل مستحكمة جداً المستعمرات المبنية فى الضفة الغربية ليس بها ماء كاف .. ويعود سكانها إلى المبيت فى إسرائيل ويعودون فى الصباح إلى المستعمرة .

من ناحيتى .. إننى أرمى فى البحر الأبيض ٦ مليار متر مكعب وزير الرى اكتشف أنهم ١٦ مليار بماء المصارف . بها ملوحة لكنها تصلح للزراعة .

القاهرة تستهلك ٣٦٥ مليون متر مكعب .. أى ½ مليار .. من هذه الـ ٦ مليار المرمية .

مليون متر مكعب تحل مشكلتهم نهائياً .. ثمن مغرى ولكن لا يمس سيادتى مطلقاً .

فى مباحثات كامب ديفيد كان ثمن سيناء هو إنشاء السفارة الإسرائيلية فى مصر . وماذا فعل إنشاء السفارة .. لا شىء .. سفارة واحدة من بين ١٢٠ سفارة فى مصر .. بيجن كان فاهم إننى سأخاف من الدول العربية . ولكننى رجل واقعى . السياسة ليست ، كلاماً فى الهواء غير قابل للتنفيذ .

وأعود بكم إلى حديثى مع بيجن :

قال بيجن : آه والله ياريس .. ده صح جداً .. واحنا جيران ..

الرئيس : بس لعلمك القدس قبل الحكم الذاتى الكامل . يوم ما أعطيك الماء وما أخدش القدس .. العالم الإسلامى له حق يتهمنى بالخيانة أنا أعطى لك الماء وأنا قاعد فى القدس .

ثم علق السادات (مليون متر والحنفية فى أيدى .. اقفلها زى ما أنا عاوز . ويبقى كويس ، لما أعمل خط أنابيب ماء أدخل ، لسيناء كلها ماء .. وشوية للنقب . كل هذا جال بخاطرى خلاف دراستى للعمليه) .

وقلت لبيجين : كل مستعمره تفكها فى الضفة الغربية .. اديك قصادها ميه لمستعمره فى النقب .

ورد بيجن : يا سيادة الرئيس .. أننا لا نبيع أمانينا الوطنية بالثمن ..

السادات : لا .. إحنا جيران .. هات القدس .. وأعطيك ماء

ثم قال السادات : وعلى كل فقد انتهى هذا كله .. وقرارى الجديد أننى لن أعطى ماء .. إلا بركوع الإسرائيليين والفلسطينيين معاً .. إلا بطلب من الإثنين وبإلحاح لأن رأيى أن الماء هو الحل لإسرائيل والصفقة متعادلة .. إحنا مش هبل .. حكومة إسرائيل طلبت من كل صحف إسرائيل عدم الإشارة لموضوع الماء .. وهكذا قال أيضاً الصحفيون الإسرائيليون عندما التقى بهم أنيس منصور .

- ١٤ -

وفشلت مباحثات الحكم الذاتى

وضح من كل ما تقدم أن الحكم الإسرائيلى كان يسعى إلى إفشال مباحثات الحكم الذاتى بأى ثمن . واتخذ بيجن اجراءات غير شرعية لكى يضع مزيداً من العقبات ويسمم الاجواء ، ومن ذلك اقامة المزيد من المستوطنات واصدار قانون بأن القدس عاصمة إسرائيل وضمها إلى ارض إسرائيل . ثم إجراءات قمعية بربرية فى الضفة الغربية وكان الموقف الأمريكى سلبياً واكتفى باصدار البيانات بأن اجراءات ، إسرائيل غير شرعية .

وأراد الرئيس السادات أن يسجل تاريخياً كل هذه المخالفات ، وأرسل الخطاب التالى إلى بيجن رئيس وزراء إسرائيل .

وهذا نص الخطاب :

عزيزى رئيس الوزراء بيجن ..

أرجو أن تكونوا قد عوفيتم تماماً مما ألم بكم ، واستعدتم صحتكم لتتمكنوا من مواجهة المسئوليات الضخمة التى تتحملون بها فى هذه المرحلة الدقيقة . وأنه لواجب كل منا فى الواقع أن يتعامل مع العديد من المشاكل وبخاصة فى ضوء الظروف الراهنة سواء على مستوى المنطقة أو عالمياً : كما أنه لاخيار لنا حقاً إلا بمواجهة هذه المشاكل بمزيد من وضوح الرؤية والشجاعة حيث لا يمكن لأى منا أن يتجاهل الأحداث التى تحيط بنا وآثارها بعيدة المدى .

وفوق كل شىء ، فإن واجبنا هو اتمام العمل الذى بدأناه على طريق السلام ، وإنى لواثق أننى لست بحاجة لأن اذكركم بما ألتزمنا به فى اجتماعاتنا التى تمت فى مصر وإسرائيل وكامب ديفيد من العمل بلا كلل نحو تسوية سلمية شاملة فى الشرق الأوسط .

ولعلك تذكر أن كثيرين كانوا متشككين فى فرص نجاح المسيرة نحو السلام الشامل ، وذلك لأسباب تعلمونها ولا شك ، ومن ذلك فقد بقيت ثابت العزم فى متابعة قضية السلام النبيلة بصرف النظر عن الكم الهائل من الجهود التى تتطلبها مثل هذه المهمة الجليلة ، فبالعزم والتصميم فقط أمكننا فى العام الماضى أن نحقق ما كان يعد من قبيل المستحيل ، ولكن من ناحية أخرى فمازال أمامنا الكثير لنعمله إذا كان لنا أن نواصل مسيرة السلام لصالح جميع شعوب المنطقة بما فى ذلك الشعب الإسرائيلى طبعاً بل لصالح جميع الشعوب فى العالم كله . أنه من أجل ذلك كان ألتزامنا الذى عبرنا عنه فى الخطاب المشترك المؤرخ يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ من أننا سوف نتفاوض باستمرار وبحسن نية « حتى نصل إلى اتفاق حول اقامة سلطة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة فى أقرب وقت ممكن(١)

وكما سبق أن أشرت فى أكثر من مناسبة خلال محادثاتنا ، فإن تحقيق تقدم ملموس نحو هدفنا هذا هو أمر محقق لمصالح الشعب الإسرائيلى بنفس القدر الذى يحقق به مصالح الشعب الفلسطينى .

---

(١) هذا هو نص الخطاب المشترك الموقع بين السادات وبيجن :

عزيزى

يؤكد هذا الخطاب أن كلاً من مصر وإسرائيل قد اتفقتا على النحو التالى :

تستذكر حكومتا مصر وإسرائيل أنهما قد اتفقتا فى كامب دافيد ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار لاقرار السلام فى الشرق الأوسط » الذى تم الاتفاق عليه فى كامب دافيد و « إطار لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل » . =

إن فقد هذه الفرصة المتاحة لبدء عملية التوفيق والتعايش بين الإسرائيليين والفلسطينيين لا شك يكون خطأ فادحاً ذا أبعاد ضخمة ، ومن ثم فأنه من الضروري أن نبدأ هذه العملية بدون أي تأخير حتى يمكن لنا في النهاية أن نضع حداً للعنف والخلاف في الأرض المقدسة . أن هذه الفرصة المواتية الآن قد لا تتوافر مرة اخرى في المستقبل المنظور .

وكما تعلم جيداً ، فإن التفاوض بحسن نية يتطلب سلوكاً عملياً معيناً من قبل كافة المشاركين فيه ، وأول متطلبات هذا السلوك هو أن تلتزم الأطراف جميعاً بضبط النفس والامتناع عن اتخاذ أي إجراء يتعارض مع روح التفاوض أو يكون من شأنه أن يضر بعملية السلام بأي شكل كان . فليس من حق أي طرف أن يحاول أن يجعل موضوعاً

— ومن أجل التوصل إلى اتفاق سلام عادل وفقاً للإطارين المشار إليهما عاليه ، تبدأ مصر وإسرائيل في تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزه . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا لـ « اطار لاقرار السلام في الشرق الأوسط » فإن المملكة الأردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك في المفاوضات . ويمكن أن يضم وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة ، أو فلسطينيين آخرين وفق ما يتفق عليه الطرفان .

وسيكون هدف المفاوضات هو الاتفاق قبل إجراء الانتخابات على ترتيبات إقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة (المجلس الإداري) ، وتحديد صلاحياتها ومسئولياتها ، والاتفاق على المسائل الأخرى المرتبطة بهذا . وفي حالة إذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك في المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر وإسرائيل .

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء في أقرب تاريخ ممكن من هذه المفاوضات . كما تتفق الحكومتان على أن الهدف من المفاوضات هو أقامة سلطة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزه من أجل تحقيق الحكم الذاتي الكامل للسكان .

ولقد حددت مصر وإسرائيل لنفسيهما هدفاً للانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد حتى يمكن إجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الأطراف قد توصلوا إلى اتفاق . وتنشأ سلطة الحكم الذاتي المشار إليها في « إطار لاقرار السلام في الشرق الأوسط » وتبدأ وتتنز عملها خلال شهر من انتخابها وتبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية . وتنسحب الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتي محلها ، كما هو محدد في الإطار لإقرار السلام في الشرق الأوسط . ويتم حينذاك إنسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية ويجرى إعادة توزيع القوات الإسرائيلية الباقية في مواقع أمن محددة .

ويؤكد هذا الخطاب أيضاً مفهومنا بأن حكومة الولايات المتحدة ستشترك اشتراكاً كاملاً في كافة مراحل المفاوضات .

محمد أنور السادات
مناحم بيجين

معيناً غير قابل للتفاوض أو ، أن يجابه الأطراف الأخرى بمحاولة خلق أمر واقع عن طريق اتخاذ إجراءات من جانب واحد المقصود منها أن تؤثر فى نتائج المفاوضات بشكل أو بآخر . كما أنه لا يصح لأحد الأطراف أن يفرض شروطاً مسبقة ، وذلك بصرف النظر عن دعاوى هذا الطرف أو ذاك . إن جوهر عملية التفاوض هو أن تمكن الأطراف من تسوية خلافاتهم والتوصل إلى اتفاق على الموضوعات الخلافية بطريقة جماعية وعن طريق المشاركة والتبادل وليس عن طريق الأعمال الانفرادية . وعليه فأن أى محاولة من قبل أحد الأطراف ليبرم أو يقرر منفرداً أمراً مطروحاً للتفاوض إنما يشكل تعارضاً كاملاً لأساس التفاوض ومبدئه . صحيح أن هذه الأعمال الانفرادية إنما تعتبر خالية تماماً من كل شرعية فى مواجهة الأطراف الأخرى ، إلا أنها تؤدى ولا شك إلى تسمم الجو كما أنها تؤدى إلى ردود فعل غير مواتية لعملية السلام لدى دوائر يعتبر تعاونها أساسياً لنجاح مسيرتنا .

ولنلق معا نظرة على ما تم عمله فى الماضى القريب بهدف تقييم الموقف بوضوح ومناقشة أفضل الطرق لخدمة أهدافنا :

١ - لقد بدأنا عملية التفاوض الحالية فى العام الماضى بهدف التوصل إلى اتفاق قبل ٢٦ مايو ١٩٨٠ . إلا أنه لم يمكن تحقيق هذا الهدف لأسباب لن أناقشها حالياً . ومع ذلك فقد قررنا الاستمرار فى التفاوض بالنظر إلى خطورة الموضوعات المطروحة ولرغبتنا فى إعطائكم الوقت الكافى للقيام بالتطويرات اللازمة فى مواقفكم .

٢ - ولقد سلكنا هذا المسلك بالرغم من أن المطروح فى المرحلة الحالية ليس إلا إجراءات انتقالية وليس تسوية نهائية للمشكلة الفلسطينية فنحن نقوم بمجرد فتح الباب أمام هذه التسوية عن طريق إقامة نظام انتقالى لفترة محدودة بهدف تمكين الفلسطينيين من مباشرة نصيبهم من المسئولية .

٣ - إلا أن أسفنا كان كبيراً ، وكذلك كانت دهشة كثير من أصدقاء إسرائيل إذ لم تأخذ الأحداث الطريق الذى أمل الجميع أن يقربنا من الاتفاق بل على العكس فإن أعمالاً إستفزازية وسلبية عديدة اتخذت فى تحد سافر لمسيرة السلام وجوهرها ، ومع ذلك فقد كان املنا ان تختفى العوامل التى أدت بكم إلى اتخاذ هذا المسلك السلبى ، وتترك مكانها للإيجابيات ، والتجاوب ، إلا ان هذه الآمال لم تتحقق ، ومن ثم فقد استمر الموقف فى التدهور .

٤ - وانى أشير فى ذلك إلى الإجراءات التى اتخذت فى صدد القدس والمستوطنات وكذلك أعمال القمع التى جرت فى الضفة الغربية وغزة .

٥ - وهنا فقد يكون مفيداً أن أنعش ذاكرتك فى صدد موضوع القدس ، فلعلك تذكر أن هذا الموضوع كان أول أمر أثيره معك ومع زملائك عندما بدأت مبادرة السلام . وقد أكدت لك طوال حديثنا حيوية هذا الموضوع والأهمية الكبرى الذى يحتلها فى قلوب وعقول ثمانمائة مليون مسلم ولعدد أكبر من المسيحيين . كما أشرت لك فى مناسبات عديدة أخرى وفى أوضح عبارة إلى أن تحقيق تقدم فى هذا الموضوع بالذات يمكن أن يعطى مسيرة السلام دفعة أقوى من أى دفعة يحققها أى تقدم آخر .

٦ - ولعلك تذكر اننى ذكرت لك فى اجتماعنا بالعريش فى مايو ١٩٧٩ بأنها مناسبة تاريخية لنا ان نستمر دون أى تأخير فى مسيرتنا نحو التسوية الشاملة خاصة وقد بدأنا بالتنفيذ الناجح لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية .

٧ - ولعلك تذكر أيضاً اننى فى هذا الاجتماع ذاته ، وكذلك فى لقاءاتنا بالإسكندرية وحيفا وأسوان ، ركزت على موضوع القدس وذكرت لك ، أنه إذا كان هذا الموضوع يمثل مصلحة حيوية لـ ١٨ مليون يهودى فى العالم كله فهو حيوى وحساس كذلك لثمانمائة مليون مسلم ، ومن ثم فإنه من المستحيل ان نتجاهل هذه الحقيقة أو أن نصم الآذان عن هذا الجانب الروحى والثقافى . ان ملايين المسلمين فى شتى انحاء العالم إنما يحكمون على إسرائيل من واقع مسلكها نحو القدس ، فلماذا تفقدون ثقتهم وثقة كثيرين غيرهم بينما أمامنا بدائل عديدة صالحة ومقبولة ؟ اننى أقولها لك مرة أخرى : اننى اعتقد بأن هذه المشكلة ليست أكثر المشاكل التى نواجهها صعوبة ، وأنه من الممكن ان نجد لها حلا يوفق بين احترام الحقوق والتجاوب مع الآمال التى يتطلع إليها الطرفان .

٨ - اننا واعون لحقيقة ان اتفاقاً شاملاً حول وضع القدس يمكن ان يؤجل إلى مرحلة التفاوض حول التسوية النهائية ، ومع ذلك فإن ثمة حقيقة أخرى هى ان موضوع القدس يتداخل مع عدد كبير من الموضوعات محل النظر حالياً ، ومن هنا كان من الطبيعى ان تثار مسألة القدس ، فى مختلف الاجتماعات التى تمت فى اطار المفاوضات سواء على المستوى الوزارى أو على مستوى اللجان وبالذات اللجنة القانونية ولجنة الانتخابات .

٩ - وقد يقول البعض أن هذه الإجراءات التى اتخذتموها فيما يتعلق بالقدس بواسطة عدد من فروع حكومتكم ، انما تمثل مجرد موقف تفاوض لا يجب ان يؤخذ مأخذ الجد ، وبخاصة فى ضوء الحقيقة التى تقضى بأنها جميعاً اجراءات خالية من كل شرعية ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نتجاهل الحقائق التالية :

(أ) إنها اجراءات تمثل خرقاً واضحاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى التزم كل منا باحترامه وتنفيذه . وفى الواقع ورغم انى لست بحاجة لشرح تفصيلى لهذه المسائل القانونية ، فإنه من الواضح أن الإجراءات الإسرائيلية الأخيرة تمثل توسعاً اقليمياً واستيلاء على الأرض عن طريق الحرب ، وهو الأمر الذى حرمه القرار رقم ٢٤٢ وقد يكون من المناسب أن اذكر هنا ان حكومتكم قد أعلنت فى مناسبات قريبة إنها لن تقبل أو تتسامح مع أى تلاعب بهذا القرار !

(ب) كما ان هذه الإجراءات تتعارض مع نص وروح كامب ديفيد ، حيث تخرق نصوص « اطار السلام فى الشرق الأوسط » باعتبارها تخرق نصوص القرار ٢٤٢ الذى يشكل الأساس القانونى الثابت لهذا الإطار ولقد تعهدنا بأن نحل كافة خلافاتنا سوياً وبروح التوفيق وليس عن طريق أعمال تتخذ من جانب واحد ، ولقد كان مفهوماً تماماً ونحن نوقع الاتفاقيات ان احداً منا لن يلجأ لفرض الأمر الواقع على الآخر .

(جـ) وكذلك فإن هذه الإجراءات تتعارض مع نصوص اتفاقية جنيف الرابعة التى تمنع ضم الأراضى المحتلة .

١٠ - وعندما عبرت لك عن اعتقادى بأنه ليس من المستحيل أن نجد حلا سعيدا لمسألة القدس ، فقد صرحت أمام العالم أجمع بأن مثل هذا الحل لا يجب أن يؤدى إلى تقسيم المدينة أو إقامة الحواجز التى يمكن أن تعرقل حرية المرور أو العبادة . وقد اقترحت صيغة تمثل نموذجا مشرفا للتعامل وحسن الجوار بين المسلمين والمسيحيين ، واليهود وجوهر هذه الصيغة يطالب باستعادة الحقوق الشرعية القانونية والتاريخية فى المدينة مع إبقائها مدينة موحدة للدواعى العملية .

١١ - وبكل صراحة ، فإننى أشعر بأن الأفكار التى قدمتها ونشرتها فى هذا الصدد لم تلق منكم الدراسة اللازمة فلم أتلق منكم أى رد ، أو تعليق موضوعى يتعلق بالصيغة المقترحة التى تؤمن مصالح المعنيين كافة وتقدم خدمة قيمة لقضية السلام كما تعد إسهاما ضخما فى المسيرة نحو الوفاق بين العرب واليهود .

١٢ - كما أن حكومتكم تبنت سياسة سلبية وضارة فيما يتعلق بموضوع حساس آخر هو موضوع المستوطنات ، ولست أرانى بحاجة إلى شرح الرفض العالمى والإدانة الشاملة لهذه السياسة سواء على الصعيد القانونى أو الأخلاقى أو أن أعدد الآثار الخطيرة لتلك السياسة ويكفى أن أؤكد ما سبق أن قلته من أن هذه المستوطنات التى أقيمت فى الضفة الغربية أو غزة إنما تشكل عقبة حقيقية فى طريق السلام ومن ثم فتجب ازالتها سواء اكانت قديمة ام حديثة .

١٣ - وانا على ثقة من انكم تذكرون ما تحدثت اليكم بشأنه فى أسوان فى صدد المستوطنات ، فقد نصحتك حينئذ بألا تحارب معركة خاسرة حيث إنه مهما أقمت أو فعلت فى هذا السبيل فسوف يكون مصيره الفشل الكامل .

١٤ - ولعلك تذكر أيضا أننى عرضت أن أمدكم بمياه يمكن ان تصل إلى القدس مارة عبر النقب حتى أسهل عليكم بناء احياء جديدة للمستوطنين فى أرضكم ، ولكنك أسأت فهم الفكرة وراء اقتراحى وقلت إن التطلعات الوطنية لشعبكم غير مطروحة للبيع ، وفى الواقع فلم يدر هذا بخلدى اذ عرضت عليكم تعاونا قد يؤدى إلى الخروج بحل مرض للطرفين ، ورغم أن إزالة المستوطنات غير القانونية يجب ألا يعلق على أى شرط إلا أننى على استعداد للذهاب إلى هذا المدى لحل هذه المشكلة باعتبار ذلك إسهاما آخر لمصر من أجل السلام .

إننى على علم بأنك لا تحتاج لأى أحد آخر ليجد لك سبيلا للخروج من هذا الموقف ، ولكنه أمر مفيد ان تجد أو تأخذ فى اعتبارك وجود بعض البدائل والعروض . وأحيانا فإن أخوتنا العرب يحتاجون ايضا لمثل هذه السبل بالنظر إلى عدد من التعقيدات التى تواجه مواقفهم . وهذا عبء اتحمل به كرئيس للشعب المصرى الذى وضعه قدره فى مقدمة الأحداث ، والتطورات فى المنطقة بأسرها . هذا هو تراث ماضينا ووعد مستقبلنا .

١٥ - ولقد توصلنا إلى تفاهم معكم بأن تقوم إسرائيل باتخاذ عدد من اجراءات بناء الثقة بدون تأخير وقبل بدء المرحلة الانتقالية وكان الهدف من ذلك كما حددناه معا هو رفع المعاناة عن الفلسطينيين وتحسين الجو فى الضفة الغربية وقطاع غزة تمهيدا لانتخابات السلطة الفلسطينية وقد تحدثنا بالذات عن مجموعة من الإجراءات التى حوتها مذكرة قدمت اليكم بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٩٧٨ أثناء محادثات بلير هاوس . إلا انه من الواضح ان الأوضاع فى الضفة الغربية وقطاع غزة لم تتحسن بالمرة ، بل على العكس فإنها شهدت تدهورا ملموسا ، فهل هذا هو الطريق لكسب تأييد وثقة هؤلاء الذين عناهم وخاطبهم اطار كامب دافيد ؟.

١٦ - وقد كان موقفنا واضحا وثابتا منذ بدأت مسيرة السلام بمهمتى فى القدس ، وربما يكون من المفيد أن اكرره على الوجه الآتى :

أولا : تظل مصر قلبا وقالبا ملتزمة بالسلام ، فالسلام بالنسبة لنا هدف استراتيجى مقدس ، وسوف نستمر فى النضال من أجله حتى لو احتاج الأمر إلى مضاعفة جهودنا نحوه .

ثانيا : اننا نلتزم بنص وروح كامب دافيد وندعو إلى الاحترام الدقيق لكافة الالتزامات التى تتضمنها هذه الوثائق التاريخية .

ثالثا : تظل مصر على استعداد لمساعدة شركائها فى عملية السلام ، تمدهم بحلول وسبل ونحوها ، حتى إذا فشلوا فى رؤية واقع الأمور أو حكمة هذا العمل أو ذاك ، ونحن فى ذلك نطبق على إسرائيل ما كنا نطبقه مع أخوتنا العرب .

رابعا : أننا نعتقد بيقين بأن كافة الأمور سوف تسوى فى النهاية حيث أن تلك هى رغبة كافة شعوب المنطقة والعالم ولا يمكن لأحد أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء أو ان يضع المنطقة مرة اخرى فى ظلام الحرب والخراب .

خامسا : نحن نرفض كافة الإجراءات التى تتخذها إسرائيل من جانب واحد تحديا للاجماع العالمى ، فيما يتعلق بالقدس أو فى صدد المستوطنات . فهذه الإجراءات باطلة بطلانا مطلقا .

سادسا : ان الحقوق التاريخية والقانونية للعرب والمسلمين فى القدس لابد أن تحترم ، مع ابقاء مختلف وظائف المدينة موحدة ، وفى الوقت نفسه فلابد من ضمان حرية العبادة والحركة فيها .

سابعا : يجب أن توقف إسرائيل كافة الأنشطة الخاصة بالمستوطنات كما يجب إزالة كل المستوطنات التى أقيمت فى الضفة الغربية وغزة بالإضافة إلى إزالة جميع المستوطنات فى الأراضى المحتلة الأخرى .

ثامنا : ليس لأى دولة ، وبالتأكيد ليس لمصر أو لإسرائيل ، أن تحدد مستقبل الشعب الفلسطينى فإنه حقهم الذى منحهم اياه الله والذى لا يمكن حرمانهم منه تحت أى ظرف من الظروف .

تاسعا : فى حالة التوصل إلى اتفاق بشأن إقامة سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى فنحن على استعداد لبدء التنفيذ فى قطاع غزة كخطوة أولى يتبعها التنفيذ فى الضفة الغربية .

عزيزى رئيس الوزراء بيجن

إننى على يقين من أنك تعرف ، من أعماق قلبك ، أنه فى حكم المستحيل أن نواصل التفاوض إذا استمر المسلك الحالى على ما هو عليه . ومن ثم ، وانطلاقا من روح الرحلة التى قمت بها للقدس ، وروح اتفاقيات كامب ديفيد ، فإننى أهيب بك أن تتخذ الإجراءات التصحيحية اللازمة لإزالة العقبات التى وضعت فى طريق السلام فى الأشهر القليلة الماضية ، وإننى أترك لك اختيار الطرق والوسائل المناسبة لتحقيق ذلك . اننا إذا فشلنا فى إزالة هذه العوائق والعقبات فى الوقت المناسب فسوف نجعل من عملية المفاوضات الحيوية مجرد عمل لا معنى له ولا يخدم هدفنا العزيز فى السلام .

وإننى على ثقة من أن أحدا منا لا يريد بل لا يستطيع أن يفعل ذلك .

وأخيرا فإننى أتوقع أن يصلنى منكم ردا إيجابيا حتى يمكن للمفاوضات أن تستمر ، فى جو مفعم بالأمل وبأسرع وقت ممكن .

مع أطيب تمنياتى إليك وإلى مسز بيجن .

محمد أنور السادات

- ١٥ -

« أزمة .. سموم الأفاعى »

أريد فى هذه السطور أن أضرب مثلا واحدا ، على « التمحك » الإسرائيلى فى أى شىء فى سبيل افشال مباحثات الحكم الذاتى . لقد كانت الصحف الإسرائيلية تهاجم الموقف المصرى من ضرورة وقف إقامة المستوطنات .. وطلب ادراج موضوع القدس فى المباحثات .. وعندما رددت بمقال على هذا الأسلوب الذى وصفته بأنه «سموم الأفاعى» .. قامت قيامة اسرائيل وهددت بقطع المفاوضات التى كان محددا لها أن تجرى بالإسكندرية فى العاشر من يونيو عام ١٩٧٩ .. وكان «بورج» هو رئيس وفد المفاوضات الإسرائيلى . وكانت تلك هى الجولة الأولى فى مباحثات الحكم الذاتى .

وهذا هو المقال الذى نشرته فى الصحفة الأولى من «الأخبار» صباح ١١ يونيو :

سموم الأفاعى

«تبدأ اليوم فى الإسكندرية الجولة الأولى من مباحثات اقرار الحكم الذاتى للشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وغزة . ومقدمات هذه المباحثات من جانب بيجن وحكومته لا تبشر مطلقا بحسن النوايا بل ان بيجن تعمد ان يهيل عاصفة ترابية فى طريق المفاوضات قبل ان تبدأ . فهو يطلق التصريحات ليل نهار ان الضفة الغربية هى أرض اسرائيل وأن اسرائيل لن تنسحب . وأن القدس لن تكون إلا عاصمة اسرائيل . وان المستوطنات باقية . وان الحكم الذاتى هو للإنسان لا للأرض إلى آخر هذه الشعارات التى لا يمل ترديدها ليل نهار .. متصورا إنه يستطيع فرضها .

ثم كان اخيرا قرار مجلس وزراء اسرائيل بالموافقة على انشاء مستوطنة جديدة قرب نابلس ولا يهمنا بالنسبة لهذا القرار ان يقال ان عددا من الوزراء مثل ديان ووايزمان ويادين قد اعترضوا .. فرأيى دائما ان السياسة الإسرائيلية هى سياسة واحدة متفق عليها وان مثل هذه الاعتراضات هى من قبيل توزيع الأدوار .

بل ان هذا القرار الاستفزازى قد صدر فى اليوم المحدد لزيارة ديان لمصر بشأن مباحثات الحدود .. وهذه جليطة وتنطع .

وبيجن يتصور اننا من الممكن ان نفقد اعصابنا .. ومن الممكن ان نجارى هذا الاستفزاز باستفزاز مثله .. فتتأزم المباحثات قبل ان تبدأ .

وهو يتصور ايضا ان مثل هذه الأفعال الاستعراضية المتعمدة يمكن ان تزيد شقة الخلاف بين مصر والدول العربية المعتدلة التى اختارت جانب الرفض .. انه يريد ان يعطى حججا جديدة لهذه الدول على ان اسرائيل لا تريد سلاما شاملا .. وانها لن تحقق مطالب الشعب الفلسطينى وحقوقه .

وهو يتصور ايضا انه قادر على كل هذه التحديات ، مادام هناك خلاف عربى .. ومادامت هناك تناقضات ايضا بين الدول الرافضة ولذلك فهو يشعل النار حتى تتعثر المفاوضات فى مولدها .. وحتى ينتهى الوقت إلى ضياع .. وبذلك يكون قد عقد سلاما منفردا مع مصر وهذا ما يحلم بيجين بأنه يدفع الأحداث إليه .. وخاصة انه اختار لعضوية الوفد الإسرائيلى فى المباحثات الوزير شارون المعروف بتطرفه الأعمى نحو اقامة المستوطنات وهو الذى اعلن صباح أمس أن الأسبوع المقبل سوف يشهد بدء العمل فى اقامة ثمانى مستوطنات .

كل هذا يلقى مسئولية رئيسية واساسية على الشريك الأمريكى فى هذه المباحثات فإذا كان الموقف الأمريكى المعلن والمسجل رسميا هو ان المستوطنات عمل غير مشروع .. وإن القدس العربية هى جزء من الضفة الغربية ولن تكون ارضا اسرائيلية .. وإذا كان هذا السلوك من بيجن وحكومته هو مناورة مكشوفة لتعطيل المباحثات وكسب الوقت .. وإذا كان ذلك كله صحيحا وواضحا فان الموقف الأمريكى يجب ان يكون ايجابيا وفعالا وحاسما فى وقف هذه البهلوانيات التى تضر قضية السلام فى الشرق الأوسط ونحن لا يهمنا فى الدور الأمريكى التصريحات والبيانات .. ولكن الأهم هو الدور الفعال الذى يضع بيجن فى حجمه الطبيعى .. والذى يقطع رأس الأفعى قبل أن تفرز سمومها .

إن تأييد الشعب المصرى المكتسح لقضية السلام لا يعنى ولن يعنى ان نهدر حق الشعب الفلسطينى او نتغاضى عنه . هذه حقيقة تعرفها واشنطن .. قبل ان يعرفها بيجن وكل الأفاعى فى تل ابيب ونحن لا يهمنا ان يصر بيجن على تسمية الضفة الغربية بجوديا وسماريا .. أو أى اسم يريده .. فهذا شأن يخص تعبيراته البلاغية ولكن الذى يهمنا هو الالتزام بقرارات الأمم المتحدة واتفاق كامب دافيد وبما جاء فى خطاب الربط مع معاهدة السلام المصرية . والتزام امريكا بهذه الوثائق يجىء فى المقام الأول قبل الإلتزام الإسرائيلى ويجب ان تتحدد المواقف فى الساعات الأولى من المفاوضات وليس لدينا وقت نضيعه فى المناورات الإسرائيلية التى اصبحت اضحوكة امام العالم كله أن أمريكا ليست وسيطة لتقريب وجهات النظر ولكنها شريكة فى المباحثات تؤدى مسئولية اساسية وتاريخية لإقرار السلام» .

انتهى المقـال .

وفوجئت بوكالات الأنباء تنقل تصريحات لبورج رئيس الوفد الإسرائيلى قبل ان يغادر تل ابيب فى طريقه إلى الإسكندرية يقول فيها ان هذا الهجوم من موسى صبرى على بيجن رئيس وزراء اسرائيل يجعل الحكومة الإسرائيليه تدرس وقف المباحثات إذا استمر كل هذا الهجوم . كما ان شامير وزير العدل الإسرائيلى صرح بأنه اكد فى اجتماعه بوزير الدفاع المصرى كمال حسن على ووزير الدولة للشئون الخارجية

الدكتور بطرس غالى ان مقال موسى صبرى يعرض مسيرة السلام للخطر ! كما صرح «يادين» ان مثل هذا المقال يفسد الجو بدرجة تزيد من العقبات التى يكثر المصريون الحديث عنها .

وعندما بدأت المباحثات أعلن بورج فى كلمة مكتوبة احتجاجه على المقال بأسلوب غاضب .. بل غاضب جدا .. ولكن الدكتور مصطفى خليل ، رد على ذلك بقوله انه لا سلطان للحكومة على الصحافة .. وان مقالا صحفيا لا يفسد الاجواء مثل ما تفسده تصريحات المسئولين الاسرائيليين وخاصة الوزراء ..

وأصبحت الأزمة حديث الاذاعات العالمية .. وبعث ابراهيم سعدة ببرقية إلى الاخبار من واشنطن جاء فيها ان جميع الصحف الامريكية نشرت مقتطفات من المقال كما نشرت تعليقات بيجن المنفعلة على المقال .. وجاء فى البرقية «لم يكن موسى صبرى وحده هو الذى تعرض لهذه الهجمات الاسرائيليه فقد شاركه فى تلقى الهجمات ذاتها انتونى لويس الكاتب الامريكى الذى نشر تعليقا فى النيويورك تايمز قال فيه ان اسرائيل سبق أن تعهدت لمصر ولأمريكا بوقف بناء المستوطنات . وثار بيجن بسبب هذا المقال أيضا ونفى أنه سبق أن أعلن هذا التصريح » .

وقال راديو لندن أن مقال موسى صبرى فى الأخبار كان موضع أخذ ورد ، فى المباحثات وأن الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء قال أن ماينشر فى الصحف لا رقابة لأحد عليه ولكنه هاجم تصريحات المسئولين الإسرائيليين فى إقامة المستوطنات .

أما صحف إسرائيل فقد شاركت جميعا فى الاحتجاج على المقال .. وقالت إذاعة إسرائيل : إذا شاء الكتاب أن يحسنوا إلى قرائهم فعليهم أن يعرفوا أن لغة الحضارة وليس لغة الأفاعى هى لغة الكلام الآن بين مصر وإسرائيل .. وإن رئيس الوزراء بيجن هو فى مرتبة أسمى من أن يلتفت إلى مثل هذه الأمور وهو أعلى قدرا من أن يرد على الشتائم .. وقد حان الوقت بالنسبة لبعض رجال الإعلام فى مصر لكى يدركوا ان الخلاف فى الرأى أمر ممكن .. إلا أن الأخلاق يجب أن تكون وسيلة التعبير وليس لغة الأفاعى ..

ولا أريد أن أورد كل ما كتبته الصحافة الإسرائيلية هجوما على مقالى .. فهو يملأ صفحات عديدة .. ولكننى قصدت أن أوضح أن حكومة بيجن .. وفى أول جلسة مباحثات عن الحكم الذاتى أرادت أن تخلق أزمة من مقال صحفى وهددت بالانسحاب من المفاوضات !

وأذكر أن الدكتور مصطفى خليل قال لوايزمان .. لقد صرحت أنت فى الكنيست

الإسرائيلى أن إسرائيل يمكن أن تعود إلى احتلال سيناء فى أى وقت .. ثم تعلن الآن غضبك على مقال صحفى ؟

وأحرج وايزمان . وقال أنه قصد من تصريحه فى الكنيست أن يسكت الأصوات المعارضة للانسحاب الإسرائيلى من سيناء .

والحق أننى دهشت من هذه الضجة المفتعلة .. وخشيت أن أسبب إحراجا للرئيس السادات .. وتصادف أن اتصل بى تليفونيا فى نفس اليوم من الإسكندرية وتصورت إنه سيتحدث معى فى موضوع المقال .. وإذا به يتحدث معى فى موضوع آخر لا علاقة له بإسرائيل وقد أردت أن أفتح الموضوع معه .. وسألته : هل سمعت يا ريس عن هذه الضجة المفتعلة بسبب مقالى ..

فأجابنى .. نعم .. ولم أعرها أى اهتمام . هذا أسلوب إسرائيلى مفهوم .

واتصل بى الدكتور مصطفى خليل من الإسكندرية وروى لى ما جرى فى جلسة المباحثات حول المقال .. وقال أنه يرجو عدم الهجوم الشخصى على بيجين حتى لا نعطيهم فرصة لخلق العقبات .. هذا مع اقتناعه أن مقالى لم يكن هجوما شخصيا ..

والحق أن أنور السادات .. وفى قمة الأزمات مع بيجن .. كان يفضل دائما بالنسبة للصحافة المناقشة الموضوعية .. وأذكر مرة أن أحد رؤساء التحرير سأله ونحن فى الطائرة فى إحدى الرحلات أن بيجن إرهابى ولا يجوز معه إلا أسلوب الإرهابى فى النشر .. وكان رد .. الرئيس السادات .. إذا قلتم إن بيجن كان إرهابيا .. فإننى أيضا كنت إرهابيا .. المهم هو أن نتناول آراءه بالرد المفحم الذى لا يتعرض لشخصه ، ما أسهل أن أصفه بأنه هتلر جديد ولكن هذا سيعطيه عطفا من الرأى العام الإسرائيلى .. أما مناقشة أرائه وتفنيدها .. فهو يكسب لنا رأيا عاما داخل إسرائيل من المحبين للسلام .

وهنا يجدر أن أقول أن السادات كان يتمتع بأعصاب فولاذية . ويكفى أنه كان يحتمل الحديث مع بيجن ساعات طويلة . ومثلى لم يتحمل حتى السلام على بيجن عندما سافرنا إلى أوسلو مع سيد مرعى لتسلم جائزة نوبل نيابة عن الرئيس السادات لقد رأيته وجها لوجه .. ولم أستطع حتى أن أوجه إليه أية تحية .. وكنا وحدنا فى ممر ضيق فى القصر القديم الذى أقيم به احتفال تسلم جوائز نوبل .

الجزء السادس

قضية الصحافة

الفصل السابع عشر : الصحافة من عبد الناصر إلى السادات .

الفصل الثامن عشر : أزمة مصطفى أمين والحمامصى .

الفصل التاسع عشر : السادات والإعلام العالمى .

الفصل السابع عشر :

قصـــة الصحـــافـــة

الصحافة من عبد الناصر .. إلى السادات

الرقابة الصارمة على الصحف ــ ممنوع نشر لقاءات عبد الناصر ــ القائمة السوداء فى السفر ــ فصل ١٢٠ صحفيا من الجمهورية ــ قرار بالتليفون من عبد الناصر وهو يحضر مناورة عسكرية ــ تعيين الصحفيين الشيوعيين ــ تقارير سرية داخل المؤسسات الصحفية ــ قرار من النقابة ضد حلمى سلام ــ إكراه فكرى أباظة على الاعتذار ــ ٣ تجارب شخصية مع عبد الناصر ــ احتكار أخبار الدولة لهيكل ــ السادات يبدأ تقاليد جديدة ــ صحفيون يساريون قريبا من السادات ــ كيف صدرت صحف المعارضة ـ الموقف مع نقابة الصحفيين ــ الانتخابات الأولى ــ مجالس إدارة جديدة بدون علم هيكل ــ أول صدام قبل حرب أكتوبر ــ النقابة والفتنة الطائفية ــ نجاح صلاح جلال نقيبا ــ الغالبية فى مجلس النقابة للعناصر الماركسية وغيرها ــ بدأت الأزمات ــ إصدار قانون الصحافة ــ تكريم السادات فى عيد الصحافة ــ عيوب قانون تأميم الصحافة ــ بعد تعدد الأحزاب ــ إنشاء مجلس الشورى ــ إحالة الصحفى إلى المعاش ــ إصرار فؤاد محيى الدين ــ لا عزل لصحفى ــ نصوص غير دستورية فى اللائحة التنفيذية .

الفصل السابع عشر

(الصحافة .. من عبد الناصر .. إلى السادات)

ماذا كانت عليه العلاقة اليومية للصحافة بالدولة فى عهد جمال عبد الناصر ، وقبل أن يتولى السادات المسئولية الأولى ؟

كانت الرقابة على الصحف صارمة ، وكان يتبع وزير الارشاد ــ الرقيب العام ــ مكتب يسمى مكتب الصحافة . كان هذا المكتب يتلقى تعليمات من جميع جهات الدولة المسئولة ، ومن مكتب عبد الناصر مباشرة ، ومن محمد حسنين هيكل بما يمنع نشره ، وكانت هذه التعليمات ترسل تليفونيا إلى الرقباء ، وفى بعض الموضوعات الهامة ، مثل قضية المؤامرة ، كانت بروفات ما سينشر عن القضية ترسل إلى مكتب الصحافة حيث يراجعها ثلاثة رقباء ، كل رقيب فى حجرة منفصلة . هذا على الرغم من أن المدعى العام كان يستدعى مندوبى الصحف بعد انتهاء كل جلسة وكان يحدد لهم الممنوعات من النشر وذلك بحضور مندوب من المخابرات العامة . وطبق هذا الأسلوب بالنسبة لجميع القضايا السياسية فى عهد عبد الناصر .

وكان من الممنوعات المستديمة نشر مكان تواجد رئيس الجمهورية أو نشر أخبار مقابلات أجراها عبد الناصر ولم تعلن رسميا ، وقد حدث أن نشر مندوب « الأخبار » خبرا عن مقابلة لجمال عبد الناصر مع أحد المسئولين فأمر عبد الناصر بمنع المندوب (المرحوم جلال طنطاوى) من دخول مقر رياسة الجمهورية ، واجراء تحقيق مع نائب رئيس التحرير الذى أجاز نشر الخبر (المرحوم لطفى حسونة) ، وكان وصف عبد الناصر لنشر مثل هذا الخبر أنه تجسس على رئيس الجمهورية ، وكانت استراحات الدولة التى يستخدمها عبد الناصر مجهولة للرأى العام ، لم يكن أحد يعرف أن عبد الناصر فى استراحة القناطر ، أو أسوان أو برج العرب ، وهذا ما رفض السادات كتمانه عن الشعب لأنه لم يكن يعمل فى الخفاء .

وكان يستحيل على أى صحفى أن يسافر إلى الخارج فى مهمة صحفية بغير إذن مباحث أمن الدولة ، وتضخمت القائمة السوداء ، وكان التصريح بالسفر يستغرق على الأقل أسبوعا أو أسبوعين ، وتضيع قيمة الحدث الصحفى .

ولم يكن أى صحفى مؤمنا على رزقه . كان وقف الصحفى يتم بتليفون من عبد الناصر أو سكرتير عبد الناصر . لم تكن هناك حاجة إلى إصدار أى قرار مكتوب ، وكانت المؤسسات الصحفية تفصل من تشاء ، فى أى وقت تشاء ، وكان معروفا عن صحيفة الجمهورية أن لها موسما سنويا للفصل ، وفى إحدى المرات تجاوز الفصل ١٢٠ محررا ولم يكن أحد يجرؤ على مقاضاة المؤسسة الصحفية ، كانت المقاضاة معناها تحدى حكم عبد الناصر وهذا يعنى أنه من الممكن أن يختفى الصحفى فى المجهول وإذا فصل الصحفى أو أوقف عن العمل ، فإن كل الجهات لا تتعامل معه ، الإذاعة والتلفزيون والناشرون ، قرار الفصل هو قرار اعدام ، ثم ابتكر أسلوب آخر وهو النقل الى مؤسسات القطاع العام مثل الأحذية واللحوم والثلاجات ، والبعض كان ينقل الى مصلحة الاستعلامات وعندما تولى هيكل رياسة مجلس إدارة أخبار اليوم نقل ٣٤ صحفيا بقرار منه إلى مؤسسات القطاع العام والاستعلامات .

وقد أوقفت عن العمل ثلاث مرات فى عهد عبد الناصر . كما أوقف أنيس منصور مرة . وحدث هذا أيضاً لعديد من كبار الصحفيين .

وكان عبد الناصر يحضر يوما مناورة عسكرية فتلقى خبراً أن على أمين رئيس مجلس إدارة دار الهلال وعبد الرؤوف نافع عضو مجلس الإدارة المنتدب اشتركا فى صياغة الاستقالة التى قدمها له عبد اللطيف البغدادى . فأمر عبد الناصر بالتليفون ، وهو يشهد المناورة العسكرية ، بفصل عبد الرؤوف نافع ونقل على أمين من دار الهلال إلى أخبار اليوم . وكانت هذه أخف عقوبة لعلى أمين الذى رأى بعد ذلك أن يعمل مراسلا متجولا للأهرام فى أوربا ، يكون مقره لندن ، ووافق عبد الناصر على ذلك .

وكانت مجالس ادارات الصحف تتغير بمعدل مرة فى العام ، باستثناء الأهرام ، ولم يكن أحد ليدرى الأسباب التى تختفى وراء هذه القرارات . وعندما أفرج عبد الناصر عن الشيوعيين قرر تعيين احمد فؤاد (رئيس بنك مصر) رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم ، وخالد محيى الدين رئيسا لمجلس إدارة روز اليوسف . ولكن خالد محيى الدين رجاه فى أن يتولى إدارة أخبار اليوم وقبل رجاءه . وأمر عبد الناصر بتعيين عدد كبير من الشيوعيين الذين أفرج عنهم فى دور الصحف وذلك حتى يروجوا للمبادىء الاشتراكية التى أختارها عبد الناصر ، وكانت الرقابة البوليسية دقيقة على كل تصرفات الشيوعيين . ولما تأكد عبد الناصر أن الشيوعيين فى أخبار اليوم استولوا على المناصب التحريرية الهامة ، قرر اقالة خالد محيى الدين . وعين هيكل رئيسا لمجلس ادارة اخبار اليوم الى جوار منصبه الآخر رئيسا لإدارة الأهرام . ولما قرر عبد الناصر أن يشرف

أنور السادات على مؤسسة أخبار اليوم كان الهدف أيضا إخراج محمود امين العالم القطب الشيوعى المعروف من منصب رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ، الذى اسند اليه بعد أن أبدى هيكل رغبته فى ترك أخبار اليوم . وفعلا أخرج محمود أمين العالم بعد اشراف السادات بوقت قصير لأسباب إدارية ، ولكن الحقيقة أن السبب كان سياسيا لأن محمود أمين العالم جعل صحف أخبار اليوم أكثر شيوعية .. من شيوعيتها تحت رياسة خالد محيى الدين .

وهكذا كان عبد الناصر يتصرف مع الشيوعيين ، كان حريصا جدا وحذرا جدا فى التعامل معهم رغم أنه أسند اليهم أعمالا فى الصحف وفى وزارة الثقافة وأصبحت لهم السيطرة على المسرح والسينما . وكان عبد الناصر يردد : الشيوعيون ليسوا مشكلة بالنسبة لى .. بقرار واحد استطيع أن أضعهم جميعا فى السجن .

وفى عهد عبد الناصر قدم مصطفى أمين إلى المحاكمة بتهمة التخابر مع المخابرات الأمريكية فى مصر . وجرت المحاكمة سرية أمام محكمة الدجوى المشهورة ، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وتوسط لدى عبد الناصر كثيرون للافراج عن مصطفى أمين ، منهم الصحفى اللبنانى الكبير سعيد فريحه ، ومحمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ، ووعد عبد الناصر بالافراج عنه ، ولكنه مات ومصطفى أمين فى السجن . وكان عبد الناصر يرسل هيكل لزيارة مصطفى أمين فى السجن وذلك ليعود ليروى له كل شىء عن مصطفى أمين فى السجن .. كانت هذه إحدى هوايات عبد الناصر ، أن يعرف كيف يعانى خصومه وكيف يتألمون .

وكانت مباحث أمن الدولة نشطة بالنسبة للمؤسسات الصحفية ، وقد جندت صحفيين عديدين وموظفين فى ادارات الصحف ، لكتابة التقارير عن كل ما يجرى فى هذه المؤسسات . وكان هؤلاء يكتبون التقارير وفق هواهم الشخصى . كما كان هناك التنظيم الطليعى السرى فى الصحافة تحت اشراف محمد حسنين هيكل . وقد فوجئنا يوما فى أخبار اليوم عندما كان أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية ومشرفا على مؤسسة أخبار اليوم أن سأل الدكتور قاسم فرحات المدير العام للمؤسسة « هل صحيح يا قاسم انك منحت سكرتيرتك عشرة جنيهات مكافأة » .. وكان هذا صحيحا ولكنه خبر تافه . ثم أخرج السادات من جيبه تقريرا حوى صفحتين كاملتين عن وقائع قدمتها أجهزة الأمن السرية ، والتنظيم الطليعى وزعمت أنها حدثت فى أخبار اليوم .

ولعل مؤسسة أخبار اليوم ومؤسسة دار التحرير هما المؤسستان اللتان تعرضتا لأكبر التغيرات والقلاقل .. مؤسسة أخبار اليوم لأسباب سياسية ومؤسسة دار التحرير لأسباب فشل إدارتها .

ثم صدرت قرارات تأميم الصحف ..

وقد عقد عبد الناصر اجتماعا حضره رؤساء تحرير الصحف بعد صدور قرارات التأميم ، وقد أظهر أصحاب الصحف تأييدهم الكامل لقرار التأميم وكان كل مطلبهم أن يستمروا فى العمل فى الصحف التى كانوا يملكونها ! وبسبب جو الإرهاب والرقابة على المكالمات التليفونية الداخلية والخارجية كان أصحاب الصحف يتعمدون أن يذكروا فى أحاديثهم التليفونية أنهم سعداء بهذا القرار . وتحدث احسان عبد القدوس من الخارج إلى زوجته فى القاهرة . وقال لها مبروك قرار التأميم !

وبكل أسف ــ فإن بعض كبار الصحفيين ــ أصحاب الأقلام المدوية أظهروا نفاقا ممقوتا لضباط الثورة . وقد حدث عندما تألف أول مجلس إدارة لمؤسسة أخبار اليوم بعد التأميم أن ترك محمد التابعى مقعده ليجلس عليه أمين شاكر (أحد ضباط الثورة) ويعرب عن أن هذا شرف كبير .

وكان بعض الصحفيين الذين يتصلون بعبد الناصر ينقلون إليه أخبارا عن زملائهم حتى ينفردوا بالاتصال به ونجح محمد حسنين هيكل فى قطع اتصالات عبد الناصر كلها واحتكارها لنفسه .

وهذا هو الوضع العام للصحافة عند وفاة عبد الناصر .

هيكل هو المسئول الحقيقى عن الصحافة ، الرقابة فى قمة شدتها . السفر الى الخارج لا يعطى الا بعد اجراءات بوليسية ، فصل الصحفيين يتم بالجملة ، قرارات الوقف عن العمل والمنع من الكتابة ، تتم تليفونيا . وحدث مرة أن اجتمعت الجمعية العامة لنقابة الصحفيين واتخذت قرارا شبه اجماعى ، بشطب اسم حلمى سلام من جدول الصحفيين لأنه استغنى عن خدمات عدد كبير من الصحفيين بعد أن تولى رياسة دار التحرير ولم يكن لهذا القرار أدنى أثر .

بل إن عبد الناصر فصل شيخ الصحفيين فكرى أباظة من دار الهلال بعد ان كتب سطورا عن الحرية والديمقراطية لا تزيد على عشرة فى بابه الهزلى الأسبوعى « الجاسوسة الحسناء » .. وكاد الرجل يفقد حياته من هول الصدمة فقد اعتاد طوال أربعين عاما على الذهاب إلى مكتبه فى المصور كل صباح وأسفرت كل جهود هيكل بعد بضعة أشهر عن أن يكتب فكرى أباظة اعتذاراً نشر فى الصفحة الأولى من الأهرام فى مقال أعلن فيه الولاء الكامل لعبد الناصر وأدمت هذه القصة قلوب الصحفيين .

ولا مجال فى هذا الكتاب للحديث عن النفس ، ولكننى أعرض ما حدث لى لإعطاء الصورة الصادقة عن وضع الصحافة فى عهد عبد الناصر .

عندما أعلنت الثورة عن اجراء انتخابات لمجلس الأمة فى عام ١٩٥٧ ، صدر بيان بأن الانتخابات ستكون حرة تماما وأن من حق جميع المواطنين الاشتراك فيها ، وصدقت هذه المزاعم ورشحت نفسى عن دائرة قصر النيل وكان المنافس هو مجدى حسنين أحد كبار الضباط الأحرار . وقد استخدم المنافس كل امكانيـات مديـرية التحـرير من سيارات وموظفين . ونقل آلاف الأسماء لكى تكون ضمن الدائرة الانتخابية . وكان شعارى فى الانتخابات « انتخبوا موسى صبرى الذى لم يؤسس مديرية التحـرير » مقابل شعاره « انتخبوا مجدى حسنين الذى أسس مديرية التحرير » . . وكانت دعوتى قائمة على أننى أريد دخول مجلس الأمة لكى أقول « لا » .. بشعار « كاتب حر لم يركع لحاكم » . .

ولما وجد عبد الناصر ، أن كل التقارير المقدمة اليه تؤكد فوزى أصدر قراراً بقفل ٥٥ دائرة على مرشحيها من الضباط الأحرار تقديرا لاشتراكهم فى الثورة ، وهكذا أخرجت من الانتخابات .

وكان يمكن أن يكون هذا الاجراء مقبولا لولا مـا اعقبه من وضعى فى قـائمة الممنوعين من السفر ، وحرمانى من الكتابة فى « الأخبار » لفترة طويلة . وتم الحرمان بحديث تليفونى من عبد الناصر إلى مصطفى أمين .

وصدر بعد ذلك قرار تليفونى ثان من عبد الناصر بوقفى عن العمل لأننى كتبت أربعة اسطر عن مذيعة التليفزيون « همت مصطفى » انتقدت فيها صوتها وهى تذيع استقبال جمال عبد الناصر فى الجزائر .. وقلت انه لم يكن صوت رجل .. أو صـوت سيدة .. وان ارتفاع صوتها جعله اشبه بصوت الماعز . ولم أذكر إسم المذيعة أو موضوع الاستقبال .

وقرر عبد الناصر وقفى عن العمل . وفشلت كل محاولات مصطفى أمين الذى نشر صورة لهمت مصطفى فى باب « اخبار الناس » وكتب تحتها إن الدول العربية تطلب تسجيلاتها بسبب نجاحها . ولكن هذا النشر لم يفلح فى أن يعدل عبد الناصر عن قراره الذى استمر قرابة ستة اشهر أمضيتها فى منزلى .

ثم صدر بعد ذلك قرار بإبعادى عن الصحافة ابعادا كاملا ، بحجة أننى حولت بقلمى قضية المؤامرة المتهم فيها شمس بدران وآخرين إلى قضية فساد حكم ، على الرغم من أننى لم أستخدم فى مقالاتى إلا ما اعترف به المتهمون أمام المحكمة عن وقائع اخفاء الذهب ــ الذى حصلت عليه مصر من السعودية ــ لحساب عبد الحكيم عامر . ورددت فى المقال ان ما خفى من وقائع الفساد لابد أن يكون أعظم . وأصدر عبد الناصر

هذا القرار بعد أن كان قد اجتمع بأعضاء اتحاد الصحفيين العرب وتحدث إليهم عن حرية الصحافة وتأمين الصحفي بعدم جواز نقله من عمله الصحفي .

وكانت فضيحة ، واستمع عبد الناصر إلى نصيحة هيكل ، بتأجيل القرار حتى تهدأ الزوبعة ، ثم صدر قرار بعزلي من رياسة تحرير الأخبار ونقلي إلى صحيفة الجمهورية دون أن يسمح لي بالعمل . واستمر ذلك حوالي العام ، حتى نجح أنور السادات في اقناع عبد الناصر بعودتي إلى « الأخبار » بعد أن عزل محمود أمين العالم .

خلاصة القول أن محمد حسنين هيكل أصبح الصحفي الأوحد ، في عهد عبد الناصر . وحتى في رحلات عبد الناصر إلى الخارج . كان قد بدأ باصطحاب عدد من رؤساء التحرير معه في هذه الرحلات ، ثم أوقف هذا التقليد ، وأصبح هيكل هو الوحيد الذي يسافر مع عبد الناصر ثم أصبح اسمه يوضع ضمن اعضاء الوفد الرسمي في المباحثات .

وكانت أخبار الدولة حكراً على هيكل .

وإذا استطاعت صحيفة أخرى — غير الأهرام — أن تحصل على خبر هام ، كانت الرقابة تمنع نشره ، لكي ينفرد « الأهرام » بنشره .

وتعرض هيكل لأزمتين : الأزمة الأولى ، قبل أن تتوثق صلته بعبد الناصر ، وعندما قدمت إلى عبد الناصر تقارير بأنه استغل وضع أحد كبار العاملين في الأهرام من أصل لبناني ، واشترى ضيعته في منطقة الأهرام بثمن بخس ، والمرة الثانية في أواخر عهد عبد الناصر عندما انتصر مركز القوة المقابل (علي صبري — سامي شرف) .. واقتنع عبد الناصر بأن هيكل حول « الأهرام » إلى مركز قوة لحسابه وأن أقرب الناس إلى هيكل في « الأهرام » يهاجم سياسة عبد الناصر ويسخر من دكتاتوريته ، وقدم إلى عبد الناصر شريط مسجل بما جرى من أحاديث في منزل لطفي الخولي . اشتركت فيها سكرتيرة هيكل وزوجها . وأمر عبد الناصر بالقبض على الجميع وسجنوا وحقق معهم وكان عبد الناصر قد فاجأ هيكل بتعيينه وزيرا للأعلام تمهيدا لعزله من الأهرام ، ثم وقعت أحداث الأردن (مذبحة سبتمبر) ، ودعا عبد الناصر الرؤساء العرب إلى اجتماعات القاهرة ، وكان هيكل هو المتحدث باسم المؤتمر ، ثم مات عبد الناصر في اليوم التالي لانتهاء أعمال المؤتمر .

ولكن فيما عدا ذلك . استطاع هيكل أن يحتفظ بموقعه وكانت النكتة المشهورة بين الصحفيين أن الصحف المصرية تصدر في أندونسيا ، لا في مصر باستثناء الأهرام .

ولم يكن « الاهرام » ينشر ردا او تعليقا لقارىء على مقال لهيكل أو عن أي شيء

ينشر فى الأهرام ولم يكن أحد يجرؤ على مقاضاة الأهرام ، وأعطى عبد الناصر كل الامتيازات فى الاعلانات الخارجية بعد صدور الأهرام من المبنى الجديد .. وكان ذلك محرما على المؤسسات الصحفية الأخرى .

ثم تولى أنور السادات رياسة الدولة ..

وأراد أن يفتح صفحة جديدة ، فى علاقة الصحافة برياسة الدولة وأعطى الصحافة احترامها الكامل ، وكان يعقد الاجتماعات المستمرة مع القيادات الصحفية ، لكى يشرح الموقف الخارجى والداخلى وكان يفتح المناقشات الحرة فى هذه الاجتماعات ويجيب على كل الأسئلة . ورد اعتبار فكرى أباظة عندما طالبه أن يجلس إلى جواره فى إحدى الاجتماعات الضيقة مع كبار الصحفيين فى استراحة القناطر بعد طرد الخبراء الروس . وطلب السادات من رئيس الوزراء الدكتور عزيز صدقى أن يترك مكانه على « الكنبة » التى كان يجلس عليها بجوار السادات ، ودعا فكرى أباظة إلى الجلوس بجواره ، وهو يناديه بلقب « استاذنا عم فكرى » .

وقد بدأ السادات فى أول عهده اتصالاته التليفونية المباشرة معى .. ومع هيكل .. ثم اتسعت هذه الاتصالات وشملت احسان عبد القدوس ويوسف السباعى وعلى حمدى الجمال وأحمد بهاء الدين وعبد الرحمن الشرقاوى وعلى أمين ومصطفى أمين وصلاح حافظ ومحسن محمد . ومحمد عبد الجواد الذى تدرج به الأمر إلى الاتصال اليومى بالرئيس السادات فى الساعة العاشرة من مساء كل يوم ، لكى يعرض عليه ملخصا لأهم الأخبار العربية والعالمية ، كما تلقتها وكالة أنباء الشرق الأوسط .. وأهم البرقيات الصادرة من المراسلين الأجانب من القاهرة . وفى السنوات الثلاث الأخيرة وبعد إصدار « أكتوبر » .. ثم « مايو » كان يتصل به أنيس منصور وإبراهيم سعده .. وعبد الله عبد البارى . ثم خصص يوم الأربعاء من كل أسبوع ، للقاء أنيس منصور عند الظهر وممارسة رياضة المشى معه ، وكان يستمتع بأحاديث أنيس منصور فى الأدب والفلسفة .

وشهدت الصحافة المصرية ، أزهى عصور ازدهارها ، بعد ثورة ١٥ مايو ، وبعد الغاء الرقابة على الصحف .. وكانت تنشر كل الآراء المؤيدة والمعارضة .. وجذب أنور السادات إليه عددا من أصحاب الأقلام اليسارية وقرب إليه عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ .. ثم عبد الستار الطويلة . رأى لطفى الخولى أكثر من مرة . وكتب لطفى الخولى الماركسى عدة مقالات امتدح فيهما ما أطلق عليه الساداتية وقارنها بـ « الناصرية » .. وقرب إليه أحمد حمروش (ماركسى) بعض الوقت .. حتى فقد ثقته

فيه عندما أرسله هو وأحمد فؤاد إلى السودان بعد قيام الانقلاب الشيوعى لضمان تأمين حياة الرئيس جعفر نميرى ، ولكن حمروش عاد بفكرة ان تعترف مصر بالانقلاب الشيوعى ، وكان السادات ينوى تعيينه عضوا فى اللجنة المركزية ولكنه عدل عن ذلك ، وأخذ موقف ابعاد حمروش عن أى نشاط سياسى . وطلب مرة عدم نشر مقالات أحمد حمروش لأنها كانت تعبر دائما عن الاتجاه الماركسى ثم عدل عن قراره بعد وقت قصير واتجه أحمد حمروش إلى الكتابة العادية فى الصحف الكويتية فقدمه إلى المدعى الاشتراكى مع هيكل .

المهم .. أن علاقة السادات بالصحافة سارت فى طريق هادىء لين حتى وقعت أحداث ١٨ و١٩ يناير .. وأجمع كل المسئولين فى الاجتماعات الرسمية السرية التى عقدها السادات على أن الاعلام كان له دور كبير فى إثارة مشاعر الناس فبدأ السادات يضيق من نطاق نشر الآراء المعارضة التى تحمل الآثارة .. وبعد اعلان نظام تعدد الأحزاب صدرت ، صحيفة « الأهالى » (لسان حال حزب التجمع) ثم صحيفة الشعب (لسان حال العمل) وصحيفة « الأحرار » (لسان حال حزب الأحرار) .

وفتحت « الأهالى » مدفعية ثقيلة ضد نظام الحكم وانتهجت سياسة نشر وتضخيم الأخطاء وفبركة الأخبار الكاذبة المهيجة ، وأعطت صورة أن النظام منهار ، وسلكت نفس الأسلوب حتى عندما توقفت عن الصدور بقرار من حزب التجمع ، احتجاجا على مصادرتها بأحكام قضائية ، وأصدرت نشرة حزبية منتظمة .. ومن الأمثلة الصارخة على الأكاذيب المثيرة نشر ما نشيتات توحى بضبط مؤامرة فى القوات المسلحة ، لا أساس لها من الصحة ، وكان الخبر المفبرك أن نيابة أمن الدولة تحقق فى تشكيل سرى لمجموعة من الضباط أطلقوا على أنفسهم اسم الضباط الأحرار ، وقد تصديت للرد على هذه الكذبة الكبرى وأثبت بالدليل القاطع ، أن بعض الأسماء التى نشروها وهمية ولا وجود لها فى القوات المسلحة ، كما أن باقى الأسماء ، يباشر أصحابها عملهم فى مواقعهم الرسمية بالقوات المسلحة .. وحددت هذه المواقع . وتحديت حزب التجمع أن يكذب سطرا واحدا مما نشرته ، وطبعا لم يكذبوا ، لأن قصتهم مفبركة ، وقد رشحنا مصطفى أمين وأنا زميلنا صلاح قبضايا لرياسة تحرير صحيفة « الأحرار » ، واقتنع مصطفى كامل مراد بهذا الترشيح ، وسألنى الرئيس السادات عنه فشهدت بأنه صحفى ناجح .. وحصل صلاح قبضايا على كشف بأسماء من وزعت عليه الشقق فى العمارات التى بنتها وزارة الاسكان وكان من بينها أقارب لأحد الوزراء . وغضب السادات من هذا النشر ، لأن المعلومات الرسمية التى تلقاها ، وصفت ما نشره صلاح قبضايا بأنه كذب . ولكن

الدكتور مصطفى خليل أبلغ الرئيس السادات، بأنه حقق الموضوع، ووضح أن ما نشرته « الأحرار » كان صحيحا، كما أن البيان الذى أدلى به محمد حامد محمود وزير الحكم المحلى فى مجلس الشعب، كان شبه اعتراف بصحة ما نشر فى الأحرار .. وتلقى الدكتور فؤاد محيى الدين معلومات أغلب الظن أنه أبلغها إلى الرئيس السادات عن أن مصطفى أمين وجلال الحماصى يشرفان سرا على تحرير « الأحرار » ويقترحان الموضوعات الكبيرة على صلاح قبضايا ويمدانه ببعض الأخبار، واتصل بى الرئيس السادات مرة وقال لى ساخرا « هل هذا هو صلاح قبضايا الصحفى الممتاز الذى حدثتنى عنه » وكانت اجابتى أنه صحفى ممتاز فعلا، ويجب أن نتوقع منه هذا الاتجاه وهو فى موقع المعارضة .. وقال السادات .. إننى أغفر كل شىء .. إلا الكذب المتعمد .. والإثارة المفبركة .. وكان السادات على حق بالنسبة لموضوعات عديدة نشرت فى « الأحرار » باستثناء موضوع توزيع الشقق على المقربين.

وعندما قرر حزب العمل اصدار صحيفته كان السادات مترددا فى أول الأمر لأن أمله خاب فى إبراهيم شكرى بسبب مواقفه المتناقضة، وشعوره بعقدة نقص على أساس أن الحزب من صنع السادات، ولم يكن هذا صحيحا، لأن إبراهيم شكرى هو الذى فاتح السادات فى إنشاء حزب العمل ووافق السادات.

وقد تحدثت إلى السادات فى هذا الشأن، وتحمست لإصدار الصحيفة وقال لى السادات « عندك حق .. ولكن من هو رئيس التحرير الذى اختاروه » فقلت له « اسمه حامد زيدان » .. وهو من الشباب الوطنيين ومن الملتزمين بثورة ٢٣ يوليو وأنه يحرر صحيفة اتحاد نقابات العمال وهنا قال لى السادات ضاحكا « أوعى يطلع زى قبضايا بتاعك » وضحكت وقلت له « إننى أثق ثقة كاملة فى حامد زيدان .»

وكان هذا فعلا ما يهم السادات أن يكون الصحفى على خلق، وأن يكتب عن صدق، ما يقتنع به ولم يكن يهمه حقيقة أن يكون الرأى معارضا، ما دام موضوعيا، ودون فبركة أو إثارة.

وصدرت صحيفة العمل واستمر صدورها وهى تؤدى دور المعارضة الشريفة المقصد حتى بدأ الدكتور حلمى مراد يشترك فى تحريرها بمقال أسبوعى بعد حل حزب الوفد لنفسه ودون أن ينضم إلى حزب العمل وهنا بدأ حلمى مراد يثير زوابع التشكيك وكانت أولها محاولة التشكيك فى نزاهة الدكتور مصطفى خليل فى صفقة التليفونات.

ثم أصبح الدكتور حلمى مراد نائبا لرئيس الحزب وفرض سيطرته الكاملة على كل ما ينشر فى الصحيفة ولم يستطع حامد زيدان أن يقاوم نفوذ حلمى مراد وبدأ حامد

زيدان نفسه ، يعنف فى مقالاته ويسعى إلى الأخبار الكاذبة المثيرة لكى يوازن سلطنه كرئيس للتحرير أمام سيطرة حلمى مراد .

وذات يوم كنت فى زيارة للرئيس السادات .. فقال لى ضاحكا وكان قد فرغ من قراءة صحيفة « الشعب » أمامه « حامد زيدان بتاعك طلع أنيل من قبضايا » وقلت للرئيس : « يا ريس .. هذا كله من فعل حلمى مراد لا حامد زيدان إننى لا أزال أثق فى سلامة نوايا زيدان ولا تنسى الأجواء المحيطة به » .. وضحك السادات وهو يقول لى بلهجته العميقة « يا راجل بطل دفاع عمال على بطال بقى الحكم النهارده زى حكم إسماعيل صدقى ؟ أهوه ده اللى كاتبه صاحبك » .

ودأب حلمى مراد على أن ينشر ، كل ما يثير شخص السادات ومن ذلك ما كتبه عن الوضع الدستورى للسيدة جيهان السادات فى وقت كانت تؤدى فيه أجل الخدمات الاجتماعية .

ولكن موقف صحف المعارضة ، لم يكن يهم الرئيس السادات بقدر ما كان يهمه سيطرة الشيوعيين ومن يلبسون قميص عبد الناصر ، على نقابة الصحفيين وتحويلهم النقابة إلى حزب سياسى .

لقد جرت انتخابات نقابة الصحفيين خمس مرات فى عهد السادات الانتخابات الأولى فى عام ١٩٧١ وترشح فيها لمنصب النقيب على حمدى الجمال وحافظ محمود وكاتب هذه السطور . وقد تكتلت القوى الماركسية وقوى التنظيم الطليعى وراء على حمدى الجمال لإسقاطى ورفض حافظ محمود أن ينسحب ــ وطلبنا منه ذلك ــ حتى لا تتفتت الأصوات بينى ، وبينه . وسقط حافظ محمود وجرت الأعادة بين على الجمال وبينى . ونجح على الجمال . وكان محمد حسنين هيكل يقف مع هذه القوى لإسقاطى . وسخرت كل امكانيات « الأهرام » المادية لهذا الهدف . ولم يكن هناك فرق فى الاتجاه السياسى بينى وبين على الجمال . ولكن هذه القوى تكتلت ضدى لأننى كنت أمثل ١٥ مايو . وكان هدفهم طوال معركة الانتخابات اظهار ثورة ١٥ مايو ، وكأنها أنقلاب لينفرد أنور السادات بالسلطة . وحاولوا ترويج أن السادات أمر بمنع سامى داود ومحمد عوده من الكتابة . وشهد مصطفى بهجت بدوى رئيس مجلس إدارة دار الهلال وأحد أعضاء اللجنة التى أشرفت على الانتخابات بكلمة الحق . وقال ان هذا غير صحيح . وتزعم خالد محى الدين تحرك الشيوعيين ضدى ، رغم وعده لى فى منزله بأنه سيكون على الحياد .! ووضح من هذه الانتخابات التى كانت أول انتخابات لنقابة مهنية حقائق الاتجاهات السياسية التى سوف تظهر فى كل الانتخابات المهنية بعد ذلك ــ وأراد

السادات كذلك أن يثبت للقوى الشيوعية ولقوى التنظيم الطليعى أن محمد حسنين هيكل لن يكون مظلة حماية لهم . ولذلك قرر أن يغير مجالس إدارات الصحف بغير علم هيكل وصدرت قراراتها مفاجأة لهيكل . ومن هنا شعر هيكل أن السادات ، يقظ لكل تحركاته السياسية .

ثم جرت الانتخابات الثانية وترشح فيها لمنصب النقيب يوسف السباعى ويوسف أدريس . ونجح يوسف السباعى وثبت أن القوى الشيوعية وقوى التنظيم الطليعى . لا تستطيع أن تؤثر على اختيار النقيب ، وان كانوا نظموا أنفسهم للحصول على الغالبية فى أعضاء المجلس .

وجرت الانتخابات الثالثة وفاز بمنصب النقيب على حمدى الجمال أمام جلال الدين الحمامصى ، الذى دخل الانتخابات بوجه معارض تؤيده نفس تلك القوى ، وكان شعاره تحدى السلطة ، وفرض حرية الصحافة الكاملة ، بالتحرك الجماعى ، واعتمد فى هذه الدعوة على الشباب الذين كان يدرس لهم فى معهد الاعلام .

ثم جاءت الانتخابات الرابعة وفاز فيها بمنصب النقيب كامل زهيرى وكان الصحفيون المؤيدون للنظام ، هم الغالبية دائما ولا يزالون . ولكن كان ينقصهم التنظيم والتجمع ، لأنه لا يجمعهم حزب واحد ، أو تنظيم سياسى مثل الصحفيين الشيوعيين والناصريين اللذين كانوا يجيدون التكتل . ولذلك فإنهم كانوا يفلحون دائما ولو خسروا منصب النقيب فى أن يحصلوا على الغالبية فى أعضاء مجلس النقابة . وبذلك يصبح النقيب مقيد الحركة .

وكان ذلك يعنى سيطرة كل القوى المعارضة للنظام على النقابة وحدث فعلا أن تحولت النقابة ، إلى تجمع سياسى معارض وكانت أولى الآزمات عندما كان على حمدى الجمال نقيبا لأول مرة . وكانت القوى الشيوعية والناصرية والهيكلية ، تريد أن تصور أنور السادات رجلا يخدع الشعب بشعار الحرب ، وأنه لن يحارب . فى الوقت الذى كان فيه السادات يعد إعدادا كاملا لحرب أكتوبر . وأصدر عدد من الكتاب والصحفيين بيانا يسخرون فيه من هذا الموقف ، وحصلوا على توقيعات كتاب مستقلين مثل توفيق الحكيم ، حتى لا يكون مظهر البيان شيوعيا وعندئذ قرر السادات أن ينقل عددا من الصحفيين الذى وقعوا على هذا البيان — وأذيع فى الصحف العربية — إلى هيئة الاستعلامات . وبعد أن انتهى السادات من الإعداد الكامل للمعركة وحدد ساعة الصفر ، أعاد جميع هؤلاء الصحفيين إلى مواقعهم .

وعندما ثارت الفتنة الطائفية ، دعا كامل زهيرى إلى اجتماع عدد من الكتاب

والصحفيين البارزين من المسلمين والأقباط وكان الهدف الظاهر من الدعوة هو إصدار بيان يستنكر الفتنة ويدعو إلى تثبيت دعائم الوحدة الوطنية . ولكن عددا كبيرا من الماركسيين حضر الاجتماع دون دعوة .. وأرادوا أن يتحولوا به إلى اجتماع سياسى يعلن فيه أن إهدار الديمقراطية فى مصر ، هو سبب الفتنة . وفشل الاجتماع ولم يصدر عنه أى بيان .

ولذلك اهتم الرئيس السادات اهتماما بالغاً بالانتخابات .. التى جرت فى عام ١٩٨٠ . وكان فرسا الرهان لمنصب النقيب كل من جلال الدين الحمامصى وصلاح جلال . وكان جلال الدين الحمامصى قد بث دعوته وبنشاط واضح بين شباب الصحفيين ، على أنه رشح نفسه لانقاذ حرية الصحافة . وشن حملته على رؤساء المؤسسات ، وكبار الصحفيين المؤيدين للنظام ، وقد دعا السادات الأغلبية الصامتة بين الصحفيين — وكلهم من مؤيدى النظام — أن ينظموا صفوفهم وتم الاتفاق على انتخاب صلاح جلال . وأشرف الحزب على تنظيم الحملة الانتخابية ممثلا فى منصور حسن وزير الاعلام . وكانت معركة ساخنة جدا ونجح تنظيم الحملة الانتخابية وحضر للتصويت أكبر عدد من أعضاء النقابة بما لم يحدث من قبل . ونجح صلاح جلال بغالبية كبيرة ودون إعادة . وكانت إذاعات دول الرفض تدعو لانتخاب كامل زهيرى والمرشحين الماركسيين والمعارضين لعضوية المجلس . وكانت الانتخابات للعضوية هى للتجديد النصفى ونجح تنظيم المعارضين فى أن تكون الغالبية فى أعضاء المجلس للاتجاهات المعارضة .

وكان نجاح صلاح جلال دليلا متجددا ، على أن الصحفيين المؤيدين للنظام هم الغالبية الكبرى . ولكن بقى مجلس النقابة بالاغلبية المعارضة داخله من الماركسيين وغيرهم .

وكان السادات يرى أن السيطرة على المجلس من هذه الاتجاهات تتحول بالنقابة إلى حزب سياسى .

واستخدم السادات أسلوبه ، الذى وصفه الدكتور رفعت المحجوب بحق ، بأنه حمل وديع له زئير الأسد . فصدر أول تصريح على لسان الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ، بأمكانية تحويل نقابة الصحفيين إلى ناد للصحفيين مثل نادى القضاة . ورغم أن هذا التصريح ، قد كذب ، بعد أن أحدث صدى سيئا بين كافة الصحفيين ، إلا أن السادات كان يرى أن الصحافة مشكلة يجب أن تجد الحل السليم الذى يمنع سيطرة القلة المنظمة المناهضة على نقابة الصحفيين وتكهرب الجو كثيراً .

واستطاع حافظ محمود ، فى اجتماع دعا إليه السادات عددا كبيرا من القيادات الصحفية ، وأعضاء مجلس النقابة . فى المعمورة ، أن يجد الحل الوسط ، الذى يهدىء من حرارة الأزمة . اقترح حافظ محمود فى هذا الاجتماع ، أن تشكل لجنة من الصحفيين أنفسهم ، يضعون مشروع قانون الصحافة ، ووافق السادات على الاقتراح ، وأتمت اللجنة مشروع القانون الذى صدر بعد ذلك ، ولكن لائحة القانون التى أصدرها مجلس الشورى . جاءت بنصوص جديدة تضع كثيرا من القيود ، واحتج الصحفيون المؤيدون للنظام . وألغيت من اللائحة مواد عديدة . ثم تشكل المجلس الأعلى للصحافة .

ونبتت فكرة « عيد الصحافة » ، ودعا صلاح جلال النقيب الجديد ، إلى حفل كبير لتكريم قدامى الصحفيين بمنحهم أوسمة . وتحدث فى هذا الاجتماع صلاح جلال ، وحافظ محمود وقد اثنى كل منهما على السادات أعظم الثناء ، ثم تكلم السادات وكان قد كلفنى باعداد خطابه فى ذلك الحفل ، وكان مهتما بالغ الاهتمام بهذا الخطاب لأنه أراد أن يكون الخطاب تهدئة للأجواء الصحفية وطمأنة لعلاقة النظام بالصحافة ، وإزالة للجفوة الطويلة التى وقعت ، دون أن يأخذ شكل التراجع من وجهة نظره ، فيما يجب أن تكون عليه رسالة الصحافة بعد أن نادى السادات بأن تكون السلطة الرابعة . وقد أرهقت نفسى إرهاقا شديداً فى إعداد هذا الخطاب .. بحيث يكون محاضرة علمية عن الصحافة المصرية ، فى تاريخها البعيد والقريب ، وفى حاضرها المعاصر . وقد عثرت بمعاونة زميل كبير على لائحة آداب المهنة التى وضعها كامل زهيرى ووافقت عليها الجمعية العامة للنقابة . ولم يكن السادات يطالب الصحافة بأكثر مما نصت عليه هذه اللائحة ، بل أقل كثيرا . وكانت مفاجأة الخطاب ، أن الرئيس السادات أعلن نصوص هذه اللائحة التى كانت مختفية . وأعلن السادات عن دعوته لكل صحفى فى الخارج ، أن يعود إلى مصر آمنا ومؤمنا .

وكان السادات سعيدا جدا بهذا الاجتماع .

وكان أكثر سعادة بالخطاب . وقال لى فى مساء ذلك اليوم .. إنه يعتبر هذا الخطاب ، فى أهمية خطابه فى القدس أمام الكنيست !

وقلت له : مش معقول يا ريس

وقال : صدقنى .. هـذا الخطاب عنـدى له نفس الأهميـة ، لأننى حريص عـلى الصحافة ، وحريص على أن يفهم الصحفيون وجهة نظرى ، بعيدا عن الدعايـات المغرضة ، وحريص على أن تبدأ الصحافة عهدا جديدا ، يمـارس الحريـة الممارسـة الصحيحة ، ويغير أسلوب تصفية الحسابات ، وكان الجو فى الفترة الأخيرة قد تسمم

وجاء هذا الخطاب ليوضح كل شيء ..

وهكذا كان الاحتفال بعيد الصحافة .. وخطاب السادات فى ذلك الاحتفال بعد كلمات الترحيب الملتهبة بالسادات « الصحفى وصاحب القلم » من صلاح جلال ، وحافظ محمود .. هو نهاية المطاف فى الأزمات بين السادات والصحافة . كان هذا الاحتفال تكريما من النقابة للسادات .. وكان خطابه تكريما للصحافة .

والواقع أن الرئيس السادات فكر طويلاً فى حل لوضع الصحافة المؤممة منذ عام ١٩٦١ .. لقد أمم عبد الناصر الصحافة ، وصدر قانون بتأليف مجالس إدارة ، تدير الصحف بالنيابة عن الاتحاد الأشتراكى العربى ، دون أن تكون هناك اختصاصات واضحة لمجالس الإدارة أو لمسئوليات العضو المنتدب ، وكان تعيين رؤساء مجالس الإدارة ورؤساء التحرير وعزلهم بقرار من رئيس الجمهورية بوصفه رئيساً للاتحاد الاشتراكى العربى مثار نقد ، ومظهراً لأن المسئولين فى الصحف هم صنيعة رئيس الجمهورية ، ومن ثم فانهم مجرد أدوات للتعبير عن سياسته وآرائه ، كما أن العلاقة الدائمة بين المؤسسات الصحفية ، والاتحاد الأشتراكى العربى لم تتحدد ، ولم تتجسم ، ونسب إلى رؤساء مجالس الأدارة ورؤساء التحرير أنهم يتصرفون داخل الصحف ، بغير أدنى نوع من الرقابة ، وأن حمايتهم فى الأستمرار فى مناصبهم مستمدة فقط من مدى رضاء رئيس الجمهورية عنهم ..

وبعد أن ألغى السادات الرقابة على الصحف ، لم يعد هناك أدنى اتصال بين الصحافة كجهاز اعلامى ، وبين باقى أجهزة الدولة باستثناء الاتصال الشخصى بين رئيس الدولة وعدد من رؤساءتحرير الصحف وأصبحت صورة المواقف السياسية والداخلية واضحة للصحفيين بسبب الاجتماعات العديدة التى كان يعقدها رئيس الدولة مع الصحفيين وكذلك رئيس الوزراء والوزراء الهامين . كما أن صدور صحف المعارضة بغير أدنى التزام حتى بالخطوط العريضة فى المسائل القومية كل ذلك انتج نوعين من الصحافة .

صحافة مؤممة أصبحت تتمتع بحريتها ، مع التزام عام بسياسة الدولة وبالأساسيات فى السياسة الداخلية .

وصحافة حزبية تنشر ما تشاء بل أصبح التزامها الأول تشويه كل ما يجرى خارجياً وداخلياً بالاثارة وفبركة القصص الكاذبة .

ومع ذلك فقد ركزت الصحف المعارضة هجومها على الصحف المؤممة ونشط الشيوعيون ولابسو قميص عبد الناصر ، فى الهجوم على الصحف المؤممة . واتهام رؤساء

تحريرها بالنفاق وقتل الاراء الحرة ، وانهم كلاب السلطة .. وان رؤساء مجالس الادارة يتصرفون وكأنهم أصحاب عزب ! .

فى هذه الاجواء اراد أنور السادات ، أن يصدر قانونا ينظم ملكية الصحف المؤممة ويحدد اختصاصات رؤساء مجالس الادارة ورؤساء التحرير ويضع ما نسميه القيادة الجماعية لتحرير هذه الصحف وما يتيح الفرصة للشباب أن يتولى المناصب الهامة فى الصحف التى كانت حكراً على عدد محدد من كبار الصحفين ينقلون من مؤسسة إلى أخرى ولكنهم لا يتغيرون .

وبعد تغير النظام السياسى للدولة وقيامه على تعدد الأحزاب ، انتهى وجود الاتحاد الاشتراكى العربى ، ومن ثم اختفى المالك المفترض للصحف المؤممة ولم يعد لها مالك ..

وفكر السادات أساساً فى انشاء مجلس الشورى بغير اختصاصات تشريعية ، وأصبح من أهم اختصاصاته ملكية الصحف وتعيين رؤساء مجالس الإدارة ونصف اعضاء هذه المجالس من المحررين والاداريين والعمال ، كما قرر اعادة تشكيل المجلس الأعلى للصحافة بقانون وحدد له اختصاصات واضحة فى الرقابة على ميزانية الصحف .. واستتبع ذلك اصدار قانون للصحافة يحمى حقوق الصحفيين ويحدد واجباتهم بدلاً من قانون المطبوعات القديم .

وكان عبد المنعم الصاوى وزير الاعلام من قبل قد فكر فى وضع مشروع قانون للصحافة ، وثار هجوم عنيف ضد المشروع قبل أن يولد وقد رجوت السادات وقف هذا المشروع لأنه سوف يثير المشكلات دون أن يحلها ، لأن المشكلات تحتاج إلى دراسة شاملة ، وفعلاً وافق الرئيس السادات وأمر بسحب المشروع وعدم عرضه على مجلس الشعب .

وكنت فى لقاء مع الرئيس السادات ، بعد أن كان قد انتهى اجتماعه بالدكتور صبحى عبد الحكيم الذى اختاره الرئيس لرياسة مجلس الشورى ، قال لى الرئيس انه تحدث مع الدكتور صبحى عبد الحكيم فى أهم اختصاص لمجلس الشورى ، وهو ملكية الصحف وفى قانون الصحافة والمجلس الأعلى للصحافة ..

وأطلق السادات على الصحافة ، السلطة الرابعة .. ونص على ذلك فى الدستور .. واعترض البعض على هذه التسمية ، مع أنها ليست تسمية جديدة ، وقد درج الكتاب فى جميع أنحاء العالم على اعطاء الصحافة هذه الصفة .. وكان من — رأيى — ولا يزال — أنها تسمية معقولة لأن الصحافة عملياً هى أقوى السلطات أثراً فى الدولة وهى التى

تشكل الرأى العام وكان عبد الناصر يعطى أكبر وقته للسيطرة على الصحافة . وكان يقرأ كل السطور ، وكل ما بين السطور كما أن السادات كان مدركاً تماماً لأهمية الصحافة وعارفاً بخلفيات معظم الكتاب والصحفيين . وكان يشم بأنفه الصحفية رائحة الاتجاهات الواضحة والخفية فى سطور الكتاب ، وإذا كان مسموحاً لعدد محدود ، من كبار المسئولين فى الدولة الاتصال المباشر بالرئيس فان هذا الحق كان معطىً لجميع رؤساء تحرير الصحف .

ظهر هذا التفكير من الرئيس السادات خلال الأزمات التى جرت بين النظام ونقابة الصحفيين ، واتجه الرأى فى قمة هذه الأزمات إلى تحويل نقابة الصحفيين إلى ناد ، مثل نادى القضاة ، كما ذكرت . وعدل عن هذا الرأى .. ثم كان الاجتماع الذى عقده الرئيس فى المعمورة لعدد كبير من قيادات الاعلام ، وانتهى فيه الرأى باقتراح من حافظ محمود أن يضع الصحفيون قانون الصحافة بأنفسهم دون تدخل من أحد وشكلت لجنة لذلك . ولم أكن من بين اعضائها .

ووضعت اللجنة مشروع القانون .. وعرض المشروع على المكتب السياسى للحزب الوطنى الديمقراطى برياسة السادات ، وأقر المشروع ثم عرض على الهيئة البرلمانية للحزب .. ودعى رؤساء التحرير للادلاء بآرائهم .

وكان فى القانون نص على إحالة الصحفى إلى المعاش فى سن الستين مع مد خدمته عاما بعد عام بموافقة مجلس إدارة الصحيفة والمجلس الأعلى للصحافة ، حتى سن الخامسة والستين ، ونص القانون على أن من يتجاوز الستين لا يتولى منصب رئيس مجلس الإدارة أو رئيس التحرير ولا يكون عضواً بمجلس تحرير الصحيفة .

كما حدد القانون اختصاصات مجالس الإدارة ومجالس التحرير . ورؤساء التحرير ، واستحدث انشاء جمعية عامة تجتمع مرتين لها حق اقالة مجلس الإدارة والرقابة على الميزانية واقرارها .

وأعطى القانون حقوقاً واسعة النطاق للعاملين بالصحافة لتأمين حريتهم وعملهم ، كما أمن حق الرد على ما ينشر فى الصحيفة وأمن احتفاظ الصحفى بسرية مصادره ..

واحتفظ القانون لنقابة الصحفيين بكل حقوقها فى محاسبة الصحفى على مخالفة آداب المهنة .. واقتصر حق المجلس الأعلى للصحافة ــ الذى ضم جميع رؤساء تحرير الصحف بما فيها الصحف المعارضة ــ على أن يحيل الصحفى المخالف إلى نقابة الصحفيين ، ولم يستخدم المجلس الأعلى للصحافة هذا الحق منذ تكوينه .

وكان المشروع قد نص على انتخاب رئيس التحرير واعترضت على هذا النص فى

اجتماع الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى برياسة حسنى مبارك (نائب رئيس الجمهورية حينئذ) .. وقلت انه استجابة لمطالب الشيوعيين وفيه تخريب للعمل الصحفى لأن منصب رئيس التحرير الذى يقود العمل الصحفى لا يمكن أن يكون بالانتخاب وغضب منصور حسن وزير الأعلام ، وايدتنى غالبية الأصوات فى الهيئة البرلمانية وقرر حسنى مبارك الاحتكام فى هذا النص إلى الرئيس السادات ، الذى أيد وجهة نظرى .. وألغى هذا النص .

ووافقت على وضع حد سن الستين لتولى مناصب رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير ، حتى تتاح الفرصة لأجيال متلاحقة أن تمارس هذه المسئوليات على الرغم من أن عدداً كبيراً من النواب اعترضوا على هذا النص ، ولكننى اعترضت على احالة الصحفى إلى المعاش تحت أى ظروف .. لأن الكاتب ليس موظفا .. ولأن المؤسسات الصحفية لا تدخل فى ميزانية الدولة وهى التى تحصل على مواردها بعيداً عن الدولة ، وقلت ليس من المعقول احالة توفيق الحكيم مثلاً إلى المعاش ! .

ولكن الدكتور فؤاد محيى الدين أصر على هذا النص ، وكان الحل الوسط هو أنه من حق المؤسسة الصحفية أن تتعاقد مع أى كاتب بعد بلوغة سن الخامسة والستين .

وراج فى الوسط الصحفى حينئذ أن المقصود من هذا النص هو ابعاد مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصى عن العمل الصحفى ، وكلاهما جاوز الخامسة والستين ، وأن التعاقد معهما على استمرار الثمل سوف يخضع لرأى رئيس الدولة .

وقد صارحت الرئيس السادات بذلك ، وقلت له إن هذا النص فهم على أنه يعنى مصطفى أمين وجلال الحمامصى .

وأجابنى السادات بالنفى ، وقال لى إنه يرى استمرارهما فى العمل إلى ما يشاء الله ، وأبلغت مصطفى أمين والحمامصى بذلك ، كما طلب منى السادات أن أبلغ حافظ محمود ورخا وبيكار .. وكل أصحاب الأسماء التى تجازوت سن الخامسة والستين ..

ولم تثر المشكلات بالنسبة للقانون .

ولكن ثارت عند وضع مجلس الشورى للائحة التنفيذية للقانون فقد استحدثت اللائحة احكاما جديدة ليست موجودة فى صلب القانون وهذه مخالفة دستورية ، وكانت حملة ضد اللائحة ، وقد عارضت هذه النصوص وقدمت بحثاً فى ذلك استتبعه الغاء ٢٢ نصاً من اللائحة .

وهكذا هدأت كل الزوابع واحتفظت نقابة الصحفيين بقانونها ..

وصدر قانون الصحافة ، وتكون المجلس الأعلى للصحافة ، ولم يحدث ما يثير صفو العلاقات بين الصحافة وبين الدولة .

إلى أن التهبت أحداث الفتنة الطائفية .. وأصدر الرئيس السادات قرارات التحفظ ومن بينها قرار بالتحفظ على عدد من الصحفيين المعارضين .. لم يكن فى رأيى هناك أى داع للتحفظ عليهم أو لنقل عدد آخر إلى هيئة الاستعلامات ، فلم يكونوا من أصحاب التأثير فيما يكتبون أو فيما يدعون إليه وباستثناء هيكل ولكن التحفظ والنقل جعل منهم ضحايا وشهداء وأبطالا سياسيين .

ولكننى كنت أعلم من الرئيس السادات أن هذه القرارات ستلغى بالنسبة لهم فى شهر أبريل التالى عند إتمام الانسحاب الاسرائيلى ، وهذا الانسحاب هو ما كان يشغل ليل السادات ونهاره ..

ولكن شاء القدر أن يغتال السادات فى ٦ أكتوبر .. وأصبحت قضية الاعتقالات من أكبر الموضوعات التى اتخذت قاعدة للهجوم على سياسة السادات ، وعلى أنه قتل الديمقراطية ، وهو الزعيم الذى سعى إلى بناء الديمقراطية بعد عشرين عاماً من الدكتاتورية الكاملة .

الفصل الثامن عشر :

أزمة مصطفى أمين والحمامصى

الإفراج عن مصطفى أمين ــ السادات يرفض الإفراج .. ثم يقرره ــ قصة المحاولات مع السادات من عديدين ــ لقاء على أمين فى لندن ــ دور السيدة أمينة السعيد ــ هيكل لم يعلم بقرار الإفراج ــ مقالان بقلم مصطفى وعلى أمين فى الصفحة الأولى ــ هيكل ورحلة السادات ــ لقاء السادات مع التوأمين ــ السادات يطلب من إحسان عبد القدوس التوقف بعض الوقت عن الكتابة حتى تنتهى أزمة القذافى ــ تعيين على أمين فى الأهرام ــ خلاف مع كمال أبو المجد وزير الإعلام ــ فكرة على أمين تثير زوابع عديدة ــ السادات يغضب من نشر قضايا التعذيب فى عهد عبد الناصر ــ انقطاع صلة السادات بعلى ومصطفى أمين ــ قصة صلاح نصر ــ مقالات مصطفى أمين تأخذ اتجاها جديدا ــ أزمة الدفاع عن حزب الوفد الجديد ــ أزمة الهرولة إلى الحزب الجديد ــ السادات يدعو مصطفى أمين لحفل زواج كريمته ــ علاقة غريبة بين السادات والحمامصى بعد صداقة طويلة ــ قصة اتهام عبد الناصر بالإستيلاء على ١٠ ملايين جنيه كانت قرضا من ملك السعودية ــ السادات يهاجم الحمامصى فى مجلس الشعب ــ غضب السادات من اتهام عبد الناصر بالسرقة ــ السادات يسأل : أخبار اليوم ليست لقلم واحد فقط هو مصطفى أمين ــ أزمة نشر « فكرة » فى صحيفة الشرق الأوسط السعودية ــ قصة تعيين إبراهيم سعدة رئيسا لتحرير أخبار اليوم .

الفصل الثامن عشر

أزمة مصطفى أمين .. والحمامصي

كان أول انفراج حقيقى فى الصحافة فى عهد السادات ، هو الإفراج عن مصطفى أمين .. وقد صدر قرار عـزل هيكل من الأهـرام وتعيينه مستشـارا صحفيا ــ عـلى الورق ــ بعد ذلك بفترة قصيرة جدا . وربط الكثيرون بين الإفراج عن مصطفى أمين وعزل هيكل . على أساس أن الإفراج كان مقررا فى نفس الوقت ، لتعيين على أمين فى الأهرام ، ومصطفى أمين فى أخبار اليوم وبذلك تتم الموازنة .

والحقيقة للتاريخ أنه لم يكن هناك علاقة ما بين القرارين .

لقد تم عزل هيكل ، على خطوات تدريجية ، كما ذكرت فى فصل سابق

وتم الإبعاد بعد الإفراج عن مصطفى أمين . وأسندت رياسة الأهرام إلى الدكتور عبد القادر حاتم ، وكان يخشى أن يحدث أى اضطراب فى العمل فى الأهرام ، وخاصة من المجموعة الماركسية .. ولكن الدكتور حاتم لم يجد أية مشقة فى الاستمرار الطبيعى فى العمل فى الأهرام .

وقد بدأت الاتصالات بأنور السادات للإفراج عن مصطفى أمين منذ أن تولى الرياسة .

ولكن السادات كان يجيب إجابات عامة ، لا توحى بأى شىء ، أكثر من وعود ليست قاطعة .

شارك فى ذلك الصحفى اللبنانى المعروف المرحوم سعيد فريحة . وسمع وعداً من السادات . وأراد من هيكل أن يسهم فى ذلك ، ولكن هيكل رفض بل لام فريحة على جهوده .. وروى لى سعيد فريحة ، أنه قال لهيكل مرة :

– مصطفى أمين صديقى ، وأنت صديقى ، وربما تقع أنت فى هذا المأزق وستجد سلوكى معك . هو نفس سلوكى مع مصطفى أمين .

واستنكر هيكل ــ على حد قول سعيد فريحة ــ هذا الكلام من سعيد فريحة ، وهو يقول :

– أنا ؟! .. يحدث لى ما حدث مع مصطفى أمين ؟

وشاركت فى هذه المحاولات ، بأول طلب لى من الزعيم الشهيد ، أن يسمح لمصطفى أمين بالانتقال إلى مستشفى للعلاج . وكانت إجابة السادات :

– الإفراج عن مصطفى أمين الآن يحمل معنى سياسيا .. أما بالنسبة لأى طلب إنسانى ، فإنى لا أتردد فى الاستجابة إليه .

وأبلغت أسرة مصطفى أمين بذلك . ولكن قرارا بإحالته للمستشفى لم يصدر .

واندهشت وأخذت أنتظر بعض الوقت ، لكى أفاتح السادات فى هذا الموضوع للمرة الثانية .

ثم حدث ما أثار ذهولى ، لقد قصدت سيدتان إلى السيدة « داليا » حرم محمود أبو وافية ، وطلبتا منها إبلاغ رسالة إلى الرئيس ، بأن مصطفى أمين مظلوم ، وعهد السادات هو عهد رفع الظلم ، ووعدت السيدة حرم أبو وافية ، ورغم أنه ليس من طبيعتها أن تتدخل فى أى شىء ، ولكنها وعدت بالتحدث إلى الرئيس الذى كانت تناديه « أبيه » .. وتراه فى مقام والدها . وروت له ما جرى بشأن هذه الزيارة وإذا بالرئيس السادات يقول لها الإفراج عنه مستحيل .

ثم تدخل الأمير طلال بن عبد العزيز ، وهو صديق قديم لمصطفى أمين وتحدث إلى الرئيس بشأن علاج مصطفى أمين فى مستشفى خاص ، وقال له الرئيس إنه موافق على ذلك ، وأبلغ الأمير طلال أسرة مصطفى أمين ، ولكن هذا القرار لم ينفذ . وقد قصدت ممدوح سالم وزير الداخلية فى مكتبه واستفسرت منه عن سبب ذلك . فأجابنى بأن المقصود هو علاج مصطفى أمين فى مستشفى السجن ، وهذا ما هو حادث . ولكن ممدوح سالم صارحنى بعد ذلك وبعد إلحاح منى فى معرفة سر هذا الرفض بأن الرئيس لم يبلغه بهذا القرار .

وفهمت بطبيعة الحال أن السادات لا يريد .

وحدث أيضا أن طلب جلال الدين الحمامصى ، مقابلة الرئيس ــ والصداقة بينهما قديمة ــ وأوضح لمكتب الرئيس أنه يريد أن يقابله لكى ينقل إليه رسالة من على أمين الذى التقى به فى لندن لإبلاغها إلى الرئيس ، ولكن الرئيس لم يحدد موعدا لجلال الحمامصى .

وحدث أيضا أننى زرت لندن فى مهمة صحفية . وحرصت بطبيعة الحال على لقاء على أمين الذى كان قد أقام فى شقة هناك ، كما أقام مكتبا . وكان يكتب لصحف سعيد فريحة ، وكان يكتب فكرة فى صحيفة « الأنوار » بدون توقيع اسمه حتى يسمح بدخول « الأنوار » إلى القاهرة ، وبدأ ذلك بعد القبض على مصطفى أمين ، وكان هو فى لندن .

واستدعته النيابة العامة ولكنه اعتذر عن عدم الحضور بحجة المرض وكان هذا تصرفا حكيما منه ، فلا أمان ولا ضمان إذا حضر ، ولم أفترق عن على أمين لحظة واحدة فى الأيام القليلة التى أمضيتها فى لندن . وكان مطلب على أمين هو أن يسمح له بكتابة فكرة باسمه .

وفاتحت الرئيس السادات فى ذلك . بعد عودتى .. ولكنه لم يعلق بشىء .

ثم انتهزت فرصة أخرى وتحدثت مع الرئيس فى الإفراج عن مصطفى أمين بعد أن أمضى قرابة ٩ سنوات ، فى السجن وكانت إجابته أن الإفراج سيحدث فى الوقت الملائم ، ولكنه لن يكون إفراجا عن مصطفى أمين وحده ولكن بين مجموعة . ومر وقت .. ولم يحدث شىء .

إلى أن فوجئنا ، بخبر أن على أمين سمح له بالحضور إلى القاهرة !

وعرفت قصـــة الخبر .

لقد التقت به الكاتبة المعروفة السيدة أمينة السعيد فى لندن وحملها رسالة خطية إلى الرئيس يطلب فيها الإذن له بالحضور إلى القاهرة لزيارة شقيقه التوأم فى السجن ، والعودة بعد ذلك ، فهو لم ير شقيقه منذ ٩ سنوات . وتمكنت الأستاذة أمينة السعيد من إيصال هذه الرسالة إلى الرئيس ، الذى كانت إجابته : على أمين مصرى ، وأنا لا أمنع مصريا من دخول بلده ما دام لا يوجد أى مانع قانونى .

وكانت صلة على أمين بهيكل طيبة فى جميع الأحوال . ولذلك فإن على أمين صدق تحذير هيكل له ، من خطورة العودة ، لأنه سيتم القبض عليه فى مطار القاهرة . هكذا روى على أمين ومصطفى أمين بعد ذلك .

وطلب على أمين تأكيداً بأنه مؤمن فى عودته .

وعندما وصل إلى بيروت ، قصد إلى السفارة المصرية ، وطلب إرسال برقية رسمية ، بأنه سيحضر ، وأنه يريد أن يتلقى موافقة رسمية على ذلك .

وتلقت السفارة برقية تطمئن على أمين .

وأسرعنا إلى لقاء على أمين فى مطار القاهرة ..

كان لقاء الأفراح .. والدموع .. والشوق .. وحرارة الحب ..

ولم يطمئن على أمين إلا بعد أن خرج من المطار ، كأى مسافر عادى .. ولم يحدث له شىء مما حذره منه هيكل .

وكان مصطفى أمين مقتنعا ، على عكس على أمين .. بأن هيكل هو الذى اشترك فى

تدبير محاكمته وسجنه ، وأنه كان يستطيع أن يمنع ذلك . وروى مصطفى أمين أكثر من قصة تؤكد سوء نوايا هيكل نحوه . قال مصطفى أمين : أن هيكل زاره فى السجن ، لكى يظهر أمام الناس ، بأنه الصديق الوفى ولكن الحقيقة أنه كان يزوره بموافقة عبد الناصر ، لكى ينقل لعبد الناصر صورة كاملة ، عن مصطفى أمين داخل السجن وقد كان عبد الناصر من هواة هذا الفضول ..

وروى مصطفى أمين قصة أخرى دامية . قال إن ابنته ــ أى مصطفى أمين ــ لجأت إلى هيكل تشكو له الظلم الواقع على والدها ، فقال لها هيكل : يجب أن تعلمى أن والدك جاسوس .

وعندما تولى هيكل رياسة مجلس إدارة أخبار اليوم . مع الأهرام ــ بعد إبعاد خالد محيى الدين ــ وكنا على قطيعة لسنوات طويلة ، قال لى إنه شعر بالتقزز عندما استمع إلى التسجيلات التى أثبتت باليقين جريمة مصطفى أمين ..

وكان مصطفى أمين فى مرارة شديدة من هيكل . وقد روى لى أنه ــ وعلى ــ اشتريا شبكة الزواج لهيكل ، وأنهما أثثا له شقة من حسابهما الخاص .

ولكن على أمين حضر إلى القاهرة ، وهو مقتنع بأن هيكل سيساعده فى رؤية مصطفى أمين فى السجن ، وأن مصطفى يكره هيكل ولذلك لا يصدق ما يتخيله مصطفى أمين عن هيكل . وكان على أمين يلتقى بهيكل فى لندن لقاءات مودة وصداقة عميقة ، وقد عرف فى أسرة أخبار اليوم أن هيكل هو الإبن المدلل لعلى أمين .

حضر على أمين إلى القاهرة ورتب له أحمد رجب وأنا زيارة تعارف مع محمود أبو وافية . وكان على أمين لا يزال محتفظا بشقته فى عمارة « ليبون » بالزمالك نفس العمارة التى يسكنها أبو وافية . كما أن كريمته « منى » .. من زوجته الكاتبة السيدة خيرية خيرى على علاقة صداقة بصغرى كريمات أبو وافية وهى فى عمرها . وقال على أمين لمحمود أبو وافية إنه لم يتبق من العمر الكثير .. وليس من العدل أن يستمر مصطفى أمين سجينا وخاصة أن حالته الصحية تسوء ، وكان قد نقل إلى مستشفى قصر العينى . كما أن على أمين كتب رسالة شخصية إلى السيدة جيهان السادات ، فى سطور قليلة كانت قمة فى أدب التعبير عن أمله فى أن تساعده كإنسانة .. فى أن يعيش مع توأمه بقية أيام العمر وهى قليلة . وقد أخطأ على أمين فى هذه الرسالة .. وقال للسيدة جيهان إنه تعلم الهندسة فى نفس البلدة التى ولدت فيها فى إنجلترا . وقال له أبو وافية إن السيدة جيهان تقول لك إنها ولدت فى مصر من أب مصرى . وضحكنا . ولكن أبو وافية طلب من أحمد رجب ومنى أن تنتهز فرصة حفلة زفاف كريمة الرئيس السادات .. وكانت ستقام بعد أيام

ونحاصر الرئيس ونلح عليه فى طلب الإفراج عن مصطفى أمين .

وحضرنا حفل الزفاف ولم نستطع أن نتحدث إلى الرئيس فقد كان على المائدة الرئيسية ومعه كبار رجال الدولة . وكنا فى مائدة بعيدة . حتى فى فترة استراحته بعد العشاء ، أحاط بالرئيس عدد كبير من المدعوين وأضاعت علينا الفنانة فايزة أحمد فرصة التحدث إلى الرئيس فى إلحاحها على طلب شقة ! وقررنا أن نؤجل الموضوع إلى مناسبة أخرى ..

ولكن محمود أبو وافية ، أصر على أن نبقى حتى نهاية حفل الزفاف .. وبعد انصراف آخر مدعو ، ثم نتحدث إلى الرئيس .

وكان الرئيس وبجواره السيدة جيهان يودعان المدعوين عند المدخل الرئيسى ، وانتظرنا فعلا ، وكانت الساعة قد جاوزت الثالثة صباحا وأحطنا بالرئيس — محمود أبو وافية والسيدة قرينته وأحمد رجب والسيدة قرينته والفنان عبد الحليم حافظ وأنا والمرحومة قرينتى السيدة انجيل ..

وتحدث كل منا طالبا إلى الرئيس الإفراج عن مصطفى أمين . وركزت فى حديثى على أن حالته الصحية خطيرة ، وأنه يعانى من ارتفاع خطير فى ضغط الدم ، وجفاف الأوعية الدموية ، وقال أحمد رجب فى عصبية ، إذا كان لابد ياريس من سجن إنسان برىء . فأرجو أن تأمر بسجنى بدلا من مصطفى أمين . وقال أبو وافية إنك وعدت بإنصاف كل مظلوم .

ولم يتحدث الرئيس السادات ..

وكانت السيدة جيهان السادات تساند كل كلمة يقولها أى واحد منا وبحماسة ، وبصدق ، وبكل الرغبة فى إنقاذ سجين ، وقالت له : هذا فرح ابنتك ، وهى أسعد مناسبة لك ، فلماذا لا يسعد معنا صحفى كبير مثل مصطفى أمين ، وهؤلاء الذين يطلبون إليك الإفراج عنه ، هم رجالك الذين وقفوا معك فى ١٥ مايو ..

ولم تصدر عن الرئيس السادات كلمة توحى بأنه مقتنع ، أو بأنه سيفعل شيئا ، ولكنه لم يقل ، لا .

وتركنا منزل السادات قرب الفجر ، ونحن نحاول أن نفسر صمته .

وفى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالى فوجئت بمكالمة تليفونية من الرئيس السادات .

سألنى : أين على أمين الآن ؟

قلت : أكيد فى منزله ، أو فى زيارة مصطفى أمين فى قصر العينى .

قال الرئيس : قل له مبروك .. لقد وقعت اليوم قرار الإفراج عن مصطفى أمين وسيفرج عنه اليوم ، دون اتخاذ الإجراءات المعتادة .

وفقدت توازنى .. وصحت : صحيح ياريس .. صحيح ياريس .. ودعوت له .

وانتهى الحديث ، وقفزت من مكتبى إلى سيارتى الصغيرة ، وقدتها بأقصى سرعة إلى مستشفى قصر العينى . وسألت عن مكان مصطفى أمين .. فقد كانت هذه أول مرة أقصد المستشفى لرؤيته ، واستأذنت من حارسه أن أدخل للسلام عليه ، ورأيت مصطفى لأول مرة بعد تسع سنوات منذ القبض عليه .

هو راقد على سرير سفرى من أسرة المستشفى ومغطى « ببطانية » صوف . والحجرة بها مكتب صغير جدا . ومنضدة عليها سخان متواضع للقهوة . وكانت فى زيارته قرينته السيدة « إيزيس » التى تزوجها بعد الإفراج عنه بفترة قصيرة .

ارتميت عليه وأنا أبكى ..

وكنت أردد دون وعى .. مبروك .. مبروك .. صدر قرار الافراج ..

قال مصطفى أمين بهدوء .. لقد سمعت من قبل عشرات المرات عن قرارات إفراج لم تنفذ .

قلت : هذه المرة القرار سينفذ اليوم . الرئيس السادات بشخصه هو الذى اتصل بى وأبلغنى القرار .

وكانت فرحة كبرى ..

وسألت : أين على أمين ؟

فقال لى مصطفى أمين : إنه الآن فى مكتب مجلة الصياد فى القاهرة فى ميدان التحرير . ووصف لى العنوان . ثم قال : وعليك أن تذهب إليه على الفور لاحضاره لأنه مدعو إلى الغداء من هيكل فى الأهرام . ولو ذهب إلى الأهرام فإن هيكل سيزعم غدا أنه هو الذى سعى للافراج عنى . إلحقه بسرعة قبل أن يذهب إلى هيكل . ونزلت وأنا أقفز درجات السلم وكانت الأمطار تهطل بغزارة .

ووجدت على أمين وانتحيت به جانبا ، وأبلغته بالخبر هامسا .

وطلب على الفور الاتصال بهيكل للاعتذار . وفضلنا أن يترك ذلك لسكرتيرة فى مكتب الصياد ، لكى تتصل بمكتب هيكل وتبلغه بالاعتذار لأن مصطفى « تعبان »

وانحشر على أمين فى سيارتى الصغيرة بصعوبة ، وعدت به إلى المستشفى وكانت الفرحة فرحتين .

وتركتها وعدت إلى مكتبى بالأخبار . ولم أبلغ أحدا وكان احسان عبد القدوس يرأس مجلس إدارة أخبار اليوم حينئذ . وقررت أن أتكتم الخبر وأن أنشره دون علم أحد ، إلا سكرتير التحرير فى تلك الليلة وهو زميلنا إسماعيل محمود . واتصلت بمحمود أبو وافية . واتضح أن الرئيس اتصل به ، قبل أن يتحدث إلىّ ولم يجده . واتفقنا على أن يبقى الخبر سرا . واقترح محمود ابو وافية أن يكتب كل من مصطفى وعلى كلمة شكر فى «الأخبار» وطلب منى أن أرجو الرئيس فى هذا .. ولكننى قلت له .. عليك أنت بهذه المهمة . إننى لا أستطيع أن أطلب من الرئيس شيئا بعد أن أصدر قرار الافراج . وبعد وقت قصير ، اتصل بى محمود أبو وافية وقال لى إن الرئيس موافق .

فكانت فرحة ثالثة .

وكان الوقت قد وصل إلى حوالى الخامسة بعد الظهر .

وأسرعت إلى شقة على أمين . ووجدت لديه أحمد رجب وصلاح جلال .

وقلت له إن الرئيس وافق على أن تكتب كلمة .. وكذلك مصطفى فأرجوك أن تكتبها ، حتى أذهب إلى مصطفى أمين فى قصر العينى وأبلغه بذلك وأتسلم كلمته . وحذرت صلاح جلال من أن ينطق بحرف واحد فى « الأهرام » عن خبر الافراج أو عن الكلمة . وأقسم أنه لن يفعل وبرَّ بقسمه .

وجريت إلى قصر العينى وأبلغت مصطفى أمين .

وقام من سريره وهو يرتدى « روبا » شتويا .. وهو يقول : هاشوف ها أعرف أكتب وإلا .. لا ..

قلت له : أنت سيد الكلمة .

وأمسك بقلمه .. وفى أقل من خمس دقائق كان قد أنهى كلمته ، ودون أن يتوقف القلم فى يده ، ودون أن يشطب حرفا .. وهذه عادته .. السرعة الخارقة فى الكتابة دون شطب ، وكانت بعنوان «عصر العبور» .

وأبلغنى أنه فضل الانتقال إلى شقته فى الصباح التالى ، حتى يتم تنظيفها .

وعدت إلى على أمين وإذا بى أرى أمامه أكثر من عشرين صفحة ممزقة .

كان يشطب ويكتب ويمزق وهذه عادته وكان أحمد رجب وصلاح جلال يشتركان معه فى تعديل العبارة التى يتشكك فى سلامتها . ثم يمزق الورقة من جديد ، ويبدأ الكتابة

من جديد ، واستمر ذلك حتى الساعة السابعة من المساء !

وأخذت المقال وأسرعت إلى أخبار اليوم .

ثم طلبت سكرتير التحرير ، وأقفلت باب حجرتى ورسمت ما نطلق عليه فى لغة الصحافة «ماكيت» للصفحة الأولى من شكلين .. الشكل الأول عادى وبه كل ما كان موجودا من أخبار وموضوعات . والشكل الثانى تركت فيه عامودين على يسار الصفحة وكتبت له خبر الإفراج عن مصطفى أمين وسلمته المقالين بحيث ينشر كل منهما على عامود بما يملأ الفراغ الموجود فى الماكيت الثانى . وطلبت إليه أن يختص عاملا موثوقا به فى المطبعة ، لجمع الخبر والمقالين ، على أن يعود لى بالبروفة وأصول الخبر والمقالين لأجرى التصحيح على البروفة ثم أراجع التصحيح وطلبت إليه أن يوضح ذلك فى الصفحة الأولى فى آخر لحظة قبل « كبسها » وإرسالها للطبع .

ثم أعطيت تعليمات مشددة بعدم تسرب أى نسخة من الأخبار بعد الطبع إلى أية جهة . فإن العادة جرت أن ترسل نسخة إلى إدارة المطبوعات وفقا للقانون . وإلى وزارة الإعلام ، ثم إلى وكالات الأنباء الأجنبية التى تختار ما تريد نقله عن الصحيفة ، لكى يمكن أن تبرق به إلى الخارج ، مراعاة لفروق التوقيت بين مصر والعالم الخارجى .

وأخير رأيت أنه من غير اللائق ألا أخطر إحسان عبد القدوس . فأتصلت به فى ساعة متأخرة من الليل واكتفيت بأن قلت له : مبروك صدر قرار بالافراج عن مصطفى أمين وسوف ننفرد بنشر الخبر كما أن مصطفى وعلى سجلا بضعة أسطر للشكر .

ولم أزد على ذلك .

وعاد مصطفى أمين إلى شقته بالزمالك التى تحولت إلى مهرجان استقبالات يومية للمهنئين . وجاء هيكل يهنئه بصحبة أحمد بهاء الدين واستقبله مصطفى أمين ببرود ولم تنشر « الأهرام » خبر الافراج عن مصطفى أمين لأننا استطعنا أن نتكتم سرية الخبر ، ونشره هيكل فى الصباح التالى على أنه إفراج صحى مع عدد آخر من المحكوم عليهم من بينهم عباس رضوان(١) .

وكان الافراج صحيا فعلا ، ولكن نشره على أنه صحى ، يعنى أنه ليس فيه إلغاء لجريمة التجسس التى اتهم بها مصطفى أمين . ولا للعقوبة .

---

(١) ادعى هيكل كذبا ، فى كتابه الأخير عن الصحافة أنه نشر الخبر فى نفس اليوم ، وهذا غير صحيح تماما ، لأنه كان لا يعلم .

وكان ذلك يعبر عن أحقاد هيكل ، الذى أثر على الرئيس السادات من قبل عندما كان قد قرر الافراج عن مصطفى أمين فى وقت سابق ولكنه نصحه بأن ذلك يعنى معنى سياسيا هو الاتجاه إلى أمريكا ، فى وقت لم نكن قد أعدنا فيه العلاقات ، وفى وقت لم يفرج فيه ــ بعد ــ عن «الإخوان المسلمين» .

وكنا لا نأمل ــ على الإطلاق ــ أن يعود مصطفى وعلى أمين إلى العمل بالصحافة .

كان مطلبنا فقط هو الإفراج ، وكانت قصارى أحلام مصطفى أمين أن يتمتع بحريته ولكن الآمال دائما ، تقفز إلى خطوات أخرى ..

وجاء تعيين على أمين مديرا لتحرير « الأهرام » مجرد مصادفة .. كان على أمين يزور الدكتور عبد القادر حاتم فى منزله ، بعد قرار إبعاد هيكل عن الأهرام .. وكان يحضر الزيارة بسام فريحة .

وقال على أمين للدكتور حاتم إنه يريد أن يساعده فى منصبه الجديد كرئيس لمجلس إدارة الأهرام بأى شكل بلا منصب ولو كان عمله سكرتيرا فنيا للدكتور حاتم ..

واتصل الدكتور حاتم بالرئيس السادات ، وردد على مسامعه ما عرضه على أمين ، فكان رد الرئيس السادات : لا .. لا .. هوه على أمين مش عارف قيمته والا إيه على أمين يعين مديرا لتحرير الأهرام .

وكان الخبر مفاجأة كبرى !

ثم طلب مصطفى أمين أن يسمح له بمكتب فى « أخبار اليوم » يتردد عليه لاستقبال الزائرين فقط ولكن الرئيس أصدر قرارا بتعينه كاتبا فى مؤسسة أخبار اليوم .

وكتب مصطفى أمين أول مقال له . واخترت مكانه فى الصحفة الأولى بعنوان على ثلاثة أعمدة .. فى الجانب الأيمن من الصفحة الأولى .. واحتج إحسان عبد القدوس .. رئيس مجلس الإدارة على ذلك . وقال أن هذا المكان من الصفحة هو الذى يكتب فيه عندما ينشر مقالا فى « الأخبار » ونقلت المقال إلى اليسار فى الصفحة الأولى .. ثم قرأ إحسان عبد القدوس بروفة المقال وتحفظ على أكثر من عبارة فى المقال . وهنا غضب مصطفى أمين غضبة كبرى ، واندفع إلى مكتب إحسان وهو يحتج بأعلى صوته : إنت .. تشيل من مقالى . [وأجاب إحسان بهدوء] إنه عبر عن رأيه بهذه التحفظات ، ولكنه لا يمنع نشر المقال وهدأت الزوبعة .

ثم نشرت خبرا فى صفحة المحليات أن أسرة أخبار اليوم توجهت إلى قصر عابدين ــ أو أبرقت للرئيس ــ لا أذكر تماما ــ تشكره للافراج عن مصطفى أمين .

واحتج إحسان عبد القدوس على نشر الخبر . وقال إن أسرة أخبار اليوم « تعنى كل العاملين بها » .. والذى يريد أن يشكر ينشر باسمه .

ثم ولد اقتراح بين محررى أخبار اليوم بإقامة حفل تكريم لمصطفى أمين وعلى أمين فى نادى مؤسسة أخبار اليوم .. ورفض إحسان عبد القدوس الاقتراح .. وفكرنا فى إقامة حفل التكريم فى أحد الفنادق العامة ولكننا عدلنا عن الفكرة وشجعنا مصطفى أمين على العدول .

ونشرت مقالا كبيرا فى الصفحة الأخيرة مرحبا بعودة مصطفى أمين . وبدأ على أمين يباشر مسؤلياته فى الأهرام .

ثم عين رئيسا لتحرير الأهرام .. وبدأت معاركه السياسية مع الكتاب الشيوعيين فى الأهرام . نشر لمحمد سيد أحمد مقالا .. ورد عليه فى نفس الصفحة .

وبدأ يكتب « فكرة » فى الصفحة الأخيرة .

وبدأت الزوابع ضد على أمين . لقد دافع عن كريمة صاحب محلات شيكوريل أو أحد ورثته . فاتصل بى وزير الداخلية حينئذ وقال لى إن على أمين عائد إلى الصحافة المصرية بأفكار ما قبل الثورة . هذا هجوم على القطاع العام . ولم يكن لى دخل بهذا ، فأنا أعمل رئيسا لتحرير « الأخبار » ولكن اتصال وزير الداخلية بى كان بصفة شخصية لصداقتى بأستاذى على أمين .. ثم كتب مقالا عن ميكروفونات المساجد .. فاحتج أئمة المساجد .. إلى غير ذلك من مقالات « فكرة » التى كانت تثير استنكار عديدين كانوا غير مرتاحين لعودة على أمين .

وكنا نذهب إلى « الأهرام » مصطفى أمين وأحمد رجب وأنا فى أيام كثيرة ونقرأ « فكرة » قبل الطبع ، ونطلب من على أمين ، تعديل أو حذف بعض العبارات التى كنا نتوقع أن تثير إشكالات وكان يقبل بعد تردد .

وكان الرئيس السادات قد استقبل كلا من مصطفى أمين وعلى أمين فى استراحة المعلمين بالهرم . وقد اصطحبا معهما محمد حبيب المحرر السابق فى الأخبار والذى ترك الصحافة واشتغل بالأعمال التجارية فى أمريكا وقد أخبر محمد حبيب الرئيس السادات بأنه رأى هيكل فى مكتب مصرى رسمى فى واشنطن يطلب من رئيس هذا المكتب أن يكلف سكرتيرته بالحجز له فى كل مدينة سينتقل إليها الرئيس فى رحلته إلى أمريكا ، وفى نفس الفندق وكان هيكل فى أمريكا قبل سفر السادات إليها لأول مرة فى عهد الرئيس فورد عام ١٩٧٥ وأدلى بحديث نشرته «النيويورك تايمز» عن أن الأوضاع فى مصر منهارة ونشر الحديث قبل وصول الرئيس بيومين ، وكنا حينئذ مع السادات فى

باريس . وعرف من ذلك أن هيكل يريد أن يفسد رحلة السادات إلى أمريكا مستغلا علاقاته الشخصية بالصحفيين الأمريكيين ، كما طلب هيكل لقاء عدد من المسئولين فى الادارة الأمريكية ، وكان الموقف محرجا بالنسبة لهم .. كان هيكل قد أبعد عن الأهرام ومعنى استقبالهم له أنهم يرحبون بصحفى كبير على خلاف مع رئيس الدولة الذى سيحل عليهم ضيفا ، لأول مرة بعد إعادة العلاقات مع مصر .

كما أن الدكتور أشرف غربال أقام حفل عشاء فى مقر إقامته بالسفارة تكريما لهيكل . دعا إليه عددا من رجال السياسة والإعلام الأمريكيين ولم يكن السفير المصرى يقصد شيئا إلا أنه اعتاد على ذلك ، مع كبار الصحفيين الذين يحضرون إلى واشنطن . كما أن علاقته الشخصية وثيقة بهيكل ، منذ أن عين مستشارا صحفيا للرئيس السادات ثم سفيرا فى واشنطن . وفى ذلك الوقت كان هيكل صاحب حظوة كبيرة لدى السادات .

وعندما كان أشرف غربال قائما على المصالح المصرية فى أمريكا ، خلال قطع العلاقات ، كان هيكل على اتصال مستمر به ولكن الرئيس السادات غضب من تصرف الدكتور غربال كما استاء كثيرا من تعمد هيكل أن يكون فى أمريكا قبل رحلته إليها ، ثم هذا الحديث عن الأزمات الداخلية فى مصر . وأراد هيكل أن يصلح موقفه . ونشر تصحيحا فى نفس الصحيفة بأن الحديث كان مجرد دردشة ولم يكن للنشر . ثم فكر فى أن يبقى فى واشنطن حتى يصل الرئيس السادات . ويطلب لقاءه ، لتوضيح الأمر ، ولكن ذلك كان قد تكرر منه مرات قبل ذلك ، وتوقع أن السادات سوف يرفض لقاءه ولذلك غادر واشنطن إلى أوربا ، قبل أن يصل إليها الرئيس السادات .

وقال مصطفى أمين وعلى أمين أن الرئيس السادات روى لهما خلال استقباله لهما فى استراحة المعلمين بالهرم ، أنه كان قد قرر الافراج عن مصطفى أمين ولكن هيكل أخطره أن مصطفى يؤلف كتابا ضده مع على صبرى فى السجن . ورد مصطفى أمين على الرئيس السادات بأنه لم ير على صبرى فى السجن لسبب بسيط ، أن على صبرى كان فى سجن آخر ولا اتصال بين السجنين .

وعاد مصطفى وعلى أمين من لقاء الرئيس وهما فى قمة السعادة ..

وسافر مصطفى امين إلى لندن للعلاج والتقى بناصر النشاشيبى وروى له قصصا عديدة .. سجل ناصر أن مصطفى أمين رواها له على لسان السادات فى لقاء استراحة المعلمين . نشر ناصر النشاشيبى كل ذلك . وترك هذا النشر شعورا بعدم الارتياح لدى الرئيس السادات ، لأن حديثه معهما ، كان شخصيا وليس للنشر

وذات يوم نشر على أمين فى الأهرام حديثا أدلى به الرئيس السادات لصحفى أمريكى أو بريطانى . وفوجىء فى الصباح بأنه نشر فى مقدمة الحديث أن على أمين حضر هذا اللقاء . وهو ما لم يكتبه على أمين وتصور أن هناك مؤامرة ضده فى الأهرام للإيحاء بأنه يقوم بدور مخطط العلاقات العامة للرئيس مع الصحف الأجنبية . وأجرى تحقيقا فى الأهرام واتضح له أنه خطأ غير مقصود .

وذات يوم حضر الرئيس جعفر نميرى إلى مصر وفوجئنا بإشارة من مكتب الرئيس ، بأن الرئيس نميرى يريد لقاء على أمين وممدوح رضا وأنا فى استراحة جاناكليس التى كان يمضى بها السادات حينئذ بعض الوقت ، لقربها من المطار الحربى الذى كان سيقلع منه الرئيس فى رحلته إلى الخارج لحضور المؤتمر الإسلامى .

وطلبت بعد وصولنا إلى جاناكليس ، أن يكون لقاء الرئيس نميرى بعلى أمين أولا تكريما له .

وبعد أن تم اللقاء فى الدور الثانى من هذه الاستراحة الصغيرة التى بناها صاحبها من الأخشاب على شكل كوخ صغير .. جاء أحد سكرتارية الرئيس ، وقال لى أن الرئيس يطلب رؤيتنا على أمين وأنا .

ونزلنا إلى الرئيس ، وكان يجلس فى ركن صغير من شرفة بالدور الأرضى وقال على أمين : أكرر شكرى يا سيادة الرئيس على قرارك برفع الحراسة عنا ..

الرئيس (وكأنه لا يعرف) : هيه الحراسة ارتفعت .. مبروك ..

وضحك على أمين وهو يكرر شكره ، لأن الرئيس لا يريد حتى أن يذكر أنه اتخذ هذا القرار .

ثم جرى حديث عن الصحافة .. وقال على أمين للسادات :

فى رأيى أن أحمد بهاء الدين وعلى حمدى الجمال من الصحفيين الشرفاء الذين يؤيدون سياستك ولكنهما معذوران فى عدم الكتابة الواضحة لأنهما لا يعرفان الحقائق فلماذا لا تتصل بهما سيادتك وتسمح لهما بالاتصال بك .

وأيدت هذا الرأى بكل حماسة ..

وقال الرئيس إن أحمد بهاء الدين كاتب ممتاز . ولكنه لا يتخذ موقفا حاسما وإنما يمسك العصا من الوسط .

وقال على أمين : طبيعة بهاء هى الاعتدال ولكل كاتب منهجه ولا داعى مطلقا لأن يكون بعيداً عنك .

وقال الرئيس : على الجمال ولاؤه لهيكل وصلته قديمة بعلى صبرى ، وهو متأثر بذلك طبعا ، ولا أريد أن أحرج أحدا ..

ونفى على أمين ذلك . وقال إن هيكل لم يعط الفرصة أبدا لعلى الجمال ، إلا فى حدود ضيقة جدا .. ومسألة على صبرى هى علاقة صحفية ..

ولم يعترض الرئيس وقال إنه لا يحمل ضغينة لأحد ويريد جميع الاقلام من أجل مصر أنا لم أطلب من أحد دعاية لشخصى ولن أطلب وأريد ازدهار الصحافة» .

وهنا قال على أمين : إنه يستأذن الرئيس : هل تسمح لى سيادتك بأن أسافر معك فى رحلتك غدا إلى المؤتمر الاسلامى .

ورحب الرئيس ونادى أحد سكرتيريته . وقال له :

– اتخذ الاجراءات أن يكون الأستاذ على أمين معنا فى الرحلة على الطائرة وفى كل مكان نقيم به .

وسافر على أمين مع السادات وكتب تحقيقات مطولة عن الرحلة كلها تأييد لمواقف السادات . كما أنه كتب تحقيقا حاول فيه أن يزيل آثار الخلافات التى كانت قد بدأت بين السادات والقذافى وأرجع هذه الخلافات إلى معلومات خاطئة يتلقاها كل منهما ، والهدف هو الإيقاع بينهما .

●وكان على أمين يعمل فى الأهرام بطاقة شاب فى العشرين .. عملا متصلا ليل نهار وكان مصطفى أمين يكتب فى «الأخبار» .

ولكن احسان عبد القدوس لم يكن مستريحا كرئيس لمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم . شعر أنه بعودة مصطفى أمين ، أصبح غريبا وأن أسرة أخبار اليوم كلها متماسكة وأنه أصبح كالضيف غير المرغوب فيه .

وكان قد تعرض لأزمة عدم نشر ، بسبب مقالات كتبها ضد القذافى . ولما شكا القذافى إلى السادات . وطلب عزله من الصحافة قال له السادات : .. اشكه إلى القضاء تقدم ببلاغ ضده إلى النيابة .

وفعلا .. حدث .

ولكن السادات من الجانب الآخر ، طلب من الدكتور حاتم أن يبلغ احسان عبد القدوس بالتوقف عن الكتابة بعض الوقت حتى تستريح أعصاب هذا المجنون يقصد القذافى . وكانت العلاقات بدأت تتأرجح . ولكن السادات كان يقوم بمهمة ترويض القذافى والدفاع عنه أمام قادة الاتحاد السوفيتى .

وكان يحاول دائما أن يجعل علاقة القذافى بباقى الدول العربية علاقات طبيعية. ومرة دعا القذافى إلى مؤتمر قمة عربى يقام فى طرابلس، ووجه الدعوة إلى الملوك والرؤساء بطريقة غير لائقة. وغضب الملك فيصل ولم يحضر. وأذكر أن ثلاثة أو أربعة رؤساء فقط حضروا ذلك المؤتمر الفاشل، وحضره السادات وأمضى الليل بطوله فى حديث شخصى مع القذافى يطلب إليه أن يعدل عن سياسة توجيه الاتهامات إلى الجميع بالخيانة. قال له: أنا أتحملك لأنك فى مقام ابنى ولكل ما يربطنا. ولكن العلاقات بين رؤساء الدول لا تكون بهذا الأسلوب أبدا.

وكنا فى ذلك الوقت نقدم كل المساعدات للقذافى. إن مصر هى التى انشأت فعلا دولة الحكم الجديد فى ليبيا، وأنشأت وزارة الإعلام ودفعت بكل شركات القطاع العام إلى المشروعات الانشائية فى ليبيا وبدأ التعاون العسكرى وتدريب الضباط الليبيين سواء فى ليبيا أو فى مصر وذلك مع كل ما كنا نلقاه من صلف فى أسلوب المعاملة. وكان السادات يقول: معلهش .. هذه هى طبيعتهم البدوية.

وكان القذافى يتعجل أى مشروعات غير مدروسة للوحدة الاندماجية مع مصر.

وكان يتصور أن المستقبل له .. هو الشاب .. أما السادات فهو الشيخ الذاهب وكان يحلم بحكم مصر وقد نما هذا الشعور فى أحلامه، بعد أن أبلغه هيكل إن عبد الناصر كان يقول إنه يرى شبابه فى القذافى.

وحاول الرئيس السادات أن يقوم بالأسلوب الأبوى من شطحات القذافى كان يستقبله مع زوجته فى بيته .. استقبالا عائليا. حتى إن زوجة القذافى وصلت فى صداقتها بالسيدة جيهان أنها كانت تشكو لها من مشكلاتها العائلية الخاصة مع القذافى. وكانت ترى أن الرئيس السادات هو فى مقام والده الذى يستطيع أن يهذب من طيشه.

وأقول حاول الرئيس السادات أن يقنع القذافى بأن الوحدة لا تجىء هكذا بسطور على الورق ولابد من التدرج فى أبحاث الوحدة فى الشئون الثقافية والتعليمية والتشريعية خطوة خطوة وتألفت لذلك لجان عديدة. ولكن القذافى كان يتصور أن الشعب المصرى يريد الوحدة الاندماجية الكاملة مع ليبيا .. ولكن السادات هو العقبة خشية من زعامة القذافى! .. ومن أن القائد المرتجى للأمة العربية!

وأراد السادات أن يحسم الأمر بالحسنى. قال للقذافى: أنت الآن فى بيتك فى مصر من حقك أن تزور الصحف، وأن تتصل بكل الهيئات وأن تجتمع بمن تشاء ولن أتدخل فى هذا الأمر على الاطلاق، أمامك أن تدخل فى حوار مع من تريد لكى تتبين حقيقة رأى الشعب المصرى، بمختلف طبقاته وفئاته.

وزار القذافى دور الصحف ، وزارنا فى أخبار اليوم . وفوجئنا بأنه صحب معه أجهزة الاذاعة والتلفزيون الليبى وأنه دعا المراسلين الأجانب أيضا . ودخلنا معه فى حوار طويل وعرف القذافى أن الصورة التى كان يتخيلها غير صحيحة . بل إنه عقد اجتماعا فى مبنى الاتحاد الاشتراكى العربى قدمه فيه حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت وكان الاجتماع موضوعه ، تفسير أحكام الاسلام .. ودعى إليه رجال الدين الاسلامى والمسيحى . وقدم القذافى تفسيراته الخاصة لبعض آيات القرآن الكريم ، وكاد الاجتماع أن يتحول إلى نيران خلاف بين القذافى وبين رجال الدين . واضطر حسين الشافعى إلى رفع الجلسة للاستراحة على أن تعود للانعقاد ولم تنعقد .

وفى اجتماع آخر ، أبدى آراءه فى المرأة ودورها وأرادت السيدة أمينة السعيد أن تتصدى له بعنف ولكن السيدة جيهان السادات رجتها : أن .. يمر الاجتماع بهدوء . وقد اتفقت كلمة نساء مصر فى هذا الاجتماع ، على أن القذافى رجل متهوس .

وهكذا تركت هذه الاجتماعات اسوأ الآثار فى نفسية القذافى وقد حاول أن يلجأ إلى الحركة المسرحية بالزحف الشعبى على مصر الذى أوقف بحسم .. ثم سمح لعدد من الشباب الليبى بالحضور إلى اجتماع فى الاتحاد الاشتراكى رأسه المرحوم الدكتور حافظ غانم ثم تحدد لهم موعد مع الرئيس السادات وكان هذا الشباب مذهولا عندما عرف الحقائق وهى أن مصر ليست ضد الوحدة ولكنها لا تقبل الأساليب البهلوانية التى لا تقدم ولا تؤخر .

أعود إلى موضوع احسان عبد القدوس وأقول إنه مع يقينه أن امتناعه من الكتابة فترة من الوقت هو للصالح العام فإنه تألم من هذا الموقف .

المهم أنه بعد عودة مصطفى أمين طلب نقله من أخبار اليوم .

ثم عرف أن الرئيس السادات سوف يجرى تعديلات فى مجالس الادارات .

وكان على أمين يريد أن يستمر فى الاهرام رئيسا لمجلس الادارة . وكان اقتراحه أن أصبح رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم . وكان الدكتور عبد القادر حاتم مؤيدا لذلك . ولكن الرئيس أدرك أن معنى ذلك أن يسيطر على أمين على الأهرام ، وأن يسيطر مصطفى أمين على أخبار اليوم .. واننى باعتبارى صديقا وتلميذا لمصطفى أمين سأعمل بكل اتجاهات مصطفى أمين .

ودعانى الدكتور حاتم إلى اجتماع معه وعلى أمين فى الأهرام . وعرضا على فكرة رياسة مجلس إدارة أخبار اليوم . واعتذرت . وأصررت على الرفض وقلت لهما بكل وضوح ، إننى لا أريد هذا المنصب . كما أنه لا معنى لأن أرأس أخبار اليوم فى وجود

مصطفى أمين . وقال لى على أمين : أعتراضك غير منطقى لأننا نحن الذين نقترح ذلك .

وكنت على موعد سفر فى اليوم التالى إلى يوغسلافيا والنمسا مع الدكتور حافظ غانم ، فى رحلة سياسية مع وفد الاتحاد الاشتراكى العربى ، وطلب منى على أمين أن اعتذر عن عدم السفر ، ولكننى أصررت على السفر ، وغضب على أمين . فقد كان يخشى أن تحدث مفاجآت فى اختيارات رؤساء مجالس الادارة . وكان مقتنعا بأن وجودى يمكن أن يمنع هذه المفاجآت بحكم صلتى بالرئيس السادات .

وسافرت إلى يوغسلافيا فى اليوم التالى وجاءت الأنباء هناك باختيار احسان عبد القدوس رئيسا للأهرام . وعلى أمين رئيسا لأخبار اليوم ، واختيارى نائبا لرئيس أخبار اليوم . ولما عدت قال لى مصطفى أمين إن السادات قابل رؤساء مجالس الادارة الجدد واحدا واحدا . وقابله . وقال له : أريد منك أن تعيد صحيفة أخبار اليوم إلى مجدها القديم وأنه استأذن فى تعيينى نائبا لرئيس مجلس الادارة ، وإعادة جلال الدين الحمامصى كأحد رؤساء تحرير الأخبار وكنت رئيس التحرير المسئول .

وكان كمال ابو المجد وزيراً للاعلام فى هذه الفترة . وكان يفضل دائما أن يتعامل معى دون مصطفى وعلى أمين . وقد تجاهلهما فى أكثر من اجتماع عقده . وقد نبهته إلى ذلك ، وأفهمنى أن هذا موقف متعمد على أساس .. «وأن الرغبة هى فى التعامل معك ..» ورجوته ألا يكون الأمر كذلك . وفعلا تغير الوضع .

ولكن العلاقات بين ابو المجد ومصطفى أمين بدأت بتوتر وانتهت إلى أزمة .

كان يهم مصطفى وعلى أمين — بعد الافراج عنهما ومزاولة العمل الصحفى — أن تلغى العقوبة وأن تلغى الجريمة التى بسببها حوكم مصطفى أمين .

واتفق على أن يقوم الدكتور مصطفى ابو زيد المدعى الاشتراكى العام بهذه المهمة . وتقدم للشهادة عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس الثورة وشهد بأنه كان يعلم أن جمال عبد الناصر كلف مصطفى امين بمهمة الاتصال بالامريكان . وكان محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان الأسبق موجودا فى القاهرة ودعاه مصطفى أمين إلى مكتبه وهو صديق قديم . وطلب إليه أن يتقدم بالشهادة . وقال الرجل بكل بساطة إنه سيقول فى التحقيق ما سبق أن قاله لجمال عبد الناصر . وهو أن عبد الناصر كلفه بالاتصال بالأمريكان .. وهذا الاتصال يقتضى أن يبيع لهم بعض الأخبار ، مقابل الحصول منهم على أخبار .

وأصدر المدعى الاشتراكى مذكرة قانونية تزيل الجريمة وتزيل العقوبة .

وتحدث مصطفى وعلى أمين إلى الرئيس السادات عن إعلان هذه المذكرة ووافق الرئيس على أن يعقدا مؤتمرا صحفيا تدعى إليه الصحافة الأجنبية ويعلن فيه هذا القرار . وقد طلب اليهما الاتصال بكمال أبو المجد وزير الإعلام لإبلاغه بذلك .

وذهبت معهما إلى كمال أبو المجد فى مكتبه ورحب بالفكرة ولكنه طلب تأجيلها بضعة أيام حتى يتصل بالرئيس لترتيب الأمر .

ولكن الفكرة لم تنفذ . واتضح أن كمال أبـو المجد كـان معارضـا فى ذلك وأن السادات اقتنع بوجهة نظره .

وقد علمت بهذه الواقعة من الدكتور يحيى الجمل وزير الدولة حينئذ ، الذى قال لى إن كمال أبو المجد اتصل به بعد انصرافنا من مكتبه ، وسخر من الفكرة .

وهنا بدأ توتر العلاقات ، وتأزمت الأمور مع كمال أبـو المجد وكـانت مقالات مصطفى وعلى أمين تغمز فى وزير الاعلام .

هذه أزمة ..

والأزمة الأخرى سببها جريدة كان يصدرها اتحاد طلبة الجامعة وكانت تطبع فى الاهرام . وقيل ان أحد محررى الاهرام القريبين إلى هيكل كان يشرف على تحريرها . وكانت هذه الجريدة تصدر وفى كل عدد منها مقالات عنيفة ضد مصطفى امين وعلى امين ، وتذكر دائما بجريمة التجسس ، وبأن أخبار اليوم هى صحيفة الملك السابق .

وقيل أيضا إن كمال ابو المجد كان على اتصال بالشباب الذى يحرر هذه الجريدة وأن رأيه أن تترك لهم الحرية فى الكتابة كما يشاؤون .

وقد اتصلت بالرئيس السادات أكثر من مرة ، لكى أعرض عليه ما تنشره هذه الصحيفة ضد مصطفى أمين وعلى أمين ، وهما كاتبان مؤيدان للنظام وقال لى أكثر من مرة إنه سيبحث هذا الأمر . ولكن شيئا لم يحدث . وكان مصطفى وعلى أمين يؤكدان لى أنهما لا يريدان على الاطلاق الشكوى من هذا الهجوم عليهما ، فقد اعتادا على هذا الهجوم ، ولكنهما يشكوان من أنهما يؤيدان السادات فى ظل هذا الهجوم .. وهذا يعنى هجوما غير مباشر على السادات . ولكن استمرار هذا الهجوم أسبوعيا جعلهما يعتقدان أنهما فقدا شيئا من ثقة السادات ، وفى الوقت نفسه كان اتصالهما التليفونى بالسادات يخفف من وطأة الفكرة ، وخاصة أن على أمين كان يقابل السادات تقـريبا مـرة كل أسبـوع للحصول منه على «أخبار الغد» التى كان ينشرها فى الصفحة الأولى .

وقد أثارت «أخبار الغد» حملة من كل الجهات الرسمية ضد على أمين . لأنه كان يبدأ كل خبر بعبارة : قال لى الرئيس السادات .

وكان أسلوب على أمين . وهو أسلوب مدرسة التوأمين العملاقين فى الصحافة هو صناعة الخبر . ومعنى ذلك أن على أمين يعرض فكرة للاصلاح على الرئيس أثناء لقائه به .. وعندما يوافق عليها الرئيس يكتبها على أمين على أنها خبر جديد سيحدث قاله له أنور السادات .

وكان على أمين فى قمة النشاط . وكان يجرى دورة زيارات للوزراء المهمين فى مكاتبهم ليحصل منهم على الأخبار ، وفى خلال لقاءاته معهم كان يقدم لهم أفكاره الخاصة فى الاصلاح .

وذات يوم قال لى مصطفى أمين أن تقريرا سريا قدم إلى الرئيس السادات يقول ان الأخبار التى ينشرها على أمين بهذا الأسلوب تعنى أنه يضع الحكم كله تحت وصايته وأنه يقوم باعطاء دروس للوزراء أثناء زيارته لهم ، وهذا موضع احتجاج من كثيرين واشتركت مع مصطفى أمين ، فى أن نطلب من على أمين أن يعدل عن هذا الأسلوب .

وأعتقدا أيضا أن أشرف مروان لعب دورا أساسيا فى الايقاع بينهما وبين الرئيس السادات .. وقد أطلق على أمين على أشرف مروان لقب «الطفل المعجزة» .. وكانا يريان أن أشرف مروان يسىء إلى الرئيس عندما يجعله يقابل اصحاب الملايين من رجال الأعمال العرب .. وتنشر صور هذه المقابلات مما يحيط السادات بشبهات كاذبة .

وكان السادات يثق فى أشرف مروان ثقة كبرى ، ولهذا قصة طويلة سأعرضها فى موضع مقبل من هذا الكتاب ، وكان يستاء من الأخبار التى تمس أشرف مروان ، خصوصا إذا كانت معماة بدون اسم ، وبدون وقائع محددة ثابته .

وقد حاولت عقد مصالحة بين مصطفى وعلى أمين .. والدكتور كمال أبو المجد واتفقنا على تناول الغداء نحن الأربعة فى منزل مصطفى أمين ، لتسوية الخلافات . وبعد الغداء جلسنا فى غرفة مكتب مصطفى أمين فى بيته ، وبدأنا حديث التسوية ، وإذا بعلى أمين ينفجر بكل عصبية فى كمال ابو المجد ويوجه إليه كلاما قاسيا وكنت فى شدة الحرج ، ونزلت مع الدكتور ابو المجد وأنا أعتذر له عما حدث .

ثم وقعت أحداث عديدة . سأذكرها بغير ترتيبها الزمنى . انتهت إلى انقطاع الصلة تماما بين الرئيس السادات وعلى أمين لأن الاتصال المستمر كان مع على أمين ، وكان الاتصال مع مصطفى أمين متقطعا .

من ذلك ــ أن الرئيس السادات تحدث مع على أمين عن نواياه ، فى عودة الحياة الحزبية . وكان الرئيس يفكر فى حزبين قويين مثل المحافظين والعمال فى انجلترا والديمقراطيين والجمهوريين فى أمريكا وقد صارح على أمين بهذه الأفكار التى يريد

تحقيقها على أساس سليم اقتناعا منه بأنه لا سبيل أمام الحكم إلا الديمقراطية الصحيحة .

وبدأ على أمين فى نشر هذه الدعوة ..

ثم فوجئنا بحملة عنيفة ضد التوأمين من اتحاد العمال وذلك فى جلسات علنية كان يعقدها محمود ابو وافية للاستماع فى قضية الديمقراطية ، وقد أبلغنى ابو وافية أن الحملة قاسية جدا ، وأن الشتائم تنهال عليها وأن كل ما وجه اليها هو ترديد للاتهامات القديمة وأنهما كانا عملاء القصر الملكى ، وأعداء ثورة ٢٣ يوليو .. ثم تهمة التجسس .. وكان هذا يثار وبحماسة شديدة .

وأدركت ــ بالتشاور مع مصطفى أمين ــ أن هذه الحملة لا يمكن أن تكون طبيعية .. وأنها تمت بالقطع بتدبير سياسى من أجهزة النظام .

وقررت أن أحضر جلسة الاستماع ، ودافعت بكل حرارة عن موقف أخبار اليوم وعن تمسكنا بالمكاسب الشعبية التى حصل عليها العمال .. وأعلنت أننا قررنا إفراد صفحة خاصة للمسائل العمالية ، وحصلت على تصفيق حاد ، وشعرت أننا أنهينا الأزمة .

وكانت لذلك كله دلالاته .

ثم بدأ الرئيس السادات يستاء مما ينشر عن قضايا التعذيب فى عهد عبد الناصر . وكان غير مصدق أن التعذيب قد وصل إلى هذا المدى كما وصفه مصطفى أمين فى أول كتاب أصدره .

وكانت وجهة نظر مصطفى أمين أن مجد أنور السادات هو فى ثورة ١٥ مايو وهو فى إرساء قواعد الديمقراطية وإلغاء المعتقلات وبالمناسبة فإننى أسجل أن على أمين هو صاحب فكرة أن يذهب السادات إلى سجن طره لكى يحطم أول حجر ، بعد أن تقرر هدم هذا السجن ، وأعجبت السادات الفكرة ..

وكان السادات ضجراً من الكتابة عن عبد الناصر بهذا الأسلوب ، بعد إلغاء الرقابة على الصحف ، وخاصة أن الإذاعات العربية المعادية ، وفى مقدمتها إذاعة القذافى ـ بدأت تتهم السادات ، بأنه هو المخطط لهذه الحملة ضد حكم عبد الناصر ، وأنه يستخدم فى ذلك مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصى .

وقد أثار مصطفى أمين قضايا التعذيب على أوسع نطاق .

ونجحت دوائر كثيرة محيطة بالرئيس السادات فى مقدمتها ـ اشرف مروان ـ فى

إقناع الرئيس بأن مصطفى أمين وعلى أمين قد أصبحا عبئا على النظام ، وأن عودتها إلى الصحافة أصبحت تثير الأزمات للنظام وكان المفروض أن تدعمه .

وخلال ذلك كان أشرف مروان يتنقل بين مصر والعواصم العربية والخارج فى طائرة خاصة حصل عليها من أحد الحكام العرب ، ونشر على أمين أن الطفل المعجزة يستخدم طائرة خاصة فى كل أسفاره ، وغضب السادات . وكانت حجة بعض أفراد مكتب السادات الذين على علاقة طيبة بأشرف مروان ، أن هذه الطائرة هدية أولا .. وهى لا تتكلف إلا ثمن الوقود ، وأن الرئيس يكلف أشرف مروان بمهمات سريعة جدا لا يمكن استخدام الطيران العادى فيها ، كما أن التنقلات السريعة كانت أيضا لأعمال مؤسسة الصناعات الحربية العربية ، أى أن الدولة لم تكن تتكلف ثمن الوقود .. ولكن يسقط هذه الحجج أن أشرف مروان كان يستخدم الطائرة فى أسفاره الخاصة ، وكان يمكن أن يذهب إلى لندن أو باريس لقضاء سهرة ثم يعود فى اليوم التالى إلى القاهرة وكان هذا المظهر مسيئا إلى السادات لقرب أشرف مروان منه ..

وخلال ذلك أيضا بدأ هيكل محاولاته من جديد للتقرب إلى الرئيس السادات على أمل العودة إلى « الأهرام » وكان المهندس سيد مرعى مؤيدا لذلك . وقيل إن هيكل فى ظل هذا التقارب كان يسعى إلى إبعاد مصطفى أمين وعلى أمين من الصحافة ، وأن عودته إلى الصحافة سيواكبها إبعاد الاثنين . وهذا على الأقل ما وصل إلى أسماع مصطفى أمين ومما كان يشيعه هيكل .

وبدأ السادات يتباعد عن على أمين .

الاستجابة للاتصالات التليفونية بدأت تنخفض ثم قلّ عدد اللقاءات إلى أن حصلت قطيعة كاملة .

وتأثر مصطفى أمين ، أكثر ، أن السادات لم يسأل عن على أمين عندما دهمه المرض الخطير ونقل إلى المستشفى ..

ثم جاءت بعد ذلك القضية التى رفعها أحد المحامين ، مدعيا بالحق المدنى ضد صلاح نصر وعدد من رجالات المخابرات عن تعذيبهم لمصطفى أمين داخل مبنى المخابرات . وكان مصطفى أمين قد نشر أنه صلب ، وجسده عار . وشهد اثنان من الصحفيين كانا مسجونين فى قضية شيوعية بأنهما رأيا هذا التعذيب . وتوسعت الأخبار فى نشر أخبار المحاكمة أمام محكمة الجنايات . وكان صلاح نصر يعتقد أن هذه القضية تم رفعها بتوجيه من السادات . وهذا غير صحيح على الاطلاق فقد اتصل بى الرئيس وقال لى غاضبا : ماذا يريد مصطفى أمين ؟ لقد أفرجت عنه ، وهو يتمتع الآن بكل حرياته

ككاتب لماذا هذا الحقد ولماذا هذه الرغبة فى الانتقام . أطلب منه باسمى أن يتنازل عن هذه الدعوى .

وأبلغت مصطفى أمين بذلك ، وأبدى استعداده الكامل للتنازل وقال لى « يكفى أننى رأيت فى المحكمة صلاح نصر وراء القضبان .. وهذا هو انتقام السماء ولا يهمنى الحكم على صلاح نصر » .

وأبلغت الرئيس السادات برد مصطفى أمين وسعد به وقال لى : هذا فعلا موقف رجولة .. برافو .. برافو ..

وأشاد السادات بهذا الموقف أمام عدد من زائريه ..

ولكن مصطفى أمين عاد وأبلغنى فى اليوم التالى ، أنه اتضح له أنه ليس من حقه قانونا أن يتنازل ، لأنه لم يرفع الدعوى وأصبحت القضية فى يد النيابة العامة . وأبلغت الرئيس السادات بذلك ..

وصدر الحكم على صلاح نصر مدير المخابرات السابق ، وبقى فترة لتنفيذ الحكم فى المستشفى بسبب مرضه بالقلب .. ثم أفرج عنه السادات إفراجا صحيا بعد ذلك بمدة قصيرة ، ولكنه مات بعد ذلك ، وهو مقتنع بأن السادات هو الذى كلف مصطفى أمين بمقاضاته .. وهذا غير صحيح على الاطلاق ..

وفى هذه القضية ترافع شوكت التونى المحامى ، وطبع مرافعته بعد ذلك فى كتاب ، كان وثيقة اتهام قاسية لكل سنوات حكم عبد الناصر ، ولثورة ٢٣ يوليو التى وصفها بأنها انقلاب عسكرى .

وقد حدث أن أراد مصطفى أمين أن ينشر فى أخبار اليوم صفحة كاملة عن أن شعراوى جمعة أمر بإطلاق الرصاص على المتظاهرين من طلبة الجامعة بعد هزيمة ١٩٦٧ .. ولكننى طلبت منه رفع هذه الصفحة بعد أن اكتمل إعدادها للطبع .. وكانت حجتى أن هذه حلقة فى سلسلة الهجوم على حكم عبد الناصر .. وهذا ما يحرج السادات ، وقبل مصطفى أمين وعلى أمين رفع الصفحة ولكن بغير اقتناع . كانت رغبتهما فى تعرية حكم عبد الناصر أقوى من أية مشاعر أخرى ..

وحدث أيضا أن اتصلا بالسيدة فاطمة المفتى أرملة المرحوم الدكتور انور المفتى الذى كان يشارك فى علاج عبد الناصر وأسرته وكان عبد الناصر يستمتع بالحوار معه بعد أداء مهمته الطبية . وأذيع بين الناس أن أنور المفتى كان يردد فى مجالسه الخاصة أنه اكتشف من الحوار مع عبد الناصر أنه مصاب فى قواه العقلية وأنه أصبح غير مؤهل

للحكم .. لأن مرض السكر فى الدم يمكن أن يؤثر على توازن التفكير . وكان يحلل شخصية عبد الناصر بأنه كان يترك أهم شئون الحكم ويتفرغ لتحقيق واقعة قدمت إليه فى تقرير عن أن شخصا عاديا هاجمه فى مجتمع أو جلسة .. وكان لا يستريح إلا إذا اطمأن أن هذا الشخص قد اعتقل ، وكان الدكتور المفتى يروى هذه القصص فعلا ولكن لأصدقائه القريبين جدا ، وفى جلسات عائلية ، وقد تصورت السيدة فاطمة المفتى أن زوجها مات مسموما بأمر عبد الناصر لأن وفاته كانت مفاجئة تماما ، وقد أقنعها مصطفى أمين وعلى أمين بنشر هذا الاتهام ، ووافقت على النشر . وغضب السادات غضبا شديدا وهو يردد لى « هذا افتراء .. هذا تشهير .. عبد الناصر لم يكن قاتلا .. لماذا هذا الحقد .. » ..

ووقائع أخرى كثيرة من هذا النوع .. مثل خبر زواج أحد أبناء عبد الناصر من فتاة من عائلة البدراوى .. وقد نشر هذا الخبر فى الصفحة الأولى من أخبار اليوم ، وكانت دلالته أن الثورة تتزوج من الاقطاع .. وهو يحمل أكبر سخرية بأسرة عبد الناصر الذى قضى على الاقطاع .

وقائع أخرى كثيرة يمكن أن أروى منها العشرات ، حتى ان الرئيس السادات ، وبعد موت على أمين ، قطع اتصاله تماما بمصطفى أمين على الرغم من أن مصطفى أمين كان يؤيد وبحماسة كل قرارات السادات . وكان يردد « موقفنا مع نظام السادات » وذلك عندما بدأ جلال الحماصى مقالات هجوم مقنع على حكم السادات . لقد أيد مصطفى أمين فى أكثر من مقال وصف السادات لأحداث ١٨ و ١٩ يناير بأنها انتقاضة « حرامية » .. كما أيد السادات عندما أصدر قرارا ، فى أوائل حكمه بابعاد الصحفى البريطانى دافيد هيرست حديث عن مصر وكتب مصطفى أمين ما معناه أن إتاحة الحرية الكاملة للمراسلين الأجانب ليس معناها حرية الكذب والتشهير وتشويه الحقائق .. إلى غير ذلك من المواقف .

ثم بدأ مصطفى أمين يعدل عن موقف التأييد تدريجيا .

وبدأت مقالات « الموقف السياسى » فى أخبار اليوم ثم مقالات « فكرة » التى كان يكتبها يوميا بعد وفاة على أمين تأخذ اتجاها مخالفا وتتضمن كثيرا من الفخر غير المباشر ومنذ أن عين مصطفى أمين رئيسا لتحرير أخبار اليوم كان يكتب المقال السياسى الافتتاحى تحت عنوان « الموقف السياسى » .. وكان يكتب فكرة يوميا وكان يكتب باب « بريد القراء » كما كان ينشر قصة طويلة سبق نشرها فى كتاب على حلقات طويلة تستمر أكثر من عشرة أسابيع ، وكلما انتهى من كتاب بدأ نشر حلقات كتاب جديد ، كما

كان يكتب من حين إلى آخر فى آخر ساعة . كما كان يسجل التبرعات التى تتلقاها أخبار اليوم لليلة القدر على أنها تبرعات تلقاها مصطفى أمين ، وكان السادات قد وافق أيضا على أن يكتب فى صدر « أخبار اليوم » و « آخر ساعة » و « كتاب اليوم » .. عبارة « أسسها مصطفى وعلى وأمين » . وكانت قد حذفت بعد القبض على مصطفى أمين .

وبدأت تظهر معارضة مصطفى أمين لقرارات وحكم السادات فى كل ما كان يكتبه ولكن بأسلوب غير مباشر .

وفى الاستفتاءات التى دعا إليها السادات كتب مصطفى أمين عن الحرية والديمقراطية ومقاومة حكم الفرد والطغاة .

إلى أن تكون « حزب الوفد الجديد » برياسة فؤاد سراج الدين وظهر التحالف واضحا فى سطور مصطفى أمين بينه وبين الحزب الجديد . وكان فؤاد سراج الدين قد وصف ثورة ٢٣ يوليو بأنها انقلاب عسكرى ودافع عن الاقطاع ، وعن حكم الباشوات ، وأراد فى كلماته أن يسقط تماما كل الأسباب التى دعت إلى قيام ثورة ٢٣ يوليو .

وظهر فى « الموقف السياسى » فى أخبار اليوم .. مقال بقلم مصطفى أمين بعنوان « مرحبا بالوفد الجديد » . والمقال كله يوحى بأن عودة الوفد هى عودة الحرية وعودة حقوق الانسان وعودة الديمقراطية إلى آخر هذه المعانى كما أن الخبر الأول فى الصفحة الأولى كان مكتوبا بأسلوب يحمل هذه المعانى . وفوجئت بمكالمة تليفونية من الرئيس ..

ــ هل قرأت ما كتبه مصطفى أمين ؟..

فقلت : نعم :

فقال : هل أصبح مصطفى أمين وفديا ، أو أن أخبار اليوم أصبحت لسان حال الوفد الجديد ..

ولم أعلق واستطرد السادات .. وقد علت نبرات صوته فى غضب ..

ــ أنا لا أقبل هذا التحالف لضرب ثورة ٢٣ يوليو ، لقد عرفنا ونحن ضباط شبان قصص فساد حكم الوفد ، وبالذات فؤاد سراج الدين مما كان ينشره مصطفى أمين فى أخبار اليوم قبل الثورة ، لقد أقنعنا مصطفى أمين بهذا الفساد .. فهل يريد اليوم أن نعود إلى هذا الحال ..

ولم يتوقف السادات :

ــ أرجو أن تبلغ مصطفى أمين أن أمامه خيارين ، إما أن يكتب ابتداء من يوم

السبت القادم (أى بعد يومين) سلسلة فى أخبار اليوم مثل سلسلة « كيف ساءت العلاقات بين القصر والوفد » التى هاجم فيها سياسة الوفد وفساد حكمه ، لكى يفهم الجيل الجديد الحقائق ، وإما أن يترك مكتبه فى أخبار اليوم ويجلس فى بيته مستريحا ويصل إليه مرتبه حتى باب بيته ..

قلت : ياسيادة الريس مستحيل يبدأ الكتابة يوم السبت .

قال :هو قادر على هذا ، وهذا قرار منى أبلغه اليك ولا مجال للجدل فيه .

وحاولت أن أخفف من غضبه إلى أن انتهت المكالمة وهو يردد : « عيب الكلام الفارغ ده .. عاوزين نعلم الشباب الأخلاق .. هوه مصطفى أمين ناسى فضائح فساد الحكم فى الوفد اللى ملا بيها الدنيا .. دلوقتى مرحبا ؟.. مرحبا بايه .. بالفساد ؟ ده عيب ده .. ودى مش حرية صحافة . لازم يفهم مصطفى أمين أنه مش حيحكم مصر ومش هيهدم الثورة بهذا التحالف مع سراج الدين . مصطفى أمين زمان كان بيضرب الباب برجله ويدخل يقابل الوزير . كان يشترك فى تأليف الوزارات واسقاطها . هذا العهد مضى ولن يعود » .

وصعدت إلى مكتب مصطفى أمين فى الدور التاسع وأبلغته بكل ما جرى من حديث . وكان رد فعله الأول أنه لن يكتب ما طلبه السادات وكانت وجهة نظره أنه الكاسب لو منعه السادات من الكتابة . وكنت أقدر أن مصطفى أمين لن يستطيع الحياة إذا حرم من مكتبه فى أخبار اليوم . وناقشته طويلا فى وجهة نظره عن الوفد وفساد الوفد ولماذا غير موقفه الآن . وأخيرا اتفقنا بعد حوار طويل على أن يكتب عامود « فكرة » فى اليوم التالى بما يعنى أنه ليس من رأيه العودة إلى أسلوب حكم ما قبل الثورة .

وسعدت بهذه النتيجة واتصلت بالرئيس وأبلغته بذلك ودافعت عن موقف مصطفى أمين بكل ما استطعت ، ولكن السادات قال بإصرار ــ أنا لم أقل عامودا .. عليه أن يكتب سلسلة عن حكم ما قبل الثورة

وأجبت بأن الوقت قصير جدا وليكن ذلك بعد أسبوع .

ووافق السادات وشعرت أننى نجحت فى تأجيل الأزمة .

وأبلغت مصطفى أمين بما قاله السادات . وطلبت منه أن يكون مرنا . وقال مصطفى أمين انه إذا كتب عن الفساد قبل الثورة فان الفساد قائم الآن وبصورة أكبر ولن يقتنع القراء بفساد ما قبل الثورة ، وعرض مصطفى أمين أن نعيد نشر ما نشرته صحف أخبار اليوم قبل الثورة . وكنت أعرف مقدما أن الرئيس السادات سيرفض هذا الاقتراح .

وكنت على موعد مع الرئيس السادات فى منزله بالجيزة فى اليوم التالى لإعداد خطاب له . وكان رائق المزاج . وقلت له ان مصطفى أمين يحاول فعلا . وقد دخلت عليه فى مكتبه ووجدته يقرأ فى مجموعات أخبار اليوم القديمة قبل الثورة ، ولكنه يرى أن الناس ستعقد مقارنات وهو يخشى أن تفسر مقالاته التى يطلبها السادات على أنها اسقاط على ما جرى بعد الثورة وكانت هذه من جانبى كذبة بيضاء فلم يراجع مصطفى أمين مجموعة الصحف القديمة وقلت للرئيس إن مقاله فى فكرة يعبر عن أنه لا يروج لحكم ما قبل الثورة . وهذا هو المهم .

وفوجئت بأن الرئيس السادات لم يعد مهتما بهذا الموضوع وفوجئت أيضا بأنه أقرنى على وجهة نظرى وأن الأزمة أصبحت غير ذات موضوع ، وفرحت بهذه النتيجة وقابلت مصطفى أمين بمجرد عودتى من لقاء الرئيس ولم نجد تفسيرا لعدول السادات ، عن إصراره . ولكننى تصورت أن إنذار الرئيس لمصطفى أمين عن طريقى كان يحمل المعنى الرمزى . لم يكن السادات فى حقيقة تفكيره ، يريد أن يكتب مصطفى أمين السلسلة التى طلبها ولكنه كان يريد فقط أن يذكره بمواقفه قبل الثورة وكيف انه غير هذه المواقف إلى عكسها ..

وسعد مصطفى أمين بعدم استمرار الرئيس فى التمسك بوجهة نظره وانتهت الأزمة تماما وكأنها لم تكن .

واتفقت مع مصطفى أمين على أنه لا داعى للغمز واللمز فى « فكرة » .. وكانت حجة مصطفى أمين أن كل شىء سيكتبه مهما كان بريئا سيؤول ويفسر تفسيرات لم يقصدها ، واتفقنا على أن أقوم بحذف الكلمات أو العبارات التى أرى أن الرئيس قد يفسرها على أنها تعريض بشخصه .

وكان مصطفى أمين لا يعترض على ما كنت أحذفه وهو لا يتجاوز سطرا أو سطرين من المقال وفى بعض الأحيان كلمة واحدة ... ولم يحدث هذا كثيرا ..

ولكن كان واضحا من كل ما يكتبه مصطفى أمين أنه لم يعد مؤيدا لحكم السادات . وكثيرا ما كان يعبر عما يريده بالحديث عن رئيس شركة مثلا ، وهو يقصد رئيس الدولة ، وكنت فقط أغير كلمة رئيس .. بـ « مدير » .

ولاحظت ان السادات كان يلاحظ وكان يفهم تماما كل ما يقصده مصطفى أمين ولكنه قليلا ما كان يبلغنى بملاحظاته إلا بأسلوب خاطف وكان واضحا أنه فقد الثقة تماما بمصطفى أمين وكان فى قمة الألم لأنه لم يكن يتوقع منه هذه المواقف ، بعد أن أفرج عنه وكان مقدراً له أن يبقى فى السجن ١٦ عاما غير الأعوام التسعة التى أمضاها .. وأنه عين على أمين رئيسا لمجلس الادارة ومصطفى أمين رئيسا للتحرير ..

وكانت الصلة قد انقطعت بين السادات ومصطفى أمين . وقد كان هناك تحفظ غير واضح من الرئيس السادات ، نحو مصطفى أمين وعلى أمين .. وان كان السادات يرى أن على أمين انسان طيب القلب .. وليس خبيثا مثل مصطفى أمين .. وقد بدأ هذا التحفظ فى رفض السادات أن يعلن الشقيقان عن قرار المدعى الاشتراكى بإنعدام جريمة التجسس بالنسبة لمصطفى أمين بعد أن كان قد وافق على ذلك ، كما أن مصطفى وعلى أمين عرضا على الرئيس السادات ، أكثر من مرة أن تصدر مجلة « أكتوبر » عن مؤسسة أخبار اليوم وأن يشرفا على تحريرها . ولكن السادات لم يستجب وكان قد فكر فى أن يصدر محمد حسنين هيكل مجلة أكتوبر فى الفترة التى كان يسعى فيها هيكل إلى استعادة علاقته بالسادات ولكن هيكل اعتذر وكان يريد العودة إلى الأهرام ..

وفى الاستفتاء قبل الأخير الذى طرحه الرئيس على الشعب .. لاحظ المهندس سيد مرعى أن هناك أخطاء قانونية فى صياغة الاستفتاء وجرى اجتماع فى منزل سيد مرعى بالزمالك حضره الدكتور مصطفى خليل واستدعيا الدكتور جمال العطيفى لمحاولة إصلاح الأخطاء القانونية فى صياغة القرارات والتشريعات التنفيذية للاستفتاء وقام جمال العطيفى بهذه المهمة .. وكان سيد مرعى قد طلب من مصطفى أمين ومنى زيارته فى منزله .. وحضر مصطفى أمين وكانت مناقشتنا معه .. مصطفى خليل وسيد مرعى وأنا .. على أن مسئوليتنا كمؤيدين للنظام أن نصحح بكل إمكانياتنا ما نراه خطأ وضارا بالرئيس ، وقال مصطفى أمين ان كل مواقفه نابعة من حبه لأنور السادات ، وأنه يرى أن أى خطوات تضع قيودا على الحرية هى فى غير صالح الرئيس ، ودار النقاش حول أن المخلصين حقيقة للسادات والمقتنعين بوطنيته وزعامته ، وبأنه صمام الأمان لمصر ، عليهم أن يكونوا مرنين فى اقناع السادات بما يريدون حتى لاتترك الفرصة أمام المنافقين والانتهازيين الذين يؤيدون أى قرار بدون نقاش ولو اساء القرار الى النظام ولم يكن مصطفى أمين حتى ذلك الحين (وحتى وفاة السادات) عنيفا فى معارضته وكان دائما يردد انه يحب السادات ويؤيده ، ولكن لايريد أن يضع قيودا على الحرية وكان يقول : اذا ذهب السادات ، فلن يحكمنا إلا شيوعى أو إخوانى .. او انقلاب

وفكر السادات بعد ذلك فى انشاء الحزب الجديد برياسته وكان يريده حزبا مثاليا وكان اتجاهه أن يختار اثنين فقط من كل محافظة كنواة لإنشاء الحزب بشرط أن يكونا فى قمة النزاهة والكفاءة وحسن السمعة ثم يتوسع فى إنشاء لجان الحزب فى كل محافظة ، ثم فى كل مركز ، ثم فى كل قرية ، وكان السادات يعقد اجتماعات ضيقة لهذا الغرض ، وفكر فى أول الأمر أن يكون فتحى رضوان هو سكرتير عام الحزب ، ثم اتجه تفكيره إلى فكرى مكرم عبيد ، وبذلك يستن تقليدا جديدا وهو أن يكون السكرتير العام مسيحيا ،

وبذلك يعبر الحزب تعبيرا واضحا عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط ، واختار السادات لحضور هذه الاجتماعات ، وجوها جديدة مثل عبد الحميد رضوان الذى قدم منصور حسن الى الرئيس ، وكان السادات يريد أن يكون قبول الأعضاء فى الحزب الجديد محدودا وأن يكون الاختيار دقيقا من بين أعضاء مجلس الشعب الحالى بحيث يستبعد كل من حامت حوله الشبهات ، أو كل من فشل فى العمل السياسى وكانت هذه هى أحلام السادات الحقيقية إنشاء حزب مثالى برياسته ولكن حدث أن تقدم كل أعضاء مجلس الشعب للانضمام للحزب الجديد باستثناء المجموعة القليلة التى تمسكت باستمرار حزب مصر مثل المهندس عبد العظيم ابو العطا وزير الرى السابق وعيسى شاهين وزير الصناعة السابق وفجأة ظهرت فكرة لمصطفى أمين ينتقد فيها بعنف هذه « الهرولة » إلى الحزب الجديد ..

وكان مقررا عقد اجتماع فى فندق سان ستيفانو فى الاسكندرية يوم ظهور المقال .. فكان السادات فى موقف حرج أمام أعضاء مجلس الشعب الذين طلبوا الانضمام الى الحزب إذا قبلهم جميعا فإنه بذلك يهدم فكرته الأساسية فى أن يبدأ الحزب بنواة قليلة العدد فى كل محافظة وإذا نفذ فكرته الاساسية فمعنى ذلك أمام أعضاء مجلس الشعب أنه وضعهم جميعا فى كفة واختار كفة مصطفى أمين . وقال السادات فى جلسة خاصة . إن مصطفى أمين أحرجنى إما أن اختار جانبه أو اختار جانب ثلاثمائة نائب وكان لابد أن أرضى النواب الذين اتهمهم مصطفى أمين بالنفاق والانتهازية وانعدام الكرامة .

ولذلك قرر السادات إرضاءً للنواب وقف مصطفى أمين عن الكتابة ، واعترض أشخاص قريبون جدا من الرئيس على هذا القرار وقالوا إن ما كتبه مصطفى أمين هو الحقيقة ولكن السادات كان مقتنعا بأن مصطفى أمين أراد أن يشهر بالحزب الجديد الذى يرأسه السادات ، فى الوقت الذى كان متحالفا فيه مع فؤاد سراج الدين ومروجا لحزب الوفد الجديد ..

ولم أكن سعيدا بهذا القرار المفاجىء لى . لقد كنت أمضى أجازتى فى الاسكندرية وكنا فى « رمضان » واذكر أن رنين التليفون أيقظنى فى الساعة الواحدة من الصباح . كان المتحدث هو الرئيس السادات الذى أبلغنى أن مصطفى أمين يستثمر وقفه عن كلكتابة فى التشهير مع الصحافة الأجنبية وأنه تحدث إلى مراسلة وكالة اليونيتدبرس فى القاهرة .. وأكدت للرئيس السادات ان هذا غير صحيح .. وأن مصطفى أمين يردد دائما أنه ليس محمد حسنين هيكل وأنه لن يكتب كلمة واحدة خارج مصر أو يدلى بأى تصريح لصحافة أجنبية ضد سياسة أنور السادات . وقلت للرئيس إننى أقول بهذا دون

أن أعرف هذه التفاصيل التى يرويها الرئيس . ورجوته أن يعطينى فرصة حتى الصباح لكى أتصل بمصطفى أمين وأحقق الأمر . ووافق السادات ، وقال لى إذا كان الأمر كذلك فإننى سأكشف القديم والجديد بالنسبة لمصطفى أمين ورجوته ألا يفعل حتى اتصل به فى الصباح .

واتصلت بمصطفى أمين فى القاهرة . وقال لى إن هذا غير صحيح على الاطلاق .. وإنه امتنع عن لقاء أى صحفى أجنبى طلب موعدا منه . (ولكننى علمت بعد ذلك أنه أدلى بالتصريح الذى أشار اليه الرئيس إلى وكالة اليونيتدبرس) .

واتصلت بالرئيس السادات وأكدت له أن مصطفى أمين لم يتصل بأى صحفى أجنبى . وقال لى الرئيس : الحمد لله أنك أوضحت لى ذلك ..

وفى اليوم التالى كان هناك اجتماع حزبى فى ميت ابو الكوم وتحدث الرئيس السادات فى هذا الاجتماع .. وأشار بعبارات غير مباشرة إلى مصطفى أمين دون أن يذكر اسمه وتحدث عن أن صحافة القصر لن تعود ..

وجاء تعليق السادات هادئا وغير مباشر بعد تأكيدى له بتكذيب مصطفى أمين ..

ولم يمنع مصطفى أمين عن مكتبه .. وكان يحضر اليه فى مواعيده العادية فى الصباح والمساء .

ثم سافرنا إلى أمريكا .. ووقع السادات اتفاق كامب ديفيد وفى رحلة العودة رحبت السيدة جيهان السادات برؤساء التحرير بضع دقائق كعادتها فى كل رحلة وقالت إن لديها خبرا سارا لنا جميعا ، وقالت إن الرئيس دعا مصطفى أمين الى حفل زواج ابنه جمال .. وأنه ألغى قرار وقفه عن الكتابة .

ونزلت من الطائرة فى القاهرة وتوجهت مباشرة الى أخبار اليوم حيث أبلغت مصطفى أمين وكان قد تلقى الدعوة فعلا لحضور حفل الزفاف ولكنه قال لى إنه لن يحضر .. مرة متعللا بأن الرئيس أهانه قبل سفره فكيف يصالحه بدعوة إلى فرح .. ومرة اخرى لأن الدعوة وجهت إليه فقط ولم توجه إلى السيدة قرينته ورددت عليه أن دعوته إلى الزفاف فيها الرد الكامل لاعتباره لأن السادات لم يدع إلا اصدقاءه .. وقد رفض دعوة هيكل . ولكن مصطفى أمين أصر .. ثم وعدنى بأنه سيفكر حتى اليوم التالى ورأيت أحمد رجب وقال لى إن مصطفى أمين مخطىء ومادامت الأزمة قد انتهت فلا داعى لهذه التعقيدات .

ولكن مصطفى أمين أصر فى اليوم التالى على عدم الحضور .

وذهبنا إلى حفل الزفاف .. وعند دخولنا سألنا الرئيس ..، أحمد رجب وأنا .. « امال فين مصطفى » .. فقلت له « زعلان شويه يا ريس » .. وقال « يزعل وأنا عازمه فى بيتى » .. واتجه على حمدى الجمال إلى التليفون فى صالون مجاور لكى يتصل بمصطفى أمين . وقلت إن التليفون لا يفلح .. وذهبت أنا وأحمد رجب فى إحدى سيارات الرياسة إلى منزل مصطفى أمين .. واقتنع بالحضور وعدنا معاً إلى حفل الزفاف .

وعند وصولنا .. كان السادات قد جلس إلى المائدة الرئيسية فى أقصى « الصوان » .. وهمس فى أذنى محسن محمد « خذ مصطفى أمين معك إلى حيث يجلس السادات ويكون هذا نهاية المشكلة » وفعلاً وضعت يدى فى يده وسرنا فى الممر الطويل بين نظرات الدهشة من جميع المدعوين والمدعوات ووصلنا إلى المائدة الرئيسية ووقف السادات وحيا مصطفى أمين وهنأه مصطفى أمين بالزفاف وعدنا إلى المائدة المخصصة لنا وما أن جلسنا حتى وفد علينا جميع أعضاء أسرة السادات واحداً بعد الآخر جلس معنا محمود أبو وافية عديل الرئيس والسيدة قرينته ثم جاءت السيدة جيهان وجلست معنا بعض الوقت ثم كريمات الرئيس وهكذا أقامت أسرة الرئيس حفل تكريم خاص لمصطفى أمين وكان الكل سعداء .

وخلال ذلك اتصلت بالأخبار وطلبت نشر برواز فى الصفحة الأولى بأن مصطفى أمين يستأنف كتابة فكرة .. (وكان الانقطاع لمدة ثلاثة أسابيع)

وانتهت الأزمة .. ولكن مصطفى أمين شن هجوما عنيفا قاسياً على حكم السادات ، بعد أغتيال السادات .. وتسبب ذلك فى خلافات عديدة بينى وبينه لا مجال لها فى هذا الكتاب .

أزمة جلال الحمامصى

وأترك الآن قصة مصطفى أمين .. لأسجل قصة أخرى موازية أو أزمة أخرى موازية وهى أزمة جلال الدين الحمامصى .

ان علاقة شخصية قوية تربط بين السادات وجلال الدين الحمامصى منذ عام ١٩٤٣ ، وقد بدأت : لقاءاتهما فى معتقل الزيتون فى ذلك العام وكنت معتقلاً أيضاً فى نفس المكان .

واستمرت هذه العلاقة بعد الافراج عنهما وحتى قيام الثورة وكنت ألقى أنور السادات فى مكتب جلال الدين الحمامصى فى أخبار اليوم . وعندما فكر عبد الناصر فى

إصدار صحيفة تعبر عن الثورة وأنشئت مؤسسة دار التحرير برياسة أنور السادات كان السادات هو الذى اختار جلال الدين الحمامصى ليكون نائباً لرئيس مجلس الإدارة ورئيساً لتحرير « الجمهورية » وفى ذلك الحين اعتذرت عن عدم العمل فى « الجمهورية » فلم أكن لأتصور بفورة شبابى أننى أعمل فى صحيفة تؤيد الحكومة وفضلت الاستمرار فى « أخبار اليوم » .

وعندما تولى السادات رياسة الدولة طلب الحمامصى لقاءه ولم يحدد له موعداً واستمر هذا الموقف حتى وفاة السادات !.

وقد ألححت على السادات مرات عديدة أن يستقبل الحمامصى ولكنه فى كل مرة كان يعتذر دون أن يقول عذراً وأمام كثرة إلحاحى كان يعد بأنه سيقابله ثم يتناسى وعده . وحدث مرة فى إحدى رحلات السادات إلى الخارج أن كررت طلبى وأيد ذلك اسماعيل فهمى وزير الخارجية بحماسة وكذلك على حمدى الجمال ولكن السادات لم يستجب ، وإن كان قد وافق من قبل على أن يعمل الحمامصى كأحد رؤساء تحرير الأخبار بناء على اقتراح مصطفى أمين .. بعد أن ظل أربعة عشر عاماً فى « الأهرام » لا يكتب كلمة واحدة .

وحرت فى الأمر لماذا لا يقابله السادات وهو يقابل أكبر عدد من الصحفيين لا تربطهم به ما كان يربطه بالحمامصى ، وتصورت أن هناك مانعاً شخصياً يحتفظ الأثنان بسره ولكن الاثنين السادات والحمامصى أكدا لى أنه لا توجد على الإطلاق أسباب شخصية .

وبقيت أمامى علامة الاستفهام

ولعل ذلك أثر فى نفسية جلال الحمامصى وبدأ يعنف فى النقد فى عاموده اليومى « دخان فى الهواء » وكان يركز فى نقده على عبارات تمس الرئيس مساساً مباشراً وأحسب أنه كان يعمد ذلك تماماً ولكن السادات لم يشر لى بعبارة واحدة إلى ما يكتبه الحمامصى .

وقد حدث ان اتصل بى ممدوح سالم رئيس الوزراء ــ بوصفى رئيساً للتحرير ــ معلقاً على عدة مقالات كتبها الحمامصى عن مجلس الوزراء ورتبت لقاء بين الاثنين وشرح ممدوح سالم للحمامصى كل ملابسات ما كتب عنه واقتنع الحمامصى بوجهة نظر رئيس الوزراء وكتب مؤيداً تأييداً كاملاً .

قلت : لم يكن السادات يهتم كثيراً بما يكتبه الحمامصى إلى أن نشر الحمامصى كتاباً بعنوان « حوار وراء الأسوار » روى فيه قصة صحفية مؤداها أن جمال عبد الناصر استولى على عشرة ملايين من الجنيهات كانت مقدمة من الملك سعود كقرض وأن ورثة

الملك سعود عندما طالبوا بهذا المبلغ لم يجدوا أى أثر لاثباته فى الأوراق الرسمية .. كما كتب الحمامصى عن قطعة أرض اشترتها زوجة أشرف مروان « كريمة جمال عبد الناصر » .. وشاب اجراءات الشراء مخالفات قانونية . وهنا فقط ثار غضب السادات ..

اتصل بى تليفونياً فى الساعة الرابعة بعد الظهر وكنت فى منزلى ولأول مرة أسمعه فى قمة الانفعال ..

قال لى بلهجة الآمر : جلال الحمامصى يتوقف عن العمل ابتداء من اليوم ولا يتوجه إلى مكتبه ويرسل إليه مرتبه ..

وأجبت الرئيس إننى ملتزم بتنفيذ هذا القرار ولكنى أرى أن الأمر يمكن أن يعالج بهدوء وزادت حدة صوت السادات : هذا قرار من رئيس الدولة أبلغك به لتنفيذه وهو ليس موضع مناقشة

واستمر الحوار التليفونى مع الرئيس أكثر من أربعين دقيقة وكانت وجهة نظرى التى اقتنع بها الرئيس هى أن جلال الحمامصى طلب تأليف لجنة تحقيق فلماذا لا تؤلف هذه اللجنة ونتيجة التحقيق سوف تحدد خطأ جلال الحمامصى فى أنه اتهم جمال عبد الناصر فى ذمته اتهاماً كاذباً .. وهذا فى ذاته أكبر جزاء بالنسبة لكاتب كبير مثل جلال الحمامصى ، عرف بدقته وإذا به يقع فى الترويج لتشهير كاذب . هذا إذا كانت القصة ملفقة فعلاً .

وهدأ السادات .. وكان قد أحال الموضوع إلى المدعى الاشتراكى لتحقيقه وطلب المدعى الاشتراكى من جلال الحمامصى اختيار أعضاء اللجنة الفنية الذين يريدهم واختارهم فعلاً الحمامصى .. وكان من بينهم الدكتور حلمى مراد وحققت اللجنة لدى البنك المركزى وفى مختلف الاجهزة المختصة وثبت لها باليقين وبغير أدنى شك ، أن مبلغ القرض دخل خزانة الدولة وإن كان هناك خطأ روتينيا فى الاجراءات لا أكثر ولا أقل .

وكان الرئيس السادات قد كلف ممدوح سالم رئيس الوزراء باجراء تحقيق على وجه السرعة .. وانتهى تحقيق رئيس الوزراء بواسطة المختصين أن الواقعة التى ذكرها جلال الحمامصى فى كتابه لا أساس لها من الصحة .

والحقيقة ان هذه الواقعة لم تكن لتثير مثل هذه الضجة لو اقتصر نشرها على كتاب الحمامصى .. ولكن الذى حدث أن مصطفى أمين اختار هذه الصفحات من الكتاب التى سجل فيها الحمامصى الطعن فى ذمة عبد الناصر .. ونشرها فى « أخبار اليوم » وبمجرد أن قرأها السادات اتصل بمصطفى أمين وسأله عن المنشور .. وكانت اجابة مصطفى

أمين أن الحمامصى أبلغه أن لديه الدليل على صحة الواقعة ولم يصدق السادات .. وطلب من ممدوح سالم إجراء تحقيق .. وتأكد له أن الواقعة كاذبة من أساسها .. وكان فى قمة الغضب عندما اتصل بى تليفونيا ــ كما ذكرت ــ وقبل إجراء أى تحقيق وهو يردد بأعلى صوته .. « عبد الناصر ليس لصا .. ارحموا سمعة الرجل » وخلال إجراء تحقيق المدعى العام الاشتراكى كتب الحمامصى مقالا يتابع فيه اتهامه فطلبت إليه وقف النشر فى هذا الموضوع حتى ينتهى التحقيق لأن هذا هو الأجراء الصحفى السليم . وكان الحمامصى فى موقف لا يحسد عليه لأنها سقطة صحفية بالنسبة لصحفى متمرس مثل الحمامصى الذى عرف دائما بدقته وأمانته الصحفية .. ولذلك لم يكن ذلك مقبولا منه .. وكان السادات قد ردد فى حديثه معى « ماذا يريد الحمامصى لقد بقى ١٤ عاما فى الأهرام دون أن يكتب حرفا واحدا فإذا وجدت حرية الصحافة بعد ذلك فهل يستخدمها فى اتهام عبد الناصر فى ذمته كذبا ؟ ولمجرد الحقد فقط .»[١] واستمر جلال الحمامصى يكتب ولكنه تعمد أن يكون نقده عنيفا وبعبارات مثيرة وموجهة إلى شخص رئيس الدولة ، وكان دائما داعيا إلى اليأس من أى أمل فى الإصلاح معطياً صورة قاتمة عن كل شىء . وكثيرا ما اجتمعت معه ــ واتفقنا على أن الحرية كاملة فى أن ينقد كما يشاء إذا كانت لديه وقائع محددة للنقد ، أما تشويه الصورة بشكل عام .. فإن هذا ليس نقدا كما أن المساس بشخص رئيس الدولة بأسلوب غير مباشر فإنه ايضا ليس نقدا .

وكان الحمامصى ينفذ اتفاقنا لبضعة ايام ثم فجأة يعود إلى نفس الأسلوب وكنت أحذف بعض العبارات التى أرى وبكل الموضوعية أنها خارجة عن نطاق النقد .

ثم قرر جلال الحمامصى الامتناع عن الكتابة وكان هذا قراره الشخصى ..

ولكن قبل أن يقرر الحمامصى الامتناع عن الكتابة توجه السادات إلى مجلس الشعب بعد أن أتم المدعى الاشتراكى تحقيقه .. وبعد أن ثبت خطأ الحمامصى .. وأعلن القصة كاملة بالاسماء .. وتساءل السادات فى خطابه أنا لا أعرف لماذا يلجأ الحمامصى إلى هذا الأسلوب .. وهو صديق قديم وأذكر أنه أنقذ رقبتى فى محاكمتى أمام محكمة الجنايات بشهادته « يقصد شهادة الحمامصى فى قضية اغتيال امين عثمان » .. أى أن السادات اعترف بسلوك الحمامصى تجاهه فى الأربعينيات وأعلن أيضا صداقته له أمام

(١) وأكرر للحقيقة أن جلال الحمامصى لا يزال مقتنع بأن ما كتبه صحيح .. وأن الحصول على ضد خطير مثل هذا الخبر ، ليس بالأمر الهين .. وأن الشواهد والدلائل تؤكد صحة خبره .. ولكن الدليل المادى الحاسم ، من الصعب الحصول عليه .

مجلس الشعب .. وهذا هو خلق السادات . وقد قرر السادات فى خطابه انه يودع كل وثائق التحقيق وقرار اللجنة الفنية التى اختارها الحمامصى ضمن وثائق مجلس الشعب لكى يطلع عليها جميع الأعضاء .

وبعد ذلك قرر السادات اجراء تغييرات فى رؤساء التحرير .. وأصبح كل من مصطفى أمين وجلال الحمامصى .. كتابا فى مؤسسة أخبار اليوم .. وكان الحمامصى ممتنعا عن الكتابة .. وعينت رئيسا لمجلس الادارة مع استمرارى رئيسا لتحرير « الأخبار » .. والمعروف أن تقليد الأخبار هو وضع اسماء عدد من رؤساء التحرير ، على صدر الجريدة .. ويكون من بينهم واحد هو المسئول .. وقد كنت رئيس التحرير المسئول . واستمر مصطفى أمين وأذكر أن مصطفى أمين سألنى .. هل يستمر فى كتابة الموقف السياسى بعد تركه رياسة التحرير ؟ وأجبته بنعم .

وذات ليلة .. كنت مع الرئيس السادات فى استراحة القناطر أراجع معه خطابا يستعد لإلقائه فى مناسبة عامة .. ولست أذكر كيف جرى الحديث إلى ذكر مصطفى أمين .. فقال لى السادات :

– لا داعى للف والدوران انت تجامل مصطفى أمين على حسابى وكانت إجابتى للرئيس : سيادتك تعلم أن علاقتى بمصطفى أمين تسرى فى دمى وسأظل مخلصا لصداقته وأستاذيته مدى العمر ولكن اخلاصى له لا يتعارض أبدا مع ولائى لمبادىء الحكم وسيادتك ، تعرف أننى أؤيد النظام عن اقتناع كامل .

فقال لى الرئيس : مادام الموضوع قد فتح .. دعنا نناقش مناقشة موضوعية .. هل « أخبار اليوم » هى صحيفة يحررها مصطفى أمين من الغلاف إلى الغلاف أم هى صحيفة لكل محرريها ؟

قلت : طبعا هى صحيفة لكل المحررين وللقراء أيضا ..

قال لى السادات : عظيم اتفقنا ولذلك فاننى أسألك بدورى إذا كان مصطفى أمين يكتب فى الصفحة الأولى عن تبرعات ليلة القدر على أنها مرسلة لشخصه لا للمؤسسة ، وإذا كان يكتب الموقف السياسى الذى يجب أن يكتبه رئيس التحرير (عبد الحميد عبد الغنى حينئذ) .. وإذا كان يكتب رسائل القراء والتعليق عليها وأنا أعرف أن معظم هذه الرسائل مفبركة ، وأنه يكتبها بأسلوب يعبر عن المعارضة والسخرية بالحكم ، وإذا كان يكتب بعد ذلك صفحة كاملة هى مسلسل قصة مستمرة حتى الآن أكثر من ثلاثين أسبوعا ، وإذا كان يكتب « فكرة » فى الصفحة الأخيرة .. فأين المساحة المتروكة لباقى المحررين ؟ هل يمكن أن تجادلنى بأن أخبار اليوم ، أصبحت تصدر خصيصا لكتابات

مصطفى أمين فقط ؟ أذكر لى صحيفة فى العالم كله يجرى بها ما يجرى فى أخبار اليوم ..

والحق أننى صمتّ عن التعليق وكنت أفكر فعلا فى إجابة أحاول أن أساند بها مصطفى أمين ..

وبادرنى الرئيس السادات بقوله : هل تعترف إذن بأننى على حق ؟..

ومن هنا قلت للرئيس : لا اعتراض لى على رأى سيادتك ولكنى أعترض على اتخاذ أى إجراء ضد مصطفى أمين بمنعه من الكتابة .

قال السادات : لن اتخذ هذا الاجراء ولكن أظن أنه من الحق والعدل أن توضع الأمور فى حجمها الصحيح أظن يكفى جدا أن يكتب يوميا فكرة على الرغم من أنه لا يوجد فى صحافة العالم الآن نظام الكاتب الذى ينشر مقالا يوميا .

قلت للرئيس : سوف أصارح مصطفى أمين بكل ما قلته سيادتك وأعتقد أننى سأصل معه إلى اتفاق ينفذ تدريجيا على أن يكتب فكرة كل يوم وعن التبرعات يمكن النشر بأن مؤسسة أخبار اليوم تلقتها وهذا طبيعى فى كل صحافة العالم والموقف السياسى يكتبه رئيس التحرير وبالنسبة للقصة يمكن ترك فصولها شهرا أو شهرين ونتوقف عن نشرها عند خاتمة طبيعية والقصة تسمح بذلك لأنها أكثر من عشرين قصة فى قصة واحدة ..

وقال السادات : هذا شأنكم أنا لا أريد أن أتدخل فى شئون الصحافة أريدكم أن تمارسوا مسئولياتكم بأنفسكم بالأسلوب الصحيح المتبع فى كل صحافة العالم .

وفى الصباح التالى التقيت بمصطفى أمين فى مكتبه ورويت له كل ما جرى وبمنتهى الأمانة . واتفقنا على أن نبدأ بموضوع التبرعات وبالموقف السياسى .

وقال مصطفى امين : إن الرئيس يريد تحجيمى .. قلت : هذا صحيح ومنطق أى رئيس دولة يريد من الصحفى أن يكون صحفيا ولا يريد أن يتحول الصحفى إلى مركز قوة أو أن يتحول الكاتب إلى زعيم شعبى .

وتقبل مصطفى أمين هذا التطور وقد كان يعلم تماما أننى حريص على أن يستمر مقاله اليومى وبالنسبة لقصته الطويلة كان رأيى واضحا .. القصة أولا منشورة من قبل فى كتاب ولم يجر أى تقليد صحفى على نشر قصة مسلسلة بعد صدورها فى كتاب كما أنها طويلة أكثر مما يجب عادة القصة الطويلة تستغرق عشر أو اثنى عشر حلقة فى المجلات الاسبوعية أما استمرارها أربعين اسبوعا فهذا شىء غير منطقى وعمل غير صحفى .

وطلبت من رئيس تحرير أخبار اليوم أن يكتب الموقف السياسى .. وبعد حوالى

شهرين وكنت قد قرأت قصة مصطفى أمين فى الكتاب وجدت لها نهاية معقولة تقف عندها وأخطرت مصطفى أمين بذلك ، واشترط ألا نكتب فى نهاية الفصل أن القصة انتهت ورأيت ان هذا من حقه .

وليس صحيحا أن القصة أوقف نشر باقى فصولها لأنها تحوى ، رموزا سياسية والصحيح أن أحدا من المسئولين لم يقرأ القصة أساسا ولم يكن اعتراض السادات على مضمون القصة .. ولكن على المساحات التى يحتلها مصطفى أمين .

وبعد ذلك كلف أحد محررى أخبار اليوم بكتابة بريد القراء واستمر مصطفى أمين يكتب فكرة يوميا .. وكان يقبل منى حذف بعض العبارات ودون إبدال عبارة بعبارة أخرى .. ولم أكن أحذف ... إلا كلمات الإثارة فقط .. وكان هذا اتفاق جنتلمان بينى وبين مصطفى أمين .. واستمرت علاقتنا على أحسن ما تكون المودة والصداقة .

ولكن ثارت أزمة أخرى ..

لقد فاجأنى مصطفى أمين بأنه اتفق على نشر « فكرة » يوميا فى صحيفة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر بالعربية من لندن . وكانت العلاقات بيننا وبين السعودية على أسوأ ما تكون عليه أية علاقات . وكان احسان عبد القدوس يفعل نفس الشىء .

وكان هذا يعتبر تطورا فى موقف مصطفى أمين بعد أن كان ينتقد هيكل لأنه يكتب فى الصحف العربية المعادية للنظام المصرى والمشهرة بحكم أنور السادات .. ثم إن اختيار صحيفة سعودية للكتابة بها فيه قبول ضمنى بتأييد كل ما تنشره هذه الصحيفة ضد نظام الحكم فى مصر ..

وعبثا حاولت أن أقنع مصطفى أمين بالعدول عن ذلك واشترك معى فى هذه المحاولات أحمد رجب وسعيد سنبل ، وكان منطقنا أنه ليس حسنا لكرامة مصطفى أمين أن يكتب فى صحيفة سعودية ، وإذا كانت هذه الصحيفة لا يمكن أن تسمح بنشر أى نقد لما يجرى داخل السعودية ، وقد أفردت صفحاتها لكل كلمة تنال من سمعة الحكم فى مصر فليس مصطفى أمين هو الذى يشترك فى ذلك .

ولكن مصطفى أمين أصر على الرفض وحدث فى إحدى الجلسات أن تأثر احمد رجب وسالت الدموع من عينيه على الرغم منه وكانت وجهة نظره أنه لا داعى إطلاقا لهذا التحدى من جانب مصطفى أمين وأن هذا قد يكون مقبولا لو كان ممنوعا من الكتابة فى مصر .

ثم علمت بعد عودتى من رحلة فى الخارج أن إبراهيم سعده نائب رئيس تحرير أخبار اليوم يراسل صحيفة الشرق الأوسط السعودية مقابل مبلغ شهرى كبير ، وأن

مصطفى أمين هو كلذى رشحه لهم لهذا العمل .. فطلبت منه وقف هذا التعامل لأنه يتعارض تماما مع مسئوليته كنائب لرئيس التحرير تصل إليه كل أسرار الصحيفة وعليه أن يكون أمينا عليها .. ووعدنى بالتوقف .

وفى زيارة لمصطفى أمين لى فى مكتبى قال لى إن الشرق الأوسط عرضت على ابراهيم سعده أن يكون مدير مكتبها فى القاهرة — علاوة على عمله فى اخبار اليوم — بدلا من صلاح الدين حافظ المحرر فى الاهرام . وقال مصطفى أمين إنه يؤيد ذلك حتى تكون لنا سيطرة على كل ما ينشر فى هذه الصحيفة عن مصر وخاصة أن صلاح الدين حافظ أراد أن يجعلها صوتا للمعارضة ضد مصر وأجبت مصطفى أمين إن الأمر يجب أن يتم بإذن من الرئيس السادات ، ووعدته بالاتصال بالرئيس واتصلت فعلا ، وعرضت عليه وجهة نظر مصطفى أمين بأمانة كاملة .. وكان رأى الرئيس هو الرفض الكامل وطلبت ابراهيم سعده وأبلغته بكل ما جرى ووعدنى بأن يوقف مراسلته لهم .. وطرأ من ذلك ، ما دعا ابراهيم سعده إلى أن يكتب بيانا بخط يده يعلن فيه توقفه عن التعامل مع الشرق الأوسط لانحراف تحريرها ضد مصر .. ونشرنا هذا البيان فى الصفحة الأولى كما أرسل برقية تلكس إلى مدير الصحيفة فى لندن يسجل ذلك . وتفصيل ما جرى فى هذا الشأن ، ليس موضعه فى هذا الكتاب .

ومرت أشهر .. وبلغنى أن ابراهيم سعده فى حيرة لأن صحيفة الشرق الأوسط عرضت عليه عقدا بمبلغ كبير ، مقابل أن يترك العمل فى أخبار اليوم نهائياً ويتفرغ لإدارة مكتبها فى القاهرة ..

ولم أهتم بالموضوع .. حتى اتصل بى الرئيس السادات فى مساء ذات يوم وكنا قد أبلغنا بعقد اجتماع صحفى مع الرئيس فى الصباح التالى يحضره رؤساء ومديرو التحرير .. وسألنى الرئيس : من سيحضر غدا من أخبار اليوم ، وأجبته بأننا اتفقنا مع وزير الاعلام منصور حسن بأن يحضر رؤساء ومديرو التحرير وهنا قال لى الرئيس : أنا عاوز إبراهيم يحضر ..

وسألت : ابراهيم مين .. يا سيادة الرئيس ؟..

قال : ابراهيم سعده .. لقد أعجبنى موقفه من صحيفة الشرق الأوسط وأريد أن أحييه بكلمة فى هذا الاجتماع .

وسعدت بذلك .. لأن هذه التحية ستكون تعبيرا خاصا من الرئيس عن تقديره الشخصى لابراهيم سعده .. وهذا سيبدد حيرته .

ولم يكن إبراهيم سعدة بمنزله الذى اكتشفت أنه بجوار منزلى ومررت عليه وتركت

له رسالة بذلك فقال لى الحارس إنه عاد لتوه ونزل إبراهيم سعده وقابلنى فى سيارتى ، وبدا أن الخبر كان مفاجأة له ، وقال لى إنه لم يكن يتصور أن الرئيس يفكر فى شخصه وطلب منى أن أصطحبه معى إلى استراحة القناطر فى الصباح التالى لأنه لا يعرف الطريق إليها .. واتفقنا فعلا على أن يتناول معى الإفطار فى الصباح .

وحضر إبراهيم سعده وسألته عن قصة هذا العقد الأخيرة فأخرجه من جيبه وأطلعت عليه ووجدته موقعا من مدير صحيفة الشرق الأوسط مقابل أجر شهرى كبير .

وشعرت فعلاً بالألم لأنه سيحرم من هذا المبلغ الكبير وطمأنت خاطره وقلت له إن العمل فى أخبار اليوم يساوى أكثر من هذا المبلغ .. ووعدته بعلاوة خمسين جنيها .

وذهبنا معا ..

وقبل أن ندخل الاجتماع أعطيت العقد لفوزى عبد الحافظ لكى يقدمه إلى الرئيس وفعلاً دخل الرئيس الاجتماع وكان العقد أمامه على أوراق أخرى ..

وفى بداية النصف الثانى من الاجتماع بعد استراحة قصيرة ذهب الرئيس خلالها إلى دورة المياه تحدث الرئيس عن موقف إبراهيم سعده وقال إن شابا لا يزال فى مطلع حياته رفض مبلغاً ضخماً لالتزامه بقضايا وطنه وأشار إلى العقد الذى أمامه ..

ثم اتجه الرئيس إلىّ بالحديث قائلا :

ــ ياموسى هذا قرار للتنفيذ يعين إبراهيم سعدة رئيساً لتحرير أخبار اليوم ويتقاضى مرتب رئيس تحرير ابتداء من اليوم .

وتصور جميع الحاضرين أننى كنت أعرف مقدماً لأنهم شاهدونا ندخل الاجتماع سويا .. ولكن هذا القرار كان مفاجأة تامة لى .

ثم توجه الرئيس بالحديث إلى إبراهيم سعده قائلاً « فين إبراهيم ؟ » ووقف إبراهيم سعده فسأله الرئيس : منذ متى عرض عليك هذا العقد ..

وأجاب : منذ أربعة أشهر ..

وهنا قال لى الرئيس : ويعطى إبراهيم سعده الفرق بين مرتبه ومرتب رئيس التحرير لمدة أربعة أشهر ..

ثم قال الرئيس : وأقول هنا للصحفيين الكبار الذين يكتبون لصحف خارجية إنهم مخيرون بين العمل فى هذه الصحف أو فى صحف مصر ..

وخرجنا من الاجتماع وكان معى إبراهيم سعده فى سيارتى وطوال الطريق كان يبدى دهشته البالغة .. وقال لى : كفاية على مدير تحرير كيف أكون رئيسا للتحرير وأستاذى سعيد سنبل مديرا ، للتحرير ..

وكانت هذه مشكلة فعلا .. لأن سعيد سنبل يعمل مديراً لتحرير أخبار اليوم ومنذ سنوات طويلة واسمه مسجل فى الصفحة الأولى تحت عنوان الصحيفة وطوال هذه السنوات وهو رئيس مباشر لإبراهيم سعده .

وتحدثت إلى منصور حسن وزير الإعلام فى المساء فى هذا الوضع الجديد وطلب إلىّ أن أتحدث إلى الرئيس فى ذلك .

واتصلت بالرئيس .. وقبل أن أتكلم قال لى : إننى أعرف ماذا تريد أن تحدثنى عنه موضوع سعيد سنبل ..

قلت : نعم ..

قال : إننى أحترم سعيد سنبل وأقدره وهو كاتب نظيف وشريف ولكننى لم أكن أجرى اليوم حركة ترقيات قرارى عن إبراهيم سعده قرار سياسى حتى يعرف الكبار أمثال مصطفى أمين وإحسان عبد القدوس ، أن الشباب لا تغريه المادة والدولارات والدنانير ..

وطلب منى الرئيس أن أبلغ سعيد سنبل تقديره الكامل وأنه سيعينه رئيساً للتحرير خلال شهرين أو ثلاثة .. ولكن هذا لم ينفذ حتى وفاة الرئيس وقد اختير سعيد سنبل بعد ذلك عضوا فى مجلس اتحاد الأذاعة والتلفزيون ثم عضوا بمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم .. إلى أن عين فى فبراير ١٩٨٥ أخيراً رئيس تحرير « الأخبار » .

وفوجئت بمصطفى أمين فى مكتبى وأعطانى ورقة كتب فيها أنه اختار العمل فى صحافة بلاده .. وكذلك ظهر بيان بنفس المعنى والكلمات من إحسان عبد القدوس فى صحيفة الأهرام .

وبالنسبة لجلال الحمامصى فإنه كان قد هاجمنى فى مقاله اليومى دون ذكر إسمى يوم تعيينى رئيسا لمجلس الإدارة وبعد أن أمتنع عن الكتابة عاد وسألنى بعد توقيع اتفاق كامب ديفيد إن كان هناك مانع من استئنافه الكتابة لأنه يؤيد كامب ديفيد .

وكانت إجابتى هى كل الترحيب فإنه ليس ممنوعاً من الكتابة وهو الذى اتخذ قراره بنفسه ولن يمنعه أحد ..

وعلمت من صديق لى أن جلال الحمامصى انتهى من تأليف كتاب بعنوان « القربة

المقطوعة » يهاجمني فيه .. ويتهمني بأنني كنت أهدده بأنور السادات ونشر فيه السطور التي حذفتها من مقالاته وأورد ثلاث وقائع رواها لي صديق ورأيت أنها محرّفة تماما وقد استشهدت بتحريف هذه الوقائع بمصطفى أمين الذي أقرني على وجهة نظري .

وقد أبلغت مصطفى أمين بموضوع هذا الكتاب وقلت له إنه لا يهمني أن يصدر جلال الحمامصي كتابا ضدي فانني لم أتصرف معه أي تصرف أخجل منه ، ولكن الذي يؤلمني أننا بعد هذا العمر الطويل نتنابذ في مؤلفات .

وقد أكد لي مصطفى أمين أنه تحدث في ذلك مع جلال الحمامصي وأنه أقنعه بالعدول عن إصدار الكتاب .

ولكن بعد وفاة السادات أصدر الحمامصي هذا الكتاب ! .

ثم عادت العلاقات بيننا على أكمل وجه .. فإنه مهما كانت حدة الخلافات التي يدفع إليها الرأي السياسي .. فإن الروابط الأصيلة أقوى من كل ذلك وإنني أشهد دائماً أنني تعلمت من جلال الحمامصي الكثير في عملي الصحفي وأنه رجل على خلق . ولكن لعن الله السياسة ! .

الفصل التاسع عشر :

الســـادات .. والإعــلام العالمى

الصدام مع صحافة العالم فى ميت أبو الكوم ــ الصدام الأول بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير ــ أزمة التليفزيون الأمريكى ــ من هو بيتر جنز ؟ ــ فيلم أمريكى بعد حرب أكتوبر ــ عاش من أجل السلام ومات من أجل المبادىء ــ قصة برجريف محرر النيوزويك مع السادات ــ ماذا قال كرونكايت أكبر معلق أمريكى فى كامب دافيد ــ قراءات عن ثورة لينين ــ سر نجاحه على شاشة التليفزيون الأمريكى ــ خلال معركة انتخابات ريجان وكارتر ــ القوى اليهودية فى أمريكا تخطط للهجوم على السادات ــ سؤال بربرا والترز عن الشاه والسادات ــ حملة صحيفة الوفد ــ موقف الصنداى تايمز ــ فيلم السادات .

الفصل التاسع عشر

السادات .. والإعلام العالمي

رأت صغرى كريمات السادات والسيدة جيهان ، والدها على شاشة التليفزيون يضرب المنضدة بيده ويعلو صوته فى زمجرة غاضبة .. وهو يقول لصحفى أجنبى باللغة الانجليزية .. لولا الديمقراطية فى مصر لأطلقت عليك الرصاص . هذا سؤال لا يوجه فى مصر. قرار مصر بيد مصر لا بيد أية قوة أجنبية .

كانت هى فى الأسكندرية . وكان الرئيس السادات فى ميت أبو الكوم يعقد مؤتمرا للصحافة العالمية ، يجيب فيه على أسئلة الصحفيين عن قرارات سبتمبر ، ويشرح لماذا أبعد مراسل محطة التلفزيون الأمريكية A. B. C. عن مصر .. ويعاتب صحافة العالم الغربى ، على الحملة التى شنت ضد مصر ، وكأن مصر تحولت إلى دكتاتورية ..

وشعرت كريمته بالقلق عليه ، وأسرعت إلى والدتها السيدة جيهان وأبلغتها بما رأته .. وانتظرت الأم حتى انتهى المؤتمر الصحفى واتصلت بالرئيس تستفسر عما جرى ، وتطلب إليه ألا ينفعل .. وقال لها الرئيس : إنه صحفى تجاوز الحدود .. لقد سألنى إذا كنت قد أخذت إذنا من ريجان ، قبل أن أتخذ القرارات الأخيرة ..

وكان السادات هادئا جدا وهو يتحدث إلى السيدة زوجته .. بل كان هادئاً جداً بمجرد انتهاء المؤتمر الصحفى .. وهذه هى عادته .. الانفعال السريع عند الغضب .. ثم العودة إلى طبيعته ..

وفى هذا المؤتمر الصحفى ، لم يفقد أنور السادات طبيعة التحدى .. كان قد تلقى أن الصحفى الأمريكى الصهيونى « سافير » كتب مقالا يشهر فيه بفساد الحكم فى مصر .. مع أن سافير لم يزر مصر إلا ٣٦ ساعة ، فى صحبة صديقه الحميم بيجن رئيس وزراء إسرائيل ، فى آخر زيارة له بالاسكندرية .. وقال السادات للمراسلين الأجانب : هذه كلمات مغرضة أعرف ما وراءها .. وحتى تعلموا أننى أحتقر هذا الأسلوب .. فإننى أعيد أمامكم قراءة نص المقال ، حتى يذاع على العالم كله .. إننا أقوى كثيراً من هذا التشهير .

وكان هذا هو الصدام الثانى لأنور السادات مع صحافة العالم فى مؤتمر صحفى .. كان الصدام الأول قبل ذلك بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير حيث صورت الصحافة الغربية أحداث اليومين على أنها ثورة الجائعين .

وكان المؤتمر الصحفى الأول فى استراحة القناطر .. وألقى السادات على المراسلين

الأجانب درساً قاسياً فى الأمانة الصحفية والبعد عن الإثارة . وكاد الموقف أن يتوتر لولا أن تدخل « والتروين » مدير مكتب مجلة « تايم الأمريكية » فى القاهرة وهو صديق للسادات ، ووجه إلى السادات سؤالاً عن قضية السلام ، بقصد تغيير الموضوع .

وتعرض السادات فى أوائل حكمه لحملة صحفية فى الصحف الأمريكية وفى صحيفة الجارديان البريطانية قادها الصحفى اليسارى « دافيد هيرست » وأبعده السادات حينئذ . كان واضحاً أن هذه الحملة تختفى وراءها اتجاهات فلسطينية ويسارية معادية للسادات كانت على أوثق الروابط بهذا الصحفى .. ثم أعاد « دافيد هيرست » الحملة فى حديث تليفزيونى مع محطة الـ A. B. C. الأمريكية قبل رحلة السادات إلى أمريكا بعد تولى الرئيس ريجان ، وكان الهدف من الحديث أن يذاع يوم وصول السادات إلى أمريكا لتشويه صورته .. وكان حديث « دافيد هيرست » مجرد شتائم فى أنور السادات بأنه بهلوان ومهرج وكاذب وممثل .. وأن مصيره هو مصير الشاه .. وحصلت المباحث العامة فى مصر ، على الشريط قبل إرساله إلى أمريكا وصادرته وقرر السادات إبعاد مراسل محطة التليفزيون الأمريكية .

واحتج المراسلون فى مصر .

واحتجت محطة الـ A. B. C .

ولم يأبه السادات لهذه الاحتجاجات .

ولما طلبت المحطة إرسال مندوب آخر .. أصر السادات على أن تـذيع المحـطة اعتذاراً علنيا .. وأن يحضر مدير المحطة إلى القاهرة لكى يقدم هذا الاعتذار بنفسه .. وقد توجه مدير المحطة إلى السفارة المصرية بواشنطن وقابل السفير أشرف غربال ، وقدم الاعتذار ، ووعد بإذاعته ولكن السادات رفض ذلك .. واتصل بى الدكتور أشرف غربال وطلب منى أن أتدخل لإقناع الرئيس بأن السفارة هى أرض مصرية ، ترفع العلم المصرى وأن هذا الاعتذار يحقق ما يريده الرئيس . واقتنع الرئيس . واقترح أشرف غربال أن ترسل المحطة ألمع نجومها وهو « بيتر جنز » إلى مصر ليجرى حديثاً مع السادات ــ وخاصة أنه صديقه ــ وبذلك تنتهى الأزمة تماماً .

واتصلت بالرئيس .. وعرضت عليه الاقتـراح . ولكنه رفض . وقـال : إلا بيتر هذا ؟ .

ولم أكن أعلم أن صلته بهذا الصحفى العالمى قد انقطعت . وسألته لماذا ؟ .. أعرف أنه صديق سيادتك ..

وأجاب السادات : نعم . لقد كان صحفياً كندياً عاديا .. وقد قدمت له خدمات

هائلة ، رفعت اسمه وجعلته نجماً .. وإذا به يتصل بالخصوم . إننى لا أحترم إلا صداقة المبادىء . ولا أتعامل مع من يتنكر للصداقة .

وأبلغت ذلك إلى أشرف غربال تليفونيا .. الذى قال لى : أمامى محمد حقى رئيس المكتب الصحفى .. وإننى أسأله أمامك .. هل كتب بيتر شيئاً ضد السادات ؟ .. وها هوذا يجيب : لم يكتب أى شىء .

وكتب بيتر رسالة شخصية إلى السادات ، عن طريق السفارة ، ولكن السادات أصر على عدم استقباله فى مصر .

ولم أكن أعلم شيئا عن هذه القطيعة من جانب السادات .

ولكننى أدركت ، لماذا رفض السادات استقباله قبل ذلك ، فى يوم تشييع جنازة شاه ايران .

لقد حضر بيتر إلى القاهرة فى طائرة خاصة واتصل بى ، قائلا إنه فشل فى الاتصال بمكتب الرئيس فى الاسكندرية .. وهو يطلب مساعدتى فى الحصول على موعد قبل تشييع الجنازة .

واتصلت بالرئيس فى الاسكندرية .. ولكنه أبلغنى أنه لن يدلى بأى حديث لا قبل تشييع الجنازة ولا بعدها .. وهذه الجنازة ليست للدعاوة .. ولها وقارها واحترامها .

وقد بدأت قصة الصحفى العالمى بيتر جيننز مع السادات بعد حرب أكتوبر ..

كان من آمال السادات وتخطيطه أن تصل الأحداث الحقيقية لهذه الحرب إلى الإعلام العالمى لكى يرد اعتبار وكرامة مصر والعرب .. وخاصة أن الدعاية الاسرائيلية وصلت إلى قمة نجاحها بعد هزيمة ١٩٦٧ المنكرة فى اقناع الرأى العام الدولى ، بأن أمة العرب هى أمة متخلفة تعيش حياة الذل والاستعباد .. وأن مصر وهى الرائدة وهى الأقوى .. انتهى أمرها عسكريا فى ساعات . وصدرت عشرات المؤلفات عن هزيمة ١٩٦٧ بكل لغات العالم .. ورسخ فى الأذهان أن سلاح الطيران الاسرائيلى هو أقوى سلاح فى العالم .. وأن جيوش الدول العظمى يجب أن تأخذ الدروس من الفن العسكرى الاسرائيلى ، وأن مخابرات اسرائيل هى أنجح وأخطر مخابرات فى العالم .. وأن أمريكا لا تستطيع أن تعيش فى أمان ، بغير المعلومات التى تقدمها لها مخابرات اسرائيل .. وجاءت حرب أكتوبر لتهدم هذا كله ..

ولكن المشير أحمد إسماعيل ، لم يضع فى اعتباره ، أبدا موضوع الإعلام خلال الحرب . فلم يصاحب القوات المصرية التى حققت معجزة العبور ومجد تحطيم أسطورة

خط بارليف أى صحفى أو مصور صحفى أو تليفزيونى .

كان المشير أحمد إسماعيل حريصاً على الكتمان الكامل وكان يخشى تسرب أية معلومة صغيرة ، يمكن أن تهدم تماما كل الاستعداد للهجوم المفاجىء .

ومشهد العبور العظيم ، كان يثير خيال أنور السادات ..

كان يراه أروع المشاهد فى تاريخ الحروب ..

وكان يشعر بالألم ، لأن عدسة لم تسجل هذا اليوم الخالد .

وعندما رأى السادات فيلما قصيرا سجله التليفزيون المصرى بعد ذلك ، لمشهد من مشاهد العبور ، فى يوم متأخر من الحرب كان ضجرا جدا من هذا المشهد .. وعبر عنه بقوله : دول زى ما يكونوا بيتفسحوا فى ترعة .

وحضر إلى القاهرة صحفى يعمل بالتليفزيون الأمريكى فى محطة الـ A. B. C. اسمه « بيتر جينز » كان هذا الصحفى الشاب يريد أن يحقق لنفسه مجدا صحفيا ، بأن يسجل أحداث حرب أكتوبر وأن يصور شريطاً طويلاً عن حياة أنور السادات .. وهو الصحفى الذى قال له السادات ــ ردا على سؤال : ماذا تريد أن يكتب على قبرك .. « عاش من أجل السلام . ومات من أجل المبادىء » . وهذه العبارة استخدمها معظم زعماء العالم فى رثاء أنور السادات .

ووجد هذا الصحفى الذى يمثل أنجح محطات التليفزيون الأمريكى التى تمتد شبكاتها إلى أمريكا كلها من أقصاها إلى أقصاها .. معوقات عديدة فى اتصاله بالرسميين .. وفى الإعداد لقصته التليفزيونية .. حتى استطاع الوصول إلى أنور السادات . وهنا وبإدراك واع لأهمية طرح قصة حرب أكتوبر على الرأى العام العالمى فتح له أنور السادات كل الأبواب المغلقة . وكان يستجيب على الفور لكل ما يطلبه « بيتر » حتى انه أمر بفتح غرفة العمليات السرية ــ التى تقع فى مكان ما تحت الأرض ــ واستدعى كل القيادات العسكرية .. وحضر أنور السادات وجميع القادة واحتلوا مواقعهم التى كانوا فيها ، عند بدء الحرب ، وخلالها ، واستطاع « بيتر » أن يصور هذا المشهد الرهيب ، على أنه حدث يوم ٦ أكتوبر ، وحضر رؤساء تحرير الصحف المصرية هذا المشهد .

وكان هذا الفيلم التليفزيونى من أنجح وأول الأفلام عن مصر ولمع بعدها اسم « بيتر جينز » وأصبح فى مقدمة نجوم الـ A.B.C

وكان يحضر إلى مصر فى كل المناسبات والأحداث .. وكان الرئيس يستقبله .

وقال السادات : ولكن النجاح لعب برأس « بيتر » وبدأ يتصل بالجهات المعادية لمصر .. وهنا قرر السادات رفض لقائه على الاطلاق .

ولم أكن أعلم بذلك ..

وصحفى أمريكى آخر أتاح له السادات فرصة الشهرة .. وفرصة أن يصل إلى منصب كبير المحررين السياسيين فى مجلة « نيوزويك » الأمريكية : إنه الصحفى « برجريف » الذى أجبر على الأستقالة أخيرا من نيوزويك وعمل بعد ذلك خبيرا فى شئون الشرق الأوسط فى إحدى المعاهد العلمية الأمريكية . وكان قد أذيع من طهران أنه تلقى هدية كرشوة من شاه إيران هى سجادة غالية الثمن . وقد كذب برجريف هذا الاتهام .

كان محمد حسنين هيكل هو وسيلة لقاء برجريف بالسادات .. وكان الاتصال بالصحافة الأجنبية من اختصاص هيكل طوال فترات قربه من السادات . وكان يهم السادات أن يذيب بعض السم الصهيونى المتسلل إلى كل سطور صحيفة النيوزويك الأمريكية . ولمع اسم برجريف مع أحاديث السادات ، واتجه إلى التخصص فى مشكلات الشرق الأوسط .. وفجأة وجدته يطلب لقائى لأمر هام جدا . وفوجئت بأنه يطلب تدخلى لأن الرئيس السادات يرفض لقاءه . كان ذلك قبل رحلة السلام .. وعجبت للأمر وسألته عن السبب الذى يتصوره بعد أن أبلغنى أنه يقيم فى القاهرة منذ شهر كامل فى انتظار هذا اللقاء .

وأخيرا .. لقيه السادات . وفهمت أن السادات كان يشك فى أن هذا الصحفى يعمل لحساب المخابرات الأمريكية .. وقد أرسل خطابا إلى السادات يتحدى فيه أن يكون هذا الأتهام صحيحا . ولكن السادات كان قد فقد ثقته به .

وكانت هذه طبيعة السادات ، إذا أعطى الثقة أعطاها بلا حدود ، وإذا وجد أن ثقته فى غير موضعها حجبها تماما .

ولم يكن السادات يضيق بأى سؤال يوجه إليه مهما كان السؤال عدوانيا .. وخبيثا .. كان يدرك دائما البواعث السيئة ، ولكنه كان يتجاوزها بالاجابات الذكية المحكمة الهادئة . وكان يضع فى اعتباره دائما أن يعطى الصحف خبرا جديدا يصلح «مانشيت» .

وحدث فى مناسبات هامة ، أنه كان يقابل ثلاثة صحفيين أجانب ، أو ثلاث مجموعات صحفية من بلاد مختلفة فى يوم واحد ، وكان يعرف كيف يعطى كل لقاء أهمية خاصة ، بخبر خاص ينفرد به من يقابله أو يقابلهم . وعندما كان يسافر إلى أمريكا كان

يعطى أحاديث للمحطات التليفزيونية الثلاث الكبرى ، وفى يوم واحد .. ولم يكرر نفسه أبدا . ثم كان يعقد اجتماعا خاصا مع كبار الكتاب ، يكون فيه الحوار لإعطاء خلفية لكبار الكتاب وليس للنشر على لسانه . وهو ما أصطلح عليه عالميا بعبارة "Off The Record" .

وكان أكبر المعلقين فى محطات التليفزيون الأمريكية الثلاث وهم والتر كرونكايت وشنسلر وبربرا والترز يتنافسون على السبق الإخبارى حول السادات . وكثيرا ما أجروا معه الأحاديث وهم فى نيويورك ، أو واشنطن وهو فى القاهرة أو فى العواصم الأوربية بأساليب الاتصال الحديثة التى تتيح السؤال من خلال سماعات دقيقة تختفى فى الأذنين .

ووالتر كرونكايت الذى اعتزل العمل أخيرا كان هو النجم الأول فى التليفزيون الأمريكى وعلى المستوى العالمى فى تقديم الأخبار والتحقيقات والتعليق عليها . وله فى انتخابات رياسة الجمهورية دور مؤثر كبير ويطلقون عليه «رجل كل بيت» لأنه لا يوجد بيت فى أمريكا لا يتابع نشرته الإخبارية مساء كل يوم التى يوجه فيها المراسلين فى جميع عواصم العالم إلى الأخبار الهامة ومواقع الأحداث . وهو الذى أجرى اللقاء التليفزيونى بين السادات وبيجن .. قبيل زيارة السادات لإسرائيل . وكان السادات فى القاهرة وبيجن فى القدس ، وكرونكايت فى نيويورك .

وكان يرى فى السادات عن اقتناع كامل زعيما عالميا من النادرين فى كل قرن الذين يغيرون وجه التاريخ . وكان كرونكايت يسعد بأى قرار للسادات يتيح للصحافة حرية أوسع ويتيح للديمقراطية قدرة أكبر .. وأذكر حوارا شخصيا جرى بين كرونكايت وبينى فى كامب دافيد . كان السادات قد منع مصطفى أمين من الكتابة قبل كامب دافيد بوقت قصير .. قال لى كرونكايت : إنى أعتبر الرئيس السادات صديقا شخصيا كبيرا أعتز به فى حياتى العامة وأرى أن أمريكا الرسمية مقصرة تقصيرا شديدا فى المساعدات الاقتصادية التى تعطى لمصر . إن زعيما يبنى بلده بهذا الاسلوب ويقتحم مخاطر السلام بحياته . جدير بكل العون . ولكننى — من جهة أخرى — أريد أن أقول لصديقى السادات إن هذا البلد (أمريكا) حساس جدا فى موضوع الديمقراطية . ولذلك فإن منع مصطفى أمين من الكتابة .. يحدث أثرا سيئا هنا فى الإعلام ومع رجال الكونجرس . طبعا نحن نقدر إطار الديمقراطية فى دولة مثل مصر .. ولن تكون كالديمقراطية الأمريكية .

وانتهزت فرصة لقاء لى مع الرئيس السادات فى القناطر ذات مرة بعد العودة من

كامب دافيد .. ورويت له حديث والتر كرونكايت معى .. ولم يعلق السادات بكلمة على ذلك . وكان قد أعاد مصطفى أمين إلى الكتابة بعد عودته من كامب دافيد كما رويت فى الفصل السابق .

كان أنور السادات شخصية جذابة بالنسبة لكل من يقابلهم من الشخصيات الأجنبية أو الصحافة الخارجية وخاصة عندما تنتهى الأسئلة والاجابات التى ستذاع .. وتبدأ دردشة شخصية فيها طابع المودة .. ومن خلال هذه الدردشة كان السادات يحصل على أخبار هامة من اتصالات هؤلاء الصحفيين بغيره من القادة والزعماء .

وكان يتحدث إليهم بالمنطق الذى يفهمونه ، وبالأسلوب الذى يقنعهم وقد ساعد السادات الرؤساء الامريكيين الذين تعامل معهم ، فى كسب عدد من رجال الكونجرس الأمريكى إلى موقف الاعتدال بالنسبة للقضية الفلسطينية .. ان كل رئيس أمريكى كان فى مأزق بسبب النفوذ اليهودى العارم . لا يوجد مكتب رئيسى فى البيت الأبيض ليس به موظفون مؤثرون من غلاة المؤيدين لاسرائيل و« اللوبى » اليهودى فى الكونجرس له نشاط لا يهدأ ليلا أو نهارا . وصورة العرب أمام الرأى العام الأمريكى لم تكن أكثر من صورة رجال يرتدون العباءات ويسكنون القصور الفخمة ويعبثون فى ملاهى الليل وقد نمت اسرائيل هذه الصورة التى ساعد عليها واقع يصل إلى المواطن الأمريكى من الصحف والاذاعة والتليفزيون .. ومبالغات ضخمة ، من رجال الإعلام وعدد كبير منهم من اليهود المتطرفين أو حتى المعتدلين . وذلك مع ضعف الدعاية العربية ، وعدم التفهم لأسلوب التعامل مع الواقع الذى بدأ به أنور السادات . وقد كانت النصيحة التى استمع إليها السادات من أكثر من رئيس أمريكى ، هى رجاؤهم إليه أن يتحدث مباشرة مع أعضاء الكونجرس من الحزبين . فبعضهم جاء بدعوات خاصة منه ، وكثير منهم جاء فى جولات رسمية . واستطاع السادات أن يكون صداقات شخصية وعائلية مع عدد منهم من المؤثرين فى أتخاذ القرار . وكان هذا فى رأيى أكبر دور إعلامى أداه السادات ، من أجل القضية العربية والرأى العام الأمريكى .

وبدأت صورة السادات تظهر على السطح ، أمام الرأى العام الأمريكى عندما فأجأ العالم كله بقرار إخلاء الخبراء السوفييت العسكريين .

وكان السادات يتفهم تماما طبيعة الإعلام السياسى السوفيتى . وكان ينفذ بفكره إلى ما وراء أى تحرك سوفيتى . ولم يكن يمانع أبدا فى أن يحقق لهم ما يريدونه إعلاميا . مادام يستطيع بعد ذلك أن يحصل على فائدة لمصر .

وكان السادات يعلم أن هجومه على الاتحاد السوفييتى . يؤرقهم كثيرا لأن إذاعة

أوربا الحرة التى تذيع باللغة الروسية كانت تنقل تصريحات السادات ويسمعها المواطن السوفيتى . ولذلك فقد كان يقسو فى الهجوم فى الوقت المناسب . وبما يعرف أنه يؤرقهم .

وعندما أرسل عدد من الشخصيات السياسية المصرية رسالة إلى السادات يحذرونه فيها من التعامل مع الاتحاد السوفيتى .. وكانت الرسالة خاصة غير معلنة وقد سلمها عبد اللطيف بغدادى إلى محمود أبو وافية فى مظروف مغلق أمام وزارة الزراعة بالدقى لكى يقدمها إلى السادات .. عندما تلقى السادات هذه الرسالة أراد أن يفيد منها إعلاميا فى علاقة مصر مع الاتحاد السوفيتى .. ولذلك فقد أعلنها فى مجلس الشعب .. وهاجم من كتبوها هجوما بالغ العنف وسجل المساعدات والخدمات التى قدمها الاتحاد السوفيتى إلى مصر .. وهاجم السياسة الأمريكية بقسوة هذا فى الوقت الذى كان فيه السادات يعانى من التعامل مع السوفييت .. وكان يهدف من ذلك إشعار السوفييت بأن هناك معارضة داخلية ضد تعامله معهم . وفقدان ثقة .. ولكنه يتصدى لهذه المعارضة .. لثقته بأن السوفييت سيغيرون أسلوب تعاملهم .. ولم يكن السادات فى حقيقة تفكيره غاضبا على من أرسلوا هذه المذكرة .. ولكنه أراد استثمارها إعلاميا . لصالح مصر ..

وفى حياة عبد الناصر الذى كان يطلع السادات أولا بأول على كل تطورات العلاقة مع السوفييت . قرأ السادات كثيرا عن ثورة لينين وحكم ستالين وعن التطبيق الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى .. وعندما كان يقابله مراسل سوفيتى كان يكتشف أن السادات على علم كبير بقضية بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى . وقد قال لى أحد أقطاب الإعلام السوفيتى الذى استقر أخيرا فى منصب سياسى هام فى موسكو .. أنه عندما كان يزور السادات فى منزله بالهرم كان يذهل من عدد المؤلفات التى فى مكتبة السادات عن تاريخ الثورة البلشفية .. وكان يبدو له فى بعض المناقشات أن السادات قرأ عن هذه الثورة ، بأكثر كثيرا مما قرأ هو .. وكان هذا له أثره الكبير فى العلاقات الإعلامية بين السادات وبين المراسلين السوفييت ..

وكان المراسلون الأجانب بصفة عامة يعجبون بتمكن السادات من اللغات الاجنبية .. وكان طبيعيا أن يلتقوا بزعماء ، يجيدون الانجليزية أو الفرنسية .. ولكن كان مثيرا لدهشتهم أن يلتقوا بزعيم مثل السادات يجيد اللغة الألمانية ، ويعرف الفارسية ..

وكان لاستخدام السادات « البايب » أثناء المؤتمرات الصحفيةوالأحاديث التليفزيونية سحر خاص على المصورين .. وكان السادات يتوقف خلال إجابة هامة ينتظرها مئات الصحفيين فى المؤتمرات العالمية ، لكى يشعل «البايب» .. وكان يستخدم الكبريت .. وكان دائما يردد .. الولاعة تضيع مذاق الدخان .. وهنا كانت عدسات

التصوير تتفرغ لمتابعة إشعال البايب .. والدخان الذى ينبعث بعد النفس الأول فيحيط رأسه بهالات زخرفية جميلة يحرص عليها المصورون .. وهذا فى حد ذاته تفهم من السادات للفن الإعلامى .. وتقديم من جانبه للصورة الناجحة التى يسعى إليها مصورو الصحافة والتليفزيون .. ولعل أبرز تطبيق لهذا المشهد كان فى المؤتمر الصحفى العالمى الذى عقد فى القدس فى نهاية الزيارة الأولى للسادات وقد حضره أكبر عدد من الصحفيين من جميع أنحاء العالم وكان يضم أضخم الأسماء وألمعها .

وقد تفهم السادات جيدا نفسية المواطن الأمريكى عندما يشاهد التليفزيون .. لقد اعتاد المواطن الأمريكى على الحركة السريعة . المرهقة للأعصاب فى كل ما يعرضه التليفزيون الأمريكى .. ومن هنا أعطى السادات لهذا المتفرج الأمريكى لونا آخر يملك عليه حواسه ، ويثير إعجابه .. كان السادات لا يجيب بسرعة على السؤال الموجه إليه .. كان ينتظر لحظات وهو يفكر .. ثم يتكلم .. وكان حريصا على انتقاء الكلمة التى تعطى المعنى الذى يريده تماما .. ولذلك كان يجهد نفسه فى تفكير صامت هادىء حتى يعثر على الكلمة .. وخلال ذلك كان يبدو صوته وكأنه يفكر معه عندما تتكرر منه عبارة .. « أية .. أيه .. ايه » .. ثم يقول ما يريد .

قال لى « شانسلر » وهو من أكبر معلقى التليفزيون الأمريكى إن أحدا من رؤساء أمريكا ، لم يحظ بهذا النجاح التليفزيونى ، غير الرئيس السابق كنيدى .. ويليه السادات .. من الرؤساء الأجانب .. وعلى كل فلم يعرف الأمريكيون رئيسا أجنبيا سلب لبهم ، مثل السادات .

وقد حدث فى الزيارة الأخيرة للسادات فى أمريكا ، أن لمسنا محاولات تختفى وراءها الاصبع اليهودية ، لكى تقلل من هذا النجاح المكتسح الذى كسب به السادات الرأى العام الأمريكى .. وقد تحدثت فى هذه الظاهرة إلى أحد أصدقائى من كبار رجال التليفزيون الأمريكى فقال لى : اطمئن ، إن محطات التليفزيون الأمريكى الكبرى الثلاث لن تستطيع أن تتحدى مشاعر الشعب الأمريكى .. إن أية محاولة مهما كانت ذكية للنيل من صورة السادات أمام الرأى العام الأمريكى ستضع من يحاولها فى مأزق .. سينقلب الرأى العام ضد هذه المحاولة ، ويزداد تعلقه بأنور السادات .. إننا فى أمريكا صناع الرأى العام ــ هذه حقيقة ــ ولكننا لا نستطيع أن نتحدى هذا الرأى العام .. والسادات هو الذى صنع الرأى العام الذى يؤيده ، ولم نكن نحن أكثر من ناقلين لشىء أعجب به الرأى العام .. إلى الشعب الأمريكى .

وكان السادات يخضع كلماته للإعلام العالمى لحسابات دقيقة .. وقد كان يعرف متى يظهر .. ومتى لا يظهر ..

فالسادات مثلا لم يسافر إلى أوسلو لكى يتسلم جائزة نوبل مع بيجين .. وأناب عنه سيد مرعى فى هذه المهمة .. ووضح للعالم كله أن هذا تصرف متعمد من السادات ، إظهارا للعالم عن عدم رضائه على سلوك بيجين المعرقل للسلام .. ولكن عندما تم توقيع اتفاق السلام ظهر أمام العالم كله ويده متشابكة مع بيجين وكارتر .

وفى خلال معركة الانتخابات للرياسة بين ريجان وكارتر .. كان اتجاه ريجان نحو الشرق الأوسط فى تصريحاته عن سياسته ، انحيازا كاملا لإسرائيل .. تحت شعار من ليس معنا فهو ضدنا .. وهنا حرص السادات أن يستقبل مجموعة من كبار الصحفيين الأمريكيين فى القاهرة وأعلن لهم تصريحه المشهور « سأقول لريجان إذهب إلى الجحيم Go to hell. إذا أعاد إلى الشرق الأوسط سياسة دالاس القديمة » .

وأحدث هذا التصريح العنيف أثره وتلقى من سفارتنا فى واشنطن ما يفيد أن ريجان أدرك خطأ تصريحاته وأنه سيتجه اتجاها معتدلا .

ولما توثقت صلة السادات بالرئيس الأمريكى نيكسون .. وخاصة بعد أن زار القاهرة . واستقبل استقبالا شعبيا خرافيا لم يحدث لرئيس أجنبى من قبل .. وكان هذا الاستقبال التلقائى تعبيرا من الشعب عن ترحيبه بصداقة جديدة مع أمريكا وإعلان سعادته بموقف السادات من السوفييت .. بعد أن توثقت صلة السادات بنيكسون .. واستطاع فى هذه الزيارة أن يحصل من نيكسون على اتجاه صريح جديد فى السياسة الامريكية يمكن ان يحقق المطالب المصرية والعربية . حاول السادات بكل تأثيره الإعلامى أن يؤازر نيكسون فى دفاعه عن نفسه أمام اتهامات ووترجيت التى بدا انها تهدد بعزل نيكسون .. وحرص السادات أن يدلى بتصريحات صحفية وتلفزيونية يومية .. ولمدة طويلة تحدث فيها عن نيكسون السياسى العالمى القدير ، والقائد الحكيم لبلاده والمهندس البارع للسياسة الأمريكية الخارجيه واستثمر السادات فى هذه الأحاديث استقبال الشعب المصرى لنيكسون .. ولكن الحملة الداخلية ضد نيكسون وكذبه فى تصريحاته للشعب الأمريكى عن حقيقة موقفه فى ووترجيت .. لم تدع فرصة لدفاع السادات أن يؤثر . وخاصة أن السادات لم يكن بعد قد بلغ مكانة السيطرة على الرأى العام الأمريكى

وقد حاول السادات فى انتخابات كارتر ـــ ريجان .. أن يستخدم تأثيره على الرأى العام الأمريكى .. لمعاونة كارتر .. وكان فى المرحلة الأولى من الدعايات الانتخابية مقتنعا بأن كارتر يمكن أن ينجح .. وروّج فى أحاديثه الصحفية كثيرا ، للدور الضخم الذى أداه كارتر من أجل السلام .. ولكنه فى الأسبوع الأخير للانتخابات كان يتوقع

فشل كارتر .. وعزا ذلك إلى أن صديقه ظهر أخيرا ضعيفا أكثر مما يجب فى معالجة أزمة الرهائن الامريكيين .

وخلال أزمة علاج الشاه فى نيويورك .. وإصرار إيران على إخراجه من نيويورك .. بلغ السادات قمة سلطانه الإعلامى على الرأى العام الأمريكى والدولى .. عندما أعلن أنه سيستضيف الشاه فى مصر . وكان لهذا الإعلان أكبر دوى .. ولم تنقطع المكالمات التليفونية والرسائل البرقية لسفارتنا .. فى واشنطن لمدة ثلاثة أيام متصلة .. من المواطنين الامريكيين العاديين .. وكانت كلها تتخلص فى عبارة واحدة « هذا هو الرجل .. ليت لدينا رئيس أمريكى مثل السادات » .. وكان السادات يهدف من هذا الاعلان إلى مساعدة الرئيس كارتر وإخراجه من مأزق بقاء الشاه فى أمريكا .

ويجب أن يذكر التاريخ المنصف للسادات أنه سخر كل هذا النجاح أمام الرأى العام الأمريكى والغربى .. لخدمة مصر .. وقضية الانسحاب الاسرائيلى من كل الأرض العربية المحتلة وقضية الشعب الفلسطينى .

قلت إنه ظهرت اتجاهات تحتية فى الإعلام الأمريكى ، فى العام الأخير قبل استشهاد السادات . تحاول أن تشوه صورة السادات .

اختفت وراء هذه الاتجاهات ، القوى اليهودية المسيطرة على هذا الإعلام . كانوا لا يستطيعون أن يطعنوا السادات . وكانوا لا يستطيعون أن يشوهوا صورته بأسلوب مباشر أمام الرأى العام الأمريكى الذى جن بحب السادات ، وتقدير زعامته وشجاعته وقدرته على اتخاذ القرارات الخطيرة .

وأرادوا الوصول إلى هذا الهدف على خطوتين :

الأولى : هى القول بأن السادات رجل سلام عظيم .. وأنه مخلص فى قضية السلام .. ولكن هذا لا يعنى اغفال أن إسرائيل هى الحليف القوى لأمريكا فى سبيل استقرار السلام .. فمن يضمن موقف السلام فى مصر إذا اختفى السادات .

الثانية : هى محاولات تجريح السادات بنشر الموضوعات عن الأزمة الاقتصادية فى مصر .. والمبالغة فى قصص الفساد .. ثم ربط اسم السادات بالشاه .. وهل يمكن أن يقع فى مصر مثل ما وقع فى ايران ؟.

وكان السادات مدركا لهذا كله .

واستمع إلى أكثر من سؤال من الصحافة الامريكية والتليفزيون الأمريكى عن .. هل يمكن أن يحدث لك ما حدث للشاه فى ايران ؟

ولم يفقد برود أعصابه وهو يعرف نوايا السائل وماذا يختفى وراء السؤال .. وكان يشرح الوضع فى مصر شرحا واضحا مقنعا يجعل السؤال كأنه لم يكن .. ولا يعطى السائل لمزيد من الاستطراد

وكانت أول من وجهت له هذا السؤال .. هى « بربرا والترز » .. وغضب الصحفيون المصريون من موقفها وخاصة أنها يهودية .. ولكن السادات كان هو الوحيد الذى لم يغضب .. واستمر فى مداعباته السابقة المألوفة مع « بربرا والترز » التى كان قد بدأها معها بعد أن أصبح مرتبها السنوى مليون دولار .. وهو يقول لها .. إن رئيس جمهورية مصر لن يصل أبدا إلى جزء من هذا المرتب .. وردت هى بقولها إن لديه استراحة فى الاسكندرية وأخرى فى القناطر وضحك الاثنان .

وقبل أن يصل السادات إلى أمريكا بعد أن تولى ريجان كانت محطة تليفزيون الـ A.B.C تعلن عن حديث مندوبها فى القاهرة ــ الذى لم يذع ــ بصورة للسادات مع شاه إيران .. مع السؤال .. هل يلقى السادات مصير الشاه ؟..

ومن جانب آخر كانت هناك حملة أخرى تقودها صحيفة الموند الفرنسية وكان مصدر هذه الحملة الشيوعيون فى مصر الذين كانوا على اتصال مستمر بمراسل الموند فى القاهرة .. ودأب منذ ثلاث سنوات على نشر موضوعات تشهيرية بالأوضاع فى مصر .. وكان يشرف على هذه الحملة فى باريس الصحفى الفرنسى اليهودى (من أصل مصرى) « أريك رولو » وهو المسئول عن الشرق الأوسط فى هذه الصحيفة .. وكان من طلائع الشيوعيين المصريين اليهود الذين كونوا الحزب الشيوعى السرى فى الأربعينيات الذى عرف باسم « حدتو » .. وهو الذى نظم من قبل الجانب الإعلامى عن رحلة للقذافى إلى فرنسا .. وكان على اتصال مستمر بكل العناصر المناهضة للنظام فى مصر . وقد استدعى رئيس هيئة الاستعلامات مندوب الموند فى مصر ثلاث مرات ، ونبهه الى أن يكون موضوعيا فى رسائله بحيث ينشر كل الآراء .. ولكن كل هذه التنبيهات ذهبت هباء .. وأصر المندوب الفرنسى على نشر كل ما يجرح النظام فى مصر .. وكان لا يتصل إلا بالعناصر الشيوعية .

ورأى السادات أن القوى الصهيونية استغلت الموقف وتريد الاستمرار فى استثماره على أوسع نطاق . وبدأت تصريحات بعض المسئولين فى إسرائيل تتحدث عن أن السلام بين مصر وإسرائيل أصبح فى خطر !..

أما الصحافة البريطانية فكان موقفها معتدلا بعض الشىء باستثناء صحيفة الصنداى تايمز للعلاقة الخاصة التى تربط رئيس تحريرها بمحمد حسنين هيكل .. وقد

نشرت صفحة كاملة كلها تشهير مفضوح ومتعمد بحكم أنور السادات .. ومع الصفحة كاريكاتير ضخم لوجه السادات ، على أنه وجه حمار ..

وقد طلب مراسل الصنداى تايمز فى القاهرة .. مقابلتى وأمضى معى ساعتين بحجة أنه يريد ان ينشر الرأى الآخر .. ونبهته فى آخر جلستنا بأنه لا داعى لضياع وقتى لأننى متأكد مقدما أنه لن ينشر شيئا .. وأكد لى أنه سينشر .. وصدرت الصحيفة وليس بها إلا سطران اثنان فقط من وجهة نظرى .. وكان هذا المراسل قد قابل أيضا الدكتور مصطفى خليل وأمضى معه ساعتين .. ولم ينشر له إلا ثلاثة أسطر من تصريحاته بينما استغرق التحقيق الصحفى صفحة كاملة بها موضوعان .. وهكذا كانت النية المبيتة للتشهير بالسادات .. بالغة الوضوح .

ورأى السادات أن القوى الصهيونية استغلت الموقف وتريد الاستمرار فى استثماره على أوسع نطاق .. ولذلك أصدر قرارا بطرد مراسل التلفزيون الأمريكى كما ذكرت من قبل .. كما قرر طرد مراسل الموند الفرنسى .. ثم دعا المراسلين الأجانب إلى مؤتمر صحفى فى ميت ابو الكوم حيث كان يقيم فى ذلك الوقت .

وبدأ متحدثا فى هذا المؤتمر .. وشرح الإجراءات التى اتخذها لإنقاذ بلاده من مذبحة دموية .. وطلب من المراسلين أمانة الكلمة .. ليس مطلوبا منهم أن يدافعوا عن النظام المصرى .. ولكن المطلوب هو ما تفرضه رسالة الصحافة من ذكر الحقائق .

خلاصة القول .. أن السادات هو الزعيم العربى الذى احتل أكبر مكانة فى الإعلام الغربى لم يعرفها زعيم عالمى من قبل .. ولم يكن غريبا أن يذاع بعد وفاته بالاحصائيات أن ما نشر عن السادات بعد موته كان أضعاف ما نشر عن تشرشل .

ولكن القوى الصهيونية لم تكن لتريد أن يستمر هذا المد الإعلامى الخطير الذى أوجد اليقين لدى الشعوب الغربية بأن زعامة مصر هى التى فرضت السلام .. والمؤسف أن المعارضة الغبية فى مصر لجأت الى الإعلام الغربى لتشويه صورة السادات .. وقد كانت المعارضة المصرية فى ذلك تخدم الأهداف الصهيونية عن جهل وقصور نظر .

وكانت آخر محاولات القوى الصهيونية ، لتشويه السادات ، بعد موته هى فيلم تلفزيونى ملفق الوقائع .. طمسوا فيه فكرة أن السادات هو صانع السلام ، ونفس الشركة أنتجت فيلما من قبل عن جولدامائير بعد موتها .. أظهرتها فيه أنها صانعة السلام .. وبطلة السلام .. وأن دور السادات كان على هامش تاريخها !.

الجزء السابع
من حول السادات

الفصل العشرون

شخصيات كانت قريبة من السادات

مصطفى خليل ــ سيد مرعى ــ عزيز صدقى ــ عبد العزيز حجازى ــ ممدوح سالم ــ منصور حسن ــ النبوى اسماعيل ــ حسن كامل ــ اشرف مروان ــ عثمان أحمد عثمان .

الفصل العشرون

شخصيات كانت قريبة من السادات

« مصطفى خليل »

تولى الدكتور مصطفى خليل رياسة الوزارة فجأة فى ٥ أكتوبر ١٩٧٨ .. فقد كان المعروف أن الرئيس السادات كلف النائب حسنى مبارك بتأليف الوزارة الجديدة ، بعد وزارة ممدوح سالم .. وأمضى حسنى مبارك فعلا ثلاثة أيام فى اختيار الوزراء الجدد ..

ثم خرج الدكتور مصطفى خليل من الوزارة فجأة فى ١٣ مايو ١٩٨٠ .. وتولى رياسة الوزارة الرئيس أنور السادات بعد أن أمضى مصطفى خليل حوالى ٢٠ شهرا رئيسا للوزراء ، وكان المفروض أن يكمل المدة الدستورية لمجلس الشعب بل إنه كان فى لقاء مع الرئيس السادات قبل أن يطلب اليه الاستقالة بفترة قصيرة وأبدى رغبته فى أن يترك رياسة الوزراء لأسباب قال إنها صحية .. ولكن السادات أجاب بأنه سيبقيه فى مسئولية الحكم حتى تنتهى مدة مجلس الشعب !

والواقع أنه لم يحدث أى خلاف جذرى بين الرئيس السادات والدكتور مصطفى خليل وكان السادات يكن له احتراما خاصا ولم يعترض على أى قرار داخلى أصدره رئيس الوزراء الذى كان متعاونا تعاونا كاملا ومثاليا مع النائب حسنى مبارك ، كما أن مصطفى خليل بذل جهدا شاقا فى مباحثات معاهدة السلام ومباحثات الحكم الذاتى .. وكانت له آراء سديدة وافق عليها السادات . كما كان يتمتع باحترام شعبى فى البيانات التى يدلى بها ، وخاصة عندما تحدث فى أكثر من مناسبة بكل الوضوح عن خطورة الوضع الاقتصادى ..

فلماذا كلفه السادات بتأليف الوزارة ؟.. ولماذا طلب اليه الاستقالة ؟..

وقبل الإجابة على هذين السؤالين .. ما صلة مصطفى خليل بالسادات ؟.. وكيف بدأت ؟.

رأى الدكتور مصطفى خليل ، الرئيس أنور السادات لأول مرة فى صيف عام ١٩٥٦ عندما استدعى مصطفى خليل للقاء الرئيس عبد الناصر فى بيته .. وعرض عليه فى ذلك اللقاء أن يتولى وزارة المواصلات .

كان مصطفى خليل أستاذا مساعدا فى كلية الهندسة بجامعة عين شمس يدرس مادة السكة الحديد والطرق .. وتقدم الى مجلس الانتاج (برياسة حسن ابراهيم) بمشروع لإصلاح طرق النقل وركز فى المشروع على السكة الحديد لتحويلها من العمل بالبخار الى الديزل تحويلا كاملا . ورفضت الجهات المختصة مشروع مصطفى خليل .. واستدعاه عبد الناصر وسأله :

ــ هل تستطيع تنفيذ ما جاء فى تقريرك ؟

ــ نعم ..

ــ قررت تعيينك وزيرا للنقل

ــ أشكرك .. وموافق . وبشرط أن تساندنى فى التخلى عن أى مسئول بالسكة الحديد يرفض التعاون .

ــ لا يفصل أحد .. وإنما يوجد له عمل آخر وبعد أخذ رأيى .

ــ موافق .

ولم يتدخل أنور السادات فى الحديث طوال هذه الجلسة التى كان يرى فيها أيضا مصطفى خليل لأول مرة .

واستمر مصطفى خليل فى المسئوليات الوزارية ١١ عاما فى عهد عبد الناصر .. واجه خلالها أزمات مختلفة .. منها اعتراضه على أن تشترى السكة الحديد القضبان التى تنتجها شركة الحديد والصلب لعدم صلاحيتها واختلف فى ذلك مع عزيز صدقى وتمسك برأيه وسخر من الرأى القائل بأن الصين تستخدم قضبانا من الزهر .. وحضر الى مجلس الوزراء ومعه قضيب من الزهر كسره أمام جمال عبد الناصر الذى كان متأثرا بفكرة الصين .

واصطدم مع على صبرى وهو نائب رئيس الجمهورية عندما طلب إليه أن يعرض عليه مشروعات وزارة الصناعة قبل أن يعرضها على مجلس الوزراء برياسة زكريا محيى الدين وخرج من المأزق بأن حصل على موافقة من عبد الناصر على سياسة التصنيع فى ثلاث جلسات . متصلة بينها .. وعلم بذلك زكريا محيى الدين وغضب . وعرف بعد ذلك أن هذا كان هو المخرج من سيطرة على صبرى على ما يعرض فى مجلس الوزراء قبل عرضه .

***

ومرة ثانية رآه أنور السادات فى مجلس الوزراء وكان يحضر المجلس بوصفه وكيلا لمجلس الأمة . يدخل فى مناقشة حامية مع جمال عبد الناصر الذى كان يرأس اجتماع

المجلس . كانت هناك حملة ضد سيد مرعى وزير الزراعة .. واقترح بعضهم التحقيق مع سيد مرعى ، ورفض مصطفى خليل هذا الاقتراح الذى عرضه عبد الناصر وقال إن كل إجراء اتخذه سيد مرعى كان بموافقة مجلس الوزراء .. وعلى ذلك فالمسئولية هى مسئولية الجميع وليست مسئولية سيد مرعى وحده . وهنا سأله جمال عبد الناصر فى عصبية : ومين قال لك يا أخى .. إننى موافق على الاقتراح . أنا عرضته فقط .

ومرة ثالثة كان الصدام مع أنور السادات نفسه وهو رئيس لمجلس الأمة .. كان ذلك فى عام ١٩٦١ وهاجم عدد من نواب المنيا المرحوم محمود رياض وزير المواصلات هجوما عنيفا وكان الهدف هو الإساءة الى مصطفى خليل . وظهر هذا الهجوم فى مجلة روز اليوسف .. ورد مصطفى خليل بأسلوب أعنف فى مقال نشره فى « أخبار اليوم » .. وقرر مجلس الأمة إجراء تحقيق مع الدكتور مصطفى خليل لأنه لم يحترم الحصانة البرلمانية للنواب .. واتصل به أنور السادات وطلب إليه الحضور بدعوى شرب فنجان قهوة والاستماع إلى وجهة نظره على أسئلة رئيس لجنة التحقيق . ولكنه رفض الحضور واتصل بالرئيس عبد الناصر الذى قال : همه فاهمين ان مفيش ريس .. أوعى تحضر .

واتصل الدكتور مصطفى خليل بانور السادات وأبلغه رأى الرئيس بأنه لا يجوز التحقيق مع وزير .. وأنه لن يحضر . وقفل الموضوع ولم يثر فى اجتماع مجلس الشعب .

وكان سبب تأليف لجنة التحقيق أن مصطفى خليل كان يرد على سؤال من نائب وعلق النائب بقوله : الكلام ده كذب .

وكان رد مصطفى خليل : لا أقبل الاتهام بالكذب وإذا كررتها سأخلع جزمتى وأضربك بها فى المجلس . قدم بيانات وأنا أناقشك

وثار النواب . وتقرر التحقيق معه .. ثم انتهى الأمر الى لا شىء بعد تدخل عبد الناصر .

وفى حرب أكتوبر .. اتصل الرئيس السادات بالدكتور مصطفى خليل وطلب منه أن يصحب المهندس سيد مرعى فى جولته بالبلاد العربية البترولية لكى يعرض عليهم الوسائل المقترحة للضغط على أمريكا وأوربا بسلاح البترول .

وكان مصطفى خليل قبل الحرب قد وقع على بيان يهاجم التدخل السوفيتى فى الشئون المصرية ووقع على البيان كل من المهندس الشرباصى . وعبد اللطيف بغدادى . وكمال الدين حسين ، وصلاح دسوقى ومدكور ابو العز وعصام حصونة . ورفض فتحى رضوان التوقيع .

وكان الهدف أساسا من البيان مساندة السادات فى خلافاته غير المعلنة مع

السوفييت .. وكان من رأى مصطفى خليل أن هناك تآمراً على نظام الحكم لتمكين الشيوعيين من السلطة . وكتب البيان عصام حسونة (وزير العدل الأسبق) .

ثم قرب اتصال مصطفى خليل والرئيس السادات عندما انتخب نقيبا للمهندسين وأصبح أمينا للشئون المهنية بالاتحاد الاشتراكى العربى .. ثم اختاره السادات رئيسا للجنة العمل السياسى التى قدمت تقريرا عن أسلوب التطوير من التنظيم الواحد إلى تعدد الآراء ، .. ثم اختاره السادات أمينا للأتحاد الأشتراكى العربى .. وهو الذى قام بتصفية الاتحاد مع صدور قانون الأحزاب .

وفى خلال أحداث ١٨ و ١٩ يناير ، كان يتصل بالرئيس السادات فى أسوان ويبلغه بالمعلومات الصحيحة عن خطورة تطور الأوضاع .. وفهم من حواره مع السادات أنه لم يكن فى الصورة الحقيقية لهذه الخطورة .. وهو الذى اقترح أن يعلن السادات عدوله عن قرارات رفع الأسعار .

ولما اشتد الخلاف بين الرئيس السادات وممدوح سالم رئيس الوزراء صارح السادات ممدوح سالم بأنه سيختاره رئيسا لمجلس الشعب .. ويتولى هو ــ أى السادات ــ رياسة الوزارة ، ويعين فيها مصطفى خليل وسيد مرعى والدكتور عبد القادر حاتم نوابا لرئيس الوزراء . وهنا أعلن ممدوح سالم أنه مستقيل ورفض مصطفى خليل الاشتراك فى التشكيل الجديد .. وعدل عنه السادات . وخلال ذلك كلفه الرئيس السادات بأن يبحث كل الموضوعات التى وجهت فيها اتهامات من المعارضة إلى وزارة ممدوح سالم .. ومنها موضوع هضبة الأهرام .. وتوزيع الشقق على بعض أقارب الوزراء .. وغيرها من الموضوعات .. وحققها مصطفى خليل وأبلغ السادات بأنه يراها كلها صحيحه ، ونصح بالغاء اتفاق هضبة الأهرام .. وكان هذا رأى ممدوح سالم أيضا الذى لم يكن له دور فى عقد الاتفاق ولكنه تحمل الهجوم على الاتفاق بوصفه رئيسا للوزارة .

ولما استقر رأى السادات على قبول استقالة ممدوح سالم من رياسة الوزارة وحدد لذلك بعد العودة من كامب دافيد .. كلف الرئيس السادات نائبه حسنى مبارك بتأليف الوزارة .. ولكنه عدل عن قراره بعد يومين .

ولذلك قصة ..

كان الرئيس السادات يستقبل أحد اصدقائه السياسيين ، ودار الحديث حول تأليف وزارة جديدة وسأل السادات صديقه : ما رأيك فيمن يتولى الوزارة ؟..

وأجاب الصديق :

ــ هناك ثلاث إشاعات .. الأولى تقول إن سيادتك ستؤلف الوزارة وهذا مرفوض شكلا وموضوعا .. لأنك بذلك تكون رئيس الجمهورية ورئيس الحزب ورئيس الوزارة .. وهذا يعطى شكل حكم الفرد .. وقد كنت تعترض أن جمال عبد الناصر يجمع هذه الرياسات الثلاث .. كما أن كونك رئيسا للوزراء سيجعلك مسئولا مباشرة أمام الشعب عن كل أخطاء الحكم الداخلى .. والمفروض أنك المرجع الأعلى إذا اخطأت الحكومة ..

ثم سأله السادات :

ــ والإشاعة الثانية ؟..

وأجاب الصديق :

ــ الاشاعة الثانية تقول إنك كلفت النائب حسنى مبارك فعلا بتأليف الوزارة .. وهذا أيضا مرفوض . لأن الأزمة الحقيقية التى نواجهها فى الداخل هى الأزمة الاقتصادية .. وليست لدى النائب سابق خبرة بالعمل الوزارى التنفيذى .. وأنت بذلك « تحرق » الرجل الذى اخترته من جيل اكتوبر وأوليته ثقتك .. وهو يؤدى مسئوليته كنائب لرئيس الجمهورية على أكمل وجه وبمبادىء أخلاقية .. وثقتك فيه كاملة .. فلماذا تحرقه ؟.. ولماذا لا تكلف غيره بتأليف الوزارة لفترة زمنية يتعاون فيها رئيس الوزارء الجديد ، مع نائب رئيس الجمهورية حتى يتفهم حسنى مبارك كل جوانب المشكلات الداخلية .

ثم سأله السادات :

ــ والإشاعة الثالثة ؟

وأجاب الصديق :

ــ ترددت إشاعة أكثر من مرة أنك ستكلف الدكتور مصطفى خليل بتأليف الوزارة . وهذا الرجل تمرس فى العمل الوزارى لسنوات ، طويلة كما انه اكتسب خبرة اقتصادية وهو خارج الحكم سواء فى مجال اقتصاد البترول أو أعمال البنوك .. كما انه رجل نزيه السمعة وعلى خلق .. وسيكون تعاونه مع نائب رئيس الجمهورية تعاونا مثاليا لأن الاثنين ليست لهما أطماع ذاتية .. وهما يشتركان فى الاخلاص المطلق لك .

وهنا قال السادات لصديقه :

ــ هل تعلم أن مصطفى خليل هو الوزير الوحيد فى عهد عبد الناصر الذى كان « سزنجر » .. ويدافع عن رأيه حتى النهاية مهما كان رأى عبد الناصر مخالفا .. والباقون كلهم كانوا : أفندم .. موافقين . وأنا فعلا أريد رئيسا للحكومة فى هذه المرحلة يعلن رأيه بكل صراحة ووضوح .

وبعد هذا اللقاء اتصل الرئيس السادت بالنائب حسنى مبارك وأبلغه بعدوله عن قراره بأن يؤلف الوزارة وأبلغه أنه وقع اختياره على الدكتور مصطفى خليل ..

وكان رد حسنى مبارك :

ــ الحمد لله يا ريس .. لقد أزحت عن صدرى كابوسا ثقيلا ..

وهذا حق .. فلم يكن حسنى مبارك مقبلا على منصب رئيس الوزراء

واستقبل السادات الدكتور مصطفى خليل وقال له :

ــ أمامنا الآن عملية السلام بعد كامب ديفيد . وهذه مهمة صعبة وأمامنا أيضا حل المشاكل الداخلية باقتحام صميم هذه المشاكل بحلول جذرية كما أن أمامنا معارك مقبلة مع الدول العربية .. وكل هذه مهام ثقيلة أعتقد أنك تستطيع مواجهتها بالتعاون مع حسنى مبارك .

وكان السادات قد أشار قبل ذلك إلى الدكتور مصطفى خليل فى مناسبتين بأنه سيكلفه برياسة الوزارة .. ولكنه لم يفعل .

واستمر مصطفى خليل فى رياسة الوزارة عشرين شهرا . وكان طلب السادات منه أن يستقيل لكى يرأس هو ــ أى السادات ــ الوزارة ، مفاجئا .. ولكن السادات ، رأى فى المرحلة الأخيرة ، أن عليه أن يواجه الموقف بكل ثقله بعد أن اشتدت حملة الدول العربية وبعد تعاون المعارضة مع دول الرفض والجماعات المتطرفة .. وكان السادات يخشى من اضطرابات داخلية تفوت فرصة الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء .

وقد بدأ مصطفى خليل مسئوليته فى الوزارة بأن أعد دراسة كاملة عن النظام الحزبى فى بريطانيا وحقوق أعضاء الحزب وسلطات رئيس الحزب .. وكان السادات قد عقد اجتماعا للهيئة البرلمانية فى استراحة القناطر .. وأعلن فيه اختيار الدكتور صوفى أبو طالب لرياسة مجلس الشعب .. وتحدث مصطفى خليل فى هذا الاجتماع وألقى محاضرة على أعضاء الحزب « عن المسئوليات الحزبية كما بحثها فى الديمقراطية الغربية » . وهكذا كان أسلوبه دائما البحث ، والدراسة ، ثم القرار .

وخلال وزارته نشأت أزمة قاصمة بينه وبين المعارضة ، سببها بضع سطور فى مقال نشره الدكتور حلمى مراد فى صحيفة « الشعب » ، رأى مصطفى خليل أن فيها مساسا بنزاهته فى صفقة التليفونات التى عقدها . ورغم انه كان من الممكن تجاوز هذه السطور فإنه أصر على مناقشة الموضوع باستفاضة كاملة .. وكان قد قرر إبلاغ النيابة إلا أن مستشاره القانونى نصحه بأن ما نشره حلمى مراد وإن كان مشوها لسمعته إلا أنه لا

يخضع لعقوبة فى القانون . ولذلك طلب مصطفى خليل عقد اجتماع خاص للهيئة البرلمانية رأسه النائب حسنى مبارك وشرح موضوع الصفقة شرحا كاملا .. وقال إنه مصر على الاستقالة من الوزارة إذا لم تقرر الثقة به من الحزب .. واحتج أعضاء الحزب وصوتوا بالاجماع على الثقة به .

وترك مصطفى خليل رياسة الوزارة بعد أن أنهى مفاوضات معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وبعد أن اشترك فى مباحثات الحكم الذاتى التى لم تصل الى نتيجة . ولم تكن علاقته طيبة بالحزب الوطنى أو بمجلس الشعب وكثرت الأقاويل ضده بأنه أعطى المسألة الخارجية كل وقته .. ولم يقدم الاهتمام الكافى بالأوضاع الداخلية .

وخلال حكم مصطفى خليل لم يثر بينه وبين الرئيس السادات أى خلاف .. وأكد لى مصطفى خليل أن السادات لم يكن يتدخل على الاطلاق فى قراراته فى الشئون الداخلية .. وأنه تمتع بثقته المطلقة . وكان مصطفى خليل يرى إعادة النظر فى سياسة الدعم على فترة زمنية على أن يوجه الدعم للاستثمار مع قبول المعونات الأجنبية دون الاعتماد الأساسى على هذه المعونات . وقد زاد سعر رغيف الخبز من ٥ مليمات إلى عشرة مليمات . وكان يركز فى زيادة الأسعار على البنزين والسجائر بعد أن زاد سعر الخبز .

وكان من رأى الدكتور مصطفى خليل التعجيل بمواجهة تدريجية مع الجماعات المتطرفة . ولم ينجح فى أن يتعاون مع البابا شنودة فى حل المشكلات المثارة .. وكانت وجهة نظره التى صارح بها البابا فى اجتماع طويل هى : « قداستك لا تمثل الأقباط سياسياً .. تمثلهم روحياً ودينياً فقط .. أما بالنسبة لأى أمر ترى فيه أن ظلماً قد وقع فإن سبيل ذلك هم أعضاء مجلس الشعب فقط لا قداستك .. ولا أعضاء المجلس الملى .. » وفى ذلك الوقت كانت قد وقعت جناية قتل فى قويسنا بسبب الفتنة الطائفية . وكان البابا قد طلب تأليف لجنة من الكنيسة ، لكى تراقب التحقيق .. ورفض الدكتور مصطفى خليل هذا الطلب لأنه غير قانونى .

ووقعت فى عهد مصطفى خليل عدة أحداث فى الجامعات .. فى أسيوط .. والقاهرة .. والاسكندرية .. وكان من رأيه عدم السماح لأى طالب يشترك فى إحداث الفتنة بالاستمرار فى المدن الجامعية . كما رأى تعديل لائحة اتحاد الطلبة بما يمنع استمرار طالبى الدراسات العليا فى هذه الاتحادات .. لأن ذلك غير معمول به فى أى جامعة بالعالم . وطلب من رؤساء الجامعات احترام التقاليد الجامعية فى حفلات الطلبة بحيث تكون ثقافية ، مرتفعة إلى مستوى الجامعات .. بدلا من الاستعانة بالراقصات .. مما يثير

الطلبة ويسبب الحوادث . وكان من رأيه الحسم الكامل فى محاسبة أى طالب يتجاوز القانون بعد أن أحرق بعض الطلبة كتباً فى جامعة الاسكندرية واعتدوا على أحد العمداء فى مكتبه . وأعلن لرؤساء الجامعات أنه يحترم الحرم الجامعى ولكن إذا وقع اعتداء يفسد الأمن ـ وفشلت الجامعة فى وقفه ـ فهنا يمكن أن تتدخل قوات الأمن بطلب من العميد .

وقد اعترض على قانون العيب فى صيغته الأولى فى ثلاث اجتماعات رأسها السادات وشاركه فى الاعتراض صوفى أبو طالب .

وهو الذى اقترح على الرئيس السادات إجراء استفتاء شعبى على اتفاق كامب ديفيد .

ولما سألته : وما رأيك فى أن الانتخابات فى عهد رياستك للحكومة وصفت بأنها مزورة ؟

أجاب : أنا لم أتدخل فى الانتخابات ولم تقدم لى أى شكوى وأبواب القضاء لم تغلق أمام أى إنسان . ولم يكن لى دور فى لجان اختيار المرشحين من الحزب الوطنى إلا فى حدود قليلة .. واعترضت فقط على مرشح فى إحدى الدوائر تلقيت تقارير عنه بأنه سيىءالسمعة .

وكانت هناك قوى عديدة تعمل على إخراج مصطفى خليل من الوزارة . وكان السادات يردد أن مصطفى خليل هو الوحيد من المعاونين لى الذى لايهتم بالمنصب . وسجل السادات ذلك فى حديث صحفى إلى صحيفة « مايو » فى مناسبة التعديل الوزارى الذى خرج فيه منصور حسن من الوزارة ورفض منصب وكيل مجلس الشعب .

ولم يتوقف مصطفى خليل أمام أى واقعة فساد .. وأيده السادات فى إجراءات عديدة اتخذها .. منها مثلا .. قرار مصطفى خليل بحل جمعية تعاونية باسم « قرية الأبطال » .. تبين له من تقرير رسمى . أنها أرض حدائق .. وأنها وزعت على أعضاء الجمعية كل منهم عشرون فدانا . وكانت الجمعية برياسة أحد المقربين الى الرئيس السادات .. ووافق السادات فورا على حل الجمعية . وكان قبل ذلك قد أصدر قرارا بحل جمعية تعاونية أخرى فى السويس .. أعطيت فيها الأرض لموظفى المحافظة . وكان المهندس ابراهيم شكرى قد أصدر عندما كان وزيرا للزراعة قرارا بأن تكون الجمعيات التعاونية لصغار المزارعين .. بحيث لاتوزع أرض إلا على من كانت مهنته « مزارع » وبحد أقصى . واستدعى مصطفى خليل محافظ السويس وحقق الأمر وقرر حل هذه

الجمعية . ثم حل الجمعية الثانية فى الاسماعيلية .

واستمرت صلة مصطفى خليل بالرئيس السادات قوية إلى أن .. اغتيل . وهو من أقوى المؤمنين بقضية السلام ، رغم أنه أبدى اعتراضات عديدة على الموقف الأمريكى فى كثير من التفصيلات وبعض الأساسيات .. وكان الرئيس السادات يقره على هذه الاعتراضات ولم يكن ذلك يسبب أى خلاف بين رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية .. رغم محاولات الاسرائيليين المتعمدة إيجاد هذا الخلاف .

وكان السادات يردد دائما عندما يتردد اسم مصطفى خليل أمامه : « لم أكن أبدا أضيق بزمجرة مصطفى خليل .. لأنه مخلص وصادق ولايخفى رأيه أبدا . » .

« سيد مرعى »

كانت العلاقة الشخصية بين الرئيس السادات والمهندس سيد مرعى قوية باستمرار ولم يحدث ما يعكر صفوها .. وتعمقت هذه العلاقة الشخصية بعد زواج حسن نجل سيد مرعى من كريمة السادات .. ولكن علاقة العمل بين الرئيس ومرعى كانت دائما تواجه أزمات مستمرة ولم يؤثر ذلك على العلاقة الشخصية وعندما كان سيد مرعى يزور منزل الرئيس السادات كان يفرق بين نوعين من الزيارة . اذا كانت الزيارة عائلية فهو يذهب بغير موعد ، أما إذا كانت لسبب سياسى أو لعمل سياسى فإنه كان يطلب موعدا رسميا يتحدد له لكى يجتمع به الرئيس .

وقد نسب الدكتور عزيز صدقى ـ بعد وفاة جمال عبد الناصر ـ إلى سيد مرعى أنه كان ضد ترشيح أنور السادات لرياسة الجمهورية . وأبلغ عزيز صدقى ذلك إلى الرئيس السادات . ولم يفاتح السادات سيد مرعى فى هذا الموضوع على الاطلاق .. كما أن سيد مرعى نفى لى تماما أن هذا حدث منه .. وقال إنه أيد ترشيح السادات من اللحظة الأولى .. وكان يرى فيه دائما خلال اتصال العمل به ، والسادات رئيسا لمجلس الشعب سياسيا من الطراز الأول .

ويرى المهندس سيد مرعى ، أن شخصية أنور السادات ، ليست بسيطة وليست سهلة الفهم ، وأنه من المستحيل على من يتحدث الى السادات أن يعرف قراره من ملامح وجهه . إن قسمات وجهه تظل كما هى دون أى تغير فى التعبير ، وهو يستعرض لمحدثه أكثر من قرار .

ويقول سيد مرعى إنه ليس صحيحا على الاطلاق أن قرارات السادات مفاجئة ، أو انه يتخذها فى لحظات انفعال . إن قرارات السادات مفاجئة للرأى العام العالمى ..

وللصحافة العالمية .. ولكنها تأتى دائما بعد دراسة طويلة ومتأنية وبعد تفكير عميق وبعد استشارات ـ غير مباشرة ـ يجريها السادات حتى يحتفظ بسرية القرار .

وقد يستدعى السادات شخصا مسئولا ، ويتحدث إليه فى خمس موضوعات لكى يستمع إلى رأيه فيها ، والسادات يقصد معرفة رأيه فى موضع واحد هو الذى يشغله .. ولكن المتحدث اليه لايمكن أن يفطن إلى ذلك .

يقول سيد مرعى : حدث هذا فى قرار رحلة القدس ، وكنت من أوائل الناس الذين تصوروا عند سماع خطابه فى مجلس الشعب ، أنه يقوم بمناورة سياسية .. ولكن السادات كان قد درس قراره من جميع الأوجه واستقر عليه لكى يعلنه فى مجلس الشعب .

ويضرب سيد مرعى مثلا آخر .. عندما دعا الرئيس السادات أعضاء مجلس الأمن القومى إلى اجتماع فى ٣ اكتوبر بمنزله بالجيزة . أى قبل إعلان الحرب بثلاثة أيام فقط .. لقد تحدث فى هذا الاجتماع طويلا عن التموين والمواصلات ووجوب الاستعداد لمعركة .. وطرح للمجلس سؤالا : كيف يمكن أن نستعيد مركزنا العالمى أمام اسرائيل . وتساءل ما هو الحل ؟.. وهل هناك حلول أخرى غير استخدام السلاح ؟.. وترك المجتمعين يتكلمون واستمر هو مستمعا .. وقال وزير التموين ليس لدنيا ما يكفى إلا شهرين .. وقيل إن الموانى مرهقة .. والمواصلات مستهلكة .. إلى آخر كل ما قيل فى هذا الاجتماع .. وقال أحمد اسماعيل ـ وزير الدفاع ـ وكان يعرف طبعا قرار الحرب إننا يجب أن نضرب وأن الروح المعنوية فى القوات المسلحة مرتفعة .. ولكن لم يجيء ذكر فى هذا الاجتماع لأن موعد بدء القتال قد تحدد .

وبعد الاجتماع قال سيد مرعى للرئيس السادات فى حديث خاص : يبدو لى أننا اقتربنا من الحرب ياريس .. ورد السادات : أقرب مما تتصور ياسيد . وجائز يبقى لك دور فى البلاد العربية .

وقال لى سيد مرعى : إن السادات يمتاز بشجاعة المواجهة ، والفهم الصحيح للرأى العام العالمى وخاصة الرأى العام الامريكى . وهو قادر دائما على أن تضع الصحف العالمية مانشيتات رئيسية من كلماته تهز الرأى العام . حدث أن السادات كان يتحدث إلى أعضاء لجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس الامريكى فى إحدى رحلاته إلى امريكا .. وشرح السادات الموقف العربى شرحا كاملا .. والدور الذى تؤديه مصر .. وقال : يجب عليكم أن تعطونا السلاح أسوة باسرائيل . نعم أقول أن هذا واجب لأن مصر تحمى نفسها وتحمى المنطقة ولن تكون معتدية .

وعندما خرج من الاجتماع سأله صحفى أمريكى : انت تقول يجب على أمريكا ان تفعل كذا وكذا .. فهل أنت تفرض على أمريكا سياستها ؟..

وأجاب السادات على الفور : نعم ..

وعلق الصحفى : واذا لم تفعل أمريكا ..

قال السادات على الفور : اقول لكم اذهبوا الى الجحيم Go to Hell

أعود فأقول إن علاقات العمل السياسى بين الرئيس السادات والمهندس سيد مرعى لم تكن أبدا على ما يرام .

عندما اختار الرئيس المهندس سيد مرعى . أمينا عاما للجنة المركزية بعد إخراج محمد عبد السلام الزيات .. قامت مظاهرات الطلبة .. ونظرا لأن العلاقات كانت وثيقة جدا بين سيد مرعى ومحمد حسنين هيكل .. ولم يكن السادات يثق على الاطلاق فى نوايا هيكل وكان يتصور أنه ربما تأثر به سيد مرعى .. وكان السادات يرى أن يترك أمر الطلبة للحكومة .. ولكن سيد مرعى رأى أن الأجتماعات المستمرة بقيادات الطلبة ، وكذلك بأعضاء مجلس نقابة الصحفيين والقيادات الصحفية .. أمر هام ، ويمكن أن تزيل الجفوة بين النظام وبينهم أو على الأقل تخفف من حدتها . وقد بدأت هذه الاجتماعات فعلا بعنف فى الحوار ثم انتهت الى بعض المرونة .. ولكن اعتصام الطلبة استمر .. ولم تخفّ حدة المظاهرات واعتبرت سياسة سيد مرعى غير ناجحة . وتولت الحكومة الأمر وقبض على الطلبة المعتصمين . ثم قرر السادات الافراج عنهم . واقترح عليه سيد مرعى أن يعقد مع قياداتهم اجتماعا .. وتم ذلك فى قصر عابدين وانتهت الأزمة . ثم عقد وزير الداخلية اجتماعات استمرت أياما طويلة مع جميع الطلبة الذين أفرج عنهم لاقناعهم بحقائق الموقف فى مناقشات مفتوحة . وكان هذا أسلوب ممدوح سالم الذى سلكه سيد فهمى أيضا وهو رئيس لمباحث أمن الدولة .. ثم وزيرا للداخلية .

وحدث عندما كان سيد مرعى أمينا للجنة المركزية أن زاره السفير السوفيتى فونوجرادوف وإذا به يقدم له كشفا به عدد من الأسماء فى مقدمتها محمد عبد السلام الزيات وقال له : هذه الأسماء ستسافر إلى الاتحاد السوفيتى بدعوة رسمية ، ولاحظ سيد مرعى أن كل الأسماء شيوعية .

فقال له سيد مرعى : أنا لا أقبل هذا الوضع .. وإذا كانت هناك دعوة للاتحاد الاشتراكى فأنا الذى أختار من يسافرون .

فقال السفير السوفيتى : أنا لا أقصد ما فهمته على الاطلاق .. إن هذه الأسماء متفق عليها من قبل مع محمد عبد السلام الزيات وهو أمين اللجنة المركزية .

وعلى كل فقد رفض سيد مرعى أن يتسلم الدعوة من السفير السوفيتى وروى ما جرى للرئيس السادات الذى قال له .. لم يكن هناك داع لرفض تسلم الدعوة .. هذه ليست سياسة .. كان عليك أن تتسلمها ثم ترفض الاسهاء .. فلما شرح له سيد مرعى كل جوانب القصة اقتنع السادات وأقر سيد مرعى على وجهة نظره .. واختار سيد مرعى عددا من قيادات الاتحاد الاشتراكى .. لاشك أنهم بعيدون تماما عن أية شبهة شيوعية .. وكان من بينهم على سبيل المثال يوسف مكادى واحمد عبد الآخر ..

وعندما كان عزيز صدقى رئيسا للوزراء .. كانت الخلافات مستمرة بينه وبين سيد مرعى وترك سيد مرعى الاتحاد الاشتراكى .. واختياره السادات لرياسة مجلس الشعب .. ثم بدأت متاعب من نوع جديد ..

فى وزارة الدكتور حجازى كان يشعر أن مجلس الشعب يضع أمامه العقبات .. وحدث أن أضرب طلبة الطب البيطرى بحجة بدل طبيعة العمل ـ والحقيقة ـ كما يقول سيد مرعى ـ أن الحركة كانت شيوعية .. وتجمعوا فى مظاهرة أمام مجلس الوزراء وطلبوا مقابلة الدكتور حجازى رئيس الوزراء ورفض .. واتجهوا إلى مجلس الشعب وقابلهم المهندس سيد مرعى .. وكانت هتافاتهم ضده وضد حجازى . وكانت المناقشة معهم غير مجدية .. وكانوا يريدون تقرير البدلات على الفور ، حتى إنهم رفضوا عندما قال لهم رئيس مجلس الشعب .. اعطونى فرصة لكى أتحدث مع رئيس الوزراء .. واعتصم هؤلاء الطلبة فى قاعة مجلس الشعب .

وصُوِّر الامر للرئيس السادات على أن سيد مرعى يريد أن يكسب شعبية على حساب الحكومة .. وتأثر الرئيس السادات وقال لسيد مرعى : إن ما فعلته خطأ .. ما دخلك أنت .. إن خلافهم مع الحكومة .. فاتركهم للحكومة .

وغضب الرئيس السادات من المهندس سيد مرعى عندما حدثت مقاطعة للرئيس ــ وهو يلقى بيانا له من منبر المجلس ــ من النائب احمد ناصر .. وكانت الجلسة مذاعة على الهواء .. وحار سيد مرعى فى أى تصرف يتخذه : هل يخرج النائب الذى يقاطع رئيس الجمهورية من الجلسة .. أم ماذا ؟.. وكان الرئيس قد رد على النائب المقاطع وقال على رياسة المجلس أن تطبق اللائحة ..

وأدى ارتباك الموقف الى أن سيد مرعى لم يتخذ إجراء مع النائب .. وعندما خرج الرئيس من الجلسة وكان سيد مرعى فى توديعه التفت اليه الرئيس فى غضب وقال له لائما : ماذا كنت تنتظر لتطبق اللائحة أكثر من أن نائبا يقاطع رئيس الجمهورية ؟.. كان يجب أن تستخدم اللائحة وتخرجه ..

ورد سيد مرعى : يافندم ما كنش عندى فرصة ..
ولكن الرئيس قال له وهو ينصرف : لا .. كان عندك فرصة ..

وكان الدكتور حلمى مراد قد قدم استجوابا عن إضراب الطلبة ورأى سيد مرعى أن يسوى الموقف مع المعارضة فطلب لقاء حلمى مراد وعبد الفتاح حسن فى مكتبه .. وجرى النقاش من جانبه ، على أن الظروف الآن لاتسمح بمناقشة هذا الاستجواب وهو لايمكن أن يمنع الاستجواب ولكن يترك تقدير ذلك لحلمى مراد ، وانضم عبد الفتاح حسن إلى وجهة نظر سيد مرعى ، واتفق على عدم إثارة الاستجواب ، مع عدم سحبه فى نفس الوقت .. واستغرقت المناقشة ساعتين ، وكان سيد مرعى قد أمر بإقفال باب مكتبه حتى لاينشغل مع أى زائر .

ونقلت هذه الرواية إلى الرئيس السادات بأسلوب أثار الرئيس فاتصل بسيد مرعى وقال له : هل كان يجب أن تقفل على نفسك مع المعارضة ساعتين ؟ هل هذه جبهة ضد الحكومة ياسيد ؟..

وكان رد سيد مرعى : ياخبر ابيض .. أنا اعمل جبهة مع المعارضة ضد الحكومة ؟
الرئيس : الخبر أكيد وصحيح ..

سيد مرعى : أكيد وصحيح أننى اجتمعت معهما ساعتين ولكن كان الهدف تفويت الاستجواب وعدم إحراج الحكومة

الرئيس : ولماذا ؟ وما هو الضرر من نظر هذا الاستجواب ؟ الاستجواب يناقش والحكومة تتولى الرد .. هذه الطريقة اللينة التى تسلكها لاتصلح فى العمل السياسى ..

كما نقل الى الرئيس السادات كراهية سيد مرعى لحزب مصر .. وممدوح سالم رئيس الوزراء .. وكانت قد ثارت من قبل خلافات بين سيد مرعى وهو أمين اللجنة المركزية ، وعزيز صدقى وهو رئيس للوزراء .. ويعتقد سيد مرعى أن محمد حسنين هيكل الذى تطوع بدور الوسيط بينهما كان يهدف الى زيادة الخصومة والوقيعة .. وأصبح التعاون بين الاثنين مستحيلا .. وفوجىء سيد مرعى عندما عاد من رحلته الى الخارج باستدعاء الرئيس له .. وقال له : أنا قرفت من خلافاتك أنت وعزيز .. ولذلك قررت أشيلكم انتم الاثنين ..

ثم سأل الرئيس سيد مرعى : لم تسألنى أين ستعمل ؟..
وقال سيد مرعى : هذا قرارك ..
وقال له الرئيس : سيكون كل منكما مستشارا لرئيس الجمهورية ..

ثم صدر القرار بمنصب مساعد رئيس الجمهورية لكل منهما .. وكان هذا مطلب عزيز صدقى كما قال لى سيد مرعى .

وقد حدث عندما قرر الرئيس السادات إنشاء حزب مصر .. أن أبلغ سيد مرعى خلال وجوده معه فى منزل الرئيس بالجيزة أنه قرر أن يختاره لرئاسة الحزب .. وشرح له الهدف من الحزب وهو أن يجمع الناس .. وأن ، يدعم الوحدة الوطنية .. وأن يكون له مقر ولجنة فى كل قرية .. وأن تجذب اليه كل العائلات .. وقال إنه اختار سيد مرعى لخبرته النيابية من جهة .. ولسمعته الطيبة فى إصدار قانون الاصلاح الزراعى .

وطلب سيد مرعى مهلة للتفكير حتى يأتى إلى الرئيس بمشروع متكامل . ولكنه فوجىء فى اليوم التالى بالسادات يبلغه بأنه اختار ممدوح سالم لرياسة الحزب وقال له : وجدت من الأوفق أن يكون رئيس الحكومة هو رئيس الحزب ..

ولم يعلق سيد مرعى بكلمة واحدة ..

ومرت أشهر .. واقتنع الرئيس السادات بفشل حزب مصر .. وقرر أن .. يتولى بنفسه رياسة حزب جديد .. والتقى به سيد مرعى بعد أن عاد من رحلة سياسية إلى امريكا اصطحب فيها معه فكرى مكرم عبيد وعبد الفتاح رضوان والدكتورة ليلى تكلا وتوفيق عبده اسماعيل .. وكانت الرحلة ناجحة جدا من الناحية الإعلامية فى الدعوة لسياسة مصر ..

وسأله السادات : هل سمعت أننى سأكوّن حزبا جديدا برياستى ..

فقال سيد مرعى : سمعت .. ولكنى أفضل تطوير حزب مصر .. ولا أفضل أن ترأس سيادتك حزبا .. ومن الأفضل أن تكون فوق الأحزاب ..

ورد الرئيس بأن الناس إذا وجدت نقصا فى التموين فانها لاتحاسب وزير التموين ولكنها تعتبرها مسئولية السادات . وهكذا فى كل الخدمات .. فلماذا نهرب من الحقيقة أليس من حقى والشعب يضع كل المسئولية على اكتافى أن ألغى حزب مصر بعد أن فشل سياسيا .. وأن أضع النظام السياسى الصحيح لحزب جديد .. ونقفز به الى الأمام ..

وكان يقلق سيد مرعى ان الحياة الحزبية فيها تجريح .. فلماذا يتعرض رئيس الجمهورية للتجريح كرئيس حزب ؟ لماذا لايترك هذه المسئولية للسياسيين ويبقى الرئيس فوق التجريح وهو الحكم والملاذ للجميع .

وقال السادات : سأضم بعض أعضاء حزب مصر إلى الحزب الجديد الذى سيكون فى تشكيله حزبا مثاليا لا يجمع إلا الشخصيات المشهود لها بالكفاءة والنزاهة والسمعة الحسنة والقدرة على التحرك بين الجماهير .

وعلق سيد مرعى : أنا مش موافق سيادتك ..
السادات : يعنى انت مش معانا ؟
ورد سيد مرعى : أنا مرتبط بك .. ولست مرتبطا بالحزب ..

واستبعد سيد مرعى من الحزب الجديد بناء على رغبته ولكن علاقته الشخصية استمرت بالرئيس السادات كما هى ولم تتأثر على الاطلاق .. وكانت مثل هذه الموضوعات لاتطرق أبدا فى الجلسات العائلية ..

وأعود الى رياسة سيد مرعى لمجلس الشعب .. لقد أراد أن يختط اسلوبا جديدا لعمل المجلس ، غير أسلوب سلفه حافظ بدوى .. فقد لاحظ الناس أن المجلس يتخذ موقف التأييد المستمر للحكومة .. وأن فرص المعارضة محدودة .. وجاء سيد مرعى بسياسة جديدة وهى إتاحة الفرصة الكاملة للمعارضة .. حتى يعطى حيوية للمجلس .. وشعر نواب الغالبية أن المعارضة مفضلة عليهم فى فرص التعبير .. ونقل الى الرئيس السادات أن سيد مرعى يحابى المعارضة على حساب الأغلبية . بل إن المتحدثين باسم الحزب فى المجلس وهما فؤاد محيى الدين ومحمد حامد محمود قد صرحا بذلك فى كلمات ألقياها فى المجلس .. وقالا إن رئيس المجلس يجامل المعارضة .

وكان سيد مرعى يرى غير هذا الرأى .. وعندما تطاول الشيخ عاشور على رئيس الجمهورية وهتف فى المجلس يسقط رئيس الجمهورية .. أعطى سيد مرعى الكلمة للمعارضة .. وتكلم محمود القاضى وغيره .. واستنكروا سلوك الشيخ عاشور ثم تكلم نواب الغالبية .

واشترك سيد مرعى بعد ذلك فى محاولة مع الرئيس السادات لكى تقتصر عقوبة الشيخ عاشور على وقفه لفترة زمنية من جلسات المجلس .. ولكن السادات رفض هذه المحاولة وكانت وجهة نظره ان هدف المعارضة هو التطاول على شخص رئيس الدولة وهذا لايحدث فى أى برلمان فى أى دولة ديمقراطية فى العالم .. واتخذ المجلس قرار الفصل ، استجابة لرأى السادات .

وأوشكت دورة مجلس الشعب على الانتهاء .. وفوجىء سيد مرعى .. بأن المعارضة تعلن تمسكها بأن يكون سيد مرعى رئيسا للدورة الجديدة . أعلن ذلك خالد محيى الدين وقال : سمعنا أن المهندس سيد مرعى سوف لايجدد ترشيحه .. ونحن نتمسك بتجديد ترشيحه . ونعلن رضاءنا التام عن إدارته للمجلس . وكذلك تحدث محمود القاضى .. ثم تحدث فى نفس الوقت عدد كبير من نواب الغالبية ، أى أن الجلسة كانت تكريما لسيد مرعى واتخذت شكل الضغط المعنوى لتجديد ترشيحه لرياسة المجلس .

واتصل سيد مرعى بالرئيس السادات وأبلغه بما دار فى الجلسة وسأله عن رأيه فى نشر ما حدث أو عدم نشره .. ورد الرئيس : ولماذا لاينشر ؟..

وبعد ذلك شعر سيد مرعى بإرهاق فى عينيه نصحه الطبيب بالراحة .. وبقى فى استراحته بالهرم بضعة ايام .. وزاره الرئيس السادات ومعه المهندس عثمان احمد عثمان .. وتحدث الرئيس فى كل شيء الا عما دار فى جلسة مجلس الشعب .. ولم يذكر شيئا عما ينتويه بالنسبة لمن يرشحه رئيسا للمجلس .. ولم يفتح سيد مرعى الموضوع .. ثم عقد السادات اجتماعا للهيئة البرلمانية للحزب الوطنى فى استراحة القناطر .. وكان قد اختار مصطفى خليل رئيسا للوزراء .. ودعا الجميع بعد انتهاء الكلمات على أكلة شعبية هى « الفتة واللحم المسلوق » وأعلن السادات فى هذا الاجتماع اختيار الدكتور صوفى أبو طالب مرشحا لرئاسة مجلس الشعب .. وقال إن .. رياسة المجلس تحتاج إلى علم قانونى وخبرة سياسية .. وهذا ما يتوفر فى صوفى ابو طالب . ولم يعترض أحد

واستمرت العلاقات الشخصية طيبة بين الرئيس وسيد مرعى .. ولم يفتح بينهما هذا الموضوع فى أية مناقشة رغم ان كثيرين تحدثوا الى السادات معارضين اختيار الدكتور صوفى أبو طالب .. ولكن السادات كان مصراً .. وبدأ اصراره من الدورة السابقة .. لا من هذه الدورة ..

ثم فكر السادات فى تكوين هيئة مستشارين لرئيس الجمهورية اثر مناقشة مفتوحة بينه وبين أساتذة جامعة الاسكندرية .. وكان سيد مرعى يحضر هذه المناقشة .. وحبذ السادات الفكرة .. وقال إن مستشارى الرئيس الأمريكى معظمهم من أساتذة الجامعات المتخصصين .. وبعد الاجتماع سأل السادات سيد مرعى : هل لديك مانع أن ترأس هذه الهيئة وتنظم عملها .

ووافق سيد مرعى ..

وكان من رأيه أن الهيئة يوكل اليها فقط دراسة موضوعات محددة تختار لها الاخصائيين من أساتذة الجامعات وغيرهم .. وتقدم بحثها الى رئيس الدولة .. ونظم علاقة هذه الهيئة بمجلس الشورى وبالمجالس القومية المتخصصة . وكانت أول دراسة للهيئة عن سعر الدولار .

ثم اغتيل السادات ..

وقدم سيد مرعى استقالته إلى الرئيس مبارك .. مقتنعا بأن من حق الرئيس الجديد أن يختار معاونيه .. وشكر له حسنى مبارك هذا الموقف .

« عزيز صدقى »

كان أنور السادات يردد .. « أحنا عندنا اتنين عتاولة .. عزيز صدقى فى الصناعة[1] .. وسيد مرعى فى الزراعة » .. وأثبت الواقع أن الأثنين لا يتفقان . وجرى بينهما صراع طويل ، عندما كان عزيز صدقى رئيسا للوزراء ، وسيد مرعى أمينا للاتحاد الأشتراكى وهذه مشكلة « الرئيس » .. بالنسبة لمعاونيه فى المناصب الرئيسية . كانت مشكلة عبد الناصر .. ثم السادات . وقد جرى مثل هذا الصراع بين عبد العزيز حجازى وممدوح سالم . وجرى مثله أيضا بين ممدوح سالم وسيد مرعى .

وقد أصبح العرف فى الحكم المصرى بعد الثورة .. أن قطاع القوات المسلحة .. وقطاع الأمن .. وقطاع السياسة الخارجية .. يخضع للاشراف المباشر للرئيس . وهكذا فإن مسئولية رئيس مجلس الوزراء كانت تقتصر على الخدمات والانتاج . ولكن هذا التقسيم لم يستمر بهذا الوضع فى كل الأحيان وبالذات بالنسبة للسياسة الخارجية عندما أصبح الدكتور مصطفى خليل رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية .

وعندما كان إسماعيل فهمى وزيرا للخارجية ، كان يحرص أن يكون اتصاله المباشر دائما برئيس الجمهورية .. وكان يحجب عن رئيس الوزراء ومجلس الوزراء كثيرا من الأسرار . وكان إسماعيل فهمى يردد .. هناك دائما ما يجب أن يبقى سرا بينى وبين رئيس الجمهورية .

وكان محمود فوزى أول رئيس وزراء ، عمل مع أنور السادات . وكان أول رئيس وزراء مدنى . ولذلك كان استبشار الشعب به كبيرا ولكن الدكتور فوزى بحكم ممارساته طوال حياته فى الشئون الخارجية فقط .. وبحكم بطئه الدبلوماسى وأعباء سنه .. لم يكن يسيطر على مجلس الوزراء .. ووصف البعض جلسات مجلس الوزراء برياسة الدكتور فوزى أنها كانت جلسات مناظرات .. بغير قرارات . وبعد ١٥ مايو عين عزيز صدقى نائبا أول لرئيس الوزراء .. ثم رئيسا للوزراء .

وكان عزيز صدقى متحمسا لاختيار السادات لرياسة الجمهورية وهو ينسب إلى سيد مرعى أنه كان ضد هذا الأختيار . وسيد مرعى ينكر هذه الواقعة . وفى ليلة ١٤ مايو .. وقرب منتصف الليل توجه عزيز صدقى بسيارته إلى منزل الرئيس السادات

---

(١) تولى الدكتور عزيز صدقى وزارة الصناعة فى أول يوليو ١٩٥٦ . وترك المنصب الوزارى فى عام ١٩٦٥ ، واستمر فى المسئولية التنفيذية حتى مارس ١٩٧٣ .

بالجيزة . وأعلن موقفه . ويقول عزيز صدقى انه ذهب إلى منزل السادات ، وهو يعلم أن رقبته يمكن أن تقترب من حبل المشنقة . ولكن هذا كان اختياره . وغادر منزل السادات وتوجه إلى منزله بالزمالك . حيث أمضى كل ما تبقى من الليل فى اتصالات تليفونية مع القيادات النقابية العمالية ، تنظيما لخروج العمال من المصانع فى صباح ١٤ مايو فى مظاهرات ضخمة تؤيد قرارات السادات ، وتطالب بمحاكمة مراكز القوى التى سقطت .

ولم يكتف عزيز صدقى بذلك ، ولكنه أذاع بيانا فى الصحف .. كما أذاع بيانا فى التلفزيون هاجم فيه أعضاء مجلس الثورة السابقين .. وتلقى بعد ذلك خطابا من عبد اللطيف البغدادى مكتوبا بخط اليد .. وصفه عزيز صدقى بأن سطوره كانت مجموعة من الشتائم .

وكان عزيز صدقى يعمل بكل نشاط فى وزارة الصناعة كنائب لرئيس الوزراء . وبعد أشهر ، دعا أنور السادات إلى اجتماع فى استراحة القناطر . وانتحى السادات بالدكتور محمود فوزى فى جانب من قاعة الاجتماعات ، وطلب إليه بأسلوب رقيق أن يرشح عزيز صدقى نائبا أول لرئيس الوزراء . وقبل الدكتور فوزى عن طيب خاطر ، وقال للسادات .. الواقع أن الدكتور عزيز يتحمل العبء الأكبر فى مجلس الوزراء وهذا القرار تقرير لواقع .

وبدأ الاجتماع وأعلن الدكتور فوزى عن رغبته فى اختيار عزيز صدقى نائبا أول واعترض سيد مرعى . وتجاهل السادات اعتراضه . وهكذا يقول عزيز صدقى الذى علم بعد ذلك ، أن سيد مرعى عرض أن يستقيل ثم عدل عن ذلك .

وكان عزيز صدقى قد عين مؤقتا أمينا للاتحاد الاشتراكى وأشرف على إعادة الانتخابات ومعه عبد السلام الزيات .

وذات يوم .. اتصل الرئيس السادات تليفونيا بالدكتور عزيز صدقى .. وأبلغه أن يستعد لمسئولية رئيس الوزراء . وقال له إنه سيعلن القرار يوم الثلاثاء (بعد أربعة أيام) وقد أبلغه مقدما حتى يكون مستعدا فى اختيار الوزراء .

وفى يوم الثلاثاء ، استدعاه الرئيس السادات وقال له انه لن يتدخل على الاطلاق فى اختياره للوزراء .. ولكنه يطلب منه تعيين الفريق محمد صادق وممدوح سالم .. نائبين لرئيس الوزراء .

وقال عزيز صدقى .. هذا أمر طبيعى .. وقال الرئيس .. وأطلب أيضا تعيين محمد عبد السلام الزيات نائبا لرئيس الوزراء ، بلا وزارة .

واختار عزيز صدقى وزراءه . ووقع اختياره على الدكتور الجبلى وزيرا للزراعة . بعد أن قرأ له مقالا فى الأهرام عن أساليب تطوير الزراعة فى مصر .. وأعجبه .. ولم يكن يعرف الدكتور الجبلى .

ويقول عزيز صدقى إن العلاقات بينه وبين الرئيس السادات جرت على أحسن وجه .. وأبلغه السادات أكثر من مرة : أنه يشعر أن الناس بدأت تستريح ، وبدأت تشعر بالحياة .. وقد لمس السادات ذلك فى أكثر من موقع عندما كانت الناس تراه وتحييه فى سعادة .

وواجهت الوزارة مظاهرات طلبة الجامعات . وكان عزيز صدقى قد وضع سياسته على أساس أن تكون وزارته وسيلة لاستعادة ثقة الجماهير فى الحكم . وزار المحافظات . وكان يظهر كل شهر على شاشة التليفزيون ويقدم للناس تقريرا كاملا عن كل أعمال الوزارة . ولكن عزيز صدقى ــ بدأ بعد ذلك ــ يشعر أن التعامل بينه وبين الرئيس ، تشوبه علامات غير طبيعية .

كان السادات يكلف عزيز صدقى بكل الاتصالات مع الاتحاد السوفيتى . وقبل أى رحلة للسادات إلى الكرملين ، كان عزيز صدقى يستدعى السفير السوفيتى ويبلغه بالمطالب المصرية من الأسلحة والمعونات وغيرها . وبذلك يمهد للرحلة . وكانت هذه فكرة الرئيس السادات . ويقول عزيز صدقى إن علاقته بالسوفييت كانت علاقة طيبة أساسها الثقة من السوفييت بأنه رجل وطنى صادق فى تعامله كما يقول إنه استطاع فى إحدى الرحلات أن يحل أزمة سلاح الردع وأن يحصل من السوفييت على الموافقة على إعطائنا طائرات ميج ٢٣ ولم تكن تستخدم فى قوات حلف وارسو .

وعندما أصدر السادات قرار إبعاد الخبراء الروس عن مصر .. استدعاه فى قصر الطاهرة ، حيث أبلغه السادات بالقرار فى حضور ممدوح سالم . وأيد عـزيز صـدقى القرار . وقال لهما السادات بأسلوبه « أدينى طربقتها بأه .. وكملوا أنتم .. كل واحد فى اختصاصه » .. وكان رأى السادات ، أنه يبغى من هذه العملية إفاقة الروس .. لأنهم كانوا محتاجين إلى هذه الصحوة .. ولكنه يريد الإبقاء على الصلة مع الروس . وأيد عزيز صدقى ذلك تماما . وسافر إلى موسكو ، ومعه عرض من السادات أن يصدر بيان مشترك مصرى سوفيتى . يعلن فيه أن خروج الخبراء السوفيت تم بالاتفاق بين البلدين ، وأن مصر تشكر الخدمات التى أدوها فى مهمتهم على خير وجه . ولكن زعماء الكرملين كانوا فى قمة الغضب . ورفضوا إصدار هذا البيان .. وقالوا للدكتور عزيز صدقى : أنتم أحرار فى إصدار أى بيان ، ولكننا لا نقبل بيانا مشتركا .

ولكنه استطاع فى هذه الرحلة ، أن يبقى الصلة .. واتفق مع السوفيت على صفقه سلاح ضخمة .. سافر بعدها الفريق أول أحمد إسماعيل .. وباشر اجراءاتها .

وهكذا كانت الأمور تسير على أحسن ما يرام فى توفر الثقة بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء .

ولكن حدثت بعد ذلك ثلاثة وقائع .. أشعرت الدكتور عزيز صدقى بأن هناك من يعمل ضده فى الظلام .. ويحاول هز علاقته بالرئيس السادات .

كان عزيز صدقى قد اتفق مع الرئيس السادات ، على اختيار رئيس لاتحاد العمال .. وقبل أن ينفذ رئيس الوزراء هذا الاتفاق اتصل به الرئيس ، وأبلغه بتعديل الاختيار ، بناء على مطالب سيد مرعى ..

هذه واحدة .. ليست أمرا بالغ الأهمية ، ولكنها علامة .. كما يقول عزيز صدقى .

وعند وضع الميزانية ، فوجىء عزيز صدقى بأن الرئيس السادات يعترض على كادر القضاء وكادر أساتذة الجامعات .. وقال السادات إن هذا سيشكل عبئا على الميزانية ٩٠ مليون جنيه . ودهش عزيز صدقى من أن الرئيس يحدد له الرقم .. وناقش الرئيس فى أن الميزانية مدتها عام ونصف عام . فالزيادة هى ٦٠ مليوناً سنويا ، وإذا خصمنا منها ما يصرف فعلاً وهو ٤٠ مليونا .. فتكون الزيادة الحقيقية هى عشرون مليون جنيه فقط .

ولكن عزيز صدقى شعر أن الدكتور عبد العزيز حجازى ، يقدم إلى الرئيس معلومات ، من خلف ظهره ..

ثم فوجىء عزيز صدقى بعد ذلك ، بأن الرئيس استدعاه .. وأخبره ، بأن أحمد إسماعيل أجرى اتصالات مع ممثل للمخابرات الأمريكية فى مصر .. وأنه سيجرى اجتماع سرى بين حافظ إسماعيل ، وهنرى كيسنجر بناء على هذه الاتصالات . وسلمه أحمد إسماعيل تفاصيل هذه الاتصالات بالتواريخ .. وطلب السادات من عزيز صدقى إبلاغ كل ذلك للسوفييت .. حتى لا يتصوروا أننا نعمل من وراء ظهورهم مع الأمريكان ..

وسافر عزيز صدقى إلى موسكو .. وأبلغ الاتحاد السوفيتى بكل ما كلفه به السادات . بل قرأ للزعماء السوفيت نص تفصيلات هذه الاتصالات مع أمريكا ، كما سجلها أحمد اسماعيل وتفسير عزيز صدقى لذلك ، أن السادات كان فى قمة الذكاء ، وكان حريصا .. وقد نما إلى علمه أن السوفيت علموا بهذه الاتصالات .. ولذلك فإنه

سارع إلى إبلاغهم بها .. حتى يفهموا أننا نطلعهم على كل ما نفعل بالنسبة لقضية الشرق الأوسط وهم الذين يقدمون لنا السلاح والمساندة الدولية .. والعلاقات مقطوعة مع أمريكا .. والتحيز الأمريكي الكامل لاسرائيل ، لا سبيل لزحزحته .

ولكن عزيز صدقي شعر كرئيس للوزراء .. وهذا تعبيره ـــ أنه فقد ثقة أنور السادات ، لأنه لم يخطر بهذه الاتصالات مع أمريكا ، إلا بعد ٦ أشهر من بدئها واستمرارها .. وأنه كان يجب أن يعلم بها من اللحظة الأولى .

وخلال ذلك ، أثير موضوع مشروع اتفاق خط أنابيب البترول فى مجلس الشعب .. والذى أثاره نواب مفروض فيهم الدفاع عن الحكومة لا توجيه اتهام غير صحيح لها بأن الاتفاق تحيطه الشكوك ..

ثم فوجئ بعد ذلك ، باستدعاء الرئيس له وابلاغه بأن الرئيس سيتولى رياسة الوزراة .. ويقول الدكتور عزيز صدقي إنه كان قد كتب استقالته للرئيس السادات .. وقال له السادات : إننى أريد ، أن أكرمك ..

وعرض عليه منصب مساعد رئيس الجمهورية ..

وكات ذلك صدمة ألم بالنسبة للدكتور عزيز صدقي .. لأنه علم بعد ذلك من شخص قريب جدا إلى السادات ، أن الدسائس حيكت له ، بأنه يتطلع إلى الشعبية باستمرار ، وأن هدفه هو رياسة الجمهورية .

وبعد ذلك ، اقتنع عزيز صدقي بأن أجهزة الأمن أطلقت عليه حملة اشاعات تشكك فى ذمته المالية ، وتروج أنه قبض رشوة مليون جنيه عن مشروع أنابيب البترول ، قبل الاتفاق على المشروع ..

وأعتقد أن السببين ، لا أساس لهما من الواقع .. لأن السادات ، كان يحترم تماما نزاهة الدكتور عزيز صدقي .. كما كان يحترم عمله الوزارى .. وقد قرر السادات أن يتولى بنفسه رياسة الوزارة لأنها وزارة حرب .. كما أن السادات كان مخططا لسياسة الاتجاه نحو امريكا .. لحل أزمة الشرق الأوسط .. ولم يشأ السادات الاستعانة بشخصيات لها علاقات مع الاتحاد السوفيتي . ولا يعنى السادات بذلك ، أنها علاقات مشوبة بأى شائبة .. ولكنه يعنى أن فتح صفحة جديدة مع الأمريكان يتطلب وجوها جديدة ..

وقد حدث بعد خروج عزيز صدقي .. أن طلب صديقا للسادات .. للقائه فى منزله .. وأبلغ هذا الصديق أنه يريد مقابلة الرئيس السادات . وكان رد السادات عند

إبلاغه هذه الرغبة : ليس عندى أى شيء ضد عزيز على الاطلاق .. ولكن اسمه مقترن بالاتحاد السوفيتي ونحن الان في مرحلة مختلفة .

وزار ممدوح سالم ، عزيز صدقى فى منزله ، وأبلغه ثقة الرئيس الكاملة ..

ولكن عزيز صدقى لا يزال مقتنعا حتى الآن .. بأن حملة الاشاعات هذه مصدرها ، بعض جهات الأمن .. وأن السادات تجاهل اخلاصه وتفانيه .. وفى رأيى أن هذا غير صحيح .

ويقول عزيز صدقى انه عندما عقد السادات مجلس الأمن القومى ، وكان عزيز صدقى عضوا به بحكم منصبه كمساعد لرئيس الجمهورية .. عرض السادات الموقف ، وأبلغ الحاضرين أنه لا مفر من القتال ، حتى لو حصلنا على شبر واحد من شرق القناة . وكان عزيز صدقى أكثر المتحمسين لقرار الحرب . وأسند اليه السادات مهمة الاشراف على إعداد الاستراتيجية والانتاج .. ولكن قرارا بذلك لم يصدر .

وفى ذلك الاجتماع عرض أحمد اسماعيل الموقف العسكرى ، وقال أن الجيش مستعد للمعركة . وقال محمود فوزى أنه يؤيد القرار وضرب مثلا بالتقليد اليابانى القديم .. وهو أن المحارب كان يستخدم سلاحين .. سيفا كبيرا .. وسكينا .. فإذا انكسر السيف ، حارب بالسكين .

وكان حسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية ضد قرار الحرب .

وقد أشاد السادات فى أحاديثه الخاصة ، بموقف عزيز صدقى فى هذا الاجتماع التاريخى . ولكننى لم أفهم تفسيرا لانقطاع السادات عن لقاء عزيز صدقى ، على الرغم من أنه لم يمس عزيز صدقى بكلمة واحدة ، فى خطاب عام ، أو حديث خاص .. وعلى الرغم من أنه سمع يوما ، بأنه يواجه أزمه قلبية عنيفة ، وأبلغه بذلك طبيبة الخاص الدكتور محمد عطيه استاذ طب القلب .. فأسرع السادات إلى الاتصال به تليفونيا .. وأكد له اهتمامه الشخصى بعلاجه .. ومتابعة هذا العلاج .

ومرة أخرى تعرض الدكتور عزيز صدقى لمرض الصفراء .. وعاده الطبيب البريطانى روجرز .. وكانت حالته الصحية ميئوس منها .. فاتصل به الرئيس السادات ، وأبلغه أنه مستعد لنقله إلى الخارج للعلاج على طائرة خاصة .

ولم يكن عزيز صدقى يمالىء محمد حسنين هيكل الذى حاول أن يسيطر عليه .. بمثل ما كان يفعل فى عهد عبد الناصر مع أصحاب المناصب الكبيرة .. وقد احتج عزيز صدقى لدى السادات على مقالات هيكل الانهزامية .. وهو الذى أقنع السادات بمنع اذاعة مقال هيكل وكان يذاع أسبوعيا .. كما أقنعه بفرض الرقابة على مقالات هيكل .

بل طلب من السادات إبعاد هيكل .. بعد إبعاد الفريق صادق . وقال له الرئيس السادات حينئذ .. ان إبعاد صادق أمر سهل .. ولكن إبعاد هيكل ليس باليسير .. لأنه صحفى معروف .. ولأن له أتصالات خارجية .

على كل .. فإن عدم لقاء السادات لعزيز صدقى منذ خروجه من رياسة الوزارة .. هو نقد يمكن أن يوجه إلى أسلوب السادات .. وإن كان العمل السياسى يفتقد العاطفة فى حالات كثيرة . وقد أخذ على عزيز صدقى أنه يبالغ فى التبشير بالآمال ، مما دعا الكاتب الكبير المرحوم محمد التابعى إلى وصفه بأنه « أبو لمعة » خلال حكم عبد الناصر مما أثار غضب عبد الناصر ورد على التابعى فى خطاب عام .. ولكن كفاءته فى عمله كانت مسلّما بها كما أن نزاهته كانت فوق مستوى الشبهات .

« عبد العزيز حجازى »

كان انور السادات يثق فى كفاءة الدكتور عبد العزيز حجازى ثقة مطلقة . كان يردد أن عقله كمبيوتر لا يخطىء فى المسائل الاقتصادية . بدأت صلته به فى عهد جمال عبد الناصر . كان عبد الناصر قد كلف انور السادات بالإشراف على عمل اللجنة الاقتصادية الوزارية عندما كان حجازى وزيرا للاقتصاد . كان السادات يحضر اجتماعات هذه اللجنة . ويقول لحجازى : « أنت تعلم أننى رجل سياسة .. ولست رجل اقتصاد .. ولذلك فإن الاعتماد عليك كامل » . وكان عبد اناصر يدعو السادات لحضور اجتماعات مجلس الوزراء عند مناقشة الميزانية . ومن هنا كان استمرار حجازى فى منصبه بعد وفاة عبد الناصر وتأليف أول وزارة . ثم عينه السادات نائبا لرئيس الوزراء .. ثم رئيسا للوزارة .

وكان الموقف الاقتصادى بالغ السوء ، خلال تولى حجازى مناصبه الوزارية فى عهد السادات حتى خرج من رياسة الوزارة فى أبريل ١٩٧٥ .

كنا نعانى عجزا فى العملة الصعبة ٥٠٠ مليون دولار . وكان لدينا عجز فى السيولة .. وتفاقم الأمر بعد حرب أكتوبر . وقام حجازى فى عام ١٩٧٤ بجولة فى الدولة العربية وايران . وصرح لى بأنه استطاع أن يحصل فى هذه الجولة على مايوازى ٢ بليون جنيه مشروعات وتمويلا نقديا .. وفى فبراير ١٩٧٥ كان الملك فيصل فى أسوان فى زيارة للرئيس السادات ومعه الأمير فهد . وقال فهد ان السعودية عدلت عن سياسة تقديم مبالغ سائلة ، وأنه يؤيد إنشاء صندوق تمويل عربى للمشروعات تشارك فيه الدول العربية . وقدمت السعودية حينئذ مبلغ ١٠٠ مليون جنيه أموالا سائلة ، وصدر بيان بها

فى السعودية بأنها ستخصص للتموين . اعترض حجازى على صيغة البيان ونشره فى مصر على أن هذا المبلغ للسلع الاستراتيجية .

مات الملك فيصل الذى يتبنى هذا المشروع . أصبح الموقف حرجا . اتصل الدكتور حجازى بالأمير الجابر الصباح رئيس وزراء الكويت . تم الاتفاق على أن تقوم الكويت بعملية الصندوق . أرسل حجازى مبعوثا هو الدكتور زندو إلى أمير الكويت برسالة يطلب فيها أن يتحرك الأمير لعمل الصندوق . عاد زندو ومعه شيك من الكويت بمبلغ ١٠٠ مليون جنيه . كانت وزارة حجازى قد خرجت من الحكم ! كانت أسباب عجز العملة الصعبة كثيرة وارتفعت الأسعار العالمية لجميع السلع الأساسية التى نستوردها . ارتفع سعر البترول . ارتفع سعر الاسمدة . ارتفع سعر الورق . ارتفع سعر القمح من ٨٠ دولارا إلى مائتى دولار للطن . السلع الاستراتيجية الموجودة فى مصر بعد حرب اكتوبر كانت فى حاجة إلى أن تدعم لأن الحرب استنفدت كميات كبيرة منها .

كان هذا هو الموقف فى عام ١٩٧٤ .. فحدث تراكم على طلب العملة الصعبة .. وكان حجم الديون ٢ بليون جنيه .

وكان للاتحاد السوفيتى دور فى هذه الازمة ..

فى أوائل ١٩٧٣ بدأ الحوار المصرى السوفيتى لفصل الديون العسكرية عن الديون الاقتصادية . طلبنا تقسيط الديون العسكرية وكان ذلك قبل الحرب . رفض الاتحاد السوفيتى . كان حجازى فى موسكو لتوقيع بروتوكول اقتصادى . فشلت كل محاولاته مع السوفيت رغم أنه استند فى ذلك على موقف السوفييت من ديونهم لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .. وتصريحاتهم فى الأمم المتحدة .

كان الوفاق قد بدأ بين أمريكا والاتحاد السوفيتى . كنا نسدد الديون الاقتصادية فى مواعيدها بالصادرات المصرية .. كل الانتاج المصرى كان يصدر إلى موسكو حتى المقشات والأحذية .. أثر ذلك تأثيرا كبيرا على ارتفاع الأسعار فى الداخل .. واختفاء مواد يحتاجها الشعب .

طلب السادات اتباع سياسة جديدة فى تنويع المصادر الاقتصادية وخاصة السلع الاستراتيجية .. مثل السلاح . قال السادات : « نريد أن نخرج من قبضة السيطرة السوفيتية التى تخنقنا » .

حاولت مصر مرة أخرى مع الاتحاد السوفيتى .. سافر الوزيران فتحى المدبولى . وطاهر أمين إلى موسكو . فشلت كل المحاولات .

كان بروتوكول التعاون الاقتصادى مع السوفييت يتضمن مشروعين : الأول

مشروع للغزل والنسيج بانشاء نصف مليون نول . وكان الثانى مشروع فوسفات أبو طرطور .

درس حجازى اقتصاديات المشروعين . وجد أن مشروع الغزل والنسيج كان الهدف منه انتاج غزل يصدر إلى الاتحاد السوفيتى تسديدا للديون !.. وجد أن ذلك يعنى ببساطة رهن القطن المصرى للاتحاد السوفيتى . كما أن الآلات السوفيتية التى سوف تستخدم فى مشروع الغزل والنسيج مختلفة بدليل أن الاتحاد السوفيتى كان يشترى آلات الغزل من المانيا الغربية . وعرض الأمر على مجلس الوزراء برياسة السادات . نصح السادات كسبا لمودة كوسيجين (مهندس غزل) الاكتفاء بخمسين ألف نول .. لعل ذلك يفيد فى مباحثات تقسيط الديون .

أما عن المشروع الثانى .. وهو فوسفات أبو طرطور .. فقد أوضحت الدراسة الاقتصادية أن تنفيذه يؤدى إلى عجز سنوى ٤ بليون جنيه . وكانت موسكو ستحصل على إنتاجه لصناعاتها الحربية . تقرر رفض المشروع .

وبدأت مصر الاتصال بشركات أمريكية كبرى مثل « بكتل » لاعادة دراسة اقتصاديات المشروع بما يحقق المصالح المصرية .

ومن هنا بدأ التفكير الجدى فى سياسة الانفتاح الاقتصادى .

لقد درست حكومة الدكتور حجازى بروتوكولات التعاون الاقتصادى والعلمى بين أمريكا والاتحاد السوفيتى بعد إعلان سياسة الوفاق فى مايو ١٩٧٢ . بعد هذه الدراسة ، وضح التصور لما يمكن أن تكون عليه العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى وأمريكا . الاتحاد السوفيتى يعتمد على التكنولوجيا الغربية الحديثة . رؤوس أموال أمريكية تستثمر فى الاتحاد السوفيتى . وقعت بروتوكولات تعاون اقتصادى بين الاتحاد السوفيتى والمانيا الغربية .

وكان كل اعتمادنا على القروض من الدول الشيوعية .

ومن هنا ثار السؤال .. ولماذا لا ننفتح على الغرب ، وخاصة ان ٨٠٪ من صادراتنا تذهب إلى الاتحاد السوفيتى وفاء للديون .. وفى الوقت نفسه فإن ٧٥٪ من وارداتنا تأتى من الغرب ونشتريها بالعملة الصعبة ؟.. وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للعجز فى السنوات التالية .

ــ فى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ بعنا نصف محصول القطن إلى اليابان والدول الغربية بالعملة الصعبة وحصلنا على ٣٠٠ مليون جنيه بضمانات المشترين .

ــ تلقينا من الدول العربية ٣٠٠ مليون جنيه .

ـــ أوقف القذافي يوم ٥ أكتوبر (ونحن في قلب المعركة) تحويل أموال الدعم رغم الاتصال به أكثر من مرة .

ـــ اشترينا بترول في عام ١٩٧٤ (٢ مليون طن بالعملة الصعبة) بقروض مولتها السعودية .

ـــ لم نستطع الحصول من الدول العربية على مليم واحد (كاش) فقد كانوا يطلبون مشروعات ..

وهكذا ارتفع العجز إلى ٥٠٠ مليون جنيه .

ولهذا فإن السادات قد صرح بأن اقتصادنا قبل المعركة كان تحت الصفر . لقد ارتفع سعر القمح في اكتوبر ١٩٧٣ من ٨٠ دولارا للطن إلى ٢٠٠ دولار . وكنا اشترينا معظم متطلباتنا من القمح ماعدا مليون طن . رفضت أمريكا البيع لنا .. وكذلك رفضت كندا . أوربا باعت كميات ضئيلة . رفض السوفيت إعطاءنا القمح وكان جروميكو في القاهرة وكانت حجته ان الاتحاد السوفيتي أعطى الهند ٢ مليون طن من القمح وليس لديهم أي فائض . كان جروميكو في ذلك الوقت ضائقا بسياسة الانفتاح . لم يبق أمامنا الا استراليا في ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ وتم التعاقد على المليون طن بالسعر المرتفع على أن يسدد الثمن في ١٨ شهرا وبسعر فائدة مرتفع وصل إلى ١٨٪ !!

ويقول الدكتور عبد العزيز حجازي أن تعليق الرئيس السادات ، على ذلك كان بقوله : « لو لم نفعل هذا .. كانت البلد ستعاني المجاعة من عدم وجود رغيف الخبز . »

وكان الموقف كذلك بالنسبة للأسمدة . لقد هبط انتاج شركة كيما في عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ من نصف مليون طن إلى ٩٠ ألف طن . الماكينات لم تجدد . نزلنا السوق مشترين . وتوسط كيسنجر في عام ١٩٧٤ لدى بعض دول أوربا لكي نستطيع شراء احتياجاتنا من الأسمدة .

كان السادات يتابع هذا الموقف بقلق شديد وهو يستعد لحرب اكتوبر .. وهو يحدد موعد بدء الحرب .

وفي مايو ١٩٧٣ استدعى السادات الدكتور عبد العزيز حجازي واستمع منه إلى دراسة عامة عن الحالة الاقتصادية في مصر . ثم سأله ـ مارأيك .. لو دخلنا الحرب ، وضرب عدد من المصانع هل يمكن أن نستمر ؟.. وأيها أحسن .. أن نخسر بعض المصانع أو نتمزق وننفجر من الداخل .. ها أنت تعرف تماما موقف الأتحاد السوفيتي ..

وسأله الدكتور حجازي : ولكن هل نستطيع ضمان نتائج المعركة ؟ ورد السادات : لا أحد يمكن أن يضمن النتائج مائة في المائة .. ولكن الاستنزاف مستمر .

وقال الدكتور حجازى : إنه يؤيد رأى الرئيس من أنه من الاصلح أن نخوض المعركة وخاصة أن الألتفاف الشعبى حول السادات فى قمته .

ودرس الدكتور حجازى الموقف وأكد رأيه للسادات .

وصرح لى الدكتور حجازى بأن التجهيز لدخول المعركة كان رائعا . وكانت متابعة التخزين الاستراتيجى ممتازة . وقام بها الوزير عبد الفتاح عبد الله فى ذلك الوقت .

واستمرت سياسة الانفتاح . ويؤكد الدكتور حجازى أنه لم يكن هناك على الاطلاق ضغط من أمريكا . هذا كذب وهو ادعاء الشيوعيين المصريين . لقد هبطت الطاقات العاطلة فى المصانع إلى ٥٠٪ لعدم وجود عملة صعبة . خسائر سنوية فى الفنادق .. تكاليف ضخمة فى نقل المصانع .. وتوطين المهجرين .. باختصار لا موارد من القناة لا موارد من السياحة لا مصدر واحدا إلا الدعم وقطعت ليبيا نصيبها فى الدعم .

وخلال ذلك كله كان الدكتور حجازى هو المهيمن على تسيير الوضع الاقتصادى .. منذ أن تولى وزارة الخزانة فى ابريل ١٩٦٨ . ثم أصبح نائبا لرئيس الوزراء للمالية والاقتصاد والتجارة الخارجية فى مارس ١٩٧٣ . ثم أصبح النائب الأول فى ابريل ١٩٧٤ .. ثم تولى رياسة الوزارة فى سبتمبر ١٩٧٤ وتركها فى ١٤ أبريل ١٩٧٥ .

وفى كل هذه المناصب كان حجازى هو موضع الثقة الأولى من السادات . حتى فى غير اختصاصه . فعندما قرر السادات الغاء الحراسات طلب من حجازى أن يشرف بنفسه على تصفية الحراسات وعندما فكر السادات فى انشاء بنك ناصر الاجتماعى . رغم أن البنك يتبع وزارة الاقتصاد ـ طلب السادات من حجازى أن يشرف بنفسه على انشاء البنك .. وروى له قصة طفلته التى ماتت لأن الأب (السادات) لم يكن يملك ثمن الدواء .. وهو يريد أن يجنب كل ابن مثل هذه المأساة وعندما أصبح الدكتور حجازى نائبا أول لرئيس الوزراء أعاد السادات محاضر مجلس الوزراء المرسلة إليه إلى رياسة الوزارة وقال لا أريد توقيع وزير الدولة .. ولن أقبلها إلا موقعة من الدكتور حجازى مبالغة فى الثقة فى توقيع حجازى على أى ورقة رسمية .

ثم فكر السادات أن يسند رياسة الوزارة إلى الدكتور حجازى فى ٣ يناير ١٩٧٤ . واستدعاه فى أسوان .. وبعد صلاة العيد قال له : المرحلة المقبلة ياعبد العزيز مرحلة اقتصادية . وقد استعرضت كل الاسماء .. حاتم .. ممدوح .. غيره .. وأرى أن هذا الفراغ لن يملأه إلا أنت .

وطلب منه الاستعداد .. وقال له إنه سيطلب من الصحافة أن تقدمه للناس كرئيس وزراء .

ثم عدل الرئيس عن رأيه .. وتولى هو رياسة الوزارة وعيّنه نائبا أول لرئيس الوزراء . كان قد استدعاه فى استراحة جانكليس وأطلعه على ما نشرته مجلة الحوادث اللبنانية عن صراع السلطة فى مصر .. وكان السادات يعتقد أن هيكل هو مصدر هذه القصص الكاذبة للايحاء بأن هناك صراعا بين حاتم وسيد مرعى وغيرهما .. وأن هناك عدم استقرار ..

وقال له : أنا فكرت .. قلت أحسن حاجة سأبدأ بحرية الصحافة .. وأنا أريد حمايتك .. وبالتالى .. أنا سأرأس الوزارة وأعينك نائبا أول .. وهذا مقبول من الناس لأن منصب رياسة الوزارة سياسى وأنت وزير مالية .

ورد حجازى أنه يسعده أن يعمل مع الرئيس السادات فى أى موقع .

وطلب منه السادات إعداد بيان بأسماء الوزراء .. وقام حجازى مع ممدوح سالم بإعداد ذلك !! وعرضاه على الرئيس .

ويوم صدور القرارات الجمهورية بالتعديل الوزارى .. طلب السادات من حجازى وممدوح سالم أن يكون تعاونهما معا كاملا وصادقا لصالح البلد .

ولكن الدكتور حجازى بدأ يواجه المتاعب بعد ذلك .. كما يقول .

اثيرت فى مجلس الشعب قضية الماء الملوث .. وأثارها النائب محمود ابو وافيه عديل الرئيس السادات ، .. وأحيل الموضوع إلى الدكتور مصطفى أبو زيد المدعى الاشتراكى الذى قدم تقريرا إلى مجلس الشعب استند فيه إلى تحاليل المعامل الرسمية وأعلن أن مصادر مياه الشرب غير ملوثة .. ولكن محمود ابو وافيه وقف على المنبر وطالب مصطفى ابو زيد بالاستقالة ..

وغضب الدكتور حجازى .. ولم يكن يتصور أن يجىء الهجوم على وزارته من نائب هو عديل أنور السادات ..

والحقيقة أن هذا الموقف من أبو وافية كان بعيدا تماما عن صلته العائلية بالسادات .. بل إن السادات لم يكن راضيا عنه وفاتح فى ذلك أبو وافية بعد انتهاء المناقشه فى مجلس الشعب .

ثم بدأ هجوم عنيف من الصحافة على وزارة الدكتور حجازى .. وكان السادات قد أطلق حرية الصحافة وألغى الرقابة .. ولكن الهجوم كان بالغ العنف .. لأنه لم يكن هناك تقصير من وزارة الدكتور حجازى .. بقدر ما كانت الظروف الاقتصادية فى قمة قسوتها .. كان الهجوم بالمقالات والكاريكاتير على موضوع أزمة اختفاء الصابون ..

ونشرت الأخبار فى الصفحة الأولى خبرا بأن أحد المواطنين مات وهو يقف فى طابور الجمعية .. انتظارا لدوره فى الحصول على صابونة ..

وحقيقة الأزمة أنه كانت هناك باخرة تحمل زيت شحومات استوردناه .. ولما قامت حرب اكتوبر حولت الباخرة مسارها إلى أوربا .. وأفرغت شحناتها فى إحدى الموانى .. وتأخر وصول الشحومات .. ووقع العجز فى الصابون ..

وأحدثت مثل هذه الهجمات المستمرة على الوزارة فى موضوع مواد التموين أثرا سيئا فى نفسية الوزراء ..

وفى أغسطس عام ١٩٧٤ قابل الدكتور حجازى الرئيس السادات وقال له أرجوك أن تحضر اجتماع مجلس الوزراء .. إن الوزراء غير قادرين على العمل فى جو هذه الحملات الصحفية الهدامة التى لا تقدر ظروف البلاد ..

وحضر السادات اجتماع مجلس الوزراء ..

وأدرك أن الموقف يستدعى تدخله شخصيا .. فقرر أن يعين الدكتور حجازى رئيسا للوزارة .. كما دعا رؤساء التحرير وكبار الكتاب إلى اجتماع فى قصر المنتزه بالاسكندرية .. وكان فى قمة الغضب .. وشرح الأوضاع الاقتصادية القاسية التى تمر بها البلاد .

وتساءل الرئيس : هل هذه هى حرية الصحافة .

وخفف فكرى اباظة من أجواء هذه الأزمة وقال ضاحكا إن الرئيس السادات هو سبب كل ذلك .. هو الذى أطلق حرية الصحافة بعد كبت طويل .. ووقع هذا الانفجار ..

ووقف مصطفى امين وقال .. نحمد الله أننا نعيش الآن فى عهد .. يعاتب فيه رئيس الجمهورية الصحافة ولا يعاقبها ..

ثم ثارت أزمة أخرى بين مجلس الشعب .. والوزارة . وكانت الأزمة ساخنة بين الدكتور حجازى والمهندس سيد مرعى وذلك عندما عرض مشروع قانون الاصلاح الوظيفى .. وشعر حجازى بضيق شديد لأن سيد مرعى اجتمع بالنقابات .. ورأى أن هذا تحركا من سيد مرعى ضد الوزارة .. لأن الحكومة هى التى يجب أن تسيطر على القوانين التى تكلف الدولة أموالا .

واستدعى الرئيس السادات الدكتور حجازى وقال له :

- سيد مرعى بيشتكى يا عبد العزيز .. ايه الحكاية ؟

ورد الدكتور حجازى أن القانون كما يريده سيد مرعى سيغرقنا .. وسيؤدى إلى مصيبة .. والحكومة لا تستطيع أن تتحمل هذه الأموال التى يكلفها القانون .. وعلق الرئيس : طب شوف لك حل يا عبد العزيز أنا مش عاوز خلافات .

وكان الدكتور حجازى قد عقد اجتماعا لمجلس الوزراء وناقش فيه كل هذه الأزمات مع مجلس الشعب .. ومع الصحافة .. وقال ممدوح سالم إن مجلس الشعب ليس ضد الحكومة .. ولكن الوزير الماركسى اسماعيل صبرى عبد الله ، تشنج فى المجلس ووصف ما يجرى بأنه مؤامرة من مجلس الشعب ومن الصحافة لاسقاط الدكتور حجازى ..

قابل الدكتور حجازى المهندس سيد مرعى فى مكتبه .. ثم التقيا فى منزل سيد مرعى بالهرم .. وأكد له سيد مرعى أنه متعاون معه تماما .. وأن هذه خلافات فى وجهات النظر للصالح العام ولا تحمل أى نوايا معادية له أو لوزارته .

ولكن الدكتور حجازى كان يشعر أيضا بأن ممدوح سالم وزير الداخلية يأخذ منه موقفا معاديا ويتجاهله كرئيس وزراء فى مسائل الأمن . وقامت مظاهرات فى يناير هتفت بسقوط حجازى .. ولم يكن حجازى يعلم عنها شيئا .. ثم قامت مظاهرة فى المحلة سمع عنها الدكتور حجازى وهو فى زيارة لمدرسة العباسية بالاسكندرية واتصل بممدوح سالم الذى أكد له أن كل شىء هادىء .. ثم سمع أن حرائق شبت فى المحلة .. فكلف سيد فهمى رئيس المباحث ــ وكان معه ــ بالاتصال بممدوح سالم .. وأبلغه أن الموضوع انتهى تماما وأن الشرطة مسيطرة ولكن المظاهرات استمرت إلى اليوم التالى .. ولم يذكر له ممدوح سالم عنها شيئا .. واقتنع الدكتور حجازى أنها مظاهرات مدبرة بالتعاون مع وزارة الداخلية .. والهدف منها أن تهتز الحكومة .. وأوحى إليه بذلك الدكتور مصطفى ابو زيد الذى أبلغه بأن التحقيق أثبت وجود عدد من رجال الأمن فى هذه المظاهرات .. وقد أكد لى سيد فهمى ــ وأنا فى سبيل الإعداد لهذا الكتاب ــ أن هذه كانت محض أوهام لدى الدكتور حجازى .. بسبب الدس بينه وبين ممدوح سالم .. وقال إن المسئولين عن الأمن لا يمكن أن يلعبوا هذه اللعبة الخطرة التى يمكن أن يفلت فيها الزمام ولا تعرف نتائجها .

وثار أيضا خلال ذلك استجواب عن السيارات المرسيدس التى استوردت من ايران وكان محور الاستجواب أنه دفعت عمولات فى هذه الصفقة .. كما كان استجواب صفقة استيراد حديد من اسبانيا ..

ويروى الدكتور حجازى حقيقة موضوع الأتوبيسات .. انه كان فى إيران لعقد

بروتوكول تعاون اقتصادى وصل إلى ٨٠٠ مليون دولار .. ولما عرف أن إيران تصنع اتوبيسات المرسيدس .. طلب زيادة البروتوكول إلى بليون دولار على أن تقدم ايران صفقة اوتوبيسات لمصر للإسهام فى حل أزمة المواصلات وكان قد زار مصنع المرسيدس . وقال له وزير الاقتصاد الايرانى ان هذا القرار لا يصدره إلا الشاه .. ووافق الشاه .. واستقبل الدكتور حجازى وأبلغه بذلك . وكان الشاه فى مجال تحسين علاقاته مع مصر والدول العربية .

وجاءت لجنة فنية إيرانية إلى مصر .. لدراسة الموضوع . ورؤى اجراء تعديلات فى مواصفات الاوتوبيسات لتصلح للعمل فى الطرق المصرية .. وكان السادات سعيدا جدا بنجاح الدكتور حجازى فى اتمام هذه الصفقة .

وبالنسبة للاستجواب الثانى فلقد أعلن المهندس عثمان احمد عثمان وزير الاسكان أن اسبانيا ألغت الصفقة .

ولكن الجو قد توتر عند تقديم استجواب الأتوبيسات .. وقال حجازى إن الوزير المختص هو الذى يرد على الاستجواب .. وليس رئيس الوزراء الذى كانت مهمته فقط توقيع بروتوكول التعاون الاقتصادى .

ونشأت فكرة اجراء تعديلات فى مناصب بعض الوزراء .

وعقد اجتماع برياسة الرئيس السادات حضره حافظ غانم بوصفه أمين الاتحاد الاشتراكى .. وسيد مرعى رئيس مجلس الشعب .. والدكتور حجازى رئيس الوزراء .. وممدوح سالم وزير الداخلية .. وتطورت المناقشات فى هذا الاجتماع إلى أزمة عنيفة بين حجازى وممدوح سالم وتدخل السادات فى الحوار الساخن وهو فى قمة الغضب .

بدأ الاجتماع بعرض من حافظ غانم عن الموقف العمالى وتطوير الاتحاد الاشتراكى .

ثم تكلم ممدوح سالم وإذا به يقول إنه غير قادر على التعاون مع الدكتور حجازى لأنه يمنعه من الحديث فى مجلس الوزراء .

ورد الدكتور حجازى بأن هذا ادعاء غير صحيح .. ومحاضر مجلس الوزراء موجودة .. وقد جرى التقليد فى كل اجتماع للمجلس أن يبدأ الكلام وزراء الداخلية والحربية والاقتصاد .. قبل جدول الأعمال لاعطاء صورة عامة عن الموقف الداخلى .. وأن ممدوح سالم يتحدث فى كل اجتماع .. والمحاضر مسجلة صوتيا وملخصة كتابيا .. والرئيس يعلم هذا .

ثم تحدث حجازى عما يشعر به من متاعب من ممدوح سالم .. وقال فى عصبية .. كيف تقع مظاهرات .. ورئيس الوزراء لا يعلم عنها شىء وهو جالس فى مكتبه ؟ .. والمظاهرات تهتف «حكم النازى ولا حجازى» .

وختم حديثه الغاضب بقوله : أنا مش ممكن اشتغل بالطريقة دى .. يـا اشتغل رئيس وزارة .. يا مفيش داعى ..

وعلق ممدوح سالم فى عصبية : أنا أديت مهمتى .. وسيادتك تشوف له وزير داخلية على قده وأنا أروح أقعد فى اسكندرية .

ولم يتدخل سيد مرعى أو حافظ غانم فى هذا الحوار الملتهب .

وغضب أنور السادات .. وخاصة عندما قال حجازى إنه لا يريد أن يعمل .. وعلا صوته وهو يقول لهما فى حزم وصرامة : «أنا لا أقبل هذا الأسلوب .. انتم عارفين .. أنا أسكت أسكت .. وبعدين أفرم .. على كل حال .. تطلعوا من عندى .. تجتمعوا .. تجيبوا تقرير يوم الاثنين» .

وكان هذا الاجتماع فى يوم الخميس .

وانصرف ممدوح سالم وسيد مرعى معا ..

وانصرف الدكتور حجازى وحده .. وقال له الرئيس السـادات .. وانت تروح مجلس الوزراء تجهز بيان عن متطلبات الجبهة الداخلية .

وكان المفروض أن يتم اجتماع بين حجازى وممدوح يوم الأحد .. ولكن حجازى بقى فى مكتبه ولم يحضر ممدوح سالم ..

وأعد الدكتور حجازى البيان .. كما أعد أيضا التعديل فى المناصب الوزارية المتفق عليه من قبل .. وعقد مجلس الوزراء يوم الأربعاء .. ولم يحضره ممدوح سالم .

وفى يوم الجمعة .. اتصل كمال أبو المجد وزير الإعلام بالدكتور حجازى .. وأبلغه بأن الصحف صادرة بخبر أن الرئيس السادات سيرأس وزارة جديدة .

وصباح الأحد .. استدعى الرئيس السادات الدكتور حجازى للقائه .. وقال له .. أنت تعرف يا عبد العزيز أن العمل السياسى يحتاج إلى تغييرات مستمرة .. والمرحلة المقبلة جديدة .. ويمكن انت ترجع خطوتين إلى الوراء .. لنتقدم بعد ذلك خطوة إلى الأمام ثم أبلغه الرئيس بأنه سيؤلف وزارة جديدة ..

وصدرت القرارات الجمهورية بتكليف ممدوح سالم بتأليف الوزارة الجديدة وتلقى حجازى خطاب شكر من السادات .. وإن كان قد تألم من خطاب تكليف ممدوح سالم

بتأليف الوزارة لأنه حدد مهمة الوزارة فى القضاء على الفساد .. وأعتبر الدكتور حجازى هذه السطور جرحا لكرامته .

ولما علم السادات بذلك أعلن فى خطاب عام أن الدكتور حجازى فى قمة النزاهة ، وكان السادات يعبر فى ذلك بصدق كامل عن رأيه .

ثم استصدر السادات قرارا بعلاج السيدة قرينة الدكتور حجازى فى الخارج على حساب الدولة عندما علم بمرضها .. وأرسل سكرتيره فوزى عبد الحافظ إلى الدكتور حجازى ومعه مظروف به مبلغ كبير من العملة الصعبة لأن ما يصرف رسميا للعلاج لا يكفى للإقامة فى الخارج .. ولكن حجازى اعتذر عن عدم قبول المبلغ وطلب إليه أن يبلغ شكره للرئيس على قرار العلاج .

وانتهت صفحة تعاون السادات مع الدكتور حجازى .

وإلى أن مات السادات كان يعبر دائما عن تقديره لكفاءة الدكتور حجازى كما كان يعبر أن منصب رئيس الوزراء جعله عصبيا ، وأنه زاد من خصومه فى الحزب وفى مجلس الشعب وفى الصحافة ، وتسبب عن ذلك تواترات كانت تقضى بأن يبتعد عن مسئولية رئيس الوزراء .

وكان السادات يطلق على هذا الوصف ، تعبيراته الشعبية فيقول فى مودة : حجازى بقى نقاق ! وشكاويه ما تخلصشى .. غصب عنه .. المنصب ده صعب .. يهلك الأعصاب .

ويقول الدكتور حجازى « إنه لم يجد من الرئيس السادات إلا كل تقدير وتشجيع .. وإنه يشعر بالشرف أنه أدى واجبه فى العمل مع زعيم عظيم .. كانت كل ذرة من نبضه من أجل مصر » .

وكان يوم مقتل السادات .. من أبشع الأيام فى حياة الدكتور حجازى الذى أسرع إلى مستشفى القوات المسلحة .. وعرف النبأ الأليم .. وبكى ..

« ممدوح سالم »

عمل مع أنور السادات ، خمس رؤساء وزارات وكان أول رئيس وزراء مع السادات هو الدكتور محمود فوزى فى ٢٠ أكتوبر ١٩٧٠ وكان لتوليه الوزارة صدى طيب لدى الجماهير لأنه أول رئيس وزراء مدنى ، منذ ثورة ٢٣ يوليو ، كما كانت له

شعبية ، على أساس أنه دبلوماسي كبير ، له مكانته على المسرح العالمى . وكان السادات يستنير برأيه فى مبادراته الخارجية ، وإن عرف عن الدكتور فوزى عدم ايجابيته وتركه الأمور لتوجيهات رئيس الدولة . وقد كان كذلك ، وهو وزير للخارجية مع جمال عبد الناصر . وكانت فلسفته فى الحكم نظرية ، فيها نوع من التصوف الفكرى الذى تأثر به من قراءاته فى الأدب الأسيوى .

ولا يمكن القول بأن وزارة محمود فوزى كانت وزارة إنجاز ، وتولى من بعده الدكتور عزيز صدقى فى ١٧ يناير عام ١٩٧٢ وعندما اتخذ السادات قرار الحرب تولى هو رياسة الوزارة فى ٢٧ مارس ١٩٧٣ ، وبعد ذلك تولى الدكتور عبد العزيز حجازى رياسة الوزارة فى ٢٥ سبتمبر ١٩٧٤ بعد أن عمل لفترة نائبا لرئيس الوزراء . وبدأت الأزمات تثور بينه وبين ممدوح سالم وزير الداخلية ، وتدخل السادات أكثر من مرة فى هذه الخلافات ، ، ثم أسند رياسة الوزارة الى ممدوح سالم فى ١٥ أبريل ١٩٧٥ ، ، وعدل وزارته ثلاث مرات فى مارس ١٩٧٦ وفى نوفمبر من نفس العام ، وفى أول فبراير ١٩٧٧ حتى خرج من الحكم بعد توقيع كامب ديفيد .

ولكن ممدوح سالم ، كان منذ أن تولى وزارة الداخلية فى ١٤ مايو ١٩٧١ أحد أعمدة الحكم الرئيسية فى عهد السادات .. وكان قبوله لتولى وزارة الداخلية ، معبرا عن شجاعة وإيمان بالمسئولية والتزام بالشرعية . وكانت الاعتقالات التى أجراها فى مايو على أضيق نطاق واحترمت فيها سيادة القانون فى معاملة المعتقلين ، أو التحقيق معهم .

وكان السادات يردد : « أنا ماعنديش حد يفهم سياسة زى ممدوح سالم . »

وكان ممدوح سالم موضع ثقة جمال عبد الناصر ، كرجل أمن سياسى وطوال عمله كضابط مباحث أو كرئيس لمباحث أمن الدولة فى الاسكندرية كان يميل الى الحوار السياسى مع من تنسب اليهم تحركات مضادة للنظام . وكان يقدم لهم التحذير تلو التحذير ولا يلجأ الى سلاح الاعتقال إلا عندما تفشل كل محاولات التفاهم . وكان ممدوح سالم يصحب الرئيس عبد الناصر فى رحلاته ، الخارجية ، ويتولى مسئولية تأمين رئيس الدولة . وكان يؤدي هذا العمل بهدوء كامل ، دون أن يشعر أحد بوجوده ، وكان يبلغ الرئيس عبد الناصر بكل تصرف ينسب إلى أشقائه أو أقاربه فى الاسكندرية . وكان يتولى بنفسه حل المشكلات التى تواجههم . . ولذلك كان عبد الناصر يستريح الى سلوكه . وكان ممدوح سالم ممن يتحلون بفضيلة الصمت والتحرك فى هدوء دون إعلان ودون استعراض لعضلاته .

ولهذه الميزات وقع اختيار السادات عليه ليتولى وزارة الداخلية قبل استقالة شعراوى جمعة .

وقد تمت أخطر تطورات الحكم وممدوح سالم يتولى وزارة الداخلية أو رياسة الوزارة . وواجه أحداث الطلبة بكل مرونة . ولجأ الى العنف فى الوقت المناسب ، عندما قبض على الطلبة المعتصمين فى إدارة الجامعة بعد أن استولوا على المبنى وقرروا تأليف اللجان « الثورية » .

وقرر السادات إنشاء الأحزاب ، وأسند إلى ممدوح سالم رياسة حزب مصر ثقة منه فى إحساسه السياسى . وكان ممدوح سالم مسئولا عن الدفاع الشعبى فى حرب أكتوبر . وقد تحمل ممدوح سالم مسئولية قرار رفع الأسعار المفاجىء الذى تسبب فى أحداث ١٨ و ١٩ يناير التى استثمرتها التنظيمات الشيوعية السرية . ولعل الخطأ الذى وقع فيه ممدوح سالم . هو أنه لم يمهد إعلاميا لقرارات رفع الأسعار أو لعله لم يكن يتوقع أن يكون لها هذا الأثر . ولكن الجفوة فى العلاقات بينه وبين الرئيس السادات بدأت بعد تعيين النبوى اسماعيل وزيرا للداخلية على غير رغبة ممدوح سالم . ومن هنا بدأت تثور الشكوك ، التى أدت بممدوح سالم الى أن يقدم استقالته أكثر من مرة . وكان السادات يرجع ضعف حزب مصر الى أن ممدوح سالم لم يستمع الى نصيحته ، ويبدأ تشكيلات حزبية من القرى ، ويستعين بالعائلات القديمة والشخصيات القيادية ويكوّن الخلايا الحزبية على نمط جماعة الاخوان المسلمين . وقد كان السادات متأثرا بهذا النمط . ثم تدخلت الدسائس بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء على أساس أن ممدوح سالم يسعى الى الشعبية . وقد كان من رأى ممدوح سالم دائما ألا يتصدى الرئيس السادات بشخصه فى مواجهة خصومه السياسيين . وكان يعرض على السادات أن يتولى هو هذه المهمة . ولكن السادات لم يقتنع بهذا المنطق وكان يفضل التصدى بنفسه . ثم زادت الفجوة بعد قرار السادات تأليف حزب جديد وحل حزب مصر .

وكان ممدوح سالم يتقبل النقد الصحفى . وكان يفضل الاجتماع بالكاتب الذى يوجه نقدا ويشرح له حقائق الأمور . وقد حدث ذلك مع كثير من الكتاب . وكان أيضا يتصدى بالرد فى الصحف . ودارت بينه وبين عبد الرحمن الشرقاوى مساجلات سياسية فى الصحف ، تعتبر نموذجا للحوار الديمقراطى بين رئيس وزراء وكاتب . وقد تصدى ممدوح سالم فى كل معارك أنور السادات . وكان مؤيدا لقرار فصل كمال الدين حسين من مجلس الشعب ، وكذلك الشيخ عاشور .

ولم يكن ممدوح سالم يتهرب أبدا من مواجهة الفساد أو مساعدة الصحف فى

الحصول على معلومات . وكان يساند حملة أخبار اليوم على تجاوزات الاتحاد التعاونى للفلاحين . وكان يتابعها فى مجلس الشعب وهو الذى ساند تقديم القضية إلى النيابة العامة .

ولم يحم ممدوح سالم ، أى واقعة فساد . وحاولت إحدى الشركات الكبرى ، تعيين قريب له حديث التخرج ، فطلب من قريبه أن يرفض الوظيفة.

وتعرض ممدوح سالم لخلافات عديدة مع المهندس عثمان أحمد عثمان . وكان يرى أن عثمان يتجاوز وضعه كوزير مسئول . وفى تعديل وزارى طلب عثمان أن يكون نائبا لرئيس الوزراء ورفض ممدوح سالم .. وقال له : أنا لا أعين نوابا لرئيس الوزراء . ونصح الرئيس السادات المهندس عثمان بالاستقاله عندما رأى صعوبة التعاون بين الاثنين .

وينفى ممدوح سالم واقعة أنه هو الذى عرض المنصب الوزارى على محمد حسنين هيكل ، رغم أن الرئيس السادات صرح أكثر من مرة أنه كلف ممدوح سالم بذلك .

وقد اصطدم ممدوح سالم مع محمود أبو وافية عديل الرئيس السادات صداما عنيفا بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير عندما هاجمه محمود أبو افية بعنف فى اجتماع حزبى واتهمه بأنه خدع الهيئة البرلمانية للحزب لأنه لم يعرض عليها تفصيلا قرارات رفع الأسعار . وهنا أعلن ممدوح سالم فى الاجتماع أنه لن يتعاون مع محمود أبو وافية واستجاب الرئيس السادات لطلب ممدوح سالم .

وكان ممدوح سالم يسعى إلى تدعيم وزارته بالعناصر الجديدة ذات السمعة الطيبة . وهو الذى اختار الدكتور بطرس غالى لمنصب وزير الدولة للشئون الخارجية ، وعرض المنصب الوزارى على السيدة عزيزة حسين ولكنها اعتذرت عن عدم القبول . وهو الذى أدخل فى الوزارة الدكتور عبد العزيز حسين وزيرا للزراعة . وكان من أكفأ وزراء الزراعة . ولكنه استقال عندما استقبل الرئيس السادات وفدا ا يابانيا جاء إلى مصر لمفاوضة وزارة الزراعة فى بعض المشروعات ولم يدع وزير الزراعة إلى هذا اللقاء الذى حضره المهندس عثمان أحمد عثمان . وعبثا حاول ممدوح سالم معه أن يعدل عن الاستقالة ولكنه أصر عليها .

وفى عهد ممدوح سالم جرت انتخابات مجلس الشعب التى أجمعت كل الأطراف على نزاهتها فى عمومها . ولم يحدث فى هذه الانتخابات إلا تدخلات محدودة فى عدد من الدوائر لا يتجاوز أربع دوائر . وكانت دائرة مصطفى كامل مراد من الدوائر التى بذلت الجهات الادارية فيها جهدا كبيرا مستترا لكى ينجح مصطفى كامل مراد الذى ناصب

ممدوح سالم العداء بعد ذلك . وتجمعت فى مكتب ممدوح سالم رئيس الوزراء تقارير عديدة رأى أنها تمس بعض تصرفات لمصطفى كامل مراد .

وعلى الرغم من أن ممدوح سالم كان يعلم أنه سيترك الحكم بعد عودة الرئيس السادات من كامب ديفيد إلا أنه تكتم هذا الأمر ولم يصارح به أحدا من الوزراء وظل يؤدى واجبه ، ويقوم بافتتاح المشروعات ويعقد الاجتماعات الشعبية حتى عودة الرئيس السادات من كامب ديفيد .

وكان ممدوح سالم يدرس مشروعات الاستثمار بنفسه . وأغرق نفسه فى مئات الملفات حتى يضمن نزاهة التصرف . وساعده على ذلك إجادته للغات الاجنبية . ولكن هذا العبء كان أكبر من أن يتحمله رئيس الوزراء فوق أعبائه اليومية الأخرى .. رغم أنه أعطى كل وقته لعمله فهو أعزب ولم يفكر فى الزواج .

وفى وزارة ممدوح سالم وقع حادث « الفنية العسكرية » الذى كان أول خيط التقطته الحكومة لاكتشاف تنظيمات دينية سرية تعتمد على القوة المسلحة لقلب نظام الحكم . وكان يعالج موضوعات التطرف الدينى بسياسة حكيمة . حدث أن أحد كبار الدعاة ، كان يتطرف فى نقد الحكم فى المساجد . وكان رجلا له احترامه . فسعى ممدوح سالم لدى الحكومة السعودية لإعارته فى وظيفة هامة تدرّ عليه دخلا كبيرا . وهكذا تخلص منه فى مصر دون أى أحتكاك .

وقد خرج ممدوح سالم من الحكم نظيف السمعة ، قليل الخصومات واستمر على التزامه بنظام الحكم .. ولم يستثمر أى موقف .. وكان السادات يكلفه بمهام حرجة ، كان يقوم بها بكل كياسة ومن ذلك أن السادات طلب إليه أن يبلغ حسين الشافعى بإقالته من منصب نائب رئيس الجمهورية .

« منصور حسن »

العلاقة بين أنور السادات ومنصور حسن تقدم لنا صورة لفكرة كانت مسيطرة على ذهن السادات .. وهى البحث عن وجوه شابة جديدة تمتاز بمواهب خاصة يمكن أن يسند إليها مسئوليات كبيرة .. ويدفعها خطوات إلى الأمام لكى تتحمل مسئوليات أكبر .

لقد عرف أنور السادات الشاب منصور مصادفة فى يوليو عام ١٩٧٨ . وبعد أقل من عامين كان يعده لكى يكون رئيسا للوزارة فى مستقبل قريب !

لم تكن تربطه بمنصور حسن أى صلة ، كل ما حدث أن عبد الحميد رضوان قدمه

إليه فى الاجتماعات الأولى الضيقة التى كان السادات يعد فيها لتأليف الحزب الجديد برياسته !

كان منصور حسن نائبا فى مجلس الشعب .. وكان قد فشل فى انتخابات سابقة فى الفوز بمقعد البرلمان . وفوجىء بزيارة من زميل الدراسة عبد الحميد رضوان الذى قال له إن الرئيس يؤلف حزبا جديدا . أمينه العام فكرى مكرم عبيد .. وأعضاء أمانته .. العقيلى وماهر محمد على ورضوان .. والرئيس يريد شخصا خامسا يتولى العلاقات الخارجية والإعلام .. وقد رشحتك .. ووافق .

وتحدد موعد فى اليوم التالى لكى يلتقى منصور حسن بفكرى مكرم عبيد .. وكان قد تقرر فى ذلك اليوم أن يعلن عن تأليف الحزب .. وذهب منصور حسن .. وكان زحام وتليفزيون وأجهزة تصوير .. وكل ما حدث له أنه ظهر فى الصور !

وتحدد موعد فى اليوم الثالث للاجتماع بالرئيس السادات فى الاسكندرية بعد الافطار (فى رمضان) وكانت هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها السادات منصور حسن .. وحضر هذا الاجتماع الدكتور صوفى أبو طالب .. تحدث الرئيس عن برنامج الحزب الجديد .. ووضح أنه كان قد كلف أحدا بوضع البرنامج لأن الرئيس كان يشرح البرنامج من ورقة مكتوبة ..

وخلال الاجتماع دخل سكرتير الرئيس وقدم إليه مظروفا .. قرأ الرئيس ما بداخله ثم قال : ده ممدوح (يقصد ممدوح سالم) باعث مذكرة عن حزب مصر .. وهو يسأل : الحزب يحل أو يبقى .. مع تأكيد ولائه للرئيس ..

وتوجه الرئيس إلى المجتمعين معه وسأل : ما رأيكم ؟

ودار نقاش . وتحدث منصور حسن لأول مرة وأبدى وجهة نظره فى أنه لا مانع أن يبقى حزب مصر .. لأن الحزب الجديد ليس حزبا بديلا .. كما أن الحزب الجديد يجب أن يأخذ الوقت الكافى فى التكوين السليم .

وشعر منصور حسن بشعورين .. الأول أنه يستطيع أنه يبدى رأيه بحرية مطلقة فى حضور رئيس الجمهورية . وأن السادات لديه استعداد كامل للاستماع لكل وجهات النظر المختلفة .. وقد شجعه السادات على الاستمرار فى عرض وجهة نظره عندما قوطع من أحد الحاضرين ..

كما أحسن منصور حسن .. أن السادات لم يكن ينوى حل حزب مصر .. وكان يفضل استمراره لكى يأخذ دور المعارضة فى ظل النظام ..

ولكن ما جرى بعد ذلك . لم يسمح ببقاء حزب مصر .

ثم عقد اجتماع ثان برياسة السادات وسأل عن أعضاء الجمعية التأسيسية للحزب .. وقال فكرى مكرم عبيد إن الكشوف جاهزة .. فطلب منهم الرئيس مراجعتها والاعلان عن موعد انعقاد الجمعية التأسيسية حتى يعرض عليها برنامج الحزب .. ثم ينزل البرنامج إلى الجماهير لكى يناقش فى مختلف القواعد ويعدل طبقا لما يبدى من آراء .

وقد روعى فى أعضاء اللجنة التاسيسية وجود وجوه جديدة من المهن المختلفة .. مع الابقاء بقدر الإمكان على الوجوه القديمة ..

وعقدت الجمعية التأسيسية فى الصباح فى فندق سان ستيفانو .. ولم يكن هناك جدول أعمال أو ترتيب مسبق محكم للاجتماع .. وإذا بالدكتور على عيسى استاذ أمراض القلب وعضو اللجنة يقف فى الاجتماع ويهاجم نواب حزب مصر الذين هرعوا للانضمام للحزب الجديد دون أن يدرسوا مبادئه وحدث هرج ومرج وغضب النواب وهاجموا على عيسى .. ولم يصل الاجتماع إلى شىء .

وكان مصطفى أمين قد نشر فى مقاله « فكرة » بالأخبار هجوما مثل هجوم على عيسى .. ووجد الرئيس السادات نفسه فى حرج .. لأنه لا يستطيع أن يرفض نوابا يريدون الانضمام للحزب اقتناعا برياسة للحزب ..

وحضر الرئيس السادات اجتماعا مسائيا للجمعية التأسيسية .. واقتصرت كلمته عن دور الحزب الجديد فى العمل القومى .. ثم قدم أعضاء أمانة الحزب وقال عن العقيلى : رئيس نقابتى عندما كنت أعمل شيالا .. وفوجىء منصور حسن بأن السادات يقدمه بأنه خلق وكفاءة وشخصية .. وهو المثل الذى أتمنى أن يكون عليه شباب مصر !

وبدأت اجتماعات الأمانة العامة .. واتضحت حقيقة وهى أن الواقع يفرض نفسه وأن المثاليات فى عضوية الحزب التى كان يحلم بها السادات .. ليس من السهل تحقيقها .. كان السادات يتصور أن عضو الحزب الوطنى يجب أن يكون مثاليا فى كل شىء ... فى احترام عضويته للحزب .. ديمقراطى إلى أبعد حد . صريح مع نفسه ومع الجماهير .. نموذج وقدوة مسئول عن ممارسة الديمقراطية ليس فى موقعه فقط ولكن فى مصر كلها ..

كان السادات يردد هذه الأوصاف لأعضاء الأمانة وهم يبحثون موضوع عضوية الحزب وثار موضوع عدد أعضاء اللجان الحزبية فى الدورات المختلفة وتضاعف العدد أكثر من مرة خضوعا لواقع عدم إغضاب أحد !.. وثار البحث حول من يكون أمين

اللجنة ؟.. عضو مجلس الشعب أو شخص آخر ؟..

وحل شهر سبتمبر وسافر الرئيس السادات إلى مؤتمر كامب ديفيد فى أمريكا وطلب من أعضاء الأمانة العامة تجهيز كل شىء حتى يعود .. وكانت الأمانة العامة تجتمع يوميا وبرياسة النائب حسنى مبارك فى بعض الأحيان .. وكان ينفذ رأى الأغلبية وفى الموضوعات الشائكة تترك لعودة الرئيس .

ويروى منصور حسن أن الرئيس كان يعيش التجربة الجديدة للحزب بكل جوارحه وكان يحلم فعلا ببناء ديمقراطى مثالى ، ولذلك رحب وسعد عندما عرض عليه النائب ابراهيم شكرى فكرته عن تأليف حزب معارض .. وقال إنها ستكون معارضة مثالية ، وابراهيم شكرى رجل وطنى ونظيف وله تاريخ مشرف ، وزار ابراهيم شكرى فى بلدته ليعطى له دفعة ، ودعاه لركوب القطار معه وفى صالون الرئيس جرت مناقشة موضوع عام . وقال ابراهيم شكرى إنه يخالف رأى الرئيس .. ورحب السادات بهذا الخلاف وقال له : عارض ياابراهيم وعبر عن رأيك .. هذا حقك .

وحدث أن أعلن الحزب الوطنى الديمقراطى عن تبرع تلقاه من نقابة عمال النقل البرى بمبلغ ١٨ ألف جنيه .. وأعلن أبراهيم شكرى أن هذا مخالف لقانون الأحزاب الذى يمنع تبرع النقابات .. وكتب الدكتور جمال العطيفى يؤيد هذا الرأى .. وكان من رأى أحد أعضاء الأمانة العامة أن القانون لم يمنع التبرعات الفردية وأنه يستطيع تقديم كشف باسماء العمال . وتبرعهم بمجموع هذا المبلغ . ووجد أن هذا تحايل على القانون ولابد أن يحترم الحزب سيادة القانون . وكانت المناقشة جارية فى الأمانة العامة حول هذا الموضوع بين أخذ وردّ ولكن منصور حسن خرج من الاجتماع وصرح للصحافة بأنه تقرر رفض هذا التبرع ، احتراما لسيادة القانون .. وحضر السادات اجتماعا لاحقا للأمانة العامة وأثنى على هذا التصرف وامتدحه .. وقال : برافو .. أنا عاوز الحزب يبقى كده .. عندما نخطىء يجب أن نعترف بالخطأ .

وخلال ذلك كله كان الرئيس السادات يزداد إعجابا بأسلوب منصور حسن فى الحوار غير التقليدى .. وعرضه لحججه بمنطق سليم .. وقرر الرئيس تعيينه مديرا لمكتبه لشئون الحزب ..

ولكن منصور حسن لاحظ أن عمل الحزب الجديد لايجرى كما يتصور الرئيس .. ففى احدى اجتماعات الهيئة البرلمانية أثار بعض الاعضاء أزمة قصب السكر .. قال الرئيس : اللجنة المختصة فى الحزب تبحث هذا الموضوع وتقدم وجهة نظرها إلى الحكومة .. وهكذا يكون للحزب فعالية .

وسأل الرئيس : لجان الحزب جاهزة ؟ ..

وسمع الرد الفورى : كلها جاهزة يا افندم ..

وكان الرد مغايرا للواقع .. لأن أعضاء اللجان الذين اختيروا .. هم أعضاء مجلس الشعب . فى لجان مجلس الشعب !

وفى مارس ١٩٧٩ استدعى الرئيس السادات منصور حسن للقائه فى الحرانية حيث منزل المهندس عثمان أحمد عثمان .. وأخر الرئيس المقابلات الأخرى وجرى الحديث بينه وبين منصور حسن أكثر من ساعتين فى المسائل الحزبية والعامة وأسلوب الاتصال بالجماهير .

وفى المساء كان الرئيس يحضر اجتماعا حزبيا فى نادى هيئة قناة السويس .. والتقى عثمان أحمد عثمان بمنصور حسن وقال له : مبروك انت عملت إيه فى الريس .. ده قرر تعيينك وزيرا !

وأذكر أننى نشرت الخبر فى « الأخبار » بعد أن تحدثت إلى الرئيس وتحققت من صحة الخبر .. وكان الخبر أنه تقرر تعيين منصور حسن وزير دوله لرياسة الجمهورية مشرفا على الثقافة والإعلام ..

ولكن القرار لم يصدر ولم ينفذ وطلب الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء تأجيله إلى تعديل وزارى لأن الوزارة الجديدة ألغت وزارة الثقافة .. وكيف تدار الثقافة من رياسة الجمهورية ..

وبعد ثلاثة أشهر جرى التعديل الوزارى ,, وأصبح منصور حسن وزيرا للإعلام والثقافة .

فى أواخر اغسطس ١٩٧٩ كان الرئيس منشغلا تماما ، بفكرة أن الحزب الجديد لا يسير فى الطريق الذى رسمه له وأن زمام مثاليات الحزب قد أفلت تماما .. واستدعى منصور حسن للقائه وقال له :

ــ طلبتك لكى أبلغك بأن وضع الحزب سيىء جدا وأن الاستمرار بهذا الشكل مستحيل .. ولابد من عمل شىء .. وأريد منك تجهيز ورقة عمل .. لقد مضى عام الآن .. ولا أرى جديدا .. وأنا أريد انتخابات جديدة داخل الحزب من القاعدة إلى القمة .

وتصادف أن منصور حسن كان يعد لنفسه مثل هذا البحث .. وقد أخذه معه عندما استدعاه الرئيس لعله يجد فرصة لتقديمه اليه .. وحانت الفرصة .. وقدم إليه البحث ..

وشرح له خطوطه العامة .. وكان محور البحث .. هو كيف نصل إلى وجوه جديدة محترمة وتنضم إلى الحزب عن اقتناع .. وقال منصور حسن للرئيس إن ما يجرى الآن هو إبدال زيد بعبيد .. ولكن الجوهر التنظيمى والبنائى للحزب كما هو .. لماذا لا نجتذب وجوها جديدة بعد أن اصبح الأمر احتكارا بمرور الوقت على من مروا على هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ، ثم الاتحاد الاشتراكى ، ثم حزب مصر .. يجب أن نفتح قنوات مع قيادات جديدة يجرى العمل معها للاقناع والاقتناع .. فى سرية ودون إعلان ، ويكون البدء باختيار أساتذة من الجامعات يضعون برامج دراسية سياسية .. وتجتذب إليها الشباب .. وتكون المناقشات فيها حرة حرية مطلقة وغير ملتزمة بأى فكر مسبق .. ولا يهم أن يكونوا أعضاء فى الحزب الوطنى كما لا إجبار عليهم أن ينضموا إلى الحزب أو لا ينضموا إليه بعد انتهاء الدراسات وبذلك نخلق جوا صحيا .. ونبعد الحزب عن أن يكون نابعا من أى سلطة تنفيذية .

واعترض الرئيس : ولكن ده .. يبقى زى الجهاز الطليعى ؟.

ورد منصور بأن الجهاز الطليعى هو جهاز دائم داخل الحزب له صفة السرية .. ولكن الجهاز المطلوب تأليفه الآن مؤقت .. حتى يكتمل تأليف الكادر الحزبى ..

الرئيس : موافق ..

منصور : وستكون سيادتك بعيدا عن العملية حتى تنتهى .. لأن الخيار أمامك الآن بين واقع سيىء ملموس .. وآمال جميلة غير ملموسة .

وبعد يومين استقبل الرئيس السادات منصور حسن وقال له : أنا مقتنع مائة فى المائة بكل سطر فى ورقة العمل التى قدمتها .. وفعلا يا ابنى ده هوه الحل الوحيد ..

وبدأ منصور حسن العمل فى سبتمبر ١٩٧٩ .. وقد خلق هذا المشروع رابطة قوية مع الرئيس السادات واستدعى لقاءات مستمرة .. وكان الرئيس يردد : هذه عملية العمر يا منصور .. إننى الآن املأ الفراغ .. حتى يشتد ساعدكم وتقفوا على أقدامكم .

وبدأ منصور حسن بقيادات من الجامعات .. لكى يتحدثوا إلى الشباب وكان يدعو العناصر الرافضة المبتعدة .. ما داموا أصحاب رأى وفكر واستمرت اللقاءات بالمناقشة والرد والاقتناع .. ولكن ذلك كان يجرى بدون إعلان .

ودعى الرئيس السادات للاجتماع بهذه المجموعات .. وجرى اللقاء فى الاسماعيلية وجرى الحوار مع الرئيس طبيعيا غير تقليدى متحررا من أى حرج ومن تردد فى إبداء الرأى .. واسعدت المناقشات أنور السادات وأبقاهم فى الاسماعيلية واجتمع بهم فى اليوم التالى ..

وكان الرئيس مبهورا ..

ثم اتسع نطاق العمل التنظيمى .. وطلب منصور حسن من المحافظين أن يرشح كل واحد منهم خمسة أشخاص يرى فيهم التميز والسمعة الحسنة والوطنية الصادقة ولا يشترط على الاطلاق أن يكونوا أعضاء فى الحزب ..

وهنا .. بدأ أعضاء مجلس الشعب يظهرون امتعاضهم واحتجاجهم على هذا الذى يجرى من وراء ظهورهم .. وكانت أزمة .. وتوقفت عملية المحافظين بعض الوقت .. ثم بدأ منصور يجتمع بالمجموعات البرلمانية .. وشرح لهم العملية وطلب منهم ترشيحات شبابية .. وتم إعداد الكوادر الجديدة فى ١١ محافظة .. فى كل محافظة مائة عضو جديد ..

وفى مايو ١٩٨١ حدثت الأزمة القاصمة التى قتلت المشروع التنظيمى !

اكتشف محمود وافيه (عديل الرئيس) أن اللجنة التى تشكلت فى محافظة البحيرة تضم أفرادا كانوا فى التنظيم الطليعى .. وأحدهم كان منها بالاشتراك فى تدبير مؤامرة لاغتيال الرئيس السادات فى جاناكليس فى مايو ١٩٧١ .

واجتمع محمود أبو وافيه بمنصور حسن وكاشفه بذلك .. وأصر منصـور على أن الاتهام غير صحيح .

وأبلغ أبو وافيه الرئيس السادات بما جرى ..

واستدعى السادات منصور حسن .. ونصحه بالتريث .. والدقة فى الاختيـار .. وقال له إن هؤلاء « أرذال » وانت لا تعرفهم يا منصور .. ثم قال له :

ــ أريد من لجنة النظام بالحزب أن تحاكم من كونوا لجنة دمنهور .

وخرج منصور حسن من لقـاء الرئيس وبحث فى الكشـوف التى يحتفظ بها .. واتصل بالرئيس السادات وأبلغه أن الاسماء التى أثارها محمود أبو وافيـه ليست فى اللجان .. كما أنها ليست فى كشوف الترشيحات !!

ولكنه شعر من تعليقات السادات .. أنه لم يكن مقتنعا ، ومرة أخرى قال له :

ــ خد بالك يا منصور ..

وقرر منصور حسن أن يتوقف عن الاستمرار فى هذا العمل بعض الوقت .

وخلال ذلك نشرت صحيفة « الجروز اليم بوست » الاسرائيلية أكثر من مقال عن الصراع على السلطة فى مصر .. وورد فيها اسم منصور حسن .. وكان استنتاج الرئيس السادات أن هيكل هو مصدر المعلومات الكاذبة .. وأمر الرئيس بطرد المراسل وعدم السماح بدخوله إلى مصر .. وسويت هذه الأزمة باعتذار الصحيفة عما نشرته مع القول

بأنهم تلقوا هذه المعلومات من مصادر ولكنهم لم يتحروها كما يجب .

وخلال ذلك أيضا نشرت صحيفة « الحوادث » اللبنانية حديثاً مع منصور حسن .. وجعلت عنوانه « الرجل القادم فى مصر » ! .

وفى لقاء مع الرئيس السادات فى ميت أبو الكوم أبلغه الرئيس أنه سيجرى تعديلاً وزاريا وقد اختاره لكى يكون وزيراً لشئون رياسة الجمهورية .. ويقول منصور حسن إنه استنتج أن النائب حسنى مبارك هو الذى اقترح على الرئيس هذا المنصب وتوجه إليه لتحديد اختصاصاته ..

ثم وجد بعد البحث ــ أن هذا المنصب الجديد ليست له أى ضرورات عملية .. وانتهى الأمر وكان الموضوع قد فسر تفسيرات شتى لم تكن فى ذهن الرئيس السادات .

وواجه منصور حسن التدخل فى أزمات كبيرة .. مع الصحافة .. ومع نقابة المحامين .

كان هو المسئول عن الاعلام فى الحزب ، وكوّن لجنة للإعلام دعا إليها عدداً كبيراً من الصحفيين الذين يمثلون الجيل الوسط .. وزار المؤسسات الصحفية .. وتابع ما يجرى فى نقابة الصحفيين من العناصر الماركسية .. ورأى أجواء عدم الثقة القائمة بين الرئيس .. وبين الصحفيين .. وكان الرئيس يرى أن الأغلبية من الصحفيين يؤيدون سياسته .. ولكنها أغلبية غير منظمة وأن الأقلية الماركسية صوتها مرتفع .. وهى التى تستثمر النقابة كقاعدة انطلاق .. ضد النظام بالتعاون غير المباشر مع نقابة المحامين .. ونشأت فكرة من بعض أقطاب الحزب .. وهى أن تتحول النقابة إلى ناد مثل نادى القضاة .. ولكن هذه الفكرة بعد أن أعلنت فى تصريح على لسان الدكتور صوفى أبو طالب .. وجدت صدى سيئاً حتى بين الصحفيين المتجاوبين مع سياسة السادات .. وصدر نفى لهذا التصريح فى اليوم التالى .. ولكن حدث عندما اجتمع الرئيس السادات مع مجلس الوزراء بعد أن أسند رياسة الوزارة إلى الدكتور مصطفى خليل أن التفت الرئيس إلى وزير الاستثمار ــ جمال الناظر ــ وواجهه بعبارات عنيفة تعنى أنه فشل فى الاستثمار .. وكانت الجلسة مذاعة على الهواء ، وقد قصد الرئيس السادات من ذلك أن يحمل الوزراء المسئولية أمام الشعب .

ثم اتجه الرئيس بالحديث إلى منصور حسن وقال له : بالنسبة للصحافة .. نادى يعنى نادى ..

وكان الرئيس بعد ذلك يعقد اجتماعات مستمرة فى المعمورة مع النقابات المختلفة .. وجاء دور الاجتماع برجال الصحافة .. وكان اجتماعا عاصفاً .. وكانت

كلمات المتحدثين تدعو كلها إلى الإبقاء على نقابة الصحفيين والتمسك بها .. وتكهرب الجو .. وتدخل حافظ محمود .. وأنقذ الموقف بكلمات ذكرٌ فيها السادات برأيه فى الدور الوطنى الذى أدته الصحافة .. وبعمله فى الصحافة .. واستراحت نفسية السادات .. ثم قبل اقتراحا من حافظ محمود بأن تتألف لجنة من الصحفين لكى تضع قانون الصحافة .

وكان قد جرى التعديل الدستورى .. الذى أنشأ مجلس الشورى .. وجعله مالكاً للصحافة .. وكانت الترشيحات لرياسة مجلس الشورى تدور حول الدكتور مصطفى كمال حلمى ، أو البرت برسوم سلامة . ثم كان اختيار الرئيس المفاجىء للدكتور صبحى عبد الحكيم رئيساً لمجلس الشورى .. وقد راعى فى هذا الاختيار ، أنه أثبت أنه إدارى حازم وملتزم وهو يتولى منصب رئيس جامعة القاهرة .. وكانت كلمات السادات معه بعد اختياره أن أمامه مهمة صعبة وهى الصحافة .. وحمايتها من السيطرة اليمينية أو السيطرة الشيوعية .. وطلب منه الحزم فى هذه المهمة .

وجرى وضع مشروع قانون الصحافة .. واللائحة بواسطة لجنة الصحفيين التى شكلت ومثل فيها المعارضون من كل الاتجاهات ..

وبدأت الأجواء تهدأ وفجأة أصدر الرئيس تصريحاً خلال خطاب له فى الإسماعيلية .. رداً على سؤال عن الصحافة أكد فيه ارتباطه بفكرة إلغاء النقابة .. وإنشاء ناد للصحافة ..

ولكن الرئيس استراح بعد ذلك إلى مشروع قانون الصحافة .. وبقيت النقابة فى القانون بكل اختصاصها .. وعدل الرئيس عن فكرة إلغاء القيد بجدول النقابة ثم إعادته من جديد .. وبالنسبة لمحاسبة الصحفيين ــ وكان السادات مهتماً بذلك جعل القانون أن المحاسبة تبدأ من المجلس الأعلى للصحافة ، وبلجنة تحقيق يمثل فيها نقيب الصحفين .. ثم يحال الأمر إلى نقابة الصحفيين التى تقوم بتطبيق قانون النقابة ..

والحق أن كل غضبات الرئيس السادات على الصحافة .. انتهت إلى عدوله تماماً عن كل اقتراحاته ..

وأرسل الصحفيون برقيات شكر إلى الرئيس بعد أن أبقى قانون الصحافة على النقابة ..

وخلال هذه الأزمة التى استمرت طويلاً كان منصور حسن هو محور الاتصالات مع كل الأطراف .. وقد نجح فعلاً فى مهمته .

ثم كان لمنصور حسن دور فى أزمة نقابة المحامين ..

عقد اجتماع حضره عدد من قيادات الحزب : فكرى مكرم عبيد .. فؤاد محيى

الدين .. على منصور .. النبوى .. وعرض فى هذا الاجتماع موضوع حضور عدد كبير من المحامين المنتمين للحزب الوطنى فى اجتماع الجمعية العامة للمحامين .. لكى يعلنوا إسقاط مجلس النقابة لعدم الثقة به .. وتصدى على منصور لهذا الاقتراح وقال إنه غير قانونى وأن محاسبة مجلس نقابة المحامين يتم بحكم القانون فى جمعية عمومية غير عادية والقرار تحكمه أغلبية معينة .

وأيد منصور حسن رأى على منصور ..

ولكن حدث أن فكرى مكرم عبيد وعبد الله على حسن .. نفذا الفكرة الأولى .. ولم تنجح . وتلقى الرئيس معلومات من فكرى مكرم عبيد بأن الفكرة نجحت .. وخطب السادات فى اجتماع عام فى دمنهور فى اليوم التالى وساند ما جرى ! .

وأذكر أننى اتصلت بالرئيس السادات تليفونياً وأبديت له وجهة نظرى فى أن ما حدث كان تهريجاً .. وليس قانونيا ولا يمكن اعتباره ، إلا أن عددا من المحامين أبدى وجهة نظره فى مجلس النقابة .

وقال لى السادات .. لا أحد يريد حل مجلس النقابة .. ومادام الأمر كذلك فانك تستطيع أن تبرز هذا المعنى إذا شئت أن تكتب مقالاً عن الموضوع .. وقال لى الرئيس : سيكون مقالك إعلانا بانتهاء الأزمة ، وكتبت المقال فعلا ولقيت بعده أحمد الخواجه نقيب المحامين مصادفة فى المعمورة ــ لأنه جارى ــ وفاجأنى بقوله إن مجلس النقابة سيحل .. وأكدت له أنه لن يحل . وأبلغته بحديثى مع الرئيس السادات .

ولكن يبدو أن اتصالات أخرى جرت مع الرئيس السادات .. وعاد إلى اقتناعه الأول .. واستعد لإصدار قرار بحل مجلس النقابة .

وهنا أراد منصور حسن أن يتدخل بصفته الحزبية .. فطلب لقاء أحمد الخواجة نقيب المحامين فى منزله .. ووصلا بعد المناقشة إلى قرار .. وهو أن يقدم مجلس النقابة استقالته .. وتؤلف لجنة للإشراف على النقابة تجرى الانتخابات .. ومن الطبيعى أن المجلس الحالى سوف يكسب الانتخابات .. وهذا هو مخرج الأزمة ..

ووافق أحمد الخواجة .. وتعهد بأن يحصل على استقالات من جميع أعضاء المجلس حتى نبيل الهلالى وكان مقبوضاً عليه حينئذ على ذمة إحدى القضايا .

وتوجه منصور إلى الاسكندرية وطلب لقاء الرئيس .. ووجد الرئيس يملى مقاله على إبراهيم سعدة وعبد الله عبد البارى لصحيفه مايو .

وعرض منصور على الرئيس موضوع اتفاقه مع أحمد الخواجه .

وفجأة غضب الرئيس . وضرب المائدة بيده .. عندما قال منصور ، موضوع النقابة كان غلط .

الرئيس : لا غلط ولا حاجة .. دول ١٥٠٠ محامى وبيعلنوا رأيهم وهذا حقهم .

منصور : كان العدد قليلا .

الرئيس : الف ٨٠٠ - ٧٠٠ زى ما يطلعوا .

منصور : عددهم ٢٠٠ من نوعيات عادية جداً .

ثم قال منصور حسن إن أحمد الخواجة مستعد لأن يقدم المجلس استقالته .. وهنا تضاعف غضب الرئيس وهو يقول لمنصور بصوت مرتفع :

-- أحمد الخواجه قال كده ..

منصور : ايوه ..

السادات : أحمد الخواجه لن ينفذ .. وانت ما تعرفش أحمد زى ما أنا أعرفه .. وعلشان تعرف .. روح دلوقتى .. ووريني شطارتك .. وقوم بقه .

ثم تابع السادات إملاء مقاله .. وحاول أن يلطف الجو مع منصور الذى انصرف وطلب لقاء أحمد الخواجة فى فندق فلسطين .. وتم اللقاء .. وأذا بأحمد الخواجة يعدل تماماً عن كل ما قاله .. وفاجأ منصور بأنه لا يستطيع أن يضمن استقالات كل الأعضاء لأن الاستقالة يجب أن تكون جماعية .

وأدرك منصور حسن .. أن السادات كان على حق .

وأسرع إلى استراحة المعمورة دون موعد .. واستقبله الرئيس فى الشرفة وهو بالبيجاما جالساً على « شلتة » .. ورحب به الرئيس ترحيباً خاصاً .. ولما علم الرئيس بما جرى .. قال له : انا مش قلت لك يا منصور .. انت متعرقش الناس دى .. لكن منصور قال للرئيس إن موضوع النقابة لا يهمه .. ولكنه متألم لأن الرئيس عبر عن غضبه معه كما جرى « وأنا صادق معك ياسيادة الرئيس .. وقد عودتنى دائماً أن أعبر عن رأيى بصراحة كاملة وشجعتنى على ذلك فى كل مراحل عملى » .

وطيب الرئيس خاطره وقال له : لا .. لا .. أنت أخذت الموضوع بطريقة ثانية .. وانتهت الأزمة .

وفى اليوم التالى زار نعيم أبو طالب محافظ الاسكندرية منصور حسن فى فندق فلسطين وروى له أنه كان فى لقاء الرئيس ولما تحدث إليه عن عدم رضاء المحامين عن حل مجلس النقابة .. غضب الرئيس بعنف .. وقال لنعيم ابو طالب : هوه منصور امبارح .. وانت النهاردة ؟ ..

وروى السادات لمنصور حسن بعد ذلك بيومين ما جرى مع نعيم أبو طالب .. وهو يقول له : انت مش ساكن فى فلسطين .. أنا كنت متصور انك سمعتنى .. كان عندى نعيم ابو طالب .. وفتح موضوع النقابة .. وانا « ما خلتلوش » .. وهو مـاذا فعل فى الاسكندرية ؟ .. ترك الجوامع تتحول إلى أحزاب سياسية .. وتنهش فى سير النـاس بالشتائم .

ثم قـال السادات : لقـد استقرّيت عـلى رأى .. لا أحد يتـولى منصباً وزاريـا أو تنفيذياً .. إلا بعد أن يمارس العمل الشعبى ويأخذ التجربة .. حتى يفهم كيف يعامل الناس وكيف يتفاهم معهم .

والتقى منصور حسن بالسـادات .. خلال مـراسم تقديم سفـراء جدد لأوراق اعتمادهم .. وسأل الرئيس : فيه يا افندم كلام عن تعديل وزارى ! !

وأجابه الرئيس : نعم .. تعديل محدود .. وانت ستخرج .. وانا عاوزك تروح مجلس الشعب .. وتعمل لجان تقصى حقائق .. لكى تعيش مشاكل الجماهير وتأخـذ تجربـة العمل الشعبى ..

وقبل ذلك كانت قد صدرت قرارات سبتمبر لانقاذ البلاد من الفتنة الطائفية .. ولم يدع منصور حسن كوزير إلى أى اجتماع رسمى من المستوى الوزارى أو الحزبى نوقشت فيه هذه القرارات .

حضر فقط اجتماعا دعا إليه الرئيس السادات رؤساء تحرير الصحف .. لكى يعرض عليهم النقاط الأساسية فى خطابه الذى سيلقيه فى اليوم التالى أمـام مجلس الشعب .. عن قرارات سبتمبر .. ولم يشترك فى المناقشة .. واتصل بى تليفـونيا بعـد عودتنا إلى منازلنا .. وأثنى على الملاحظات التى أبديتها وكانت خاصة بضرورة الحرص على بقاء المعارضة .

واعتذر عن عدم قبول منصب وكيل مجلس الشعب .. واستقبله الـرئيس الذى استمع إلى وجهة نظره .. وأكد له من جديد أنه يعتبره مثل ابنه .. وكان السادات قد أدلى بحديث إلى صحيفة مايو بهذا المعنى .

وكان تعليق الرئيس بعد انصراف منصور حسن .. عبيط منصور .. لم يستطع أن يهضم وجهة نظرى .. لقد كنت أعده لكى يكون رئيسا للوزارة .. فى مستقبل قريب .

وانتهت قصة منصور حسن .

« النبوى إسماعيل »

استقال النبوى إسماعيل من وزارة الداخلية مرتين . المرة الأولى عندما عرض مشروع تعديل قانون الحكم المحلى وبه نص على أن جهات الأمن تتبع المحافظ مباشرة .. ولا تتبع وزير الداخلية وكان هذا يعنى بالنسبة له انفلات الأمن وازدواجية الاختصاص .. وأبلغ ذلك شفاهة إلى الدكتور فؤاد محيى الدين وزير الحكم المحلى الذى كان مصراً على النص .. واستقال فى المرة الثانية بعد حوادث الزاوية الحمراء ، عندما قرأ مقالا فى « أخبار اليوم » فهم منه أن الرئيس السادات ينسب إليه التقصير . ولا تعنى الاستقالة أنه قدمها مكتوبة ، ولكنه تحدث إلى الرئيس السادات تليفونيا فى أنه رهن إشارته فى أى عمل آخر إذا كان قد فقد الثقه به .

وقد استبقاه السادات فى المرتين . لم يوافق على تعديل قانون الحكم المحلى كما قدمه فؤاد محيى الدين وزير الحكم المحلى حينئذ .. وأكد للنبوى أن مقال أخبار اليوم لا يعنى شيئاً .

وقد عمل النبوى إسماعيل فى مايو ١٩٧١ مديراً لمكتب ممدوح سالم وزير الداخلية ، بناء على اختيار وثقة ممدوح سالم التى كانت لا حدود لها فى كفاءته ونزاهته . ثم أصبح مديراً لمكتب ممدوح سالم رئيس الوزراء . ثم عين وزيراً للداخلية فى وزارة ممدوح سالم وبدأت الحساسيات بين الاثنين . وكان من رأى ممدوح سالم أن النبوى إسماعيل يصلح منفذا ممتازا ، ولكنه لا يصلح كرجل أول فى منصب الوزير .

وعندما طلب الرئيس السادات حل حزب مصر وأبلغ ممدوح سالم بأنه يريد تأليف حزب جديد برياسته ، كان من رأى عدد من أعضاء الحزب وفى مقدمتهم المهندس عبد العظيم ابو العطا الابقاء على حزب مصر ولو بعدد محدود من النواب مع تأليف الحزب الجديد وعقدت اجتماعات لهذا الغرض ..

وانتشرت بين عدد من أعضاء مجلس الشعب (اعضاء حزب مصر) فكرّة أنهم ليسوا مقاعد تنتقل من حزب إلى حزب بغير مشورتهم . وأنه من الأفضل أن ينتظروا لكى يعرفوا مبادىء الحزب الجديد ، وبعد ذلك يعلنون اختيارهم . وكان موقف فؤاد محيى الدين حرجا فى هذه الأزمة . وقد أتهم أنه مع فريق حزب مصر وهو أيضاً مع الحزب الجديد فى الوقت نفسه . وقد تلقى النبوى إسماعيل (وزير الداخلية) مكالمة تليفونية من عضو بمجلس الشعب بأن فؤاد محيى الدين يعقد اجتماعا فى مكتبه بمجلس الشعب مع مجموعة من النواب ، فذهب إلى هذا الاجتماع مقتحماً ودعا جميع الحاضرين

إلى الانضمام للحزب الجديد .. وقال لهم إن التحدث عن مبادىء الحزب الجديد ليست بذات موضوع .. لأن رئيس الحزب الجديد هو أنور السادات ومبادئه معروفة .. كما أنه لم يكن سراً أن الرئيس الحقيقى لحزب مصر المطلوب حله هو أنور السادات فلماذا هذا التردد . ويعتقد النبوى إسماعيل أن ممدوح سالم اتصل أثناء الاجتماع بفؤاد محيى الدين تليفونياً وكان النبوى حاضرا .. وأبدى ممدوح سالم استياءه من هذا التدخل من النبوى . ولم يكن النبوى يتردد على مكتب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت فقد تحول الأمر بينهما إلى قطيعة . لقد أعطى الرئيس السادات للنبوى وزير الداخلية حق الاتصال المباشر به . وتسبب ذلك فى فقدان الثقة بين ممدوح سالم والنبوى ، وتصور ممدوح سالم أن النبوى ينقل إلى الرئيس ما يباعد بينه وبين ممدوح سالم أو يهز ثقته به ، أو تصور أن النبوى أصبح عينا عليه . وقد نفى النبوى ذلك نفياً قاطعا . كما أن ممدوح سالم لم يصرح بذلك ولكننى علمت هذه الحقيقة من أحد المتصلين بممدوح سالم ، وهو موضع ثقة فيما يقول .

وفى خلال أزمة حزب مصر طلب النبوى مقابلة رئيس الوزراء ثم قدم إليه تقريراً من المباحث يفيد أن عدداً من أعضاء حزب مصر سوف يجتمعون فى مقر الحزب ثم يقومون بمسيرة إلى مجلس الوزراء يطالبون فيها برفض استقالة ممدوح سالم من رياسة الحزب . وغضب ممدوح سالم من تقديم هذا التقرير إليه ، وقال إنه مصرى أولاً وأخيراً ومسئول عن الأمن قبل مسئولية النبوى . ونشب نقاش حاد بين الاثنين .. وقال النبوى فى هذا النقاش الحاد أنه صاحب أخلاق وأنه ليس بالشخص الذى يبلغ أنور السادات بمعلومات ضد ممدوح سالم من وراء ظهره . هكذا روى لى النبوى إسماعيل .

وقد عقد هذا الاجتماع فعلا .. ونما إلى علم السادات ، من أحد الصحفيين أن كلمات عنيفة ألقيت فى هذا الاجتماع تجاوز فيها المتكلمون حدود اللياقة الواجبة .. وغضب السادات .. وكاشف ممدوح سالم بذلك .. وكانت العلاقات بين السادات وممدوح سالم قد وصلت فى ذلك الحين ، إلى قمة التوتر . وكان ممدوح سالم مقتنعا بأن هناك من يدس بينه وبين السادات .. وكان السادات .. مقتنعا بأن ممدوح سالم قد أرهقت أعصابه ولم يعد يصلح لمنصب رئيس الوزراء .

وقال السادات فى جلسة خاصة مع أحد كبار المسئولين (رئيس وزراء سابق) أن عيب ممدوح أنه يتصرف على أنه الرجل الثانى .. وهذا خطأ .

ويقول النبوى إسماعيل بعد وفاة السادات إنه لا يتبرأ من أى قرار أصدره الرئيس السادات خاصا بالأمن . وبالذات قرارات سبتمبر . ويرى النبوى اسماعيل

أن البلاد كانت معرضة لحرب أهلية تجرى فيها الدماء والأشلاء مثل إيران ولبنان معا .. لولا قرارات سبتمبر التى تأخر فى رأيه صدورها .

كان من رأى النبوى اسماعيل ـ كما صرح لى بعد وفاة السادات ــ التعجل بمواجهة الجماعات الإسلامية .. التى ثبتت قواعدها فى الشارع المصرى .. لأن هذا هو الخطر الحقيقى . لقد بدأت هذه الجماعات بدعوة دينية خالصة .. ثم تحولت إلى العمل السياسى .. ومظهره الأول والأخير هو الشارع .. وانجذبت إليها أحزاب المعارضة التى أرادت استغلال القوة التنظيمية للجماعات الإسلامية . وهذا ما يهدد بحرب دموية كان مخططا لها بعناية شديدة .. ومحورها استثمار فتنة طائفية .. ومن ذلك التخطيط ضرب الكنائس والجوامع معا .. مثل ما حدث فى الاسكندرية وفى كنيسة مسرّه .

ثم يقول النبوى اسماعيل : « وضاعف من تفاقم الوضع أن البابا شنودة لم يدرك أن الجماعات الاسلامية تريد قلب نظام الحكم وأن عليه أن يوقف أى نشاط له .. لأن كل عمل هذه الجماعات موجه إلى الحكومة والنظام وليس إلى البابا شنودة . ولكن البابا شنودة لم يقتنع ، وكان يسعى ــ طبقا لتقارير الأمن ــ إلى تكوين تكتلات مسيحية .. وكان طلعت يونان ــ صحفى مسيحى ضد البابا .. وكانت هذه التقارير تعرض علىّ وأؤشر عليها بأنها كاذبة .. لم أكن أرضى أن أقدم للرئيس السادات أخبارا غير صحيحة أو مبالغا فيها ــ كما ردد البعض ــ لأن مسئولية الأمن .. أمانة أولا وقبل كل شىء . ولكن كل الظروف كانت تستدعى الاسراع فى مواجهة الجماعات الاسلامية . وكان من رأى السادات التريث .. كان يأمل أولا فى أن الحوار مع الجماعات الاسلامية يمكن أن يجدى . واستخدم فى ذلك عمر التلمسانى ، ولكنه لم يكن مؤثرا فى الجماعات الاسلامية ، لأنه كان ضد العنف ، وكان كل هدفه هو عودة « الإخوان المسلمون » إلى نشاطهم .. وعندما قرر السادات اعتقاله فى سبتمبر ، اعترضت على ذلك .. وكانت وجهة نظر السادات ، أنه يريد إحداث توازن ، لأنه قرر اعتقال عدد من القساوسة .. وكان الرئيس السادات يردد : « معلهش .. ماهو كله هيفرج عنه بعد الانسحاب » .

السبب الثانى الذى أخر قرار المواجهة ـ كما يقول النبوى اسماعيل ـ هو أن الرئيس السادات كان حريصا على عدم الدخول فى معارك داخلية ، حماية للقضايا الخارجية وأهمها قضية الانسحاب الكامل فى ٢٥ أبريل . كان يخشى أن تؤثر المواجهة على عملية الانسحاب .. وخاصة أن اسرائيل فعلت المستحيل لإحراج السادات أمام الأمة العربية ، وكانت مستعدة دائما لاختراع العقبات أمام الانسحاب . كما أن

السادات كان حريصا على مظهر الاستقرار الداخلى أمام العالم الخارجى لتأييد قضية الانسحاب ولتدفق الاستثمارات الأجنبية على أن مصر هى البلد الوحيد الذى ينعم بالاستقرار فى الشرق الأوسط .. وكانت هذه الفكرة مسيطرة عليه .

ولكن .. بعد حوادث الزاوية الحمراء .. اقتنع السادات بحتمية المواجهة . وقد أعلن ذلك فى خطابه بجامعة الاسكندرية فى ٢٦ يوليو قبل سفره إلى امريكا . وقد سبب هذا الاعلان ارباكا لعمل أجهزة الأمن ، لأنه نبه الجماعات المتطرفة ، واستطاع فريق منهم الاستعداد العسكرى السريع .. واستطاع فريق آخر الهرب والاختفاء للمواجهة الدموية كما حدث فى أسيوط والمنيا .. وقد وجه الاتهام بعد ذلك إلى محافظ أسيوط ، بأنه سرّب أنباء الاعتقالات إلى قيادات الجماعات ، عندما تلقاها مقدما من وزارة الداخلية . وكانت هناك خلافات مستمرة بين وزارة الداخلية ومحافظ أسيوط ، فى أسلوب مواجهة الجماعات . كان المحافظ فى معظم الحالات ضد المواجهة الحاسمة .

ويقول النبوى اسماعيل أن التقارير الأمنية التى قدمها إلى الرئيس السادات ، كانت أمينة ونزيهة ولا تهدف الا لصالح حماية مصر من مذابح مثلما جرى فى ايران ولبنان . وكان يقدر أن نجاح ثورة ايران أعطى مدا قويا للجماعات .. وفى كل ما تبين بعد ذلك فى التحقيقات كانت تنظيمات الجماعات المتطرفة تتبع خطى ثورة إيران . وقد عرضت التقارير والاجراءات فى اجتماع كبير عقده السادات بالاسكندرية .. وبدأت الاعتقالات عند منتصف الليل فى ٣ سبتمبر . وكانت خطة النبوى غير ذلك تماما . لقد قدم للسادات صورة كاملة للموقف فى يونيو . وكان المتفق عليه أن تجرى الاعتقالات فى يوليو .. وقد تم اختيار أسلوب التحفظ والتقديم إلى المدعى الاشتراكى ، لأن السادات كان قد ألغى الاحكام العرفية .. ولم يكن يريد إعادتها ، حفظا على مظهر الاستقرار .

والسؤال الذى ثار بعد ذلك .. لماذا لم تستطع جهات الأمن الوصول إلى أسلحة الجماعات المتطرفة .. وإلى مصادر التمويل . ورد النبوى اسماعيل على ذلك ، أن الأسلحة فى أيدى الجماعات كانت قليلة . وكانوا يعتمدون فى خطتهم على مهاجمة أقسام الشرطة والاستيلاء على أسلحتها . كما أن من بين خططهم التى اثبتها التحقيق بعد ذلك ، الهجوم على قيادة القوات المسلحة بعد تخدير الحراس بمخدر صنعه صيدلى من الجماعات ، تم القبض عليه بعد ذلك . أما عن التمويل ، فقد كانوا يعتمدون على موارد محدودة من الأعضاء العاملين فى الدول العربية .

وقد عرض النبوى اسماعيل على الرئيس السادات ، ألا يتصدى بشخصه فى مجلس الشعب ، للدفاع عن قرارات سبتمبر وشرحها ، وأن يترك ذلك له .. ولكن

الرئيس السادات رفض ذلك بشدة . وقال إنه موضوع مصر كلها .. وصالح مصر .. وإنقاذ مصر من الدماء ومسئوليته الأولى أن يتصدى .

وينكر النبوى اسماعيل أنه كان فى تخطيط السادات أو الأمن تشجيع الجماعات الاسلامية لضرب الشيوعيين بها . وهو يحلل الموقف بأنه بعد أن خلص السادات مصر من النفوذ العسكرى السوفييتى وبعد أن أتجه إلى السلام .. وإعادة العلاقات مع الغرب .. استراح الاخوان المسلمون لهذا الاتجاه .. كما تقبلت البلاد هذا الاتجاه .. وكان نمو الروح الدينية طبيعيا .. وخاصة أن السادات رجل مؤمن بجوهره .. وكان يريد لقيم الاديان أن تنتعش وتقضى على الأحقاد التى نمت جذورها فى النفوس . ولكن أمر هذه الجماعات تطور إلى العمل السياسى .. وإلى الثورة الدموية بعد نجاح ثورة الخمينى فى إيران .

لقد عرضت أقوال النبوى اسماعيل لانه كان المسئول الأول عن الأمن حتى صدرت قرارات سبتمبر وبعدها ، إلى أن أبعد من وزارة الداخلية بعد تولى الرئيس حسنى مبارك بوقت قصير . ولكن هناك آراء أخرى استقيتها من عدد من المسئولين عن الأمن ، تخالف ما يقوله النبوى اسماعيل . ان هذه الآراء ، تتهم النبوى اسماعيل بأجهزته ، بأنه طمأن الرئيس السادات لفترة طويلة على أن هذه الجماعات الدينية لم تتجاوز حدود الدعوة الدينية وتجميع المؤيدين .. رغم انتشارها السريع حتى فى القرى . ولم يكن لدى أجهزة الأمن التى تتبع النبوى اسماعيل أدنى فكرة على أنهم انتقلوا من مرحلة التجمع إلى مرحلة استخدام العنف بالسلاح ، لقلب نظام الحكم ، وفرض الحكم الاسلامى الا فى أواخر سبتمبر ١٩٨١ وقد سجل هذه الحقيقة ، حكم القضاء فى قضية الجهاد .

وقال لى مسئول كبير عن الأمن : « بكل أسف .. أن الذين ، تم القبض عليهم فيما سمىَ بقرارات سبتمبر لم يكن من بينهم القيادات المشتركة فى تدبير عملية الاغتيال .. والاستيلاء على الحكم . وقد ثبت أنهم تسللوا إلى القوات المسلحة وحصلوا على أسلحة عديدة وبعد مقاومتهم فى أحداث أسيوط فى ٨ أكتوبر ـ وقد قاد هذه المقاومة اللواء حسن ابو باشا ــ وضبطت كميات من الأسلحة تكفى فعلا لإحداث انقلاب مسلح .

وقال لى هذا المسئول الكبير : ان الخطأ الأكبر الذى وقع فيه الرئيس السادات ولم يعترض عليه النبوى هو السماح لنشاط الجماعات الاسلامية بالانتشار ومهادنتها وذلك بفكرة مقاومة الشيوعيين . ولكن لم تكتشف أجهزة الأمن أنهم يدبرون بالفعل لانقلاب مسلح ، ولذلك لم يتعجل الرئيس السادات المواجهة الحاسمة معهم .. وذلك

على الرغم من وقوع أحداث فردية عديدة .. استخدمت فيها قنابل وأسلحة .. وكان من الممكن أن يشتمّ من ذلك أن هناك تنظيما مسلحا .. ولكن هذه الحوادث عولجت على أنها حوادث فردية .. فالرئيس السادات اذن كان ضحية التقارير الخاطئة التى لم تنبه إطلاقا للتخطيط السرى المسلح .. وكان ضحية التقارير الخاطئة أيضا عندما قرر المواجهة ، لأن العدد الكبير الذى اعتقل من الجماعات الاسلامية لم يكن من بينهم واحد من قيادات التخطيط السرى المسلح .. ولذلك وقع الاغتيال .. كما اكتشف بعد ذلك أنه كان هناك تفكير لضرب جنازة السادات .. بواسطة طيار عضو فى التخطيط .

وأضاف هذا المسئول الأمنى الكبير : ولا يعنى ذلك ، أنه لم تكن هناك احتياطات أمنية لحماية الرئيس السادات من الاغتيال فقد كانت فكرة احتمال الاغتيال مطروحة . ولكن جهات الأمن لم تكن تدرى شيئا عن التخطيط المسلح الشامل ، لإحداث اغتيالات على أوسع نطاق ، وقلب نظام الحكم .. إلا قبل اغتيال السادات باسبوع واحد فقط .

ومما يذكر أن السادات قال للنبوى اسماعيل بعد اجتماع الاسكندرية الذى صدرت فيه قرارات التحفظ : خذ بالك من نفسك يانبوى .. راسك مطلوبة .. أنا مش حينولونى .. انت لازم تعمل حسابك وتحمى نفسك .. خد بالك كويس .

وإذا أردنا أن نقيم دور النبوى اسماعيل كوزير للداخلية فإننا نقول أنه تحمل مسئولية الأمن فى فترة عصيبة ، وكان مهددا فى حياته من جهات عديدة وأنه أعطى عمله وقته وجهده ليل نهار .. ولكنه انجرف إلى تكوين نوع من الكيان السياسى لشخصه .. فكانت بياناته فى مجلس الشعب وفى التلفزيون .. أشبه بالخطب السياسية أكثر منها تقارير أمنية .. كما كان يستخدم أسلوبا استفزازيا مع خصوم وأعداء حكم السادات .. كانت حجته فى ذلك أنه يتصدى .. ولا يترك رئيس الدولة للتصدى .. أما عن الاتهام بتزوير الانتخابات فهذا اتهام يوجه للثورة منذ أول استفتاء أجراه جمال عبد الناصر .. واستمرت حكاية الـ ٩٩,٩٪ سارية المفعول .. ولكن النبوى أخرجها بأسلوب تمثيلى عندما كان يتوجه إلى الرئيس السادات لإبلاغه بنتائج الاستفتاءات بأن يلقى أمامه خطابا .. يسجله التلفزيون .. ثم يقدم النتيجة مكتوبة إلى الرئيس السادات .. وليس من ينكر أن السادات رحمه الله كان يحب هذا « الاخراج » فى بعض المناسبات العامة .

ولكن دور النبوى اسماعيل تجاوز حدوده بأسلوب التحدى .. ثم فى القضية المشهورة بقضية سفارة بلغاريا .. لأن التحقيقات القضائية التى أجرتها نيابة أمن الدولة

لم تصل إلى أدنى دليل .. وكان الهدف فقط إبعاد بعض الشيوعيين مثل أحمد طه عن ترشيح نفسه فى مجلس الشعب .. كما تجاوز بيان وزير الداخلية فى هذه القضية الحدود ، بأن جعل البيان إدانة ، وحاول تشويه سمعة إحدى الصحفيات وقد قبض عليها فى الاتهام بأنها كانت على علاقة غير مشروعة مع نائب معارض .

وظهر الدور السياسى للنبوى اسماعيل بطريقة أظهرت أن الرئيس السادات كان يوليه ثقته ويعتمد عليه اعتمادا كاملا .. فى أزمة حزب مصر .. وكان النبوى اسماعيل هو الذى يعطى التوجيهات للوزراء بحضور بعض الاجتماعات الحزبية أو عدم حضورها خلال هذه الأزمة .

وقد سعى النبوى إلى عودة الدكتور فؤاد محيى الدين إلى المنصب الوزارى فى وزارة الدكتور مصطفى خليل ولم يكن الرئيس السادات يثق فى فؤاد محيى الدين وكان يسميه « الزعيم » ولكنه استجاب إلى وجهة نظر النبوى اسماعيل الذى كان يتعاون تعاونا كاملا مع المهندس عثمان احمد عثمان فى الاتصالات بقيادات الاخوان ، المسلمون .. وفى غير ذلك من الشئون السياسية .

ولما تطورت الأمور .. وأصبح الدكتور فؤاد محيى الدين نائبا أول لرئيس الوزراء .. بعد تولى الرئيس حسنى مبارك .. كانت معاملته للنبوى اسماعيل بالغة القسوة .

خلاصة القول .. أن النبوى اسماعيل .. تحمل وحده كل الأوزار وفى ذلك ظلم كبير .

نعم .. تقع عليه مسئولية فى أخطاء أمنية أساسية أو أخطاء سياسية .. ولكنه لم يكن وحده المسئول ، وهذه حقيقة يجب أن تذكر ، بعد أن أنهالت عليه كل الطعنات .

« حسن كامل »

حسن كامل من الشخصيات التى عملت قريبا من السادات .. عدة سنوات .. وهو قد فوجىء قبل بلوغه سن الستين بستة أشهر ، بقرار من الرئيس السادات بإلغاء وظيفته كرئيس لديوان رياسة الجمهورية . وعرض عليه أن يعمل سفيرا فى الخارج ولكنه اعتذر . وراجت أقوال كثيرة عن سبب إلغاء وظيفته .. ومنها أن وظيفة رئيس ديوان تذكر الناس بأن الرياسة كأنها ديوان جلالة الملك .. وقيل إن السبب هو أن طريقا زراعيا أنشىء بجوار أرض ورثها عن والده .. وترتب على ذلك ارتفاع سعر الأرض .. ويقول حسن كامل أنه سمع بالإشاعة الأخيرة ، وهو لم يتقدم بأى طلب

لانشاء هذا الطريق الذى وافق عليه المجلس المحلى ونفذته المحافظة وليس له دخل به . وقد أبدى دهشته لقرار إخراجه المفاجيء .. لأنه كان مرشحا قبل إخراجه لمنصب وزير الخارجية .. وقد أبلغه عثمان أحمد عثمان بذلك وبأنه سمع من الرئيس أنه سيصدر هذا القرار .

ولكن إخراج حسن كامل من منصبه فى رياسة الجمهورية لم يترك فى نفسه أية مراراة ، تجاه أنور السادات .. وان كان توقع حينئذ أن يستدعيه السادات ، وأن يصارحه بأى سبب دعا إلى خروجه .وهو يرى أن السادات حقق لمصر أمجادا تاريخية ، لم تكن لتحقق إلا بارادة السادات وقراراته الجريئة . وهو لم يلتق بالسادات فى أية مناسبة إلا وسمع منه أحلامه عن مصر .

وهو زميل السادات فى الكلية الحربية. وكان يشغل وظيفة مساعد كاتم أسرار حربية لشئون الضباط . وذلك أتاح له فرصة الاختلاط بعدد كبير من الضباط الذين كانوا يلجأون اليه فى شئونهم الادارية . وعندما قامت الثورة كان حسن كامل نائب كاتم أسرار . وكان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر من بين الذين كانوا يترددون على كاتم أسرار)اللواء أحمد رياض . وقرر عبد الناصر بعد الثورة أن يعهد إلى حسن كامل بمسئولية كاتم أسرار . ثم اختاره اللواء محمد نجيب مديرا لمكتبه فى فترة بالغة الحرج فى أوائل ١٩٥٤ عندما ثارت حركة سلاح السوارى وكان الصراع عنيفا بين نجيب وقيادات الثورة .. وبقى مديرا لمكتبه ألى أن قبض على محمد نجيب وحددت إقامته . واستمر يعمل فى القصر الجمهورى نائبا لكبير الياوران مع جمال عبد الناصر حتى عام ١٩٥٨ حيث نقل الى وزارة الخارجية ثم عمل سفيرا فى أمريكا الجنوبية ثم سفيرا فى اليونان .

وفى أوائل عام ١٩٧٣ رشحه عبد السلام الزيات وكيلا للخارجية .. ثم كانت مفاجأة له أن اختاره الرئيس السادات كبيرا للأمناء بعد إخراج صلاح الشاهد . وقد لازم الرئيس السادات خلال حرب أكتوبر واستمر معه بعدها حتى ألغيت وظيفته . وخلال ذلك عين رئيسا للديوان . وكان حسن كامل يحضر المباحثات الرسمية التى يجريها الرئيس فى رحلاته الخارجية . وكان عضوا فى وفد المباحثات فى كامب دافيد .

ويقول حسن كامل إن المذكرات التى نشرها ابراهيم كامل وزير الخارجية أثناء كامب ديفيد ــ بعد وفاة السادات تجاوزت تماما كثيرا من الحقائق . وقد كتبها ابراهيم كامل وكأنما كان خصما للسادات فى وزارة الخارجية لا وزير الخارجية الذى اختاره السادات بعد استقالة اسماعيل فهمى . وقد اعترض كثيرون من المحيطين بالرئيس

السادات على هذا الاختيار باعتبار أن المنصب أكبر من خبرة ابراهيم كامل المحدودة وخاصة فى القضية العربية . ولكن السادات أصر على اختياره وكان يقول : أننى أفضل الأخلاق على الكفاءة .

ويقول حسن كامل إن ابراهيم كامل كتب فى مذكراته أنه اعترض على أن يحلف اليمين بعد تعيينه وزيرا فى استراحة الاسماعيلية بسبب وجود بيجين رئيس وزراء اسرائيل وموشى ديان وزير الخارجية فى ذلك الوقت .. ولكن هذا غير صحيح . لقد تم حلف اليمين فى حضورهما وكان ابراهيم كامل فى قمة السعادة ، ولم يبد أى اعتراض .

وحتى الآن لا يعرف أحد . لماذا كتب ابراهيم كامل مذكراته بأسلوب عدائى ابتعد عن الموضوعية والحقائق فى كثير من الوقائع . وكان كمال حسن على وزير الخارجية قد وجه خطابا شديد اللهجة إلى السفير ابراهيم كامل ، وقرر إجراء تحقيق معه فيما نشره فى كتابه باعتباره سفيرا بالخارجية ، ولكن لم ينفذ قرار التحقيق .

وحسن كامل هو الذى سافر الى اسرائيل بتكليف من الرئيس السادات .. لكى يعد ترتيبات زيارة السادات التاريخية لإسرائيل . وقد تمت إجراءات سفر حسن كامل والفريق الأمنى الذى اصطحبه عن طريق السفارة الأمريكية فى القاهرة . وعاد حسن كامل ليروى للرئيس مدى الحفاوة والتكريم والاحترام الذى لقيه الفريق المصرى فى اسرائيل ، ويقول حسن كامل « كأنهم كانوا يستقبلون انور السادات » .. وقد استمع الرئيس السادات الى كل ذلك بارتياح كبير .

ويرى حسن كامل أن السادات قد تغيرت مفاتيح شخصيته فى العام الأخير من حكمه ، وكان بادى العصبية فى عدد من التصرفات ، وكان شديد التمسك برأيه .

أشرف مروان

على الرغم من أن صحف المعارضة .. (صحيفة الشيوعيين وصحيفة حزب العمل ــ صحيفة حزب الأحرار) .. قد هاجمت أنور السادات فى جريمة الاغتيال الثانى له بعد وفاته ، فى اتهام شقيقه عصمت وأولاده بوقائع الفساد إلا أن هذه الصحف وكذلك القوى الأخرى المعارضة للسادات ــ باستثناء صحيفة الوفد الجديد منذ أغسطس ١٩٨٤ ــ لم تفتح فمها بكلمة واحدة عن أشرف مروان .. وقد كان لصيق الصلة رسميا وعائليا بأنور السادات ، منذ ليلة ١٥ مايو .. وأصبح مدير مكتب الرئيس للمعلومات ، ورسوله الخاص إلى الرؤساء العرب .. ثم رئيسا لمجلس إدارة هيئة التصنيع العربية بمرتب ضخم .. واشتغل بأعمال تجارية واسعة النطاق ــ بدأت كما تردد فى تجارة السلاح

ـ حتى أن عثمان أحمد عثمان ذكر لى فى حديث خاص (١٩٨٠) قبل وفاة السادات ، أن رجال المال يقدرون ثروة أشرف مروان بأكثر من ٣٠٠ مليون جنيه ! وقد نشر أخيرا أنه ساهم فى شركة نشر بريطانية بمبلغ ١١ مليون جنيه استرلينى . كما أنه ينازع على شراء مؤسسة هارودز فى قضايا موضوعها مئات من الملايين .

وكان أشرف مروان يستخدم طائرة خاصة منذ سنوات فى تنقلاته وأصبح نشاطه المالى موزعا بين انجلترا وفرنسا وأسبانيا .

ولم يكن أحد يتوقع أن يحتل هذا الشاب أى موقع بجوار أنور السادات .. وقد كان يعمل فى حياة جمال عبد الناصر مساعدا محدود الاختصاص لسامى شرف وقيل إن عبد الناصر كان لا يثق فى قدراته وكان عمله مع سامى شرف هامشيا لمجرد أنه زوج السيدة منى كريمة عبد الناصر ، بل قيل انه كان يرتعش إذا ما وقف أمام عبد الناصر ولا يستطيع أن يتحدث معه دون أن يتلعثم ، وخاصة أن لسانه ثقيل بالخلقة .

ثم كان ما حدث فى ليلة ١٤ مايو .. عندما ذهب الى بيت الرئيس السادات بعد لحظات من إذاعة نشرة الساعة الحادية عشرة من المساء ، ومعه استقالات مراكز القوى .

وعمل فى مكتب الرئيس السادات .

وكان فى أول الأمر يريد أن يمارس كل اختصاصات سامى شرف ولكن الرئيس السادات قال له : لسه بدرى يا أشرف .. لما تتمرن على العمل .

وبدأ يعمل .. واستطاع أن يحوز على ثقة السادات . وتوسعت اختصاصاته ، ووجد بين موظفى مكتب الرئيس من يرفض هذا التوسع ومن يشك فى تصرفاته ، وبرز فى ذلك اثنان من موظفى المكتب .

وحاول أحد الاثنين أن يتعقب أشرف مروان فى كل تصرفاته ، لكى يصل إلى وثيقة أو دليل يثبت ضده عملا غير مشروع . حاول ذلك بحكم منصبه الأمنى فى مكتب الرئيس . وكان يجاهر بعدائه لأشرف مروان وبأنه يستغل موقعه الرسمى بجوار الرئيس ، ويسىء إلى سمعة أنور السادات . ولكن بعد فترة ، طلب إلى هذا الشخص أن يوقف محاولاته .

وقد وصل نفوذ أشرف مروان إلى أصغر التفصيلات ، حتى انه كان يختار المضيفات فى طائرة الرئيس . وعندما استقال أحد الطيارين أسند اليه أشرف وظيفة هامة فى هيئة التصنيع الحربى وأصبح الطيار الخاص لطائرة أشرف مروان الخاصة . وقد حصل على

هذه الطائرة كهدية لهيئة التصنيع من إحدى الدول العربية وكان يستخدمها فى التنقلات المتعلقة بعمله فى هيئة التصنيع ، وفى تنقلاته الخاصة .

وقد اشتدت الحملة ضد أشرف مروان من بعض أصحاب المواقع فى رياسة الجمهورية ، الذين كانوا يرون أن عمله فى مكتب الرئيس يسىء إلى الرئيس . وانتشرت شائعات كاذبة ، تقول أن الرئيس أو أسرته ، كانوا يشاركون أشرف مروان فى مشروعات تجارية . وهذا غير صحيح على الإطلاق .

واستطاع أشرف مروان أن ينتصر على كل من كانوا يطالبون بخروجه . واذا وقع فى خطأ جسيم اكتشف ، فإنه كان يسرع الى الرئيس ويعتذر ويعترف بالخطأ . واذا نسب اليه خطأ غير مؤكد كان يقدم الأدلة للرئيس على براءته .. وكان يهاجم خصومه ، بأنهم يحقدون عليه لنجاحه وهو لا يزال شابا فى سن مبكرة .

وفى عام ١٩٧١ .. تقدمت شكوى ضد أشرف مروان ، بأنه حصل على عمولة فى صفقة سيارات لرياسة الجمهورية . وأحال محمد أحمد وزير شئون رياسة الجمهورية فى ذلك الوقت — بعد ١٥ مايو — هذه الشكوى الى المستشار محمد أبو علم المنتدب بالرياسة طالبا منه تحقيقها . وروى لى أبو علم أن أشرف مروان اتهم موظفا كبيرا بالرياسة بأنه هو الذى حصل على العمولة . وانتهى التحقيق الى تبرئة الموظف الكبير وإلى عدم وجود دليل قاطع يدين أشرف مروان . وقدم المستشار محمد ابو علم تقريره عن التحقيق الذى أجراه ، إلى حافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى حينئذ الذى رفعه بدوره إلى الرئيس السادات ، ولم يتخذ أى اجراء ضد أشرف مروان لعدم ثبوت التهمة ضده . وهذا ما عزز الاقتناع لدى السادات بأن ما يوجه إلى أشرف مروان من اتهامات هو من قبيل التشهير به لقربه من الرئيس .

وقد اقترب اشرف مروان بمرور الوقت من الرئيس السادات وخاصة بعد أن اتخذت أسرة عبد الناصر (أرملته وكريمته هدى وزوجها حاتم صادق) موقفا معاديا من الرئيس السادات ، لغير سبب مفهوم .. وكان محمد حسنين هيكل يساندهم . وكان أشرف مروان يروى للسادات انه يعانى من اضطهاد باقى الأسرة له ، لأنه يعمل معه .. وكان ينقل اليه قصصا عديدة بعضها حقيقى وبعضها مبالغات عن عداء أسرة عبد الناصر له .

ثم جاءت العلاقات مع ليبيا فرصة كبرى أمام أشرف مروان ، لكى يدعم موقفه فى مكتب الرئيس السادات . لقد انشأ علاقات شخصية وثيقة مع عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وفى مقدمتهم عبد السلام جلود الذى كان يحضر إلى القاهرة هربا من

القيود التى فرضها القذافى على شرب الخمور .. وكان يقضى لياليه فى القاهرة سعيدا بكل ما يشتهى .. وكان أشرف مروان هو صديقه الأقرب .. ومن هنا تعمقت الروابط الشخصية بينهما .. وساعد تقارب السن بين قيادات ليبيا وأشرف مروان على سرعة التفاهم .. ولذلك فقد كان السادات يوفده فى مهام كثيرة الى ليبيا .. وكان يؤديها بنجاح .

وخلال ذلك أيضا نشأت روابط صداقة بين أشرف مروان والبليونير كمال أدهم شقيق زوجة الملك فيصل .. وتطورت هذه الروابط الى المشاركة فى أمور تجارية .. ثم إلى روابط سياسية أخرى . وبدأ مروان يعرف معنى الثروة .

لقد تجمع لديه أول مبلغ من المال واشترى باسم زوجته قطعة أرض فى منطقة الأهرام . ثم باع هذه الأرض بثمن مرتفع ، واشترى قطعة أرض أخرى أكبر حجما . واتضح بعد ذلك أن المشترى من زوجته هو كمال أدهم . وطبيعى أن كل ذلك كان يتم بصفة صوريه ، حتى يكون مورد ثمن الأرض مشروعا على الأوراق الرسمية .

وأثار جلال الحماصى موضوع هذه الأرض فى مقال بالأخبار ، مع موضوع الملايين العشرة التى نسب إلى جمال عبد الناصر الاستيلاء عليها .. وأمر أنور السادات بأن يحقق المدعى الاشتراكى هذا الاتهام .. وسئل أشرف مروان فى التحقيق الرسمى عن مصدر الأموال التى أشترى بها أرض الهرم باسم زوجته .. وأجاب أن المشترى الثانى للأرض من زوجته هو كمال أدهم . وأن الأموال التى اشترى بها قطعة الأرض الأولى باسم زوجته ، مصدرها ثمن بيع سيارات تلقتها زوجته هدية من إحدى الدول العربية بوصفها كريمة عبد الناصر .

كان قبل ذلك قد اختار قطعة أرض لشرائها ثم اتضح أنها تابعة للاصلاح الزراعى ولا يجوز بيعها .

وكانت له صفتان فى التعامل مع الرئيس السادات . صفة عائلية كزوج لكريمة جمال عبد الناصر . وصفته الرسمية فى مكتب الرئيس التى تطورت ، وأصبح له اختصاص سياسى وكان يقوم بتكليف من الرئيس بكل الاتصالات العربية ، مما أثار حفيظة اسماعيل فهمى ، وزير الخارجية ، لأختلاط الاختصاص .

وقد كان فى بادىء الأمر على صلة طيبة ووثيقة باسماعيل فهمى وكان أحد القلائل الذين يدعوهم اسماعيل فهمى فى المآدب الرسمية الضيقة التى كان يقيمها وزير الخارجية فى منزله .

وأقام أشرف مروان صلة خاصة مع هنرى كسينجر وزير خارجية امريكا واستطاع

أن يكون على علم كامل بكل أسرار المباحثات المصرية الأمريكية .. وأذكر أننا عندما دعينا إلى العشاء فى البيت الأبيض من الرئيس الأمريكى فورد فى أول زيارة للسادات لأمريكا فى عام ١٩٧٥ أن كانت جلستى إلى مائدة مستديرة تضم هنرى كسينجر وأشرف مروان وسأله كسينجر أمامى : ما هى أخبار صديقك فى عمان ؟.. وكان يقصد الملك حسين . وأجابه أشرف مروان بأنه سيروى له التفصيلات بعد العشاء .

ولكن اسماعيل فهمى بدأ يضجر من طغيان مروان على اختصاصه .. وبدأ يسرب إلى الصحف أخبارا تمس سمعة أشرف مروان وقد حدث أن اتصل عبد الحميد عبد الغنى رئيس تحرير « أخبار اليوم » بصديقه اسماعيل فهمى وزير الخارجية يستوضحه خبرا سياسيا فأجابه اسماعيل فهمى : ان ما تسأل عنه شيء غير هام .. ألم يصلك خبر سرقة الجواهر التى تقدر بعشرات الآلاف من الجناح الذى يقيم به أشرف مروان فى أحد فنادق لندن ؟

ولم يكن هذا الخبر قد نقلته وكالات الأنباء .. ولكن اسماعيل فهمى أكد لرئيس تحرير أخبار اليوم صحة الخبر الذى تلقاه بصفة رسمية وسرية . وكتب رئيس التحرير قصة هذه السرقة . بغير أسماء ولكنه حدد شخصية الشخص المسروق .. بما يوحى بأنه أشرف مروان .

وقد اتصل بى الرئيس السادات تليفونيا يستوضح من المقصود بهذا الخبر .. فأجبته بأنه أشرف مروان .

وكان تعليق الرئيس أن الكثيرين تصوروا أنه خالد بن جمال عبد الناصر الذى يدرس فى لندن .. وقال لى الرئيس : إننى لا أحجر على حرية الصحافة .. ولا أحمى أحدا .. ولكننى ضد نشر الأخبار المعماة التى يمكن أن تسيء إلى أكثر من شخص . اذا كان لديكم خبر عن شخص .. أى شخص .. وأنتم متأكدون من وقائعه .. انشروا الخبر وبالأسماء ، حتى لا يظلم بريء .

واستأذنت الرئيس أن اتصل به مرة اخرى بعد أن أعرف من رئيس تحرير أخبار اليوم ملابسات نشر هذا الخبر . وأخبرنى عبد الحميد عبد الغنى ، أن أشرف مروان هو المقصود فعلا ، وأن مصدر الخبر هو اسماعيل فهمى وزير الخارجية وروى لى ما دار بينه وبين وزير الخارجية .

وابلغت ذلك الى الرئيس السادات .. ولم يعلق . ولكنه طلب منى تحرى صحة الخبر من مراسلنا فى لندن .

وفعلا اتصلت بزغلول السيد مراسلنا فى لندن .. ولم أجده وعرفت أنه فى باريس .

وعاودت الاتصال به فى باريس وطلبت منه العودة فورا إلى لندن لتحرى صحة الخبر . وبعد يومين أكد لى زغلول السيد أنه اتصل بكل الجهات المعنية وفى مقدمتها البوليس البريطانى (اسكوتلانديارد) .. ونفت هذه الجهات علمها بأى شىء عن هذه السرقة .

وتحدثت إلى الرئيس السادات .. وأبلغته بذلك .. فقال لى إن من حق أشرف مروان أن تنشروا هذا الإيضاح إذا كنتم تنشدون الحقيقة .

وكان أنور السادات حتى ذلك الوقت يثق فى أشرف مروان .. ويرى أن كل ما يشاع حوله من قبيل الإشاعات .

ولكن وقائع عديدة ، تراكمت أمام الرئيس .. وبعدها قرر إبعاده عن رياسة الجمهورية ونقله إلى هيئة التصنيع الحربى رئيسا لمجلس إدارتها ، وقد كان هذا المنصب الجديد لأشرف مروان بترشيح من الدول العربية المساهمة فى هذه الهيئة . واعتبر السادات ذلك محققا لهدفين .. الأول إبعاد أشرف مروان من رياسة الجمهورية . ثم الاستفادة منه فى هيئة التصنيع العربية لأن المساهمين فيها هم الذين اختاروه .

ولم يشأ السادات ، أن يكون إبعاد أشرف مروان فى شكل طرد له .. ولذلك كرمه بمنحه وساما ، تقديرا للخدمات التى أداها للدولة فى حرب أكتوبر ، عندما استطاع أن يحصل على قطع غيار حربية من فرنسا فى وقت كانت فيه المصانع مغلقة بسبب عطلة رسمية . وقد حدثت بعد نقله إلى هيئة التصنيع واقعة لها دلالتها .

لقد قدم أحمد سلطان وزير الكهرباء الأسبق ، إلى النيابة العامة ، بقرار من الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء عندما أبلغه السفير الأمريكى أن تحقيقات وزارة العدل الأمريكية أثبتت تورطه فى الحصول على رشوة من شركة أمريكية .. ولكن الحكومة الأمريكية قررت عدم إذاعة الإسم . حرصا على العلاقات الطيبة مع مصر . ولم يقبل الدكتور مصطفى خليل هذا المنطق من السفير الأمريكى لأنه يبدو وكأنه تستر على فساد الحكم المصرى من الحكومة الأمريكية .. كما أن اسم الوزير سلطان نشر فى الصحف الأمريكية وليس هناك ما يبرر عدم إحالته للتحقيق القضائى مادام هناك اتهام .

وحدث أن اتصل بى الدكتور عبد المنعم الشرقاوى محامى الوزير المتهم وسألنى : كيف تنشرون أن الوزير قدم إلى النيابة العامة مع أنه تلقى رسالة شفهية من الرئيس السادات بأن هذا الموضوع لن يحال إلى تحقيق قضائى ؟ .

وأضاف عبد المنعم الشرقاوى :

- إننى هنا أتحدث إليك كوكيل عن الوزير .. لا كصديق ؟ ..

وسألته

- ومن أبلغه بهذه الرسالة من الرئيس ؟

وأجاب :

- أشرف مروان ..

وقلت للدكتور عبد المنعم الشرقاوى : إننى أشك فى صحة هذه المعلومات ، لأن أشرف مروان أبعد من رياسة الجمهورية .

ولكن الدكتور الشرقاوى أكد صحة الواقعة .. وطلب منى أن أستوثق من صحتها من الرئيس .

واتصلت فعلا بالرئيس السادات وأبلغته بما جرى .. وارتفع صوته غاضبا :

- هذا كذب واختلاق .. لم يعد لأشرف مروان أى صلة بالرياسة وطلب منى السادات أن أتصل بالدكتور عبد المنعم الشرقاوى لكى أبلغه على لسان الرئيس أن هذه الواقعة كاذبة .. وأن الرئيس لا يتدخل مطلقا فى شأن تحقيق قضائى أمر به رئيس الوزراء .

وقد نوقش الرئيس السادات من أشخاص عديدين قريبين إليه فى وضع أشرف مروان وإساءته إليه .. وكانت قد تناثرت قصص عديدة ، حول أموال باهظة خسرها أشرف مروان على مائدة القمار فى « البلاى بوى » بلندن ، وعن شقة خاصة يملكها فى العاصمة البريطانية ، وعن علاقاته التجارية مع البليونير كمال أدهم .. وكان كمال أدهم وكيلا لشركة طيران « البوينج » فى الشرق الأوسط .. أى أنه كان يتقاضى عمولة عن كل طائرة تباع فى هذه المنطقة .. وقيل إن أشرف مروان هو الذى أبلغ نوح (وزير الطيران) ومرزبان (وزير الاقتصاد) فى وزارة عزيز صدقى بضرورة قبول التعاقد فى صفقة البوينج التى قدما بسببها إلى المحاكمة .. وحكم القضاء ببراءتها أخيرا[1] ..

نوقش السادات من عديدين فى وضع أشرف مروان ــ قبل إبعاده ــ وسأله محمود أبو وافية مرة : « لماذا تتمسك ياريس بأشرف مروان وحوله كل هذه الإشاعات ؟ »

وأجاب الرئيس : « إن أشرف يقوم بخدمات للبلد لا تسمح لى كرامتى أن أقوم بها » ..

(١) أبلغنى بذلك نوح وزير الطيران أثناء نظر القضية .. خلال زيارة منه لى فى مكتبى .

وسأله محمود أبو وافيه :

- زى إيه ؟

فقال الرئيس : لم أكن أعرف مثلا أن أحد المقربين إلى (فلان) وذكر اسم ملك عربى ـ يتقاضى رشوة ؟ .. وهذا الرجل يساعدنا فيما نطلبه من هذا الملك وعلاقة أشرف مروان به تسهل ذلك ..

وذات يوم فاتحت الرئيس فى موضوع أشرف مروان وقلت له : إن الشعب يرفضه فلماذا تتمسك به ؟

فقال الرئيس : أنا لا أقبل أن أمد يدى إلى أى حاكم عربى ولكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة .. وأشرف يقوم بهذه المهمة .

كما قال السادات إن تقارب سن أشرف مروان ، مع أعمار القيادات الليبية .. يسهل أمورا كثيرة فى التفاهم بين مصر وليبيا ..

كما أن دبلوماسية السادات التى تعتمد على الاتصال المباشر مع الرؤساء ، كانت تجد من ينفذها فى شخص أشرف مروان بدون بروتوكول وإجراءات رسمية .. فهو عندما يذهب إلى السعودية مثلا لا يعامل وفقا لقواعد البروتوكول .. كما أنه من الممكن أن يتحدث إلى الأمراء العرب وغيرهم بغير كلفة وبغير رسميات .. ويعبر لهم بكلام صريح عن التصرفات التى تغضب السادات .. أو المطالب التى يريد السادات تحقيقها .. وفى هذا يختلف تماما عن وزير الخارجية .

وقال السادات أيضا إن أشرف مروان قدم خدمات ممتازة فى موضوع الأسلحة .. واستطاع بجهده الشخصى وعلاقاته ، أن يذلل كثيرا من العقبات مع المصانع الفرنسية بالذات .. وتم هذا فى أوقات محرجة وقبيل حرب أكتوبر .

وكان أول هجوم على أشرف مروان فى الصحافة المصرية من على أمين . وقد أطلق عليه اسم « الطفل المعجزة » الذى يملك طائرة خاصة يسافر بها فى رحلات خاصة مثل أصحاب الملايين .

ولكن الهجوم على أشرف مروان كان يكون له رصيدا جديدا لدى الرئيس السادات الذى عرف بالعناد وبتحدى أى هجوم . ولذلك زاد تمسك السادات بأشرف مروان بعد هجوم على أمين عليه . واستطاع أشرف مروان أن يلعب دورا فى إبعاد على أمين عن أنور السادات وكانت هناك قوى أخرى تؤيد هذا الإبعاد . وكان ما يردده أشرف مروان ويبلغه للرئيس أن التوأمين مصطفى وعلى قد أصبحا عبئا على رئيس الدولة .

ثم تزايد الهجوم على أشرف مروان من مواقع تحرص على الرئيس السادات ولايشك السادات فى إخلاصها .. وجاءت تقارير جهات الأمن عن الرأى العام تؤيد سلامة هذا الهجوم .

وكان الرئيس السادات مستمرا فى إبقائه بتصور أن القيادات السعودية بالذات هى التى ترغب فى التعامل مع الرئيس من خلال أشرف مروان . ولكن لقاءات رسمية تمت مع الأمير فهد أثبتت أن القيادات السعودية تتعامل مع أشرف مروان ، لأن الرئيس هو الذى اختاره . وبالعكس فإنهم يفضلون التعامل مع شخص آخر .

وعندئذ اقتنع الرئيس بضرورة إبعاد أشرف مروان من هيئة التصنيع العربية كرئيس لمجلس إدارتها بعد أن كان قد تم إبعاده من رياسة الجمهورية .

وقد سبق ذلك أكثر من خطوة ..

تحقيق المدعى الاشتراكى مع أشرف مروان فى واقعة شراء أرض الهرم ثم تقرير شامل من المخابرات العامة .

وكان من الممكن ألا يتم الإبعاد !

ولذلك قصة !

لقد سأل الرئيس السادات ، المدعى الاشتراكى عن نتائج التحقيق وكانت إجابته أنه لا شيء يدين أشرف مروان !

وعلمت الدوائر التى كانت تريد أن تنهى علاقة الرئيس بأشرف مروان بموقف المدعى العام الاشتراكى .. فأرسلت هذه الدوائر مبعوثا إلى المدعى الاشتراكى ليسأله : لماذا لا تبلغ الرئيس السادات بالحقيقة ؟ .. لقد كلفك بالتحقيق .. فلماذا لا تكون نتائج التحقيق واضحة أمام الرئيس . وأكد المبعوث للمدعى الاشتراكى أن الرئيس يريد الحقيقة كاملة .

وكانت إجابة المدعى الاشتراكى على سؤال المبعوث غريبة . قال إنه تصور أن اتجاه الرئيس هو إلى مساندة أشرف مروان .. أو إنهاء الموضوع .. ولذلك لم يبلغ الرئيس كل التفصيلات . أما والأمر غير ذلك .. فإنه مستعد . وفعلا كتب المدعى الاشتراكى تقريرا بالحقيقة كاملة ، وأرسله إلى الرئيس السادات .

كما ذهب مبعوث إلى مدير المخابرات العامة حينئذ . وتحدث معه فى أن مسئوليته هى حماية اسم الرئيس من الأكاذيب ، والافتراءات . وإذا كان وجود أشرف مروان فى موقع بجوار الرئيس يسيء إلى الرئيس .. فإن واجب المخابرات العامة أن تنبه الرئيس إلى ذلك .. وبكل صراحة .

وقد تم ذلك فعلا ..

واتخذ الرئيس السادات قراره بنقل أشرف مروان من هيئة التصنيع إلى وزارة الخارجية . وطبيعى أن أشرف مروان لم يكن ليعمل فى وزارة الخارجية .. ومرتب السفير من الخارجية ، لا يجذب أحد سكرتيرى أشرف مروان الذى أصبحت له مشروعات تجارية واسعة النطاق تضعه فى مصاف أصحاب الملايين .

ولكن الرئيس السادات شاء أن يكون إبعاده كاملا عن أى عمل فيه اتصال بالدولة . وهذه المرة أيضا أراد الرئيس أن يكون إبعاده محاطا بالهدوء دون ضجة .

وهكذا صدر بيان من بضعة أسطر بنقل أشرف مروان ، وطلب رسميا من الصحف القومية أن تنشره على عامود واحد ، دون تضخيم ودون تعليق ..

وعندما قرأت الخبر .. قررت كرئيس لتحرير « الأخبار » ، أن مثل هذا الخبر البالغ الأهمية ، يجب أن يبرز إبرازا خاصا ويجب أن ينشر معه خلفية لمسببات إبعاد أشرف مروان . وكتبت الموضوع بعنوان « انتهت أسطورة أشرف مروان » .. ونشرته فى الصفحة الأولى فى برواز كبير من ثلاثة أعمدة وبالبنط الأسود الواضح .

وهذا نص ما نشرته فى صباح ١٠ أكتوبر ١٩٧٨ فى صدر الصفحة الأولى من « الأخبار » :

انتهت أسطورة أشرف مروان*

قرار جمهورى بإقالته من هيئة التصنيع

صدر قرار جمهورى بإنهاء إعارة أشرف مروان إلى الهيئة العربية للتصنيع الحربى ونقله إلى وزارة الخارجية .

كان أشرف مروان يشغل منصب رئيس مجلس إدارة هيئة التصنيع العربية بعد أن أعير لها من وظيفته فى رياسة الجمهورية فى ٢٢ مارس ١٩٧٦ . كانت إعارته إلى هيئة التصنيع العربية إبعادا له من العمل برياسة الجمهورية ، وقد كان يشغل منصب سكرتير الرئيس للمعلومات .

نسبت إليه فى ذلك الوقت اتهامات بانحرافات وأمر الرئيس السادات بأن يحقق فيها المدعى العام الاشتراكى معه . كان موضوع الاتهامات شراء السيدة قرينته لأرض زراعية فى ناحية الهرم . وكانت إجاباته فى التحقيق أنها لم ترث شيئا وقد اشترت الأرض بثمن سيارات قدمت لها هدية من شخصيات عربية تكريما لها بوصفها كريمة الرئيس

الراحل جمال عبد الناصر . ثم باعت هذه الأرض بسعر أكبر واشترت بالثمن الجديد قطعة أكبر . ولم يثبت التحقيق ما يدين تصرفه الشخصى فتقرر إعارته إلى هيئة التصنيع العربية على أساس أن عمله كان من طبيعته الاتصال بعدد من القيادات العربية . كما أن الرئيس السادات لا يجحد لأحد أية خدمة قدمها لبلده ولذلك فقد منحه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديرا لما قام به من خدمات خلال حرب أكتوبر ولجهده الشخصى لتوفير قطع الغيار اللازمة للقوات الجوية وكانت جميع المصانع فى أوربا مغلقة . وهذا ما يجب أن يذكر لأشرف مروان .

وكان ترشيحه للعمل فى هيئة التصنيع الحربى متفقا مع رغبات بعض المسئولين العرب المساهمين فى الهيئة ولكن هيئة التصنيع تحولت إلى دولة داخل الدولة . أنشأ بها مناصب عديدة وبمرتبات ضخمة . كثر عدد الوظائف التى لا يقوم أصحابها بأعمال ذات قيمة تعادل المرتبات الكبيرة التى يتقاضونها . قدم الهدايا باسم الهيئة إلى عدد من الشخصيات العامة . قدم تلفزيونات ملونة حولها بعض من تلقوها إلى الجهات الرسمية التى يعملون بها ورفضها البعض . تلقت الجهات المسئولة اعتراضات كثيرة على سلطات أشرف مروان .. وتصرفاته من بعض الجهات العربية . أطلقت عليه « أخبار اليوم » من قبل لقب « الطفل المعجزة » ليس من المتوقع أن يسند إليه عمل هام فى وزارة الخارجية .

وقد طلب أشرف مروان أمس عندما أبلغ بالقرار عدم إذاعة القرار . ورفض هذا الطلب لأنه لا تصدر فى الدولة قرارات تخفى عن الشعب .

تعليق الأخبار :

إن هذا القرار الجمهورى بإبعاد أشرف مروان عن هيئة التصنيع[1] يؤكد لنا جميعا

---

(١) فى ١٤ فبراير عين سكرتيرا للرئيس للاتصالات الخارجية .

* انهيت خدمته فى رياسة الجمهورية ، وأعير إلى هيئة التصنيع فى ٢١ مارس ١٩٧٦ .

* أنهيت إعارته إلى هيئة التصنيع العربية فى ٩ اكتوبر ١٩٧٨ .

* إن كل من يتولى منصبا عاماً ، يجب أن يقدم القدوة الصالحة فى مسئوليته ، حتى لو كان فى مأمن من المساءلة القانونية . إن العمل العام له مسئوليته والتزاماته التى يحكم عليها الرأى العام ، والتى توجب احترام هذا الرأى العام ، ولو لم تتوافر أدلة إدانات قضائية .

* ومع ذلك فإننا نقول : إنه لا حماية لأحد فى أى موقع إذا وجد الدليل القانونى الذى يثبت عليه أى تجاوز فى مسئولياته ؛ ولن تتردد سلطات القضاء فى إقرار سيادة القانون .

* انتهى ما نشرته فى الأخبار فى برواز على ثلاثة أعمدة فى الصفحة الأولى مع صورة أشرف مروان ، وقد كان ذلك بعد أيام من تولى الدكتور مصطفى خليل رياسة الوزارة .

أن هذه المرحلة الجادة تبدأ بداية جادة وحاسمة وليس من شك فى أن هذا القرار سوف يلقى صداه الطيب بين الجماهير لأنه يؤكد التنفيذ السريع للمبادىء التى أعلنها الرئيس فى خطابه التاريخى أمام مجلس الشعب عن خطوات العمل فى هذه المرحلة .

وعندما اطلع الرئيس السادات على الخبر منشورا فى « الأخبار » بهذا الإخراج وبهذه الصيغة غضب . وكان فى زيارة مع نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء لمجلس القضاء الأعلى وانتقد هذا النشر واعتبره تشهيرا . وكانت زوجة أشرف مروان (كريمة عبد الناصر) قد لجأت إلى منزل الرئيس باكية وهى تردد .. « يعنى بنت عبد الناصر جوزها حرامى » كما أن أصدقاء أشرف مروان فى مكتب الرئيس دبروا له لقاء مع الرئيس فى استراحة الهرم قال فيه إننى أردد فى مكتبى بالأخبار أن الرئيس السادات هو الذى طلب منى النشر بهذا الأسلوب .. كما صور أشرف مروان للرئيس أن هذا النشر هو مؤامرة مقصودة للتشهير به .. لصالح قوى أخرى ! وكان مع أشرف مروان فى لقائه بالرئيس أشخاص آخرون .. أيدوا أشرف فيما زعمه .

ولم أكن أعلم بكل ما جرى .

وفوجئت فى المساء بأن بيانا جديدا صدر من رياسة الجمهورية جاء فيه أن الرئيس السادات كلف أشرف مروان بأن يحمل رسائل إلى ثلاثة من الرؤساء العرب المساهمة دولهم فى هيئة التصنيع . وأن أشرف مروان هو الذى قدم استقالته . ورسائل السادات إلى هؤلاء الرؤساء بهذا الشأن . ونشر فى البيان أيضا أن أشرف مروان قدم خدمات جليلة لهيئة التصنيع .

وعندما قرأت هذا البيان الثانى .. تألمت غاية الألم . إن هذا البيان يلغى تماما البيان الأول . ويؤكد للناس الإشاعات التى كانت منطلقة بأن الرئيس السادات لا يستطيع عزل أشرف مروان لأنه يملك ضد الرئيس ما يجرح الرئيس لو أذاعه .

وطلبت الرئيس السادات تليفونيا ، لكى أرجوه تغيير صياغة البيان الثانى .. ولكن سكرتير الرئيس أبلغنى أنه يستحسن ألا أتحدث إلى الرئيس .. لأنه غاضب جدا .. ولأنه أخطر السكرتارية بأن كل ما بينه وبينى قد انتهى .. وهو لن يتحدث إلىّ أبدا .. ولن تكون هناك علاقة بيننا على الإطلاق .

وتألمت أشد الألم .

وقررت الاستقالة .

وأبلغت الرئيس السادات عن طريق شخص قريب إليه ، أننى لا أملك إلا كرامتى وأن ما كتبته عن أشرف مروان هو لصالح سمعة الرئيس وعائلته وللقضاء على

الإشاعات الكاذبة الخاصة بعلاقة أشرف مروان به .. وليست بينى وبين أشرف مروان عداوة خاصة ، بل كان هو الحريص دائما على كسب صداقتى .. ولكننى راعيت المصلحة العامة أولا وأخيرا .. ووسائل النفع من أشرف مروان عديدة .

وفعلا جمعت أوراقى من مكتبى .. وتوجهت إلى منزلى .. على الرغم من أن البيان الثانى قد عدل بعض الشىء ، بما يخفف من انحيازه لأشرف مروان . فقد كان النص أن أشرف مروان قدم خدمات جليلة لهيئة التصنيع وحذفت هذه العبارة .(١)

ولكن الشخص الذى أبلغته بإصرارى على الاستقالة طلب منى أن أعود إلى مكتبى .. وفعلا عدت .. وإذا بالرئيس يطلبنى بالتليفون ويتحدث إلىّ .. وعبرت له عن وجهة نظرى واعتبر الموضوع منتهيا .

وانتهت علاقة أشرف مروان الرسمية برياسة الجمهورية .. ولكن بقيت علاقته الشخصية المعتمدة على أنه زوج كريمة جمال عبد الناصر وكان يتردد على منزل الرئيس . وكان يلقاه . وكان يبلغه ببعض الأخبار العربية التى يسمعها .. وكان الرئيس على اتصال مستمر بزوجته كريمة عبد الناصر . وكان يعتبر مسئوليته عنها كأب أمراً منفصلاً تماماً عن إبعاد أشرف مروان عن عمله الرسمى فى الرياسة .

وقد حدث أن سافر الرئيس بعد ذلك إلى أمريكا .. وفوجئنا بوجود أشرف مروان فى الطائرة . وأحدث ظهوره أكثر من علامة استفهام .. وقد سأل أحدنا الرئيس عن ذلك عندما التقينا به فى الطائرة وكان السؤال : هل هناك جديد فى وضع أشرف مروان .. ولماذا هو على الطائرة ؟ .. فأجاب الرئيس إنه لا جديد فى الوضع .. وأن أشرف فى الطائرة بدعوة عائلية .

وقد تسبب أشرف مروان فى أزمة خطيرة بين الرئيس السادات والمشير أحمد إسماعيل . كان المشير قد استقبل عضو مجلس الثورة الليبى ووزير الدفاع .. وحدث

---

(١) هذا هو نص البيان الثانى بعد تخفيفه .. أشرف مروان يقدم استقالة إلى رؤساء الدول الثلاث المشتركة مع مصر فى التصنيع : قدم الدكتور أشرف مروان رئيس مجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع الحربى استقالته من منصبه بعد انهاء إعارته من رياسة الجمهورية الى الهيئة . قبل الرئيس استقالته بالنسبة لجمهورية مصر العربية ، لأنه يمثل فى هذا المنصب ثلاث دول عربية أخرى أعضاء فى الهيئة . وسوف يسافر أشرف مروان يوم السبت إلى هذه الدول الثلاث « السعودية ــ قطر ــ دولة الإمارات » لكى يقدم استقالته إلى رؤسائها ، وهو يحمل رسائل من الرئيس إليهم فى هذا الشأن . وقد صدر القرار الجمهورى بتعيين أشرف مروان سفيرا بوزارة الخارجية بدرجة ممتاز .

حوار عنيف بينهما وقد لقنه المشير أحمد إسماعيل درساً قاسياً .

وغضب القذافى وأرسل إلى الرئيس السادات يطلب إخراج المشير أحمد إسماعيل . وأراد السادات أن يمتص غضب القذافى وأن يسايره فى تفكيره حتى تنتهى الأزمة ، وأرسل إليه بما يعنى أن المشير أحمد إسماعيل لن يكون عقبة فى العلاقات بين مصر وليبيا .

تم هذا دون علم المشير أحمد إسماعيل .. وكان هدف الرئيس السادات هو إنهاء الأزمة .

ولكن أحمد إسماعيل علم بالواقعة وصرح بأن أشرف مروان هو الذى أبلغها له . وغضب وكتب استقالته وهو فى قمة الألم .. وهو متصور فعلاً أن الرئيس السادات يمكن أن يضحى به .. لإرضاء القذافى .

ولكن شخصاً عاقلاً تدخل لدى المشير أحمد إسماعيل وهدأ من خاطره .. وأوضح له كل الظروف المحيطة بالموضوع .. وانتهى غضب أحمد اسماعيل .. ولم يعلم الرئيس السادات بما جرى حتى موته .

وقد حدثت معى واقعتان مع أشرف مروان .. ورويتهما للرئيس السادات . وكان تعليقه على الواقعتين يعنى أنه يعرف الجوانب السيئة فى سلوك اشرف مروان .

مرة فوجئت بوجود تليفزيون ضخم فى منزلى لا يزال معبأ فى صندوقه .. وقال لى أولادى إن أشخاصاً أحضروا هذا التليفزيون وقالوا انه هدية من الدكتور أشرف مروان .

وفى الصباح التالى سألت عن عنوان هيئة التصنيع العربية وحملت التليفزيون فى سيارتى وذهبت إلى مبنى هذه الهيئة لأول وآخر مرة فى حياتى .. وقابلت أشرف مروان فى مكتبه واعتذرت عن عدم قبول الهدية .. واقتضى ذلك حواراً معه استمر أكثر من ساعتين ، وهو يرفض رد الهدية وقال لى إنها هدايا من شركة السلاح التى تتعامل معها هيئة التصنيع . وعرض علىّ أن أتبرع بالتلفزيون لجهة خيرية ، فقلت له إننى لا أتبرع بما لا أملكه . وعرض أن يكتب رسالة إلى أخبار اليوم بأن الجهاز هدية لنقابة العاملين بها . فقلت له إن أخبار اليوم لم تقبل هدية من قبل . وأخيراً وافق على استرداد التليفزيون بشرط أن أعود به إلى منزلى وأنه سوف يرسل من يأخذه لأن دخول التليفزيون إلى مبنى الهيئة أمام موظفيها إهانه له . وقبلت ونفذ اتفاقه .

ثم علمت أنه أرسل مثل هذه الهدية إلى كبار المسئولين والوزراء . واعتذر وزيران

فقط عن عدم قبول هذه الهدية وهما الدكتور فؤاد محيى الدين وألبرت برسوم سلامه . أما ممدوح سالم رئيس الوزراء فان أشرف مروان لم يرسل له هذه الهدية .

وقد رويت هذه الواقعة للرئيس السادات . كما رويتها للدكتور حلمى مراد عضو مجلس الشعب المعارض لكى يثير الموضوع من الناحية العامة فى مجلس الشعب . وقدم سؤالاً برلمانيا ولكن هذا السؤال لم ير النور .

ومرة ثانية كنت مع زوجتى فى أمريكا ، خلال فترة علاجها من مرضها الخطير ، والتقيت معه مصادفة فى مبنى الأمم المتحدة وعرف موعد سفرى .. وقبيل مغادرتى الفندق .. اتصل بى شخص عربى — لا يتحدث اللهجة المصرية — وأبلغنى أن الدكتور أشرف ترك لى صندوقاً صغيراً جدا .. وأنه سيرسله لى . واعتذرت . وأكدت له أننى أرسلت — حتى حقائب اليد إلى المطار . وأبدى هذا المتحدث إلحاحا ثقيلاً لم يفلح معى .

وقد تشككت .. وتصورت أنها مؤامرة ضدى . واستنتجت أنه ربما وضع لى فى هذا الصندوق الصغير جدا الذى يزمع إرساله لى مادة مخدرة .

وعندما رويت هذه الواقعة للرئيس السادات — فى الأسكندرية — قال لى ضاحكا : مخدرات ايه ياعبيط .. ده كان عاوز يشتريك .. قطعا كان باعت حاجة ثمينة لزوجتك فى هذا الصندوق .. وهذه هى طريقة أشرف . أنا عارفه كويس .

على أية حال .. استغرق إقناع أنور السادات من كبار المسئولين المحيطين به ، بابعاد أشرف مروان وقتا طويلا . وهذه هى طبيعة السادات .. العناد .. وهى واحدة من أخطائه . كان البعض يصور له أن كل الاشاعات عن أشرف مروان هدفها الاساءة إلى شخص السادات . ولذلك كان يعاند . كان السادات لا يحب أن يقف أبدا فى موقف الدفاع . ولذلك تمسك بأشرف مروان أكبر فترة ممكنة . رغم علمه بكل جوانب شخصيته وكان يستثمره فى جوانبه الحسنة .

ولكن أشرف مروان لم يلق بسلاحه ، حاول جاهدا أن يعيد صلته بالرئيس . وكان يسافر إلى العواصم التى يزورها الرئيس . ويحاول أن يبدو أمام رجال الصحافة أن له حق الدخول إلى غرفة الرئيس وقال لى أحد أفراد أسرة السادات : ونحن فى باريس — فى أول رحلة بعد عزل أشرف مروان — كان أشرف يتعمد الدخول إلى جناح الرئيس ليجلس مع الأستاذ عبد الغفار وزوجته السيدة لبنى كريمة الرئيس . وأن عبد الغفار أظهر حرجه من هذا اللقاء المفروض .. وكل ذلك لكى يبدو أنه لا يزال محتفظاً بمكانته لدى الرئيس ، بعد إبعاده .

وكان أشرف يفعل ذلك فى زيارات الرئيس للسعودية .

وفى إحدى الزيارات .. ولعلها آخر زيارة للسعودية .. فوجئت بأشرف مروان يطرق باب حجرتى فى الفندق .

وتحدث معى طويلاً عن موقفه . قال : أنا لست اشتراكيا .. ولست مسئولا عن أن عبد الناصر والد زوجتى كان اشتراكيا .. أنا حر فى آرائى . وإننى أتحدى من يثبت أننى تقاضيت مليما واحدا من تجارة السلاح كما يقولون . إن التعامل يجرى مع حكومة مصر .. ومن يقبضون عمولات من السلاح معروفون فى جميع أنحاء العالم ..

سألته : هل أنت مستعد أن تجيب على كل الاتهامات الرائجة حولك ؟ .

قال : نعم ..

وبعد العودة .. كلفت إبراهيم سعده نائب رئيس تحرير « أخبار اليوم » باجراء حديث مع أشرف مروان يجيب فيه على كل الاتهامات .

وأجرى إبراهيم سعده الحديث .. وقرأت البروفة . ولكننى منعت النشر لأن أسلوب كتابة الحديث كان يعطى انطباعا عاما .. وكأننا ندافع عن أشرف مروان .

واتصل بى رسول من أشرف مروان تليفونيا أكثر من مرة للتعجيل بنشر الحديث ولكننى أعتذرت عن عدم النشر .

وفى الفترة الأخيرة من حكم السادات ، دبرت المخابرات العامة وسيلة للايقاع بأشرف مروان وضبط معاملاته .. وأعدت ــ بعد إذن النيابة ــ العدة لوضع أجهزة تسمع فى مكتب ضخم استأجره بمصر الجديدة . ولكن أحد المنوط بهم تنفيذ العملية أبلغ أشرف مروان واستطاع أن يضبط هو الكمين المعد له . وأن يصوره .. واعتقل المكلفين بهذه العملية فى الشقة . واتصلت الجهات المختصة بالرئيس السادات ــ وكان فى اسرائيل ــ وطلب إليه الرئيس اطلاق سراحهم ! وكانت هذه الواقعة دليلاً مع أشرف مروان لدى الرئيس السادات يثبت « المؤامرات » التى تريد تلفيق اتهامات له .

والحقيقة أن الهدف لم يكن تلفيق اتهامات .. بل الوصول إلى دليل على اتهامات .. وقد حدث هذا بعد إبعاد أشرف مروان عن الرياسة .. وبعد أن تواترت الأخبار لدى الجهات الرسمية عن اتساع اعماله التجارية إلى درجة بالغة الضخامة .

وفى رأيى أنه كان من الواجب إبعاد أشرف مروان عن رياسة الجمهورية منذ وقت طويل .

والواقع أن السادات لم يقتنع ، بالابعاد الكامل لأشرف مروان الا قبل أيام قليلة من تأليف وزارة مصطفى خليل . لقد تجمع لدى السادات أكثر من دليل على عدم سلامة

تصرفاته . أولها أكذوبة أن السعودية تتمسك بأشرف مروان رسولاً بين القاهرة والرياض والثانية دوره فى صفقة بحرية مع الحكومة البريطانية وقد أسيء إلى المشير الجمصى فى موضوع هذه الصفقة . وعلق السادات على ذلك بقوله : أشرف ضحك على الجمصى ..

والواقع الذى لا شك فيه ، أن موقف الجمصى سليم تماماً فى إجراءات هذه الصفقة التى تمت مع الحكومة البريطانية .

وأذكر أننى كنت أسأل أحد كبار المسئولين عن أسماء الوزراء الجدد فى وزارة مصطفى خليل فقال لى هذا المسئول : التعديل الوزارى أصبح خبراً قديماً .. ولكن هناك قنبلة ستدوى بعد أيام .

ورفض المسئول أن يصرح لى بشيء عن هذا الخبر القنبلة .

وبعد أيام أتصل بى هذا المسئول وسألنى : ألم تسمع القنبلة ؟ قلت : .. لا ..

قال : كيف وأنت صحفى كبير .. لقد أذيعت فى نشرة الثامنة والنصف . لقد أبعد أشرف مروان ! .

وهذا يوضح أن الحلقات المخلصة المحيطة بالرئيس السادات كانت تعمل فعلا على إنهاء دور أشرف مروان الذى أصبح الآن من كبار أصحاب الملايين فى العالم .

« عثمان أحمد عثمان »

من الشخصيات العامة ، التى كانت مثار تعليقات عديدة فى علاقتها بالرئيس أنور السادات ، المهندس عثمان أحمد عثمان وقد توطدت العلاقة الشخصية بين السادات وعثمان ، بعد أن تم زواج المهندس محمود نجل عثمان من جيهان كريمة الرئيس الصغرى .

وعندما تولى أنور السادات رياسة الجمهورية ، لم يكن المهندس عثمان أحمد عثمان على صلة شخصية قوية بالرئيس . وفى حفل افتتاح السد العالى فى ١٥ يناير ١٩٧١ .. كان المهندس عثمان من بين مستقبلى الرئيس فى أسوان ، وعلى مبنى السد .. وعندما رآه السادات احتضنه وتبادلا التهنئة بافتتاح السد العالى . وقد كنت فى أسوان فى ذلك الوقت ، واتصل بى المهندس عثمان فى فندق الكتراكت ، ورجانى فى كياسة أن أكتب له برقية باسمه يهنىء فيها الرئيس بانجاز هذا العمل الضخم .. بحجة أنه لن

يستطيع أن يعبر عن فرحته بالكلمة فى هذه المناسبة التاريخية وأذكر أننى تكاسلت فى كتابة هذه البرقية ، فأرسل لى المهندس عثمان المذيع المعروف أحمد فراج لكى يتعجلنى فى كتابتها .. وفعلا كتبتها وأخذها أحمد فراج .

أكتب هذه الواقعة لكى أستدل منها على أن العلاقة بين الاثنين فى ذلك الحين لم تكن قريبة .. وكان يغلب عليها الطابع الرسمى .

وفى حفل الزواج الذى أقيم بمنزل الرئيس بالجيزة ، اشترط الرئيس أن يكون الحفل بسيطاً .. وبسبب كثرة عدد المدعوين ، طلب الرئيس أن يقدم الشاى وبعض السندويتشات للمدعوين .. دون أن تزيد ميزانية الفرح ، وعندما كتبت هذا الخبر فى الأخبار ــ لم يصدقه الكثيرون . ولكن السادات فعلا ، كان يريد أن يعطى القدوة فى عدم البذخ ، فى حفلات الزواج . وقد تنافس الفنانون والفنانات متطوعين لاحياء هذا الحفل . وقد زاد عدد المدعوين ، بسبب طبيعة المهندس عثمـان ، وهى دعوة جميـع أصدقائه إلى الحفل .

ثم تطورت العلاقة الشخصية .. حتى أصبح المهندس عثمـان هو جليس أنـور السادات معظم الوقت ، فى كل مكان ينتقل إليه الرئيس وكان إذا غاب يوماً واحداً ، سأل عنه الرئيس السادات واستدعاه . وبدأ المهندس عثمان يمارس ريـاضة المشى اليومية مع الرئيس .. ويشاهد معه أفلام السينما .. ويحضر المقابلات غير الرسمية .

وقد تساءل الكثيرون .. كيف توطدت هذه العلاقة ؟ .. وكيف أصبح السادات لا يطيق وحدته دون أن يطلب المهندس عثمان لكى يجالسه ؟ وفى رأيى أن المهندس عثمان وصل إلى قلب الـرئيس ، لأنه « ابن بلد » .. لا يتكلف الكـلام المنمق ، بل يتحدث على سجيته ، ويبدى للرئيس آراءه من وجهة نظره دون تكلف .. هذا سبب شخصى ، ولكن هناك سبباً عاماً ، قرب عثمان إلى السادات كثيرا ، وهو أن عثمان رجل أعمال ناجح .. ولديه قدرة خارقة على الانجاز السريع .. وعلى الابتكار فى أفكار المشروعات .. كما أن اتصالاته الدولية العديدة أتاحت له أن يقدم للرئيس مشروعات مدروسة .. وكان الرئيس مهتما بإعادة بناء مدن القناة .. ولم يجد أمامه أكفأ من المهندس عثمان لإنجاز هذه المهمة الضخمة ، التى كان يحلم السادات برؤيتها حقيقة واقعة فى أقل وقت ممكن . ولذلك عينه وزيرا للاسكان . كما يمتاز المهندس عثمـان ببصريتـه العميقة .. وكان السادات مقتنعا أن عثمان لم يعد يطمع فى مزيد من المال ، وأنه كان يستطيع أن يجمع الملايين من عمله فى الخارج وبالذات فى البلاد العربية . ولهذا اعتمد عليه الرئيس السادات .. ليس فى مشروعات الاسكان ، أو بناء مدن القناة الجديدة

فقط ، ولكن أوكل إليه مهمة ما أطلق عليه السادات « الأمن الغذائى » .. وكانت فكرة استصلاح الصحراء ، واكتشاف آفاق زراعية جديدة تسيطر على الرئيس .. ولذلك سعد ورحب بمشروع الصالحية الذى اعتمد على أحدث وسائل استصلاح الأراضى الصحراوية فى أمريكا . وقد أحضر المهندس عثمان أفلاما عديدة عن الوسائل العلمية الحديثة ، فى زراعة الصحراء ، وفى جنى المحاصيل ، وفى تربية العجول والأبقار والدواجن . وكان الرئيس يتابع هذه المشروعات بشغف شديد .. فقد كانت الثورة الزراعية من أحلام حياته .. وكان يريد أن توزع الأرض على الشباب ، وتقدم الدولة لهم كل الامكانيات ، وكان عثمان أحمد عثمان ، لا يتوجه إلى زيارة الرئيس إلا وفى جعبته خبر جديد عن الزراعة والأمن الغذائى .. وكل أخباره تترجم إنجازاً ، أو تبشر بإنجاز جديد .. وهكذا اقترب من الرئيس كثيراً .

والمهندس عثمان .. كرجل ناجح ، له خصوم كثيرون .

كما أنه كرجل أعمال ، فى مجال المقاولات ، لم يكن على مدى الادراك السياسى ، لطبيعة علاقته بالرئيس السادات .. ولذلك كان يظهر كثيرا ، حيث كان يجب أن يحتجب عن الصورة أمام الرأى العام .

وبدأت الأقاويل تتزايد ، عن أن عثمان أحمد عثمان ، يستثمر علاقته بالرئيس ، استثمارا يسىء إلى الرئيس . فهو يعتبر أنه وزير غير عادى ، فى مجلس الوزراء . وهو يسافر مع الرئيس فى كل رحلاته الداخلية .. بل ركب مرة مع الرئيس فى السيارة المكشوفة أثناء زيارته لإحدى مدن الصعيد ، وكان ذلك موضع نقد من رجال البروتوكول فى الرياسة .. ولكن المهندس عثمان ، لم يكن يفعل أى شىء إلا بعلم الرئيس وإذنه ، ولذلك لم يأبه لأية أقاويل أثيرت فى الأوساط السياسية عن علاقته بالرئيس . وتضخمت هذه الأقاويل حتى رددت بعض الصحف الأمريكية والأوربية : إن أى مشروع استثمارى أجنبى لا يمكن أن يقبل فى مصر أو ينفذ ، إلا إذا كان عثمان أحمد عثمان مقرّا له .

وهنا .. تتدخل طبيعة أنور السادات .

طبيعة التحدى .. عندما يكون مقتنعا أنه على حق ..

كما أن الرئيس السادات اقتنع ، بأن الأقاويل ، والهجوم على المهندس عثمان ، فى المجالات السياسية ، ليس مقصوداً به شخص عثمان أحمد عثمان .. بل إن شخص الرئيس هو المقصود .

وقال السادات مرة .. إن المهندس سيد مرعى هو الذى حقق تنفيذ الاصلاح

الزراعى فى مصر .. وكان يعمل وزيرا ثم نائبا لرئيس الوزراء طوال عهد جمال عبد الناصر . فلماذا يهاجم بعد أن أصبح السادات صهره .. وكذلك عثمان أحمد عثمان .. إنه أنجح رجل أعمال فى مصر .. وقد بهر عمله جمال عبد الناصر ، ولذلك أعطى له امتيازات خاصة فى إدارة « المقاولون العرب » بعد أن أصبحت قطاعاً عاماً .. وذلك حتى يستمر نجاحها ، مثلما كانت الشركة فى القطاع الخاص .. فلماذا إذن الهجوم عليه .. بعد أن أصبح السادات صهره !! .

وكثير من المحبين لأنور السادات ، كانوا يريدون له أن يقطع علاقته مع المهندس عثمان .. أو فى القليل ، تكون علاقته الشخصية ، بعيداً عن أعين الرأى العام .. وبعيداً أيضاً عن العمل العام ..

ولكن السادات ، لم يكن ليستمع إلى هذه « النصائح » مادام هو مقتنعا تماما ، بسلامة ونجاح ما يؤديه المهندس عثمان من أعمال هامة تعود بخير على مصر .

وقد قدم الدكتور محمود القاضى النائب المستقل المعارض ، استجوابا ضد المهندس عثمان عن صفقة حديد مع أسبانيا .. كما أثار موضوع زيادة الاعتماد المخصص لنفق الشهيد أحمد حمدى عدة ملايين من الجنيهات ، بعد إقرار المشروع .. وكانت كلمات محمود القاضى ، تشكك فى سلامة عمل المهندس عثمان .. وهو وزير مسئول .

وكان من بين الاتهامات ، نشر اعلانات فى الصحف اليومية الثلاث ، تكلفت ثلاثين ألف جنيه .. بلا مبرر . وهى اساءة لاستخدام أموال الدولة فى الدعاية . وقد أرسلت ادارات الصحف الثلاث إلى المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب اثناء نظر الاستجواب ، بأن ما نشر ليس اعلانات .. وانما موضوعات تحريرية . ولم يكن ذلك صحيحا .

واستطاع المهندس عثمان أن يكسب الجولة فى رده ، على المهندس الدكتور محمود القاضى . وأعلن فى المجلس أن أسبانيا سحبت موافقتها على صفقة الحديد .. فلا موضع على الاطلاق للاستجواب

ولما تكهربت الأجواء بالنسبة لعثمان أحمد عثمان .. ذهب صديق للرئيس السادات ، بناء على موعد ، لزيارته فى الجيزة وتحدث الصديق طويلا عن الأقاويل التى تتردد عن علاقة الرئيس بالمهندس عثمان . وكان من بين ما قاله هذا الصديق للرئيس ... إن الشعب يحب الرئيس ، لأنه يرى فيه نموذجا للمصرى الطيب المكافح البسيط .. الشعب يحب السادات الذى عانى من الفقر ، واشتغل سائق لورى ، وحمال

أحجار، ولم يستطع أن يشترى الدواء لطفلته .. وماتت. ولذلك فإن ظهور المهندس عثمان صاحب الملايين مع الرئيس فى كل المناسبات، يخدش صورة السادات، لأنه أصبح صديق مليونير كبير.

واستمع السادات ولم يعلق.

ثم قال هذا الصديق: كما أن عثمان أحمد عثمان يستخدم أسمك كثيرا ياريس. دائما فى كل جلساته يقول .. الرئيس وافق على كذا. الرئيس رفض كذا .. وهذا مالا يجب أن يقال حتى لو حدث أمام عثمان.

ثم قال الصديق: وهناك واقعة غريبة .. إن شركة استثمار فرنسية دخلت فى مشروع مع المهندس عثمان. دون أن يعرض هذا المشروع على هيئة الاستثمار .. وهذه واقعة ثابتة، والشاهد عليها هو «فلان» .. وفلان هذا شخصية محترمة، متصلة بالاستثمار ويحترمه الرئيس السادات، ويعرف أنه لايكذب.

واستمع الرئيس لكل مايقوله الصديق، الذى لايشك السادات فى إخلاصه، ولم يعلق بشىء، ولم يظهر عليه أى غضب أو امتعاض من هذا النقد.

وبعد يومين .. كان الرئيس يلقى خطابا فى مجلس الشعب .. وفجأة خرج الرئيس عن النص المكتوب، وتحدث عن المهندس عثمان أحمد عثمان، ودافع عنه بكلمات قوية .. وهاجم المعارضين الذين ينشرون حوله الأقاويل .. وقال إنه هو ـــ أى السادات ـــ المقصود بهذا التشهير المتعمد.

وكان هذا الموقف مفاجأة كبرى للصديق .. الذى استقر رأيه، بعد ذلك، على عدم مفاتحة الرئيس فى موضوع علاقته بالمهندس عثمان أحمد عثمان .. واستمر صديقا للرئيس إلى أن مات، ورآه كثيرا ولم يتطرق حديثه مع الرئيس أبدا إلى علاقته بعثمان.

وعندما عدل ممدوح سالم وزارته، طلب منه المهندس عثمان أن يتولى منصب نائب رئيس وزراء. ولم يستجب ممدوح سالم إلى ذلك، وقال لعثمان إن هذا حق رئيس الدولة.

وكانت المفاجأة .. أن الرئيس طلب من المهندس عثمان، أن يترك المنصب الوزارى، وقد كان، وأسند إليه الرئيس مسئولية «التنمية الشعبية». لقد أسند إليه السادات هذه المسئولية بغير منصب رسمى وهذا يعنى أنه لا يمكن مساءلته دستوريا أمام مجلس الشعب، أو أمام الحكومة. وبدأ المهندس عثمان يعمل فى التنمية الشعبية .. أو الأمن الغذائى بنشاط كبير داخل الحزب. وكان يتصل بالوزراء وبالمحافظين ويحدد طلباته.

ونبه الرئيس إلى أن هذا الوضع غير دستورى .

ولكن كان همُّ السادات الأول أن يرى إنجازا .. ولذلك كان يعتمد على المهندس عثمان .. ولم يتخل عن صداقته .. حتى بعد أزمة كتاب عثمان أحمد عثمان ، الذى هاجم فيه عهد عبد الناصر .. واتهمه كما اتهم قيادات ثورة ٢٣ يوليو .. بأن الشركات الخاصة أو شركات القطاع العام ، كانت تبنى لهم الفيلات .. حتى بعد هذه الأزمة التى استمرت أكثر من شهر .. كانت العلاقات على وشك أن تعود الى مجراها الأول .. وأخطر المهندس عثمان صباح يوم ٦ أكتوبر بأنه سيسافر مع الرئيس على طائرته إلى وادى الراحة .. وبعد ذلك بساعات اغتيل السادات .

وعندما حان موعد انتخابات نقيب المهندسين .. كان قد تم اتفاق مع الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء . على أن يرشح المهندس أحمد محرم لمنصب النقيب . وفجأة أعلن عثمان أحمد عثمان عن ترشيحه .

وقد حاول صديقان للرئيس السادات التأثير على عثمان لكى يعدل عن هذا الترشيح ، حتى لايتيح الفرصة للأقاويل أن تتزايد عن علاقته بالرئيس .. وقيل له : الناس تردد أنك تريد أن « تكوِّش » على كل شىء .. ومنصب نقيب المهندسين لن يزيد منك شيئا .. فلماذا هذا الترشيح ؟ .

ولكن عثمان أصر على الترشيح .. وكانت حجته أنه تلقى رغبات عديدة من المهندسين لكى يرشح نفسه .

وبذل عثمان أحمد عثمان جهدا ضخما ، حتى نجح بغالبية ساحقة .. ولم يفلح خصومه فى النقابة أن ينالوا منه .

ولذلك فإن عثمان احمد عثمان ، أصر على ترشيح نفسه للمرة الثانية ، بعد وفاة السادات . ونجح باكتساح .. وكان يريد أن يثبت أن نجاحه فى المرة الأولى كان عن جدارة ، وأثبت ذلك فعلا .

وكان نجاحه الثانى ، ضربة ناجحة ، لكل الخصوم السياسيين والشيوعيين بالذات ، الذين حاولوا منذ وفاة السادات ، توجيه الاتهامات لعثمان أحمد عثمان ، بأنه أحد أسباب الفساد .. وقد ربطوا اسمه بقضية رشاد عثمان .. ثم بقضية عبد الحى .. ولكن لم يثبت أمام القضاء أى صلة فساد لعثمان بهذين المتهمين .

والحقيقة للتاريخ .. ان السادات لم يكن يدافع عن عثمان فى أى اجراء ترى الحكومة أنه خاطىء . وقد حدث فى عهد وزارة الدكتور مصطفى خليل ، أن تألفت جمعية تعاونية وزعت فيها أراض لاستصلاحها .. واعترض رئيس الوزراء على

المشروع ، وتقدم بمذكرة باعتراضه .. وتحدث الى الرئيس السادات ، الذى أشر عليها بعبارة « تحل هذه الجمعية » . (أنظر فصل مصطفى خليل) .

وفى رأيى أن خطأ عثمان أحمد عثمان الكبير ، أنه حاول أن يتحول من رجل أعمال الى رجل سياسة .. حقيقة أنه كان قادرا على النجاح فى الانتخابات فى مجلس الشعب وفى نقابة المهندسين للخدمات العامة التى يؤديها .. ولكن عضوية مجلس الشعب أو رياسة نقابة ، أو صداقته برئيس دولة لاتعنى تفهم أعماق العمل السياسى ..

ان كثيرين فى محيط العمل العام ، يحملون تقديرا ضخما لعثمان أحمد عثمان . وسمعت من مواقع متعددة ، أنهم يتمنون أن يكون فى مصر عشرات أمثال عثمان . إنه يعمل ، إنه ينجز . وياليتنا نرى الكثيرين . سمعت هذا من كثيرين .. ولكن النظرة هنا اليه كرجل أعمال لاكرجل سياسة . ولا أعرف ماذا دفع عثمان احمد عثمان الى العمل فى كواليس السياسة ؟ .. لعله كان يريد أن يثبت للسادات أنه قادر أيضا على الانجاز السياسى . لقد تدخل عثمان فى انتخابات ١٩٧٩ ، وبالذات فى دائرة محمود القاضى بالاسكندرية وفى دوائر أخرى . وحاول أن يكون له دور فى تهيئة علاقات طيبة بين النظام وبين الجماعات الاسلامية . وذلك اعتمادا على صلاته الوثيقة بعدد من قيادات الإخوان المسلمين . ولا أعتقد أنه نجح فى هذا المجال . وفى رحلة الرئيس السادات الى القدس ، طلب أن يسافر مع الرئيس الى القدس . وظهر اسمه فعلا فى الصحف فى الوفد المصرى . ولكن عدل الرئيس عن ذلك فى اليوم التالى . وتمكن عثمان — فى يوم السفر — من اقناع الرئيس بمرافقته فى الرحلة . وقال عثمان إن وفاءه للرئيس يمنعه أن يترك الرئيس يسافر وحده فى مثل هذه الرحلة الخطيرة . ولكن هذا الظهور المستمر مع الرئيس ، أتاح للمعارضة أن تهز صورة العلاقة بين السادات وعثمان أحمد عثمان .

ويبدو أن الرئيس قد تأثر بعض الشىء من كثرة ما تردد . كما أن أشخاصا عديدين قريبين من الرئيس كانوا يتابعون طرق موضوع هذه العلاقة مع الرئيس .. وسمع الرئيس من هؤلاء أن هذه العلاقة تؤثر فعلا فى رصيده لدى الجماهير .

ولذلك فعندما أصدر عثمان أحمد عثمان كتابه الذى روى فيه قصة حياته ، وهاجم نزاهة عبد الناصر وقيادات ثورة ٢٣ يوليو .. فإن الرئيس السادات غضب غضبا عنيفا .. وأعلن ثورته . وامتنع عن دعوة عثمان لزيارته . وأراد عثمان مخرجا من هذه الأزمة فقدم استقالته من الوزارة . وامتدح الرئيس هذا السلوك فى خطاب عام . وعندما أثارت المعارضة موضوع الكتاب فى مجلس الشعب وتألفت لجنة لتحقيق الموضوع ، كان المقدر لهذه اللجنة ألا تصدر تقريرها .. وأن تؤجل اجتماعاتها مرة بعد

المرة ، حتى « يموت الموضوع » ولكن التهاب الموضوع منع من ذلك . وأصدرت اللجنة تقريرها وفيه تنفى أن عثمان قصد تجريح الرئيس عبد الناصر . وطبعا كان تقرير اللجنة واضح المغالطة . ولكن الغريب أن المعارضة ساندت عثمان أحمد عثمان . وتحدث نائب رئيس حزب العمل المهندس حسن درة ودافع عن عثمان . وكذلك دافع عنه سيد جلال وأحمد يونس . ولم يتكلم ابراهيم شكرى . وهاجم احمد فرغلى عضو حزب العمل الكتاب ولكن هجومه كان ضعيفا .

وهكذا مرت الأزمة ..

وكثيرون لم يصدقوا أن أنور السادات لم يكن يعرف بموضوع الكتاب . ولكن هذه هى الحقيقة .

وقد حدث أن قال لى مصطفى أمين بعد ظهور الكتاب إنه من المؤكد أن الرئيس يعرف محتوياته وأنه وافق على نشره .

وكانت إجابتى لمصطفى أمين ، أننى رغم عدم علمى بالوقائع لأننى لم اسأل الرئيس ، فاننى واثق تماما أن انور السادات لم يطلع على الكتاب . وهذا فهمى للرئيس . إنه لايقبل أبدا أن يظهر كتاب يهاجم عبد الناصر ، وخاصة اذا كتبه صديق له أو شخص قريب منه .

واتصلت بالرئيس وسألته . ووجدته فى قمة الانفعال بعد أن قرأ فى الصحف ، بعض محتويات الكتاب ، لأن عددا من الصحفيين تصور أن السادات راض عن الكتاب ، فعلقوا بالتمجيد للكتاب .. ثم توقفوا بعد أن علموا أن السادات فى إحدى غضباته الكبرى .

وكانت غضبة صادقة فعلا .

وكان الرئيس يردد : طبعا لا أحد يمكن أن يتصور أن يصدر عثمان كتابا بدون علمى ! .

والحقيقة أن عثمان من قبل إصدار الكتاب باكثر من عام قال للرئيس وهما يمارسان رياضة المشى إنه ينوى إصدار كتاب يتحدث عن قصة كفاحه ، لكى يعطى أملا وقدوة للشباب . وأيد الرئيس ذلك ، ولكنه لم يكن ليتصور أن عثمان سوف يهاجم عبد الناصر حتى صدر الكتاب ، وكان صدمة بالغة للسادات .. الذى أعلن قطع علاقته بعثمان .. وتوسط كثيرون لتخفيف الوقع على السادات ، ولم يفلح تدخلهم .. ولما استقال عثمان هدأت ثائرة السادات .

وفى يوم ٦ أكتوبر قرر دعوة عثمان لاصطحابه إلى وادى الراحة فى اليوم التالى مع

المهندس الكفراوى .

وقد اختلف المهندس الكفـراوى مع عثمـان أحمد عثمـان .. واستمع الـرئيس السادات من الكفراوى الى أسباب الخلاف .. ولم يتحيز لعثمان . وكان الرئيس يقدر نزاهة الكفراوى وتفانيه فى عمله . وكان الخلاف بين الكفراوى وعثمان حول تكاليف مشروع الصالحية .. وحول تأخير « المقاولون العرب » لانشاء التوسعات فى مصنـع الاسمنت .. وبناء المصنع الجديد .. ممـا اضطر الحكـومة إلى استيـراد الأسمنت من الخارج .

ومات السادات ، ولم يكن هذا الخلاف قد حلَّ .

خلاصة القول .. من روايتى لقصة أشرف مروان .. ثم قصة عثمان أحمد عثمان مع اختلاف الموضوعين .. اننى أقصد توضيح جوانب خافية فى شخصية السادات .. وهو أنه لايهتم بأية أقاويل تثار حول شخص واحد يثق هو فى عمله وفى اخلاصه ونزاهته . وأنه يتحدى أصحاب الأقاويل بالاصرار على موقفه .. ولايهمه ماذا يكون رد الفعل مادام هو مقتنعا برأيه . وكان السادات ــ كما ذكرت ــ عنيدا فى ذلك كل العنـاد .. ولايعرف إلا القليلون أن السادات فى عناده فى غاية التصلب . ويصل فى ذلك الى آخر المدى .

ولست أدرى هل يذكر ذلك ، كاحدى حسنات السادات ، أو أحد أخطائه .. وعلى أية حال سواء كان ذلك من الحسنات أم من الاخطاء فإن الحقيقة التى يجب أن تسجل ، أن السادات كان منطقيا مع نفسه .. ولم يكن يتهيب الزوابع التى تثار .. بل كان يتصدى ويتحدى .

الجزء الثامن

المفترى عليه

الفصل الحادى والعشرون : الاغتيال الثانى للسادات

الفصل الحادى والعشرون

الاغتيال الثانى للسادات

* طلب إسقاط الجريمة :

محاولات إسقاط الجريمة عن قاتل السادات ــ جمعية بن بيلا فى باريس ــ رسالة بطلب العفو من فتحى رضوان وكمال الدين حسين .

* إتهام السادات بعدم الاشتراك فى الثورة :

عبد الناصر حقق هذا الاتهام ــ نص شهادة محسن عبد الخالق ــ اقتراض مبلغ الألف جنيه من يوسف رشاد ــ قصة الحرس الحديدى ــ براءة كاملة للسادات ــ اتصالات عبد الناصر بالسادات قبل الثورة ــ زيارتى ليوسف رشاد ــ كيف بدأت الصلة ؟ــ

* حكاية تبديد الآثار المصرية :

تقرير رسمى يؤكد أن عبد الناصر بدأ بإهداء الآثار التى لا قيمة لها لكبار الأجانب ــ رسالة من رئيس هيئة الآثار .

* قضـايا الفســاد :

السادات يأمر باعتقال شقيقة طلعت ــ فى مجلس الوزراء ــ اختفاء عصمت السادات فى أوائل الستينات ــ السادات يقابل شقيقة وفى يده مسدس ــ السادات قطع صلته مع صديق عمره ــ الشكاوى ضد شقيق السادات ــ المنع من دخول الميناء والمنع من السفر ــ قصة مناقصة الموالح ــ مع محافظ الفيوم ــ ورئيس مجلس مدينة فى الإسكندرية ــ حكاية الأمير مبارك الصباح ــ قضية عصمت السادات ــ الانفتاح واستغلال الثغرات ــ وجهة نظر السادات فى الفساد ــ عبد الناصر وقرارات الحراسة ــ تعديل قانون الضرائب ــ ملابسه وطعامه اليومى ــ فى منزل سيد مرعى ــ اسماعيل فهمى يعترض على قانون الهدايا .

الفصل الحادى والعشرون

الاغتيال الثانى لأنور السادات

رصاصات سامة عديدة انطلقت من أيد مختلفة المشارب والأهواء والغايات ، لكى ترتكب جريمة الاغتيال الثانى للسادات ، بعد أن تمت الجريمة الأولى .. ولقى الرجل ربه .

وإذا كانت رصاصات القاتل الإسلامبولى ، قد استقرت فى جسد السادات ، وانتزعت منه الحياة .. فإن هذه الرصاصات السامة التى انطلقت بعد موته ، أرادت أن تنتزع من حياة السادات كل تاريخها فى النضال الوطنى .

وبعض الذين اشتركوا فى جريمة الاغتيال الثانى للسادات ، حاول كثيرا ، أن يسقط الجريمة عن الإسلامبولى وشركائه .. وبذل جهودا لدى الرئيس حسنى مبارك لإلغاء عقوبة الإعدام بعد صدور الحكم بها من القضاء العسكرى . واشترك فى هذه المحاولات كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة الأسبق ، وفتحى رضوان المحامى قطب المعارضة المعروف . كما أن جمعية تكونت فى باريس برياسة بن بيلا ، اتخذت لأهدافها حماية مبادىء الإسلام ، طلبت الإذن لها بالحضور ، إلى القاهرة ، لمقابلة الرئيس حسنى مبارك .. وكان وسيطهم فى ذلك فتحى رضوان الذى أوصل مطلبهم إلى رياسة الجمهورية .. وأعتذر الرئيس حسنى مبارك عن عدم لقائهم إذا كان اللقاء لهذا الغرض .

وقد حدث فى أول جلسات محاكمة القتلة ، أن تردد قول بأن فتحى رضوان سيدافع عن المتهمين .. وجرى اتصال مع فتحى رضوان للتأكد من صحة ما تردد ، ونفى هو قبوله الدفاع ، ونسب ترديد هذا القول ، إلى زعم تطوع به أحد المحامين تحدث باسمه دون إذن منه .

ولكن فتحى رضوان شارك فى الجهود التى بذلت للعفو عن المتهمين .. وكتب رسالة خاصة ، موقعة منه ومن كمال الدين حسين .. قدماهـا إلى الرئيس حسنى مبارك بعد أيام من صدور الحكم .

وهذا هو نص الالتماس :

إلتماس مقدم إلى السيد رئيس الجمهورية
بشأن التصديق على الحكم الصادر
فى القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١ ،
عسكرية عليا

يا سيادة الرئيس

قضت المحكمة العسكرية العليا منذ أيام ، بعقوبة الموت على خمسة من المتهمين فى قضية مقتل الرئيس السابق المرحوم محمد أنور السادات ، وبعقوبات مختلفة على باقى المتهمين .

ولما كانت هذه القضية ، بكل ملابساتها وعناصرها ، ونتائجها ومقدماتها ، والموقع الذى جرت فيه ، والوقت الذى تمت أثناءه هى ثمرة حقبة كاملة من حياة مصر ، فى فترة من أشد فترات هذه الحياة السياسية : داخلية وخارجية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، ازدحاما بكبريات الأمور ، ولما كانت مصلحة البلاد — فيما نعتقد — تهمنا فى المقام الأول ، فقد نظرنا فى أمر هذه القضية ، وأمر المتهمين فيها ، ولا سيما من قضى عليهم منهم بحكم الموت ، ثم أمر المصلحة العامة ، فرأينا أول ما رأينا ، أن هؤلاء الشبان الصغار المحكوم عليهم بالموت ، لم تقم بينهم وبين السادات خصومة شخصية ، ولم يدفعهم إلى العمل الذى أقدموا عليه : طمع فى مال ، أو جاه أو نفوذ ، فقد كانت غايتهم — على ما ظهر من أقوالهم ، وما نشر من محتويات الدعوى ، والجزء المنشور من الحكم الصادر فيها — هى تحقيق العقيدة التى ملأت نفوسهم من جميع أقطارها ، والتى أوحت إليهم أن العمل الذى نفذوه فيها بعد دفاع عن الوطن ومصالحه الكبرى ، ورد للعوادى عنه ، وإصلاح ما أعوج وفسد من أموره . وقد استبد بهم هذا الإيمان ، حتى تم على أيديهم ما تم . وقد كان نظرنا هذا ، بعد التجرد من كل دافع أو حافز لا ترضى عنه بلادنا ، أو لا تقره تقاليدها الرفيعة ، ولسنا نزكى أنفسنا ، فالله وحده يزكى من يشاء من عباده .

يا سيادة الرئيس ..

اننا نؤمن — ككل المسلمين — أن القصاص شريعة الإسلام وأن التهاون فى التمسك به ، مضيع للأمة . وكلنا نؤمن أيضا أنه من أصول القوانين وقواعدها الأساسية ، أن لكل جريمة ظروفا ، وأن من هذه الظروف ، ما يخفف العقوبة المقررة للجريمة ، ومن هذه الظروف ما يعبر عنها . ففى القانون ، جرائم قتل يعفى مرتكبها من العقاب ، وفيه جرائم قتل ينخفض فيها الجزاء إلى الحبس ، وفى القانون نصوص عامة ، تقضى صراحة عند توافر ما نصت عليه أن تهبط المحكمة بالعقوبة إلى أدنى حد . والقاضى الذى يغمض عينيه عن تلك الظروف لا يؤدى واجبه على الوجه الصحيح .

ومن خصائص الشريعة الإسلامية السمحة ، أنها تطلب من قضاة الشرع ، أن يلتمسوا سبل النأى عن إيقاع العقاب ، أيا كان مقداره كلما وجدوا لذلك مخرجا سليما تطبيقا لقاعدة « ادرأوا الحدود بالشبهات » . وقد بلغ القضاء الاسلامى فى تطبيق هذه القاعدة مبلغا من حقه أن يفاخر به أنظمة القضاء الأخرى ، فقد أعفى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ،

رضى الله عنه ، غلمانا من حد القطع المقرر للسرقة ، لأنه وجد أن الذى يستخدمهم يجيعهم حتى دفعهم الى الجريمة . بل إنه أوقف هذا الحد لعام كامل ، هو عام المجاعة الذى شحت فيه الأرزاق وقلت الأقوات . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منع الحد خلال الحرب ، بقوله الشريف « لاقطع فى السفر» .

كل هذه أدلة وشواهد تؤكد أن شريعة المسلمين ، تقيم الظروف الملازمة للجريمة وزنها ، وليس فى هذا ــ بطبيعة الحال ــ تعطيل للشريعة ولا إشاعة للفتنة ، إنما هذا كله استلهام لروح القانون ، واستيحاء وهذا كله جزء لا ينفصل عن القانون لا يستقيم بغيره ، ولا يصلح المجتمع بسواه وفى مصر ، سوابق تعين على فهم هذا المبدأ ، ففى عهد الانجليز ، حين بلغ الطغيان أقصاه ، وكان إهدار دواعى الرحمة بغير تحرج ولا أناة ، أعفى الحكم البريطانى عبد الفتاح عنايت من عقوبة الموت ، بعد محاكمة ثبت فيها أنه شارك فى قتل العديد من رجالات الانجليز عسكريين ومدنيين ، لمجرد أن أخاه المرحوم عبد الحميد عنايت ، حكم عليه بنفس عقوبة الموت ، بذات الحكم ، فكبر على الانجليز أن يقتلوا شقيقين فى حكم واحد ، وينفذوا الحكم فيهما فى يوم واحد .

كما اتهم شابان بقتل مستشار مصرى عظيم ، له سابقة فى العمل الوطنى ، هو المرحوم المستشار أحمد الخازندار ، فكان مبرر قتله عند قاتليه ، أنه أصدر حكما قاسيا فى قضية وطنية . وكان الظن عند جميع الناس ، أن المستشارين الذين ينظرون قضية هذين الشابين لن يقضوا عليهما بأقل من عقوبة القتل ، لأن قتل قاض اعتراضا على حكم أصدره سيلغى معنى القضاء ، ويتحدى رسالته . ولكن المحكمة التى حاكمت الشابين أعفتهما من عقوبة الموت ، تقديرا لظروف تلك الفترة ، التى سادها اضطراب فى النفوس بسبب القلق الوطنى ولم تمضى إلا سنوات قليلة حتى أطلقت حكومة الثورة – وكان من أعضائها الرئيس القتيل السادات نفسه – سراح هذين الشابين ، وهما إلى الآن يتمتعان بحريتهما ، ولم يسمع أحد عنهما سوءا . ومما يجب ذكره هنا أنه لم تقع بعد ذلك العفو أية جريمة مشابهة . فلم يعتد على قاض حتى بمجرد اللفظ النابى ، بما يقطع بأن الجرائم ثمرة الظروف العامة ، والقهر والعنف ، وسوء الأحوال .

سيادة الرئيس :

إن دول العالم كلها ألغت تقريبا عقوبة الموت ، ولاسيما مايصدر فى القضايا السياسية . ولكن الاسلام سبق هذه الدول جميعا بما قرره فى شريعته السمحة ، من أن ولى الدم يملك دائما أن يعفو عن القاتل مقابل ديه يقتضيها وبغير ديه . وقد حدث فور اغتيال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن طاش صواب ابنه حزنا على أبيه ، وغضبا على قاتليه ، فقتل اثنين أو ثلاثة من زمرة القاتل . هناك تنادى صحابة رسول الله بوجوب نفاذ الحد فى ابن الخليفه الثانى . ولكن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قدر الظروف السياسية المحيطة بالأمر وقتذاك ، فرفع الحد عن ابن عمر ودفع دية من بيت المال وقال إنه ولى الدم .

يا سيادة الرئيس :

إن المادة ١٤٩ من الدستور ، قد خولت لرئيس الجمهورية حق العفو عن العقوبة أو تخفيضها . ونحن استنادا إلى هذا النص ، أى استنادا إلى قانون القوانين ، نتجه إليك لتستعمل هذا الحق ، فى حالة لا نحسب أن مصر شهدت حالة تستوجب استعمال هذا الحق أكثر منها .

فنحن أولا فى نطاق الدستور والقانون ، حيث نلتمس منك العفو عن هؤلاء الشبان ، الذين اثبتت وقائع الدعوى ، أنهم مؤمنون بما فعلوا ، فقد ظهروا فى أشد المواقف حروجة رابطى الجأش ، حاضرى الذهن ، حسنى التدبير .. وهى أمور لا تتوافر لقاتل إلا وهو يؤمن بأنه نذر نفسه ودمه وروحه لمثل أعلى .

ولا نحسب اننا نتجنى على الحق والواقع ، إذا قلنا ان سيرة الرئيس السابق فى الحكم ، ولا سيما فى السنوات الأخيرة ، وتعطيله للحرية دفعة واحدة ، وهى الحرية التى طالما تغنى بأنه حاميها ومحاميها ، وزجه لأصحاب الرأى بالمئات أو الألوف من كل لون وسن ودين فى السجون ، والاسراف فى تعذيبهم وإيذاء ذويهم وإهاناته المستمرة لشيوخ وعلماء الاسلام ، مما أثار غضب وحنق الأمة فى مصر وخارجها ، دع عنك ما جرى فى إدارة الشئون العامة ، التى ضاعفت فى أزمات الشعب وسوء حالـه .. مما فـاضت به التقـارير الـرسمية والأحكـام القضائية ، بل أكدتموه أنفسكم بالتعهد بالضرب على أيدى المستغلين والمرتشين والذين يعطون العمولات والذين يتقاضونها (بل) ــ مشـطوبة ــ ولا نحسب أننـا نتجنى على الحق ، إذا قلنا إن هذا كله قد أرهق بلا شك ولا شبهة أعصاب هؤلاء الشبان الصغار ، وهم فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، وكان المستقبل أمامهم مديدا ، وكان الأمل فى نجاحهم وتفوقهم عظيما ، لما يتمتعون به من المواهب ، والفضائل .

فإذا كان قضاتهم ، قد رأوا أنهم يستحقون أقصى العقوبة ، فأنتم ــ بحكم مكانتكم الكبيرة وإدراككم لما يظهر ويختفى من الاعتبارات التى لا يجوز أن تهمـل ــ جديـرون بالتخفيف فى الحكم ليكون الحكم إلى العدل أقرب ، وإلى الرحمة أدنى .

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام ،،،

كمال الدين حسين ــ فتحى رضوان

السادات لم يشترك فى الثورة !

أعود فأقول إن الاغتيال الثانى للسادات ، حاول أن يجرد تاريخ أنور السادات من كل شىء ، وكأنه ظهر نبتا شيطانيا واختفى .

وكانت أكبر الاتهامات أنه لم يشترك فى ثورة ٢٣ يوليو .. وأنه تهرب من المسئولية

ليلة الثورة ، رغم مرور جمال عبد الناصر عليه فى منزله فى تلك الليلة . كما انه كان من رجال الملك .. وعضو فى الحرس الحديدى الذى انشأه الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص لفاروق والضابط السابق فى الجيش .. وكان هذا الحرس يعمل ضد الحركة الوطنية ، وأنه تقاضى على ذلك أجرا من يوسف رشاد هو مبلغ (ألف) ١٠٠٠ جنيه وجد الدليل عليه بعد نشوب الثورة .

ولكن من أطلقوا هذه الاتهامات ، لم يكونوا ليعلموا ، أن هذا التشكيك سرى كاشاعات بين عدد من الضباط الأحرار بعد نشوب الثورة .. وبعد أن وجدوا أن أنور السادات هو الذى أذاع بيان الثورة من الإذاعة ، وأنه هو الذى ذهب إلى على ماهر باسم الثورة وعرض عليه رياسة الوزارة وأنه هو الذى توجه إلى الإسكندرية وطلب باسم الثورة من على ماهر أن يوقع الملك تنازلا عن العرش .

لم يعلم موجهو هذه الاتهامات ، أن جمال عبد الناصر ، أمر بتحقيقها تحقيقا شاملا ، هى وغيرها من الاتهامات .. حتى يقطع دابر اتهام أحد بالباطل .. وكان عبد الناصر قد كلف بذلك الضابط محسن عبد الخالق وكان من طليعة الضباط الأحرار وموضع الثقة الأولى لعبد الناصر (وهو يعمل الآن أستاذا للعلوم السياسية بعد أن كان سفيرا لمصر فى اليابان) .

وهذه هى نص شهادة محسن عبد الخالق :

«قد لا يعرف الكثيرون أن جمال عبد الناصر (رحمه الله كوّن لجنة بعد الثورة مباشرة لجمع المعلومات والتأكد من بعض الأمور والتحقيق فيما قيل عن بعض التصرفات ، وكنت سكرتيرا لهذه اللجنة بل كنت فى الواقع هو من أنيط به جمع المعلومات وحفظها ومناقشتها مع عبد الناصر .

وواقعة اشتراك أنور السادات فى الثورة هى كالآتى :

- ارسل جمال عبد الناصر حسن ابراهيم (بالطائرة) لإبلاغ أنور السادات بالحضور إلى القاهرة قبل يوم ٢٢ يولية .
- حضر أنور السادات ولما لم يجد خبرا أو رسالة من جمال عبد الناصر حتى حوالى الساعة الثامنة أو التاسعة اصطحب زوجته إلى السينما وترك خبرا لدى البواب باسم السينما وأبلغه أنه إذا حضر أى شخص له وترك رسالة أن يحضرها إلى السينما (مدير السينما) .
- ابلغ السادات مدير السينما بأنه فى الداخل وأنه ينتظر صديقا أو رسالة منه ورجاه أن يخبره إذا حدث ذلك .
- ذهب جمال عبد الناصر لأنور السادات (كانت الثورة قد عرفت) وترك رسالة سريعة للبواب .

- لم يتصرف البواب .
- انتهت السينما وخرج أنور حوالى الساعة ١٢,٤٥ أو ١٢,٣٠ بعد منتصف الليل .
- وجد رسالة جمال عبد الناصر ، فلبس الملابس العسكرية وذهب فورا إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة .
- عند طرف كوبرى القبة وقبل بدء عملية الهجوم على القيادة (الهجوم كان حوالى الساعة الواحدة صباح ٢٣ يولية) كان الملازم أول (سفير الآن) محمود عباس عبد الهادى من كتيبة مدافع الماكينة قيادة يوسف منصور واقفا للقبض على قواد الجيش ومنعهم من الذهاب إلى وحداتهم .
- وصل أنور السادات فى ذلك الوقت أى حوالى الساعة الواحدة . وقد تأكد وصوله قبل بدء الهجوم .
- سأل أنور م . أول محمود عباس عما يحدث فردّ عليه : كما ترى .

أنور : طيب إيه الموضوع ؟

محمود : إنت عايز تعرف طيب تعالى معاى

وقبض عليه وأوقفه بجانب الكوبرى ووضع عليه حراسة بالسونكى .

أنور : « سمع صوت عبد الناصر » فنادى عليه . وطلب من محمود عباس أن يأخذه اليه .

محمود .. وافق وأخذه لجمال عبد الناصر .

تقابل أنور مع جمال وكان معه عبد الحكيم عامر واتجهوا هم الثلاثة إلى مبنى القيادة . وكان ذلك قبل الهجوم .

- الهجوم على القيادة استشهد فيه جنديان .
- للعلم – الذى اقتحم القيادة هو م . أول اسماعيل شريف بفصيلة رقم (٢) . وتقدم يوسف منصور ومعه عبد الحكيم فصعدا إلى الدور الأول حيث كان مكتب حسين فريد وانضم اليهم محمود عباس .
- وصول يوسف منصور إلى مبنى القيادة كان حوالى الساعة الواحدة أو بعدها بقليل ومعه عبد الحكيم . المهم أن أنور تقابل مع عبد الحكيم قبل الاقتحام وذهب معه إلى مبنى القيادة ودخل بعد الاقتحام المسلح كما دخل عبد الحكيم . وعليه فواقعة أن السادات لم يصل إلى القيادة إلا فى الساعة الثالثة صباحا واقعة مكذوبة .
- يقول محمد البلتاجى (المحافظ السابق) بأنه عندما دخل وجماعته قيادة الجيش (كانت اسمها وقتذاك ادارة الجيش) امرهم جمال عبد الناصر بفتح المكاتب وتوزيع الضباط (ضباط الثورة) عليها .

إسماعيل فريد احتل مكتبه جمال صابر أركان حرب الإدارة .

عباس رضوان المكتب الأمامى .

البلتاجى وعباس ذهبا إلى التحويلة (التليفونات) فوجدا أنور السادات خارجا منها .

إذن فواقعة الاشتراك ثابتة بشهودها ومنهم الأحياء الآن ، وقد تبيننا منها وقتها لأنه كان

هناك تندر بذهاب انور السادات الى السينما والثورة ستقوم وكان يقال : « يا أخي أعصابه باردة .. اما موضوع الاشتراك فهو ثابت وقبل اقتحام مقر القيادة .

أما عن واقعة العثور في مكتب المرحوم الدكتور يوسف رشاد على ما يثبت أن أنور السادات قد أخذ منه ألف جنيه . فقد ثبت من التحقيق الذي أجراه محسن عبد الخالق ، وقدمه الى عبد الناصر واقتنع به ، انها مسألة شخصية بين السادات .. وصديقه يوسف رشاد . فقد كان السادات يواجه معاناة قاسية واقترض منه هذا المبلغ .. كما اقترض مبلغا مماثلا .. وهو الذي كتب الى يوسف رشاد يطلب القرض .

وقد ضاقت سبل الحياة بيوسف رشاد بعد الثورة ، فأرسل له عبد الحكيم عامر مبلغ ألف جنيه .. كما أن أنور السادات قدم مبلغاً من المال الى كريمة يوسف رشاد عند زواجها بعد الثورة .

ويتابع محسن عبدالخالق شهادته عن موضوع الحرس الحديدي ، فيقول : « من هم أفراد الحرس الحديدي أولا ؟ » .. ومن أين أتى هذا الاسم ثانياً ؟..

لا أحد يناقش في أن الملك فاروق كان محبوباً على الأقل حتى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ . ومازلت أذكر ـ وأنا طالب ـ كيف خرجنا أفواجاً من البشر لمشاهدة الملك بعد عودته من حادثة القصاصين .

فالملك في وقت ما كان محبوباً ووطنياً ورمزاً للشباب .. وأظن أنه لم يكن عيباً في ذلك الوقت الانتماء إلى الملك .

كان الملك ضد الإنجليز ومصر كلها ضد الانجليز . وكثير من المصريين كانوا يتمنون انتصار المحور . كما كان عزيز المصري محوراً التف حوله جمهرة من الشباب المثقف الوطني وشباب الضباط حسين ذو الفقار صبري .. حسن ابراهيم .. المرحوم الطيار أحمد سعودي .. الخ .

وكان من هؤلاء أنور السادات .

وكان اشتراكه في الحركة الوطنية ومدخله إليها هي كراهيته للانجليز ومناصرته المانيا والاعجاب بها . وعن طريق عبدالمغني سعيد (على ما أذكر) اشترك هو والطيار حسن عزت في معاونة أبلر (حسين جعفر) وساندي ، وهي شبكة الجاسوسية الألمانية في الشرق الأوسط .

وقبض على أبلر في عوامة حكمت فهمي .. وبالتالي قبض على أنور السادات وحسن عزت .

والواقع ـ بعد ذلك ـ أن أبلر قبل أن يتعاون مع الانجليز وأعطاهم أسماء كل أفراد الشبكة الألمانية في الشرق الأوسط نظير عدم محاكمته . وقد كان . وأظهر أبلر تعاونه مع الانجليز .

وطرد أنور السادات وحسن عزت من الجيش والطيران في ٨ أكتوبر ١٩٤٢ ثم اعتقلا ، أي أن ذلك تم في عهد وزارة الوفد وبضغط من الانجليز .

وهذا يفسر لنا سر كراهية أنور السادات للوفد والانجليز . وكان من الطبيعي أن ينشأ تعاطف بين القصر الملكي وبين هذه المجموعة من الشباب وهذه بداية الصلة .

وتحول التعاطف إلى علاقة خصوصاً بعد عمل دكتور يوسف رشاد فى القصر وهو صديق قديم لأنور . ومع معاناة أنور وحاجته وظروفه الصعبة وفقره - إذا جاز لنا أن نقول هذا - أضطر إلى أن يلجأ إلى صديقه يوسف . وتطورت العلاقة .. ولكن تركزت عاطفة أنور الوطنية فى أمرين : كراهية الوفد .. وكراهية الانجليز .

وظهر ذلك فى اتهامه بقتل أمين عثمان .

واستمرت علاقة السادات بيوسف رشاد . وبدأ يوسف ، وهو ضابطٌ وطبيب يحاول أن تكون له شلة من الضباط الشبان تلتف بالملك وتكون حزبه العسكرى .. وكانت هناك مقولة بأن الملك « كويس » ووطنى ولكن المصيبة هى من الملتفين حوله .. وانضم مجموعة من خيرة ضباط الجيش إلى يوسف .

براءة الحرس الحديدى

وهذه المجموعة لم تفعل شيئاً ضاراً بالجيش أبداً ، ولم تتجسس أبداً على ضباط الجيش .. وكنا نحن الضباط .. الأحرار نعرفهم بالاسم .. وهم يعرفوننا .. ونحن الذين سميناهم الحرس الحديدى . وكان بعضهم يبلغنا بأخبار السراى . وأقول لو كان أحد ضباط الحرس الحديدى يتجسس علينا لأضروا بواحد منا مثلا ولو بنقله ولكن لم تقع حادثة واحدةْ .

واشترك بعض ضباط الحرس الحديدى فى الثورة أى خرجوا ليلة ٢٣ يولية . وبعدها حدثت مشكلة وأقاويل حول الحرس الحديدى فكلفنى جمال عبدالناصر بالذات بتولى الموضوع والتحقيق وجمع المعلومات .. وسلمت التقرير النهائى له .. وبرأنا الحرس الحديدى من الأعمال الضارة بالوطن ، وإن كنا مختلفين معه - أى معْ الحرس — فى المبدأ السياسى أو فى الأسلوب السياسى أو النهج السياسى .

براءة كاملة للسادات

ويمضى محسن عبد الخالق فى شهادته للتاريخ :

بعد أن ترددت حكاية السينما وحكاية الألف جنيه وحكاية الحرس الحديدى .. وكل ذلك بعد قيام الثورة بأسابيع قليلة ، وأعتقد أن ذلك كان فى شهر أغسطس أو ديسمبر ١٩٥٢ ، طلب منى جمال عبدالناصر إعداد تقارير كاملة عن هذه الموضوعات مع غيرها وخاصة بآخرين . وفى يوم من الأيام - بعد إعداد هذه التقارير - فوجئت بجمال عبد الناصر يعقد جلسة أشبه بالمساءلة وكان موجوداً فيها : فتح الله رفعت رئيس مجلس إدارة مؤسسة الائتمان الزراعى وعضو مجلس الشعب .. وطلب منى جمال عبدالناصر فتح المناقشة فى هذه الموضوعات كلها . بل

كنت أشبه ما يكون بممثل الادعاء . ثم استدعى أنور السادات من خارج الغرفة واعدنا العرض ، وقام أنور السادات بالرد على كل ذلك ـ أى على النقاط التى أثيرت ـ وبالدليل ومستشهداً بجمال عبد الناصر نفسه الذى ردّ على كل التساؤلات بنفسه مبرئاً أنور السادات تبرئة كاملة . هذا ما حدث . بل واتخذ جمال عبدالناصر قراره فى كل أعضاء الحرس الحديدى وفى الموضوعات الأخرى التى كانت مثارة وانتهى الأمر .

والذى أقوله : إن أنور السادات اشترك فى الثورة بالدليل ، وان جمال عبدالناصر كان على علم بالاتصال بين أنور السادات ويوسف رشاد . بل وقام بتنفيذ أشياء طلبها منه جمال عبدالناصر . بل ثبت لدىّ من أقوال يوسف رشاد وزوجته ، أن أنور السادات ، لم يبلغهما يوماً بما يجرى فى الجيش أو بأسماء ضباط بل « نوّمها » على حد تعبيرها .

صلة السادات بالثورة

ويشهد محسن عبدالخالق عن صلة أنور السادات بضباط الثورة : الذى أعرفه شخصياً أن أنور السادات كان بعيداً عن الجيش من ٨ أكتوبر ١٩٤٢ حتى عودته للجيش فى ١٥ يناير ١٩٥٠ . وكنت وقتها قد عدت من حرب فلسطين وعينت مدرساً لمادة المدفعية فى مدرسة المشاة .. وحضر أنور السادات فى دورة دراسية بالمدرسة فى صيف هذا العام واتصلت به وأبلغت جمال عبدالناصر .. فأبلغنى بالحرف الواحد أنه على صلة به وأنه قد ضمه إلى الضباط الأحرار وأنه ـ أى أنور ـ خبرة سياسية كبيرة .. وقد ذكر لى المرحوم كمال رفعت فى لندن أنه تقابل مع أنور السادات فى العريش عام ١٩٥٠ وكان قائد ثانى وحدة الاشارة وذكر المرحوم كمال بأن جمال عبدالناصر أبلغه بالاتصال بأنور والاعتماد عليه لأنه من الضباط الأحرار .

وعلى ذلك فالثابت أن أنور السادات انضم لحركة الضباط الأحرار بعد رجوعه للجيش مباشرة أو بعدها بوقت قصير .

أما مسألة عضويته للجنة القيادة والتى أصبحت فيما بعد مجلس قيادة الثورة فهى كالآتى : ـ

* اللجنة تكونت فى البداية من : عبدالمنعم عبدالرؤوف ـ جمال عبدالناصر ـ حسن ابراهيم ـ كمال الدين حسين ـ خالد محيى الدين .. ثم انفصل عبدالمنعم عبدالرؤوف لارتباطه الشديد بجماعة الأخوان .
* انضم إليها عبدالحكيم ـ صلاح سالم فى صيف ١٩٤٩ .
* عبداللطيف بغدادى عن طريق حسن ابراهيم أواخر عام ١٩٤٩ ، أو أوائل عام ١٩٥٠ .
* جمال سالم بعد عودته من انجلترا عام ٥٠ وقد ضمه بغدادى . .
* أنور السادات انضم عام ١٩٥١ والذى ضمه هو جمال عبد الناصر . وهؤلاء هم الضباط التسعة بعد خروج عبد المنعم عبد الرؤوف ويسأل الاستاذ مصطفى أمين عندما نشر فى

« أخبار اليوم » عن سر الضباط التسعة » وعمن ابلغه هذا السر للنشر .. فالذى ابلغ مصطفى هو جمال عبد الناصر نفسه .

أما التسمية نفسها أى إطلاق اسم الضباط الاحرار فالذى أطلقه هو الأخ العزيز جمال منصور ــ مساعد وزير الخارجية الآن ــ فهو الذى اشترى الآلة الكاتبة باسم أخيه سعد منصور (٣٣ج) وهو الذى كان يكتب المنشورات ويوزعها لفترة طويلة الى أن طلب جمال عبد الناصر أن تكون عنده ــ أى تحت تصرفه ــ فسلمها جمال منصور لحسن ابراهيم (مطعم سفير بمصر الجديدة) .

انتهت شهادة محسن عبد الخالق التى كتبها بخط يده ، بعد أن ظهر كتاب محمد حسنين هيكل الذى امتلأ بهذه الأكاذيب .

وقد قمت بتحقيق واقعة السادات بيوسف رشاد بنفسى ، وزرت المرحوم الدكتور يوسف رشاد فى منزله قبل وفاته وقد كان يسكن شقة بالدور الأول فى منزله بالجيزة . وكانت له شقة فى شارع النيل يؤجرها مفروشة .. ولا تزال تؤجر مفروشة لصالح أرملته السيدة ناهد رشاد .

وتأكد لدىّ أن مجلس الثورة كان قد ناقش القبض على يوسف رشاد واعتقاله بعد الثورة واعترض السادات على ذلك ، ولما وجد إصرارا من البعض أعلن أنه يستقيل من مجلس الثورة إذا مس يوسف رشاد وروى لهم الخدمات التى قدمها يوسف رشاد له وأفادت الضباط الأحرار فى معلومات هامة كان السادات يوصلها إلى عبد الناصر .

وقد سدد السادات الدين الذى كان قد اقترضه من يوسف رشاد ، كما عاون يوسف رشاد فى إيجاد وظيفة له فى إحدى الشركات . وكانت السيدة جيهان السادات دائمة الزيارة ليوسف رشاد وزوجته ناهد وقدمت لها مساعدات مالية مستمرة وخاصة عند زواج ابنتها . وكان السادات يرسل الهدايا باستمرار إلى يوسف رشاد وأهمها أجهزة الراديو والكاسيت التى كان يهواها يوسف رشاد . وكلما تلقى السادات هدّية من هذا النوع كان يقول لأبنائه : ابعتوا يا ولاد الحاجات دى ليوسف رشاد .

وطوال علاقة السادات بيوسف رشاد لم يعلم الثانى أى شيء عن وجود تنظيم للضباط الأحرار يستعد للقيام بثورة . وقد بدأت صلة السادات بيوسف رشاد فى أوائل الأربعينات عندما كان السادات ضابطا فى سلاح الاشارة فى مرسى مطروح . وكان يوسف رشاد ضابطا طبيبا . وذات ليلة علم يوسف رشاد بمرض زوجته ، وطلب من السادات أن يتصل بها عن طريق أجهزة سلاح الاشارة ورحب السادات بذلك ، واستمر يوسف رشاد يتصل بزوجته طوال الليل . ومنذ ذلك الحين نشأت صداقة وطيدة بينهما . وتدعمت هذه الصداقة بسبب هواية أنور السادات للغات .. وكان فى ذلك

الوقت يقرأ كتبا بالانجليزية التى يجيدها يوسف رشاد . وكان السادات يلجأ اليه فى الاستفسار عن معانى بعض الكلمات التى لم يكن يعرفها . واستمرت هذه الصلة ولم تنقطع بعد أن تولى السادات كل مناصبه الثورية حتى أصبح رئيسا للجمهورية .

وبعد وفاة السادات .. ووفاة يوسف رشاد .. لا تزال الصلة مستمرة بين السيدة جيهان والسيدة ناهد رشاد التى تسكن الآن فى بيت للمسنين .

السادات .. بدد الآثار المصرية !

ومن بين اتهامات الاغتيال الثانى للسادات بعد موته .. أنه فرط فى الآثار المصرية واعتبرها مالا مباحا وأخذ يهديها لرؤساء الدول والضيوف الأجانب وزوجاتهم !

وحقيقة الأمر من واقع الوثائق الرسمية والمستندات التى حصلت عليها . وقدمها لى الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار — أن تقليد إهداء بعض القطع التى ليست لها قيمة أثرية أو تحفية بدأه جمال عبد الناصر . وهى قطع صغيرة يوجد من بعضها آلاف مكررة .. كما أنها مثمنة بلجنة من مصلحة الآثار أمر بها الدكتور ثروت عكاشة عندما كان وزيرا للثقافة .. كما أن مثل هذه القطع موجود فى الأسواق ويباع لدى تجار الآثار ، فى ظل القانون . كما أن قانون الآثار يبيح فى نصه حق الإهداء لمدير مصلحة الآثار ولا يحتاج الأمر حتى إلى قرار من الوزير .

* وكانت أول هدية قدمها عبد الناصر فى ١٩٥٣/٧/٧ لوزير من النمسا وهى تمثال من الحجر الجيرى (ثمنه ١٥٠ جنيها) .
* ثم قدم عبد الناصر هدية أخرى فى ١٩٦٥/٨/١٤ إلى الإتحاد السوفيتى والهدية هى إناء من المرمر .. ومسجل فى الكشوف الرسمية أنها بناء على طلب ديوان كبير الأمناء بتاريخ ١٩٦٥/٨/١٤ بموافقة رئيس الجمهورية (جمال عبد الناصر) .
* ثم هدية أخرى عبارة عن طبق من المرمر قدمت فى ١٩٦٦/٢/٩ إلى المستر كواشيا المبعوث الشخصى لرئيس حكومة اليابان .
* ثم هدية أخرى فى ١٩٦٦/٢/١ إلى المتحف القومى بطوكيو وهى إناء من المرمر .
* م هدية أخرى فى ١٩٦٦/٢/٢١ (إناء من المرمر) إلى لوندن جونسون . (الرئيس الأمريكى)

* ثم هدية أخرى إلى إليكس كوسيجين فى ١٩٦٦/٥/٩ قدمها له أيضا الرئيس جمال عبد الناصر .. ومسجل فى الكشوف الرسمية أنها بناء على إفادة من كبير الأمناء رقم ٦٢٢ فى ١٩٦٦/٣/١٤ .

* ثم هدية أخرى فى ١٩٦٧/٨/٢٤ إلى قداسة البابا فى الفاتيكان ومسجل فى الكشوف الرسمية أنها بناء على تعليمات رئيس الجمهورية الرئيس جمال عبد الناصر .

* ثم هدية أخرى فى ١٩٦٩/١/٢ إلى هيئة اليونسكو بالمقر الدائم لها بباريس وهى تمثال من الحجر الجيرى بقرار الرئيس عبد الناصر رقم ١٤٤٧ ، سنة ٦٨ فى ١٩٦٨/١٠/٢٠ .

* ثم هدية أخرى هى إناء من المرمر إلى الجنرال فرانكو رئيس جمهورية أسبانيا فى ١٩٦٩/٢/٢٥ ومسجل فى الكشف الرسمى أنها بخطاب ديوان كبير الأمناء بتاريخ ١٩٦٩/٢/٢٥ بموافقة رئيس الجمهورية الرئيس جمال عبد الناصر .

* ثم هدية أخرى من الرئيس جمال عبد الناصر (إناء من المرمر) إلى ملكة هولندا فى ١٩٦٩/٦/١٤ ومسجل فى الكشف الرسمى أنها بخطاب ديوان كبير الأمناء رقم ٩٦٧ فى ١٩٦٩/٦/١٤ بموافقة رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر ..
.. إلى آخره .. إلى آخره ..

وقد تفضل رئيس هيئة الآثار العالم الكبير الدكتور أحمد قدرى برسالة سجل فيها أن كل هذه القطع وغيرها بالآلآف موضوعة فى قاعة خاصة اسمها « قاعة ٥٦ بيع » ولها سجلات خاصة وسجلات بيع ولم تعتبر « عهدة متحفية » للمتحف المصرى بل هى عهدة « عادية مخزنية » لعدم اعتبارها ذات قيمة متحفية أو أثرية أو علمية .

وتقول الرسالة « .. وقد تم تثمين الآلآف من هذه القطع بواسطة اللجان المشكلة واضعين فى الاعتبار التغليف والعمالة وعلب البيع .. الخ .. والأثمان تتراوح بين ٨٠ دولارا و ٢٠٠٠ دولار على الأكثر للقلة من هذه القطع وهى هدايا رمزية بكل المقاييس .

ثم تقول رسالة الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار : « ليس هناك عقد واحد مما تم إهداؤه ــ يعتبر حليًا وله قيمة علمية أو أثرية . بل مكون من تجميع خرز سائب من عشرات المواقع وهذه العقود مثمنة فى حدود ٢٠٠ دولار . كما أن تجار الآثار المصرح لهم طبقا للقانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ بالبيع رسميا ــ حتى الآن ــ يملكون مئات الألوف من القطع الأثرية بأسعار أرخص من الأسعار المثمنة من اللجنة رغم أنها غير مجمعة اعتباطيا كتلك الموجودة فى صالة البيع رقم ٥٦ بالمتحف » .

« وكان يمكن لرياسة الجمهورية شراء آثار من السوق قانونا وإهداؤها دون أى حرج مثلها فى ذلك مثل أى مشتر عام .. ولكن من الأوفر للدولة بالفعل الاستعانة فى الإهداءات بقطع صالة البيع ٥٦ المشار إليها لأنها لا تكلف شيئا .. ولا تمثل قيمة حقيقية يعتز بها » .

ومن حق أنور السادات على التاريخ أن أسجل الشهادة الكاملة للدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار :

١ - فى عام ١٩٦٤ نبتت فكرة استغلال مخلفات الحفائر المحطمة أو الخرز المتراكم بالجوالات لبيعها للسياح للإسهام فى تمويل مشروعات الآثار ، وتشكلت لجنة لهذا الغرض من : الدكتور عبد المنعم أبو بكر أستاذ الآثار وعميد كلية الآداب الأسبق والدكتور أحمد فخرى أستاذ الآثار . والمرحوم جمال سالم وكيل المتحف المصرى الأسبق . وإبراهيم النواوى مدير المتحف المصرى الأسبق . ومحمد محسن مدير المتحف المصرى الأسبق . وغيرهم من علماء الآثار ، بأوامر من الدكتور ثروت عكاشة وقامت اللجنة بالإشراف على تجميع الكسر والخرز الذى لا يمثل قيمة علمية أو أثرية أو تاريخية أو متحفية وتم توثيقه بطريقة محكمة لعمل نقود وأوانى وتماثيل ، فضلا عن اختيار القطع المكررة تماما الصغيرة من البرونز ، لبعض تماثيل أوزيرس أو الآله تحوتى ومنها عشرات الآلآف فى المتحف ولدى تجار الآثار المصرح لهم بالإتجار قانونا . ولما عدل عن المشروع بسبب هجوم الصحافة الإسرائيلية فى ذلك الوقت بأن مصر تبيع آثارها بسبب الأزمة الإقتصادية عدل عن فكرة البيع فوضعت القطع الموثقة والمستحدثة هذه فى قاعة خاصة ـ قاعة ٥٦ بيع ـ فى سجلات خاصة وسجلات بيع ـ ولم تعتبر عهدة متحفية للمتحف المصرى بل عهدة عادية مخزنية لعدم اعتبارها ذات قيمة متحفية أو أثرية أو علمية . وتم تثمين الآلاف من هذه القطع بواسطة اللجان المشكلة واضعين فى الاعتبار التغليف والعمالة وعلب البيع .... إلخ . وكان المشروع قد اتخذ خطوة تنفيذية بالفعل قبل العدول عنه والأثمان تتراوح بين ٨٠ دولارا و ٢٠٠٠ دولار على الأكثر للقلة من هذه القطع .

وهى هدايا رمزية بكل المقاييس .

٢ - ليس هناك عقد واحد منها ، يعتبر حلى له قيمة علمية أو أثرية بل مكون من تجميع خرز سائب من عشرات المواقع . وهذه العقود مثمنة فى حدود ٢٠٠ دولار أو أكثر فى بعض الأحيان .

٣ - تجار الآثار المصرح لهم طبقا للقانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ ، بالبيع رسميا حتى الآن يملكون مئات الألوف من القطع الأثرية بأسعار أرخص من الأسعار المثمنة من اللجنة رغم أنها مجمعة اعتباطيا كتلك الموجودة فى صالة البيع رقم ٥٦ بالمتحف ، وكان يمكن لرياسة الجمهورية شراء آثار من السوق قانونيا وإهداؤها دون أى حرج مثلها فى ذلك مثل أى مشتر عام ، لكن من الأوفر للدولة بالفعل الاستعانة فى الإهداءات بقطع صالة البيع المشار إليها لأنها لا تكلف شيئا ولا تمثل قيمة حقيقية يعتدّ بها .

٤ - حتى إهداء الآثار الحقيقية مما يمكن أن يكون له بعض القيمة لا يتطلب قرارا جمهوريا والقانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ لحماية الآثار، والقانون رقم ٥٢٩ لسنة ١٩٥٣ بتنظيم مصلحة الآثار فى ذلك الوقت نص على أن الإهداء والبيع والتبادل والإعارة من سلطة مصلحة الآثار فقط ومجلسها الأثرى صراحة. وطلب قرارات جمهورية تزيد لا أكثر ولا أقل لا مبرر له. ناهيك عن قطع ملفقة لا تعتبر أثرا بالمعنى العلمى أو القانونى فى صالة البيع رقم ٥٦.

٥ - الموضوع محاط بهالة خطيرة من التهويل والإلتواء فى تقديم المعلومات وعدم تحرى طبيعة قضية الآثار فى مصر والمبالغات والمزايدات غير العلمية المحيطة بها. وأظن أن رأى عشرات من علماء الآثار الموضوعيين فى إمكان بيع هذه القطع الملفقة أو المكررة لدرجة فقدانها أية قيمة حقيقية وعلى رأسهم أكبر عالمى آثار فى ذلك الوقت، هما المرحومان د. عبد المنعم أبو بكر وأحمد فخرى .. وفى تقييم كل هذه القصة هو الرأى الحاسم وخلاف ذلك مجرد مزايدات سياسية فى تقديرى.

د. أحمد قدرى محمد
رئيس هيئة الآثار

« قضايا الفساد »

كانت أبشع الرصاصات المسمومة التى أراد مطلقوها أن يحققوا الاغتيال الثانى للسادات بعد موته .. هى اتهامه بأنه عمل على انتشار الفساد فى الحكم .. وأنه أغمض عينيه وأذنيه عن كثير من قصص الفساد، وخاصة بالنسبة لأحد أشقائه وأبناء هذا الشقيق الذين قدموا بعد موته إلى القضاء تطبيقا لقانون « العيب » الذى أصدره السادات فى حياته لكى يطبق على السياسيين.

وهذا الاتهام ليس جديدا على الرؤساء سواء فى العالم المتقدم .. أو فى العالم الثالث. وقد راجت فى حياة عبد الناصر قصص عديدة عن شقيقه المرحوم الليثى عبد الناصر، وعن بعض أقاربه وسلطت الأضواء فترة على خاله .. (وكان تاجر فحم).

وبعض الأقارب يشكل بالفعل عبئا على أى مسئول سواء كان فى منصب صغير أو كبير، ولكن العبء يتضاعف إذا كان المسئول رئيسا للدولة. فهو لا يرى أقاربه إلا بقدر محدود بحكم مسئولياته، كما أنه لا يعرف ــ بل يستحيل أن يعرف ــ كل ما ينسب إليهم من تصرفات.

ورئيس الدولة يجب أن يحاسب إذا عرف ..

وهو لا يعرف إلا من خطابات يتلقاها من الناس ، وقد تحجب عنه هذه الخطابات . كما أن التقارير الرسمية الأمنية لا تقدم إليه فى غالب الأحوال ، كل ما يتصل بأقاربه .

وإننى أروى هنا بعض الوقائع عن علاقة أنور السادات بشقيقيه طلعت وعصمت . والثانى هو الذى قدم إلى المحاكمة مع أبنائه .

فى أوائل عام ١٩٧١ — أى بعد تولى السادات بفترة قصيرة تلقت وزارة الداخلية معلومات سرية عن أن شخصا أجنبيا مشبوها فى عمليات تهريب ، سيحضر إلى القاهرة . وأن طلعت السادات سيكون فى انتظاره فى مطار القاهرة .

وفعلا حضر هذا الشخص ، وثبت رسميا باليقين أنه غير متصل بأى عملية تهريب .. ولكن انتظار طلعت السادات له فى المطار ، أثار غضب الرئيس السادات ، عندما عرض عليه الموضوع .. وأصدر على الفور أمرا باعتقال شقيقه فى حدود سلطاته ، طبقا للأحكام العرفية . وكان هذا هو أمر الاعتقال الوحيد الذى أصدره السادات حتى وقعت أحداث سبتمبر ١٩٨١ .

وقد حاول ممدوح سالم وزير الداخلية التأثير على الرئيس السادات لكى يعدل عن هذا القرار على أساس أن الموضوع لم يتجاوز حدود الشبهات .. لكن السادات أصر . وتم اعتقال طلعت السادات فى سجن بنى سويف . ولم يشفع له لدى السادات أنه كان مريضا بالقلب .

واستمر فى السجن سبعة أشهر . حتى وافق السادات على الإفراج عنه . وخرج طلعت من السجن ورفض زيارة شقيقه . واعتبر أن هذا الإجراء منه ، غير قابل لأن يغفره له .

والواقع أن بعض إخوة السادات كان عبئا على السادات طوال حياته .. ثم أصبحوا عبئا على السادات بعد موته . وكان السادات يحاصرهم فى أعمالهم التجارية . وأعلن فى مجلس الوزراء أكثر من مرة أنه لا معاملة خاصة لأى من أفراد أسرته .

وحدث فى أوائل الستينات ، أن اختفى عصمت السادات وترك للرئيس رسالة بخطه جاء فيها أنه قرر السفر إلى بيروت لكى يستطيع أن يعيش ، وأنه يترك أبناءه العديدين أمانة فى رقبة السادات ، وعليه أن يتولى الصرف عليهم وتربيتهم .

وجن جنون السادات . وصرخ وهو فى منزله : أنا أعلم أن عصمت سافر إلى لبنان لكى يستغل إسمى ، فى أى عمل سوف يشتغل به . وطلب من سكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ أن يلحق به على الفور فى بيروت وأن يبحث عنه ولا يعود إلى القاهرة إلا ومعه عصمت . وتم هذا فعلا .

وصحب فوزى عصمت ، إلى منزل السادات بشارع الهرم بالجيزة .

وانتظر عصمت فى صالة الفيلا الصغيرة بالدور الأول .. ثم نزل السادات ، وعلى وجهه كل أمارات الغضب . وكان معه مسدس . ثم جلس دون أن يحيى شقيقه ، ووضع المسدس على مائدة صغيرة أمامه وقال لشقيقه فى صوت مرتفع : لولا أن الدين يمنعنى من قتلك ، لأطلقت عليك الرصاص .. ولو كنت رجلا .. ولو كانت فى دمائك أية رجولة لأمسكت أنت هذا المسدس وأطلقت الرصاص على نفسك .

ولم ينتظر السادات ، لكى يجيب عصمت أو يعلق بكلمة .. ونهض واقفا وصرخ مرة أخرى فى وجه شقيقه ، وهو يشير له بيده إلى باب الخروج : اطلع بره .. اخرج فورا .. ولا تدخل هذا البيت .

وكانت الصلة بين السادات وأشقائه تكاد تكون منقطعة منذ أن تزوج من السيدة جيهان .

وكان السادات بالغ الحساسية فى موضوع التعامل المادى وقد قطع صلته بصديق عمر اعتقل معه عام ١٩٤٣ .. وكان هذا الصديق صاحب عقلية تجيد الأعمال التجارية . وهو الذى أشرك معه السادات فى عمليات المقاولات التى كان يقوم بها فى فترة اختفائه وكان أقرب صديق اليه . وهو الذى قدمه إلى جيهان فى منزل الأسرة للزواج منها فهى ابنة خالة زوجته .. ومع ذلك قرر السادات أن يقطع صلته به تماما ، عندما وجد أن التعامل المادى بينهما سيفسد هذه الصداقة .

ومرت السنوات الطويلة وأصبح السادات رئيسا للجمهورية . وحضر هذا الصديق الى مصر وكان قد هاجر الى أوربا واشتغل فى تجارة السفن ، وأصبح من أصحاب الملايين . واستقبله السادات فى مصر بكل مودة وعرض على السادات أنه سينقل جميع أمواله إلى مصر ، لكى يشارك فى الاستثمار بعد أن استقرت الأمور . وخشى السادات أن يستثمر إسمه فى تعامله مع وزارات الحكومة . وأرسل السادات رسولا إلى الوزراء المختصين بالاستثمارات وحذرهم من قبول أى مشروع يتقدم به . وأمضى هذا الصديق أكثر من شهر فى القاهرة دون أن يرتبط بأى مشروع استثمارى .

وكانت جهات الأمن تتابع أعمال عصمت السادات بأوامر من رئيس الجمهورية . وكان ممدوح سالم وزير الداخلية ثم رئيس الوزراء بعد ذلك يوقف كثيرا من الأعمال التى يطلبها عصمت أو أحد من أبنائه .. ويتصل بهم ويبلغهم بقراراته .. وفى كثير من الأحيان كان لايخطر الرئيس .. وفى بعض الأحيان كان يخطره .. وكان السادات يمتدح موقفه وكان مطمئنا الى أن أحدا منهم لايشتغل بعمل غير مشروع . وكانوا دائما يشكون

ويطلبون معاملتهم معاملة طبيعية مثل سائر المواطنين المصريين الذين يعطيهم القانون الحق فى التعامل فى الاستيراد والتصدير والبيع والشراء .

وعندما كان السادات يتلقى أى شكوى كان يؤشر عليها بطلب التحقيق . وكان سكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ يرسل أوامر السادات مكتوبة الى الجهات المختصة . واذا توانت أى جهة رسمية فى التحقيق بعد ذلك فليست هذه مسئولية السادات ، الذى كان مطمئنا الى أن كل شىء يجرى فى مجراه الطبيعى ، وفقا للتأشيرات التى كان يكتبها بخطه على الشكاوى التى يتلقاها .

وكل من يعرف السادات معرفة وثيقة ، كان متأكدا ، من أنه يرفض أى استثناء لأشقائه .. ومن أنه مستعد لتوقيع العقاب عليهم إذا تصرفوا أى تصرف خاطىء .

وقد حدث أننى تلقيت شكوى ، موقعا عليها من سكان إحدى العمارات .. وقالت الشكوى إن شقيق السادات صاحب العمارة أخذ منهم خلو رجل وهو يرفض رده .. وقد أرسلوا لى هذه الشكوى كصحفى .. لكى أرسلها إلى مكتب الرئيس . وسجلوا فى شكواهم أنهم على ثقة كاملة من أن الرئيس يرفض هذا السلوك . وقد أرسلت الشكوى فعلا إلى مكتب الرئيس ، واتخذ الإجراء القانونى على الفور .

وعندما تلقى السادات شكوى من بعض العاملين فى ميناء الإسكندرية من أن عصمت السادات وأولاده يزاحمونهم فى العمل بأساليب غير قانونية ، أصدر السادات قرارا بمنع دخول شقيقه وأولاده إلى ميناء الإسكندرية .

وعندما أبلغ أنهم يسافرون الى الخارج .. ويتصلون بشركات أجنبية أصدر السادات قرارا بمنعهم من السفر نهائيا . وقد طلب عصمت استثناءه مرة من قرار المنع ، لأنه متزوج من سيدة يونانية فى اليونان ويريد أن يزورها . وكانت هذه أول مرة يسمع فيها السادات عن زواج شقيقه بسيدة يونانية .. وسمح له السادات بالسفر مرة واحدة لرؤية زوجته .

ومنذ أكثر من أربعة أعوام قبل وفاته .. قفل باب بيته فى وجوههم جميعا ولم يكن يستقبل منهم أحدا ، ولم يزر أحدا منهم فى منزله .

وقد حدث مرة فى عام ١٩٧٢ .. أن طلب شاب يحمل اسم السادات مقابلتى فى مكتبى ولا أذكر مدى قرابته للرئيس وفوجئت عندما سمحت له بالدخول وأنا أراه لأول مرة .. أنه اتجه إلى فى عاطفة واضحة ، احتضننى وهو يردد « إزيك يا عمى » .. ورأيته يصطحب معه شخصا أجنبيا ، قسمات وجهه تدل على أنه آسيوى . وقال لى هذا

الشاب : لقد جئت اليك ياعمى .. لأن والدى قال لى أن ألجأ إليك إذا واجهت أية مشكلة .

ودهشت .. لأننى لا أعرفه من قبل . كما أننى لا أعرف والده .. وأدركت أن فى الأمر شيئا غريبا ، وخاصة أنه اصطحب معه هذا الأجنبى .

ثم روى لى أن هذا الرجل ـ الذى اصطحبه ـ دخل فى مناقصة شراء موالح من إحدى شركات القطاع العام ، بحوالى نصف مليون جنيه أو أقل . وأن عطاءه رفض رغم أنه أقل عطاء .

وقال معقبا : هذا هو الفساد الذى يجرى فى البلد .

ثم طلب منى أن أتدخل لدى الجهات الرسمية لإنصاف هذا الرجل المظلوم . وأدركت على الفور أنها عملية وساطة وقلت له بلا تردد إن هذا ليس من عملنا . وأن من حق صاحبه أن يلجأ الى القضاء .

وفهم الشاب موقفى ، وشكرنى ثم سألنى المشورة فنصحته بأن يذهب إلى محمود أبو وافيه (عديل السادات) عضو مجلس الشعب فهو رئيس لجنة الشكاوى فى مجلس الشعب ويتقدم بشكواه لكى تحقق رسميا .

وانصرف الشاب واتصلت بمحمود أبو وافيه تليفونيا وأبلغته بالقصة حتى يكون على حذر . وفعلا تصرف محمود أبو وافيه التصرف الواجب . رفض استقبالهم ، قبل مرور ساعتين حتى يدرك الشخص الأجنبى أنه لامعاملة خاصة . ثم قال محمود ابو وافية لهما ، إنه عليهما أن يلجآ إلى القضاء .. وبمجرد انصرافهما اتصل بالرئيس السادات وروى له القصة كاملة .. وصدرت أوامر السادات إلى الجهات الرسمية بوقف نظر أى شكوى من هذا النوع .

وحدثت مثل هذه الأمور مع محافظ الفيوم ومع رئيس مجلس مدينة فى الإسكندرية .. ورفضت بشدة الطلبات غير القانونية التى كان يتقدم بها طلعت ابن عصمت . وتلقى الموظفون الرسميون الذين كانوا يرفضون ، كلمات شكر من مكتب الرئيس سواء مكتوبة أو تليفونيا من فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس باسم الرئيس .

كان أنور السادات إذن ، يتعقب أى فساد ينسب إلى أحد من أفراد أسرته ، إذا أخطر بذلك بشكوى أو من أى جهة رسمية . ولكن ـ بكل أسف ـ لم يكن رئيس الدولة يخطر بكل شيء . وكان بعض المسئولين يخاف من وجود إسم « السادات » على أى طلب يقدم إليه . كما أن أحدا لم يكن يتصور اتساع نشاط عصمت وأولاده فى كل

مجالات التصدير والاستيراد ، كما ظهر من القضية التى قدمت إلى المحكمة بعد وفاة السادات .

ولذلك فإن استثمار قضية عصمت وأولاده واتخاذها من المعارضة الشيوعية وغير الشيوعية دليلا على فساد شخص الرئيس السادات ، أو فساد حكمه .. هو استثمار مغرض هدفه التشهير باسم السادات فقط .

وقد نشر مطلقو الرصاصات المسمومة على سمعة السادات بعد موته أن الأمير مبارك الصباح - أحد امراء الكويت - وكان صديقا شخصيا لأنور السادات أعطى للسادات شيكا بمبلغ ٣٠ ألف دولار عندما سافر ألى أمريكا وهو رئيس لمجلس الأمة . وأن عبد الناصر فوجىء بهذه الواقعة وطلب من السادات رد الشيك . والقصة ملتوية لأن الأمير مبارك الصباح كان صديقا أيضا للرئيس جمال عبد الناصر كما انه دفع مبالغ كبيرة لدولة مصر .. منها مليون جنية للمجهود الحربى وغيرها .. وهذا المبلغ (٣٠ ألف دولار) كان مقدما منه لاستخدامه فى الدعاية الإعلامية خلال رحلة السادات وبعلم جمال عبد الناصر وأصدر الامير مبارك تكذيبا رسميا بذلك بمجرد اطلاعه على مانشر بل إنه هدد فى بيانه بأسلوب واضح أن يكشف الكثير عن علاقته الشخصية بجمال عبد الناصر .

وقد اتصلت بى تليفونيا الأميرة سعادة زوج الأمير الكويتى وروت لى هذه الوقائع ثم أرسلت بيانا مكتوبا .

وأدعى هيكل أن السادات أصدر قرارا بإعفاء الأشياء الخاصة التى يستوردها الأمير مبارك الصباح من الرسوم الجمركية ، واتضح من رد الأمير الصباح ، أن جمال عبد الناصر هو الذى أصدر هذا الأمر وقال للأمير بعد إصداره إنه لايعرف كيف يكافئه على الخدمات الضخمة التى أداها لمصر .. وكان هذا القرار هو مجرد رد رمزى لخدماته .. لأن ما يستورده الأمير المبارك من الخارج لن يتجاوز رسومه بضعة آلاف من الجنيهات وهو الذى يقدم تبرعات الى دولة مصر بالملايين .

ولكن السؤال الهام ..

لماذا قدمت قضية عصمت السادات وأولاده الى محكمة القيم فى عهد حسنى مبارك ولم تقدم فى عهد السادات ؟..

أولا : فى عهد السادات لم تتجمع معلومات بهذه الضخامة عن التصرفات غير المشروعة لعصمت وأولاده . أن هذه المعلومات تجمعت من الشكاوى التى تقدم بها المواطنون ، بعد أن أعلن عن تقديم عصمت للتحقيق . كما أن المستشار عبد القادر أحمد

على المدعى الاشتراكى العام أقسم لى أنه لو كانت قد تجمعت مثل هذه المعلومات فى عهد السادات لكان الرئيس السادات هو أول من يقرر تقديمه للمحاكمة . وأضاف : هذا هو علمى بمبادىء أنور السادات ، بعد ان اجتمعت به كثيرا بعد تعيينى فى هذا المنصب . وكان السادات يطلب منى عدم الرحمة فى تعقب أى فساد . ولكن بالعدل . دون الظلم والتشهير .

وثانيا : كان الرئيس حسنى مبارك يتوقع من عصمت السادات وأبنائه أن يتوقفوا عن أى نشاط تجارى بعد وفاة السادات . ولكن حدث أن أراد عصمت دخول ميناء الإسكندرية . ولما قيل له أن هناك أمرا يمنعه . كانت إجابته فى صلف أن الذى أصدر هذا الأمر هو أنور السادات .. وقد مات السادات .

ثم أبلغ الرئيس حسنى مبارك من وزير التموين عن صفقة الصلصة الفاسدة التى قدمها طلعت ابن عصمت السادات .

ولفت نظر عصمت أكثر من مرة أن عليه أن يوقف نشاطه ، ولكنه لم يتوقف . بل إنه حاول الإساءة إلى سمعة نزاهة الحكم برياسة مبارك ، واتصل أحد المشتغلين معه بصحفى أمريكى معروف بالتشهير .. لاستغلاله فى ذلك .

ولما تجمعت الشكاوى العديدة .. قدم عصمت إلى المحاكمة . ثم كشف التحقيق عن وقائع عديدة فيها استغلال للنفوذ .

وهكذا تمت المحاكمة التى حاولت المعارضة أن تدين بها شخص أنور السادات .

أما القضية الأخرى ، التى حوكم فيها عضو مجلس الشعب رشاد عثمان .. فقد قدمت فى عهد أنور السادات . ولذلك فمن الكذب الواضح الادعاء بأن أنور السادات تستر على فساد .. والسادات هو الذى كتب بخط يده على تقرير قدم إليه عما يروج حول رشاد عثمان « يحال إلى المدعى الاشتراكى » .

والحقيقة أن تحول الاقتصاد المصرى من الانغلاق الكامل وسيطرة الدولة الكاملة . الى الانفتاح وإعطاء القطاع الخاص فرصة العمل .. أوجد طبقة جديدة استطاعت أن تستثمر ثغرات القوانين الاقتصادية فى فترة التحول . وهذه الفترة كان لامهرب منها .. ثم تعود الأمور إلى طبيعتها . لقد ارتفعت مثلا أسعار الأراضى فأصبح فجأة عدد كبير من الملاك من أصحاب الملايين دون أى جهد . كما زادت المواد المستوردة .. وهذا أتاح الكسب السريع لفئة أخرى أعماها الجشع لأن يصبحوا مليونيرات فى أقصر وقت .. ثم ظهرت فئة السماسرة الذين حصلوا على أموال من شركات الاستثمار بحق أو بغير حق لتسهيل أعمالهم فى مصر . ويوجد بين هؤلاء السماسرة عدد كبير من النصابين

الذين يوهمون المستثمرين الأجانب بأن كل ورقة تمر من أى مكتب لابد من دفع رشوة مقابلها .

نعم .. هناك وقائع فساد .. ولكن تضخيمها كان تخطيطا مغرضا من المعارضة الشيوعية بالذات التى تريد أن تثبت أن تحول الاقتصاد إلى المجال الحر وتحطيم قيود الاشتراكية التى تفرض سيطرة الدولة ، حوّل البلاد إلى فساد شامل .

***

ولم يكن السادات متجاهلا أن هناك قصص فساد ، ولكنه كان يقدر أن فترة التحول الاقتصادى تفرز هذا النوع من الناس إلى فترة مؤقتة . كما كان السادات يريد أن يشجع الأموال العربية والأجنبية على الاستثمار . وكان يضع فى اعتباره أنه من الممكن أن نسبة ٥ ٪ أو ١٠ ٪ يمكن أن تدخل إلى جيوب المستغلين ولكن ٩٠ ٪ من الاموال كانت ستقيم مشروعات تزيد الانتاج وتحقق الرواج وتدور بها الحلقة .

وقد ضرب مرة مثلا أمام الدارسين المصريين فى باريس بمشروع السد العالى الذى تكلف رسميا ٤٠٠ مليون جنية فى ذلك الوقت ، وقال إنه يفترض أن عشرة ملايين ضاعت فى جيوب المشتغلين فى هذا المشروع . ولكن السد العالى أقيم وحمى مصر من أخطار فيضان كان يمكن أن يغرق أرض مصر كلها .

وهو لذلك أصدر قرارا بإلغاء الرقابة الادارية .. لا لأنه أراد أن يفتح الأبواب للفساد والا كان حاكما مجنونا .. فما هى مصلحته فى فتح أبواب الفساد .

ولكن لكى يحمى المستثمرين والمشتغلين فى السوق من الشعور بوجود عقبات يمكن ان تمنع نشاطهم .. وخاصة أن الرقابة الادارية لم تنجح فى كثير من القضايا التى قدمتها وأحدثت دويا فى الرأى العام مثل قضية الاتحاد التعاونى للفلاحين .. التى حكم فيها القضاء بالبراءة وكانت « أخبار اليوم » قد تبنت هذه القضية فى عهد السادات .

وأذكر فى هذه القضية أننا بدأنا نشر تحقيقات صحفية فى أخبار اليوم عن مخالفات مالية وقانونية فى أموال الاتحاد من القائمين عليه . وكنت أشرف بنفسى على هذه التحقيقات ، وكانت الرقابة الادارية مصدر المعلومات وكذلك بعض كبار موظفى وزارة الزراعة .

ثم اثير الموضوع فى مجلس الشعب لأن رئيس الاتحاد هو المرحوم احمد يونس عضو المجلس .

ورفعت الحصانة عنه .

وأحيل الأمر إلى النيابة .

وعندما كانت لجنة مجلس الشعب المختصة تحقق الأمر كنا مستمرين فى نشر الاتهامات ، وحدث فى اجتماع عقده السادات لرجال الإعلام أن لفت نظرى أنه ليس من العدل أن تنشر اتهامات وهى موضع تحقيق أمام لجنة برلمانية ولما اعترضت بأنها لجنة برلمانية وليست لجنة قضائية .. كان رد السادات أنها لجنة دستورية . وليس من حق الصحافة أن تؤثر على عمل اللجنة .

وكان هذا هو منطق السادات العادل فى الحكم على الأمور التى تمس النزاهة والسمعة .

وكان السادات قد قرر إجراء تعديل وزارى يخرج فيه أحد الوزراء الذين اتهموا بعلاقة خاصة مع رشاد عثمان وفى اللحظة الأخيرة قرر عدم إخراجه بعد أن تبين له أنه مظلوم فى هذا الاتهام . وقد حققت النيابة العامة الاتهام وثبت براءة هذا الوزير .

وكان من الممكن كثيرا أن يسمع السادات عن فلان الذى أثرى أو فلان الذى بنى كذا عمارة . وكان يسعد بوجود الرواج ، على أساس أن هذا دليل الثقة فى استقرار الحكم . وكان مقتنعا أن أموالا كثيرة كانت مخبأة «تحت البلاطة» فى عهد عبد الناصر .. وأن أصحاب هذه الأموال أخرجوها وبدأوا فى استثمارها . كما ظهرت السيدات بالجواهر والحلى المذهبة والماسية فى الحفلات العامة . ولم يكن هذا يثير ضيق السادات أو حقده . بعكس طبيعة عبد الناصر الذى كان يتعقب بأجهزته أى شخص تظهر عليه بوادر الثراء . وكانت قرارات الوضع تحت الحراسة من أسهل القرارات التى يوقعها عبد الناصر . ومرة كان يمر بسيارته من آخر شبرا على كورنيش النيل ومعه عبد اللطيف البغدادى . ورأى عمارة وقيل له إن مالكها هو فلان مدير إدارة صحيفة الجمهورية ، وهو من الضباط الأحرار . وبغير تحقيق أمر بوضعه تحت الحراسة . وقد أمضى هذا الشخص أكثر من عام حتى أثبت ان هذه العمارة بنيت من مال حلال بعد أن باع قطعة أرض زراعية كان يملكها كما باع حلى زوجته . كان السادات لا يشعر بأدنى أحقاد نحو الأغنياء ماداموا يدفعون الضرائب . وهذا ما كان يردده ليل نهار . دفع حق الدولة على المال الخاص . وقد بدأ الدكتور عبد العزيز حجازى فى عهده إعادة تنظيم مصلحة الضرائب وزادت الحصيلة ، ولكن السادات طلب تعديل قانون الضرائب . وقد أجل مجلس الشعب كثيرا نظر هذا التعديل . وعندما أجرى التعديل لم يوافق عليه الرئيس السادات وأرسل رسالة إلى رئيس مجلس الشعب بضرورة أن يحقق تعديل الضرائب مبادىء العدل الاجتماعى .

وليس صحيحا أنه هو الذى وضع قصر «الموجى» الضابط السابق الذى اشتغل

بالأعمال الحرة وأثرى ــ تحت الحراسة ، كما نشر مطلقو الرصاصات المسمومة بعد موت السادات .. بحجة أن السيدة جيهان أعجبها القصر وأرادت أن تنتقل إليه بعد أن أصبح السادات نائبا لرئيس الجمهورية . لقد أصدر جمال عبد الناصر قرار وضع القصر تحت الحراسة . ثم زارته بعد ذلك السيدة جيهان . وعندما تولى أنور السادات رياسة الجمهورية كان هو الذى أصدر قرارا برفع الحراسة عن القصر ولما وصل إلى سمعه أن الموجى يتصور أن السادات يريد القصر لسكناه أرسل رسولا بهذه الرسالة : «السادات يقول لك أنه عاش فى زريبة .. ويمكنه أن يعيش طول عمره فى زريبة .. ولا تغريه ولن تغريه حياة القصور .» .

كانت حياة السادات بسيطة . وهو الوحيد من بين أعضاء مجلس الثورة الذى اختار بيتا بسيطا مصادرا فى شارع الأهرام فى الجيزة مسكنا لمجرد أن البيت تحيط به من خلفه مزارع شاسعة ، كان يمارس فيها رياضة المشى . والبيت بسيط ، وكان يحتاج دائما إلى إصلاحه لقدمه ولم يغيره . وعندما أصبح نائبا لرئيس الجمهورية اختار لـه جمال عبد الناصر الإقامة فى القصر الحالى القائم على النيل وأصلح وأثث من الدولة . وكان عبد الناصر قد اختار هذا القصر من قبل لكريمته هدى ولكنها لم تقم به .

وقال أصحاب الرصاصات المسمومة التى أرادت الاغتيال الثانى للسادات بعـد موته .. إن السادات كان يعيش حياة البذخ .. وانه كان يصـرف مبالـغ طائلة عـلى ملابسه .. وبالذات «البدل» التى كان يفصلها فى الخارج لدى أغلى بيوت الازياء !.

والحقيقة أن السادات كان يهوى فعلا الملابس الانيقة والنظيفة .. بغض النظر عن كونها غالية الثمن أو رخيصة . ومن الطبيعى أنه كان يتلقى هدايا من الكرافتات أو أساور القمصان أو غيرها من أصدقائه أو من كبار الزائرين . ولكن الهدية الوحيدة التى كان يعتز بها هى هدايا الأقلام . كان يحب الكتابة . وكان يتمنى وقت فراغ ، لكى يتفرغ فيه للكتابة . وكان يحتفظ بمجموعة من الاقلام . أما ملابسه فهى دائما نظيفة وأنيقة منذ كان ضابطا صغيرا فى الجيش وعندما قابلته لأول مرة فى معتقل الزيتون عام ١٩٤٣ . كان يرتدى القميص والبنطلون « الكـاكى » .. وكان يشـرف على غسيلهـا وكيها بنفسه .. وعندما يرتديها ، يبدو وكأنه «لورد» انيق !

وانتقل السادات من «ترزى» إلى آخر .. فى تفصيل ملابسه .. وأخيرا اتجه إلى الحائك المشهور سويلم .. مثلما فعل كل رجال الثورة .

وكان السادات يهتم بياقة القميص بحيث تكون مرتفعة . الملابس الأنيقة إذن كانت هواية . ولكنه لم يهتم بغلو ثمنها أو رخصه .

وكان زاهدا فى طعامه . إفطاره بسيط جدا .. ثم وجبة واحدة فى السادسة مساء من اللحوم أو الطيور المسلوقة أو المشوية ولم يتغير طعامه أبدا ، مع بعض الفاكهة .

ولذلك فإن القول بأنه كان يهوى حياة أصحاب الملايين كله تشويه لصورته . ولم يكن الرجل ليخفى شيئا . كان يحب أن تظهر صوره فى الصحف بملابسه الجديدة سواء كانت ريفية أو رياضية أو ملابس مريحة يجلس بها فى حديقة استراحة القناطر الكبيرة أو حديقة منزله الصغير بالجيزة .

ولم يكن يخجل من نشأته الفقيرة . كان يردد دائما قصص هذا الفقر ، كما ذكرت فى فصل آخر وإذا راجعنا كتابه البحث عن الذات نجد أنه أشار إلى فقر نشأته مرات فى عديد من الصفحات .

ومرة كان فى زيارة سيد مرعى فى قريته وطلب إليه أن يشاهد منزل أحد أشقائه . ورحب مرعى بهذا الطلب . وانتقل مع السادات إلى هذا المنزل . وذهبت دهشة سيد مرعى عندما قال له السادات .. لقد اشتركت فى بناء هذا المنزل عندما كنت أعمل حمالا .. لقد حملت على كتفى الأحجار التى بنت هذه القاعة . وتجول فى كل قاعات المنزل واستعاد ذكرياته ورواها لسيد مرعى دون أدنى شعور بعقدة نقص من فقره .. بل كان فخورا أنه وصل إلى منصب رئيس الجمهورية بلا جاه إلا كفاحه الوطنى . ولذلك كان من أسعد الناس عندما رأى المنازل التى أقامها للفلاحين فى قرية ميت أبو الكوم ، وأن الطاقة الشمسية تستخدم لتسخين الماء وللكهرباء .

ومضت جرائم الاغتيال الثانى للسادات تنشر القصص الوهمية .. ومن ذلك أنه استولى على اللوحات الفنية الأثرية من متحف محمد محمود خليل عندما تقرر ــ لأسباب أمنية ــ استخدام بناء المتحف ملحقا لمنزل السادات بالجيزة . وقد ثبت بكشوف تسليم العهد الرسمية أن لجنة من رياسة الجمهورية تسلمت قصر محمد محمود خليل خاليا من أية تحف أو لوحات .. كما قامت لجنة رسمية بتسليم القصر ذاته بعد وفاة السادات وقبل ذكرى الأربعين .

واستمرت زوبعة الاغتيال الثانى اكثر من عامين .. ولم تتحقق أهداف من أطلقوا رصاصها المسموم .

لقد ملأوا الدنيا ضجيجا ، بقصص عصمت السادات وأولاده .. على أنها وقائع فساد ارتكبها أنور السادات ! .. وكانت مانشتات صحيفة الشيوعيين تتابع القضية بمانشيت «محاكمة السادات» .. ولم يذكروا مرة واحدة .. ولو فى سطر واحد .. أن عاطف

السادات هو أخ أنور السادات الذى كان أول طيار شهيد فى أول هجمة جوية فى حرب اكتوبر ! .. وكان أنور السادات يضعه فى مقام ولده .

وعندما ترددت إشاعات مختلفة حول الهدايا التى يتلقاها رئيس الجمهورية .. فكر الرئيس السادات فى إصدار قانون للهدايا مثل القانون المعمول به فى أمريكا وطرح الموضوع فى مجلس الوزراء وأعد المشروع . وأعلن الرئيس السادات ذلك فى أحدى خطبه العامة ولكن الفكرة ماتت بعد أن اعترض عليها اسماعيل فهمى وزير الخارجية وقد سمعت بنفسى هذا الاعتراض منه ، وكانت حجته أن مراد المعارضة هو تشويه صورة السادات لا أكثر ولا أقل . وأن الهدايا التى يتلقاها رئيس الجمهورية من رؤساء الدول ليست إلا هدايا رمزية ..

الجــزء التــاسع

بين القاهرة .. وواشنطن

الفصل الثانى والعشرون :

هل خذلته أمريكا ؟

سفير أمريكا الأسبق لوشيوس باتل يقول : « خذلناه حياً .. ومجدناه ميتاً » ــ ثورى خيالى ومتآمر عنيد ــ هيرمان إيلتس : « لا أقول أننا قتلناه » ولكننا بالتأكيد زدنا تعرضه للخطر ــ قبل أول لقاء مع كيسنجر ــ دور المعلم لرؤساء أمريكا وأعضاء الكونجرس ــ السادات هو الذى صنع السلام وليس أمريكا ــ كيف اتجه السادات إلى الغرب ؟ ــ اليوم التالى لجنازة عبد الناصر ــ اجتماع هام فى منزل رونالد برجس ــ فصل الألمان الشرقيين من أجهزة الأمن المصرية ــ العلاقة مع الشاه ــ أول رسالة من السادات إلى نيكسون ــ حوار الطرشان ــ أخطاؤه كبشر ــ سيطرة السادات على قوى التغيير ــ الحملة الظالمة ــ موقف الضعف الأمريكى ــ السادات وديستان ــ رؤوس الأموال الأمريكية لم تتقدم ــ وجهة نظر فى المعونات الأمريكية ــ النياشين الأمريكية ــ وحده تحمّل كل الهموم .

الفصل الثانى والعشرون

هل خذلته أمريكا ؟

« لقد خذلناه حياً .. ومجدناه ميتاً » ..

هذه العبارة قالها لوشيوس باتل سفير أمريكا السابق فى مصر منذ سنة ١٩٦٤ حتى قطع العلاقات مع أمريكا فى يونيو ١٩٦٧ ، عن تقييمه لموقف أمريكا من أنور السادات .

« بعد موت عبد الناصر ، لم يكن لدينا نحن الذين فى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة ، ما يدعو كثيراً للابتهاج بخلافة السادات لعبد الناصر . ورغم سمعة السادات بأنه كان تابعاً مطيعاً لعبد الناصر ، فقد كانت لدينا أسباب قوية للاعتقاد بأن السادات كان أكثر تشدداً وأنه ثورى خيالى ومتآمر عنيد .. ففى أوائل ١٩٦٨ عندما أخذ عبد الناصر يبحث جدياً إستئناف العلاقات مع الولايات المتحدة ، كان السادات على رأس مجموعة من المستشارين الذين سعوا لإبعاد عبد الناصر عن اتخاذ هذه الخطوة .. وخلال حرب الاستنزاف ١٩٦٩ - ١٩٧٠ على طول قناة السويس كان السادات هو الذى يطوف بالأقاليم معلناً أن هجوم إسرائيل على قلب الأرض المصرية يجرى بتشجيع من أمريكا ومساعدتها المادية . وقد حاول السادات دون جدوى ، إقناع عبد الناصر برفض اقتراح وليم روجرز بوقف القتال وبدء المباحثات والذى أدى فى النهاية إلى وقف إطلاق النار فى منطقة قناة السويس فى أغسطس ١٩٧٠ » .

.. هذه العبارات قالها ــ بعد موت السادات ــ دونالد س . بيرجس رئيس مكتب رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة ، منذ قطع العلاقات فى ١٩٦٧ حتى نهاية عام ١٩٧١ .

- « أعتقد أننا لو كنا أمناء مع أنفسنا ، لكان علينا أن نعترف بأننا نشترك فى جانب من المسئولية عن وفاة الرئيس السادات . لن أقول إننا قتلناه ، ولكننا بالتأكيد زدنا تعرضه للخطر إلى حد كبير جعله يقوم بالمخاطرة التى قام بها فى عملية السلام فى كامب دافيد . ثم توقفنا لأننا كنا منهمكين فى حملة انتخاب أمريكية طويلة .. ثم حدث تغير فى الإدارة (مجىء ريجان) وجاءت إدارة جديدة لا تزال تسعى لتقرير سياستها فى الشرق الأوسط . وكان هذا يعنى عامين ونصف عام إلى ثلاثة أعوام تقريبا من التعرض البالغ جدا للخطر . وبهذا المعنى أعتقد أننا نشترك فى المسئولية » .

.. وهذا ماقاله هيرمان ايلتس سفير أمريكا السابق فى مصر ، لمدة ٦ سنوات بعد إعادة العلاقات مع مصر .

إن صاحب العبارة الأولى « لقد خذلناه حيا ، ومجدناه ميتا » .. هو لوشيوس باتل السفير الأمريكى ، الذى رتب دعوة أنور السادات رئيس مجلس الأمة لزيارة أمريكا فى ١٩٦٦ . وكانت العلاقات بالغة السوء بين مصر وأمريكا . وقد احترقت المكتبة الأمريكية الضخمة بالسفارة فى ١٩٦٤ . وكان مقدماً إلى الكونجرس مشروع قانون للمساعدات يتجه إلى الغاء كل المساعدات لمصر بسبب تورطها فى حرب اليمن . ووافق عبد الناصر على سفر السادات إلى أمريكا للعمل على تحسين العلاقات مع أمريكا .. وقابل الرئيس الأمريكى جونسون .. وكل القيادات الأمريكية المسئولة .. ولكن الأمور تطورت إلى قطع العلاقات بعد حرب ١٩٦٧ .

وترك لوشيوس باتل مصر .. وكان يزورها بين الحين والحين . ويرى أنور السادات .. إلى أن كان فى رحلة إلى مصر فى عام ١٩٧٤ لحضور اجتماعات مجلس إدارة الجامعة الأمريكية فى القاهرة الذى كان عضواً به . وسافر للترفيه فى أسوان . وبينما كان يجلس فى شرفة فندق « كاتاراكت » حضر إليه المهندس سيد مرعى وهمس فى أذنه « إن الرئيس السادات يريد أن يراك . ان هنرى كيسنجر قادم خلال ساعات وهو يريد أن يراك قبل ذلك » . وذهبا إلى الرئيس السادات فى استراحة الرئيس بأسوان .. وبادره الرئيس بقوله :

« أننى على وشك اتخاذ قرار أساسى فيما يتعلق بمستقبل بلادى .. فهل أستطيع أو هل ينبغى أن أدخل فى ترتيبات مع بلادكم .. مع هذه الفوضى المطلقة التى توجد فيها حكومتكم الآن ؟ » (كان يقصد فضيحة ووترجيت) .

وأجاب باتل :

ــ أعتقد أنك تستطيع .

وسأل السادات :

ــ ولماذا ترى ذلك ؟

وقال باتل :

ــ لأننى أعتقد أن الشعب الأمريكى يريد السلام فى هذه المنطقة . وأرى أن هنرى كيسنجر يمثل الرأى الحقيقى للشعب الأمريكى . وأعتقد أنه ليس هناك ما يدعو إلى التخوف ، لأن الشعب الأمريكى يقف بصلابة خلف ما أنت على وشك القيام به .

وجرت الأيام وتحققت اتفاقات كامب دافيد . ثم وقعت معاهدة السلام بين مصر

وإسرائيل . ثم تجمدت مباحثات القضية الفلسطينية .. واغتيل السادات . فقال السفير باتل : « لقد مضى أنور السادات . وستمر سنوات عديدةقبل أن يظهر أحد يتمتع مثله بالجاذبية والشجاعة التى أظهرها فى حياته ، وستواجه شخصية السادات كثيراً من عمليات المراجعة والتقييم . ويتوقف الحكم على السادات إلى حد كبير على ما سيحدث لكامب دافيد ، وما جاء بعدها .. وإننى آمل أننا كدولة ، يمكننا أن نحاول تحقيق آمال السادات لبلاده ولنا ، وفى رأيى أننا خذلناه بصورة سيئة فى حياته ، ثم احتضناه بشدة بعد وفاته » .

والحق أن الولايات المتحدة الأمريكية خذلت أنور السادات كثيراً فى حياته .. منذ أن بدأ مسئوليته الأولى كرئيس للدولة ، بعد عبد الناصر .. وعلى مدى التعامل مع أربع رؤساء (نيكسون — فورد — كارتر — ريجان) . وكان السادات ضائقاً بالغ الضيق بهذا الوضع ، وقال مرة للسفير ايلتس بعد احدى الأزمات : « لقد قمت بدور المعلم (المدرس) لرؤساء أمريكا ... وسئمت هذا الدور » .. ولم يقم السادات بدور المعلم لرؤساء أمريكا فقط .. بل قام بهذا الدور مع أعضاء الكونجرس الأمريكى الذين يمكن أن يقال إنه قابل ٩٠ ٪ منهم .. حتى اطلقت الدعابة بأن النصاب القانون للكونجرس — بمجلسيه اكتمل فى القاهرة بأكثر مما اكتمل فى واشنطن !

وفى ظل شعور السادات بأن أمريكا خذلته . وخاصة فى السنوات الثلاث الأخيرة ، بسبب ضعف الإدارة الأمريكية عن القيام بضغط حقيقى على إسرائيل لكى تثمر مباحثات الحكم الذاتى نتيجة حية لاقرار حقوق الشعب ، الفلسطينى .. ثم ضعفها أمام اللطمات الخطيرة التى وجهها بيجين لقضية السلام مثل ضرب المفاعل الذرى العراقى وغزو لبنان .. فى ظل هذا الموقف الذى كانت تستثمره القيادات العربية الموالية للاتحاد السوفيتى والأخرى المسماة « بالمعتدلة » .. كان السادات يعلن ويستمر فى إعلانه بأن ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا .. ولم ييأس من أن تنجح إستراتيجيته البعيدة المدى وهو الوصول إلى السلام الشامل الدائم العادل . بل يمكن القول . بكل أمانة الرصد التاريخى — أن السادات — وليس ، أمريكا هو الذى حرك قضية السلام .. بحرب أكتوبر أولاً .. ثم بموافقته على اتفاقيتى فض الاشتباك .. ثم بقيامه برحلته إلى إسرائيل بعد أن فشلت كل المساعى لاحياء مؤتمر جنيف .. ثم بموافقته على اتفاقيتى كامب دافيد رغم القصور فى علاج قضية القدس ، وقضية حق تقرير المصير للفلسطينيين .. ثم فى قبوله إنشاء العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل على مستوى السفير ، والتطبيع فى معاهدة السلام .. مقابل الانسحاب إلى الحدود الدولية .. ومقابل الأمل فى أن تكون هذه المعاهدة خطوة نحو الحل الشامل .. ثم فى تحمله القاسى

لحقائق أوضاع الحكم داخل أمريكا .. فالرئيس الأمريكى أصبح محكوما بسلطان الكونجرس (ولم يكن ذلك هو الوضع قبل فضيحة ووترجيت) .. والكونجرس أصبح محكوماً بالسيطرة الصهيونية التى استطاع السادات أن يحطم جزءا كبيراً منها بأكبر قدر من المعاناة والجهد المستمر .. ثم بقدرته على الصبر فى التعامل مع أربع رؤساء أمريكيين . لم يلبث ثلاثة منهم (نيكسون ــ فورد ــ كارتر) أن تركوا مناصبهم دون أن يفوا بالالتزامات التى تعهدوا بها .. حتى جاء ريجان بسياسة واضحة الخضوع للضغط الصهيونى ، وواضحة الرغبة فى استمالة القوى الصهيونية .

● ولكن كيف بدأت اتجاهات السادات نحو علاقات جديدة مع واشنطن وهو لا يزال على علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى ــ لكى يتحقق السلام ــ دون إراقة الدماء فى حرب جديدة ؟..

يقول السفير الأمريكى هيرمان ايلتس : « عندما قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة فى عام ١٩٦٧ كان هيكل ــ واستمر لزمن ــ هو قناة الاتصال غير الرسمية بين عبد الناصر وبين قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة . وكان بعض أعضاء هذا القسم يمتدح رؤاه السياسية إعجاباً منهم به » .. وعندما تولى السادات الرياسة فى عام ١٩٧٠ ، ظل هيكل مستشاراً له إلى أن دب النفور بينهما فى عام ١٩٧٢ » .

ويشرح « رونالد برجس » رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى مصر كيف جرت الأمور مع السادات بعد موت عبد الناصر .. وفى ظل وجود هيكل قناة للاتصالات غير الرسمية مع ممثلى أمريكا فى مصر .. فيقول :

« كان أول اتصال رسمى أمريكى مع السادات بعد تولية القيادات فى اليوم التالى لجنازة عبد الناصر . وقد استقبل السادات الوفد الأمريكى الذى أرسل للاشتراك فى هذه المناسبة وياله من وفد ! (يقصد أنه كان وفد دون المستوى الدبلوماسى الواجب) .. وإننى أستطيع أن أقول إن حديث المائدة الذى دار فى منزلى .. خرجنا منه أكثر تأثراً مما كنا نعتقد أنه سيحدث . لقد أظهر السادات سجايا يأمل الإنسان أن يجدها فى أى زعيم . ثقة هادئة بالنفس وسلام فى اعماقه ، وكرامة . وقد قال لنا إنه لم يكن موافقاً على رغبة عبد الناصر فى الوصول إلى حل سلمى للصراع مع إسرائيل . ولكنه سيبذل كل ما فى وسعه لتنفيذ رغبات عبد الناصر .. « كما قال إنه يعرف أن هناك مشكلات صعبة بين البلدين ولكنه يعتقد بأننا سوف نناقشها كأصدقاء » .

ويمضى بيرجس قائلاً : « واتسمت الشهور الثلاثة التالية بتغييرات فى الداخل وفى

علاقات مصر مع بعض جاراتها فى المنطقة . وقد تقلص القمع الداخلى بدرجة كبيرة . وتم فصل الفنيين من الألمان الشرقيين الذين كانوا يساعدون فى تنظيم وزارة الداخلية . على غرار الجستابو . وقد رأينا صورة فى الصحف للسادات وهو يحرق ملايين من الأفلام وشرائط التصنت السرية . وسرعان ما أقام السادات علاقات حارة ورقيقة مع الملك فيصل عاهل السعودية وأنهى الحزازات المصرية مع شاه ايران التى دامت عشر سنوات »[1]

---

(١) عندما غادر شاه إيران وزوجته ، إيران ، باعلان أنه سيترك بلده فى اجازة مؤقتة .. كان أنور السادات فى أسوان . وقد جرت اتصالات مع الشاه لكى يحضر إلى مصر . واستقبله السادات فى مطار أسوان استقبالا رسميا ، حضره سفير إيران فى مصر ، لأن الشاه كان لا يزال محتفظا بعرشه . وأعد السادات للشاه استقبالا شعبيا كبيرا فى الشارع الرئيسى بأسوان من المطار ، حتى مرسى المركب الذى نقلهم إلى فندق أوبرى على الضفة الثانية من النيل . وكان واضحا أن الشاه وزوجته يعرفان تماما أن عودتهما إلى إيران أمر بالغ الصعوبة . كان الشاه بادى الحزن وكذلك الشاهبور .. وأراد السادات أن يرفع من معنوياته بهذا الاستقبال . وكثيرون من المسئولين المحيطين بالسادات ، كانوا ضد أن تستضيف مصر شاه إيران ، لأنه ليس لدينا طاقة لإضافة أعباء مشكلات جديدة على الحكم فى مصر . كانت وجهة النظر هذه ، ترى أنه ليس لنا مصلحة فى عداء ثورة الخمينى . كما أن المعارضة الداخلية ، والجماعات الدينية المتطرفة كانت تهاجم هذا السلوك من السادات فى عنف شديد . ولكن السادات لم يقتنع بذلك . كان مقتنعا بقراره تماما . لقد وصل بالعلاقات مع الشاه منذ أن تولى إلى رابطة وثيقة . ولم تكن رابطة شخصية ، فإن الصداقات لا تتدخل فى السياسات ومصالح الدولة العليا . ولكن السادات نظر الى توثيق العلاقات مع شاه إيران — بالاتفاق مع الأمير فهد فى السعودية — نظرة إستراتيجية ، لمقاومة المد السوفيتى فى المنطقة إذا تطور الأمر الى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى .. وخاصة بعد أن اتخذ السادات قرار طرد الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر .. وبعد نصر أكتوبر .. وبعد اتفاقات السلام . وفى مناقشة مع الرئيس السادات ، قال لى هذا الرأى . وعندما اخذت السعودية موقف الصمت من ثورة الخمينى ، وإجبار الشاه بالتنازل عن عرشه .. كان هذا الموقف موضع نقد من السادات .. وكان يزمع أن يكمل الطريق مع الشاه .

وعندما كان الشاه فى أسوان كانت تقديرات السادات أن احتمالات عودة الشاه إلى عرشه كبيرة . وكان يضع فى اعتباره أن الجيش الايرانى يساند الشاه .. وأن الجيش يمكن أن يتحرك لصالح الشاه . وكان السادات يفكر فى العتاد العسكرى الضخم الذى يتميز به الجيش الايرانى . ولذلك فإن السادات كان يرى أنه يمكن بعد نجاح الشاه فى إخماد الثورة . أن تستفيد مصر من ذلك بالحصول على إمكانيات عسكرية متطورة من إيران .

وفى ذلك الوقت كان الرئيس قد دعا الفريق الجمصى لقضاء بضعة أيام معه فى أسوان . وكانت هذه الدعوة مفاجئة للجمسى بعد إبعاده عن وزارة الدفاع . وكان سعيدا بها . وكان السادات يدعوه كل يوم لممارسة رياضة المشى فى شرفة كبيرة طويلة فى فندق أوبرى . وقد صارح السادات الفريق الجمصى بهذه الأفكار .

وقد كنت فى أسوان ، بناء على طلب الرئيس السادات ، لكى أقرأ معه القراءة النهائية لخطاب كان مقررا أن يلقيه فى الخرطوم .. وعندما جلست الى الرئيس فى غرفته بالفندق سألته عن رأيه فى احتمال=

عودة الشاه ، وقال لى إنه يعتقد أن الاحتمال كبير وأن الجيش الايرانى قادر على ذلك . وسألته :
- ولكن هل صارحك الشاه بتفصيلات خططه فى هذا الشأن .

وأجابنى الرئيس السادات بأن الشاه لم يتحدث اليه فى التفصيلات .. ولكن لابد أن يكون قد أجرى استعداداته لذلك .

ومن هنا نفهم أن السادات كان يفكر تفكيرا سياسيا خالصا من العواطف عندما استقبل الشاه فى أسوان استقبالا شعبيا . ولكن السادات بعد ذلك وبعد أن أنتهى أمر الشاه تماما ، وبعد أن رفضته كل دول العالم وبعد أن تخلى عنه الرؤساء الذين كانوا على صلة صداقة وثيقة به .. السادات هنا اتخذ موقف شهامة ورجولة وشجاعة .. باسم مصر .

وكان الرئيس الأمريكى السابق فورد ، فى زيارة لأسوان فى ذلك الوقت وعقد اجتماع فى فندق أوبروى ضم السادات وفورد والشاه وسيد مرعى . وتحدث الشاه طويلا فى هذا الاجتماع موجها حديثه فى معظم الوقت إلى فورد . واتهم الشاه الإدارة الأمريكية بأنها تخلت عنه .. وبأنها ساعدت على إفساح المجال للمعارضة لكى تنمو حتى تصبح أقوى من أى مقاومة لها . وباختصار فإنه قال إن امريكا هى التى خانته .. وهى التى لعبت دورا منافيا لكل القيم الأخلاقية من ناحية .. وضد مصالحها التى وضعت تقديراتها على أساس أنها ستكون على علاقة طيبة بالحكم الجديد بعد الشاه .

وكان تعليق الرئيس السادات بعد هذا الاجتماع ، فى حديث مع المهندس سيد مرعى .. أن هذا وضع الحاكم الذى يعتمد على قوة أجنبية تساند حكمه .. ولا يعتمد على شعبه أولا وأخيرا .

وسافر السادات إلى الخرطوم لليلة واحدة وعاد بعدها إلى أسوان لكى لا يترك الشاه وحده وهو مضيفة .. ولكى يكون فى وداعه ، عندما يقرر الرحيل . وكان المقرر من قبل أن يمضى السادات يومين فى الخرطوم .

وكانت الشهبانو حرم الشاه فى غاية القلق .. وقامت السيدة جيهان بدور المضيفة الممتازة وأحاطتها برعايتها المستمرة وبعدد من الصديقات المصريات .. وواحدة من الصديقات أرادت أن تخفف من قلق الشهبانو فعرضت عليها أن تستطلع المستقبل من فنجان القهوة .. وشربت الشهبانو فنجان القهوة ثم أعطته لهذه الصديقة المصرية .. التى تظاهرت بتأمل خطوط المستقبل فى رواسب البن .. ثم أكدت لها أن المستقبل مشرق جدا وأن الشاه عائد إلى عرشه . وفرحت الشهبانو بهذا الأمل .. وتهلل وجهها .

وخلال ذلك بعث الحسن ملك المغرب بسفيره فى القاهرة ، لكى يوجه الدعوة إلى الشاه فى أسوان لزيارة المغرب . ولكن ملك المغرب أشعر الشاه بعد ذلك أن استمرار اقامته فى المغرب سيسبب متاعب كبيرة .. ولذلك غادرها الشاه مع زوجته .

وكان السادات على اتصال مستمر بالشاه فى الأمكنة التى حل بها بعد ذلك . وعندما استقر الشاه فى مستشفى بنيويورك للعلاج من إصابته بالسرطان وكان مطلب الثورة الإيرانية ، هو تسليم الشاه رغم مرضه وقررت حكومة كارتر أن يغادر الشاه أمريكا .. أعلن السادات فى تصريح صحفى أن مصر مستعدة لاستقبال الشاه فى أية لحظة يراها .. وكلف الدكتور أشرف غربال سفيرنا فى واشنطن بلقاء الشاه فى المستشفى .. وإبلاغه بذلك ، وكان الشاه بالغ الامتنان .

ولم يكن الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء مستريحا الى هذا القرار وكان من رأيه أن نجد مخرجا لعدم تنفيذه بأسلوب دبلوماسى .. فاذا كانت أمريكا القوة العظمى قد عجزت عن إيواء الشاه .. فلماذا تتعرض مصر لهذا الموقف .

ولكن قرار السادات فى ذلك كان حاسما .

ولم يهتم السادات بأثر ذلك على الجماعات الدينية المتطرفة داخل مصر .. لأنه سواء استقبل الشاه

أو لم يستقبله فان موقف هذه الجماعات لن يتغير من نظام الحكم .. أما بالنسبة للرأى العام فى مصر .. وكان هناك تساؤلات على ألسنة الكثيرين بأن الشاه حاكم دكتاتورى فاسد أسقطه شعبه .. فلماذا نؤيده ــ وقد انتهى ــ ونتحدى مشاعر الثورة فى إيران .. كان السادات يدرك وجود هذه التساؤلات ولكنه كان مقتنعا بأن الغالبية فى مصر تؤيد موقفه لأنه تعبير عن الشهامة المصرية .. ولأنه وفاء لدين نحو رجل قدم مساعدات لمصر .. عندما احتاجت الى البترول .. وعندما حصلنا على الأتوبيسات المرسيدس المجمعة فى إيران .. وأن هذه هى مصر دائما .

ولما كان الشاه فى آخر المطاف .. فى « بنما » اتصلت الشهبانو بمنزل الرئيس السادات .. ولم يكن الرئيس موجودا وتحدثت الى السيدة جيهان .. وقالت لها ما معناه إن هناك مؤامرة لقتل الشاه فى ساعات ..

والحقيقة أن روكفلر وكسينجر أنقذا الشاه من هذه المؤامرة لقد كان حاكم بنما « اريستديرس رويو » معتزما تسليمه إلى حكومة الثورة فى إيران وتم ذلك بالاتفاق مع هاملتون أكبر مساعدى الرئيس كارتر . ولم يكن روكفلر وكسينجر ليستطيعا إنقاذ الشاه عندما طلب إليه ان يغادر بنما فى ساعات .. لو لم يعلن الرئيس السادات أنه قرر إرسال طائرة رياسة الجمهورية على الفور .. ولم يتسع الوقت لانتظار الطائرة المصرية وتم استئجار طائرة « شارتر » خاصة نقلت الشاه وزوجته الى القاهرة .

وتكتمت القاهرة موعد وصول الشاه حرصا على حياته وتجنبا لأية مؤامرة تحدث فى الجو بضرب الطائرة من سلاح الطيران الإيرانى الخاضع للثورة . ولهذا طلب منى الرئيس السادات عدم نشر الخبر حتى تصل الطائرة .

وقال لى السادات إنه لاحظ أن الشاه عند هبوطه على سلم الطائرة أنه كان يحاول بكل قواه المنهارة أن يتماسك .. وأن يهبط الدرجات وهو مرفوع الرأس .. وهذا ما أعجب السادات .

كانت حرارة الشاه مرتفعة ، وكان أصفر الوجه . وبدا أنه يعانى آلاما حاول أن يخفيها .

وقال له السادات : أنت هنا فى بلدك ووسط أهلك . ولن تغادر مصر . ولا تفكر فى ذلك .

ورد الشاه : لا أجد الكلمات التى أعبر بها لك عن شكرى .

السادات : لا تقل مثل هذا الكلام ..

وكان الشاه يضع يده بين الحين والحين على بطنه ، تخفيفا للآلام التى لم يعبر عنها .

وقالت الشاهبانو للسيدة جيهان : لا أعتقد أن أحدا فى التاريخ واجه ما واجهناه .. لو تأخرتم عنا ساعات .. كان الشاه قد قتل .

ثم طلب الشاه أن يشرب مشروبا باردا . وتقرر فى يوم وصوله استدعاء الطبيب الأمريكى ريبكى الذى قرر إجراء جراحة له . وكان الشاه يتحدث الى الرئيس السادات بقوله : أخى .

وكان لهذا الموقف من السادات فعل السحر فى الرأى العام العالمى .

وقد تلقى مكتب السادات فى مصر آلاف الرسائل من جميع أنحاء العالم تحيى شجاعته ومروءته فى إنقاذ رجل يشرف على الموت .

وكان السادات يعود الشاه فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى كثيرا .. وعندما تفاقم عليه المرض كان يعوده يوميا .. وقد حدث خلاف فى علاج الشاه بين مجموعة الأطباء الأمريكيين ومجموعة الفرنسيين . وكانت زوجته تثق فى الفرنسيين وكانت شقيقته تثق فى الأمريكيين .

وأذكر أن الرئيس كان عائدا من إحدى الرحلات فى الخارج وقال لنا فى الطائرة إنه سيتوجه فور الوصول لرؤية الشاه فى المستشفى وعندما قلت له .. ولماذا هذه العجلة يا ريس .. قد يثير هذا الوضع الانتقاد أنك ستزوره بمجرد وصولك .. واستنكر السادات هذه الملاحظة وقال إنه يؤدى الواجب ولا يهمه نقد التافهين .

واشتدت الحملات من قيادات الثورة فى إيران ضد مصر . وضد شخص السادات ولكنه لم يكن يأبه .. وكانت كل تصريحاته وخاصة للصحافة الأجنبية أن ما يجرى فى إيران ليس هو الإسلام . إن الإسلام هو دين الرحمة .. وليس دين القتل ومذابح الدماء والحقد والانتقام .. وكانت الجماعات الدينية المتطرفة فى مصر تتصور أن كل ما يذاع عن قتل خصوم ثورة الخمينى بالمئات .. هو مجرد دعاية كاذبة تنقلها وكالات الأنباء الأمريكية .. ولكن السادات استمر فى جمع خطبه ما يجرى فى إيران من مذابح دموية .. لكى يخلق رأيا عاما فى مصر ضد الجماعات الدينية المتطرفة التى كانت لا تخفى تمجيدها لثورة الخمينى .

ولما مات الشاه .. تعمد أن يجرى له جنازة رسمية عسكرية كرئيس دولة .. وأرتدى السادات الزى العسكرى .. زى القائد الأعلى للجيش .. واختار بنفسه خط سير الجنازة الذى استغرق حتى المسجد حوالى تسعين دقيقة .. وسارت الجنازة فى شوارع ضيقة فى الأحياء الشعبية .. وتجمع مئات الألوف من شعب مصر لمشاهدة الجنازة .

لقد أراد السادات أن يثبت للعالم . ولكل دعاوى المعارضة الداخلية ، أن الشعب يؤيده فى سلوكه نحو الشاه .. وأنه يسير آمنا وسط الملايين . كما استهدف أيضا أن يتحدى الخمينى ، بهذا الموكب الجنائزى الرهيب .. ردا على هجمات الخمينى المستمرة على السادات وضد سياسة مصر .

وعندما طلب صدام حسين رئيس العراق أسلحة من مصر رغم أن الرئيس العراقى هو الذى حقق المقاطعة العربية لمصر فى مؤتمر بغداد .. استجاب السادات لمطلب صدام حسين . وارتفع فوق كل الحملات اليومية العنيفة التى كان يشنها راديو بغداد ضده .. والتى كان من أخف اتهاماتها .. هو اتهام السادات بالخيانة .

وهنا تبرز شخصية السادات السياسى رجل الدولة الذى يغفل عواطفه الشخصية تماما فى سبيل الهدف .

لقد رحب السادات بمد العراق بالأسلحة . وحضرت لجنة عسكرية من العراق الى القاهرة . وكلف السادات نائبه حسنى مبارك بالقيام بكل المفاوضات اللازمة لهم . وقد ابلغ حسنى مبارك ممثل العراق عند اجتماعه بهم على لسان السادات بأن السادات كان يتمنى أن يقدم هذه الأسلحة بغير مقابل مادى .. لولا الظروف الاقتصادية التى تجتازها مصر . وتابع الرئيس مبارك هذا النهج القومى حتى تحسنت العلاقات بين مصر والعراق والغريب إن الهجوم الإعلامى العراقى لم يتوقف ضد مصر حتى بعد أن حصلوا على أول صفقة من الأسلحة . ولم يهتم السادات . وعندما أبلغته بأن الأذاعة العراقية لا تزال مستمرة فى هجومها .. قال لى : « معلهش .. فلنترك لهم الفرصة .. انهم لا يستطيعون التراجع دفعة واحدة .. »

وبعد موت الشاه .. تعمد السادات أن يتحدث عن ابنه فى خطاب رسمى أمام مجلس الشعب ووصفه بأنه صاحب الجلالة . ولم يكن إصراره على هذا التعبير منطقيا .. ولكنه كان يريد أن يلقى فى روع القيادات الإيرانية أنه لا يزال معترفا بأن عرش إيران هو الحق الدستورى للابن الأكبر للشاه . وكانت القاهرة تستقبل مجموعات من الإيرانيين المعارضين للثورة الذين تمكنوا من الهرب .. وقد استمرت اجتماعاتهم بأرملة الشاه .. وكانت هى تشكو من عبء مطالبهم المادية .

وبعد أن تركت أسرة الشاه مصر ، استمرت العلاقة متصلة بين أرملته وأسرة السادت . وكثيرا ما تحضر الى مصر فى المناسبات العائلية مثل أعياد الميلاد لكى تؤدى الواجب الاجتماعى .

ثم يقول بيرجس .. « ولكن هذه التطورات لم يكن لها أثر كبير للأسف على صانعي السياسة في واشنطن . » ..

ويتحدث بيرجس عن أول رسالة شفهية أرسلها السادات إلى الرئيس الأمريكي نيكسون في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ .. وهو قد دونها في مذكراته . قال السادات :

« إن الولايات المتحدة تريد من المصريين أن يتصرفوا كشعب مهزوم ، لأنها تعتقد أن مصر خسرت الحرب . ولكن الصحيح هو أن مصر خسرت معركة فقط . لقد جلبت مصر الاتحاد السوفيتي إلى الشرق الأوسط في عام ١٩٥٥ لمواجهة الجهود الأمريكية لاحتواء مصر ، ولكن مصر لن تقبل السيطرة السوفيتية . إن مصر تقدم تسهيلات لاقواعد للاتحاد السوفيتي . مصر لن تستسلم قط . ولكننا على استعداد للتفهم والمناقشة بقلب مفتوح وذهن متفتح فيما يجب عمله من أجل السلام . انني مستعد للذهاب إلى أي مكان في العالم إذا كان هذا سينقذ روحا مصرية واحدة من الجراح أو القتل . لا تأخذوا تصريحاتي العلنية في احتمال إنهاء وقف اطلاق النار على أنها مجرد تصريحات للعرب ، أو للاستهلاك المحلي . إن مصر لن تسمح قط بوضع حقها في استعادة سيناء في الثلاجة أو أن يصبح مسألة طويلة المدة كالحرب الباردة . لن نترك الأمور تسير بتثاقل لمدة عشرين عاما كما فعل الفلسطينيون . إن هناك شيئين يجعلان المصريين يقاتلون حتى الموت .. هما الأرض والكرامة . »

ويمضي بيرجس قائلا : « ولسوء الحظ أنه بينما كان عام ١٩٧١ يمضي ببطء .. أصبح فحوى ما كانت تطلب مني واشنطن قوله للسادات أكثر كراهية لنفسي .. حتى إنني بدأت أفزع من اجتماع السادات معي .. ففي خلال عام كنا نشترك في حوار بين الصمم .. لقد اتخذ السادات خطوتين جريئتين من أجل السلام . في أول يناير ١٩٧١ أصبح أول زعيم عربي يذكر علنا أن بلاده مستعدة لتوقيع اتفاقية صلح مع اسرائيل . وفي فبراير أعلن مبادرته لاتفاق مؤقت على طول قناة السويس ، هو جزء من اتفاق سلام دائم شامل بعد ذلك .. وقد أوضح في المناقشات معنا أن قبول اسرائيل لمبادرته وإعادة الملاحة لقناة السويس سوف يتضمن بالضرورة تخلي مصر الفعال عن الخيار العسكري ضد اسرائيل .

ولكن خطوات السادات للأمام فشلت .. وحمل فشلها تدهور العلاقات مع أمريكا .. وأسباب ذلك كثيرة ومنها انزعاج الحكومة الاسرائيلية من احتمال ضياع احتكارها للمبادأة بالسلام . وقالت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل في تهكم : « فجأة أصبح السادات ملاكا ! » كما أن رد الحكومة الامريكية كان ملوثا بالعبارات

السياسية الداخلية (يقصد النفوذ اليهودى) .. ثم الصراع فى القيادة العليا فى البيت الأبيض .. كما أن اسرائيل وأمريكا عملتا على أساس الافتراض الخاطىء بأن السادات لا يملك أى خيار عسكرى . وأن مصر دولة مهزومة تماما .. ولم تعرف امريكا عكس ذلك إلا فى أكتوبر ١٩٧٣ .

ويخلص بيرجس من هذا العرض إلى تقييمه لشخصية السادات بقوله : « كانت للسادات أخطاؤه كبشر .. كان سريعا فى إحساسه بالإهانة الشخصية .. ميّالا لإصدار أحكام متعجلة وعلنية على الزعماء الوطنيين الآخرين وبصفة خاصة العرب .. ولكنه كبشر كان إنجازه لبلاده ومنطقته عظيما .. وخلال سنواته الاحد عشر فى منصبه أقنع أولا إحدى الدولتين العظميين فى العالم ثم أقنع الأخرى بأن تقدما إسهامات كبيرة لتحقيق أهداف مصر ومن أجل تقدم ورخاء الشعب المصرى .. وقد اقتحم بمفرده الحدود التى فرضت على المنطقة بواسطة أجيال من الكراهية والغرور .. وكان قبل كل شىء باعتباره واحدا من أقوى عناصر التغيير فى عصره ، يفهم قوى التغيير التى تعمل بين الجنس البشرى وسيطر عليها فترة قصيرة . لقد صرعته قوى رجعية . ولا تزال هذه القوى تعمل فى المنطقة . وقد تستمر ماضية فى طريقها ولكن صلف الرجعية والتعصب أمر لا نعرفه فى النهاية وسوف يتدعم الاحترام والتقدير لتراث السادات كلما مضت الاعوام » .

اخلص من هذا القول أن هيكل ـ بعد تولى السادات ـ كان يعيش فى قلب الأحداث .. واستمر قناة غير رسمية للاتصال بين السادات وامريكا .. كما كان مع عبد الناصر وهو يعلم تماما حقائق مواقف السادات التى التزم فيها فى الاتصالات غير المعلنة بمثل ماالتزم به أمام الرأى العام والتاريخ علانية . أى أنه لم يعمل بوجهين . ولم يقل فى السر ما كان يناقض التزاماته التاريخية العلنية . ومع ذلك فإن هيكل هو أول من شن الحرب الدعائية ضد السادات ، منذ شعر أن السادات لا يشركه فى مسئوليات الحكم كما كان يفعل عبد الناصر ومنذ أبعد السادات هيكل عن أول مباحثات له مع هنرى كيسنجر التى أعقبها كل التطورات التى جرت .

تحمل السادات إذن حملة ظالمة ـ رحبت بها كل الصحف العربية ـ تشكك فى سلامة الطريق الذى اختاره السادات عندما اتجه إلى الاتصالات المباشرة مع أمريكا ومع اسرائيل .. وتشكك فى أنه قدم تنازلات لم يأخذ عنها عوضا إلى آخر هذه الاسطوانات التى أصبحت تدار فى كل الصحافة العربية .. وعلى مستوى كثير من المسئولين فى الدول العربية .

ودعم هذه الحملات .. الاتحاد السوفيتي بكل من يتعاملون معه فى المنطقة العربية على مستوى الحكومات أو على مستوى الأحزاب الشيوعية أو من يرتدون قميص عبد الناصر الذى كان هو صاحب سياسة الوصول إلى حل سلمى للصراع بواسطة أمريكا ! .

وتطور الأمر إلى مؤامرات للتخلص من أنور السادات .

كل ذلك لم يقابله ادراك ايجابى فعال فى الادارة الأمريكية .. بأن تقدم الادارة على ضغط حقيقى على حكومة اسرائيل .. وكما سجلت فى صفحات سابقة عن مباحثات كامب دافيد ، أن استراتيجية السادات فى هذه المباحثات كانت الوصول إلى موقف مصرى أمريكى متقارب يدفع أمريكا إلى أن تؤدى دورها فى الضغط على بيجن .. وكيف هدد السادات بقطع مباحثات كامب ديفيد فى المرة الأولى عندما تبين موقف بيجن فى موضوع المستوطنات داخل سيناء .. وفى المرة الثانية عندما نجح فى إقناع كارتر .. بأن يعلن أمام الشعب الأمريكى أسباب فشل مباحثات كامب . لكى تتحمل اسرائيل المسئولية فى فشل السلام أمام الرأى العام العالمى .. وكيف كان السادات معدا لخطة إعلامية تكشف موقف اسرائيل فى حالة فشل مباحثات كامب ديفيد .. ووصل الأمر إلى قول الرئيس كارتر لأسامة الباز إنه سيفقد منصبه ، لو وصل بالضغط الأمريكى إلى أكثر من الحدود التى وصل إليها فى كامب دافيد .

هذا .. مع الجهد الضخم المتواصل الذى بذله السادات بشخصه مع القوى اليهودية فى أمريكا وأوربا .. وعشرات الاتصالات والاجتماعات التى عقدها لكى يحدث التناقض بين هذه القوى .. ولكى يدعم الاتجاهات المعتدلة داخلها حتى تصمد وتقنع القوى المتطرفة بأنه لا سلام مع التوسع ، وأن كل إجراء لضمان أمن اسرائيل مقبول ومعترف به فى مقابل إسقاط التوسع واحتلال أرض الغير .

واستطاع السادات أن يقتحم فعلا .. هذه الكتلة الصلبة القوية التى تشكل الضغط الصهيونى فى أمريكا وأوربا ، ولكن أخاف قوى التطرف وأزعجها أن يصل السادات بالرأى العام الأمريكى إلى الاقتناع بأن مصر دولة جادة فى قضية السلام .. وأن السادات زعيم نادر فى شجاعته ، وأصبحت المقارنات تعقد بين قوته وضعف كارتر عندما عرض السادات استضافة الشاه وطردته أمريكا .. وأصبحت المقارنات تعقد بين قوة السادات وزعامته الفذة .. وبين ضعف الرئيس الفرنسى ديستان .. بل جرى شعار بين الرأى العام الفرنسى خلال انتخابات الرياسة فى فرنسا بأن فرنسا فى حاجة إلى زعيم قوى مثل السادات .. مما اضطر ديستان أن يدعو السادات إلى زيارة غير رسمية لفرنسا خلال عودته من أمريكا ، وخرج ديستان على كل التقاليد وذهب إلى المطار ليكون فى

استقبال السادات .. وبذلك يضمن التأييد فى الانتخابات من الرأى العام الفرنسى .

بل إن بيجن طلب من السادات — كما ذكرت من قبل — أن يجتمع به فى شرم الشيخ لكى يقنع الرأى العام الاسرائيلى فى مرحلة الانتخابات أنه على علاقات طيبة مع السادات .. ثم ارتكب بعد ذلك جريمة ضرب المفاعل الذرى العراقى — بل إن شارون جاء إلى مصر قبل الاتفاق على هذا الاجتماع بأيام واستقبله السادات وعاد إلى اسرئيل لينشر تصريحات فى صحف اسرائيل بالمانشيتات العريضة وفى الصفحات الأولى بأن السادات يثق فى بيجن ويفضل التعامل معه ، وذلك ردا على دعاية بيريز زعيم المعارضة بأن بيجن أساء إلى علاقة اسرائيل بالسادات .

هذه المكانة التى وصل اليها السادات . جعلت القوى الصهيونية تخطط لتشويه صورته ، والاساءة إلى سمعته ، فى حياته .. أمام الرأى العام الامريكى .. ومن ذلك الحديث التليفزيونى الذى أعد لإذاعته يوم وصول السادات إلى امريكا لعقد أول لقاء مع ريجان ثم المقالات العديدة التى كتبتها أقلام صهيونية فى صحافة أمريكا عن فساد السادات (فى حياته) .. ثم الفيلم الذى ظهر عن السادات بعد وفاته .. وكل هذه عمليات تشويه مستمرة لهز صورة زعامة السادات وتأثيرها على الرأى العام العالمى .

ومع كل ذلك فإن أمريكا الرسمية لم تقدم الضغط — الذى يقدر عليه حاكم أمريكى شجاع — لكى تتقدم مباحثات القضية الفلسطينية .. بحيث ظهر السادات أخيرا وكأنه عقد صلحا منفردا مع اسرائيل ، أتاح لها الفرصة للعدوان على الحقوق العربية فى عربدة لم يسبق لها مثيل .

ثم ظهرت قضية الرخاء ومواجهة الأزمة الاقتصادية الطاحنة فى مصر التى بدأت منذ عام ١٩٦١ فى عهد عبد الناصر وأخفيت حقائقها عن الشعب .

لقد كان طبيعيا أن يحلم الشعب المصرى بالرخاء بمجرد توقيع اتفاق السلام !.. وكأن توقيع المعاهدة سيحول التراب إلى ذهب .

وكان السادات عارفا بهذا الشعور العام لدى غالبية الشعب المطحون .. وكان يشجع على هذه الآمال فى كل خطبه .. آملا أن يصل عاما بعد عام إلى أعتاب الرخاء فعلا .. وكان يعتمد فى ذلك على تدفق رؤوس الأموال الأمريكية إلى مصر فى مشروعات الاستثمار .. ولكن ما حدث فعلا هو أن الرأسمالية الأمريكية لم تنظر إلى أبعد من أنفها وتقوقعت فى غباء سياسى فى إطار الكسب العاجل من أى استثمار أجنبى .. فلم تقدم على مشروعات استثمارية ضخمة ، وكان كل أمل السادات أن يجتذب واحدة من الشركات الضخمة الكبرى التى تشجع بعدها الشركات المتوسطة والصغيرة ، ولكن

هذا لم يحدث . وقد عقد السادات عشرات الاجتماعات مع أصحاب الشركات فى أمريكا أثناء زياراته ، وفى مصر بدعوة منا لهذه الشركات . وأذكر أن كارتر حضر أحد هذه الاجتماعات فى واشنطن وألقى كلمة لكى يحث هذه الشركات على التعامل معنا ، ولكن التعامل الحقيقى لم يحدث ، بحجة أن المنطقة لاتزال فى شبه حالة حرب ولم تستقر ، فى الوقت الذى كانت تعمل فيه الشركات الأمريكية الكبرى — ولا تزال — فى السعودية والكويت ودول الخليج ولكنها تعمل من أجل الكسب الضخم الذى تحققه أموال البترول .. بل إن هذه الشركات الكبرى دفعت بلايين الدولارات كعمولات حتى تحصل على عقود الأعمال الكبرى فى هذه البلاد .

يقابل هذا أن البيروقراطية المصرية التى كانت تخشى المنافسة الأجنبية وتتمسك بامتيازاتها فى القطاع العام .. وضعت كثيرا من العراقيل أمام رؤوس الأموال الصغيرة التى جاءت إلى مصر بهدف الاستثمار .. ولم تكن متجاوبة مع هدف السادات ، فى إرساء قواعد اقتصاد مشترك يجمع بين النظام العام والنظام الخاص .. بعد أن فشلت اشتراكية عهد عبد الناصر التى كان يطلق السادات عليها « اشتراكية توزيع الفقر » .

ثم جاءت قصة المعونات الأمريكية الاقتصادية والعسكرية ..

لقد تطورت إلى أن أصبحت بليونا من الدولارت .. ثم أصبحت المعونات العسكرية بلا مقابل .. وكان السادات قد حصل على وعد من كارتر بأن تعامل مصر نفس معاملة اسرائيل فى المعونات[1] .. وفى هذا يعترف السفير الامريكى هيرمان ايلتس بأنه « كان فى إمكان أمريكا أن تفعل المزيد ببرنامجها الاقتصادى لدعم السادات . ان لدينا فى مصر أكبر برنامج للمعونة الاقتصادية نديره فى أى مكان من العالم ، وهو ما يعادل بليون دولار سنويا . ونحن نضيع الوقت سدى عاما بعد عام .. لماذا ؟.. جزئيا لأنه كبير جدا . وكل عضو فى الكونجرس لديه أفكاره الخاصة عما يجب عمله . وأيضا لأننا نعامل المعونة الاقتصادية كالتنمية ونتحدث عن مشروعات كبيرة سوف تظهر فوائدها من خمس إلى عشر سنوات .. فى حين أن المشكلات المباشرة فى مصر هى النقص الخطير فى الأسكان ، والنقص الشديد فى النقل ، ومشكلات الغذاء وغيرها . دعونا نعترف بأن برامجنا للمعونة الاقتصادية ـ وإن كان لابد أن نعلق بعض

(١) خلال مباحثات زيادة المعونة الأمريكية لمصر فى عهد ريجان ، قالت الادارة الامريكية إنها لم تعثر على أى دليل رسمى ، بأن كارتر قطع هذا الوعد على نفسه ، بل قيل إنه التزم بذلك مع أنور السادات .

الاهمية على برامج التنمية الطويلة المدى ، فانها أساسا برامج سياسية وقد شاركنا فيها لكى نساعد السادات ،. ولكننا لم نعدها كما ينبغى من حيث نوع الأشياء التى يمكن انجازها بسرعة معقولة بحيث تمنحه تأييدا بين المواطنين العاديين .. ودعونا نحسن ذلك مع الرئيس مبارك .

ولم يبدأ السادات بعزلة عربية .

خلال مباحثات كامب ديفيد أبلغه كارتر بأنه مسئول عن موافقة السعودية والأردن .

وبعد أن اشتدت الحملات بين مصر والسعودية كانت هناك وساطة أمريكية بين البلدين انتهت إلى لاشيء .

وجاءت إدارة ريجان بسياسة عربية مختلفة فى الشرق الأوسط ، أساسها التعامل المنفرد مع كل دولة عربية على حدة .. بل تكوّن شعور عام لدى بعض المواقع فى مصر أن ادارة ريجان لها دور فى استمرار القطيعة بين مصر والسعودية .

وعلى أي حال لم يظهر دور أمريكى فعال فى إدارة كارتر أو إدارة ريجان عمل على تحسين العلاقات بين مصر والدول العربية . وواجه السادات هذا الموقف وحده بشجاعة وإيمان وصبر وكان على يقين من الشعار الذى رفعه وهو أن مصر لم تنعزل عن الدول العربية ولكن الدول العربية هى التى عزلت نفسها عن مصر . وكان السادات على يقين من أن الدول العربية المعتدلة وغير المعتدلة لن تجد بديلا آخر غير طريق السلام ، ولن تصل إلى أكثر مما وصل إليه فى كامب ديفيد .

وتحقق هذا بعد موت السادات . واتجهت كل الدول العربية إلى طريق السلام . وظهرت مبادرة فاس وفيها اعتراف ضمنى باسرائيل . ولم تحو من المبادىء أكثر مما حواه خطاب السادات أمام الكنيست الاسرائيلى . كما أن الخطوات العربية نحو إعادة العلاقات مع مصر سارت متثاقلة ، ولم تتحقق خطوة فعالة حتى بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على موت السادات ، رغم ما بذله الرئيس حسنى مبارك من جهود لتحسين العلاقات ، أجمعت كل الاطراف أنه لا يطلب منه أكثر منها . (أخيراً تحققت مبادرة الأردن فى أكتوبر ١٩٨٤) .

وهكذا تحمل السادات وحده بشجاعة فذه آثار كل خطواته التاريخية نحو السلام .

حقيقة أن أمريكا الرسمية عاملت السادات أكرم معاملة .

كان هو أول زعيم عربى يدعوه الكونجرس لإلقاء خطاب أمامه .

ولم تخل كلمة لرئيس امريكى من الاعتراف بزعامة السادات الفذة .. بل وصل الأمر ببوش نائب الرئيس الامريكى أن يقول بأن الله لم يفعل شيئا فى اليوم الذى خلق فيه السادات غير أن خلقه !.. وقال كارتر إنه كان يثق فى السادات بمثل ما يثق فى زوجته روزالين[1] . ولم يكن ذلك مقصورا على **أمريكا** .. **هكذا كان رأى مسز تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا التى قالت إن من يرد أن يعرف مواصفات الزعامة العالمية .. فعليه أن يراها فى شخصية أنور السادات ، وقال شميث مستشار ألمانيا الغربية ما يؤكد هذا وقال مستشار النمسا إن السادات زعيم لا يجود به الزمان إلا فى قرن واحدا .. وقال إن العالم فى القرن الأخير عرف زعامتين . تشرشل والسادات ،**

ولكن أوربا الغربية لم تستطع أن تقدم شيئا فعالا لقضية السلام . وعلى الرغم من الاستقبال المروع الذى لقيه السادات أمام البرلمان الاوربى ، فإن أوربا بمجتمعه عجزت عن أن تباشر ضغطا على أمريكا أو على اسرائيل .

وأخلص من ذلك إلى أن النفوذ الصهيونى أثبت أنه أقوى من حكومات أمريكا وأوروبا بمجتمعه . وأن التمزق العربى ساعد على هذا الانتصار الصهيونى واشترك معه فى تشويه صورة السادات .. اسرائيل نالت من هذه الصورة بعربدتها فى المنطقة العربية ، والدول العربية نالت من هذه الصورة بإعطاء مادة مستمرة لتشويه السادات ومحاولات حصار مصر فى كل المجتمعات الاسلامية والعربية والدولية .. واتفق الهدفان عن تخطيط من جانب القوى الصهيونية ... وعن جهل وتخلف فكرى من جانب القوى العربية .

وحمل السادات وحده هموم السلام .. وهموم التخلف العربى .. وهموم الجرائم الصهيونية .. وهموم التخاذل الأمريكى والأوربى .. وهموم العقبات التى كان يضعها الاتحاد السوفيتى أمام خطوات السلام التى لم يكن شريكا فيها .. ونجح — رغم ذلك كله — فى أن يحقق لمصر تحرير أرضها .. وفى أن يقدم للعالم العربى أساسا — لا يزال هو الأساس الصالح الوحيد — للتقدم نحو الحل السلمى للصراع .

---

(1) كان الدكتور أشرف غربال سفيرنا فى أمريكا يعلق على مثل هذه الأقوال : كفى من هذه النياشين الرائعة التى تضعونها على صدر السادات . استبدلوا نيشانا واحدا منها بضغط فعال على اسرائيل .. وهذا يسعدنا أكثر من جمع هذه النياشين فى متحف تاريخى .

الجـزء العـاشر

وبعـــد .!

الفصل الأخير ..

(.. وبعد)

كنت أسير فى جنازة السادات إلى جوار منصور حسن وزير الإعلام السابق كنت أشعر بالمرارة لمشهد الجنازة ، وقلت لمنصور حسن عدة مرات وأنا أغالب دموعى : هل هذه هى جنازة أنور السادات ؟ .. كيف يمكن أن تكون هزيلة بهذا القدر !!؟

ان العالم كرّم موت أنور السادات بأكثر مما كرمته حكومة مصر فى جنازته . لقد اشترك فى تشييع الجنازة ثلاثة رؤساء سابقين لأمريكا : هم كارتر وفورد ونيكسون . وهذا لم يحدث فى أمريكا بالنسبة لرئيس أجنبى واشترك ممثلو ثمانين دولة أو أكثر . ولم يحضر من الدول العربية إلا الرئيس جعفر نميرى ونائب عن السلطان قابوس . وكانت حجة امتناعهم هى وجود بيجن رئيس وزراء اسرائيل الذى أصر على الحضور . وانفرد حسين الشافعى من أعضاء مجلس الثورة بعدم الاشتراك فى الجنازة ، وأدلى بعد ذلك بتصريحات مقززة عن سبب عدم اشتراكه .

هل كان العدد المحدود من المصريين الذين اشتركوا فى الجنازة معبرا فعلا عن مشاعر المصريين نحوَ أنور السادات ؟ ..

الجواب ، بكل الأمانة .. لا .

ولو كان قد ترك الاشتراك فى الجنازة مباحا دون قيود وإجراءات صارمة .. لكان اشتراك الملايين أمرا طبيعيا .. ومعبرا فعلا عن مشاعر الشعب .

كان الجو مكهربا بعد اغتيال السادات .

وعندما وقعت الجريمة .. لم يكن أى جهاز رسمى فى الدولة قادرا على تفهم الحقيقة .. هل هى فقط جريمة اغتيال نفذها أربعة اشخاص ؟ وهل كان المقصود اغتيال السادات أم الاجهاز على كل كبار المسئولين فى الدولة ؟ . وهل هى مؤامرة واسعة الأطراف للقيام بانقلاب شامل ؟. وإذا كان من نفذ الاغتيال ضابطا فى القوات المسلحة .. فهل هناك مئات غيره تسربوا إلى الجيش وكانوا ينتظرون إشارة الانطلاق ؟ وإذا كان هذا هو الحذر فى الجيش .. فما هو وضع باقى الأجهزة المسئولة عن الأمن فى البلاد .. ؟ .

هل هناك فى قوات الشرطة شركاء فى مؤامرة واسعة .. لم يكتب لها النجاح الشامل ؟ ..

كل هذه أسئلة لم يكن فى جهاز الدولة مسئول واحد يستطيع الاجابة عنها !!

ولذلك اتخذت اجراءات قيود عنيفة لتحديد عدد المشيعين من ممثلى مختلف الفئات .. بحيث تستطيع قوات الأمن حمايتهم إذا حدث مكروه مفاجىء خلال الجنازة .

كما اتخذت اجراءات مضاعفة لحماية الضيوف الأجانب وفى مقدمتهم رؤساء أمريكا السابقون ، وكان وجود بيجن مدعاة لمضاعفة عنف هذه الاجراءات .

وكان الاشتراك فى الجنازة يستدعى أن تصرف بطاقة خاصة .. وفى ساعة محددة .. كما تقرر أن تسير الجنازة فى مكان بعيد عن العمران تماما وهو الطريق المؤدى إلى المكان الذى اختير ضريحا للراحل الكبير فى مدينة نصر .. وهى منطقة تخضع لسيطرة القوات المسلحة .

وأقيم صيوان طويل ، ضيق .. ليجلس فيه المشيعون قبل أن تبدأ مسيرة الجنازه .. وحدد لكل فئة جزء من هذا الصيوان .. كما حددت أوقات تحرك المشيعين من الصيوان .. وترتيب هذا التحرك ، ولم يكن مسموحا لأحد أن ينتقل من قسم من الصيوان إلى قسم آخر .. وحددت مسافة قصيرة لسير الجنازة .. واختلطت فى كل الصفوف مشاعر الحزن بمشاعر الخوف من انقضاض إرهابى مفاجىء .

وحدث أثناء سير الجنازة أن قررت الشرطة العسكرية وضع حواجز حديدية متنقلة وسط المشيعين لكى تحقق الانتظام فى السير بين مختلف الفئات ، وقام رجال الشرطة العسكرية الذين كلفوا بذلك بحركة سريعة خاطفة وهم يضعون الحاجز ..

وكانت هذه الحركة المفاجئة وكأنها تنفيذ لأمر بالهجوم .. وفى هذه اللحظات التى لم تستغرق ثوانى معدودات انتشر ذعر مخيف بين المشيعين واضطربت أقدامهم واهتزت صفوفهم .. فقد تصوروا — وفى لحظات — أن الإرهاب ظهر فجأة !.

كان هذا هو مشهد الواقع المخيف .

لم يكن أحد بقادر أن يجرد أفكاره من احتمالات مذبحة يمكن أن تفتك بالمئات .

وبمجرد أن وصل الجثمان إلى مقر الضريح .. وهى مسافة قصيرة ، انصرف الجميع فى لحظات إلى السيارات والأتوبيسات التى خصص لها مكان قريب ، ولم يبق أمام الضريح إلا أسرة السادات ، وعدد محدود من كبار المسئولين . ثم اتجهت السيدة جيهان مع حسنى مبارك إلى صالة ضيقة وراء مدرج الاستاد ومعها جعفر نميرى والسيدة قرينته وأحد أشقاء السادات .. لتتقبل العزاء .. ولم يسمح بذلك إلا لعدد محدود جدا من المشيعين .

لم يعلن إذن ، عن دعوة شعبية لتشييع جثمان رئيس مصر .

وحدد الاشتراك ، بأشخاص بأسمائهم يمثلون مختلف الهيئات ، لم يصلوا إلى المكان إلا ببطاقات رسمية .. اطلع عليها ، أكثر من موقع حراسة .

فالقول إذن ، الذى أراد البعض أن يروج له .. فى مجال تعمد عقد المقارنات مع جنازة عبد الناصر ، بأن شعب مصر أبدى روح عدم اكتراث لمقتل السادات وأن الهدوء خيّم على القاهرة ، وكأنها لم تفقد زعيما كان ملء سمع العالم وبصره .. كل ذلك مقصود به ، تشويه مكانة الرجل الكبير .

وقد قيل ، إنه كان من الممكن ، لو أن المشاعر الشعبية تعانى آلام رحيل السادات ، أن يتجمع الناس فى مختلف أحياء القاهرة وشوارعها للتعبير عن هذه المشاعر .. ولما لم يحدث ذلك ، فهو الدليل على تدهور شعبية السادات بعد قرارات سبتمبر .

وهذا قول يعتمد على الخيال الملوث بسوء النية .. لمجرد إضافة حجة إلى منطق أولئك كلذين أرادوا أيضا أن يغتالوه ميتا ، ومن بينهم ذلك الصحفى الحاقد الذى أراد أن يصفى حساباته مع السادات .. فأخرج كتابا مليئا بالوقائع الكاذبة .. علق عليه هيرمان ايلتس السفير الامريكى السابق بأنه اكتشف به مائة خطأ فى وقائع السياسة الخارجية .. وأنه صدر للانتقام فقط .. وأجمعت التعليقات المحدودة التى صدرت عن الكتاب فى صحافة الغرب «بأن سطوره ذاتية ومغرضة» .

فلم يحدث فى أى بلد فى العالم ، أن قام الناس بتشييع جنازات منفصلة ، فى الأحياء والشوارع بعد موت زعيم .. وحتى لو دفعت مشاعر الحزن قطاعات الجماهير ، أن تعبر تلقائيا عن آلامها .. فإن الجو العام الذى سيطر فيه الخوف من الارهاب على كل بيت فى مصر ، كان يمنع أى سلوك تلقائى .

لقد كان المنطق البسيط يفرض على عقول الناس ، فكرة استمرار وجود الارهاب مختفياً ، ليظهر فجأة فى أية لحظة .. ذلك أنه بعد إعلان الاعتقالات فى سبتمبر .. وقد تجاوز عددها ١٥٠٠ معتقل .. وجدت جماعة قامت بجريمة الاغتيـال وبهذا الأسلوب الفريد الخاطف .. وهذا دليل دامغ على وجود جماعات أخرى لم تصل إليهـا أجهزة الأمن .

كما ان أجهزة الأمن بعد الاغتيال وعلى مدى أيـام متتاليـة قامت بـاعتقالات عشوائية لمجرد الاحتياط والضمان ، وصلت إلى أرقام كبيرة .. وهذه الاعتقالات التى انتشرت فى مختلف المدن والقرى .. فرضت بطبيعة اجراءاتها أجواء من الخوف العام .

وقد تلاشى هذا الخوف تدريجا يوما بعد يوم حتى جاء يوم الاستفتاء على اختيار حسنى مبارك رئيسا للجمهورية .. لقـد تقدم إلى صنـاديق الانتخاب فى كـل أنحاء الجمهورية أعداد ضخمة من الجماهير قالت .. نعم وإذا كانت «نعم» هى التعبير الشعبى عن شبه إجماع على اختيار حسنى مبارك .. فهى فى الوقت نفسه تعبير شعبى عارم عن انتخاب الرجل الذى اختاره أنور السادات نائبا له فى حياته .. ويؤكد صدق مشاعر الجماهير والخوف من إرهاب مفاجىء .. أحداث أسيوط الدامية التى وقعت بعد ذلك ، وراح ضحيتها عدد كبير من رجال الشرطة ومن المواطنين الأبرياء .

كما ان الدولة ، ومع الافراجات المستمرة عن المعتقلين . ومع الجهود المضنية فى مناقشة افكار التطرف فى حوارات ديمقراطية .. لم تزعم أن الارهاب قد اختفى .. ولذلك استمر فرض الأحكام العرفية عاما بعد عام .. ولا تزال أجهزة الأمن تكتشف وفى فترات متقاربة ، جماعات سرية لم تتخل عن عقيدة الارهاب .. وتغيير نظام المجتمع ، وفق معتقداتهم ، بقوة السلاح .

وليس من المعقول أن تتدهور شعبية السادات بين عشية وضحاها .. لقد كانت رحلته إلى المنصورة قبل اغتياله بأيام .. وفى قطار مفتوح وسيارة مكشوفة ولمدة أربع ساعات دليلا ساطعا على شعبيته وزعامته .. وقد أحاط به ملايين المواطنين فى مشهد قل أن يحدث لزعيم أو حاكم .. والشريط التلفزيونى الذى سجل هذا الاستقبال الرائع ، لا يزال موجودا ، فى أرشيف التليفزيون المصرى .

وإذا كانت حملة شرسة ، قد بدأت فى الصحافة العربية ، ومن بعض الأقلام فى الصحف القومية لعل أبرزها مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصى .. ثم فى صحافة المعارضة بعد ظهورها من جديد .. وكلها أرادت أن تقوض كل الانجازات التاريخية التى حققها السادات .. فإننى أقول إن هذه الحملات خلقت أجواء من الاثارة .. ولكنها لم تنتزع لحظة من أعماق الجماهير أن السادات زعيم أسطورى ، استحق عن جدارة لقب بطل الحرب وبطل السلام .. وكل الأحداث التى توالت بعد ذلك فى المنطقة العربية ، رسخت هذا الايمان فى قلوب الناس .. وأصبح عادياً أن تسمع على ألسنة الغالبية الساحقة .. «ألم يتنبأ السادات بكل ما يجرى الآن ؟ .. هل استطاع أحد من رؤساء العرب أو ملوكهم أن يحقق شيئا غير ما أنجزه السادات ؟ .. ألم يعودوا جميعهم إلى خيار السلام الذى نادى به السادات ، بأشجع قرار تاريخى ، وتحمل وحده مسئوليته .. ثم دفع حياته ثمنا لشجاعته ؟ .. وهل نجحت المنظمات الفلسطينية فى تحقيق شىء بخيار القتال ؟ .. ألم ينته الأمر إلى أن الرصاص الفلسطينى وجه إلى الصدور الفلسطينية ؟ .. ماذا فعلت سوريا ، عندما وقع الغزو الاسرائيلى للبنان ؟ .. ألم تتهم منظمة التحرير حافظ الأسد والقذافى .. أنهما شركاء فى مؤامرة اسرائيل ، وأنهما باعا القضية الفلسطينية ؟ ..» .

وليس من شك ، فى أن مظاهر الابتهاج والشماتة من قيادات المنظمات الفلسطينية بعد اغتيال السادات ، كان لها أسوأ الأثر فى نفوس المصريين .. وإذا كانت زيارة ياسر عرفات لمصر فى عام ١٩٨١ ، بعد مغادرته طرابلس قد لقيت الترحيب الرسمى ، فإنها لم تلق الترحيب الشعبى فى مصر .

والحقيقة التى يجب أن نقولها بكل الصدق .. أن الشعب المصرى لم يكن متبرما أو قلقا بما سمى عزلة مصر عن العالم العربى .. لأن حقائق المعونات العربية الضئيلة لمصر كانت معروفة لدى الجماهير .. والشعور العام فى مصر ، الذى لا يقبل مداراة أن مصر هى التى وصلت بتضحياتها فى الأرواح والأموال من أجل قضية فلسطين إلى حدود الفقر والحاجة .. ومصر هى التى حققت بجيشها وبقرار السادات النصر العسكرى فى حرب أكتوبر الذى رفع هامات العرب .. ولكن القادة العرب يضعون الهزيمة على رأس مصر وحدها .. وأما انتصار مصر فهم أصحابه ! .

هذه حقائق يجب أن نعترف بها ، ليعرفها الحكام العرب .. وإذا كانت المسئوليات السياسية تفرض مداراة هذه الحقائق فإن المشاعر الشعبية لم تخفها أبدا .

ولماذا ؟

لقد تولى انور السادات رياسة الدولة .. والعلاقات المصرية العربية فى قمة تدهورها .. وكان أسلوب عبد الناصر فى الحكم هو تصدير ثورة ٢٣ يوليو .. وكانت المخابرات المصرية منتشرة فى كل الدول العربية ، وكانت بعض نظم الحكم العربية تعرف أنها مهددة .. وكان عبد الناصر فى خطبه العامه يصل إلى المناداة بنتف ذقن الملك فيصل .. والحديث القاسى عن أم الملك حسين .. وقد قال عبد الناصر للملك حسين فى مؤتمر قمة الخرطوم ، بعد هزيمة ١٩٦٧ .. إذهب إلى الأمريكان واقبل أى شيء .

وجاء انور السادات وعمل بجهد خارق على تحسين العلاقات العربية .. وقام من أجل ذلك برحلات عديدة لم تتوقف .. ووصل فعلا قبل حرب أكتوبر إلى موقف عربى شبه موحد .

وألغى انور السادات سياسة التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية .. وانحسر تماما دور المخابرات المصرية .

وألغى انور السادات ، سياسة التفرقة بين دول رجعية ودول تقدمية .. وقد ثبت فى حياة عبد الناصر أن الخلافات بين الدول التقدمية أقسى وأعنف من خلافاتها مع الدول الرجعية .

ولما أقدم السادات على خطوات السلام .. بزيارة اسرائيل ثم اتفاق كامب ديفيد ثم المعاهدة المصرية الاسرائيلية .. قام بكل هذه الانجازات على مسئوليته وتحملت مصر وحدها نتائجها ، ولم يبدأ بعداء مع دولة عربية واحدة . ولم يبدأ بهجوم على أى رئيس عربى .. وعندما بدأ الهجوم .. كان ردا ، ولم يكن مبادرة .. ولم تتعرض الصحف المصرية للحياة الشخصية لأحد .. ولكن صحف الدول العربية سواء كانت خاضعة للدولة أو لاتجاهات سياسية معادية لمصر .. استغلت كل رذيلة فى التهجم الشخصى والتشهير .. بل إنها استمرت فى هذا السلوك وقتا طويلا بعد اغتيال السادات .

وكل ذلك يعيه شعب مصر جيدا .

وما هو الموقف الآن وبعد ثلاثة أعوام من اختفاء السادات ؟.. الصورة العربية مهلهلة ممزقة .

كل التجنيات على السادات .. لم تتقدم بالعرب ، خطوة واحدة نحو حل القضية الفلسطينية .

كل النداءات المصرية بموقف عربى موحد لم تلق الاستجابة .

ولن يجدى ولن ينفع أحد ، تعليق هذا الانهيار العربى ، على شماعة «خيانة» أنور السادات ..

ان هذه « الخيانة » حققت لمصر تحرير أرضها .. حربا وسلاما ، وأقامت أول بناء ديمقراطى فى المنطقة العربية .. واجه كثيرا من الصعاب فى بداية التجربة .. ولكن البناء يفيد من أخطائه .. ويستمر ليصبح أسلوب حياة لا تجربة .. ويكفى أن ننظر حولنا .. لكى نقتنع ويقتنع غيرنا ، أن أعلام الوطنية والشجاعة والكرامة والواقعية ، التى رفعتها زعامة أنور السادات ستظل شامخة ، جيلا بعد جيل .. لتكون درسا وعبرة وعظة لكل من ضلوا سواء السبيل .

فريضة الحج .. السادات يقبل الحجر الأسود

مع الحبيب بورقيبة رئيس تونس

مع حافظ الأسد وأمير الكويت

حوار ضاحك مع الملك خالد

بعد نصر أكتوبر .. السادات وبومدين

▲ الملك السنوسى

◀ جعفر نميرى يقلده
أرفع أوسمة الدولة

حديث مع أمير قطر

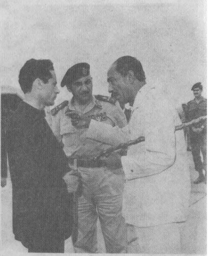

حوار مع القذافى يحضره الفريق صادق

لقاء مع صدام حسين

شميت مستشار ألمانيا الغربية

فى مباحثات موسكو مع برجنيف وكوسيجين

الملك حسين . . وحافظ الأسد

الترحاب بالرئيس تيتو

أنديرا غاندى فى نيودلهى

سليمان فرنجية وزعماء لبنان فى لقاء السادات

الشيخ زايد أمير الإمارات

حوار مع الملك فيصل

السلطان قابوس بعد حرب أكتوبر

صورة مع الملك الحسن

مع عيدى أمين رئيس أوغندا

أول لقاء مع جولدا مائير

زيارة المسجد الأقصى

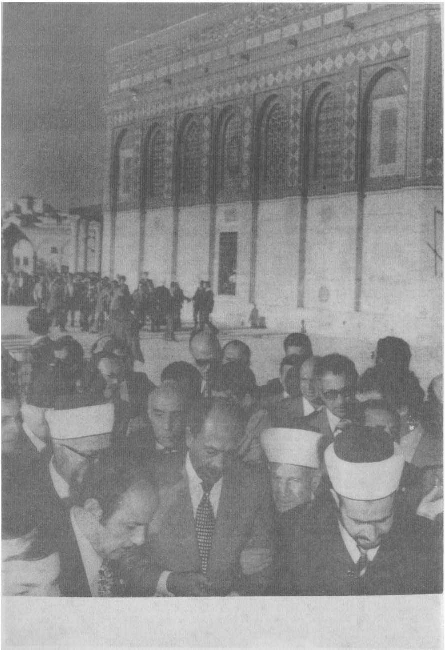

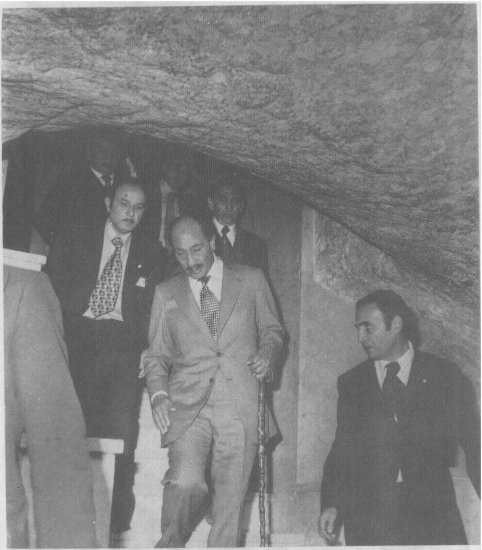

في كنيسة الأقباط بالقدس .

حوار مع كارتر

فى الكنيست الإسرائيلى بعد خطاب بيجين

سيروس فانس يستمع

السادات وبيجين وكارتر بعد اتفاق كامب دافيد

▲ شرح لياسر عرفات

▲ أول لقاء مع كيسنجر فى أسوان

عرفات وقيادات منظمة التحرير .. يستمعون

افتتاح قناة السويس .

بلا كلفة .. حديث الحب

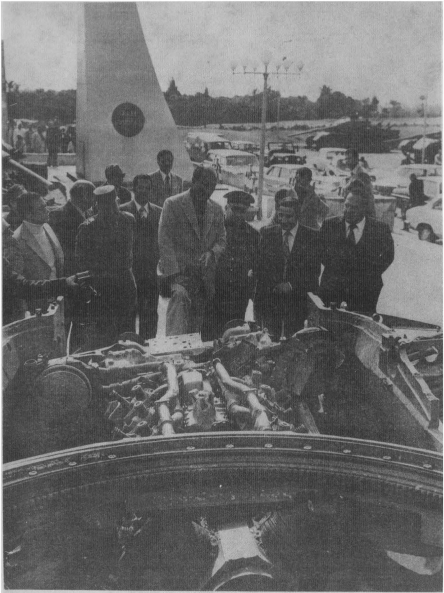

بعد نصر أكتوبر .. وقفة أمام أسلحة إسرائيـل التى دمرناها .

▲ وثيقة تمليك لأحد المعدمين

حـديث إلى موسى صبرى ومحسن محمـد وعلى حمدى الجمال ▼

شكوى من طفل

مجلس الشعب يسألون فى جلسة خاصة

قبلة لطفل فى زيارة شعبية

لقاء أبناء الشعب . . بالأحضان

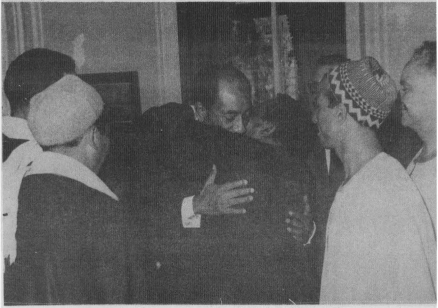

صورة الزفاف مع العروس جيهان

فوق عجلة .. ووراءه حفيده نجل حسن مرعى

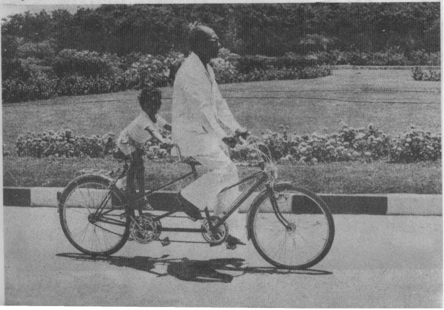

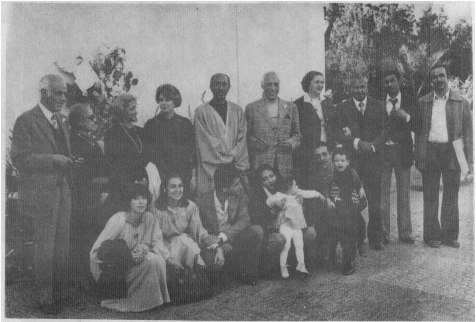

الأسرة والأصهار .. سيد مرعى وعثمان أحمد عثمان

الزوج والزوجة وحفيدان

يقص شاربه

الابناء والأحفاد فى ميت أبو الكوم

كوب الشاى . . والتأمل فى المجهول

عيد ميلاد أحد الأحفاد

بجوار مكتبه وسريره .. البوصلة .. والسبحة .. والساعة

الحفيد يخرج لسانه !

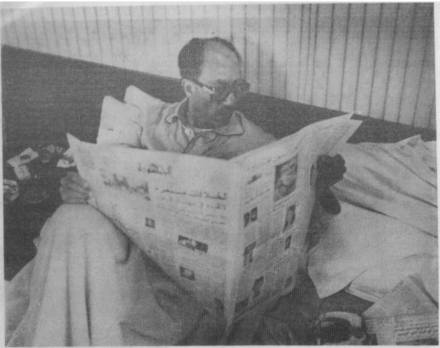

قراءة الصحف في الصباح

جمال الابن الأوحد يقبل والده

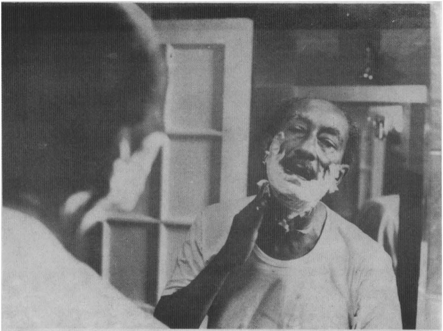

صابون الحلاقة .. قبل الموس

لحظات قراءة قبل النوم

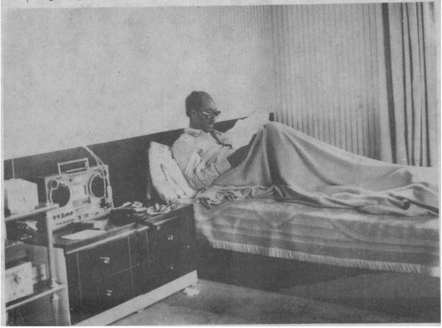

جيهان السادات وحفيدها

السادات . . وابنته لبنى وزوجها عبد الغفار

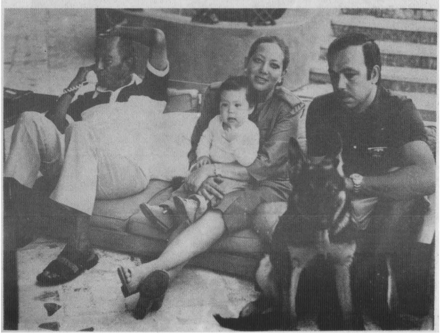

يعلم الحفيد استخدام البندقية

نظرة إلى ماء البحر فى الإسكندرية

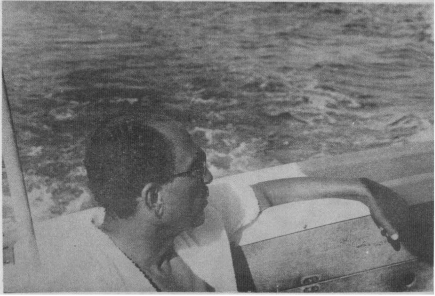

المشى بعد الظهر مع عثمان أحمد عثمان

موسى صبرى يسأل السادات

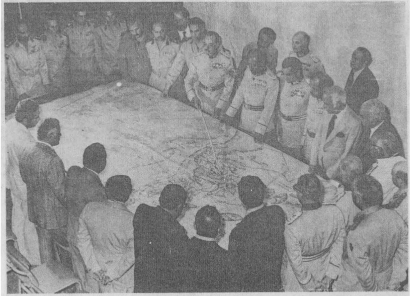

مع قيادات الجيش فى غرفة العمليات

السادات ومبارك والجمسى .. فى زيارة سيناء
بعد الحرب

اليوم الحزين .. القاتل يتقدم بسلاحه

استمرار إطلاق الرصاص

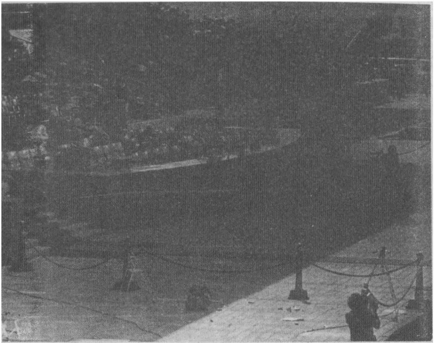

بعد أن تمت الجريمة

رصاصات أخرى

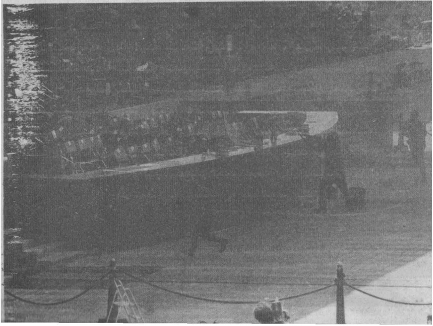

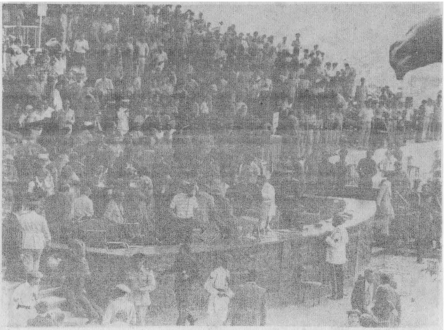

بعد نقل السادات إلى المستشفى

القبض على القتلة

الرؤساء فى جنازة أنور السادات

دموع الأسرة الحزينة

حسنى مبارك يقدم العزاء لجيهان السادات

هذه الصــور سجلتها
عدســة فاروق ابراهيم

فيما يلي ما ورد من .. جدة ..

من .. جلالة الملك خالد بن عبد العزيز

الى .. فخامة الاخ الرئيس محمد أنور السادات

يعلم فخامتكم تقديرى واحترامى لكل من ما يصدر من فخامتكم من مساعى لايجاد الحل السلمى للمشكلة الفلسطينيه . وانا واثق من ان صراحتى مع فخامتكم فى السراء والضراء ادت الى خدمة مصلحة شعبينا خاصة وامتنا الاسلاميه عامه ولما اكنه لفخامة اخى من معزه واخلاص فانني مؤمن بان سفر فخامتكم لاسرائيل سيعيق مساعيكم الحميده من اجل ايجاد حلا سلميا للمشكلة الفلسطينيه وذلك لسببين .

اولا .. ان الشعوب العربيه شرعت فى ابداء عدم تقبلها لهذه الزيارة .

ثانيا .. صرح رئيس وزراء اسرائيل بانه لن يقبل بالانسحاب من الاراضى المحتله او اقامة دولة فلسطينيه . وهما المبدئين اللذين يصر عليهما فخامة اخى قبل غيره من الزعماء العرب ولذلك ولتمنياتى لفخامتكم دائما بالتوفيق والنجاح فانني اقترح على اخى ارجاء هذه الزيارة .

وتقبلوا فخامتكم من اخيكم دعواتى لكم بالتوفيق ..

خالد بن عبد العزيز

... زيارة اسرائيل وكما قلت / فقد تم التجاوز عنه / مع أنه لا يعدو كونه تبيانا لموقفنا واقتناعا منا بضرورة وحدة الصف العربى أمام قضيته التاريخيه .

واخيرا احب ان اعبر عن تقديرى للصراحة المتبادله التى يتسم بها الرأى بيننا والتى لست فى حاجة الى ان اؤكد لكم انها تنطلق من مرتكزات الاخوه الصادقه العميقه التى كانت ولا تزال وستظل دائما تهدف الى زيادة الوشائج بيننا دعما والروابط بين بلدينا الشقيقين قوة والعمل على ما فيه خير امتنا العربية مع اصدق تحياتى واخلص تمنياتى والله يحفظكم ويحفظ مصر والامة العربية ..

اخوكم

خالد بن عبد العزيز آل سعود

صورة زنكغرافية من الخطابات السرية المتبادلة بين الرئيس السادات والملك خالد بن عبد العزيز بعد قرار السادات زيارة اسرائيل

جلالة الاخ العزيز الملك خالد

تحية طيبة وبعد

- فاحب أولا أن أوجه اليكم والاخوة وجميع الاشقاء فى المملكة خالص التهنئة وأطيب التمنيات بمناسبة حلول وقفة عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى أمتنا الاسلامية بالخير والسعادة والتوفيق

وقد تلقيت رسالتكم الكريمة التى تحدثتم فيها عن أرجاء زيارتى لبيت المقدس بالنظر الى أن الشعوب العربية قد شرعت فى عدم تقبل الزيارة والى التصريحات المتعددة التى لازالت تصدر عن حكام أسرائيل متضمنة عدم أستعدادهم للانسحاب من الارض العربية المحتلة أو قيام دولة فلسطينية.

واذ أعبر لكم عن تقديرى الكامل للإعتبارات الاخوية الصادقة التى حدت بكم الى الكتابة الى فى هذا الشأن الذى يهمنا جميعا فأننى أود أن أضع نصب عينكم الحقائق التالية.

أننى حرصت على أن أعلن على الملاء وأكرر أكثر من مرة أن هذه المبادرة التى طرحتها هى أجتهاد منى وليست محصلة أتفاق مع أشقائى القادة العرب ؛ وكنت أقصد من هذا أن أتحمل وحدى مسئوليتها كاملة فى نظر أمتنا وفى صحف التاريخ.

وقد فكرت فى مفاتحتكم فى أمر بيان نقلته بعض الوكالات منسوبا لى المملكة حول هذا الموضوع غير أننى فضلت التجاوز عنه وخير لنا جميعا أن ننتظر ونقيم نتائج هذه الخطوة فيما بعد

ختاما أكرر لكم تحيتى وتمنياتى الطيبة

والله الموفق والمستعان...

أخوكم محمد أنور السادات

سرى للغاية

مذكرة

للعرض على السيد الرئيس

بشأن المحادثات مع ديان وفانس فى بروكسل

(يومى ٢٣ ، ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨)

—

كان مقررا أن يصل فانس الى بروكسل فى الرابعة بعد ظهر السبت ٢٣ عقب الانتهاء من مباحثاته مع جروميكو حول الحد من الأسلحة النووية ، فيجتمع مع ديان فى الخامسة ومعى فى السادسة ، ثم تلتقى الوفود الثلاثة على عشاء عمل . هذا وقد حرصت على أن ننزل بنفس الفندق الذى يقيم به فانس تسهيلا للاتصال بيننا ، أما ديان فنزل فى فندق آخر .

غير أن مفاوضات فانس وجروميكو تعثرت فى اللحظة الأخيرة نتيجة اشارة وزير الخارجية السوفييتى لنقطة جديدة حسبما رواه لنا الجانب الأمريكى فيما بعد ، مما أدى الى تأخر وصول فانس الى العاشرة مساء ، وقد حرص فانس على تكليف سوندرز وكوانت بالاتصال بنا وابلاغنا بخبر تأخره . وبالفعل اتصلا بإسامة الباز وأبلغاه رسالة لى من فانس ...ك، كما هو لم يتغير وانهم يأملون أن تتفهم

المتحدة بأسلوب متزن ، ليس بقصد منع أى امداد ، ولكن بالتلويح بإمكان زيادة الطاقة الانتاجية لمواجهة النقص الناشئ عن الوضع فى ايران ، بحيث تكون هذه النقطة عنصرا للمساومة الذكية .

٢٥ ديسمبر ١٩٧٨ (مصطفى خليل)

صورة زنكغرافيه من الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من المذكرة السرية التى قدمها الدكتور مصطفى خليل إلى الرئيس السادات عن مباحثاته مع ديان وفانس فى بروكسل فى ٢٣ و ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨

سري للغاية .

تقرير عن مفاوضات كامب ديفيد الوزارية
(من ٢٠ الى ٢٥ فبراير)

نتائج المباحثات الوزاريـــة

مقدمـــــة

منذ وصلنا الى كامب ديفيد بعد ظهر الثلاثاء ٢٠ فبراير كلف الـ... الامريكي هارولد سوندرز بوضعنا فى الصورة بالنسبة لتصورهم لكيفية التحرك فى هذه الجولة من المباحثات بهدف تحقيق التقدم ، كما تولى اثرتون هذه المهمة مع الجانب الاسرائيلى

وفى صباح الاربعاء ٢١ عقد فانس اجتماعا تمهيديا معى فى الساعة العاشرة صباحا ثم اجتمع مع ديان فى الحادية عشرة والنصف ، وتم اجتماع ثلاثى بعد ظهر نفس اليوم على مستوى رؤساء الوفود ، واستمر سوندرز يقوم ببعض الاتصالات مع الوفد المصرى واثرتون مع الوفد الاسرائيلى .

٦ - أما اذا تم التوصل الى اتفاق مع اسرائيل ، فينبغى التفكير فـــى الاتصال بالدول العربية المعتدلة فى الوقت المناسب لتوضيح الموقـــف لها ، ومحاولة تحييد من يمتنع عن التأييد .

٧ - وازاء تقديرنا لصعوبة المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتى فى الضفـــة الغربية وغزة ، فان الوضع يكون أفضل كلما اشتركت معنا فـــى التفاوض عناصر فلسطينية ، وبالذات من سكان الضفة والقطـــاع ، وذلك حتى يتحمل الفلسطينيون جانبا من المسئولية ، فضلا عن قيامهم بمساعدتنا فى تقديم كثير من البيانات والمعلومات والتصدى لما يطرحه الوفد الاسرائيلى .

(مصطفى خليل)

صورة زنكغرافية من تقرير الدكتور مصطفى خليل الى الرئيس السادات عن مباحثاته مع ديان فى كامب دافيد من ٢٠ الى ٢٥ فبراير ١٩٧٩

THE PRIME MINISTER

Dear Secretary Vance,

It is with great pleasure that I express our deep appreciation for the untiring efforts exerted by the Government of the United States of America in the cause of peace.

I believe that our discussions in Brussels have been very beneficial in defining the points of difference, and in explaining the logic behind our points of view concerning these differences.

صورة من خطاب الدكتور مصطفى خليل إلى سيروس فانس وزير الخارجيه الامريكية باللغة الانجليزيه . وقد احتج رئيس وزراء مصر فى هذا الخطاب على عقد اتفاق بأن تكون امريكا هى الجهة التى تفصل فى الخلافات على تطبيق المعاهدة بين مصر واسرائيل

عزيزي رئيس الوزراء بيجين

ارجو أن تكونوا قد عوفيتم تماما مما ألم بكم ، واستعدتم صحتكم لتتمكنوا من مواجهة المسئوليات الضخمة التي تتحملون بها في هذه المرحلة الدقيقة ، وانه لواجب كل منا في الواقع ان يتعامل مع العديد من المشاكل وخاصة في ضوء الظروف الراهنة سواء على مستوى المنطقة أو عالميا ، كما انه لاخيار لنا حقا الا بمواجهة هذه المشاكل بمزيد من وضوح الرؤية والشجاعة حيث لايمكن لاى منا أن يتجاهل الاحداث التي تحيط بنا وآثارها بعيدة المدى .

وفوق كل شيء ، فان واجبنا هو اتمام العمل الذي بدأناه على طريق السلام ، وانى لواثق اننى لست بحاجة لان اذكركم بما التزمنا به في اجتماعاتنا التي تمت في مصر واسرائيل وكامب ديفيد من العمل بلا كلل نحو تسوية سلمية شاملة في الشرق الاوسط .

ولعلك تذكر ان كثيرين كانوا متشككين في فرص نجاح المسيرة نحو السلام الشامل ، وذلك لاسباب تعلمونها ولاشك ، ومع ذلك فقد بقيت ثابت العزم في متابعة قضية السلام النبيلة بصرف النظر عن الكم الهائل من الجهود التي تتطلبها مثل هذه المهمة الجليلة ، فبالعزم والتصميم فقط أمكننا في العام الماضي ان نحقق ماكان يعد من قبيل المستحيل ، ولكن من ناحية اخرى فمازال امامنا الكثير لنعمله اذا كان لنا ان نواصل مسيرة السلام لصالح جميع شعوب المنطقة بما في ذلك الشعب الاسرائيلي طبعا ، بل لصالح جميع الشعوب في العالم

الماضية ، وانني أترك لك اختيار الطرق والوسائل المناسبة لتحقيق ذلك ، اننا اذا فشلنا في ازالة هذه العوائق والعقبات في الوقت المناسب فسوف نجعل من عملية المفاوضات الحيوية مجرد عمل لامعنى له ولا يخدم هدفنا العزيز في السلام .

وانني على ثقة من أن أحدا منا لايريد بل لايستطيع ان يفعل ذلك .

وأخيرا فانني أتوقع ان يصلني منكم ردا ايجابيا حتى يمكن للمفاوضات ان تستمر ، في جو مفعم بالأمل وبأسرع وقت ممكن .

مع أطيب تمنياتي اليك والى مسز بيجين

محمد أنور السادات

صورة زنكغرافية من خطاب الرئيس انور السادات الى بيجن رئيس وزراء اسرائيل ، يحتج فيها على العراقيل التي يضعها بيجن امام مباحثات الحكم الذاتي ، ويحثه فيها على استئناف المفاوضات

سموم الأفاعي ..

تبدأ اليوم في الاسكندرية الجولة الاولى من مباحثات اقرار الحكم الذاتي للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة . ومقدمات هذه المباحثات من جانب بيجين وحكومته لا تبشر مطلقا بحسن النوايا . بل ان بيجين تعمد ان يهيل عاصفة ترابية في طريق المفاوضات قبل ان تبدأ . فهو يطلق التصريحات ليل نهار ان الضفة الغربية هي ارض اسرائيلية . وان اسرائيل لن تنسحب . وان القدس لن تكون الا عاصمة اسرائيل . وان المستوطنات باقية . وان الحكم الذاتي هو للانسان لا للارض .. الى آخر هذه الشعارات التي لا يمل ترديدها ليل نهار .. متصورا انه يستطيع فرضها .

ثم كان اخيرا قرار مجلس وزراء اسرائيل بالموافقة على انشاء مستوطنة جديدة قرب نابلس . ولا يهمنا بالنسبة لهذا القرار ان يقال ان عددا من الوزراء مثل دايان ووايزمان ويادين قد اعترضوا .. فرايي دائما ان السياسة الاسرائيلية هي سياسة واحدة متفق عليها ، وان مثل هذه الاعتراضات هي من قبيل توزيع الادوار ..

بل ان هذا القرار الاستفزازي قد صدر في اليوم المحدد لزيارة ديان لمصر بشأن مباحثات الحدود .. وهذه جليطة ولتطع .

●●●

وبيجين يتصور اننا من الممكن ان نفقد اعصابنا .. ومن الممكن ان نجاري هذا الاستفزاز ، باستفزاز مثله .. فتتلزم المباحثات ... ان تبدأ .

... يتصور ايضا ، ان مثل هذه الاعمال ...
... حول
... ب الشعب
... وقه .

وهو ... ايضا ، انه قادر على كل هذه التحديات ، مادام هناك خلاف عربي ... تناقضات ايضا بين الدول الرافضة .. ولذلك فهو ، ... حتى ... ضات في مولدها .. وحتى ينتهي الوقت ... وبذلك ... عقد سلاما منفردا مع مصر .. وهذا ما يحلم بيجين بانه يدفع الاحداث اليه ... خاصة انه اختار لعضوية الوفد الاسرائيلي في المباحثات ، الوزير شارون المعروف بتطرفه الاعمى نحو اقامة المستوطنات وهو الذي اعلن صباح امس ان الاسبوع المقبل سوف يشهد بدء ... .

... كل الموقف الامريكي المعلن ... المستوطنات عمل غير مشروع .. وان القدس العربية هي ... الضفة الغربية ولن تكون ارضا اسرائيلية .. واذا كان هذا ... من بيجين وحكومته ، هو مناورة مكشوفة لتعطيل المباحثات وكسب الوقت .. واذا كان ذلك كله صحيحا وواضحا ، فان الموقف الامريكي يجب ان يكون ايجابيا وفعالا وحاسما ، في وقف هذه البهلوانيات التي ... عملية السلام في الشرق الاوسط .. ونحن لا يهمنا هي الدور الامريكي ، التصريحات ، والبيانات .. ولكن الاهم ، هو الدور الفعال الذي يضع بيجين في حجمه الطبيعي .. والذي يقطع رأس الافعى قبل ان تفرز سمومها .

●●●

ان تأييد الشعب المصري المكتسح لقضية السلام ، لا يعني ، ولن يعني ان نهدر حق الشعب الفلسطيني ، او ان نتغاضى عنه . هذه حقيقة تعرفها واشنطن .. قبل ان يعرفها بيجين وكل الافاعي في تل ابيب .. ونحن لا يهمنا ان يصر بيجين على تسمية الضفة الغربية ، يهوديا وسامريا .. او اي اسم يريده .. فهذا شأن يخص تعبيراته البلاغية .. ولكن الذي يهمنا هو الالتزام بقرارات الامم المتحدة ، واتفاق كامب دافيد ، وبما جاء في خطاب الربط مع معاهدة السلام المصرية . والتزام امريكا بهذه المواثيق ، يجيء في المقام الاول ، قبل الالتزام الاسرائيلي . ويجب ان تتحدد المواقف في الساعات الاولى من المفاوضات .. وليس لدينا وقت نضيعه في المناورات الاسرائيلية التي اصبحت اضحوكة امام العالم كله . ان امريكا ليست وسيطة لتقريب وجهات النظر .. ولكنها شريكة في المباحثات ، تؤدي مسئولية اساسية وتاريخية لاقرار السلام .

موسى صبري

صورة من مقال سموم الافاعي الذي كتبه موسى صبري في الصفحة الاولى من الأخبار واحتجت حكومة اسرائيل على المقال وهددت بقطع المباحثات التي كان مقررا اجراءها بالاسكندرية

٦- الموضوع برمته أحيل بالتحقيق للنيابة الإدارية لسلطة صدور قرارات جمهورية في عام ١٩٧٧ وحققت النيابة الإدارية بالتفصيل وانتهى مستشارو النيابة الإدارية ومدير النيابة الإدارية في ذلك الوقت بعدم وجود أية مخالفة وحفظ الموضوع وذلك في القضية رقم ٧٨ لسنة ١٩٧٧ نيابة إدارية

٧- الموضوع كله برمته مغطى من التهويل والالتواء في تقديم المعلومات وعدم تحري طبيعة قطع الآثار فاحصوا والمبالغات والمزايدات الغير علمية المحيطة به - وأضيف أن رأي عشرات من علماء الآثار الموضوعيين في إمكان بيع هذه القطع المكررة أو المتشابهة لبعض المتاحف أية منفعة حقيقية وكان رأسهم أثري عالمي آنذاك في ذلك الوقت هما المرحومان د. عبد المنعم أبو بكر ود. أحمد فخري وتقييم كل هذه القضية هو الرأي الحاكم وهدفه ذلك مجرد مزايدات سياسية في تقديري

مع صادق أماني

صورة من الجزء الأخير من كتاب الدكتور احمد قدرى رئيس هيئة الآثار العربية التى يكشف فيها كذب اتهام انور السادات بانه بدد الآثار المصريه

AKHBAR, 10 OCTOBER 1978 ● السنة السابعة والعشرون ● العدد ٨٢١٢ ● ١٦٩٥ توت ٣٠ - ١٩٧٨ (تشرين اول) اكتوبر ١٠ - ١٢

ناعى بجميع المنشات اخطار العمل (ص - ٦)

لا اجـراءات استثنائية فى سفر الحجاج (ص - ٧)

٩

الموسيقار عبد الوهاب ● م يشترك لا فى لجنة تناقش دكتوراه ● ● (ص

ـعب يناقشــون إتفــاقية الســ

إنتهت أسطورة أشرف مروان

قرار جمهوري باقالته من هيئة التصنيع

صدر قرار جمهورى بانهاء اعارة اشرف مروان الى الهيئة العربية للتصنيع الحربى ، ونقله الى وزارة الخارجية .

كان اشرف مروان يشغل منصب رئيس مجلس ادارة هيئة التصنيع العربية ، بعد ان اعفى لها من وظيفته فى رياسة الجمهورية فى ٢٢ مارس ١٩٧٦ كانت اعارته الى هيئة التصنيع العربيه ، ابعادا له من العمل برياسة الجمهورية ، وقد كان يشغل منصب سكرتير الرئيس للمعلومات .

أشرف مروان

● قدم ليلة ١٤ مايو ١٩٧١ عددا من التسجيلات التى كان يريد سكرتير سامى شرف تهريبها .

● صدر قرار بتعيينه سكرتيرا للرئيس لشئون المعلومات . وفى ١٤ فبراير ١٩٧٤ عين سكرتيرا للرئيس للاتصالات الخارجية .

● انهيت خدمته فى رياسة الجمهورية واعير الى هيئة التصنيع فى ٢١ مارس ١٩٧٦ .

تعليق ((الإخبار)) :

● ان هذا القرار الجمهورى بابعاد اشرف مروان من هيئة التصنيع ، يؤكد لنا جميعا ، ان هذه المرحلة الجادة تبدا بداية جادة وحاسمة . وليس من شك فى ان هذا القرار سوف يلقى صداه الطيب بين الجماهير لانه يؤكد التنفيذ السريع للمبادىء التى اعلنها الرئيس فى خطابه التاريخى امام مجلس الشعب من خطوات للعمل فى هذه المرحلة ٥ الى

● ان كل من يتولى منصبا عاما ، يجب ان يقدم القدوة الصالحة فى مسئوليته .. حتى لو كان فى مأمن من المساءلة القانونية . ان العمل العام له مسئولياته والتزاماته التى يحكم عليها الراى العام ، والتى توجب احترام هذا الراى العام .. ولو لم تتوافر ادلة ادانات قضائية .

● ومع ذلك ، فاننا نقول انه لا حماية لاحد فى اى موقع اذا وجد الدليل القانونى الذى يثبت عليه اى تجاوز فى مسئولياته . ولن تتردد سلطات القضاء فى احترام سيادة القانون .

نسبت اليه فى ذلك الوقت اتهامات بانحرافات ، وامر الرئيس السادات بان يحقق فيها المدعى العام الاشتراكى معه . كان موضوع الاتهامات شراء السيدة قرينته لارض زراعية فى ناحية الهرم . وكانت اجاباته فى التحقيق انها لم ترث شيئا وقد اشترت الارض بثمن سيارات قدمت لها هدية من شخصيات عربية ، تكريما لها بوصفها كريمة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ثم باعت هذه الارض بسعر اكبر ، واشترت بالثمن الجديد قطعة اكبر . ولم يثبت التحقيق ما يدين تصرفه الشخصى ، فتقرر اعارته الى هيئة التصنيع العربية ، على اساس ان عمله كان من طبيعته الاتصال بعدد من القيادات العربية ، كما ان الرئيس السادات لا يجحد لاحد اية خدمة قدمها لبلده ، ولذلك فقد منحه وسام الجمهورية من الطبقة الاولى تقديرا لما قام به من خدمات خلال حرب [illegible] قطع الغيار اللازمة للقوات الجوية وكانت جميع المصانع فى اوربا مغلقة .

وهذا ما يجب ان يذكر لاشرف مروان .

وكان ترشيحه للعمل فى هيئة التصنيع الحربى ، متفقا مع رغبات بعض المسئولين العرب المساهمين فى الهيئة . تحولت هيئة التصنيع الى دولة داخل الدولة . انشا بها مناصب عديدة وبمرتبات ضخمة . كثر عدد هذه الوظائف التى لا يقوم اصحابها باعمال ذات قيمة تعادل المرتبات الكبيرة التى يتقاضونها . قدم الهدايا باسم الهيئة الى عدد من الشخصيات العامة . قدم تليفزيونات ملونة ، حولها من تلقوها الى الجهات الرسمية التى يعملون بها ، ورفضها البعض .

تلقت الجهات المسئولة اعتراضات [illegible] وتصرفاته من بعض الجهات العربية .

واطلقت عليه ((اخبار اليوم)) من قبل لقب الطفل المعجزة .

ليس من المتوقع ان يسند اليه عمل هام فى وزارة الخارجية .

وقد طلب اشرف مروان امس ، عندما ابلغ بالقرار ، عدم اذاعة القرار .. ورفض هذا الطلب ، لانه لا تصدر فى الدولة قرارات تخفى من الشعب .

● اسمه الكامل : محمد اشرف ابو الوفا مروان .

● تزوج بعد تخرجه فى كلية العلوم من السيدة منى كريمة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعمل فى مكتب مساعدا لسامى شرف .

طفى خليل

ن الخدمات

ـعب

رص العمالة

د متعجلة

ـلطة الرابعة

ر مصطفى خليل .. انه
حسين الخدمات ورفع
محددة لمواجهة المشكلات
ا على المجلس .

جال للمفصرين والسلبيين ويجب
توازى الحقوق مع الواجبات
وحذر من التصريحات البراقة
عود المتعجلة .
ستعرض مجلس الوزراء فى اول
ماع له برئاسة الدكتور مصطفى
ل رئيس الوزراء السياسة
ة للدولة واسلوب عمل الوزارة
البقية ص ١٠ عمود ٧ ٨ ؛

ب تتنــاول

لتعويضـات

[illegible] بيان الرئيس
نتائج اتفاقيتى كامب
اقيتين حققتا مكاسب
ا على الانسحاب الاسرائيلى
ما فتحتا الطريق امام

لسيادة الفلسطينيين على المنطقة
رار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى
، عليه الغالبية الدول العربية
ن اعترافا باسرائيل
ار التقرير الى ان الرئيس
ات قد اكد بوضوح فى خطابه
ى كارتر ان القدس العربية
ن الضفة الغربية وان وجهة
الامريكية تتفق مع وجهة النظر
ة فى هذا الموضوع
. بدا مجلس الشعب ، بعد تلاوة
اللجنة فى مناقشة التقرير
بعض النواب بتنفيذ بنود
السلام فى عام واحد بدلا من

سركيس يقطع محادثاته مع الأسد

خبر ابعاد اشرف مروان من هيئة التصنيع العربيه كما نشرته الأخبار فى الصفحة الأولى وقد اثار النشر بهذا الأسلوب غضب انور السادات وكانت ازمة .

Essential conditions of a healthy life

HOW T… EEP O… OF THE PSYC…ATR…TS' …ANDS

By
Harry Emerson Fosdick

WERE I not a minister, I should probably be a psychiatrist. There are 4011 accredited psychiatrists in this country, and they are swamped. The tragedy is that more disordered lives are being produced than they possibly can deal with. The number of supposedly intelligent moderns who are bogging down in emotional quagmires is appalling. multiplying the m…

…that the Christian religion is one of the most valuable and potent influences for producing that harmony and peace of mind and that confidence of soul which is needed to bring health and power to a large proportion of nervous patients."

A young man whom I did not know barged into my home one night. He had just tried t…

صورة من الصفحة الأولى من مقال مجلة « ريدز ديجست » التى قرأها أنور السادات فى السجن عام ١٩٤٧ وأثر فى حياته وتكوينه الفكرى والنفسى .

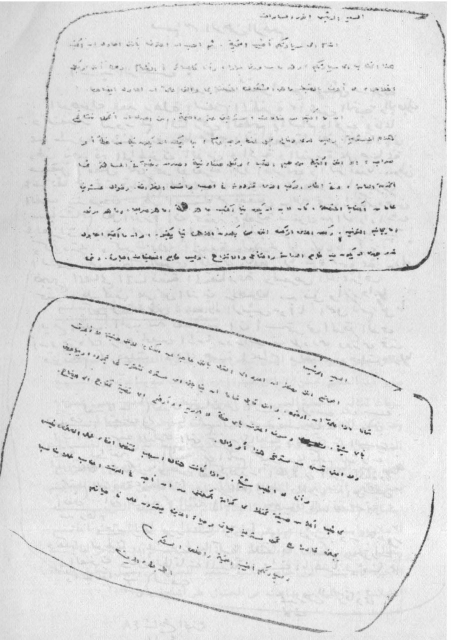

صورة من خطاب الكاتب احمد بهاء الدين الى الرئيس انور السادات يدافع فيه عن الاتهامات الكاذبة التي وجهت اليه من بعض المصادر .. ويوضح موقفه من الرئيس السادات

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس :

أرجو أن تقبلوا مع تهنئتي بسلامة الوصول بعد رحلة السلام المظفرة ، أعمق التحية والإجلال والتقدير لدوركم التاريخي العظيم في السلم والحرب دفاعا عن شرف أمتنا ومصيرها مما يجعلنا نشعر جميعا بفخر الانتماء إلى وطن ينعم فيه المواطنون بالأمن والحرية والقدرة على صياغة مستقبل أفضل على نحو لا تعرفه بلاد أوفر غنى وأكثر تقدما .. وطن استطاع تحت قيادتكم الشجاعة أن يحقق انتصارات لم يعرفها العرب من قرون .. وطن استطاع بفضل من الله تحت رايتكم وحسن سياستكم لكل أموره أن يحقق في المعركة مستوى من الأداء أشبه بالمعجزات ، ليفرض على العالم احترامه وليسترد للأمة العربية هيبتها وكرامتها وكبرياءها المهدرة ولينتزع لها مكانا بارزا تحت الشمس في زحام القوى الكبرى وليجعل لها كلمة مسموعة خلال صراع المصالح المتناقضة المتصارعة وليفرض الاعتراف بحقوق فلسطين على كل الذين رفضوها من قبل وأزروا بها

لكم كنت أتمنى يا سيادة الرئيس - وأنا أحمل لكم كل ما يعي القلب المحب من تقدير - أن أستمر في الموقع الذي أردتموه لي رئيسا لمجلس إدارة روزاليوسف لأؤدي دوري تحت قيادتكم ، فعملت خلال هذه الأعوام بشغف وحملت خلالها

لقد كانت إحدى قصائدي يا سيادة الرئيس هي سبب تشرفي بالتعرف إلى سيادتكم منذ خمسة وعشرين عاما .. وإني إذ أعتز بهذه الذكرى التي يخفق لها القلب وتشرق بها النفس لعلى ثقة كل الثقة في أنكم بجميل رعايتكم للآداب والثقافة والفكر ، وبعمق تقديركم لدور الكلمة في إثراء الحياة والإنسان بالقيم الفاضلة ، وطاقتها في نضالنا الوطني والعربي من أجل مستقبل أفضل .. إني لواثق كل الثقة أنكم ستجيبون ما أتقدم به من رجاء .

عشت رائدا عزيزا علينا وقائدا شجاعا لأمتنا وزعيما جسورا وحكيما لوطننا .. عشت راعيا كريما للثقافة والفكر والآداب والفنون ولكل الطاقات المبدعة .. عشت أبا حنونا لشعبنا وأمينا ملتزما بهذا الشعب .

عبد الرحمن الشرقاوي
كاتب

٤٨ شارع الجيزة
الدقي

صورة من خطاب استقالة الكاتب عبد الرحمن الشرقاوى من رياسة مجلس ادارة مؤسسة روزا اليوسف بعث بها الى الرئيس السادات .

مذكـــــرة

الموضوع : ضبط تنظيم دينى مسلح

خلال شهر يونيو الماضى اتصل شخص ملتحى يدعى الشيخ نبيل بالمواطن صابر عبد العظيم حسن (سائق سيارة أجرة) وطلب منه مساعدته فى جمع تبرعات لصالح الجمعية الخيرية للقيم الدينيه بمنطقة عرب الجسر بعين شمس.. وقد تمكن الأخير بالفعل من جمع بعض التبرعات ثم توطدت علاقتهما وتردد الشيخ نبيل على منزله عدة مرات وتدرج الحديث بينهما خلال هذه اللقاءات حول بعض الموضوعات الدينيه ثم استرسل الشيخ نبيل فى أحاديثه منتقدا بعض مظاهر الانحراف فى المجتمع وعندما استشعر أن المواطن صابر عبد العظيم يتقبل أحاديثه تطرق الى انتقاد النظام القائم لعدم تطبيقه الشريعه الاسلاميه واستمر الشيخ نبيل فى أحاديثه مركزا على مهاجمة نظام الحكم القائم ومطالبا بضرورة تغييره بالقوه لاقامة الدولة الاسلامية ـ ثم أوضح له فى لقاءاته الأخيره بأنه ينتمى الى جماعه اسلامية تستعد للجهاد فى سبيل تحقيق الدولة الاسلامية .. وطلب منه مساعدته فى الحصول على أسلحة [illegible]

صورة زنكغرافية من المذكرة السرية التى تقدمت بها وزارة الداخلية الى الرئيس السادات فى ٣٠ سبتمبر ١٩٨١ ، عن ضبط تنظيم دينى مسلح . ولم تكتشف اجهزة الامن حتى ذلك الحين ان هناك مؤامرة لاغتيال السادات .. رغم انه قبض على من يعرفون اسرار التدبير للاغتيال .

تعليــق :

- على ضوء ما أسفرت عنه المتابعة فقد تم تقييم الموقف وبحث ما اذا كان من الصالح استمرار المتابعة لكشف أبعاد جديدة أم التعجيل بضبط هذه العناصر فقد رؤى التعجيـل بضبط هذه العناصر للاعتبارات التالية :ـ

× لوحظ خلال كافة اللقاءات التى تم تسجيلها تلهف أعضاء التنظيم للحصول على السلاح بأى مبالغ .

× ما اتسمت به تصرفات هذه العناصر من ميل الى العنف والتهور وقد وضح ذلك خلال احاديثهم فى اللقاءات المسجلة .

× توقيت وتلهف هذه العناصر فى طلب السلاح قبيل زيارة السيد الرئيس لمحافظة الدقهلية وما سيتبعها من انعقاد للمؤتمر العام للحزب الوطنى .

وقد تأكد صحة القرار وتوقيته فيما أسفرت عنه عمليات التفتيش من ضبط أسلحـــة وذخائر وبعض المخطوطات التى تشير الى حركية التنظيم .

- مرفق كشف بالمضبوطات التى عثر عليها لدى بعض أعضاء التنظيم .

- مرفق شريط فيديو كاسيت عن اللقاءات المشار اليها .

١٩٨١/٩/٣٠ . [illegible]

[illegible]

للوصول [illegible]

[illegible]

مذكـــره

فى لقاء احد الضباط المختصين بالنشاط الدينى مع الاخوانى المفرج عنه / احمـد محمـود حيدر وهو من العناصر الاخوانيه المعتدله قرر أنه من خلال لقاءاتـه الاخيرة مع بعض زملائه أعضاء جماعة الاخوان المنحله تبين الآتى :ــ

أولا : ان الغالبيه العظمى من أعضاء جماعة الاخوان المنحله فى حالة استيـاء تام نتيجة القبض على كل من عمر التلمسانى ، وصالح عشماوى وذلك نظـرا لكبر سنهما وضعف صحتهما وعدم قدرتهما على تحمل أعباء التحقيـــق والسجن خاصة وأنه معروف عن الثانى أنه يعيش برئه واحده وكليـة واحده ــ بالاضافه الى انه من المعروف عن عمر التلمسانى أنه كان علـى علاقة طيبة بالسيد نائب رئيس الوزراء وزير الداخليه وأنه كان يستعين بـه فى بعض المواقف المتصاعده وآخرها احداث الزاويه الحمراء وغيرهـــا من الحوادث المشابهه وأن عمر التلمسانى لم يكن فى يوم من الايام مـــن دعاة الفتنه الطائفيه بل على العكس من ذلك فأنه بطبعه يرفض تصعيـد الاحداث واثارة النعرة الطائفيه وأن جميع احاديثه الى الشباب كانـت تدعو الى التهدئه والصبر والاناه وعدم الاثارة وأن أعضاء الجماعات الا

صورة من المذكرة التى قدمت بها وزارة الداخلية الى الرئيس السادات التى تطلب فيها اتخاذ اسلوب تعاون مع جماعة الاخوان المسلمين .. وقد اشر عليها السادات ، النائب ـ محيى الدين ـ وزير الداخليه ـ الكلام معقول ومطلوب من اللجنة العليا قيام كافة اجهزه الاعلام والاوقاف بما اتفق عليه .

المجمع المقدس
للكنيسة القبطية الأرثوذكسية
ΠΙΡΕΥΝΧΗΙ ΝΟΡΘΟΔΟΞΟC

السيد الرئيس أنور السادات ، حفظه الله

تحية طيبة مع صادق الدعاء وبعد ،

بمناسبة عيد الفطر ، أعاده الله عليكم وعلى كل اخوتنا المسلمين بالخير والبركة .

أكتب اليكم هذه الرسالة ، أحملها محبتى لكم ، وثقتى الكبيرة بكم ، وتقديرى لجهودكم الجبارة التى تبذلونها من أجل وطننا المحبوب وسلامه وسلامته ووحدته الوطنية .

كما أعبر لكم فى هذه الرسالة أيضا عن أن اخلاص الأقباط لكم مبنى على حب وعقيدة . أما الحب فهو لشخصكم كانسان ، يقدر مشاعر الانسانية ، ويهتم ببنيان كل انسان وحريته وكرامته . أما عن العقيدة ، فلأن الأقباط بحكم عقيدتهم الدينية يصلون من أجلكم كحاكم ، فى كل قداس ، ويصلون لأجل سلامة بلادنا .

هؤلاء الأقباط يا سيادة الرئيس ، الذين هم أعضاء فى أسرتكم الكبيرة يضعون متاعبهم بين يديكم ، وهم يثقون بمحبتكم وعدلكم وحسن تصريفكم للأمور انما نرى أن سيادتكم هو دائما صاحب القرار الذى يطمئن الجميع ...

دمتم لمصر ذخيرة ، وللقيم السامية ، والله نسأل أن يوفقكم ويقويكم ويرشدكم الى ما فيه خير الجميع .

المحب معكم ...

وختاما لكم خالص تقديرنا ، أعاد الله عليكم هذه الايام بكل خير ...

القاهرة فى : ١٠ من سبتمبر ١٩..

البابا شنوده الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية
ورئيس المجمع المقدس

صورة زنكغرافية من الخطاب الذى بعث به البابا شنودة الى الرئيس السادات فى ١٠ سبتمبر ١٩٧٧ . . وكان خطاب ترضية لأنهاء الأزمة التى نشبت فى ذلك الحين .

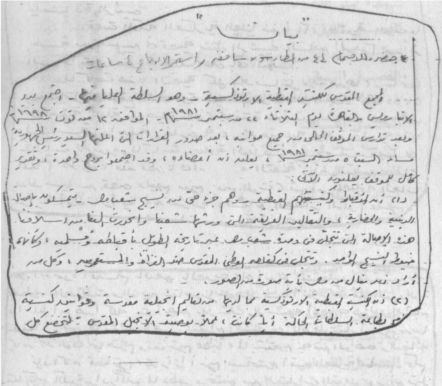
بيان

* بحضور الاجتماع ٤٤ من المطارنة والأساقفة واستمر الاجتماع ٤ ساعات

المجمع المقدس للكنيسة القبطية الارثوذكسية – وهو السلطة العليا فيها – اجتمع بدير الأنبا رويس بالقاهرة يوم الثلاثاء ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٨١م – الموافق ١٢ من توت سنة ١٦٩٨ش
وبعد تدارس الموقف الحالي من جميع جوانبه، بعد صدور القرارات التي أعلنها السيد رئيس الجمهورية مساء السبت ٥ من سبتمبر سنة ١٩٨١، يعلن أن أعضاءه، وقد اجتمعوا بروح واحدة، وتقدير كامل للموقف يعلنون الآتي:

(١) أن الأقباط وكنيستهم القبطية – وهم جزء حي من نسيج شعب مصر – يتمسكون بأصالة الدينية والحضارية، والتقاليد العريقة التي ورثها شعبنا وأجدادنا من أسلافنا. هذه الأصالة التي تتجلى في وحدة شعب مصر عبر تاريخه الطويل بأقباطه ومسلميه، وكأنهم خيوط النسيج الواحد. وتتجلى في كفاحهم الوطني المقدس ضد الغزاة والمستعمرين، وكل من أراد أن ينال من مصر بأية صورة من الصور.

(٢) أن الكنيسة القبطية الارثوذكسية بما لديها من تعاليم انجيلية مقدسة وقوانين كنسية تخضع طاعة للسلطات الحاكمة أيا كانت، عملا بوصية الانجيل المقدس "لتخضع كل

صورة من البيان الذى اصدره المجمع المقدس للكنيسة القبطية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨١ وحضره ٤١ من المطارنة والأساقفه . . وذلك من الاجراءات التى اتخذت مع البابا وعدد من القساوسة .

التماس مقدم إلى السيد رئيس الجمهورية
بشأن التصديق على الحكم الصادر
فى القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١
عسكرية عليا

يا سيادة الرئيس

- قضت المحكمة العسكرية العليا منذ أيام، بعقوبة الموت على خمسة من المتهمين فى قضية مقتل الرئيس السابق المرحوم محمد أنور السادات وبعقوبات مختلفة على باقى المتهمين.

ولما كانت هذه القضية بكل ملابساتها وعناصرها، ونتائجها ومقدماتها، والموقع الذى جرت فيه، والوقت الذى تمت أثناءه، [illegible] ثمرة حقبة كاملة من حياة مصر، فى فترة من أشد فترات هذه الحياة السياسية: داخلية وخارجية، والاجتماعية والاقتصادية، [illegible] [illegible] الأمور، ولما كانت مصلحة البلاد - فيما نعتقد - تهمنا فى المقام الأول، فقد نظرنا فى أمر هذه القضية وأمر المتهمين فيها ولا سيما من قضى عليهم منهم بحكم الموت، ثم أمر المصلحة العامة فرأينا أول ما رأينا أن هؤلاء الشبان الصغار المحكوم عليهم [illegible] شخصية، [illegible]

[illegible] الدعوة العلم بالتحريض بالضرب على أيدى المستغلين والمرتشين والذين يعطون العمولات والذين يتقاضونها ولا نحسب أننا نتجنى على الحق والواقع إذا قلنا أن هذا كله قد أرهف بلا شك ولا شبهة أعصاب هؤلاء الشبان الصغار وهم فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب، وكان المستقبل أمامهم مديدا وكان الأمل فى نجاحهم وتفوقهم عظيما، لما يتمتعون به من المواهب والفضائل فإذا كان قضاتهم، قد رأوا أنهم يستحقون أقسى العقوبة، فأنتم - بحكم مكانتكم الكبيرة وإدراككم لما يظهر ويختفى من الاعتبارات التى لا يجوز أن تهمل جديرون بالتخفيف فى الحكم ليكون الحكم إلى العدل أقرب وإلى الرحمة أدنى.

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام

كمال الدين حسين   فتحى رضوان

صورة زنكغرافية من مقدمة وختام الالتماس الذى قدمه كمال الدين حسين وفتحى رضوان الى الرئيس حسنى مبارك وطلب فيه عدم التصديق على الحكم باعدام قتلة السادات .

المحتـــويات

الصفحـــة

المقـــــدمة

شهادة أمام الله . . . . . ٥ — ١٤

الفصـــل الأول

لحظـــات المرارة . ١٥ — ٢٢

الفصـــل الثـــانى

١٤ جهة قررت اغتيال الســادات ٢٣ — ٥٣

الفصـــل الثـــالث

الجريمة تمت فى ٣٥ ثانية . ٥٤ — ٦٩

الفصـــل الرابع

لمــاذا قتــلوه ؟ . . ٧٠ — ١٠٠

الفصـــل الخامس

فى قلب الفتنـــة . ١٠٢ — ١٣٢

الفصـــل السادس

المعارضة تشجع التطرف الدينى . . . . . ١٣٣ — ١٤٠

الفصـــل السابع

قرارات سبتمبر . . ١٤١ — ١٥٥

الفصـــل الثـــامن

كيف صدرت قرارات سبتمبر ؟ . ١٥٦ — ١٧٣

الصفحة

الفصل التاسع

من هو ؟

اللقاء الأول معتقل الزيتون . . . . ١٧٤—١٨٩

الفصل العاشر

من هو ؟

صور من شخصية السادات من الداخل . . . . ١٩٠—٢١٣

الفصل الحادى عشر

الحلم فى يده ! . . . . ٢١٤—٢٤١

الفصل الثانى عشر

بين السادات وعبد الناصر . . . . ٢٤٣—٢٨٨

الفصل الثالث عشر

القضايا الخطيرة التى واجهها السادات

احداث مايو — أحداث ١٨ و ١٩ يناير . . . . . ٢٩٠—٣٢٥

الفصل الرابع عشر

قصة الحرب . . . . ٣٢٦—٣٦٥

الفصل الخامس عشر

شهادتان للتاريخ . . . . ٣٦٦—٣٩٧

الفصل السادس عشر

قصة السلام

فض الاشتباك الأول — التفكير فى زيارة القدس — رحلة القدس — مباحثات جناكليس — ماذا جرى فى كامب ديفيد — مباحثات بلير هاوس وماديسون — أزمات فى اتفاق السلام — حكاية مياه النيل — أزمة النيل . . . . ٣٩٨—٥١٧

الصفحـــة

الفصل السابع عشر

قصـــة الصحــــافة

الصحافة من عبد الناصر .. الى الســادات . ٥١٩—٥٣٧

الفصل الثامن عشر

قضية الصحافة .. ازمة مصطفى امين والدمامصى . ٥٣٩—٥٧٨

الفصل التاسع عشر

الســادات والاعلام العالمى . . ٥٧٩—٥٩٢

الفصـــل العشرين

شخصيات حول الســادات

سيد مرعى — عزيز صدقى — عبد العزيز حجازى — عثمن احمد عثمان — حسن كامل — أشرف مروان — النبوى اسماعيل — مصطفى خليل — ممدوح ســــــالم . . . . ٥٩٤—٦٧٤

الفصل الحادى والعشرون

الاغتيال الثانى لانور الســادات . . ٦٧٦—٧٠١

الفصل الثانى والعشرون

هل خذلته امريكا . . . ٧٠٣—٧١٧

الجـــزء العــــاشر

الفصــــــل الاخير

وماذا بعــــــد . ٧١٨—٧٦٠

وثائـــق . . . ٧٦٠—٧٧٨

رقم الإيداع ١٩٨٥/٥٢١٦
الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ١٣٦ - ٠٤٩ - ٣

مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر

هذا الكتاب

لم يكن السادات مجرد حاكم او رئيس لمصر، بل كان واحداً من ابرز زعماء العالم، وقد وضع بصماته الواضحة على كل صفحة من صفحات تاريخنا المعاصر . .

فلقد شهدت مصر في عهده تغيرات في كل الاتجاهات وجميع المجالات حتى باتت يوم رحيله غير تلك التي أتاها يوم تولى زمامها . .

ما هي تفاصيل تلك التغيرات والأحداث ؟

وما الظروف التي دفعت بالرجل كي يخطو بمصر هذه الخطوات الواسعة ! !

لقد كان الرجل يعرف حق أمته ، وحق التاريخ في كل التفاصيل وجميع الاسرار ، لذلك كان يحرص دائما على اختيار من يودعه تلك الاسرار ويطلعه عليها ليحفظها للأمة وللتاريخ . .

وكاتبنا موسى صبري الذي ترجع صلته بالسادات إلى عام ١٩٤٣ ـ ولم تنقطع ـ كان من الذين اختارهم الرجل لحفظ هذه الاسرار وليكون أمينا عليها يؤديها للتاريخ وللأمة يوم يحين الوقت . .

وهذا الكتاب ليس هتافا باسم السادات . .

ولكنه يحكي أحداث مصر في أخصب فترة من تاريخنا المعاصر بزعامة السادات ورياسته للدولة وأسلوبه في مواجهة القضايا الكبرى . .

قضايا الحرب والسلام والديمقراطية .

احمد يحيى